kitabweb-2013.forumaroc.net

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين

حرف الجيم

5

جابر - الجيلي

دار الجيل

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين

حرف الجيم / المجلد الخامس

دار الجيل

بترخيص من
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

جميع الحقوق محفوظة لـ
دار الجيل

الطبعة الأولى
1426هـ - 2005م

لا يجوز نشر أي جزء من هذه الموسوعة أو اختزان مادتها بطريقة الاسترجاع أو نقلها على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر.

ISBN: 9953-78-096-X

دار الجيل

بيروت: البوشرية - شارع الفردوس - ص.ب.: 8737 (11) - برقياً دار جيلاب
هاتف: 52/ 51/ 689950 **فاكس:** 689953 (009611)
E.mail: daraljil@inco.com.lb.
Website: www.daraljil.com
القاهرة: هاتف: 5865659 فاكس: 5870852 (00202)
تونس: هاتف: 71922644 فاكس: 71923634 (00216)

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

تونس: القباضية الأصلية - ص.ب.: **1120**
هاتف: 784466 - 0021671
فاكس: 782091 - 0021671
784965 - 0021671
E.mail: Alesco@Email.ati.tn
Website: www.alesco.net

الإشراف العام

د. المنجي بوسنينة

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

المدير المسؤول

د. محمد صالح الجابري

الهيئة العلمية

د. هشام نشابة

رئيس المجلس التنفيذي
للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

د. أكمل الدين إحسان أوغلي

الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

د. محمد أحمد الشريف

أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
الجماهيرية العظمى

د. صلاح فضل

جامعة عين شمس
رئيس اللجنة العلمية

د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري

جامعة الملك سعود

د. محمود فهمي حجازي

رئيس جامعة نور ـ مبارك،
قازاخستان

د. علي عقلة عرسان

الأمين العام
للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب

د. إبراهيم بن مراد

جامعة تونس

د. محمد علي آذرشب

جامعة طهران

د. محمد أسلم إصلاحي

رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية
جامعة جواهر لال نهرو ـ نيو دلهي، الهند

هيئة التحرير

تُنجز هذه الموسوعة بالتشاور والتعاون
مع 70 جامعة علمية، عربية وإسلامية وعالمية، وبمشاركة
أكثر من 2000 عالم جامعي وخبير في مجالات تخصص الموسوعة،
يساهمون في التحرير والمراجعة وتقديم المشورة.

ج

المجلد الخامس

جابر ـ الجيلي

ابن جابر الأندلسي، محمد بن أحمد بن علي الهواري الأندلسي

(698هـ/1298م - 780هـ/1378م)

محمد بنُ أحمد بنُ علي، ابنُ جابر الأندلسي، شاعر، عالم بالعربيّة. أندلسيٌّ، من أهل المَرِيَة. كان أعمى.

قرأ القرآن والنحوَ على علِي بن محمد بن يعيش، والفقهَ على محمدِ بنِ سعيد الرُّندي، والحديثَ على أبي عبد الله الزّواوي من أهلِ المَرية [الدرر الكامنة، ج 3، ص 429]. عاصر لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ) وابن خلدون (ت 808هـ). كما عاصر الصفدي؛ اجتمع به مرات واستجازه بقصيدة، فأجازه بمثلها [نكت الهميان، ص 245].

رحل إلى مصر سنة 738هـ/ 1337م، صحبة أبي جعفر أحمد بن يوسف الرعيني [بغية، 1/ 34، 403]، وتلازما فصارا حسب عبارة ابن الخطيب «روحين في جسد» [الإحاطة، 2/ 330] واشتهر بالأعمى والبصير، وسمع الرجلان بمصر من أبي حيان ثمّ سافرا إلى دمشق وسمعا بها من المزّي وغيره، وتوجّها بعد ذلك إلى بعلبك وسمعا الشاطبيّة من فاطمة بنت النويني بإجازتها من الكمال الضرير [غاية النهاية، 2/ 60]، ثمّ انتقلا إلى حلب في أخريات سنة 743هـ/ 1342م فحدّثا عن المزّي بصحيح البخاري، وسمع منهما البرهان الحلبي [الدرر الكامنة، 3/ 429] وقرأ عليهما ابن الجزري من أوائل 771هـ/ 1369م، وقد اشتهر بحلب وقال عنه محمد راغب الطباخ في أعلام النبلاء، [5/ 75]: «وكان أمّةً في النحو. وشغل الطلبة بحلب، اشتغل عليه بها غالبُ أولادِ الحلبيين، وبه وبصاحبه انتفعوا في النحو والأدب».

عُرفت رحلتهما بـ «رحلة الأعمى والبصير»، وقد دام تعاونهما إلى أن تزوّج ابن جابر فانفصلا. وابن جابر هو صاحب البديعية المعروفة بـ «بديعية العميان».

برغم مشاركة ابن جابر في النحو واللغة شرْحًا ونظمًا، كما هو بَيّنٌ من مؤلفاته، فإن شهرته في مجال الشعر ونظم صور البديع غطّت على غيرها. قال المقّري: «له ديوان شعر وأمداح نبويّة في غاية الإجادة». [م. س، 2، ص 664]. وأورد له أكثر من 600 بيت موزّعة بين ثلاثة توجّهات: 1) البراعة في نظم معانٍ جزئيّة في الغزل أو الموعظة والحكمة، مع تضمين آيات قرآنية أحيانا، وأغلبُ هذا الشعر نتفٌ من بيتين، 2) شعرٌ في المديح النبوي والتوسّل والذكرى وأخبار الصحابة ومناقبهم، وفي هذا المنحى نظم مطولاتٍ

مشهورة قائمة الذات، منها مقصورة من 176 بيتًا من المعشرات بعدد الحروف الهجائية. وهذا الاتجاه يستوعب أيضًا منظوماته العلميّة مثل «الحلة السيرا»، 3) وبين هذين القطبين قصائد ذاتية في الحنين والذكرى ممزوجة بمعاني الغزل وغيرها.

وقد تجلّت مهارته وجاذبيته لمعاصريه ومن جاء بعدهم في قدرته على تطويع لغة الغزل لمقاصد التوسّل الديني، أو تأنيس الغزلي بالديني حسبَ زاوية النظر. مع مهارة في توظيف النصوص والمفاهيم الدينيّة في تقديم القضايا البديعيّة. من أمثلة ذلك تضمينه لسور القرآن في قصيدة مطولة لقيت رواجا كبيرا، وعارضها كثيرون، مطلعها:

فـي كـلّ فـاتـحـة لـلـقـول مُـعْـتَـبَـرهْ
حقُّ الثناء على المبْعُوثِ بالبَقْرهْ.

[نفح الطيّب، 7/ 324، 327]

فهو يُدمجُ أسماء السور في السياق الدلالي للمديح النبوي حيث تبدو وكأنها تحرّرت من معانيها الاصطلاحية، فيتضاعفُ المعني عند استرجاع المتلقي لذلك المستوى المُورَّى. وهذا ما لم يوفّق فيه أكثرُ من عارضوا هذه القصيدة. ولا شكّ أنّ الاطلاع على قصائد وجدانية ذاتية لابن جابر يظهر سبب ذلك التوفيق الذي حالفه وهو يركب مركب المزج النظمي بين القضايا التاريخيّة والعلميّة والدينيّة، والقضايا البديعيّة الشعرية، فهو شاعر موهوب، ومتمكّن من أدوات الشعر.

ولابن جابر كفاءة إنشائية وظفها في الوصف وتقريظ الكتب، من ذلك تعليقه على وصف ابن جبير لدمشق، قال: «ولقد أحسن فيما وصف منها وأجادْ، وتَوَّق الأنفُسَ للتطلّع على صورتها بما أفادْ. هذا ولم يكن له بها إقامةْ، فيعرف عنها بحقيقةٍ علامةْ، وما وصفَ ذَهبياتِ أصيلها، وقد حانَ من الشمس غُروب. . .» [م. س، 2/ 387، وانظر تقريظه نثرًا وشعرا لكتاب «نسيم الصبا» لابن حبيب، م. س.، 2/ 669 ـ 671].

■ آثاره

1 ـ الحلة السيرا في مدح خير الورى، وهي على طريقة صفيّ الدين الحلّي البديعية، وتسمّى «بديعية الهميان»، قال السيوطي: «وهي بديعيّة، ونظمها عال، لكنّه أخلّ فيها بذكر أنواع من البديع كثيرة جدّا» [بغية الوعاة، 1/ 35]. وقال الدكتور أحمد مطلوب: «وتختلف بديعية الأندلسي عن غيرها وذلك أنّه لم يجعل فنون البلاغة كلّها بديعا، بل اقتصر على أبواب البديع التي ذكرها القزويني، ولذلك اعتبروه مخلّا بالبديع غير مستوف له» [مناهج بلاغيّة، ص 332؛ وينظر أنوار الربيع، 1/ 32]. والبديعية في 127 بيتا. وقد شرحها رفيقه أبو جعفر الألبيري بشرح سماه «طرز الحلّة وشفاء الغلّة» وفي مكتبة الأوقاف ببغداد نسخة مخطوطة منها برقم 12142، طبعت الحلّة السيراء ملحقة بطراز الحُلّة وشفاء الغُلّة للرعيني، ص 686 ـ 699؛ 2 ـ حلة الفصيح، سمّاه بعضهم نظم الفصيح ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة تشستربيتي، دبلن ـ إرلندة، وهي في 56 ورقة كتب بقلم نسخ معتاد واضح، [ينظر فهرس المخطوطات العربيّة، في مكتبة تشستربيتي، 2/ 116]؛ 3 ـ ديوان شعر، وفي [الإحاطة، 2/ 330؛ ونفح الطيّب،

7/ 302]؛ كثير من شعر الهواري، ومنه المقصورة الفريدة التي عدّها الزركلي من مؤلّفات الهوّاري، وذكر أنها مخطوطة [الأعلام، 5/ 328]؛ 4 ـ شرح الألفيّة، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة عبيد بدمشق، وفي الظاهرية، ومكتبة تشستربيتي برقم 3067 وهي في 200 ورقة نسخت في حماه بتاريخ 19 محرّم 772هـ/ 13 آب 1370م، [فهرس المخطوطات العربيّة، 1/ 46]؛ 5 ـ قصيدة ميميّة، ذكر الزركلي أنّها مخطوطة [الأعلام، 5/ 328]، ولعلّها القصيدة التي ذكر منها ابن الخطيب في الإحاطة [2/ 331] ستة وثلاثين بيتا.

وذكر المقّري [نفح الطيب، 7/ 304] عشرة أبيات منها، ثمّ قال: «سرد لسان الدين القصيدة بتمامها، وذكر بعدم سبق اثنين وستّين بيتا ولم نثبتها لطولها، ثمّ قال بعدها: نجزت وما كادت»؛ 6 ـ المقصد الصالح في مدح الملك الصالح، ذكر الزركلي في الأعلام [5/ 328]، أنّه مخطوط، وليس في المصادر المتيسّرة ذكر للكتاب أو للقصيدة، قال الملك الصالح بن الملك المنصور ما نصّه: «وله المكارم الشهيرة، وليس بأرض الشام والعراق ومصر أكرم منه، يقصده الشعراء والفقراء فيجزل عطاياهم جريا على سنن أبيه».

المصادر والمراجع

● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، القاهرة؛ ● السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1384هـ/ 1964م؛ ● المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. الدكتور إحسان عباس، بيروت 1384هـ/ 1964م؛ ● ابن معصوم، علي صدر الدين بن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تح. شاكر هادي شكر، النجف الأشرف، العراق 1388هـ/ 1968م؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط 4، بيروت 1979م؛ ● كحالة، رضا، معجم المؤلفين، دمشق 1380هـ/ 1960م؛ ● د. مطلوب أحمد، مناهج بلاغية، بيروت 1393هـ/ 1973م.

د. خديجة الحديثي
جامعة بغداد
د. محمد العمري
جامعة عين الشق ـ المغرب

جابر بن زيد الأزدي، أبو الشعثاء

(21هـ/641م ـ 93هـ/711م)

جابر بن زيد الأزدي اليحمدي المُكنى بأبي الشعثاء، تابعي من أهل عُمان تتلمذ على ابن عباس، وعائشة، وعمر، وصحب الحسن البصري، وشغل منصب الإفتاء في البصرة، وكان يُعد من أبرز علماء عصره في الحديث والفقه، ومن أوائل من دوّنوا كتبا في الإسلام. ويعدّه المذهب الأباضي مرجعه الأعلى.

ولد جابر بن زيد في العام الحادي والعشرين للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، بقرية «فَرْق» في سفح الجبل الأخضر بالقرب من مدينة نزْوى عاصمة عُمان الداخلية، والتي أصبحت فيما بعد مركزا دينيًا شهيرًا على مرّ العصور، وعاصمة سياسية في بعض مراحل التاريخ العُماني، وقد كُني جابر بأبي الشعثاء نسبة إلى ابنته الكبرى التي يوجد قبرها حتّى الآن بقرية فرق العمانية.

كانت عُمان في الفترة التي ولد بها جابر، حديثة عهد بالإسلام الذي سعت للتعرّف عليه، قبل أن تسعى جيوش الفتح لحمله إليها، وكان مازن بن غضوبة من أبناء عُمان هو الذي سعى إلى المدينة في عهد الرسول، على بعد المسافة، للتعرّف على هذا الدين الجديد وحمله إلى أهل عُمان، وعندما جاء عمرو بن العاص بعد ذلك برسالة من الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ملكي عُمان عبد وجيفر ابني الجلندي استقبل استقبالاً حسنًا، وانتشر الدين الجديد في سهولة ويسر، وانضم كثير من العمانيين إلى جيوش الفتح الإسلامية منذ فترة حروب الردّة، وعرف منهم أبطال مشهورون في الفتوحات البرّية والبحريّة من أمثال جابر بن حديد اليحمدي الذي قتل «هرك» بن الحمراء قائد الفرس عندما واجهته جموع الأزد في عهد عمر بن الخطاب ﷺ تحت قيادة عثمان بن أبي العاص الثقفي والي عُمان، وكان ذلك قبل مولد جابر بن زيد بسنوات قليلة، ولعلّ شيوع اسم البطل المحارب «جابر» كان له أثر في تسمية الوليد الجديد.

ولم يقدر لجابر بن زيد أن يحلم كثيرًا بالانخراط في سلك المقاتلين من الأزد برًا أو بحرًا، فقد كان به ضعف شديد في إحدى عينيه اشتهر به حتّى ليقترن اسمه في المصادر القديمة بلقب «الأحول» أحيانا، وبلقب «الأعور» غالبا، وهو اللقب الذي نادته به عائشة أمّ المؤمنين ﷺ، وقد دفعه ذلك إلى أن يصرف همّته العالية إلى طلب العلم الذي أبلى فيه بلاء حسنا وترك آثارًا محمودة.

كان العِلم في ذلك الوقت يتجمّع في مدينة ناشئة، ساعدتها الأحداث على أن تكون ملتقى للعلماء والمتعلّمين في عصر الصحابة والتابعين، كانت المدينة الجديدة قد ولدت قبل مولد جابر بنحو خمس سنوات، في العام

السادس عشر للهجرة، عند ملتقى دجلة والفرات، وسمّيت بمدينة «البصرة» نسبة لكثرة الحصى الغليظ في أراضيها، وهو ما كانت العرب تدعوه «بصرة» أو تعريبا للكلمة الفارسية «بس راه» التي كانت تعني الطرق الكثيرة المتشعّبة، وكانت «البصرة» تكتسب أهمّية خاصّة عند أهل عُمان، فهي مُلتقى طرق الإبحار بين المياه المالحة والعذبة، تنتهي إليها الرحلات القادمة من المحيط الهندي وبحر العرب وخليج عُمان حاملة تجارة الصين، والهند، وأفريقيا، إلى الجزيرة، والعراق، والشام وما وراءها من بلاد الفرس، والروم، وتنطلق منها الرحلات المقابلة لتكون محور رحلة الشتاء والصيف، ولأنّ أهل عُمان مولعون بالتجارة والبحر، فقد مثلت البصرة لهم نقطة ملائمة لتجارة العبور وللاستقرار المؤقّت لمعظم التجّار، والدائم لكثير منهم إضافة إلى استقرار بعض الجنود من الأزد بها، حتّى أصبحوا يشكلون ما يقرب من نصف سكان المدينة، كما يشير ياقوت الحموي في قوله: «وبنى المسلمون بالبصرة سبع دساكر، ثلاث منها في موضع الأزد اليوم» [معجم البلدان، 2/ 431].

ولم تقف أهمّية الأزد بالبصرة عند كثرتهم العدديّة، بل تعدّتها إلى مكانتهم في قيادة المدينة، فقد كان أوّل من تولّى القضاء في البصرة، بأمر عمر بن الخطاب، رجلٌ من أهل عُمان، هو «كعب بن سور» من بني لقيط ابن الحارث بن مالك بن فهم. وفي ذلك من الدلالة ما لايخفى على مكانة الأزد في البصرة.

ولا شكّ أنّ تلك المكانة كانت وراء قرار الكثير من أهل عُمان بإرسال أبنائهم إلى البصرة كي يتعلّموا بها، وكثيرًا ما كان هؤلاء يستقرّون بالبصرة لكي يصبحوا من أعلامها كما حدث فيما بعد مع الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومحمد بن دريد الأزدي، ومحمد ابن يزيد المبرد وغيرهم.

في إطار هذا التصوّر كان ذهاب جابر بن زيد في صدر شبابه إلى البصرة لكي يتلقى العلم بها، ومع أنّ المصادر لا تحدد عام وصول جابر إلى البصرة، فإنها تؤكّد على أنّ ذلك كان في شبابه المبكّر، وهو ما يمكن أن يقودنا إلى نحو العام الخامس والثلاثين من الهجرة، عندما كان جابر حول الخامسة عشرة من عمره، وهو العام الذي يوافق مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وما تلاه من وقائع الفتنة الكبرى التي كانت البصرة مسرحًا للكثير من أحداثها حربًا وسلمًا، سياسية وعلمية، فلم يكد علي بن أبي طالب يبايَع بالخلافة، حتّى خرج عليه طلحة والزبير وعائشة، وتوجّهوا جميعًا إلى البصرة في العام السادس والثلاثين، واستولوا عليها بجيوشهم، وحدثت معارك في البداية بين هذه الجيوش وبين أهل البصرة، ثمّ لحقت جيوش علي جيوش طلحة والزبير وعائشة، والتقت جميعًا على مشارف البصرة في موقعة الجمل المشهورة وانتصر علي، وقتل طلحة والزبير وعادت عائشة إلى المدينة، وغضب عليٌّ على أهل البصرة وخاطبهم قائلاً: «يا أهل البصرة، يا بقايا ثمود، ويا أتباع البهيمة (يعني الجمل) يا جند المرأة (عائشة) رغا فاتّبعتُم، وعُقر فانهزمتم، دينكم نفاق، وأحلامكم دقاق». ورأى جابر بن زيد طالب العلم

المبتدىء مئات القتلى وآلاف الجرحى والمشرّدين، وكلّهم مسلمون من خيرة الصحابة، وقاتلوهم كذلك من خيرة الصحابة، وفي هذا المناخ تشكّلت الأسئلة السياسية والفقهية التي شكّلت تاريخ المسلمين منذ القرن الأوّل للهجرة، وكان لجابر دور هام في صياغة الفتاوى والآراء التي شكّلت إجابات على تساؤلات معاصريه من ناحية وزادًا ومرجعًا للتراث الفقهي والعقائدي استرشدت به بعض الفرق والمذاهب الإسلامية.

وقد كان من نتائج حروب الفتنة بعد أن هدأت، امتلاء البصرة بعلماء الصحابة والتابعين، وأوّلهم عبد الله بن عباس، الذي عُيّن حاكمًا على البصرة من قبل علي بن أبي طالب، وكان ابن عباس من أكبر علماء الأمّة، ومن أكثر الشخصيات تأثيرا في جابر ابن زيد الذي كان يسمّيه بالبحر، وكان يقول عنه: «أدركت سبعين بدريا فحويت ما عندهم إلّا البحر» وكان ابن عباس فيما بعد شديد الثقة في جابر بن زيد والإعجاب به وكان يقول: «لو أنّ أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علمًا عما في كتاب الله».

ولا شك أنّ جابر بن زيد بدأ تلمذته على ابن عباس فترة إمامته للبصرة، لكنّه واصل تعلّمه بعد ذلك على يديه لسنوات طويلة، خلال رحلاته للحج حتى أصبح ينسب إليه ويعد من أبرز تلاميذه.

لكن ابن عباس لم يكن وحده الذي قدم إلى البصرة، فكثير من الصحابة والتابعين قدموا واستقروا، ولقد خصص محمد بن سعد الجزء السابع من طبقاته الكبرى للحديث عن «من نزل البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن كان بها بعدهم من التابعين وأهل العلم والفقه». فأحصى من الصحابة وحدهم مائة وخمسين من بينهم أنس بن مالك، وعبد الله ابن عمرو، والعباس بن مرداس، والنمر بن تولب، وعثمان بن أبي العاص، وصحار بن عياش العبدي. ومن موالي رسول الله أبو عسيب، وزيد، أما أفراد طبقة التابعين ممّن ذكرهم ابن سعد، فقد بلغوا أربعمائة وأربعة وثلاثين تابعيًا أدرجهم في ثماني طبقات، حسب أعمارهم، ومن بين هؤلاء أبو الأسود الدؤلي، وأبو أمية مولى عمر بن الخطّاب، والأقرع مؤذن عمر، وجابر بن زيد، ومالك بن أنس، ومالك بن دينار، وغيرهم من كرام التابعين.

ولا شك أنّ هذا هو المناخ العلمي الذي كان يبحث عنه جابر بن زيد، حين خرج من عُمان يطلب علم مدرسة النبوّة، فوجد أعلام هذه المدرسة تقودهم الأقدار إلى الالتقاء به في «البصرة» في منتصف الطريق، فينهل من علمهم ويعتزّ بأنه استوعب معارف سبعين من أهل بدر، والرقم لا شك للمبالغة لا للتحديد لكن جابرًا لم يكتف بتلقي العِلم ممّن وفدوا إلى البصرة، بل حرص هو على السعي إلى منابع العِلم في مكة والمدينة، وذلك من خلال رحلات الحج التي كان يحرص عليها كل عام حتى قيل إنه حجّ أربعين مرّة، على حين أنّ صديقه ومعاصره الحسن البصري، أثر عنه أنه لم يحج إلّا مرّتين، ومن أجل هذا كان يهتمّ باقتناء النياق القوية، ولقد حج على واحدة منها أربعًا وعشرين مرّة، وكان أكثر ما

يوجّه إليه من عقوبة أن يحبس عن الحج، كما فعل معه حاكم البصرة مرّة، فلم يطلق سراحه إلّا مع هلال ذي الحجة، وساعدته ناقته القويّة على أن يشهد عرفات مع الحجيج.

في هذه الرحلات المتعدّدة، وقد جاور في واحدة منها، القبر الشريف عامًا كاملاً، اشتهر أمر جابر بن زيد في الحجاز، وعرف طالب علم ومفتيًا، وكان ابن عباس يقول إذا سأله بعض أهل البصرة الفتيا: «تسألوني، وفيكم جابر بن زيد» وكان الحجيج يعرفون هذا فيتوجّهون إليه بالأسئلة حين يعجز العلماء الآخرون كما يروي ابن حزم في المحلى [فقه الإمام جابر، بكوش، ص 72] بل كان يُسأل الفتوى وهو سجين، فقد أتوا به مرة وهو مقيّد الرجلين ليسألوه: هل يعطى الخنثى في الميراث نصيب رجل أو امرأة؟ فقال: تسجنوني وتستفتونني؟ ثم قال: انظروا من أين يخرج البول واحكموا.

أما عبد الله بن عمر، عالم المدينة الكبير، والذي كان أكثر ميلاً إلى الرواية منه إلى الرأي والدراية، فقد تتلمذ عليه جابر، وروى عنه كثيرًا من الأحاديث النبوية التي دوّنها الإمام الربيع بن حبيب في مسنده «الجامع الصحيح» وعرف ابن عمر بدوره قدر جابر وأوصاه ذات مرّة في الطواف، ثم يقول الحافظ الأصفهاني، بطريقة الفتوى المُثلى كما كان يراها ابن عمر: «يا جابر، إنّك من فقهاء البصرة وإنّك ستفتي، فلا تُفْتِني إلّا بقرآن ناطق أو سنة ماضية، فإنك إنْ فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت».

ولا شك أنّ لقاء جابر بن زيد بأم المؤمنين عائشة ﵂، يُعد واحدًا من أهمّ اللقاءات التي كان يسعى إليها من خلال رحلاته الحجازية، فلقد كانت عائشة تروي الكثير ممّا حفظته في بيت النبوّة، وتتحدّث عما رأت النبي يفعله، وكانت تعرف عن الجانب التشريعي للمرأة بحكم موقعها من الرسول ما لا يعرفه سواها، وقد تكون بعض جوانب هذه المعرفة، محتاجة إلى جرأة السائل الفقيه لاستخراجها، وهذا ما كان يفعله جابر بن زيد، يقول الشماخي: «دخل جابر وأبو بلال على عائشة فعاتباها على ما كان منها يوم الجمل، فاستغفرت وتابت»، قال: «ودخل جابر عليها فأقبل يسألها عن مسائل لم يسألها أحد عنها، وإن جبينها لينصبّ عرقا، وهي تقول: سل يا بني». [الشماخي، 1/ 69].

إذا كان جابر بن زيد في سبيل تلقيه للعِلم، قد بذل هذا الجهد الرائع، وقدّم هذا النموذج الطيّب، وهو ينتقل من عُمان، في الفج العميق من جزيرة العرب، ساعيًا نحو البصرة، متنقّلا نحو مكة والمدينة، متشربًا ما لدى علماء الصحابة والتابعين، مجتهدًا في الفهم والتأويل، فإنه في ذات الوقت، قدم قدوة كبرى على طريق توصيله للعِلم ونقله إلى غيره من الناس، عبر الزمان والمكان، ويرجع ذلك إلى ثبوت وجود أثر مكتوب تحت عنوان «ديوان جابر بن زيد» وهو أثر أصبح ذكره من مسلمات كتب التراجم العربية وفوائم المكتبات، ويذكره حاجي خليفة في كشف الظنون [1/ 781].

وتتحدّث المراجع عن ضخامة حجم هذا الديوان وأنه كان يقع في عشرة أجزاء كبيرة. ويقال: كان يعجز عن حمله البعير، وقد كانت توجد منه نسخة في إحدى مكتبات

بغداد في عهد هارون الرشيد، وكانت توجد نسخة أخرى في البصرة في حوزة تلميذه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ووجدت نسخة أخرى بمكة، ثمّ انتقلت نسخة إلى منطقة جبل نفوسه في ليبيا لدى النفاث فرج بن نصر، وإذا كان أيّ من هذه النسخ لم يعد بين أيدي الباحثين، فإن هذا لا ينفي وجود الديوان الذي كان في الغالب كتابًا جمع فيه بعض الأحاديث النبوية، وبعض الآراء في التفسير القرآني، وبعض الفتاوى الفقهية.

وموضع القدوة تكمن في خطوة الإقدام على تدوين كتاب ـ بصرف النظر عن محتواه ـ في هذه الفترة التاريخية المبكّرة، التي كان المسلمون يحرصون فيها على عدم تدوين شيء سوى القرآن الكريم، بما في ذلك الأحاديث النبوية، وتتّضح أهمّية خطوة جابر الذي توفي عام 92هـ إذا قارناها بالمدونات الأخرى، فحركة التدوين في السُنّة بدأت مع الأمر الذي أصدره عمر بن عبد العزيز إلى والي المدينة: «أنظر ما كان من حديث رسول الله أو سنة ماضية فاكتبه فإني خفت درس العِلم وذهاب أهله»، وكانت نتيجة ذلك تدوين مسند محمد بن شهاب الزهري (ت 124هـ)، ويعود التدوين في التفسير كذلك إلى الطبري، وابن رستم في القرن الثاني الهجري، أما مدونات الفقه الاسلامي، فتتضح من مراجعات تاريخ وفيات كبار الفقهاء، زيد بن علي 132هـ، جعفر الصادق 148هـ، أبو حنيفة النعمان 150هـ، مالك بن أنس 179هـ، الشافعي 205هـ، ابن حنبل 241هـ.

إن هذه الدلائل كلّها تشير إلى أنّ جابر بن زيد، كان أسبق من نعرفهم من المحدّثين والمفسّرين والفقهاء في تدوين كتاب التراث العربي، وإذا صحّ ذلك، فإنه يكون قد شارك في وضع حدّ لفترة طويلة من التردّد في التدوين، استمرّت نحو ثلاثة أرباع القرن، منذ بدء نزول الوحي وتدوينه على يد «كتبة الوحي» وإيثار المسلمين عدم تدوين أي أثر آخر لكيلا يختلط بالقرآن الكريم، وربّما كانت الجهود التي بذلت في عهدي أبي بكر وعثمان من جمع القرآن وتوحيد المصحف، قد خفّفت من مخاوف المسلمين في هذا الصدد، لكن قصور وسائل الكتابة العربية ذاتها، وخلوّها في هذه الفترة من وسائل نقط الحروف وتشكيلها، وخلو الأبجدية من حروف المد، كان يجعل الكلمة المكتوبة ملبسة، تحتمل كثيرًا من الأوجه، وتجعل العلماء حريصين على تلقي العِلم وتلقينه مشافهة تلافيًا للبس، لكن جهود الإصلاح التي أدخلها أبو الأسود الدؤلي، ونصر بن عاصم، ثمّ الخليل بن أحمد فيما بعد أزالت مظاهر الإيهام، وخطوة التدوين على يد جابر ابن زيد شجعت العلماء على دخول مرحلة جديدة في تاريخ الكتابة العربية.

ولم يكن تميّز جابر بن زيد وقفًا على طريقته في تحصيل العِلم وتبليغه، وإنّما امتدّ أيضًا ليشمل طريقته في التعامل مع عصر مليء بالطغيان والفساد، لقد قدر للبصرة التي لجأ إليها كثير من أصحاب المذاهب والآراء السياسية والدينية، أن يتعاقب على حكمها في حياة جابر، أشهر ثلاثة أمراء عُرفوا بالقسوة، وهم زياد بن أبيه، وعبد الله بن زياد، والحجاج بن يوسف الثقفي، وكانوا جميعا يؤمنون بسياسة العقاب الجماعي، ووأد الفتنة قبل أن تولد، والارتياب في أصحاب الفكر

والعلماء، وكثير من معاصري جابر وأصحابه سقطوا تحت سنابك خيولهم، لكن جابر حرص على أن يوازن بين فكرة السلامة وعدم المشاركة في تأييد حكم الظلمة، فهو لا يمتنع عن أداء صلاة الجماعة خلف هؤلاء الولاة الظالمين، كما كان يفعل كثير من علماء عصره فيضعون أنفسهم موضع الريبة، وعندما يعاتبه أحد تلاميذه وأصدقائه، يقول له في رفق: «إنها صلاة جامعة وسنة متبعة» وهو لا يرفض أخذ «العطاء» من الدولة، لكي يعبر كما كان يصنع بعض معاصريه عن عدم اعترافهم بشرعية الحاكم بل إنه يسعى إلى طلب العطاء بنفسه كي يؤكّد للحاكم اعترافه به وعدم خروجه عليه، لكنه في الوقت نفسه يحرص على أن لا يتولّى منصبًا عامًا، ويفضّل أن يخدم الناس طواعية من خلال التعليم والإفتاء، لكنه يدرك كذلك أنّ هذا التوازن لا يمر بسهولة، خاصّة مع رجل كالحجاج، فيسعى إلى توثيق صلته بكاتب الحجاج يزيد ابن أبي مسلم، الذي كان شديد الإعجاب بعلم جابر، ويسعى به إلى الحجاج الذي يعرض على جابر القضاء فيقول جابر: أنا أضعف من ذلك، فيقول الحجاج: وما بلغ بك الضعف، فيقول: يقع بين المرأة وخادمها شرّ، فما أحسن أن أصلح بينهما فيسأله الحجاج، فهل لك من حاجة؟ فيقول جابر: تعطيني عطائي (تأكيدًا لإفهامه أنه غير خارج عليه) فيقول الحجاج: هذا لا يستقيم أن نعطيك من بيت مال المسلمين ولا نستعملك عليهم، فيقترح الكاتب يزيد حلاً وسطًا يكون جابر خلاله «من أعوان صاحب ديوان البصرة» فيتقبّل الحجاج، وعندما يعتب عليه جابر بعد اللقاء، يفهمه أنّ هذا تعيين شكلي وأنّه لن يكلّف بأي عمل وسيأخذ عطاءه وينجو من الريبة والملاحقة.

لقد كان لجابر كثير من التلاميذ ممّن حازوا لقب «حملة العِلم» ومن أشهرهم: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وحبيب بن عمر، وابنه الربيع بن حبيب صاحب مسند «الجامع الصحيح»، وعمرو بن دينار المكي، وعبد الله بن أباض الذي ينسب إليه المذهب الأباضي، وقتادة بن دعامة، شيخ النجاري، وضمام بن السائب العُماني، وغيرهم من العلماء والمحدّثين، ﷺ أجمعين.

■ المصادر والمراجع

● الصوافي، صالح، الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة، سلطنة عُمان 1983م؛ ● دكتور درويش، أحمد، جابر بن زيد، حياة من أجل العِلم، مسقط 1988م؛ ● الحافظ الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر؛ ● رسائل جابر بن زيد، مخطوطة بالمكتبة الإسلامية، مسقط؛ ● سيرة ابن مداد، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان 1984م؛ ● د. عوض، خلفيات نشأة الحركة الأباضية، الأردن 1982م.

د. أحمد درويش
جامعة القاهرة ـ مصر

جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)

(ت 78هـ/697م)

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنْم بن سلمة، الصحابي الجليل، المجتهد، الحافظ، الأنصاري، الخزرجي، السَّلَمي (بفتحتين)، المدني، الفقيه. صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه. كان يُعَدُّ من فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ. وكان رسول الله ﷺ يناديه جُبَيرًا.

روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، والزبير ابن العوام، وطلحة، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وروى عن أم مبشّر زوجة زيد بن حارثة، وعن أم شريك، وأم مالك، وغيرهم من الصحابة والتابعين.

روى عنه عبد الله بن المسيّب، وعطاء بن أبي رباح، وسالم بن الجعد، والحسن البصري، والحسن بن محمد بن الحنفية، وأبو جعفر الباقر، ومحمد بن المنكدر، ومجاهد والشعبي، وطاووس، ورجاء بن حيْوة، ووهب بن منبّه، وعمرو بن دينار، وخلق كثير غيرهم.

كان أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة الثانية، وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنه أصغرهم سنًا. ويشهد بيعة الرضوان تحت الشجرة.

أخرج البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ: أنتم اليوم خير أهل الأرض». وشهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ إلا بدرًا وأُحُدًا لرعايته شؤون أخواته.

قال جابر رضي الله عنه: «غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة بنفسه، غزوت معه تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدرًا ولا أُحُدًا، منعني أبي (عبد الله) فلما قتل عبد الله يوم أُحُد، لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط»، أخرجه مسلم.

وكان أول غزوة غزاها مع رسول الله ﷺ هي حمراء الأسد، ولم يؤذن لأحد ممّن لم يشهد أُحُدًا أن يشهد حمراء الأسد إلا جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وكان رسول الله ﷺ قد انصرف من أُحُد مساء السبت فبات تلك الليلة في المدينة هو وأصحابه وبات المسلمون يداوون جراحاتهم فلما صلى رسول الله ﷺ الصبح يوم الأحد أمر بلالاً أن ينادي الناس بطلب العدو وألّا يخرج معهم إلّا من شهد القتال بالأمس فكلمه جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال: يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي وقد قُتِلَ أبي اليوم فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه ولم يخرج مع رسول الله ﷺ ممّن لم يشهد أُحُدًا سوى جابر. كان جابر بن عبد الله الرسولَ الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الكلاع، وذي عمرو رئيسي اليمن في قتل الأسود العنسي الكذاب.

وشهد معركة صفين مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

كان جابر بن عبد الله مفتي المدينة في زمانه، وكان من الحافظين للسنن والمكثرين لرواية الحديث عن رسول الله ﷺ فقد بلغ مسنده ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا، اتّفق الشيخان على ثمانية وخمسين منها وتفرّد البخاري بستة وعشرين حديثًا وتفرّد مسلم بمائة وستة وعشرين حديثًا.

حمل عن النبي ﷺ علما كثيرًا نافعًا، وله منسك صغير في الحج، وكانت له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم.

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: بلغني عن رجل حديثًا سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيرا ثم شددت عليه رحلي فسِرْتُ إليه شهرًا حتّى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس فقلت للبواب: قُلْ له: جابر على الباب، فقال: أابنُ عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته فقلت: حديثًا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة عُراةً غُرلاً بُهْمًا، قال: قلنا: وما بُهْمًا؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من قَرُبَ، أنا الملك، أنا الديّان ولا ينبغي لأحد من أهل النار وله عند أحد من أهل الجنة حقٌّ حتّى أقصه منه حتّى اللطمة، قال: قلنا: كيف وإنّما نأتي الله ﷻ عراةً غرلاً، قال: بالحسنات والسيئات».

عندما أراد عبد الله والد جابر أن يخرج غازيا إلى أحُد قال لابنه جابر رضي الله عنه: يا بني أراني شهيدًا اليوم بل أراني أول الشهداء، ويعلم الله أنّك لأحب إنسان إليَّ بعد رسول الله ﷺ، واعلم أني عليَّ دَين فاقض عني ديني، وأوصيك بأخواتك خيرا، وكان قد ترك تسع بنات. ثم دارت رحى المعركة فكان عبد الله أولَ شهيد من شهداء أحُد.

ويصل الخبر لجابر رضي الله عنه، في المدينة، ففزع وجرى إلى أرض المعركة لينظر إلى أبيه. يقول جابر: فجعلت أريد أن أنظر إلى أبي وأصحاب النبي ﷺ يدفعونني لأن المشركين قد مثلوا به بعد استشهاده، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه ينظر إلى أبيه». فجعلت أنظر إلى أبي ثم أضع وجهي في كِمّي وأبكي، فنظر إليَّ النبي ﷺ وقال: «يا جابر ابكه، أو لا تبكه، فلا تزال الملائكة تظلّه بأجنحتها من الأرض إلى السماء».

ثم وقفت مهمومًا، فنظر إليَّ النبي ﷺ وقال: أبشر يا جابر، فقلت: بِمَ يا رسول الله؟ فقال: أتدري يا جابر؟ فقلت: ماذا يا رسول الله؟ فقال: ما كلم الله أحدًا إلا من وراء حجاب، وكلّم أباك كفاحا بغير حجاب، فقال له: يا عبدي تَمنَّ عليَّ، فقال: يا رب أتمنى أن أعودَ إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك مرّة أخرى في سبيلك لِمَا وجدتُ من حلاوة الشهادة، فقال الله ﷻ: سبق مني القول أنهم إليها لا يرجعون، فتمنَّ عليَّ أمنية أخرى، فقال: يا رب أتمنى أن تُبلِّغَ عني إخوتي ما أنا فيه من السعادة، فأنزل الله ﷻ قوله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿169﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: 169 ـ 170].

وروى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى ذات الرقاع على جملٍ لي ضعيف فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلّف حتّى أدركني رسول الله ﷺ فقال: ما لك يا جابر، قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا، قال: أنخه. فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، ففعلت فأخذها فنخسه بها نخساتٍ ثم قال: اركب فخرج ـ والذي بعثه بالحق ـ يسابق ناقته مسابقةً. وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي: أتبعني جملك يا جابر، قلت: يا رسول الله بل أهبه لك، قال: لا ولكن بِعْنِيه، قلت: فسُمْنِيه يا رسول الله، قال: آخذه بدرهم، قلت: لا إذن تغبِنُني يا رسول الله، قال: فبدرهمين، قلت: لا، فلم يزل يزيدني رسول الله في ثمنه حتّى بلغ الأوقية، فقلت: أفَقَد رضيت يا رسول الله، قال: نعم، قلت: فهو لك، قال: قد أخذته. ثم قال: يا جابر هل تزوّجت بعد؟ قلت: نعم، يا رسول الله، قال: أثيبًا أم بكرًا؟ قلت: بل ثيبًا، قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟ قلت: يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحُد وترك له بنات سبعًا فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن. قال أصبت إن شاء الله.

أما إنا لو جئنا صِرارًا (مكان في ضاحية المدينة) أمرنا بجزورٍ فنُحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت فنفضت نمارقها (الوسائد)، فقلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق، قال: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيّسا. قال جابر: فلما جئنا صرارًا أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا المدينة. قال جابر: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ثم جلست في المسجد قريبا منه، فخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر، قال: فأين جابر؟ فدُعيتُ له فقال: يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك ودعا بلالا رضي الله عنه فقال له: اذهب بجابر فأعطه أوقية فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئا يسيرًا، فوالله مازال ينمو عندي ويُرى مكانه من بيتنا.

روى البخاري في صحيحه عن جابر، قال: «إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية (صخرة) شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب، فعاد كثيبا أهيم، فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي شيئا ما كان لي في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق (أنثى من المعز) فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة (القِدر)، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي (الحجارة التي توضع عليها القِدر) قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيمٌ لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرت له، قال: كثير طيّب، فقل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي. ثم نادى المهاجرين والأنصار فقال لهم: يا أهل الخندق إن جابر قد صنع سورًا (طعاما عامًا)

فحيَّ هلا بكم. فلما دخل جابر على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك رسول الله كم طعامك؟ قال: نعم، قالت: فالله ورسوله أعلم.

ثم جاء النبي ﷺ فقال: ادخلوا ولا تضاعوا (ترفعكم أصواتكم)، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتّى شبعوا منه، ثم قال: كلي هذا واهدي. قال جابر: «أقسم بالله لقد أكلوا حتّى تركوا وانصرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو».

لما قتل أبوه في أُحُد كان عليه دَين كبير، فاشتدّ الغرماء في حقوقهم، قال جابر: أتيت النبي ﷺ فسألهم أن يقبلوا ثمر حائطي ويحلّلوا أبي فأبوا، فلم يعطهم النبي ﷺ حائطي، وقال: سنغدو عليك، فغدا علينا حين أصبح فطاف في النخل ودعا في ثمره بالبركة، فجذذتها (قطفتها) فقضيتهم وبقي لنا من ثمرها ببركة دعاء رسول الله ﷺ.

وعن جابر بن عبد الله قال لي رسول الله: لو قدم مال من البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا وأشار بيديه ثلاث مرات، فلم يقدم به حتى مات رسول الله وهكذا، فلما قدم به على أبي بكر قال: من كانت له عدّة عند رسول الله فليأت. قال جابر: قلت: قد كان وعدني إذا جاء مال البحرين أن يعطيني هكذا وهكذا، قال: خذ، فأخذت أول مرة فكانت خمسمائة، ثم أخذت الثنتين فوجدتها ألفًا وأربعمائة درهم.

ومن أقواله وحكمه: «دعا رسول الله ويوم في مسجد الأحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين صلاتي الظهر والعصر فعرفنا البِشر في وجهه، قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم إلا توخّيت تلك الساعة من ذلك اليوم فدعوت الله فأعرف الإجابة».

وقال: «هلاكٌ بالرجل أن يدخل عليه الرجل من إخوانه فيحتقر ما عنده أن يقدّمه إليه، وهلاكٌ بالقوم أن يحتقروا ما قُدِّم إليهم».

وقال: «تعلّموا الصمت، ثم تعلّموا الحكمة، ثم تعلّموا العلم، ثم تعلّموا للعلم العمل بالعلم ثم انشروا».

وقال: «ما منا أحد إلّا مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبد الله».

وقال: «إذا حدّث الرجل القومَ ثم التفت فهي أمانةٌ»

اختلفت الآراء وتعدّدت الأقوال في تحديد سنة وفاته على أنّ جميعها تدور بين السبعين والثمانين للهجرة، أشهر هذا الأقوال أنه توفّي سنة ثمان وسبعين (78هـ).

عاش أربعا وتسعين سنة. وهو آخر من مات بالمدينة ممّن شهد العقبة، قال الإمام أحمد: «آخر من مات من أهل العقبة جابر بن عبد الله الأنصاري» رضي الله عنه.

صلّى عليه أبانُ بن عثمان بقباء وكان أمير المدينة يومئذ.

المصادر والمراجع

● الضحاك، أحمد بن عمرو، الآحاد والمثاني، تح. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، الطبعة

الأولى 1411هـ/ 1991م؛ • البصري، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت؛ • العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تح. علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م؛ • ابن عبد البر، يوسف، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح. علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ؛ • أبو الفرج، عبد الرحمن، صفوة الصفوة، تح. محمود فاخوري ومحمد رواس قلعة جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ/ 1979م؛ • الجعفي، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، تح. السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت؛ • الذهبي، شمس الدين، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح. الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1995؛ • ابن قايماز، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ؛ • النووي، أبي زكرياء، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1392هـ؛ • العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت؛ • المزي، يوسف، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ/ 1980م؛ • الجزري، ابن الأثير، جامع الأصول، دار الفكر، بيروت 1983م؛ • الجزري، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

د. محمد خير الطرشان
معهد الفتح الإسلامي ـ دمشق

الجابري، شكيب

(1332هـ/1912م ـ 1417هـ/1996م)

ولد شكيب الجابري عام 1912 في حي السويقة بحلب، لأسرة غنية شهيرة ذات مكانة اجتماعية مرموقة، وفي يوم ولادته طلّقت أمه، فرعته مع أولادها العشرة، وفي عام 1919 سافر إلى عائليه بلبنان للدراسة، ثمّ انتقل إلى الكلّية الإسلامية ببيروت، ثم سافر إلى جنيف عام 1930 لدراسة الكيمياء، وفي العام التالي عاد إلى سورية ليناضل ضدّ المستعمر الفرنسي، فسجن، ثم أفرج عنه بشرط مغادرة البلاد، فرجع عام 1932 إلى جنيف، حيث عيّن سكرتيرا مؤقّتا في عصبة الأمم، فكان فيها أول موظّف عربي. حصل

على دبلوم مهندس كيمياوي ثم قصد جامعة برلين حيث نال الدكتوراه في العلوم، ولم ينقطع عن النضال الوطني، فقد ترأس عام 1935 مؤتمر الشباب العربي للدعاية للقضية السورية والقضية الفلسطينية، وفي عام 1937 عاد إلى الوطن ليعمل مدرّسًا للكيمياء بحلب، وفي عام 1941 قاد مظاهرة طلابية ضد الفرنسيين، ودخل الإنكليز سورية، ففرضوا عليه الإقامة الجبرية، وفي العهد الوطني عيّن عام 1943 مديرًا عامًا للمطبوعات، وفي عام 1945 عيّن مديرًا للمعادن ولمراقبة الشركات وفي العام التالي أسس مكتب القطن الوطني فأدخل زراعة القطن إلى سورية كما أدخل زراعة الصنوبر الحراجي إلى صحراء الديماس في مدخل دمشق. عمل عام 1952 وزيرًا مفوّضا لبلاده في إيران، وفي العام التالي 1953م عيّن وزيرًا مفوّضًا في كابول بأفغانستان، وعاد عام 1955 إلى سورية ليتسلّم إدارة معامل الصناعات الزجاجية، وفي عام 1963 أحيل إلى التقاعد فأقام في بيروت حيث عمل في الصحافة، وترجم بعض الروائع العالمية إلى العربية، ووهبه الملك فيصل الجنسية السعودية، وعيّنه مستشارا لوزارة الإعلام، وأنشأ مكتب الإعلام السعودي في بيروت وعمل مديرًا له، وأخذ منذ عام 1972 يتنقل بين سورية ولبنان والسعودية، وكان يقضي معظم أيامه في بلودان، حيث استصلح عدّة قطع من الأراضي قرب دمشق، وأحالها إلى جنة خضراء، توفي يوم 13/ 10/ 1996 في المدينة المنوّرة بالسعودية ودفن بالبقيع.

نشر الجابري أربع روايات هي «نهم» 1937، و«قدر يلهو»، و«قوس قزح» 1946، و«وداعا يا أفامية» 1960 وأعاد صوغ روايته الثانية ونشرها سنة 1980، كما نشر عدة قصص قصيرة، أشهرها قصّته «هكذا سنقاتلكم في فلسطين»، لكنّها لم تجمع في مجموعة.
وأعلن عن ثلاث روايات هي: «زوجتي»، و«جابر بن حيان»، و«في إثر السراب»، ولكنها لم تنشر.
صدرت «نهم» أولى روايات الجابري عام 1937، وقد سبقتها عدة روايات صدرت في سورية، ولكنها تعد أول رواية بالمعايير الفنية، وقد انتصر لها فريق لنضجها الفني، وهاجمها فريق لجرأتها، والرواية تحليل نفسي لدوافع شبقية، إذ تصوّر نزعات إيفان ومغامراته في عالم المرأة التي تنتهي بمغامرة في مجال الحرب، وهي ذات بنية فنية جديدة، إذ تبدأ بسبع رسائل موجّهة إلى إيفان من سبع معجبات يختلفن في مواقفهنّ منه، وتؤكّد الرسائل قدرة إيفان على إغواء المرأة بأساليب دون جوانية، وتنتهي الرواية بإيفان متطوعا في جيش الثوار في إسبانيا في أثناء الحرب الأهلية، مما يدل على أنه لم يجد الخلاص في الحب، وإنّما وجده في الانتصار لفكره، ولكنه لم يتخلّ نهائيا عن الحب، إذ يعرب في الختام لإحدى المتطوّعات عن حبه.
وتعدُّ «قدر يلهو» و«قوس قزح» قصة واحدة، وقد رويت في الأولى من زاوية البطل علاء في حين رويت في الثانية من زاوية البطلة إلزا، وتعرض للعلاقة بين الشرق والغرب، من خلال الشاب العربي علاء الذي سافر إلى ألمانيا للدراسة فالتقى إلزا، وقد التقطها من الشارع في ليلة ماطرة وهي التي كانت تعاني

من قسوة المجتمع المتمثّل في ظلم أبيها ومحاولة أحدهم اغتصابها، فيستضيفها في بيته، ويحسن معاملتها ويبحث لها عن عمل، ثمّ يلتقيها عدة مرات في مصادفات تصطنعها هي، وقد أعجبت بأخلاقه ودينه، ثم يودّعها عائدا إلى وطنه، وفي الوطن يتلقى منها رسالة تخبره أنها وضعت منه مولودًا أسمته محمد علي، ويعيش علاء في الوطن حياة قلق وضياع، ويتردّد على الملاهي في بيروت حيث يلتقي بعد اثني عشر عاما براقصة ألمانية، وإذا هي إلزا نفسها، ويعلم منها أن ولده قد أصيب بالسل ومات، وأنها هي نفسها مصابة بالسل، وما تلبث أن تموت بين يديه.

والروايتان ذاتا طابع رومنتيكي، تؤكّدان انتصار الجابري للإسلام والعروبة، وتعبّران عن أمنيته في لقاء الشرق بالغرب، وهذا ما حقّقه في إعادة صوغه «قدر يلهو» عام 1980 إذ حمل البطل علاء حبيبته إلى المستشفى، وأخذ في علاجها، وتزوّجها، ثمّ توفيت بالمرض نفسه بعد سنة.

وتعدّ «وداعا يا أفامية» أول رواية ريفية في سورية، وهي رواية رومانتيكية، تتطلّع إلى السموّ، وتدور حوادثها في الغابة البكر، لتصوّر الجمال في بداءته الأولى، ولتعبّر عن طموح إلى الخلاص من أدران المدينة.

وبطل الرواية سعد عالم في المعادن، وابن طبقة ثرية، غارق في مباذل المدينة، يسهر في ملاهي اللاذقية، ولكنه يسعى إلى الخلاص، فهو يتّخذ لنفسه في غابات الفرلق كوخًا، مستمتعًا بصفاء الغابة، وهو يغامر في البحث عن معدن نادر، ويلتقي المرأة المثال، وهي ريفية نقية، ذات ذكاء وكبرياء، تتجلّى فيها كل معاني الجمال والأنوثة، اسمها نجود، وقد فرّت من قريتها إذ اتهمتها زوجة أبيها بعشقها لفنان يعمل في بعثة تنقب عن الآثار في مدينة أفامية، ويخيّم عليها الليل، وتبرز لها الضّباع، لتثخن فيها الجراح، وفي تلك الأثناء كان سعد في ملهى ليلي، يحاول اصطياد إحدى الغانيات، ويرجع إلى الغابة ليجد نجود غارقة في دمائها، فينقذها، ويعلمها القراءة والكتابة، ويجد فيها خلاصه، فيصوغها كما صاغ بجماليون تمثال جالاتيا، وذات يوم يراها تستحم في غدير، فيتأمّل جسمها النقي، من غير أن تشعر، وفي طريق العودة إلى الكوخ يلتقيان، ويتعانقان، وتشعر بقوّة حبّها له، وفي اللحظة التي كانت فيها مستعدة لتمنحه نفسها يعفُّ عنها، لأنه كان قد طلب من خادمه أن يحضر شيخًا ليعقد قرانه عليها، وتحسّ بجرح في كبريائها، فتفرّ هاربة إلى الغاب، ويظلّ سعد يبحث عنها، وهو ينادي «نجود، نجود»، وما من مجيب.

وهكذا تظل نجود سموًا لا يطال، وبراءة لا تدنس، وفكرة لا تتحقّق، كما تظلّ تمثالاً في حياة سعد، يصوغه وفق هواه، وهو الذي كان ينظر إلى الكون كله، وإلى نجود نفسها، نظرة الفنان إلى العالم، يقدس ما يرى، ولا يفكر في الأخذ، إنّما يفكّر في التأمّل.

وتظهر في روايات الجابري الأربع ثقافته الغربية، ولاسيّما الألمانية، فهو حريص دائمًا على الإشارة في سياق رواياته إلى الموسيقيين والفلاسفة، وثمّة إشارات إلى الثقافة العربية، ولا سيما التاريخ الإسلامي، وثمّة إشارات أخرى إلى ظواهر علمية، وغالبا ما تأتي هذه الإشارات على تنوّعها منسجمة مع السياق الروائي، كما يظهر في رواياته حرصه الشديد

على الدقة اللغوية والفصاحة وجمال التعبير وبلاغة القول، ويظهر أيضًا حرصه على التجديد في البناء السردي، وهو يجيد الوصف ويدقّق فيه، ولا تخلو رواياته من جرأة وتشويق.

وقد لقي الجابري من النقاد قدرًا غير قليل من الاهتمام، على نحو ما يظهر في ثبت المراجع، وثمّة رسالة للماجستير مسجّلة في جامعة حلب عن روايات الجابري ما تزال قيد الإعداد.

آثاره

1 ـ نهم، دمشق، 1937؛ 2 ـ قدر يلهو، دار اليقظة، دمشق، 1939؛ 3 ـ قوس قزح، دمشق، 1946؛ 4 ـ وداعا يا أفامية، دار الهلال، دمشق 1960؛ 5 ـ قدر يلهو، دار النهار، بيروت 1980؛ 6 ـ السباعي، فاضل، 12 قصة من حلب، منشورات عويدات، 1964، ويتضمّن قصة للجابري عنوانها: «هكذا سنقاتلكم في فلسطين».

المصادر والمراجع

● ابن ذريل، عدنان، أدب القصة في سورية، دار الفن الحديث العالمي، دمشق، دقت، حوالي 1965، ص150 ـ 171؛ ● الخطيب، د.حسام، الرواية السورية في مرحلة النهوض، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة 1975، ص 44 ـ 73؛ ● الخطيب، د. حسام، سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصّة السورية، دمشق 1980، ص42 ـ 48؛ ● الخطيب، د.حسام، روايات تحت المجهر، اتّحاد الكتاب العرب، دمشق 1983، ص39 ـ 74؛ ● الخطيب، محمد كامل، المغامرة المعقّدة، وزارة الثقافة، دمشق 1976م، ص 56 ـ 61؛ ● الدقاق، د.عمر، فنون الأدب المعاصر في سورية، دار الشرق، حلب 1971، ص159 ـ 162؛ ● الفيصل، سمر روحي، تجربة الرواية السورية، اتّحاد الكتاب العرب، دمشق 1985، ص 97 ـ 135؛ ● محبك، أحمد زياد، من الأسطورة إلى القصة القصيرة، منشورات دار علاء الدين، دمشق 2001، ص163 ـ 172؛ ● مصطفى، د. شاكر، القصّة في سورية، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، القاهرة 1957، ص396 ـ 449.

د. أحمد زياد محبك
جامعة حلب ـ سوريا

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر

(150هـ/767م أو 158هـ/775م - 255هـ/869م)

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، أديب وعالم موسوعي، من أسرة تنتمي إلى كنانة بالولاء ولاء قديما. هاجرت من الجزيرة العربية إلى البصرة واستقرّت بها.

وقد اختلف المترجمون في سنة مولده، ولم يختلفوا في سنة وفاته. ويظنّ أنه ولد بالبصرة نحو عام 150هـ/ 767م أو سنة 158هـ/ 775م. أما وفاته فمجمع على أنها كانت سنة 255هـ/ 869م. وقد لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه وقيل إن جده كان أسود.

لعلّه فَقَدَ أباه صغيرا فتولّت أمه كفالته مما قد يكون اضطرّه إلى أن يعمل وهو صغير السن ليعينها على كسب القوت [طه الحاجري، الجاحظ حياته وآثاره، ص 91]؛ يشير هو نفسه إلى أنه بدأ تعلّمه بالكتّاب [الحيوان، 1/ 111]؛ ولا شكّ أنه وجد بالبصرة من الجو العلمي والاجتماعي ما يغري بالإقبال على طلب العلم ويذكي في الفتى رغبة الاطلاع وحب المعرفة، وقد ساهمت عوامل متنوّعة في تكوين شخصية الجاحظ بالبصرة ومنها خاصّة تردّده على أسواق هذه المدينة وهو يبيع السمك والخبز التماسا لرزقه اليومي مما مكنه من اختبار الناس ومعرفة طبائعهم، ومنها تردده على مسجد البصرة حيث الزهاد والقصاص بمختلف انتماءاتهم وفرقهم، ومجالس المتكلّمين المحتجين لمذاهبهم الذين ساهموا في إشاعة المعارف العامة والثقافات المختلفة خاصّة بما يدور بينهم، وبين أهل الملل الأخرى من مناظرات، وكذلك ما يدور بين اللغويين والنحاة من نقاش وجدال، وكان المسجد أيضًا مكانا للسمر، ومنها مشاركته في بعض المجالس الخاصّة التي كانت في بيوت الأمراء والأشراف والخاصّة من الناس حيث كانت الأحاديث والمساجلات أوسع دائرة وأكثر حرّية مما كان يدور في المساجد، ومنها سوق المبرد الذي يمثّل «حلقة اتصال بين الحياة العربية الصميمة والحياة العراقية الجديدة وبين اللغة العربية الفصيحة وما صارت إليه» من تغيير [الحاجري، ص 100]؛ ومنها ما وجده في الوسط الذي عاش فيه من دكاكين الوراقين فكان يختلف اليها ويلتهم ما فيها من كتب، ومنها بطبيعة الحال من درس عليه أو لقيه من العلماء المختصين في شتّى العلوم المشتغلين بها، كالأصمعي، وأبي عبيدة، والأخفش، وأبي زيد، وأبي هذيل العلّاف، وثمامة بن أشرس، والنظّام. هكذا ألمّ الجاحظ بمختلف علوم عصره ومعارفه من لغة وشعر وكلام وتاريخ وفلسفة وحيوان وأدب وبلاغة، كما ألمّ كذلك بالثقافات الأجنبية مثل اليونانية والفارسية والهندية عن طريق الترجمة إلى العربيّة، وشدا منها أطرافا. وممّا يشهد لذلك تردّد شيء منها في كتبه ورسائله

معزوًا لأصحابه تارة، وغير معزوّ تارة أخرى. ويظاهر هذا الرأي ذكره لأرسطوطاليس وإشارته إلى آرائه في كتاب «الحيوان»، وذكره في «البيان والتبيين»، عند الحديث عن البلاغة، منكة، وبازيكر، وسندباذ، وهم من علماء الهند. وممّا يدلّ على تبحّر الجاحظ ونزعته الموسوعيّة في الثقافة قوله: «... فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها. وهذه يونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السّقم من الصحّة، والخطأ من الصواب. وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها، وسيرها وعللها».

لقد كان الجاحظ شغوفا بعلم الكلام على مذهب المعتزلة. ومعلوم أن مذاهب هذا العلم تأثّرت بالفكر اليوناني، ولا سيّما مباحث المنطق وما يتعلّق منها بالبرهان والقياس، كما تأثّرت بمذهب السوفسطائيين الذين أتقنوا البلاغة والمغالطة. وعلى هذا النحو كان الحذّاق من متكلّمة المسلمين على مذهب الاعتزال، إذ عرفوا بالتفنّن في الأداء البلاغي، كما عرفوا بالقدرة على المناظرة، وتحسين الموضوع الواحد وتقبيحه. وللجاحظ في هذا الباب ذرع واسع فيما أثر عنه من مناظرات في كتاب «الحيوان» وفي بعض رسائله، كرسالة «في الجد والهزل»، ورسالة في «المفاخرة بين الجواري والغلمان». ولم يكن الجاحظ مجرّد متّبع لمذهب المعتزلة وأصوله الخمسة المعروفة، ولا مجرّد متّبع لآراء الكبار منهم كأبي الهذيل العلّاف، وأبي إسحاق النظّام، بل كان ـ كما هو معلوم ـ رأس فرقة من فرق المعتزلة، نسبت إليه، وعرفت بالجاحظيّة.

وكما خالط الجاحظ العلماء والمثقّفين في عصره، خالط الطبقات الدنيا من كنّاسين وكسّاحين، وحمّالين، إضافة إلى المكدّين، والمجانين، والحمقى، والموسوسين. وكما خالط فصحاء الأعراب من أبناء البوادي، خالط الأعلاج والأنباط، والموالي من أبناء الشعوب الأخرى، وروى عنهم، وأثبت لهجاتهم. وللجاحظ في ذلك مذهب فنّي ـ عبّر عنه في الجزء الأوّل من «البيان والتبيين» بقوله: «ومتى سمعت ـ حفظك الله ـ بنادرة من كلام الأعراب، فإيّاك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها، فإنّك إن غيّرتها بأن تلحّن في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولّدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير. وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العلوم، وملحة من ملح الحشوة والطغام، فإيّاك أن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخيّر لها لفظا حسنا.. فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها».

ولقد عرف الجاحظ بخفّة روحه وميله الفطري إلى الهزل والفكاهة، ومن ثمّ كانت كتاباته على اختلاف مواضيعها لا تخلو من الهزل والتهكّم، كما أنه وُهب روحا فنّية كانت تسيطر على ما يكتبه، فكانت أغلب المواضيع التي كتب فيها قريبة إلى حياة الناس وأذواقهم وأفهامهم وتراثهم. كما كان واقعيًا يعطي لكلّ مقام مقالا. ولذا فإنه لا يتردّد فيما يكتب عن أخلاق العامّة من استعمال لغتهم وألفاظهم ولو كانت سمجة بذيئة أو غير مستملحة.

وقد أهّله تكوينه أن يتولّى رئاسة ديوان الرسائل أيّام الخليفة «المأمون»، إلّا أنه طلب أن يُعفى منه فأعفي، ثمّ اتّصل برجال الدولة في سامراء فكسب صداقتهم ورعايتهم، ولازم

الوزير «محمد بن عبد الملك الزيات» وهو أديب شاعر، و«الفتح بن خاقان» الذي كان كالجاحظ في حبّه الكتاب والمطالعة، ولم يكد يفارقه كتاب حتّى في مجلس الخليفة، و«إبراهيم بن العباس» الكاتب الشاعر، ثمّ قاضي القضاة «أحمد بن داود» كبير المتكلّمين وزعيم الاعتزال. وكان الجاحظ يلازم الوزير ابن الزيات مختصًا به مقرّبا منه، ومنصرفا عن «أحمد بن دؤاد» للمنافسة بين الوزير وقاضي القضاة. ولمّا قبض الخليفة «المتوكّل» على ابن الزيات هرب الجاحظ. ولمّا قتل ابن الزيات جيء بالجاحظ مقيّدا إلى أحمد بن دؤاد، فعاتبه على ولائه لابن الزيات ولكنه عفا عنه لبداهته وحسن جوابه.

اشتهر الجاحظ بمؤلفاته اللغويّة والأدبيّة المتعدّدة، كما ترك أيضًا موسوعة شاملة في الحيوان جاءت خليطا من المعارف الطبيعيّة، والمسائل الفلسفية. كما تحدّث في سياسة الأقوام والأفراد وتكلّم في نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينيّة، وكثير من المسائل الجغرافية وخصائص كثير من البلدان، وفي تأثير البيئة في الحيوان، والإنسان، والشجر، كما تناول الحديث في الأجناس البشريّة وتباينها، فكان بذلك مؤسسا لعلم الجغرافية البشريّة، فهو أوّل من علّل أقسام البشر إلى أمم وشعوب وأجناس وأعراق مختلفة صورهم، وألوانهم، ولغاتهم، وطبائعهم، وعاداتهم. وأوعز الاختلاف إلى تأثير الوراثة والبيئة الاجتماعية والطبيعيّة التي كانوا يعيشون فيها. كما عرض لبعض قضايا التاريخ، وتحدّث عن الطبّ بما فيها أمراض الحيوان وبيان كثير من المفردات الطبّية. كما تحدّث عن العرب والأعراب وأحوالهم ومزاعمهم وعلومهم، وأفاض القول في آيات الكتاب العربي وحديث الرسول العربي، كما فصّل بعض مسائل الفقه والدين.

ففي كتاب «البخلاء»، أظهر الجاحظ موهبته كناقد ساخر لمجتمعه، حيث تناول الجاحظ البخل والبخلاء من منظور حواري جدلي صوّر فيه أخلاق الناس وطبائعهم في مجتمع البصرة وفي حياتهم العاديّة وصوّر شخصيّاته بدقّة واختارها من مختلف طبقات المجتمع فهي شخصيّات حقيقيّة، وأبرز فيهم الجوانب السلبيّة والإيجابيّة بعد أن حلّل النفس البشريّة وطبائعها وغرائزها وبيّن ما فيها من كوامن الخير والشرّ، فاعتبر بهذا الكتاب رائدا من روّاد القصّة القصيرة والأدب الواقعي.

ويكاد الجاحظ ينفرد بأسلوب فنّي متميّز في تصوير الشخصيات، فإذا هي حيّة أمامنا بملامحها وحركاتها وسكناتها، وقد برع في ذلك، ومن هذا القبيل تلك الصور البارعة التي رسمها لخالد بن يزيد مولى المهالبة وهو الذي يعرف بخالويه المكدّي. ومن هذا التصوير تتبعه لحيل المكدّين، وحديثه عن «المخطراني»، وهو الذي يأتيك في زيّ ناسك ومعه واحد يعبّر عنه أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصّته، و «الكاغاني» الذي يتجنّن ويتصارع ويزبد، و«البانوان» الذي يقف ويقول بانوا وتفسيره بالعربية يا مولاي، و«القرسيّ» الذي يعصب ساقه وذراعه.. فإذا تورّم واختنق الدم مسح بشيء من صابون ودم الأخوين، وقطر عليه شيئا من سمن، وأطبق عليه خرقة.. ومنهم «المشعب» الذي يحتال للصبي حين يولد، بأن يجعله أعمى، أو أعسم، أو أعضد، ليسأل الناس به أهله.

ويندرج كذلك في تصوير الجاحظ

للشخصيات، من قبيل توليد المضحك، تلك الصورة التي رسمها للقاضي ابن سوّار في كتاب «الحيوان»، وهي صورة تلتقي عند التأويل والتحليل بما قدّم الفيلسوف الفرنسي (برغسون) في تحليله للضحك.

ومن أهمّ كتبه كتاب الحيوان، وهو من الكتب التي ألّفها الجاحظ في شيخوخته وإصابته بمرضي الفالج والنقرس، بالتحديد بعد مقتل الخليفة المتوكّل سنة 247هـ. وقد جاء مشتملا، في منهج استطرادي، على وصف طبائع الحيوان وخصائصه التي استمدّها من عدّة مصادر عربيّة وأجنبيّة، وسماعه وشكّه، وتفكيره التجريبي والفلسفي المعتزلي خاصة،لذلك كانت لهذا الكتاب قيم أدبيّة وتاريخية ودينيّة وأخلاقيّة وعلميّة تدلّ على مكانة الجاحظ المؤلّف والأديب والمفكّر والعالم. وإذا كان علم الجاحظ قد تجاوزه الزمان أو شابته أوهام، فهو يبقى ولا شكّ محطّة هامّة من تفكيره وثقافته وأسلوبه.

ومنها «البيان والتبيين»، ألّفه أثناء تأليف «الحيوان» وبعده. وهو يضمّ مختارات من فصيح الكلام العربي قرآنا وحديثا وخطبا لمشاهير الخطباء العرب، وأشعارا، ومن آداب الفرس وحكم الهنود وغيرها. فكان شاهدا على ثقافة الجاحظ من جهة، حافظا للتراث العربي من جهة ثانية، ودالا على امتزاج الثقافات في عصره من جهة ثالثة. على أن من أهمّ ما ورد فيه هو تنظيره المبكّر للفصاحة والبلاغة وشروطهما. ولعلّ من أسباب تأليفه أيضًا الرد على الشعوبية والدفاع عن العربية وآدابها. وهذا بالإضافة إلى غايته التعليميّة حتّى أن ابن خلدون قال فيه: سمعنا من شويخنا في مجالس التعليم أن أصول فنّ الأدب وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرّد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها [مقدمة، فصل علم الأدب].

ومنها عديد الرسائل نشر منها عبد السلام محمد هارون مجلّدين يضمّان أربعة أجزاء. الجزء الأول من المجلّد الأول يضمّ عشر رسائل تدور على مناقب الترك، والمعاش والمعاد، وكتمان السر وحفظ اللسان، وفخر السودان على البيضان، وفي الجدّ والهزل، وفي نفي التشبيه، وكتاب الفتيا، ورسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب، ورسالة في فصل ما بين العداوة والحسد، ورسالة في صناعة القوّاد.

ويضمّ الجزء الثاني من المجلّد الأوّل سبع رسائل: رسالة إلى أبي الوليد في النابتة، وكتاب الحجاب، ومفاخرة الجواري والغلمان، وكتاب القيان، ورسالة في ذم أخلاق الكتاب، وكتاب البغال، ورسالة في الحنين إلى الأوطان.

ويضم الجزء الثالث من المجلّد الثاني عشر رسائل في الحسد والمحسود، وفي المعلّمين، ورسالة التربيع والتدوير وهي من أشهر رسائله لقيمها الفنّية التصويرية الهزلية، ورسالة في مناقب الترك، ورسالة في حجج النبوّة، ورسالة في خلق القرآن، ورسالة في الردّ على النصارى.

أما الجزء الرابع من المجلّد الثاني فهو فصول

مختارة من كتب الجاحظ منها: مختارات من كتابه في المسائل والجوابات في المعرفة، ورسالة في المعاد والمعاش، ومختارات من رسالة الجد والهزل، ومختارات من كتابه في الوكلاء، وفي الأوطان والبلدان، والمختار من رسالته في المودّة والخلطة إلى أبي الفرج، ومن كتابه في استحقاق الإمامة، ومن رسالته في استنجاز الوعد، ومن رسالته في تفضيل النطق على الصمت، ومن كتابه في صناعة الكلام، ومن رسالته في مدح التجارة وذمّ عمل السلطان، ومن كتابه في الشارب والمشروب، ومن كتابه في الجوابات واستحقاق الإمامة، ومن كتابه في مقالة الزيدية والرافضة.

هذا إلى جانب كتاب التاج، وكتاب العميان والبرصان والعرجان. وفي تعليقات طه الحاجري وشروحه التي ذيّل بها كتاب البخلاء إشارات إلى كتب للجاحظ ضاعت، منها كتاب «اللصوص» أو «حيل اللصوص» على نحو ما ذكره الجاحظ في مقدمتي البخلاء، والحيوان، والبغدادي في «الفرق بين الفرق».

ويدلّ ما وصلنا من كتب الجاحظ ورسائله على أنّه ذو نزعة موسوعية، ويرضي الأذواق المرهفة، والعقول الدربة وذوي الثقافة الرفيعة، كما يلتذّ بها السوقة والرعّاع وعامّة الناس، ويجد فيها كل قارىء مطلبا، مع تنوّع المطالب، بين نكتة حارة، وطرفة نادرة، وقول يؤثر، وشعر يروى ويحفظ، وقياس في الكلام يتّبع، وبيان في القول الفصل يحتذى، وتفصيل للمذاهب، وإيضاح للعقائد، وردّ للشبه المعترضة، وتقوية للبراهين القاطعة، وخبرة بالغراس والزرع، ومعرفة بالبيطرة والأدواء، وإلمام بالسحر والرقى والطلاسم، والتعاويذ، ودراية بالأملاح والفلزّات، وبالتركيب والتحليل، وبالأمزجة والطبائع، وعلم بفطر الأفراد والشعوب.

لقد وضعنا الجاحظ أمام مسرح الحياة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، فإذا نحن نشاهد صورا نابضة بالحياة للقضاة، والعلماء، والشعراء، والرواة، وأهل المناظرة والجدل وهم يتكلّمون في الذات والصفات، وفي الجواهر والأعراض، وفي الوعد والوعيد، وفي الجزء الذي لا يتجزّأ، وفي الاستطاعة والفعل. وإذا نحن نشاهد السراة من ذوي الجاه والنعمة، والصعاليك في الفقراء ومحترفي الكدية، والقصّاص الطوّافين بالمساجد، والنسّاك والزهّاد والصوفيّة، وأهل الطرب من القيان والمغنّين، والموالي من السند والهند والصقالبة والترك والأكارين، والمكاريين، والسرّاق، واللاّطة، والمخنّثين.

لم يصطنع الجاحظ في أدبه الاحتشام، ولم يرغ إلى تكلّف التزمّت والوقار، إذ كان ذلك مما لا ينسجم مع شخصيّته، ولا يلائم طبيعة ثقافته. أما شخصيته فمنبسطة وممتلئة بالحيويّة والمزاح، وبهذه السمات قاوم العلل التي تكاثرت عليه. وأما ثقافته فشديدة التنوّع والوفرة. استمدّ بعضها من قراءاته وفضوله المعرفي، واستقى بعضها الآخر من ممارسته وتجاربه وخبراته وملاحظاته واحتكاكه بالطبقات الاجتماعية المتباينة.

أما مذهبه في الكتابة الأدبيّة فيقوم على الترسّل أو التخلّص من قيود الوشي البديعي، ويعتمد على الازدواج وحسن التقسيم، وتحرّي الألفاظ المأنوسة. وقد صرّح في نصّ له مشهور بأنّ التفاصيل بين الأدباء يقع في الألفاظ

والتراكيب، إذ المعاني مبذولة عند الناس، وهم يستوون فيها، ولا يختلف بعضهم عن بعض إلّا في الألفاظ بحسبان أنها ضرب من التصوير. وقد طبّق الجاحظ مذهبه هذا فيما خلّف من كتب ورسائل، لذلك تراه آخذا بالواقعيّة متى حكى كلام الناس على اختلاف طبقاتهم، كما تراه متأنّقا في استخدام الألفاظ، محقّقا لعبارته إيقاعا لا يعتمد على الفواصل المسجوعة، وإنّما يعوّل على التدفّق والانسياب، والترسّل وهندسيّة الازدواج.

وقد اتّبع في خطابه الأدبي تقاليد عصره، فكان لذلك كثير التشعيب والاستطراد، ريثما يعود إلى الموضوع حتّى يخرج منه بأدنى ملابسة إلى موضوعات أخرى، ريثما يعود إلى الموضوع الأوّل. على أنه أدرك طبيعة القرّاء في عصره، لذلك شحن كتبه ورسائله بما يجمّ القارىء، ليدرأ عنه الملالة بشيء من الهزل، فيتجدّد النشاط، وينبعث في النفس الإقبال على الاستيعاب.

وبالجملة يُعَدُّ الجاحظ بحق شاهدا على عصره، وعلينا أن نتوخّى الحذر عند مراجعة الأثبات والفهارس التي وضعها القدماء والمحدّثون لتصنيف تراثه، إذ يمكن أن تكون بعض الرسائل منحولة له، كما نبّه إلى ذلك بروكلمان، والتفت إليه من قبل ياقوت والبغدادي، إذ كان الكتّاب والمتأدّبون يضعون الكتب ويزيّفون نسبتها إلى الجاحظ التماسا لرواجها وذيوعها، ولكي يدخلوا شبهة نسبتها إلى الجاحظ لدى القراء كانوا يلزمون أنفسهم بتقليد طريقته ومحاكاة أساليبه في الكتابة، مما تصعب معه مهمة النقد والتثبّت إلا على بصير بالثقافة، خبير بالأساليب، ذي دراية واسعة بالتمييز بين الصحيح والمنحول.

آثاره

يقال إنه ترك زهاء ثلاثمائة وستين مؤلفا في ألوان شتّى من المعرفة. وذكر ابن حجر في لسان الميزان أن ابن النديم سرد كتب الجاحظ، وهي مائة ونيف وسبعون كتابا. وفهرس ياقوت في معجمه كتب الجاحظ ورسائله، وأثبت مائة وثمانية وعشرين مصنّفا. وهكذا وقع الاختلاف في إثبات مصنفاته وتحديد عددها. ومنها خاصّة:

1 ـ البخلاء، حقّقه فان فلوتن، ليدن، بريل 1900م، 227 ص، وأحمد العوامري وعلي الجارم، ج 1، 192 ص، ج 2، 259 ص، وزارة المعارف العموميّة، القاهرة 1938م، وطه الحاجري، 507 ص، دار الكاتب المصري، القاهرة 1948م، ومحمد علي الزعبي، ج 1، 113 ص، ج 2، 141 ص، مكتبة العرفان، بيروت 1955م، وأحمد ظافر كوجان، دار اليقظة العربيّة، دمشق 1963م، وفوزي عطوي، 315 ص، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت 1969؛ 2 ـ البرصان والعرجان والعميان والحولان، تح. محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة 1972م، 462 ص، وعبد السلام هارون، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1982م، 686 ص؛ 3 ـ البيان والتبيان، تح. حسن الفاكهاني ومحمد الزهري الغمراوي، مجلّدان، المطبعة العلميّة، القاهرة 1895م، ومحب الدين الخطيب، 3 مجلّدات، المطبعة الجماليّة، القاهرة 1914م، وعبد السلام هارون، ج 1، 443 ص، ج 2، 372 ص،

ج 3، 384 ص، ج 4، 402 ص، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1948م؛ 4 - التاج في أخلاق الملوك، حققه أحمد زكي باشا، المطبعة الأمريكية، القاهرة 1914م، 283 ص؛ وإبراهيم الزين وأديب عارف الزين، دار الفكر ودار البحار، بيروت 1905 م، 344 ص؛ وفوزي عطوي، الشركة اللبنانيّة للكتاب، بيروت 1970م، 191 ص؛ 5 - الحيوان، حقّقه محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ج 1، 198 ص، ج2، 136 ص، ج 3، 170 ص، ج 4، 157 ص، ج 5، 177 ص، المطبعة الحميديّة، القاهرة، 1905م، ج 6، 177 ص، ج 7، مطبعة السعادة، القاهرة 1907م، وحقّقه عبد السلام هارون، ج 1، 480 ص، ج 2، 483 ص، ج 3، 548 ص، ج 4، 503 ص، ج 5، 611 ص، ج 6، 515 ص، ج 7، 516 ص، ج 8، 334 ص، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1940 - 1947م، وفوزي عطوي، 7 مجلّدات، مكتبة محمد حين النوري، ترجمت منه مقتطفات إلى الفرنسية، سندباد، باريس، وفيار، باريس 2003، دمشق، د.ت؛ 6 - المحاسن والأضداد والعجائب والغرائب، حقّقه فان فلوتن، 416 ص، ليدن، بريل 1898م، وصحّحه محمد أمين الخانجي، 260 ص، مطبعة السعادة، القاهرة 1906م، وفوزي عطوي، 237 ص، الشركة اللبنانية للطباعة والنشر، بيروت 1969م؛ 7 - مقتطفات وترجمات من آثار الجاحظ، حقّقه ريشر، وشتوتجارت، 1931م، وهي تضمّ 29 رسالة من رسائل الجاحظ؛ 8 - رسائل الجاحظ، نشرت مفردة ومجموعة بتحقيقات مختلفة وأشهرها تح. عبد السلام محمد هارون، 4ج. في مجلّدين، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1383هـ/ 1964 - 1384هـ/ 1965م؛ 9 - كتاب العثمانية، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، 1373هـ/ 1955م في 367 ص ... إلى آخره.

المصادر والمراجع

● الجاحظ، البخلاء، والبيان والتبيين، والحيوان، ورسائل الجاحظ... الخ؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 16/ 74 - 114؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر. عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1962، 3/ 107 - 128؛ ● شارل بلّا، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، تر. إبراهيم كيلاني، دمشق، دار اليقظة، 1961؛ ● طه الحاجري، الجاحظ: حياته وآثاره، القاهرة، دار المعارف بمصر 1962م؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، ط. جديدة، مدخل الجاحظ؛ ● المورد، مجلّة عراقية تصدر عن وزارة الثقافة والفنون، بغداد، الجمهورية العراقية (عدد خاص بالجاحظ: أبحاث ودراسات، ونصوص محقّقة لأول مرّة أو معادة، وفهارس موروث الجاحظ مخطوطا ومطبوعا، والمرجع في الجاحظ ... الخ).

د. محيي الدين عطية
جامعة القاهرة - مصر
د. عاطف جودة
جامعة القاهرة - مصر

جاد الحق، جاد الحق بن علي

(1335هـ/1917م - 1416هـ/1995)

جاد الحق بن علي جاد الحق، فقيه أصولي، قاض، الشيخ الثاني والأربعين للأزهر الشريف. ولد بمحافظة الدقهيلة وبها نشأ، فحفظ القرآن الكريم، وتعلّم مبادئ العلوم المختلفة: من الفقه والنحو، والتفسير، والعقيدة، وسائر مبادئ العلوم النقلية والعقلية إلى أن بلغ السن التي يسمح فيها بالالتحاق بالأزهر وهي الخامسة عشرة.

التحق بالأزهر فدرس فيه على مشايخ عصره العلوم الشرعية والعربية بفروعها المختلفة، من الفقه، والأصول، والعقيدة، والتفسير، والحديث، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، والسياسة الشرعية، بالإضافة إلى المواد القانونية الوضعية، مع المقارنة بينها وبين التشريع الإسلامي.

وبعد تخرّجه من الأزهر عُيِّن قاضيا شرعيًا، ثم مفتّشا قضائيًا، فمستشارًا بالمحاكم الشرعية، ثم مفتيا للديار المصرية، ثم وزيرًا للأوقاف عام 1982م، وفي العام نفسه عيّن شيخًا للأزهر وظلّ يشغل هذا المنصب حتى توفّاه الله تعالى.

كان ـ بحكم منصبه ـ رئيسًا لمجمع البحوث الإسلامية، بعد أن كان عضوًا فيه.

كما كان عضوًا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف وكان رئيسا عاما لهيئة الإغاثة الإسلامية للأزهر الشريف.

كان متواضعا في مسكنه ومأكله، ومشربه، كما كان متواضعًا في تعامله مع سائر الناس، وخاصة مع العلماء، فكنا إذا دخلنا عليه مكتبه قام وقابلنا بالترحاب والبشاشة، وأعطى كل جلسائه حقهم من الترحيب والاحترام، والسؤال عن أحوال المسلمين، خاصة إذا كان القادم من خارج مصر.

ومع ذلك كان شديدا في الحق، لا يجامل أحدا على غيره، ولا يسمح بمخالفة القواعد واللوائح المنظمة للعمل، ولا يتورّع أن يحوّل أي موظّف إلى التحقيق إذا قصّر في عمله، مهما كانت منزلته، ولذلك شهدت مؤسسات الأزهر في عهده انضباطا لم تشهده من قبل في العصور المتأخرة.

وبسبب تمسّكه بالحق والدفاع عنه أُوذي كثيرا من المنحرفين، عن منهج الإسلام، ونشرت الصحف المعروفة بالخط المعادي للإسلام كثيرًا من المقالات التي أساءت إليه، وكان مع ذلك صبورا لا يرد على شيء من ذلك، اعتقادا منه أن الرد على أمثال هؤلاء يجعل لهم اعتبارا أمام الناس، وأن منصب شيخ الأزهر أكبر من ذلك.

حفظ لمنصب شيخ الأزهر هيبته في قلوب المسلمين في العالم كله، وأعاد إليه مجد شيوخ الأزهر السابقين الذين كان الواحد

منهم يضع استقالته في جيبه إذا طلب منه تنفيذ أمر يمس كرامة العلماء، أو يخالف شرع الله تعالى.

كان شجاعا في قول كلمة الحق، لا يخشى فيها لومة لائم، ويصر على رأيه ما دام يرى أنّ الحق معه.

كان مهتما بشؤون المسلمين في الداخل والخارج، خاصة الدول التي فيها أقليات مسلمة مثل: البوسنة والهرسك، والشيشان، وجنوب إفريقيا، وسائر الدول التي فيها أقليات مسلمة.

أصدر العديد من الفتاوي المهمة، وبخاصة في الأمور التي تهم جميع المسلمين، وكلها مبنيّة على أدلّة شرعية تدل على سعة علمه وتبحّره في الفقه والأصول والقضاء.

توفّي سنة 1416هـ/ 1983م.

آثاره

1 ـ من أحكام القرآن وعلومه؛ 2 ـ الختان في التشريع الإسلامي؛ 3 الحكم الشرعي في التدخين؛ 4 ـ نقض الفريضة الغائبة؛ 5 ـ الطفولة في ظلّ الشريعة الإسلامية؛ 6 ـ الفقه الإسلامي، مرونته وتطويره؛ 7 ـ أحكام الشريعة في مسائل طبية عن الأمراض النسائية؛ 8 ـ أحكام قضائية؛ 9 ـ رسالة في الاجتهاد وشروطه.

المصادر والمراجع

● صحيفة العالم الإسلامي، ملف خاص، 19 ذو الحجة، 1416هـ؛

● خفاجي، محمد عبد المنعم، الأزهر في ألف عام، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، 1408هـ/ 1988م، ج2، 399، 400؛

● دليل الإعلام والأعلام في العالم العربي، أشرف على وضعه ناجي نعمان، دار نعمان للثقافة، لبنان، 1990م، ص411؛ ● الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة، وزراة الثقافة، القاهرة، 1989م، ص88؛

● موسوعة أعلام مصر في القرن العشرين، وكالة الأنباء للشرق الأوسط، رئيس التحرير مصطفى نجيب، 1996م، ص155؛ ● العلاونة، أحمد، ذيل الأعلام، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، 1418هـ/ 1998م، ص55؛

● د. شعبان محمد إسماعيل، أصول الفقه وتاريخه ورجاله، ط. دار السلام بالقاهرة، 1419هـ/ 1998م، ص668 ـ 670.

د. شعبان محمد إسماعيل
جامعة أم القرى ـ مكة المكرّمة ـ السعودية

الجادرجي، عبد العزيز حسين

(1322هـ/1904م ـ 1366هـ/1946م)

ولد عبد العزيز حسين السيد علي النعيمي الجادرجي بمدينة الموصل في الأول من نيسان 1904 في بيئة شعبيّة فقيرة في محلة تدعى «باب المسجد»، ألحقه والده منذ نعومة أظافره بالكتاب لتعلم القرآن الكريم وعلم التجويد حيث أكمله في سنة 1911 وعمره سبع سنوات، كما تولى والده بنفسه تدريسه قواعد اللغة العربيّة «الآجروميّة» سنة 1912، التحق بعدها في المدارس الرسميّة فدخل مدرسة «شمس المعارف» الابتدائيّة الرسميّة سنة 1913 واستمرّ في دراسته فيها أربع سنوات، ونظرا لنبوغه وذكائه وتفوّقه العلمي نقل من الصف الرابع إلى الصف السادس، غير أنّه لم يكمل دراسته الابتدائيّة حيث تركها سنة 1917 مفضلا الاشتغال مع والده نظرا لظروف أسرته المادية الصعبة، ثمّ عاد ثانية إلى الدراسة فالتحق بالمدرسة الإسلاميّة الأهليّة سنة 1919، لكنه ترك الدراسة مرّة أخرى بسبب ظروف أسرته الماديّة الصعبة أيضا، واشترك مع أحد أقاربه في حقل الصناعات النسيجيّة.

تتلمذ الجادرجي على يد عدد من العلماء والأساتذة الأجلاء في زمانه منهم على سبيل المثال الشيخ عثمان الديوه جي، والشيخ عبد اللّه النعمة، والشيخ طاهر الفخري، وخلال مسيرته العلميّة المتعثرة هذه تمكن الجادرجي من أخذ قدر من العلم والمعارف في علوم اللغة العربيّة وعلوم الصرف، فضلا عن إتقانه اللغة التركية وقواعدها، إلى جانب الخط العربي والحساب والتاريخ والجغرافية والعلوم الدينيّة والفقهيّة والأدبيّة.

اشتهر الجادرجي بمواقفه السياسيّة منذ مطلع شبابه إذ عاصر الأحداث الجسام التي مر بالعراق وبالوطن العربي، وكان يتعرض بقصائده لممارسات الحكومات العراقيّة المتعاقبة والمستغلين للأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة المتدهورة تعرض على أثرها للفصل من وظيفته في سلك التعليم لمدّة سنة، أعيد بعدها إلى وظيفته خارج الموصل إذ تم نقله إلى مدينة (هيت) غرب العراق، نقل بعدها إلى مناطق أخرى في شمال العراق وجنوبه بين سنتي 1925 ـ 1934، ثمّ فصل ثانية من وظيفته أيضا سنة 1934 بسبب مواقفه السياسيّة الوطنيّة والقوميّة. إلّا أنّ ذلك لم يثنه عن مواقفه تلك، وامتهن الصحافة وعمل محررا لعدد من الصحف الموصليّة منها: «الأديب، الرقيب، فتى العراق، البلاء..» لكنه اضطرّ أخيرا وتحت وطأة الفقر والعوز إلى طلب العودة للوظيفة مرّة أخرى فقبل مرغما العمل في سلك الشرطة بوظيفة كاتب بقلم التحرير في شرطة لواء أربيل لقربها من مدينة الموصل، ومع ذلك لم يستطع السكوت عما كان يجري من أحداث في وطنية وقوميّة فاستمرّ في انتقاده الحاد لممارسات الحكومة

العراقيّة ممتدحا ومؤيدا في قصائده الشعريّة ثورات وانتفاضات الشعب العراقي ولا سيما ثورة نيسان ـ مايس 1941 ضد الوجود الاستعماري البريطاني والمتعاونين معه، وعلى أثر ذلك أقدمت السلطات العراقيّة على فصله من وظيفته للمرة الثالثة والأخيرة مما أثر كثيرا على وضعه ووضع أسرته المعيشيّة، ومما زاد الطين بلة إصابته بمرض مزمن (السل الرئوي) الذي لازمه أواخر حياته ولم يمهله كثيرا، حيث وافاه الأجل المحتوم في 19 شباط 1946 عن عمر لا يتجاوز اثنتين وأربعين سنة وهو في قمة نضوجه وعطائه الفكري والثقافي.

يبرز لدى عبد العزيز الجادرجي الاتجاهان الوطني والقومي متكاملين في قصائده شأنه شأن شعراء عصره والجيل الذي سبقه، فهو ينتقد أبناء البلاد لانشغالهم باللهو عن الأمور الجادة التي ترفع من شأن الوطن والأمّة، مركزا على عزلة الحكام عن مطالب شعبهم:

والقومُ في سِنَةٍ لا يسمعون ندا
كأنما الشعبُ منهم بات معتزلا

ويدعو الجادرجي إلى الوحدة الوطنيّة، كما يدعو إلى الوحدة العربيّة وإلى التقدم والنهوض، ويشيد بالقيم العربيّة الأصيلة وتراث الأمّة المجيدة محاولا استلهام معطيات الماضي مقترنا بروح العصر وبعث الحاضر والأخذ بأسباب العلم وبالإصلاح الديني والدنيوي:

أبناء يعرب والتآخي شأنكم
أنّ الحياةَ تناصرٌ وإخاء
ولتستعيدُوا صرحَ مجدٍ سالف
قد شيَّدته جماجمٌ ودماءُ

ويترجح دعوة أقرانه من الشعراء في الدعوة إلى التماسك الاجتماعي وتبيان المزايا الدنيويّة والآخروية للعطاء وبين الإتجاه النقدي، فهو يبالغ في مديح الكرم والكرماء على عادة شعراء الإحسان وإن كان ينفرد بين زملائه بذم بخلاء الأغنياء ذما يقربه ـ لو لا ما أسلف من مديح ـ من الإتجاه النقدي، وهو أحيانا أقرب إلى هذا الإتجاه الأخير، حين ينتقد المحتكرين من منطلق الدين والإنسانيّة ويهاجم أساليبهم في نهب قوت الفقراء والمعدمين.

ونجد في عدد من قصائد الجادرجي في الحب والغزل تعبيرا عن تجربة معاشة يحاور فيها صدقه الشعوري، الصدق الفني ـ قدر الإمكان ـ، ويرتفع الجادرجي أو يهبط في التعبير عن تجربة الحب، لكنه يحاول شق طريق التحسس الشعري الجديد، وبشيء من هذه التجارب يحاول التسامي والإقتراب من تجارب «العذريين» أو لربما من نفحات الرومانتيكية المبكرة، ولعلّ للطبيعة المحافظة للمدينة أثرا في تأجيج عواطف المحبين بما تخلق من عوائق أمام علاقاتهم، وهو بشكل بذلك حلقة وصل بين الكلاسيكيّة الجديدة «قول أشياء جديدة بقوالب قديمة أو شبه قديمة» وبين الرومانتيكية.

آثاره

ـ ترك الجادرجي العديد من القصائد الشعريّة التي نشرها في الصحافة والمجلات الموصلية طول العشرينات والثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي، ولم تسعفه المنية وضعف الحال طبعها في ديوان شعري خاص.

■ المصادر والمراجع

● الأطرقجي، ذنون يونس، «الشعر» في موسوعة الموصل الحضارية، الجزء الخامس، جامعة الموصل 1992، ص 364، 365، 371، 372، ● الحمداني، خليل حنش، عبد العزيز الجادرجي 1904 ـ 1946، مواقفه وآراؤه السياسيّة، دراسة تاريخيّة، مجلّة «التربية والعلم» العدد 39، 2000؛ ● الشهاب، ذنون، عبد العزيز الجادرجي 1904 ـ 1946، صحيفة الحدباء (الموصل)، العدد 172، 17 أيلول 1984؛ ● صحيفة البلاغ (الموصل)، العدد 364، 8 آيار 1933؛ ● صحيفة فتى العراق (الموصل)، العدد 75، 30 نيسان 1941.

د. نهلة شهاب أحمد
جامعة الموصل ـ العراق

■ الجارَبَرْدي، أبو المكارم الشيخ فخر الدين

■ ■ ■

(664هـ/1266م ـ 746هـ/1345م)

الشيخ فخر الدين أبو المكارم، أحمد ابن الحسن بن يوسف الجارَبَردي. فقيه شافعيّ، ونحويّ، له مشاركة في البلاغة والمنطق.

عاش في عهد الدولة المغولية الإيلخانية، ولا نعرف زمن ولادته إلّا ما انفرد به صاحب «هدية العارفين» من أنّه ولد سنة 664م، ولا عن مكانها أيضًا، ولعلّه ولد في «جارَبَرد»؛ وهي قرية في إيران لم تذكرها مصادرنا، يؤنس بذلك ما وقع في حواشي إحدى النّسخ الخطّية من شرحه على «الشافية»: «جاربردي، بفتح الباء الفارسية، منسوب إلى (جارَبَرد)، وهي قرية ولد أبو الحسن شارح الشافية فيها».

ولا نعرف أيضًا شيئا عن نشأته، وكلّ ما لدينا أنّه «نزيل تبريز»، وبها كانت شهرته. والظّاهر أنّ بيته بيت عِلْم، فجدّه يوسف «أحد شيوخ العلم المشهورينَ بتلك البلاد»، وابنه إبراهيم من النّابهين في عصره، ارتحل إلى دمشق وولي التّدريس في المدرسة «الجاروخية»، وخلّفه ولده فضل اللّه ـ وهو صبي ـ على التدريس فيها، وجعل نائبه شهاب الدّين الزّهري، ومات فضل اللّه سنة 771هـ.

وليس بمستبعد أن يكون الجاربردي تلقى علومه الأولى في تبريز، يؤيد ذلك ما أشارت إليه المصادر من أنّه لقي الشيخ ناصر الدّين البيضاويّ (ت 685هـ) وأخذ عنه، والبيضاوي نزل تبريز في أواخر حياته ومات فيها، ولعلّ الجاربردي نَهَلَ من معين هذا الأخير، ولا سيما في بابي الفقه والتفسير، وكان محبا له، اعتنى بمصنّفاته وشَرَحَ عددا منها، كما سيأتي.

ولم تُشِرِ المصادر إلى غير البيضاوي من أساتذة الجارَبَردي، إلّا ما انفرد به صاحب «البدر الطالع»، فلم يذكر البيضاوي، وأشار إلى شيخين غيره، لا نكاد نعرف من أمرهما شيئًا، أوّلهما الشيخ عمر بن نجم الدين، والثاني نظام الدّين الطُّوسيّ.

ويمكننا أن نستدلّ من مصنّفات الجارَبَردي أنه كان مشاركًا في جملة العلوم السائدة في عصره، ولاسيّما الفقه وأصوله، وهو شافعي المذهب، إلّا أنّه اشتغل أيضًا بالفقه الحنفيّ، فشَرَحَ اثنين من مصنّفاته، وله أيضًا مشاركة في التفسير، يظهر ذلك من حواشيه على «الكشاف»، وهي - كما قيل - في عشرة مجلّدات.

ولعلّ الأمر لم يكن يقتصر على المشاركة، بل تعدّاها إلى نوع من التّعمّق، فكان مرجعًا للأساتذة والطلّاب، يؤنس بذلك ما قاله ابنه إبراهيم في رسالته المعروفة التي خاطب فيها العضد الإيجي (ت 756هـ) منتصرًا لوالده، وقد نقلها السّيوطي في «الأشباه والنظائر»، وممّا قاله إبراهيم مخاطبًا العضد: «وذلك أنّ هذا ما هو أوّل سؤال سألته عنه، بل ما زلتَ منذ تولّيتَ القضاء كلًّا عليه، حيث صرتَ غير منفكّ من اقتباس الأحكام من فتاواه أينما توجّهت، تسأله عن آية من التفسير، ويُنبهك على تصحيح التقرير».

وله أيضًا مشاركة واسعة في النحو والتصريف، وقد حظي شرحه على «شافية» ابن الحاجب بما لم يَحْظَ به شَرْحٌ آخر من شروحها، إذ اشتهر في حياته، وتداوله الطلاب، وأقيمت عليه الحواشي، ونهلت منه الشروح التي جاءت بعده.

وله أخيرًا مشاركة في العلوم العقلية، والبلاغة. ولهذا كله وصفه مترجموه بأنّه كان إمامًا فاضلاً ديّنًا خيّرًا وقورًا، مواظبًا على الشغل في العلم وإفادة الطّلبة، وأنه كان مفتيًا للأنام، بارعًا في المعقول والمنقول، جامعًا لفنون العِلْم، كثير المحصول.

وتصدُّر الجارَبَردي للتدريس أمرٌ لم ينكره العضد الإيجي، لكنّه أشار إليه بشيء من التّهكّم في رسالته التي خاطب بها الجارَبَرْدي، ونقلها السّيوطي أيضًا، قال: «أظنّك قد غرّك رهط التفوا حولك، وألقوا السّمع إلى قولك، يصدّقونك في كلّ هذر، ويصوّبونك في كلّ ما تأتي وتذر». وردّ إبراهيم بن الجارَبَرْدي عليها مبيّنا منزلة والده بين العلماء، وعند الحكّام فقال: «من فضل الله العظيم أن جعله أستاذ العلماء في زمانه»، وأضاف: «قل لي مَنْ كان في تبريز في ذلك الزّمن مِمّن يماثله أو يُدانيه؟»، ثم أشار إلى أنّ معظم علماء تبريز هم من تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه، يدلفون إليه، ويأخذون من كتبه.

هذه المكانة التي حظي بها الجارَبَرْدي في تبريز جعلت الوزير محمّد بن الرّشيد ينشئ مدرسة له هي المدرسة الحجرية الرّشيدية.

اكتفت المصادر بالإشارة إلى تلميذ له هو نور الدّين الأردبيليّ، وزاد صاحب «البدر الطّالع»، فقال: «ولعلّ من جملة من أخذ عنه العضد شارح مختصر ابن الحاجب»، بيد أنّ رسالة إبراهيم الجارَبَرْدي كشفت لنا عن عدد ممّن تتلمذوا على والده، وهم: شرف الدّين الطيبي شارح «الكشّاف»، ونجم الدّين سعيد شارح «الحاجبيّة»، وفرج بن أحمد الأردبيليّ،

ومحمد بن أبي الطّيب الشّيرازيّ، وقاضي القضاة نظام الدّين عبد الصّمد وأمين الدّين حاجي ددا. ويمكن أن نضمّ إليهم بدر الدّين محمّد بن عبد الرحيم بن الحسين العمري الميلاني شارح كتاب «المغني» للجارَبَرْدي، إذ قال في مقدّمة الشّرح: «وهو من مصنفات أستاذي العلّامة... أحمد بن الحسن الجارَبَرْدي».

المشهور أنّ الجارَبَرْدي توفّي سنة 746هـ/ 1346م في تبريز، وهناك أقوال أخرى تجانب الحقيقة.

آثاره

أ ـ المطبوعة:

1 ـ لم يطبع من مصنفات الجارَبَرْدي إلّا شرحه على «تصريف» ابن الحاجب، أهداه إلى سعد الدّين محمّد بن علي السّاوي، أو السّاوجيّ، وزير غازان، وقد قتله «خدا بندا» سنة (711هـ). وهذا الشرح من أجود شروح «الشافية»، ومن كتب التصريف المهمّة عند المتأخرين، وقد عوّل عليه الناس بعده، لأهميته، وطريقته البارزة في تعليم الصرف، يدلّ على ذلك كثرة شروحه ونسخه المنتشرة في المكتبات. وقد عوّل فيه الجارَبَرْدي على «شرح الهادي» للزّنجانيّ، و«الإيضاح» لابن الحاجب، ونهل كثيرًا من شرح ركن الدّين الأستراباذي، على الشافية بلا عزو، ولم يكن يُلمح في موضع الرّدّ والاستدراك؛ 2 ـ شرح الشافية لابن الحاجب، طبع ضمن كتاب: مجموعة الشافية من عِلْمَي الصّرف والخطّ في تركيا 1310هـ. وأعيد تصويره في عالم الكتب ببيروت، بلا تاريخ. ثمّ حقّقه الدّكتور نبيل أبو عمشة ونال بتحقيقه ودراسته درجة الدكتوراه في قسم اللغة بجامعة دمشق 1990م. ولم ينشر عمله بعد.

ب ـ المخطوطة:

3 ـ حواشي الكشّاف: وهي حواشٍ على «الكشّاف» للزمخشريّ، ذكر صاحب [مرآة الجنان، 4/ 307] أنّه في عشرة مجلّدات؛ 4 ـ شكوك على الحاجبية: وهي تعليقات على «كافية» ابن الحاجب، انفرد بذكره بروكلمان [تاريخ الأدب العربيّ، 5/ 312]؛ 5 ـ المغني: مختصر في النحو، أوله: «الكلمة لفظ وُضِع لمعنى مفرد» اتّكأ فيه على «الكافية» و«المفصّل»، وقد شرحه «الميلانيّ»، ولشرحه نسخة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

ج ـ ما هو في حكم المفقود:

6 ـ حواشي المصابيح: ذكره ابنه إبراهيم؛ 7 ـ حواشي المطالع: ذكره إبراهيم، ولعلّه حواشٍ على «المطالع» للبيضاوي؛ 8 ـ حواشي المفتاح: ذكره إبراهيم، ولعلّه أيضًا حواشٍ على «مفتاح العلوم» للسّكّاكيّ؛ 9 ـ حواشي شرح السنّة: انفرد بذكره إبراهيم، ولعلّه حواشٍ على «شرح السنة» للإمام البَغَويّ (ت 5166 هـ)؛ 10 ـ حواشي شرح المفصّل: وهي حواشٍ على «شرح المفصّل» لابن الحاجب المسمّى بـ «الإيضاح». [كشف الظنون، 1774]؛ 11 ـ رسالة في مسألة الكحل: رسالة في النحو، انفرد بذكرها البغداديّ في خزانة الأدب [8/ 230، 232، 235] ونقل طرفًا منها؛ 12 ـ شرح الإشارات: انفرد بذكره

إبراهيم، ولعلّه شرحٌ لإشارات الشيخ الرئيس ابن سينا؛ 13 ـ شرح البزدويّ: شرح لأصول الإمام فخر الإسلام علي بن محمّد بن الحسين البزدويّ (ت 482هـ) المسمّى «كنز الوصول» في أصول الفقه الحنفيّ، قال صاحب كشف الظّنون [112]: «ومن شروحه شرح الشيخ أبي المكارم أحمد بن الحسن الجارَبَرْدي الشافعيّ»؛ 14 ـ شرح اللباب: انفرد بذكره إبراهيم، ولا ندري أيّ «لباب» يعني؛ 15 ـ شرح المصابيح: ذكره إبراهيم، ولعلّه شرح: «مصابيح الرواح» لشيخه البيضاوي؛ 16 ـ شرح المنهاج: وهو شرح لـ «منهاج الوصول إلى علم الأصول» في أصول الفقه الشافعي للبيضاوي [كشف الظّنون، 1878 ـ 1879]؛ 17 ـ شرح الهداية: وهو شرح «الحاوي الصغير» في الفروع للشيخ نجم الدين عبد الغفّار القزويني (ت 665 هـ)، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية، إلا أنّه لم يكمله. [كشف الظنون، 626].

المصادر والمراجع

● السيوطي، الأشباه والنظائر في النّحو، 3/ 209 ـ 610، 621، 623، 627 ـ 628، تح. مجموعة مجمع اللّغة العربية بدمشق ـ 1406هـ/ 1985م؛ ● الزّركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1979م؛ ● الشّوكاني، البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع، طبعة مصورة في دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ، 1/ 47؛ ● السيوطي. بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط 2، 1399هـ/ 1979م، 1/ 303؛ ● ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، 1/ 303، طبعة مصوّرة في دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ، 1/ 123 ـ 124؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 1413هـ/ 1992م، 8/ 256؛ ● الإسنوي، طبقات الشافعية، تح. عبد اللّه الجبوري، بغداد، 1390هـ؛ ● ابن السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسينيّة؛ ● اليمني المكّي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار المعارف النّظامية، حيدر آباد الدّكن، 1339هـ؛ ● البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، طبعة مصوّرة في مكتبة المثنّى، بغداد، بلا تاريخ، 1/ 108.

د. علي أبو زيد
جامعة دمشق ـ سوريا

جار الله بن فهد، أبو الفضل محب الدين محمد

(891هـ/1486م - 954هـ/1547م)

أبو الفضل محب الدين محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد، المكي الهاشمي، المعروف بجار الله بن فهد، مؤرخ. يتصل نسبه بمحمد ابن الحنفية. مولده ووفاته في مكة المكرمة.

تلقى جار الله بن فهد تعليمه في كبرى حواضر الإسلام: مكة المكرمة، والمدينة المنورة. وفي مكة تلقى علمه على مرحلتين: الأولى شكلت التكوين الرئيس لتحصيله العلمي؛ ففيها حفظ القرآن العظيم، و«الأربعين النووية» و«المنهاج الفقهي» مع أخذه فيها عن كبار شيوخ عصره، منهم والده الذي لازمه في القراءة والسماع. وسمع من السخاوي، والمحب الطبري، وعبد الغني البساطي وسواهم، ونال إجازتهم.

وعام تسع وتسعمائة توجه مع والده إلى المدينة المنورة، وجاوروا بها، حيث بدأت المرحلة العلمية المدنية، التي تمثلت بالسماع من لفظ والده تجاه الحجرة الشريفة: «الكتب الستة»، وكتاب «الشفا» لعياض. وسمع من السمهودي بعض هذه الكتب، «وفتاواه» وتاريخه «الوفا» وألبسه زي الصوفية.

ثم بدأت المرحلة المكية الثانية عندما عاد إلى مكة المكرمة، فازدادت محصلته العلمية تضجاً وثراءً، فقرأ على والده بعض الكتب في الأصول والفروع، واستوفى ما عند مشايخه من السماع، مما أهله لإخراج الأسانيد لجماعة من مشايخه وسواهم.

وهذه المكانة العلمية الثرية جعلته بارعاً بالعلوم العقلية والشرعية، متطلعاً إلى آفاق علمية أخرى، فارتحل إلى الديار الشامية والمصرية، واليمنية، والتقى ببعض علماء تلك الديار وسواهم ممن وفد إليها من الأمصار الأخرى؛ وأخذ عن نحو السبعين من المسندين، مع نيل إجازة كثير منهم في مجمع حافل، ولازم عدداً من كبار علماء عصره، كالمحب النويري، وعبد الحق السنباطي.

■ آرثاره

1 - التحفة اللطيفة في بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة؛ 2 - الضوء اللامع من الأحياء، تاريخ في وفيات المترجمين؛ 3 - الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان، خ. أشار الزركلي إلى وجوده في السليمانية (927)؛ 4 - الأقوال المتبعة في بعض ما قيل من مناقب أئمة المذاهب الأربعة، خ. ذكر الزركلي: «بخطه خمس أوراق في نشرة مكتبية» [3/ 42]؛ 5 - تحفة الإيقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ، ذيل فيه على ذيل جده؛ 6 - معجم الشيوخ،

في أسماء شيوخه، والشعراء الذين سمع الشعر منهم؛ 7 ـ تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس، ووج والطائف ـ خ، قال الزركلي عن المخطوط: «في مئة صفحة بالمكتبة الماجدية بمكة، رأيت في حاشية عليه: هذا التاريخ غير المذكور في الكشف، أي كشف الظنون»، وذكر عبد الوهاب الدهلوي عن المخطوط المذكور: «موجود بمكة في الفيضية، والميمنية، وعدد أوراقه (68) ورقة»؛ 8 ـ تحقيق الصفا في تراجم بني الوفا؛ 9 ـ «منهل الظرافة بذيل مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة».

هذا وقد حظيت جهود جار الله بن فهد التأليفية باهتمام معاصريه، وبخاصة مؤرخي عصره، إذ كانوا كثيري الأخذ عنه، منهم: محيي الدين عبد القادر العيدروسي في كتابه «تاريخ النور السافر بأخبار القرن العاشر»، وكذا الجمال الشلي اليماني في كتابه «السنا الباهر بتكميل النور السافر».

كما كان بينه وبين الشمس بن طولون مراسلات، يكتب هذا إليه بوفيات الشام كل عام، وابن فهد يفعل مثله بوفيات الحجاز، وتواريخ ابن طولون حافلة بالنقل عنه.

■ المصادر والمراجع

● جار الله بن فهد، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة أتحاف الورى، تح. محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، جدة د. ت؛ ● حسن القرى في ذكر أودية أم القرى، تح. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1422هـ/ 2001م؛ ● بلوغ المنى والظفر في بيان لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، ولا صفر، تح. أحمد بن محمد المصلتي، دار الأندلس، جدة 1417هـ/ 1996م؛ ● تحفة اللطائف في فضل الحبر ابن عباس، ووج والطائف، تح. محمد سعيد جمال، ومحمد المنصور الشقحاء، الطائف، نادي الطائف الأدبي، د. ت؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ/ 1992م، 6/ 241؛ ● الحنبلي، العماد، شذارت الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، المكتب التجاري، د. ت، 8/ 302؛ ● الدهلوي، عبد الوهاب، تعريف بالكتب المؤلفة عن الحرمين والطائف وجدة، مجلة المنهل، جدة، السنة السابعة، المحرم 1366هـ، ديسمبر 1946م، 7/ 445؛ ● الذهبي الحافظ، ذيل تذكرة الحفاظ، بيروت، دار إحياء التراث، د. ت، ص 383 ـ 384؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط7، بيروت، دار العلم للملايين، 1986م، 6/ 209؛ ● العيدروسي، محيي الدين عبد القادر، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، بغداد، المكتبة العربية 1934م، ص 241 ـ 242؛ ● مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1424هـ/ 2003م؛ ● جار الله بن فهد المكي مؤرخاً، رسالة دكتوراة للباحث: إبراهيم بن حمود المشيقح،

الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، عام 1413هـ؛ ● حمود بن محمد النجيدي، جدة من خلال دراسات جار الله بن فهد، دراسة وتحقيق، مجلة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض 1415هـ/1995م.

د. رجاء محمد عودة
جامعة الملك سعود بن عبد العزيز
الرياض - المملكة العربية السعودية

الجارم، علي بن الشيخ محمد صالح

(1299هـ/1881م - 1369هـ/1949)

شاعر مصري معروف، ورائد في مجال الرواية التاريخية، وأستاذ جامعي في مجال اللغة العربية وآدابها إضافة إلى التربية وعلم النفس، وعضو مؤسس بمجمع اللغة العربية وواحد من أبرز المنتسبين إلى دار العلوم، طالبًا وأستاذًا وعميدًا.

ولد علي الجارم في مدينة رشيد في شمال مصر 1881، في بيت علم عريق، فقد كان والده الشيخ محمد بن صالح بن عبد الفتاح ابن محمد الجارم قاضيا وفقيها يلقي دروس العلوم الدينية في مساجد رشيد التي كانت تشكل صورة مصغّرة من مسجد الجامع الأزهر في القاهرة، وقد كتب شرحًا لكتاب «الفواكه» للفقيه الحنفي بدر الدين بن الغرس، وأطلق على شرحه اسم «المجاني الزهرية في شرح الفواكه البدرية»، وقد سار على طريقته ابنه «النعمان» الذي اختار له والده ذلك الاسم تيمّنا بأبي حنيفة النعمان فأصبح أحد علماء المذهب الحنفي وتولى القضاء الشرعي في مصر.

أما ابنه علي فقد التحق بادئ الأمر بمدرسة ابتدائية كانت قد أُنشِئت في رشيد في إطار النهضة التعليمية التي خطط لها علي مبارك، وقد أظهر تفوّقًا في الدراسة، ونال إعجاب عالم عصره اللغوي الأدبي، الشيخ حمزة فتح الله الذي كان مفتّشا أول بنظارة المعارف، لكن هذه المدرسة ما لبثت أن ألغيت مع تقهقر خطة التعليم وألحق الوالد ابنه بمسجد المحلاوي، حيث بدأ طريق التعليم الديني واللغوي والأدبي، عوضًا عن التعليم المدني في مدارس الوزارة.

وقد حفظ القرآن الكريم، واهتمّ والده بتعليمه التجويد والقراءات مما ترك أثره الواضح في سلامة نطقه وإحكامه لمخارج الحروف وقد ساعده هذا كأحد كبار نجوم الإلقاء الشعري في القرن العشرين حتّى إنّ أمير الشعراء أحمد شوقي، كان يستعين به لإلقاء قصائده في المحافل العامة، وكان شاعر النيل، حافظ إبراهيم، وهو أحد نجوم الإلقاء كذلك، يحس بمنافسة شديدة من صوت علي الجارم

في المحافل العامة، ومع تنقل والده في وظيفة القضاء من رشيد إلى الجيزة، أتيح للشيخ الصغير أن يلتحق بالأزهر وينكب على دراسة اللغة والأدب، ويقع على ديوان البارودي ويستظهره بأجزائه الأربعة، قبل أن يعود إليه في سنوات نضجه شارحا، ويلتحق كذلك بدروس الإمام الشيخ محمد عبده ويدرس على يديه كتابي عبد القاهر الجرجاني «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة»، وينبهر بشخصية الشيخ الإمام، فيكتب فيه واحدة من قصائد المديح المبكّرة ويحرص على أن يجعل بناءها على نسق الشعر القديم ليؤكد رسوخ قدمه في مجاله فيقول في مطلعها:

المجد فوق متون الضمَّر القَود
تطوي الفلا بين إيجاف وتوحيد

إذا رمَتْ عرض صيهود مناسمَها
رمت إليها الليالي كلَّ مقصودِ

وتنشر القصيدة في جريدة «المؤيد» ويثني الشيخ الإمام على الشاعر الأزهري الصغير، مع ندرة تعليقاته من قبل مادحيه من كبار الشعراء.

وفي 1903 تنشر الصحف إعلانا عن مسابقة لاختيار عدد محدود من نوابغ الطلاب للالتحاق بدار العلوم، ويتقدم علي الجارم إلى مسابقة برصيده الجيد من الصحة اللغوية والمحفوظ الشعري وقصائده التي كان قد بدأ التعرّف عليه من خلالها كواحد من الشعراء الواعدين، ويأتي ترتيبه الأول على المتسابقين، وهو ترتيب يظلّ يحتفظ به طوال سنوات دراسته بدار العلوم حتّى تخرجه فيها 1908، وهو خلال ذلك يتألّق شاعرًا مجلجلاً إلى جانب كونه دارسا متفوّقًا، وتنشر الصحف له في العقد الأوّل من القرن العشرين قصائد في الغزل وفي الطموح من مثل قوله:

طالما سقتْ فؤادي نحوها
فَنَبَتْ عنه مطالاً ونَبَا

ودعوتُ الوجدَ للهو بها
فأبَتْ دَلاً عليه وابى

علقت غيري وترجو صلتي
عجبًا مما تُرَجِّى عجبَا

هلْ يُحل الغمدَ سيفان معا
أو يضُمَ الغَيْلَ إلا اغلبا

أنا يا زينب ماءٌ فإذا
هجتني، صرتُ لظى ملتهبَا

اركب المركب صعبًا خشنًا
إن دعتني همّتي أن أركبا

ضاربًا في سبل المجد ولو
وصفوها بالعوالي والظبا

وعقب تخرّجه أوفد علي الجارم في بعثة إلى إنجلترا لدراسة اللغة الإنجليزية، وعلوم النفس والتربية، وقد قضى أربع سنوات في لندن ونوتنجهام واكسترا حصل خلالها على إجازات في الفروع التي أوفد لدراستها، مواصلاً خلال إبداعاته الشعرية متأثرًا بالمناخ الجديد الذي حلّ فيه، وراسمًا بعض مظاهر الحياة التي رآها، يقول في إحدى قصائد هذه الفترة:

أبصرتُ أعمَى في الظلام بلندن
يمشي فلا يشكو ولا يتأوّه

فأتاه يسأله الهداية مبصرٌ
حيرانَ يخبط في الظلام ويَعْمَهُ
فاقتاده الأعمى فسار وراءه
أنّى توجَّهَ خطوةً يتوجَّهُ
وهنا بدا القدرُ المعربد ضاحكًا
ومضى الضباب ولا يزال يقهقهُ

وقد ظلت بقايا ذكرياته في إنجلترا ماثلة في صور قصائده التي كتبها بعد عودته إلى مصر والتي يقول في واحدة منها:

يا دارَ فاتنتي حُييتِ من دار
سيُرتُ فيك وفي مَنْ فيك اشعاري
رحلتُ عنها وللأشجان ما تركَتْ
في العين والقلبُ من ماءٍ ومن نارِ
كانت مجال صباباتٍ لهوتُ بها
ومستراضَ لُبانات وأوطارِ
ألقوا خدودَ العذارى في حدائقها
ولقَّبوها بأثمار وأزهارِ
وجرَّدوا كل حسن من قلائده
فصرن حصباء في سَلسالِها الجاري
لو كنت أظفر في الأخرى بجنّتها
غسلتُ بالدمع آثامي وأوزاري

وقد عاد الجارم من بعثته إلى مصر 1912 في مناخ أدبي كان يتصدّر الشعر فيه بقية الأجناس الأدبية الأخرى، ويتنافس على مكان الصدارة فيه فحول الشعراء المحافظين والمجدّدين من أمثال إسماعيل صبري، وخليل مطران، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وعبد الرحمٰن شكري، والعقاد، والمازني، والرافعي، ومحرم، وعبد المطّلب، فضلاً عن كبار شعراء العالم العربي في الشام والعراق والجزيرة آنذاك، ومع ذلك فقد تلمّس علي الجارم لنفسه مكانًا في زحام صراع العمالقة، وعرف كيف يشكّل لنفسه لونًا من التميّز، وقدرا معقولاً من ملامح الشخصية.

والعقاد يرى أنّ مفتاح شخصية علي الجارم الشعرية، تكمن في انتمائه إلى مدرسة «دار العلوم»، ويقول في مقدّمته لديوان علي الجارم: «نكاد نقول إنّ الشعر قد انقسم بعد نشأة أدباء دار العلوم إلى مدرستين: مدرسة «الأفندية»، والمدرسة المعممة أو الدرعمية، ونكاد نقول إنّ الأدب الدرعمي، سيقول ولو بدّل زيّه كما قال الجارم بين جِدّه الباسم وفكاهته الصادقة:

لبستُ الآن قبَّعةً بعيدًا
عن الأوطانِ معتادَ الشجونِ
فإن هي غيَّرت شكلي فإنّي
«متى أضع العمامة تعرفوني»

وهي «ملامح أسرة فكرية نفسية خلقتها طبيعة الدراسة، التي انفردت بها دار العلوم، ولم تشبهها دراسة من قبلها في لغتها ولا في لغة أخرى من لغات الثقافة المعروفة لدينا».

ويوضح العقاد مفهوم التميز في المدرسة الدرعمية حين يشير إلى نمط الوسطية ومفهوم التجديد لدى أبنائها قائلاً: «فالدرعمي لغوي سلفي عصري»، ولكن على منهج فريد في بابه بين مناهج المعاهد السلفية والمدارس الأفرنجية، وبين مناهج المحافظة والتجديد، ومناهج الابتداع والتقليد. ولا يسعك وأنت تقرأ قصيدة لشاعر من أركان المدرسة الدرعمية أن تحجب فكرة «اللغة» عن خاطرك، وأن تنكر

أن قائل هذا الشعر يثبت على القديم، وإن أخذ بنصيبه من الجديد، وحرص على انتسابه إليه حرصه على انتسابه للقديم.

والواقع أن ما أشار إليه العقاد نثرًا في تحديده لملامح التجديد في المدرسة التي ينتمي إليها علي الجارم، يقترب إلى حد بعيد مما أشار إليه الجارم نفسه شعرًا، وهو ينعى على المنبهرين بأدب الغرب، والذين يكادون يمسخون الأدب العربي من خلال الإيغال في تقليد الآداب الأجنبية، دون مراعاة لطبيعة كل أدب، قائلاً:

سكت العندليب في وحشة الدو
حِ وغنَّتْ نواعقُ الغربانِ

جلبوا للقريضِ ثوبًا من الغرْ
بِ ولم يجلبوا سوَى الأكفانِ

ثم قالوا مجدِّدون، فأهلاً
بصناديد آخريات الزمانِ

لا تثوروا على تراثِ امرئِ
القيس وصونوا ديباجة الذبياني

واتركوا هذه المعاول بالله،
فإنِّي أخشى على البُنيانِ

واحفظوا اللفظ والأساليب والذوقَ
وهاتوا ما شئتم من معاني

ما لسان القريض من عربي
كلسان القريض من طمطماني

وجهة الشرقِ غيرها وجهة الغر
بِ فأنَّى، وكيف يلتقيان؟!

وإذا كان الجارم من خلال وسطية التجديد، قد استطاع أن يوجد مذاقا خاصا لشعره، فإنه من خلال مواهبه الأخرى، قد استطاع أن يفسح كذلك مكانًا في آذان وقلوب آلاف المستمعين، وذلك من خلال موهبة الصوت الجهوري والإلقاء المنغم المحكم الذي كان يملكه الجارم، وكان يشكّل ركنًا هامًا من أركان قبول الشاعر لدى الجمهور الذي تعوّد على أن الشعر «إنشادٌ وإنشادٌ» وأن متعة قراءة القصيدة، لا تغني أبدًا عن متعة سماعها من صوت معبّر، وكان العصر في حاجة إلى تلك الموهبة، قبل شيوع مكبرات الصوت، ودخول الإذاعة المسموعة ثم المرئية، وقد كان شائعًا أن يقارن الناس في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين في مصر، بين الشاعرين الكبيرين شوقي وحافظ من حيث طريقة الإلقاء، وكان حافظ يحتفظ بالسبق عادة من خلال صوته الجهوري وإيقاعه المنظم، فإذا اشتركا في محفل واحد، خرج الناس أكثر إعجابا بإلقاء حافظ وإن راجعوا أنفسهم في اليوم التالي، بعد نشر القصائد، فيجدون أنفسهم أكثر ميلاً إلى نص شوقي.

وفي هذا المناخ، ظهر علي الجارم بمواهبه الإلقائية، وزحف إلى المنتديات الشعرية يشارك فيها على هامش الكبار، فنال الإعجاب، ولفت نظر أمير الشعراء، الذي رأى في صوت الجارم، حلاً للتنافس غير المتكافئ في الإلقاء مع حافظ، فأخذ يسند إليه إلقاء معظم قصائده في المحافل العامة، ومن هنا اتّسعت شهرة الجارم، وبات مألوفا أن يقال عنه، إنه من أبرع من يتصدّون لإلقاء الشعر في المحافل، كان يلقي في المحفل الواحد أحيانا قصيدتين واحدة لأمير الشعراء وأخرى له، مما كان يدفع بالغيرة أحيانا إلى

نفس حافظ الذي اقترح عليه ذات مرة متهكّمًا، أن يتولّى إلقاء قصائد بقية الشعراء في المحافل!

وإذا كان صوت الجارم قد وسّع من دائرة شهرته، ونقل بعضًا من قصائد شوقي على جناحه، فإن صوتًا آخر أكثر شهرة وعذوبة، قُدّر له أن يصل بشعر الجارم إلى ملايين القلوب والآذان، وكان ذلك الصوت، هو صوت أم كلثوم التي التفتت في العشرينات إلى شعر الجارم، واختارت واحدة من قصائده لكي تغنّيها، وهي قصيدته التي يقول فيها:

ما لي فُتنتُ بلحظِكِ الفتاكِ
وسلَوْتُ كُلَّ مليحةٍ إلاكِ

يُسراكِ قد ملكتْ زمام صبابتي
ومضلّتي وهداي في يُمناكِ

فإذا وصلتِ فكُلّ شيءٍ باسمٌ
وإذا هجرتِ فكُلُّ شيء باكِ

إني أغارُ من الكؤوس فجنّبي
كأسَ المدامة أن تقبّل فاكِ

وإذا كان الجارم قد علا شأنه في العشرينات، في ظل شوقي وحياة شوقي، فإن رحيل الشاعرين الكبيرين حافظ وشوقي معًا سنة 1932، قد ترك فراغًا هائلاً في الحياة الأدبية في مصر والعالم العربي، ودفع كثيرًا من الشعراء لأن يحلموا بملء ذلك الفراغ واحتلال مكان الصدارة. وكان من بين هؤلاء العقاد، الذي بايعه طه حسين بالفعل بإمارة الشعر 1934، وكان من بينهم، دون شك، علي الجارم، الذي طمع دون شك، في احتلال رقعة أوسع من وجدان الجماهير.

وقد واتته الفرصة عندما أنشئت في هذه الظروف 1934، الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية، وكان علي الجارم أبرز من ظهر صوته على موجات الأثير، وكان للإذاعة وقع هائل في نفوس الجماهير. واتّسع مجال تأثير صوت الشاعر، ليتجاوز عدّة آلاف يضمّهم السُرادق الكبير، إلى عدّة ملايين في مختلف أرجاء القطر المصري، ودفع ذلك الشاعر لأن يطور أدواته الفنية تطويرًا سريعًا، فلم تعد قصائده بدوية المفردات، ولا جاهلية التراكيب، ولا عباسية المباني والمعاني، وإنّما أصبحت سلسة تصل بقدر معقول من الجهد إلى نفوس شريحة لا بأس بها من المستمعين. ولفتت رقة شعر الجارم نظراءه من الشعراء الشاميين والعراقيين فأصبحوا يطلقون عليه «بحتري الكنانة» شهادة برقة شعره وعذوبته، بعد أن كان في قصائده الأولى، حريصًا على الاقتراب من بدوية رؤبة ابن العجاج وأمثاله.

والواقع أن عقد الثلاثينات والأربعينات، شهد شهرة واسعة لشعر الجارم في العالم العربي، وأصبح من خلال زياراته المتعددة، ممثلاً لمجمع اللغة العربية في القاهرة الذي اختير عضوًا مؤسسا فيه عند نشأته 1932، أو ممثلا للحكومة المصرية، وكان يعد من كبار رجال التعليم بها، أو مشاركا في المؤتمرات الثقافية والندوات الشعرية. من خلال هذا كله، شاعت شهرة الجارم، واستقبل بالحفاوة والتقدير، كما كان الشأن في مشاركته في بغداد 1938، وإلقاء قصيدة في افتتاح المؤتمر الطبي هي قصيدة «بغداد»: التي ترجمها فيما بعد المستشرق الإنجليزي جون

هايورد في كتابه الأدب العربي الحديث بأبياتها التي تربو على الثمانين، والتي علّق عليها في حينها الناقد العراقي طه الراوي قائلاً: «إنها أكدت أن أحمد شوقي لم يمت وان الزعامة الشعرية لا تزال في مصر»، وقال عنها زكي مبارك مخاطبا الجارم: «هل تعرف مصر أنك رفعت رأسها في العراق، وأنك كنت خليفة شوقي في المعاني وخليفة حافظ في الإلقاء؟». أما شهرة الجارم في السودان فقد بلغت حدًّا جعلت الشاعر السوداني محمد أحمد صالح ينشر قصائده بتوقيع «الجارم الصغير»، وفي إحدى زياراته للسودان، أنشد الجارم قصيدة نونية معارضة لنونية ابن زيدون وشوقي جاء فيها:

يا نَسمة رنّحت أعطافَ وادينا
قِفِي نحيِّيك أو عُوجي فحيِّينا

هبّتْ بنا من جنوب النيل ضاحكةً
فيها من الشرق والآمال ما فينا

أثرتِ يا نسمة السودان لاعجة
وهِجتِ عُشَّ الهوى لو كنت تدرينا

وقد لقيت القصيدة ترحيبًا واسعًا، وقام الشعراء بمعارضتها، والفنانون بتلحينها وأدائها. وفي لبنان سنة 1944 ألقى قصيدته المشهورة:

ألقيتُ للغيدِ الملاح سِلاحي
ورجعتُ أغسلُ بالدموع جِراحي

ولمحتُ ريحان الصبا فرأيتُه
ذبلتْ نضارتُه على الأقداح

لو أستطيع لبعتُ عمْري كلّه
لمُنى الصبا وأريجه النفّاح

أيامَ أوتاري تغرِّد وحدها
وتكادُ تسكر في الزجاجة راحي

وقد عارضها شاعر لبنان الكبير بشارة الخوري بقصيدة على وزنها وقافيتها تحيّة لعلي الجارم، وجاء في مطلعها:

فِتَنُ العيون وثورة الأقداح
صبغتْ أساطير الهوى بجراحي

روحٌ كما انحطم الغدير على الصفا
شُعَبًا مشعّبة إلى أرواح

للحب أكثرها، وبعض كثيرها
لرقي الجمال، وبعضها للراح

وكثيرة هي قصائد الجارم في لبنان، وفي فلسطين، وفي بغداد، وقد شكلت جزءًا من شهرته الواسعة في العالم العربي في عقدي الثلاثينات والأربعينات.

يكثر شعر المناسبات عند معظم شعراء عصر الجارم، ولا يسلم من ذلك حتّى شعراء التجديد من أمثال العقاد الذين كانوا قد نعوا في بداية ثورتهم التجديدية، شيوع هذه الظاهرة عند الشعراء المحافظين. والواقع أن طبيعة العصر ووظيفة الشعر فيه، لا بد أن يوضعا في الحسبان عند مناقشة هذه الظاهرة. وليست المناسبة في ذاتها معيّنة فمعظم الأعمال الفنية الكبرى، كان وراءها مناسبة من نوع ما، وهل يقلل من قيمة «برج إيفل» أنه أقيم بمناسبة انعقاد معرض صناعي دولي في ذلك الحين؟ أو يقلل من قيمة قصائد المتنبي أنها ترتبط بمناسبات معيّنة عند سيف الدولة أو كافور؟ لكن المهم هو كيف انطلق الشاعر من المناسبة ليقيم بناء فنيًا يشدّ الانتباه

في ذاته ولا يكون مجرّد صدى للمناسبة التي أوحت به. وكثيرة هي المناسبات الواردة في ديوان علي الجارم ومعظمها مناسبات عامة أو رسمية وشعره في كثير منها لا يخلو من جودة: أما المناسبات الخاصّة، فأعمقها تأثيرًا، فَقْدَ ابنه وهو شاب طالب بالجامعة، ورثاء الجارم له رثاء مؤثرًا، سواء بطريقة مباشرة، أو من خلال مراثيه للآخرين، ومن المقاطع التي شاعت بعد أن قدمت في الإذاعة المصرية وتناقلتها الناس، مرثية اللامية التي جاء فيها:

بنفسي في الثرى غصنًا رطيبًا
يرفُّ من الشباب ويخضَئِلُ

تضاحكُهُ لدى الإصباح شمسٌ
ويلثُمُهُ لدى الغَمْساء طَلُّ

يميلُ به النسيمُ، كأنَّ أُمًّا
يميل بصدرها الخفّاق طفلُ

وكنتُ أشمُّ ريحَ الخلد منه
واهنا في ثُراه وأستظلُّ

نأى عنّي وخلّف لي فؤادًا
يذوب أسى عليه ويضمحلُّ

توفي علي الجارم في التاسع من فبراير 1949 بعد حياة علمية وأدبية حافلة.

آثاره

إذا كان الشعر يمثل النشاط الأبرز في حياة الجارم، فإنه لم يكن النشاط الوحيد، فقد كان الجارم واحدًا من كبار الرواد في مجال الرواية التاريخية، وقد كتب تسع روايات تاريخية وهي:

1 ـ مرح الوليد، (حول العصر الأموي).
2 ـ الشاعر الطموح.
3 ـ خاتمة المطاف، (والروايتان عن المتنبي).
4 ـ فارس بني حمدان، (عن سيف الدولة الحمداني).
5 ـ سيدة القصور، (عن أواخر أيام الدولة الفاطمية في مصر).
6 ـ نفيسة المرادية، (حول الحملة الفرنسية على مصر وأواخر عهد المماليك).
7 ـ غادة رشيد، (حول أواخر الحملة الفرنسية وحملة فريزر الإنجليزية على مصر).
8 ـ هاتف من الأندلس، (حول ابن زيدون وولادة بنت المستكفي).
9 ـ شاعر ملك، (حول المعتمد ابن عباد).

وهناك رواية عاشرة حول شجرة الدر، كان الجارم قد شرع في كتابتها ولم يكملها، ولم تكن الروايات بعيدة عن عالم الشعر حيث نلتقي فيها بالمتنبي، وأبي فراس، وابن زيدون، وولادة، والمعتمد بن عباد، كما نلتقي فيها كذلك بهذه اللغة الشعرية الرصينة التي عرفت عن الجارم.

وإلى جانب الإبداع الأدبي للجارم، شاعرًا، وروائيًا، عُرف الجارم كذلك شارحًا لكتب التراث الأدبي، فشارك في شرح «بخلاء» الجاحظ، و«المكافأة» لأحمد بن يوسف الكاتب، و«الفخري في الآداب السلطانية» لابن طباطبا، إلى جانب «ديوان البارودي».

كما شارك من خلال عمله في وزارة المعارف في تأليف سلسلة من الكتب المدرسية المقررة في تاريخ الأدب العربي بلغت سبعة كتب للمراحل المختلفة إضافة إلى مساهمته في تبسيط علوم النحو والبلاغة من خلال كتب

النحو الواضح، والبلاغة الواضحة، وكذلك في مجال علم النفس حيث شارك مع الأستاذ مصطفى أمين، في وضع كتاب «علم النفس وآثاره في التربية والتعليم» الذي يعد من أوائل المؤلفات العربية في هذا المجال.

المصادر والمراجع

● الجارم، أحمد علي، الجارم في ضمير التاريخ، البحوث والمقالات المنشورة عن علي الجارم، القاهرة، 1994م؛ ● ديوان علي الجارم مع مقدّمة العقاد، دار الشروق، 1990م؛ ● سلاسل الذهب، مجموعة روايات علي الجارم، دار الشروق، 1989م؛ ● البيومي، محمد رجب، علي الجارم شاعر العروبة، الدار المصرية اللبنانية، 1997م.

د. أحمد درويش
جامعة القاهرة ـ مصر

ابن الجارود أبو محمّد، عبد الله بن عليّ

(230هـ/844م ـ 307هـ/919م)

هو عبد الله بن عليّ بن الجارود، كنيته: أبو محمد، ونسبته: نيسابوري، وُلد بنيسابور في حدود الثلاثين ومائتين للهجرة ونشأ بها. حفظ القرآن في طفولته وشبّ على الولع بجمع الحديث ومرتحلا في طلبه [الكتاني، الرسالة المستطرفة في معرفة السنّة المشرّفة، ص 25].

سمع من أبي سعيد الأجشّ، والحسن بن محمد الزعفراني، وعليّ بن خشرم، ومحمود ابن آدم، وإسحاق الكَوْسَج، وزياد بن أيّوب، ويعقوب الدورقي. وعبد الله بن هاشم الطوسي، وأحمد بن الأزهر، وأحمد بن يوسف، ومحمد بن أبي عبد الرحمٰن المقرىء، ومحمد بن يحيى الذّهلي، وعبد الرحمٰن بن بشر بن الحكم، ومحمد بن عبد الله بن الحكم، وبحر بن نصر الخولاني، ومحمد بن عثمان كرامة، وخلق كثير؛ إلى أن ينزل إلى إمام الأئمة ابن خُزَيْمَة [شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفّاظ، 3/ 794].

قال عبدُ الله الحاكمُ: إسحاق بن راهويه، وعليّ بنَ حُجر، وأحمد بن منيع من محدّثي ابن الجارود؛ غير أنّ الحافظ شمس الدين الذهبي أنكر ذلك وقال: لم أجد له شيئا عنهم، ولا أراه لَحِقَهم.

ولمّا أتقن صاحب الترجمة عِلْمَي الرواية والدراية وأصبح أحد أئمّة الأثر، تربّع لرواية الحديث، فسمع منه خلق كثير، وحدّث عنه كلٌّ من: أبي حامد بن الشرقي، ومحمد بن نافع الخزاعي المكّي، ودَعْلَج بن أحمد السِّجْزي، والقاضي يحيى بن منصور،

وغيرهم. [ابن عبد الهادي، مختصر طبقات علماء الحديث، 2/ 129].

وبخصوص وفاته، فقد اتفق المترجمون له على أنّها كانت سنة سبع وثلاثمائة (307) بمكة المكرّمة حيث دُفِن [الحافظ الذهبي، تذكرة الحفاظ، 3/ 794].

آثاره

ـ المنتقى في السنن وهو مجلّد واحد في أحاديث الأحكام، يقول عنه الحافظُ الذهبي وهو العارف الخبير بالجرح والتعديل: لم ينزل فيه صاحبه عن رتبة الحسن أبدا، وقد ذكره له الحاجي خليفة قائلا: الحافظ أبو محمد عبد الله بن عليّ بن الجارود النيسابوري، المحدّث، المجاور بمكّة، المتوفّى بها سنة سبع وثلاثمائة، صنّف «المنتقى في الأحكام»، كما ذكره له إسماعيل باشا البغدادي باسم «المنتقى في السنن» [البغدادي، إيضاح المكنون، 2/ 570].

ومن مسانيده فيه ما ذكره له الذهبي في سير، [14/ 239]، وفي تذكرة الحفاظ، [3/ 79].

يقول الحافظ الذهبي: وقع لي من حديثه عاليا، ما اتُّفقَ عليه ممّا أخبرنا به عليُّ بنُ أحمدَ بن عبد الدائم قال: أخبرنا عليّ بن هبة الله الخطيب، أخبرتنا شهدةُ الكاتبةُ، أخبرنا الحسن بن أحمدَ الدَّقّاق، أخبرنا أبو عليّ بن شاذان، أخبرنا دعلج بن أحمد، أخبرنا عبد الله بن عليّ الجارود، حدّثنا مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله قال: «لا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ».

الحديث أخرجه البخاري، [4/ 312] من طريق عبد الله بن الصباح، عن أبي عليّ الحنفي، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن ابن عمر قال: نهى رسول الله أن يبيع حاضرٌ لِبَادٍ. ولم يخرجه مسلم من حديث ابن عمر وإنّما هو عنده تحت عدد (1520) في البيوع: باب تحريم بيع الحاضر للبادي، وفي النكاح: باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه، حتّى يأذن أو يترك، من حديث أبي هريرة، وتحت عدد (1521) من حديث ابن عباس، و(1522) من حديث جابر، و(1523) من حديث أنس ﷺ.

ما أنبأنا به إبراهيم بن إسماعيل، وأحمد بن سلامة عن محمد بن أحمد الصيدلاني: أخبرتنا فاطمة الجوزدانيّة، أخبرنا محمد بن عبد الله، أخبرنا أبو القاسم الطبراني، حدّثنا عبد الله بن عليّ الجارودي، حدّثنا أحمد بن خلف: حدّثني أبي، حدّثنا إبراهيم بن طهمان، عن سماك عن عبد الله بن عَمِيرَة، عن الأحنف بن قيس، عن العبّاس قال: مرّت سحابةٌ على رسول الله فقال: «هل تدرون ما هذا؟» قلنا: السحاب، قال: «والمزن»، قلنا: والمزن. قال: أو «العَنان». قلنا: أو «العَنان». فقال: «هل تدرون بُعْدَ ما بين السماء والأرض؟» قلنا: لا، قال: «إحدى وسبعين أو ثنتين أو ثلاث وسبعين سنة، ثمّ السماء فوقها كذلك»، حتّى عدّ سبع سماوات، «ثمّ فوق السماء السابعة بَحْرٌ بين أعلاه وأسفله كبين سماء إلى سماء، ثمّ بين ذلك ثمانيّة أَوْعَالٍ بين أظْلافِهنّ ورُكَبِهِنَّ كما بين سماء إلى سماء، ثمّ على ظهورهنّ

العرشُ، بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء، ثمّ الله تبارك وتعالى فوق ذلك».

أخرجه أبو داود تحت عدد (4723) في كتاب السنّة: باب في الجهميّة، والترمذي (3320) في التفسير: باب ومن سورة الحاقة، وابن ماجة (193) في المقدّمة: باب فيما أنكرت الجهميّة، وأحمد في «مسنده» [1/ 206]، كلهم عن طريق سمّاك عن عبد الله بن عَميرَة.

قال الحافظ الذهبي: «إسناد هذا الحديث ضعيفٌ لجهالة عبد الله بن عَميرَة».

المصادر والمراجع

● ابن عبد الهادي، مختصر طبقات علماء الحديث، دار المعرفة، القاهرة 1299هـ/ 1881م؛ ● الذهبي، الحافظ شمس الدين، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلميّة، بيروت (د. ت.)؛ ● حاجّي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر ببيروت (د. ت.)؛ ● الكتّاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنّة المشرّفة، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت 1406هـ/ 1986م؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون، دار الفكر، بيروت (د .ت.)؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت 1412هـ/ 1992م، ط8.

د. حسن مزيو
جامعة الزيتونة ـ تونس

الجاسر، حمد بن محمد

(ت 1421هـ/ 2000م)

هو حمد بن محمد الجاسر النجدي السعودي، بحّاثة ومحقق وصحفي، وأديب، ولد بقرية البرود في إقليم السر من أسرة فقيرة، تمتهن الفلاحة، ونشأ مريضا لا يقوى على المشي لمدة أربع سنوات، تعلم في الكتّاب بقريته، ثم التحق بالرياض سنة 1340هـ/ 1921م ومكث فيها نحو سنة عند قريب للأسرة حفظ فيها بعض المختصرات، وأتمّ حفظ القرآن الكريم، ثم تنقل في طلب العلم ما بين قريته والرياض سنوات عديدة، تلقى فيها العلم على عدد من أشهر الشيوخ النجديين في تلك الفترة، كالشيخ سعد بن حمد بن عتيق قاضي البادية التابعة للرياض، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ قاضي الرياض، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وغيرهم. وفي سنة 1348هـ/ 1929م قصد مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وأثناء وجوده في مكة التحق بالمعهد الإسلامي

السعودي الذي كان يديره محمد بهجة البيطار الدمشقي، وتخرّج فيه متخصصا بقسم القضاء الشرعي، وقد درّسه في المعهد المذكور نخبة من شيوخ العلم الذين استقدموا من بلدان مختلفة، ومنهم الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ محمد رشيد رضا، وغيرهما، إضافة إلى مدير المعهد محمد بهجة البيطار؛ وبعد أن عمل في التدريس والقضاء سافر إلى القاهرة في عداد بعثة المعارف التي أوفدتها الحكومة السعودية لمتابعة الدراسة فالتحق بقسم التاريخ بكلية الآداب لكنه لم يكمل دراسته بها بسبب قيام الحرب العالمية الثانية. ولما عاد إلى بلاده، عمل في سلك التعليم مدرّسا ثم مديرا للتعليم بنجد، فوكيلا لمدير الكليات والمعاهد العلمية بالرياض، فمديرا لكليتي الشريعة واللغة العربية؛ كما عمل أستاذا غير متفرغ في جامعة الملك سعود بالرياض.

بعد ذلك تفرغ للعمل في الصحافة منذ سنة 1372هـ/ 1953م، فأنشأ صحيفة «اليمامة» التي أصدر عددها الأول في ذي الحجة سنة 1372هـ/ أغسطس 1953م. وهي أول صحيفة تصدر في الرياض. وكذلك كان مؤسس أول مطبعة في الرياض سنة 1374هـ/ 1955م. كما أنشأ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر سنة 1386هـ/ 1966م، وأصدر عنها مجلة «العرب» في رجب سنة 1386هـ/ أكتوبر 1966م، وسلسلة كتب بعنوان: «نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب».

عين عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق منذ سنة 1372هـ/ 1952م، وعضوا في المجمع العلمي العراقي منذ سنة 1374هـ/ 1954م، وعضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ سنة 1378هـ/ 1958م، وفي المجمع العلمي الهندي، وفي رابطة الأدب الحديث بالقاهرة.

وتقديرا لجهوده في الأدب والثقافة في المملكة منح جائزة الدولة التقديرية في الأدب سنة 1404هـ/ 1984م. كما تم تكريمه من قبل قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية أثناء القمة العاشرة التي عقدت بسلطنة عمان في جمادى الأولى سنة 1410هـ/ ديسمبر 1989م.

كما اختاره المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) ليكون شخصية العام 1415هـ/ 1995م حيث احتفى به تلاميذه ومحبوه.

وحصل أيضا على جائزة الإنجاز الثقافي والعلمي التي تقدمها مؤسسة سلطان العويس الثقافية بدولة الإمارات العربية المتحدة سنة 1416هـ/ 1996م.

كان حمد الجاسر بحق علامة الجزيرة العربية مفكرا وأديبا ومؤرخا ومحققا وجغرافيا وصحافيا وناشرا، وشهد بمكانته العلمية كبار مفكري عصره أمثال: عباس محمود العقاد، وأحمد حسن الزيات، وطه حسين.

وقد بدأ حياته شاعرا لكنه ما لبث أن ترك الشعر وتفرغ للبحث العلمي والتحقيق والدراسات التاريخية والجغرافية، واهتم بصفة خاصة بجمع وتحقيق التراث العربي، وتحديد الأماكن والمواضع الجغرافية في الجزيرة العربية.

وكانت له رحلات علميّة عديدة إلى بلدان كثيرة، اطلع خلالها على نفائس

المخطوطات، وأصبح من أهم الخبراء في شأنها، يسأل عنها من قبل العلماء وطلبة العلم على حد سواء. وكان دمثا، طيب القلب، رحيما، كريما لزوّاره ولمن يعمل في مساعدته وخدمته، وكان أسعد ما يكون بتقديم خدمة قيمة لزائره، ولا سيما إن كان لأمر مصورة لمخطوطة نادرة ليسهم بنشرها وإيصالها إلى أيدي القراء. وتحولت داره في الرياض إلى محجّ للعلماء والباحثين يقصدونه للجلوس إليه والاستفادة من واسع خبرته في أبواب العلم، وعلى الخصوص في شؤون الأنساب وجغرافية البلدان.

وكانت وفاته عن عمر ناهز 93 عاما في وقت مبكر من صباح الخميس 16 جمادى الآخرة سنة 1421 هـ/ 14 سبتمبر 2000 م، بعد 10 ساعات من العملية الجراحية التي أجريت له في مستشفى ماساشيوستس العام بالولايات المتحدة الأمريكية، لإصابته بمرض التكلس في الرقبة مما كان يعيقه عن الحركة [الفيصل، عدد289، ص 122].

آثاره

1 - سوق عكاظ؛ 2 - مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، ط1 سنة 1386هـ/ 1966م، 3 - رسائل في تاريخ المدينة المنورة، ط. 1392هـ/ 1972م؛ 4 - في سراة غامد وزهران، نصوص، مشاهدات، انطباعات، ط. 1397هـ/ 1977م؛ 5 - المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - المنطقة الشرقية، ط. 1399هـ/ 1979م؛ 6 - رحلات للبحث عن التراث، الجزء الأول، ط. 1400هـ/ 1980م؛ 7 - معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ط. 1400هـ/ 1980م؛ 8 - جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ط. 1401هـ/ 1981م؛ 9 - في شمال غرب الجزيرة، مشاهدات: نصوص، انطباعات، ط. 1401هـ/ 1981م؛ 10 - المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ط. 1401هـ/ 1981م؛ 11 - المعجم الجغرافي للبلاد السعودية - شمال المملكة (حائل والجوف وتبوك وعرعر والقريات)؛ 12 - البرق اليماني في الفتح العثماني، وهو تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري تأليف قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي 1387هـ/ 1967م؛ 13 - بلاد العرب، تأليف الحسن بن عبد الله الأصفهاني. ذكر حمد الجاسر أن رشدي الصالح ملحس كان قد أتم تحقيق الكتاب، ولكن نسخة الكتاب المعدة للنشر ضاعت بعد وفاته ، وقد هَمَّ الباحث العراقي صالح العلي بتحقيقه، ولما علم برغبة حمد الجاسر في تحقيقه أرسل له المسوَّدة التي لديه، وكان هناك خلاف على نسبة الكتاب إلى الأصمعي بدلا من الأصفهاني. صدر بالرياض سنة 1388هـ/ 1968م بتحقيق حمد الجاسر وصالح العلي؛ 14 - المغانم المطابة في معالم طابة تأليف الفيروز آبادي، ط. 1389هـ/ 1969م. كان حمد الجاسر قد ألقى بحثا بعنوان «كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية العرب» أمام الندوة العالمية لدراسات الجزيرة العربية بجامعة الملك سعود سنة 1387هـ/ 1967م ذكر فيها العديد من كتب التراث التي تعنى بالأماكن الجغرافية ومنها كتاب المغانم المطابة الذي حقق منه في ما ذكر قسم المواضع الذي يمثل القسم الخامس من الكتاب؛ 15 - المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تأليف

الإمام أبي إسحاق بن إبراهيم الحربي. وحدث أن اختلف في مؤلف هذا الكتاب. فعندما صدرت طبعته الأولى عن دار اليمامة سنة 1389هـ ذكر حمد الجاسر أن مؤلفه هو أبو إسحاق بن إبراهيم الحربي، لكنه في الطبعة الثانية أشار إلى أن المؤلف ربما يكون الحربي أو تلميذه محمد بن خلف أو القاضي وكيع؛ 16 ـ صفة جزيرة العرب، تأليف الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني، ط دار اليمامة سنة 1394هـ/ 1974م؛ 17 ـ أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها، تأليف الحسين بن علي المغربي 1400هـ/ 1980م؛ 18 ـ الإيناس في علم الأنساب، تأليف الحسين بن علي المغربي، ط. 1400هـ/ 1980م؛ 19 ـ معجم الشيوخ، تأليف عمر بن فهد الهاشمي المكي، تح. محمد الزاهي، ومراجعة حمد الجاسر، ط. 1402هـ/ 1982م؛ 20 ـ ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي، ط. 1403هـ/ 1983م؛ 21 ـ مقتطفات من رحلة العياشي، ط. 1404هـ/ 1984م.

المصادر والمراجع

● الجاسر، حمد، كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب، الأبحاث المقدمة للندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية 1397هـ/ 1977م، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الرياض، مطابع جامعة الرياض 1979م، ص229 ـ 244؛ ● سلم، أحمد سعيد، موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاما 1350 ـ 1410هـ، القسم الأول، نادي المدينة المنورة الأدبي سنة 1412هـ/ 1992م، ط1؛ ● الضبيب، أحمد محمد، حمد الجاسر عاشق التراث، المجلة العربية، العدد 222، رجب 1416هـ/ ديسمبر 1995م، ص 58 ـ 56؛ والعدد 223، شعبان 1416هـ/ ديسمبر 1996، ص5 ـ 58؛ ● رحيل علامة الجزيرة العربية، مجلة الفيصل السنة 25، العدد 289، رجب 1421هـ/ سبتمبر ـ أكتوبر 2000م، ص 122 ـ 123؛ ● الأنصاري، عبد الرحمٰن الطيب، افتتاحية العدد، مجلة أدماتو، العدد الثالث، شوال 1421هـ/ يناير 2001م.

د.عبد الرحمن الطيب الأنصاري
جامعة الملك سعود ـ الرياض
محمود الأرنؤوط
دمشق ـ سوريا

الجامع، عبد الله بن عثمان بن جمعة

(1192هـ/1778م - 1278هـ/1861م)

عبد الله بن عثمان بن جمعة بن عبد ربه ابن جامع، شاعر، أديب [التاجر، محمد، منتظم الدرين، ترجمة 520؛ الخاطر مبارك، المغمورون الثلاثة ص 17 و18]. ولد في مدينة «الزبارة» بـ«قطر» حوالي عام 1192هـ/ 1778م وتعلّم في أحد كتاتيبها وأخذ العلم عن والده، ثمّ رحل إلى «الأحساء»، وكانت أحد المراكز العلميّة في الخليج العربي آنذاك، وتتلمذ على عدد من علمائها، أهمّهم الشيخ «محمد بن فيروز» (ت 1212هـ/ 1797م) وقد أخذ عنه علم الفقه وأصوله. ثمّ تتلمذ على يد الشيخ راشد بن محمد بن خنين (ت ؟) وأخذ عنه علوما دينيّة أخرى.

ثمّ انتقل إلى خلفه الشيخ الشاعر عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي (ت 1221هـ/ 1806م) وأخذ عنه علم النحو وبعض علوم اللغة [الخاطر، المغمورون، ص 18؛ مجلة الوثيقة، ع4/ 35 و37].

وحين طمح إلى المزيد من العلم، شدّ رحاله إلى «مكّة المكرّمة» و«المدينة المنورة» واحتكّ بعلمائها، كما يمم نحو اليمن وبلاد الشام، ووفد على مدينة «حلب» [ابن سند، سبائك العسجد، ص 60، التاجر، ترجمة 520]، وقد عادت عليه تلك الرحلات عمقا في الثقافة، واتساعا في ألوانه المعرفية، فغدا حجّة في رواية الحديث وعلوم القرآن ومعانيه، وشدّ بذكائه وتميّزه نظر شيوخه ونال إعجابهم فقال عنه أستاذه عبد الله البيتوشي: «هو من أجلّ من قرأ عندي وورى زنده من زندي». [الخاطر، المغمورون، ص 19؛ ابن سند، سبائك العسجد، ص 59؛ مجلة الوثيقة، ع4/ 35].

بعد عودته إلى مدينة «الزبارة» رافق التاجر المعروف آنذاك الشيخ أحمد بن رزق (ت 1224هـ/ 1809م)، وأصبح من جلسائه وكوكب مجلسه وساعده الأيمن هو مع أبيه عثمان بن جامع الذي كان قاضي القضاة في الزبارة [سبائك العسجد ص 60؛ مجلّة الوثيقة، ع4/ 37].

بعد دخول «آل خليفة» البحرين عام 1179هـ/ 1782م، وتدفّق القبائل الموالية لهم عليها تباعا، رحل الشيخ عثمان، والد المترجم إليها عام 1210هـ/ 1795م، وحطّ رحله في مدينة «المحرّق» وعمل في القضاء والتدريس والفتيا بطلب من حكامها الجدد، وكان بصحبته أبناؤه ومنهم «عبد الله» المترجم.

وفي البحرين احترف المترجم تجارة اللؤلؤ، وكانت رائجة آنذاك. ومن مدينة «المحرق» انطلق في رحلاته التجارية إلى «الهند» وجنوب شرق آسيا يحمل اللآلئ والأصداف، لكنه ظلّ متعلّقا بالأدب والشعر والعلوم، وبقي مقيما في

البحرين إلى أن توفاه الله في عام 1278هـ/ 1861م ودفن في مدينة «المحرق» [الخاطر، المغمورون، ص 21].

تميّز الجامع بمقدرة أدبيّة جيدة وبمهارة في الكتابة والنظم على النمط السائد في عصره. وقال عنه مترجموه: «سارت بدائعه في سائر الأقطار سير المثل، فضله الجليّ اللامع أنور من البدر الساطع، لسانه ينبوع البلاغة، وبنانه يقطف من خمائله نور البراعة، نظمه الغزير أرقّ من فؤاد العاشقين» [الخاطر، المغمورون، ص 19؛ النويدري، أعلام الثقافة ج3/ 431].

المترجم شاعر مقلّ، ويغلب على شعره النظم، والموضوعات ذات الصلة بالدين، ومما قاله في وصف الأنبياء وخلق آدم: [مجزوء الكامل]

الانبياءُ الأصفياءُ
الاتقياءُ الابرياء

الناصحُون الفاتحون
الأسخياءُ الاكفياء

الحاكمُون عدالةً
القامِعون الاطغياء

لكنَّ فضل محمَّدٍ
فوق الجميع بلا رياء

من زاغ منهم بعده
كانت عليه دواهياء

[الخاطر، المغمورون، ص 22]

ويقول في موضوع الإحسان: [الرمل]

مبدأ الإحسان يبدي ويعيد
ضامنًا بالحمْد والشكر المزيد

نعمةٌ واجبها الشكر فما
يشكرُ النعمةَ إلّا مستفيد

قد جرت عاداتُه في خلقه
ومن التَّبْيين فيها ما يريد

إنّ للرحمن فيها موعدًا
وهو لا يخلف وعد المستزيد

[الخاطر، المغمورون، ص 21]

ولابن جامع قصيدة تحكي حادثا تعرض له في بعض أسفاره نجا منه بأعجوبة، وذلك حين غادر البصرة إلى الهند بغرض الاتجار في اللؤلؤ، وإبّان الرحلة أصابهم إعصار مصحوب بمطر غزير أغرق السفينة وحطمها. فامتطى الشيخ عبد الله لوحا من ألواح السفينة، وبقي متشبثا به ما يربو على الثلاثة أيّام، ثمّ مرّت سفينة أنقذته، حيث حملته إلى مدينة «كلكته» بالهند، وما لبث أن عاد إلى «البصرة»، فالبحرين، وممّا قاله في وصف ذلك الحادث: [الطويل]

تيمّمت ارضَ الهند ابغي تجارةً
وارتاد إنجاح الأماني الخوائب

وخلّفتُ اصحابا واهلاً ببلدة
سقاها من الوسمّي صوبُ السواكب

هي البصرةُ الفيحاء لازال ربعُها
خصيبًا واهلُوها باعلى المراتب

فلما علوت اليمَّ في الفلك وارتمت
تسير بنا في لجّةٍ كالغياهب

أحاطتْ بنا الأمواجُ من كلِّ جانبٍ
وكشّرن عن أنياب أسود ساغب

وأقبل ريحٌ صرصر ثمّ قاصف ترى
البرق في أرجائه كالقواضب

فلما رأينا ما رأينا تطايرتْ قلوبٌ
لنا نحوَ المليك المراقب

نعجّ إلى المولى بإنجا نفوسنا
ونسأله كشفَ الملمّ المواثب

[الخاطر، المغمورون، ص 20]

ومع تقليديّة شعره، عمد الجامع إلى ربط الشعر بالحياة في القصيدة الأخيرة، مما جعل بعض أشعاره ترتبط بالواقع وبتجربة فنية حقيقيّة.

■ المصادر والمراجع

● التاجر، محمد علي، منتظم الدرين في أعيان الأحساء والقطيف والبحرين، ترجمة 520، نسخة مخطوطة بخط المؤلف؛ ● الخاطر، مبارك، المغمورون الثلاثة، نشر المؤلف، البحرين 1989، ص 15 ـ 24؛ ● ابن سند، عثمان، سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد، طبع مطبعة البيان، بمبي الهند 1315هـ/ 1897م، ص 58 ـ 60؛ ● النويدري سالم، أعلام الثقافة الإسلاميّة في البحرين، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 1992، 3/ 430 ـ 433؛ ● مجلّة الوثيقة، العدد 4 يناير 1984، وهي مجلّة نصف سنويّة تصدر عن مركز الوثائق التاريخيّة، بمملكة البحرين، ص 35 ـ 37.

د. أنيسة أحمد خليل المنصور
جامعة البحرين

■ الجامي، نور الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أحمد

(817هـ/1414م ـ 898هـ/1492م) ■ ■ ■

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد، كنيته (نور الدين أبو البركات)، وعرف بالجامي، نسبة إلى «جام»، وهي قصبة في خراسان. ولد في قرية «خرجرد» من قرى «جام»، وهي تقع بين مشهد وهراة، وينتهي نسبه إلى محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت.

تزوّج الجامي ابنة مرشده في الطريقة النقشبندية، وله أربعة أبناء [كحالة، معجم المؤلفين، 15/ 122؛ الزركلي، الأعلام، 4/ 67].

نشأ الجامي في بيوت العلم والمعرفة، فقد تتلمذ على يد أبيه في علوم اللغة، ثم انتقل معه إلى «هراة» ودخل المدرسة النظامية،

وقال عنه صاحب البدر الطالع: «اشتغل - أي الجامي - بالعلوم أكمل اشتغال، حتى برع في جميع المعارف، ثم صحب الصوفية، فنال من ذلك حظا وافرا، وكانت له شهرة واسعة في خراسان ومقدرة علمية وسبر للحقائق، ونظر إلى العلوم نظرة نقدية، فقد انتقد كتب ابن سينا، ورأى أن الفلسفة تؤدي إلى الكفر والضلال [الجامي، الفوائد الضيائية المقدمة، ص 50 - 52].

قادته نشأته العلمية ومسلكه الصوفي إلى معرفة الحقيقة معرفة بصر وبصيرة، وأقبل نتيجة الخلافات والتطرّف على أهل التصوّف، فالتحق بالطريقة النقشبندية، وسلك سبيل الرياضة والمجاهدة وتجنّب معاشرة الخلائق ما يقرب عن ستة أشهر، امتنع فيها عن مخاطبة الناس، وعكف على العبادة والصمت، وكان ذلك على يد مرشده سعد الدين الكاشغري شيخ الطريقة النقشبندية آنذاك. كذلك صحب الجامي الشيخ عبد الله أحرار السمرقندي، وانتسب إليه وظل مريدا له إلى نهاية عمره [الجامي، الفوائد الضيائية، مقدّمة المحقق، ص 58]. تعلم الجامي على يد أبيه نظام الدين أحمد الدشتي علوم العربية، والجنيد الأصولي، وشهاب الدين الحاجري، وخواجه علي السمرقندي.

أما تلامذته فهم: عبد الغفور اللاري، ولقبه الجامي بـ «رضيّ الدين»، إبراهيم بن محمد عصام الدين الاسفرائيني [حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 454 و2/ 1372].

يعدّ تأليف الجامي «الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية المتكلّمين أو الحكماء في وجود الله تعالى وصفاته ونظام العالم» رسالة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلّمين والحكماء، وكيفية صدور الكثرة عن وحدته من غير نقص في حال قدسه.

وفي الوحدانية ينتهي الجامي إلى تقرير أنّ حقيقة الواجب الوجود هو الوجود المطلق، وكأنّ ما عداه ممّا يشاهد أو يفعل أو يتخيّل فهو الموجود أو الوجود الإضافي، وفي الصفات يقول: إنّ ذات الله تعالى كاملة لا تحتاج إلى شيء، فكلّ محتاج ناقص، وهذا لا يليق بالذات الإلهية، فذاته تعالى كافية الكلّ في الكلّ، فهي بالنسبة إلى المعلومات علم، وإلى المقدورات قدرة، وهي واحدة ليس فيها اثنينية [الدرة الفاخرة، ص 207، 209]، ويقول في علمه بالأشياء على وجهين: الأول من حيث سلسلة الترتيب، والثاني من حيث علم شهودي بها عند وجودها. وبالحقيقة الموجودات كلها بالنسبة إليه تعالى حالية، فإن الأزمنة متساوية بالنسبة إليه، حاضرة عنده؛ ويقول في الإرادة إنها زائدة على ذاته، لكن بحسب التعقل لا بحسب الخارج [الدرّة الفاخرة، ص 217 - 218].

وفي صفة الكلام يقول: هي صفة من صفات الربوبية، وصفة الباري تعالى لا تحدّ ذاته ولا ترسمه، فليست إذا أشياء زائدة على العلم الذي هو حقيقة الله تعالى، فإذا أضيف علمه إلى استماع دعوة المضطرّين بالسميع، وإذا أفاض من مكنونات علمه على قلب أحد من الناس من الأسرار الإلهية، ودقائق جبروت الربوبية يقال متكلّم، فلا

يبعد، أن يكون الكلام بالحروف بها كما يليق بجلاله، فإذا نحقق ما قرّرناه تبيّنت أن الكلام لله تعالى هو هذا المقروء المسموع الملتفظ به، المسمّى توراة وزبورا وقرآنا [الدرة الفاخرة، ص 226].

وفي مسألة صدور الكثرة من الواحد، يقول الجامي: يجوز ذلك في المبدإ الواحد كثرة الاعتبارات المنشئة بعضها عن بعض، المبتدئة من اعتبار واحد، وهو الصادر الأول وتنشأ منه الاعتبارات الأخرى، فتصدر أمور وجودية عينية [الدرة الفاخرة، ص 213].

هذه أهمّ الأفكار التي وردت في «الدرة الفاخرة»، وهي تمثّل أكثر الإشكالات جدلا في الفكر الإسلامي.

آثاره

أ ـ آثاره باللغة العربية:

1 ـ الدرّة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية المتكلمين أو الحكماء في وجود الله تعالى صفاته ونظام العالم، مطبوع مع أساس التقديس للفخر الرازي، مصر، 1354هـ/1935م، ص 189 ـ 199، 217 ـ 218، 213 ـ 226؛ 2 ـ تفسير القرآن الكريم؛ 3 ـ شرح دعاء القنوت؛ 4 ـ تاريخ هراة؛ 5 ـ شرح الكافية لابن الحاجب في النحو؛ 6 ـ شرح النقابة مختصر الوقاية في الفقه الحنفي؛ 7 ـ رسالة لا إله إلا الله؛ 8 ـ شرح الرسالة العضدية؛ 9 ـ شرح نصوص الحكم لابن عربي؛ 10 ـ الفوائد الضيائية.

ب ـ آثاره باللغة الفارسية:

1 ـ أشعة اللّمعات، إرشادية بهارستان؛ 2 ـ تاريخ هراة؛ 3 ـ جهل الحديث؛ 4 ـ ديوان قصائد وغزليات؛ 5 ـ رسالة أركان الحج؛ 6 ـ رسالة صغيرة درمعمس؛ 7 ـ رسالة في العروض؛ 8 ـ رسالة في الوجود بحسب القسمة العقلية؛ 9 ـ رسالة في السلسلة النقشبندية؛ 10 ـ الرسالة النائية؛ 11 ـ لجة الأسرار؛ 12 ـ لوائح؛ 13 ـ شرح حديث أبي ذر العقيلي؛ 14 ـ شواهد النبوة أو مع أنوار الكشف والشهود؛ 15 ـ مناقب الشيخ جلال الدين الرضي؛ 16 ـ نفحات الأنس؛ 17 ـ مناقب شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري؛ 18 ـ رسالة في الاصطرلاب؛ 19 ـ رسالة في الموسيقى؛ 20 ـ رسالة في الهيئة؛ 21 ـ الصرف المنظم؛ 22 ـ هدية الخلّان في الطائف البيان؛ 23 ـ رسالة في المعمر المتوسط؛ 24 ـ مثنويات وهفت اورنك (معناها الكواكب السبعة).

المصادر والمراجع

• كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، إحياء التراث العربي، بيروت، ج 15، ص 122؛ • حاجي خليفة، كشف الظنون، الهند، دار سعادات، د. ت.، ص 454 ـ 886، 4/ 67 ط 3.

د. عبد الكريم سلمان محمد الشمري
جامعة الموصل ـ العراق

ابن جاني المتطبب، شعبان بن إسحاق

(ق 11هـ/17م)

شعبان بن إسحق، ابن جاني الإسرائيلي، طبيب، باحث، مترجم، مؤلف، عاش في ق11/ 17م، في منطقة بلاد الشام أو تركيا، ولا نعرف أي تفصيل مفيد عن حياته، أو ظروف نشأته، والأماكن التي زارها أو عاش فيها، فقد أهملته كتب التراجم والطبقات وقد أسماه حاجي خليفة «ابن حافي المتطبب» [كشف، 1/ 863] وهو تصحيف، ولكنه كان طبيبًا عمليًا، استرعى انتباهه بعض العادات الاجتماعية التي سادت في زمنه (ق 11هـ) ألا وهو تدخين أوراق التبغ، حيث استشرى إدمان التدخين بين كافة الطبقات الاجتماعية حتّى تناولته النساء أيضًا، وأفرط البعض في تعاطيه حتّى درجة الوفاة، جهلا بأضراره وآثاره الصحيّة السلبية على الجسم، فدأب في التفتيش عمّا ذكر عن نبات التبغ في كتب القدماء أمثال ابن سينا وابن البيطار وغيرهما... فلم يجد بغيته أبدًا «لأنّ هذا النبات لم يكن معروفًا لديهم، وليس للتبغ ذكر في المعجمات ولا المفردات، لأنّ القارة الأمريكية مهده، ولم يعرفه العرب ولا الأوروبيون ولا غيرهم قبل الكشف عنه» [شهابي، ص 738].

ويعبّر عن ذلك قائلا: «قصدت قصدًا تامًا بمعرفة هذا النبات، أعني ماهيته وكيفيته، وشرعت في تتبّع الكتب الطبية والرسائل الكمية مع قلّة البضاعة في هذه الصناعة ونظرت برهة من الزمان، فما وجدت أحدًا من المتقدّمين أو المتأخرين من يذكر هذا الدواء» [رسالة في مضمار شرب الدخان: مخطوط، دار الكتب الظاهرية، دمشق، رقم 7136، ورقة 142أ] ثم عثر على رسالة كتبها طبيب اسمه برنارديس ويذكره حاجي خليفة باسم موتاروس [كشف، 1/ 863]، وصفه قائلا: «وجدت رسالة إفرنجية لطبيب حاذق من المتأخرين في بلد إسبانيا اسمه برنارديس يذكر فيها هذا النبات وماهيته وكيفيه فصرفت العنان إلى ترجمة هذه الرسالة باللسان العربي» [م.ن].

ولا يذكر ابن جاني هل الرسالة التي وجدها مخطوطة أو مطبوعة، ولا بأي لغة مكتوبة: أباللاتينية أم الإسبانية، ولكن على الأغلب هي باللاتينية، وهذا قد يدلّنا على أنّه يجيدها، وترجمته المذكورة دلالة على إرهاصات وبدايات متواضعة في القرن السابع الميلادي لترجمة الرسائل والكتب الطبية إلى العربية، كما فعل الطبيب صالح نصر الله بن سلوم الحلبي (ت 1081هـ/ 1670م) بترجمة كتاب العالم السويسري باراسلز Paracelse (1493 ـ 1541م) من اللاتينية إلى العربية بعنوان «غاية الإتقان في تدبير الإنسان» وتلك دلالات مهمة تثبت على أنّ عصر النهضة الطبية في الديار المصرية والشامية الذي بدأ

مع تأسيس المدرسة الطبية في أبي زعبل عام 1827م في مصر، بدأت تراكماته قبل قرنين أي في القرن 17م.

أطلق ابن جاني تسمية «طباقو» على أوراق التبغ، وهو مصطلح معرّب من Tabacco الإسبانية الأصل، وهو اسم جزيرة صغيرة تاباغوا من مجموعة جزر الانتيل Antilles (جزائر الهند الغربية سابقًا)، موجودة في خليج المكسيك.

ومن المعروف، أنّ العالم القديم قد عرف أوراق التبغ بعد رحلة كريستوف كولمبس الشهيرة إلى القارة الأمريكية عام 1492م حيث شوهد السكان الأصليون الذين يطلق عليهم خطأ الهنود يدخنون أوراق هذا النبات.

ونظرًا إلى أنّه نبات غير معروف سابقًا ومستورد، فقد عومل في البداية على أنه دواء، ولما ظهرت آثاره الصحية الوخيمة بدأت نظرة الشك والارتياب تحيط به وذلك في القرن السابع عشر الميلادي، وانبرى الكثير من الأطبّاء ورجال الدين والمؤلفين، إلى كشف هذا النبات المجهول الهوية والماهية وبيان طبيعته وآثاره، من النواحي الطبية والشرعية، وحكم تعاطيه، وكل ما يتعلّق به ونذكر منهم: الطبري، محيي الدين عبد القادر (ت 1033هـ/ 1624م)، رفع الاشتباك عن تناول التنباك [بروكلمان، الترجمة العربية، 9/ 9]، والاسفراييني بن الملا عصام (ت 1037هـ/ 1627م)، رسالة في تحريم الدخان [بروكلمان، الترجمة العربية، 9/ 18]، والنبوي، أحمد (ت 1037هـ/ 1627م)، شد الآذان عن ذكر الدخان [بروكلمان، الترجمة العربية، 9/ 35]، الانقروي، إسماعيل بن أحمد (ت 1042هـ/ 1632م)، كشف اللسان عن حكم الدخان [الأعلام، 1/ 309].

آثاره

- «رسالة مضار شرب الدخان»، يبدأها بالإشارة إلى انتشار ظاهرة التدخين في عصره وجهل العامة بأضراره، ويقدم عرضًا تاريخيا لنبات التبغ واستعماله دواء في «بلاد الهند» أي القارة الأمريكية، ويذكر أنه تم التعرف على نبات التبغ إثر رحلة كريستوف كولومب، ويعتمد على رسالة برنارديس في جزر الهند الغربية في استخدام أوراق التبغ.

يتميز ابن جاني بأمانته في النقل، ولكن المستوى العلمي للرسالة متوسط، واكتفى ابن جاني بالتركيز على الجانب الطبي في استخدام أوراق التبغ في المعالجات، ولم يتعرّض لعادة التدخين بشكل مفصل وما تتركه من آثار على الجسم، كما أنّ حجم الرسالة قصير، 4 أوراق، حاول فيها ابن جاني تلخيص رسالة برنارديس وبيان رأيه في بعض المسائل.

وعلى ما يظهر فإن «رسالة في مضار شرب الدخان» كان لها أهمية في زمنها، فقد قام الشيخ العلامة عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت 1143هـ/ 1730م) في أوائل القرن الثاني عشر الهجري (17م) بنسخها بخط يده ضمن مجموع يحتوي على أحاديث نبوية، وحكم وأشعار، وفقه ولغة.

المصادر والمراجع

- حاجي، خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب

العلمية، بيروت، 1413هـ/ 1992م، 1/ 863؛ ● الخيمي، صلاح محمد، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الطب والصيدلة، الجزء الثاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1401هـ/ 1981م، ص 138 ـ 140؛ ● رمضان، ششن، ورفاقه، فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول 1984، 2/ 228؛ ● رمضان، ششن، ورفاقه، فهرس مخطوطات الطب الإسلامي في مكتبات تركيا، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول 1984؛

- Brockelmann. C., Geschichte der Arabische Litteratur, Leyden, Brill, 1949, S, II, p. 1031.

د. محمد فؤاد الذاكري
باحث في التراث العلمي العربي
حلب ـ سوريا

جاويش، عبد العزيز

(1293هـ/1876م ـ 1348هـ/1929م)

رجل فريد في زمانه حقا، فلقد جمع بين العديد من المهام في شخصيّة واحدة، فقد كان سياسيًا يمارس السياسة ولا يكتفي بالكتابة فيها، وكان مربّيا من طراز عظيم يمارس التعليم ويكتب في نظرياته، وكان مجدّدا في الفكر الديني، ضمن المدرسة التي أسّسها جمال الدين الأفغاني، وكان صحفيًا يدير صحفا ويكتب المقالات الجادّة، وكان مصلحا اجتماعيا ينشد تغيير المجتمع والنهوض به.

لا نظنّ أنّ مصر شهدت من جسام الأحداث مثلما شهدت طوال فترة حياته، فقد شهد جاويش الانقلاب الكبير الذي أحدثته أفكار الأفغاني فتشيّع لها، وألقى بكل ثقله في مدرسة الحزب الوطني الذي أسّسه مصطفى كامل: ووعى النكبة التي ابتليت بها مصر من جراء الاحتلال البريطاني فآثر أن يستند إلى فكرة الجامعة الإسلاميّة، ومن المرجّح أن يكون جدّه حسن جاويش جاء مهاجرا من جنوب تونس فاستقرّ بعض الوقت في بنغازي بليبيا، وأنعم الله على ابنه خليل جاويش بأن ينجب عبد العزيز، الذي انتقل بعد ذلك إلى مصر مستقرّا فيها.

واتّجه جاويش إلى الأزهر بهدف التعليم، لكنّه لم يستمرّ طويلاً به إلّا عاما واحدا، إذ التحق بعد ذلك بدار العلوم وتخرّج منها عام 1897، فأرسل في بعثة إلى بريطانيا، حيث قضى ثلاث سنوات بجامعة بروروود يتعلّم فيها علوما تربويّة، وعاد إلى مصر عام 1901 ليعمل مفتّشا، لكنّه يعود بعد عام واحد إلى

بريطانيا ليعمل طيلة خمس سنوات أستاذا للغة العربية في أكسفورد.

وعندما عاد إلى مصر عمل مفتّشا للغة الإنجليزية، وهو الشيخ المعمّم، وألّف كتابا في التربية كان من أوائل ما كتب في التربية كعلم في الوطن العربي، لكن طوفان السياسة جرفه، فاستقال من وزارة المعارف عام 1908 ليرأس جريدة الحزب الوطني بعد أن توفّي زعيمه مصطفى كامل وتولّى محمّد فريد الرئاسة بعده، وطوال هذه الفترة كان حريصا على أن يسيِّر الجهاد والنضال على ساحتين، الأولى، الكلمة الحرّة يكتبها في الصحف دون أن يخشى في الحق لومة لائم، ممّا جرّه عدّة مرّات إلى تقديمه للمحاكمة وكثرة الإنذارات، وسجن ثلاثة شهور نتيجة إحدى هذه المحاكمات؛ الساحة الثانية هي العمل على إعادة بناء الشخصية لأبناء الأمّة عن طريق التربية والتعليم.

واحتلّت قضيّة التعليم مكانا بارزا في كتاباته في صحيفة «اللواء»، حتّى أنه كان يوجّه النقد المرير إلى وزارة المعارف التي كان يرأسها الزعيم الشهير سعد زغلول. ونتيجة الحرب الضارية التي كانت تشنّ ضدّه، اضطرّ إلى الخروج من مصر، ليعيش خارجها منفيّا إلى عام 1923م.

الميزة الكبرى في جاويش حقّا أنه مع اهتمامه الاهتمام الشديد بالشأن السياسي نظرا لظروف الاحتلال الإنجليزي لمصر، كان يعي تمام الوعي بأنّ تربية الأمّة وتعليم أبنائها هو طريق أساسي لا بدّ منه حتّى يمكن كسر شوكة الاحتلال، فضلا عن قناعته بأنّ المسألة ليست مجرّد كمّ من المعلومات يحصّله التلاميذ، وإنّما هو تربية بالدرجة الأولى تتّجه إلى التنمية المتكاملة الشاملة للشخصية، ممّا جعله يلحّ في كثير ممّا كتب على التفرقة بين التربية والتعليم، وضرورة ألّا نقنع بانتشار التعليم، وإنّما لا بد للتعليم حتّى يؤتي أكله أن يقترن بجملة تغييرات في الشخصية وفي التفكير، فبذلك تنهض الأمم.

كان كتابه الذي ألّفه عام 1903 بعنوان «غنية المؤدّبين» معلما بارزا على طريق الفكر التربوي العربي في العصر الحديث، أراد به أن يكون مرشدا للمعلّمين في تعليمهم التلاميذ، وفي تربيتهم لأبناء الأمّة، ولذلك فإنّ الكتاب إذا كان قد تناول مسائل تربويّة فنّية مثل تحضير الدروس، وطرق التدريس، وعمل الزوايا والجوانب التي أصبحت فيما بعد تشكّل ركنا أساسيّا من أركان علم النفس، حيث إنه لم يكن قد عرف الاستقلال المعرفي بعد، بل كانت موضوعاته ومباحثه متضمّنة ضمن الموضوعات التربوية.

ولعلّ ما انفرد به هذا الرجل حقّا أنه لم يقف عند حدّ التنظير بالكتابة، بل كان رجل عمل وفعل، وهكذا أنشأ مدرسة إعدادية بالدرب الأحمر بالقاهرة داعيا الأهالي أن يرسلوا بأبنائهم للالتحاق بها، وكان يقوم بنفسه بالتعليم، ولم تكن المدرسة من تلك المدارس النظامية المعروفة، بل كانت شكلا من أشكال التعليم غير النظامي.

وساهم من خلال الحزب الوطني في إنشاء عدد من المدارس أطلق عليها اسم «مدارس الشعب الليليّة» التي أنشأت كصورة من صور تعليم الكبار من أجل العمال الذين يقضون جل نهارهم في كسب الرزق فتفوتهم فرصة

التعلّم، فتجيء هذه المدارس لتعوضهم فتتيح لهم فرصة التعليم، بل لقد كان يجوب المواقع الاجتماعية والفردية المختلفة بهدف جمع تبرّعات من أجل إنشاء مدارس أوّليّة توفّر فرصا لتعليم أبناء الفقراء ليفوت بذلك على الاحتلال البريطاني أغراضه في التضييق على المصريين حتّى لا ينالوا ما يرغبون من التعليم.

وإذا كان الحديث قد كثر عن عدد من الأمراض الاجتماعية والنفسيّة التي أصابت البعض نتيجة سنوات التخلّف والجمود، وبفعل الاحتلال، فإنّ الطريق للتغلّب على مثل هذه الأمراض وصور الخلل إنّما يكون بنشر معاهد التعليم، وتحسين مفاهيم وأساليب التربية، والسعي الحثيث لإحداث تغيير جذري في مفاهيم وأساليب التعليم المطبّقة في معاهد وزارة المعارف لأنّها وضعت وكُيّفت بحيث تخدم أغراض الاحتلال.

وإذا كان جاويش لم يمكث طويلا للتعلّم في الأزهر، إلّا أنّ هذا كان دافعا له إلى أن تشغل قضيّة إصلاحه مكانا مرموقا في سلسلة كتاباته، خاصّة وأنّه كان يشهد محاولات متعدّدة من أجل النهوض به بعد سنوات طويلة من الجمود والتأخّر. بل لقد بلغ حبّه ورغبته في تطوير الأزهر وإصلاحه حدّا جعله يحثّ عددا غير قليل من طلّابه على أن يلتحقوا بالمدرسة التي كان قد أنشأها حتّى تتاح لهم فرصة التزوّد بقدر من العلوم الحديثة، فتتنوّر عقولهم وتتهذّب أخلاقهم ويكونون على صلة بمتغيّرات العصر ومستقبل الأمّة. ووصل به الحماس حدّ جمع تبرّعات كثيرة من أجل إعداد بعثة من طلاب الأزهر يذهبون من خلالها إلى بعض البلدان الأوروبية ليعودوا بعد ذلك إلى بلدهم، وقد وقفوا على صور جديدة من المعرفة والتربية، فيكونون قوّة تجديد ونهوض.

وقد أكّد الدكتور طه حسين في مذكراته على فضل جاويش عليه وعلى كثيرين ممّن كانوا في مراحل تطوّرهم الأولى، حيث دفعه وشجّعه على أن يقف وسط الجمهور لأوّل مرّة ليقدّم بعضا ممّا فكّر فيه وطرقه من موضوعات اجتماعية وأدبيّة، فضلا عن تشجيعه على الكتابة لأوّل مرّة في المجلّات، عندما أنشأ مجلّة باسم «الهداية».

ولعلّ أبرز التجديدات التي قدّمها جاويش إلى الفكر التربوي، هو تلك المدرسة التي أسماها «المدرسة العاملة» بهدف توثيق عرى الترابط بين النظر والعمل، فلقد غلب على معاهد التعليم الطابع النظري التجريدي حتّى أصبح التعليم بعيدا عن حركة الواقع، وحرم الواقع من أن يلتحم بالعلم فتأخّر وتخلّف في بلادنا، فجاءت فكرة هذه المدرسة لتجمع عددا من العمال أيّا كان سنّهم. وتقدّم لهم صورة من التعليم ذي الصلة بواقع حياتهم ومعاشهم فيشعرون بقيمته والحاجة إليه.

وبحكم نظرته الشموليّة المتكاملة كان من الطبيعي أن يولي قضيّة تعليم المرأة اهتماما ملحوظا. وعلى الرغم من بدء تشجيع الحكومة لتعليم البنات بفتح المدارس إلّا أنّه أخذ على هذه المدارس أنّها تضمن برامجها من الموضوعات ما لا صلة وثيقة له باحتياجات المرأة المسلمة، فضلا عن حرصها على التربية بأسلوب يجنح إلى تعويد

البنات الخوف والخنوع، بينما الهدف من تربية البنات أن يتعلمن دينهن وأن يصلحن أخلاقهن بالقدوة الحسنة والمثل الصالح، ومن هنا فقد اقترح برنامجا لحسن تربية وتعليم البنات تضمن موضوعات تتصل بعلم وظائف الأعضاء، وقوانين الصحّة والتدبير المنزلي، والإسعافات الأوّلية، ودروس الخياطة والطبخ والنسج، فضلا بطبيعة الحال عن تعليم القراءة والكتابة واللغة والدين.

وعندما عاد إلي مصر وعيّن مراقبا للتعليم الأوّلي كانت مصر تعيش فترة نهوض عام في تعليم المرحلة الأولى بعد الاستقلال ونصّ الدستور على مجانية وإلزامية هذا التعليم، فوضع تقريره الشهير عام 1925م الذي تضمّن فكرة جريئة لم يكتب لتطبيقها النجاح، إذ سعى إلى أن يتعلّم التلاميذ علوما نظرية داخل جدران المدرسة نصف اليوم، أمّا نصفه الآخر، فيتعلّمونه داخل مواقع العمل في الورش وفي الحقول، وقد كانت فكرة مثاليّة لا تساعد الظروف القائمة على تطبيقها.

آثاره

1 ـ غنية المؤدّبين، نظارة المعارف العمومية، القاهرة 1903م؛ 2 ـ الإسلام دين الفطرة والحريّة، القاهرة، دار الهلال 1952م.

المصادر والمراجع

● الجندي، أنور، عبد العزيز جاويش، القاهرة، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والأنباء والنشر، سلسلة أعلام العرب، 1965م؛ ● سعيد إسماعيل علي، تاريخ التربية والتعليم في مصر، القاهرة، عالم الكتب، 1985م.

د. زينب محمد حسن
جامعة الاسكندرية ـ مصر

الجبائي، أبو علي محمد بن عبد الوهاب

(235هـ/849م ـ 303هـ/915م)

أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي متكلم معتزلي، شيخ المعتزلة في عصره ورئيس معتزلة البصرة. وذكر ابن خلكان أن جدّ الجبّائي (سلام) هو سلام بن خالد بن حُمْران بن أبان؛ وكان أبان هذا مولى عثمان بن عفان [وفيات الأعيان، 398].

ولد في جُبّى (جُبّا)، سنة 235هـ/ 849م بحسب ابن النديم [الفهرست، ص 256]، وياقوت، [معجم البلدان، 2/ 13] و[وفيات الأعيان، 3/ 399]، وما يؤكد هذا التاريخ ما رواه الخطيب البغدادي عن ابن الجبائي أبي هاشم: «ولد أبي وابن خال أبو علي سنة خمس وثلاثين ومائتين» [تاريخ بغداد، 11/ 55]، وليس صحيحًا بعد هذا الإشارة

إلى سنة 215هـ/ 830م باعتبارها السنة التي وُلد فيها أبو علي الجبائي، كما ذكر بعض المحدثين [أنظر مثلا محمد علي، المعتزلة، ص67]. وبناءً على ذلك، لُقب الجُبّائي نسبة إلى البلدة التي ولد فيها، وهي "كورة من أعمال خوزستان... وجُبّا في الأصل أعجمي؛ وكان القياس أن يُنسب إليها جُبْوي، فنسبوا إليها جُبّائي على غير قياس... وجُبّا أيضًا قرية من أعمال النهروان... وجُبّا أيضًا قرية قرب هيت" [ياقوت، معجم البلدان، 2/ 12 وما يليها].

انتقل الجُبّائي إلى البصرة، وزامل فيها البصريين في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد. والمشهور عنه أنه أخذ العلم بالاعتزال عن شيخه أبي يعقوب الشحام (المتوفى 267هـ/ 880م)؛ فصار الجبّائي رئيسًا لمعتزلة البصرة بعد وفاة الشحام؛ والجبائي لمّا يزل في مطلع العقد الثالث من عمره، وقد دلّ هذا على نبوغه المبكّر.

درس الجُبائي إلى جانب علم الكلام، الفقه والتفسير؛ كما نبغ في المسائل الكلامية فكان حجّة في الفقه ومرجعًا فيه في مساجد البصرة؛ كذلك نبغ في التفسير على نحو فرد، فروي أنه ألّف "تفسيرًا للقرآن في مائة جزء وشيئًا لم يسبقه أحد بمثله" [المصلي، النبيه، ص 32]. وقد نقل ابن المرتضى عن أبي بكر أحمد بن علي وصفه أبا علي الجبائي بأنه هو الذي سهّل علم الكلام ويسّره وذلّله. وكان مع ذلك فقيهًا زاهدًا جليلا نبيلا ولم يتفق لأحد من إذعان سائر طبقات المعتزلة له بالتقدم والرياسة بعد أبي الهذيل (العلاف) مثله، بل ما اتفق له هو أشهر أمرًا وأظهر أثرًا [طبقات المعتزلة، طبقة 8].

عاصر الجبّائي متغيرات كبيرة في حياته التي دامت ثمانية وستين عامًا؛ كانت ولادته قد تزامنت مع انقلاب الخليفة المتوكل على المعتزلة سنة 233هـ/ 848م حتى استكمل طرد المعتزلة من السلطة السياسية والدينية في الدولة ومحاربتهم في المجتمع سنة 237هـ/ 851 ـ 852م، [انظر التفضيلات Al-A'asam, Ibn ar-Riwandi's K. Fadihat al-tazilah, pp. 13, 17-18.] ولم يكن هذا المتغيّر في منهج السلطة وحركة المجتمع من العقلانية إلى السلفية ومن الاعتزال إلى الحنبلية، أمرًا هيّنًا؛ بل كان "العداء العنيف للمعتزلة حتى اضطر القوم إلى التستر والانحسار في مجالسهم خاصة بعد أن كانوا يعقدون هذه المجالس في قصور الخلافة؛ ولكن أبا علي (الجبائي) قد صمد لخصومة الدولة وعداء الحنابلة، مدافعًا عن الفكر المعتزلي إلى حد يمكن اعتباره أعظم رجالهم بعد النظام" [صبحي، المعتزلة، ص 290].

إن طفولة وصبا الجبّائي كانت مع انتشار ثورة الزنج في البصرة وسواد العراق، مما دعاه إلى اللجوء إلى العسكر، ثم انتقاله إلى بغداد، فجابه هذه المرة "المقت والكراهية من جانب الحنابلة... ورجال الحديث" [م. س.، ص 290]. فعاد إلى البصرة ثم إلى العسكر. لكن الأمر لم يدم كثيرًا حتى انفصل من مدرسته أبو الحسن الأشعري الذي قلب موازين عقلانية المعتزلة وسلفية الحنابلة بالتوسط بين العقل والنقل. [يراجع ابن عسكر، تبيين كذب المفتري، القاهرة Spita,

Zur Geschichte, passin 1928/1347].

توفي الجَبّائي وهو في ذروة مجده، رئيس المعتزلة البصريين بلا مدافع، سنة 303هـ/ 915م «وكان أوصى إلى (ابنه) أبي هاشم أن يدفنه في العسكر وأن لا يخرجه عنها؛ فلما مات صلى عليه أهل العسكر، وأبى أبو هاشم إلّا أن يحمله إلى الجُبّاء، فحمله إلى مقبرة كان فيها (قبر) أم أبي علي، وأم أبي هاشم في ناحية بستان أبي علي» [ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، طبقة 8]، وقد نص ابن خلكان أن وفاته كانت في شعبان 303 للهجرة [وفيات، 3/ 399].

ترك أبو علي الجبّائي تأثيرًا في حركة الاعتزال عامة، والمعتزلة البصريين خاصة؛ واشتهر من تلاميذه: أبو بكر التستري، وأبو الحسن الأشعري (ربيبه وابن زوجته)، وأبو الحسن بن فرزويه؛ وأبو الحسين الحصيني، وأبو الفضل الخجندي، وأبو الفضل الكشي، وأبو القاسم محمد الواسطي، وأبو عبد الله الرامهرمزي، وأبو عبد الله الواسطي، وأبو عمر الباهلي، وأبو هاشم الجُبّائي (ابنه)، ومحمد بن عمر الصيمري.

وقد سميت جماعته من المعتزلة بـ «الجُبّائية» [جار الله، المعتزلة، ص 149، 153].

ويبدو أن اهتمام الجُبّائي بابن الريوندي المعتزلي (المتوفى 245هـ/ 859م) خصوصًا في ردوده الستة عليه [في الأرقام 18، 19، 21، 22، 24، 25]، جعل بعض المصادر تنسج حكايات لقاء بين الجُبّائي وابن الريوندي على جسر في بغداد فتناظرا في مسائل دحض الجُبّائي ابن الريوندي فيها، وذلك لبيان نصرة الجُبّائي على خصومه المتهمين بالزندقة والخروج عن الاعتزال مثل ابن الريوندي.

وقد سبق أن أشرنا منذ سنة 1972 إلى أن من أبرز الذين تصدوا للرد على ابن الريوندي هو أبو علي الجُبّائي [Al-A`asam, p. 50]، وهناك أشرنا بالإضافة إلى مصادرنا إلى هلموت ريتر [Ritter, Der islam, XIX]. ومن غرائب الأمور، يأتي الباحثون المحدثون فيخطؤون مرتين: الأولى، أنهم يظنون إن حياة ابن الريوندي امتدت إلى سنة متأخرة في القرن الثالث للهجرة، حتى عاصر الجُبّائي فالتقيا على الجسر في بغداد. والثانية، أنهم لا يدرون كيف يفسّرون الصحيح والمنحول في الروايات، فيأتون على ذكر اللقاء التاريخي بين ابن الريوندي والجُبّائي على أنه حقيقة، [انظر مثلا: عصام محمد علي، المعتزلة، ص 65] وهو ليس كذلك؛ ومن الواضح لدينا الآن أن ابن الريوندي قد توفي والجُبّائي في سن العشر سنوات! [انظر Al-A`asam pp10-11].

وقد تعرض الجُبّائي إلى الهجوم من قبل خصومه بعد وفاته؛ حتى رماه بعضهم بالكفر، خصوصًا في المسائل الشائكة التي جادل وناظر فيها من دقيق الكلام؛ بل تجاوز آخرون على منزلته الفقهية عندما رموه بالفسق والفجور [قارن البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 115؛ والاسفرابيني، التبصير، ص 54]، ويمكننا إرجاع الاختلاف في التزام الجُبّائي إلى أربعة أمور:

الأول: إن الجُبّائي كان خصمًا عنيفًا للحنابلة وعموم السلفية؛ ومن السهل على هؤلاء

اتهامه بكل الصفات التي تظهره غير تام الإيمان.

الثاني: الجُبّائي أجرى تعديلات كثيرة على أفكار المعتزلة الذين سبقوه؛ ويكفي أن نشير إلى أنه كان يقول عن نفسه: «ليس بيني وبين أبي الهذيل العلاف خلاف إلّا في أربعين مسألة» [ابن المرتضى، طبقات، طبقة 7]. وهذا معناه أن بعضًا من المعتزلة تعرضوا له بالتجريح لتجاوزه مقاديره في نقد العلاف وتسفيه أقواله.

الثالث: إن الجَبّائي هو أستاذ أبي الحسن الأشعري، وليس غريبًا أن نجد الاشاعرة كلهم تابعوا الأشعري في التصدي لأفكاره حتى شككوا في الكثير من مقالاته وأقواله.

الرابع: إن الجُبّائي كان يرفض نظرية إمامة المفضول على الفاضل؛ لهذا شدّد على صحة إمامة أبي بكر ودافع عن فضله إزاء علي بن أبي طالب. وهذا الأمر عرّض الجُبّائي لنقد وتسفيه الشيعة بكل أصنافهم حتى زمان الشريف الرضي (المتوفى 436هـ/ 1044م).

وبناءً على كل ذلك، لا تزال الحاجة ماسة إلى دراسة أبي علي الجُبّائي دراسة دقيقة ومفصلة رغم ظهور دراسات حديثة عنه غير وافية. لكننا سنعتمد على الأستاذ أحمد محمود صبحي [المعتزلة، ص 292 وما بعدها] في استخلاص منظومة فكر الجُبّائي، على النحو الآتي:

1 ـ «ذهب الجبائي إلى أن الباري تعالى عالم لذاته، قادر لذاته. ومعنى قوله: لذاته؛ أي لا يقتضي كونه عالمًا صفة علم أوحال توجب كونه عالمًا».

2 ـ «ذهب أبو علي إلى أنه يحكم على أسماء الله الحسنى وصفاته بمقتضى شيئين: اللغة والعقل».

3 ـ «ذهب أبو علي الى أن ما علم الله أنه يكون، وجاءنا الخبر أنه يكون، فلسنا نجيز تركه على وجه من الوجوه، لأن التجويز لذلك هو الشك، والشك في أخبار الله كفر».

4 ـ «إرادة الله حادثة عند أبي علي. . . وإنما هي إرادة حادثة لا في محل، موافقًا في ذلك العلاف، لأنه لو كانت في محل لكان المحل موجودًا بإرادة سابقة ولتسلسل الأمر، ولا يجوز أن تكون الإرادة في ذات الله لأنه لا يجوز أن يكون الله محلا للحوادث».

5 ـ وبخصوص كلام الله، ذهب أبو علي إلى «أن الله تعالى يحدث عنه القراءة كل قارئ كلامًا لنفسه في محل القراءة، أو إن كلام الله يوجد مع قراءة كل قارئ... فالقرآن المتلو كلام الله على الحقيقة، يجوز وجوده في أماكن كثيرة بعينه، وهو يوجد مع الصوت مسموعًا، ومع الحفظ محفوظًا، ومع الكتابة مكتوبًا، وإن كان عينًا واحدًا».

6 ـ إن كلام الله، عند أبي علي، حروف تقارن الأصوات المتقطّعة على مخارج الحروف؛ فلا يمكن أن يكون الصوت المسموع من المقرئ إلّا حروفًا ذات معنى، إذ الكلام كامن في الحروف وليس مجرد الصوت المسموع، ومن ثمّ يمكن أن يبقى الكلام مع فناء الأصوات».

7 ـ وفي اللطف الإلهي، «ذهب الجُبّائي إلى أن الله لم يدخر عن عباده شيئًا من الألطاف؛

فالله قد فعل بعباده ما هو أصلح لهم في دينهم».

8 ـ ذهب أبو علي إلى أن العالم محدث، «ويستند إلى مقدمة كبرى مفادها: كل ما يعتريه الزيادة والنقصان، فهو حادث. فإذا كان العالم يمكن أن يعتريه الزيادة والنقصان إذن فهو حادث».

9 ـ أما بخصوص الجوهر الفرد؛ فقد «تبنى أبو علي نظرية العلاف في الجزء الذي لا يتجزأ لتفسير الأكوان والمحدثات؛ وهو لا يخالفه إلّا في بعض التفاصيل، فذهب إلى أنه يجوز على الجوهر الفرد ما يجوز على الجسم في الحركة والسكون واللون والطعم والرائحة؛ وبذلك أحال الجُبائي تعرّي الجواهر من الأعراض».

10 ـ «ذهب الجُبّائي الى إن الإنسان هو ما تكوّن من الصورة والبنية. وبالصورة يعني الصورة الظاهرة للإنسان، كما تدل البنية على تركيب جسم الإنسان» ومعنى هذا القول: «لا يكون جملة الإنسان إلّا ما هو من جملة الحي، وهي الأجزاء التي تحلّها الحياة».

وبناء على ما تقدّم، نعرف أن الجبائي كان فردًا متميزًا في عصره، وفي تاريخ حركة الاعتزال، ورغم أنه كان يتصارع مع ظروفه المختلفة إزاء تيارات المجابهة والاضطهاد، استطاع أن يُسهم في تجديد الاعتزال والإبداع فيه إلى الحد الذي ستجد مؤثراته تمتد إلى قيام دولة بني بويه التي ستناصر أفكاره تمامًا تحت ضغط مدرسته الجبائية، التي سيعم صداها في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

■ آثاره

كان الجُبّائي غزيرًا في التأليف حتى أن ابن النديم [الفهرست، ص 156] أشار إلى أنه خلف سبعين تصنيفًا، لم يصل إلينا واحد منها، غير شذرات منثورة في المصادر برغم الرواية المشهورة الشائعة عند المعتزلة، وهي أنه «كان أصحابنا يقولون إنهم حرروا ما أملاه أبو علي الجُبّائي، فوجدوه مائة ألف وخمسين ألف ورقة» [ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، طبقة 8] ومن مصنفاته:

1 ـ الأسماء والصفات؛ 2 ـ الأصول؛ 3 ـ الإكفار والتفسيق؛ 4 ـ التعديل والتجوير؛ 5 ـ التولّد؛ 6 ـ جوابات الخراسانيين؛ 7 ـ الرؤية؛ 8 ـ الرد على الأشعري في الرواية؛ 9 ـ الرد على المنجمي؛ 10 ـ شرح مسند ابن أبي شيبة في الحديث؛ 11 ـ في تفسير القرآن؛ 12 ـ اللطف؛ 13 ـ متشابه القرآن؛ 14 ـ المخلوق في الرد على العلاف؛ 15 ـ مقدمة التفسير؛ 16 ـ النفي والإثبات؛ 17 ـ نقض الطبائع في الرد على الجاحظ؛ 18 ـ نقض كتاب الإمامة لابن الريوندي؛ 19 ـ نقض كتاب التاج لابن الريوندي؛ 20 ـ نقض كتاب الخياط في الجسم؛ 21 ـ نقض كتاب الدامغ لابن الريوندي؛ 22 ـ نقض كتاب الزمرد لابن الريوندي؛ 23 ـ نقض كتاب عباد بن سليمان؛ 24 ـ نقض كتاب عبث الحكمة لابن الريوندي؛ 25 ـ نقض كتاب قضيب الذهب لابن الريوندي.

■ المصادر والمراجع

- ابن خلكان، وفيات الأعيان، القاهرة،

1275هـ/ 1858م؛ ● ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ط. القاهرة، 1347هـ/ 1928م؛ ● ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، نشرة أرنولد، حيدر أباد، 1316هـ/ 1898م؛ ● ابن النديم، الفهرست، ط. القاهرة، 1348هـ/ 1929م؛ ● الاسفرابيني، التبصير في الدين، القاهرة، 1359هـ/ 1940م؛ ● الأشعري، مقالات الإسلاميين، نشرة رويتر، اسطنبول، 1929/ 1930م؛ ● البغدادي، الفرق بين الفرق، ط. القاهرة، 1328هـ/ 1910م؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ط. القاهرة، 1349هـ/ 1930م؛ ● الرسعني، مختصر الفرق بين الفرق، ط. القاهرة 1924م؛ ● بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، ط. بيروت، 1983؛ ● جار الله، زهدي، المعتزلة، ط6، بيروت، 1410هـ/ 1990م؛ ● صبحي، أحمد محمود، في علم الكلام، المعتزلة، ط. الإسكندرية، 1992؛ ● محمد بن علي، أحمد محمود، في علم الكلام، المعتزلة، ط. الإسكندرية، 1992؛ ● نادر، ألبير نصري، فلسفة المعتزلة، ط. الإسكندرية، 1950.

- A-Al-A'asam, Ibn Al. Rivand'is Kitaba Fadhihat al-Mu'tazilah. Paris, Beirut 1975-1977; ● S. W. Spita, Zur Geschichte Abo'l-hasan al-As'sari, Leipzig 1876; ● H. Ritter, Der Islam, 1930, XIX, pp. 1 f f;
- H. Galland, Essai sur les Mu'tazilates, Paris, 1906;
- H. Steiner, Dei Mu'taziliten oder die Freidenker im Islam, Leipzig 1865, E.I² /584 art. Djuba'i.

د. عبد الأمير الأعسم

بيت الحكمة ـ بغداد ـ العراق

الجبائي، أبو هاشم عبد السلام بن محمد

(277هـ/ 890م ـ 321هـ/ 933م)

أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبّائي متكلم معتزلي، المشهور بالجبائي الابن، تمييزًا له عن والده الجبائي الأب (ت 303هـ/ 915م) رئيس البصريين من المعتزلة في عصره.

ولد أبو هاشم الجُبّائي في البصرة، سنة 277هـ/ 890م بحسب رواية الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد، 11، 55]؛ وقد غلط بعض الباحثين المحدثين في تقدير سنة وفاته على أنها 894م؛ ومعنى هذا أن القول أيضًا بولادة أبي هاشم سنة 247هـ/ 861م [كما ذكر ابن خلكان، وفيات الأعيان،

2/ 235]، أمر غير صحيح، بل نجد باحثًا آخر، بعد أن غلط في تقدير عمر الجُبّائي الأب فجعل مولده سنة 215هـ/ 830م، قدّر عمر الجُبّائي الابن أنه كان أربعة وسبعين عامًا يوم وفاته [محمد علي، المعتزلة، ص 56]؛ والصحيح أن أبا هاشم توفي وكان لديه من العمر خمسة وأربعون عامًا سنة 321هـ/ 933م. وقد علّل بدوي في مذاهب الإسلاميين، [1/ 330] أن تصحيفًا أو تحريفًا قد وقع في نص ابن خلكان.

نشأ الجُبّائي الابن في بيت والده أبي علي في البصرة، ثم رافقه إلى العسكر، ثم ذهب معه إلى بغداد، وعاد معه إلى البصرة، والعسكر؛ وبعد وفاة والده سنة 303هـ/ 915م وكان لديه من العمر ستة وعشرون عامًا، نبغ في معتزلة البصرة لاحتلاله مكانة والده حتى آلت رئاسة معتزلة البصرة إليه؛ فرحل إلى بغداد، فقدمها سنة 314هـ/ 926م [ابن النديم، الفهرست، ص 261]، وتبعًا له ابن المرتضى [طبقات المعتزلة، طبقة 9]؛ وقال الخطيب البغدادي إن أبا هاشم عندما قدم بغداد، سكنها إلى حين وفاته [تاريخ بغداد، 11/ 55].

درس أبو هاشم الاعتزال على والده، منذ وعى أهمية العلم في صحبته، حتى إن ابن المرتضى يروي لنا عن أبي الحسن أن الابن «كان من حرصه يسأل أبا علي حتى يتأذى به، فسمعت أبا علي في بعض الأوقات عند لجاجه يقول: لا تؤذنا؛ ويزيد فوق ذلك، وكان يسأل طول نهاره وما قدر عليه، فإذا كان في الليل سبق إلى موضع مبيته لئلا يغلق دونه الباب، فيستلقي أبو علي على سريره ويقف أبو هاشم بين يديه قائمًا يسأل حتى يضجره...» [طبقات المعتزلة، طبقة 9]. وهذا أمر طبيعي لابن نشأ في صحبة أب كأبي علي الجُبّائي؛ فعن طريقه تعرّف على مسائل الكلام كلها، ودقيق الكلام بوجه أخص؛ خصوصًا مذاهب وآراء السابقين من المعتزلة في البصرة وبغداد، فكان فكر الابن امتدادًا لفكر الأب في التفاصيل، ومعارضًا له في مسائل عديدة عندما نضج ووصل درجة الاجتهاد في الرأي، أحصاها الملطي [تنبيه، ص 32]، بقوله: «خالف أباه في تسع وعشرين مسألة». وقد أثار موضوع الخلاف بينه وبين أبيه تشنيع الخصوم واستنكارهم؛ وروى ابن المرتضى [طبقات المعتزلة، طبقة 9]: «كان أبو هاشم من أحسن الناس أخلاقًا وأطلقهم وجهًا؛ وقد استنكر بعض الناس خلافه على أبيه، وليس مخالفة التابع للمتبوع في دقيق الفروع بمستنكر» [نقلا عن القاضي عبد الجبار، طبقات المعتزلة، ص 94 وما بعدها].

وقد ناقش الأستاذ صبحي الموضوع، وقال: «لا قيمة لتشنيع الخصوم ونسبتهم إلى الأب تكفير ابنه، أو العكس، إلا أن نعلم أنهما اختلفا فكرًا، وإن الابن قد انفرد عن أبيه بمسائل وأنه ذهب إلى آراء ونظريات لم يقل بها الأب وربما لم يكن يعلمها» [صبحي، المعتزلة، ص 309].

ومن الواضح لدينا في هذا المجال، أن تشنيع المتكلمين من الأشاعرة على الجبائيين أمر لجأوا إليه استكمالا لاتجاه تشنيع ابن الريوندي في كتابه «فضيحة المعتزلة» حيث شنع على الرعيل الأول من المعتزلة ابتداء بأبي الهذيل العلاف (المتوفى 230هـ/ 845م)

وانتهاء بالجاحظ (المتوفى 255هـ/ 868م)؛ فأخذوا أقواله وشنعوا عليهم أجمعين. «هذا وقد أفرد عبد الجبار كتابًا لمسائل الاختلاف فيما سمّاه الخلاف بين الشيخين، هذا، وقد اتضح التمايز بين مذهبيهما في عصر متأخر عنهما حينما غلب مذهب الابن على أبيه في عصر بني بويه» [صبحي، المعتزلة، ص 310].

لم تقتصر ثقافة أبي هاشم الجبائي على علم الكلام؛ فقد تعدّاها إلى الفلسفة حتى أنه عارض أفكار أرسطوطاليس في الكون والفساد؛ كما كان متقنًا للنحو الذي أخذه عن المبرّد العالم النحوي المشهور في عصره. ويروي ابن المرتضى أنه «كان في المبرّد سخف، فقيل لأبي هاشم: كيف تتحمل سخفه؟ قال: رأيت احتماله أولى من الجهل بالعربية» [طبقات المعتزلة، طبقة 9]. وكان أبو هاشم قد تعمّق في دراسة أصول الفقه حتى برع فيها. ويقول أحد الباحثين المعاصرين: «تبيّن لي ذلك من الاطلاع على بعض المراجع مثل المعتمد لأبي الحسين البصري، والمحيط بالتكيف للقاضي عبد الجبار» [طبقات المعتزلة، ص 52].

وعلاوة على المكانة الرفيعة التي احتلها أبو هاشم الجبائي في علم الكلام، وتبعًا لابن المرتضى «أنه لم يبلغ غيره مبلغه في علم الكلام» [طبقات المعتزلة، طبقة 9]؛ فقد احتلّ منزلة عالية عند رجال دولة بني بويه؛ حتى كان «أكثر معتزلة عصرنا (عصر عبد القاهر البغدادي، المتوفى 429هـ/ 1037م) على مذهبه، لدعوة ابن عباد، وزير آل بويه، إليه» [الفرق بين الفرق، ص 95 ـ 96].

وقال فخر الدين الرازي (المتوفى 606هـ/ 1209م): «لم يسبق في زماننا هذا في سائر فرق المعتزلة إلا هاتان الفرقتان: أصحاب أبي هاشم (الجبائي)، وأصحاب أبي الحسن البصري» [الرازي، اعتقادات، ص 45].

وكانت جماعة أبي هاشم الجُبّائي تسمى بـ «البهشميّة»، وهؤلاء هم أولئك الذين يوردهم ابن المرتضى في الطبقة العاشرة جميعًا [طبقات المعتزلة، طبقة 10]؛ وهم: أبو اسحق إبراهيم بن عياش البصري، وأبو بكر البخاري، وأبو الحسن الأزرق، وأبو الحسن بن النجيح، وأبو الحسين الطوائفي البغدادي، وقد صححه صبحي الطرائقي [المعتزلة، 310 ـ 311]، وأبو عبد الله الحسين بن علي البصري، وأبو علي بن خلاد، وأبو عمران السيرافي، وأبو القاسم السيرافي، وقد يرد على أبي القاسم بن سهلويه؛ [قارن: محمد علي، المعتزلة، ص 61]، وأبو محمد العبدكي، وقد يرِدُ أبو أحمد، غلطًا؛ [انظر محمد علي، ص 60].

ومن تلاميذه من عائلة الجُبّائي، أخته المعروفة بـ «أخت أبي هاشم، بنت أبي علي الجُبّائي»؛ وكذلك ابنه أحمد بن أبي هاشم الجُبّائي.

توفي أبو هاشم سنة 321هـ/ 933م؛ وقد أجمع عليها مؤرخوه؛ وما قيل من كونها سنة 331هـ/ 943م، فهو غلط وتحريف، والمشهور أن صادف في يوم وفاته وفاة أبي بكر محمد بن دريد اللغوي [ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 355].

لقد ترك الجبائي الابن منظومة فكرية ـ فلسفية عالية القيمة في تاريخ الفكر المعتزلي؛ وهو ما يقع في ثلاثة مقاصد: نظرية التولد، ونظرية

الأحوال، والاختلاف مع الجبائي الأب في مسائل أخرى.

وسنعتمد أولا على محمد علي [المعتزلة، ص 395 ـ 420] بخصوص نظرية التولد كما، سنعتمد ثانيا على صبحي [المعتزلة، ص 318 ـ 331]، أما مسائل الاختلاف بين الجبائيَّين، الأب والابن فهي مختارات مختلفة، أبرزها ما أورده صبحي [المعتزلة، ص 311 ـ 317].

أمّا **نظرية التولّد**، فهي أصلا تحدّث فيها أول مرة بشر بن المعتمر (المتوفى 210هـ/ 825م)، ولكنه «لم يفرّق بين قسمين من الأفعال الإنسانية: قسم تعرف كيفيته بواسطة الإنسان. . . وقسم لا تعرف كيفيته». وبعده، قال ثمامة بن أشرس (المتوفى 213هـ/ 828م) إن الأفعال المتولده لا فاعل لها إذا لم يمكنه إضافتها إلى فاعل أسبابها. ثم يأتي دور أبي موسى المردار (المتوفى 216هـ/ 831م) فقد وافق بشر بن المعتمر، وكذلك جوّز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد.

وقد أرجع أبو الهذيل العلاف (المتوفى 230هـ/ 845م) فكرة التولد إلى أن ما تولد من فعل الإنسان فهو فعله غير ما لا تعرف كيفيته. وبحسب رأي النظام (المتوفى 231هـ/ 845م) إن ما جاوز محل القدرة من فعل مولّد، فهو من فعل الإنسان، وهو نفسه صاحب الفعل المباشر في محل القدرة؛ وهو قادر بقدرة أقدره عليها الله. ثم يأتي الجاحظ (المتوفى 255هـ/ 868م)، فيخالف ما ذهب إليه المعتزلة في التولّد، وعنده أن الأفعال متولدة طباعًا. [قارن: محمد علي، المعتزلة، ص 395 ـ 400]. وقد خالف أبو هاشم الجبائي هنا ما ذهب إليه السابقون وأبوه أبو علي الجبائي فيما يتعلق بالتولّد الإلهي والتولّد الإنساني؛ لأن أبا علي الجبائي كان يرى أن الله لا يفعل بأسباب؛ فهو سبحانه متعال عن الحاجة، وكل ما يفعله هو من جهة الاختراع والابتداء.

ومن هنا تأتي إسهامات أبي هاشم الجبائي في نظرية التولّد.

1 ـ إن كلّ سبب ولد من فعل الإنسان متى أوجد الله مثله على الوجه الذي تولد في فعل الإنسان، فلا بد من أن يولد.

2 ـ إن إثبات تحقق التولد الإنساني في الانفعال يثبت التولد الإلهي للأفعال.

3 ـ إن ضرورة وجود «الاعتماد» لحدوث «الحركة» وإنه بغيره لا تحدث، وإنه لا يمكن أن يفعل الحركة على سبيل «الابتداء» وبدون «الاعتماد» لأنه في هذه الحالة لا يكون هناك فرق بين أن يفعل الله أو الإنسان أيهما دون الآخر.

4 ـ وإن ما يفعله الإنسان متولدًا لا يصح أن يفعله بعينه مباشرًا.

5 ـ وإنه لو صح من الإنسان أن يفعل بالقدرة حركتين في محل واحد في وقت واحد، لصح أن يفعل ما فعله بالسبب على جهة «الابتداء».

6 ـ إن امتناع تولّد الفعل بالسبب، يثبت أن الإنسان لا يصح أن يبتدئ بالتولّد.

7 ـ وإن ما لا يصح أن يفعله الإنسان متولدًا، يصح أن يفعله مباشرًا، كالإرادة.

8 ـ إن علاقة ما يقع مباشرًا ألا يمتنع أن نبتدئه، وإن لم نفعل غيره، إذا كان المحل محتملا له؛ فإذا تعذر ذلك في التأليف، فلا بد أن يكون متولدًا.

9 ـ إن ما أوجب كون التأليف متولدًا في غير محل القدرة، يوجب كونه متولّدًا في محل القدرة، أيضًا.

10 ـ إن التأليف يختص بأمرين: إنه يحل في محل القدرة عليه، أو إنه يحل في غير محل القدرة عليه؛ من الأول مباشرة، والثاني يكون متولّدًا.

وبناء على ما تقدّم يمكن بناء تولد المعرفة عند أبي هاشم على أساس أن النظر باعتباره فعلا من أفعال الإنسان، فإنه في الإمكان أن يتولد عنه فعل آخر هو عمل الإنسان أيضًا؛ وأعني به: العلم والمعرفة. [راجع: محمد علي، المعتزلة، ص 402 ـ 411]. وواضح من هذا أن أبا هاشم لم يعالج موضوع التولّد في الأفعال على منوال المعتزلة السابقين لأغراض جدلية، بل تجاوزهم إلى بناء نظرية معرفة قائمة على أساس أن التولد ليس هو الأفعال المحسوسة فحسب، بل إنها المدركات التي تؤدي إلى النظر والعلم لبناء المعرفة الكونية للإنسان.

أما نظرية الأحوال: فهي من إبداعات أبي هاشم الجبائي، وتتعلق الأحوال أصلا بعلاقة الصفات الإلهية بالذات. وقد سبق للمسيحية أن ذهبت إلى أن الصفات الإلهية هي زائدة عن الذات الإلهية؛ لكن المعتزلة عارضوا هذا فجعلوا الصفات هي عين الذات لكي ينفوا التعدد في الذات الإلهية، في الأصل الذاتي والصفات. ثم جاء أبو علي الجبائي فجعل الصفات مجرد اعتبارات عقلية من أجل استبعاد أدنى تصور يستدل منه على قيام تعدد في الذات.

لكن أبا هاشم كان بنى نظريته على الآتي:

1 ـ ليس من عرف الذات عرف بالضرورة كونه عالمًا قادرًا مفضلا عن أن هذه الصفات العقلية لا ترجع إلى الذات.

2 ـ إن هذه الصفات يدركها العقل على أنها تشترك في معنى، وتفترق في معنى آخر.

3 ـ معنى ذلك أن مفهوم العلم لا يمكن أن يكون نفسه مفهوم القدرة.

4 ـ إن لله علمًا لما هو عليه في ذاته، أي أنه ذو حال هي صفة معلومة وراء كونه موجودًا ذاتًا.

5 ـ فالحال أنها كل صفة لموجود لا تتصف بالوجود؛ فلا يتعلق الحال إلّا بالجانب المتصل بالمعنى فقط دون الوجود.

6 ـ إن الأحوال اعتبارات ذهنية أو تصورات عقلية، ومن ثم فهي لا توصف بالوجود أو العدم.

7 ـ ومعنى ذلك، أن للذات الإلهية صفات متباينة في المفاهيم، ولا يمكن أن توجد وجودًا عينيًا.

8 ـ الأحوال إذن على نوعين: ما يعلل، وما لا يعلل. وصفات الله من حيث صلتها بالذات هي من النوع الأول.

9 ـ إن الجانب المعنوي للصفات، أن الصفات تتمايز عن الذات، والموجود يتميّز عن غيره بخاصية هي الحال.

10 ـ إن الصفات الإلهية غير معلومة على حيالها (انفرادها أو استقلالها)، إذ قد يعلم الشيء مع غيره ولا يعلم على حياله كالإضافات والمماسة والقرب والبُعد.

11 - إن الاشتراك والافتراق بين الذات والصفات قضية عقلية وراء اللفظ، وإنما صيغ اللفظ على وفق ذلك ومطابقته.

12 - فالصفات هي معان موجودة متحققة في ذهن الإنسان، والعقل الإنساني هو المدرك لها، وإنه لا وجود لها في الخارج لأنه لا وجود للكليات في الأعيان.

وبناء على ما تقدّم، نلاحظ أن نظرية الأحوال هي بعينها مشكلة الكليات؛ وقد نحا أبو هاشم الجبائي بها منحى فلسفيًا منطقيًا؛ وإن الأحوال نفسها تعالج مسألة شيئية المعدوم؛ فالصفات عند أبي هاشم الجبائي لا توجد، ولن توجد بحالها، أي مستقلة عن الذات؛ فوحدانية الله لا تقتضي إطلاقًا تعطيل معاني الصفات؛ وقد ميّز أبو هاشم بين المجالين: مجال «الذات» وانتماؤها إلى عالم الأعيان؛ ومجال «الصفات» وانتسابها إلى الأذهان. ومعنى ذلك، جاءت نظرية الأحوال لتكون خاتمة حاسمة لمشكلة الذات والصفات عند المعتزلة. [راجع: صبحي، المعتزلة، 318 - 330].

أما الاختلافات بين الجبائي الأب وأبي هاشم فلقد اختلف أبو هاشم مع أبيه في مسائل، منها وقعت في زمان الأخير وهو حي، وبعضها بعد وفاته. وقد مرّ بنا أن اختلاف الابن مع الأب، كيف فسّر على أنه مستنكر؛ لكن الباحث الرصين في هذه المسائل يلاحظ حرية الفكر عند المعتزلة في الردود على بعضهم؛ ومن هذه الاختلافات:

1 - كان الأب يرى أن صفات الله هي لذاته؛ ولكن الابن يرى أن صفات الله لما هو عليه في ذاته؛ أي أن هناك أحوالا أو معاني من أجلها اتصفت الذات بالعلم والقدرة والحياة، ولا تعلم هذه الصفات إلا مع الذات وبالذات.

2 - ربط الأب الخلق بالتقدير؛ ولكن أبا هاشم ربط بين الخلق والإرادة لا بالتقدير؛ إذ إن الخلق فعل، والفاعل يقتضي إرادة.

3 - ويرى الأب أن اللطف هو فعل الله بخلقه بما هو أصلح لهم في دينهم؛ ولكن أبا هاشم خالفه في المقارنة بين الإيمان بلا لطف وبين الإيمان مع اللطف.

ونلاحظ هناك أيضًا اختلافات بين الجبائي الابن وأبيه في موضوعات: التوبة، والعوض، والاستحقاق، والإحباط، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يمكن مراجعة تفاصيلها عند الأستاذ صبحي [المعتزلة، ص 311 - 317].

وليس من باب المبالغة القول بأن أبا هاشم الجبائي، قد تجاوز في تحليله للأفكار، وإعادة تركيبها أحيانًا، كل المعتزلة السابقين بما فيهم الجبائي الأب. ويبقى كلام أبي الحسن الكرخي، الذي ينقله ابن المرتضى [طبقات المعتزلة، طبقة 9]: إن أبا هاشم لم يبلغ غيرُه مبلغَهُ في علم الكلام.

آثاره

كان أبو هاشم الجُبّائي غزيرًا في التأليف، لكن لم يصل إلينا أي واحد من كتبه. وقد ذكر له ابن النديم عشرة كتب [الفهرست، ص 261]، كما أشار لهذه العنوانات أو غيرها الجويني [الشامل، ص 471 - 472]، والبغدادي [الفرق بين الفرق، ص 116]، والقاضي عبد الجبار [المجموع من المحيط

بالتكليف، 1/ 1، 30]، وقد أحصى محمد علي ما ورد في المغني في أبواب التوحيد للقاضي عبد الجبار، ستة عشر عنوانًا [المعتزلة، ص/ 52-53] فرأينا قسمًا منها مكررًا ومحرفًا لما ورد عند ابن النديم فلم نأخذ بها؛ أمّا تلك التي زادت على ما ورد في كتاب الفهرست، فسنضع عليها علامة (*) للدلالة على أنها في المغني؛ وهذه العنوانات سنوردها بحسب الحروف:

1 ـ الأبواب الصغير؛ 2 ـ الأبواب الكبير؛ 3 ـ الاجتهاد؛ 4 ـ استحقاق الذم؛ 5 ـ الاشروسنيات (*)؛ 6 ـ الإنسان؛ 7 ـ الأوامر (*)؛ 8 ـ البغداديات (*)؛ 9 ـ الجامع الصغير؛ 10 ـ الجامع الكبير؛ 11 ـ جوابات البخاري؛ 12 ـ جوابات الصيمري (*)؛ 13 ـ جواب عبد الله بن عباس (*)؛ 14 ـ جواب مسائل ابن فضل (*)؛ 15 ـ العوض؛ 16 ـ العيون (*)؛ 17 ـ كتاب الأصلح (*)؛ 18 ـ كتاب الطبائع والنقض على القائلين بها؛ 19 ـ المسائل العسكريات؛ 20 ـ نقض الأبواب (*) والأصل لعباد بن سلمان؛ 21 ـ النقض على أرسطو طاليس في الكون والفساد؛ 22 ـ نقض الفريد (*) والأصل لابن الريوندي؛ وقد يرد على أنه الفرند؛ 23 ـ نقض الفصوص (*).

المصادر والمراجع

● ابن خلكان، وفيات الأعيان، القاهرة، 1275هـ/ 1858م؛ ● ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، نشرة ارنولد، حيدر اباد، 1316هـ/ 1900م؛ ● ابن النديم، الفهرست، ط. القاهرة، 1348هـ/ 1929م؛ ● الاسفرايني، التبصير في الدين، القاهرة، 1359هـ 1940م؛ ● البغدادي، الفرق بين الفرق، ط. القاهرة، 1328هـ/ 1910م؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ط. القاهرة، 1349 هـ/ 1930م؛ ● الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، نشرة النشار، القاهرة، 1356هـ/ 1938م؛ ● الشهرستاني، الملل والنحل، ط. القاهرة، 1928، 1929م؛ ● القاضي عبد الجبار، المجموع من المحيط بالتكليف، القاهرة، 1965م؛ ● القفطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، القاهرة، 1955م؛ ● الملطي، التنبيه، نشرة ديدرنك، اسطنبول، 1936؛ ● بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، ط3/ 198، بيروت؛ ● جار الله، زهدي، المعتزلة، ط6، بيروت 1410هـ/ 1990م؛ ● صبحي، أحمد محمود، في علم الكلام، المعتزلة، ط. الإسكندرية، 1992.

● A-Al-A'asam, Ibn al-Riwandi's Kitab Fadihat al-Mu'tazilah, Paris, Beirut 1975-1977 ; ● M. Horten, Die Philosophiscien Systeme der spekulativen theologie im Islam, Bonn 1912 ; ● H. s. Nyberg, Le livre du Triomphe et de la Refutation d'Ibn al-Riwandi, l'hérétique éd. A.N. Nader, Beryouth, 1957, ● E.I[2] /584.

د. عبد الأمير الأعسم

بيت الحكمة ـ بغداد ـ العراق

ابن الجباب، أبو عمرو أحمد بن خالد

(246هـ/ 860م - 322هـ/ 933م)

أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد بن الجباب، جياني الأصل، سكن قرطبة، من أسرة عُرفت باشتغالها ببيع الجبب، ولد سنة 246هـ/ 860م مقبلاً على العبادة وحب العلم، ومما يذكر عن نشأته أنه رأى فقهاء يتهارشون على الدنيا فسأل نفسه: «ألمثل هؤلاء أرجع اذا احتجت لمعرفة ديني؟» فانصرف يجد في الطلب ويجتهد في تحصيل العلوم.

درس في الأندلس على شيوخ منهم: محمد بن وضاح، وابراهيم بن محمد بن القزاز، ويحيى بن عمر بن يوسف، وبقي بن مخلد، ومحمد عبد السلام الخشني [الحميدي، جذوة المقتبس، 4/ 113]، وقاسم بن محمد بن قاسم الذي قال عنه أحمد بن خالد، ومحمد بن عمر بن لبابة: ما رأينا أفقه من قاسم بن محمد ممن دخل الأندلس من أهل الرحلة، كما روى عن الفقيه المالكي أبي زكريا يحيى بن قاسم بن هلال القرطبي، وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم، وأبي عثمان سعيد الأعناقي [المقري، نفح الطيب، 2/ 50 - 51، 630، 3/ 133].

رحل إلى المشرق فدخل تونس، وكريت، ومصر، واليمن، وجاور قلة، وسمع هناك من علي بن عبد العزيز، ومحمد بن علي الصائغ، وأبي بكر أحمد بن عمر، والمالكي [عياض، ترتيب المدارك، 5/ 174] ودخل صنعاء فسمع بها من إسحاق بن ابراهيم الدبري (ت 285هـ/ 898م) والعالم عبيد الله بن محمد الكشوري، وأبي جعفر بن الأعجم، والحسن بن عبد الأعلى البوسي، ومحمد بن يوسف الحذاقي [ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة، 1/ 42].

ثم عاد إلى الأندلس فكان كما قال ابن حارث وغيره عنه: إمام الاندلس في وقته غير مدافع في الفقه والحديث والعبادة، ووصفه أحمد بن عبد البر بقوله: «لم يكن بالأندلس أفقه منه ومن قاسم بن محمد بن قاسم»، ووصفه البعض بأنّه من أهل الضبط والاتقان والخير والفضل والورع والتقشف، وسُئل ابن أبي القوارير عن مكانة أحمد بن خالد مقارنة بقاسم بن أصبغ فقال: «كان يوم من أيام أحمد أكثر من عمر قاسم» وجعل يثني عليه ويصفه بالخير والدين، وقال عنه محمد بن عمر بن لبابة: «هو من أهل العلم»، وكان يرفع به، ووصفه ابن حارث بأنه من أهل الزهد والانقباض، وقد غلب على آخر عمره نشر العلم والزهد في الفتيا. وسئل ابن أبي الفوارس عنه وعن ابن الأعرابي فقال: «رأيت الرجلين، فما كان يصلح عندي ابن الأعرابي الا أن يكون غلاما لابن خالد» [عياض، ترتيب المدارك، 5/ 174 - 176].

ولقد حضر ذات يوم في قرطبة أحد مجالس تدريس محمد بن وضاح لتلامذته، فنبه الأخير

إلى خطأ كاد أن يقع فيه، إذ كان ابن وضاح ممسكًا بالكتاب الذي يدرسه لتلامذته، وأراد ان يسألهم عن كنية الزيت فلكزه ابن خالد بركبته وطلب منه أن يسكت، ولما انفض المجلس سأله أحمد بن خالد عن سؤاله لاصحابه فأجابه بأنّه وجد في الكتاب الذي بيده عبارة «الزيت أبو جعدة» فظن أن أبا جعده هي كنية الزيت فأخبره ابن خالد أن العبارة خاطئة وصوابها «الذيب ابو جعدة» واستشهد بذلك ببيت فشكره ابن وضاح على ذلك.

وزيادة على ذلك فقد كان يرد على كثير من الأسئلة التي ترد على شيخه محمد بن وضاح وهو جالس في مجلسه بتكليف منه وبحضوره، كما أثار حضوره في مجلس شيخه قاسم بن محمد بن سيار تساؤلات مهمة، اذ دفع الأخير إلى أن يفتي بعض المسائل المطروحة عليه بالمذهب المالكي بينما عُرف هو بميله الى المذهب الشافعي معللاً موقفه بأن المستفتي هو الذي يطلب الفتوى بالمذهب المالكي وأن دولة الخلافة في الأندلس تريد ذلك أيضًا [الخشني، أخبار الفقهاء، 127، 131، 303].

ومن تلامذته الذين سمعوا منه ولده محمد، وعبد الله بن محمد الباجي، وخالد بن سعد، وعبد الله بن محمد بن عثمان [الضبي، بغية الملتمس، 176]، ومحمد بن محمد بن أبي دليم الذي قال إنه كان يأتي أحمد بن خالد فيجده يخدم بيده في تحويل زرعه في الذرة [عياض، ترتيب المدارك، 174] وكذلك محمد بن حزم بن بكر التنوخي من أهل طليطلة الذي سكن قرطبة وعرف بابن المديني، وعبد الله بن محمد المعافري من أهل قرطبة حيث سمع الحديث وكتب عنه [المقري، نفح الطيب، 2/ 150، 644].

اشتهر مجلسه العلمي اذ كان من أكبر مجالس قرطبة في وقته اذ استدعاه الخليفة عبد الرحمٰن الناصر (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م) ونقله الى المدينة بقرطبة وأسكنه دارًا من دور الجامع قريبًا منه، وأجرى عليه من بيت المال الرزق والطعام والاحسان الكثير، وقد حمله ذلك الوضع على وضع كتاب جراء طعن أهل بلده له في قبول جوائز الخليفة [المقري، نفح الطيب، 3/ 236]. ومما يجدر ذكره أن عصر الخلافة في الأندلس قد بلغ درجة عظيمة من الرخاء اذ تضاعفت موارد البلاد، واستقرت أحوال الناس، وساد الأمن في ربوع الأندلس وكان من بين آثار ذلك الرخاء الاهتمام بالحركة العلمية والإغداق على العلماء، وشراء نفائس الكتب، ومما يذكر عن الحكم المستنصر بن الناصر (350 ـ 366 هـ/ 961 ـ 976 م) أنه استدعى الى بلاده العلماء المسلمين من كل ناحية، وأجزل إليهم العطاء وربما وصلته النسخ الأولى من مؤلفات العلماء قبل رواجها في بلادهم، وقصّته مع كتاب الاغاني معروفة فقد أرسل إلى أبي الفرج الاصفهاني ليحصل منه على نسخة من كتابه قبل ان يحصل عليه أحد في العراق. وهذا الأمر قد دفع الاصفهاني الى إرسال كتاب آخر من تأليفه عن أنساب بني أميّة فأكثر له من العطاء والهدايا. وكذلك ما قام به الحكم عندما طلب من القاضي أبي بكر الأبهري المالكي نسخة من كتابه «شرح مختصر ابن عبد الحكم»، كما أهدى له أبو عبد الله الخشني

بعضًا من كتبه ومنها كتابه «قضاة قرطبة» [ابن الأبار، الحلة السيراء، 1/ 201، 202].

ولم يزل على ذلك الحال في نشر العلم والعبادة حتّى لزم بيته وتوفي في ليلة الاثنين منتصف جماد الأخير سنة 322هـ/ 933م [ابن فرحون، الديباج المذهب، 1/ 35].

آثاره

ألف ابن الجباب عددًا من الكتب ذكروا منها: 1 ـ مسند حديث مالك بن أنس؛ 2 ـ كتاب الإيمان؛ 3 ـ كتاب بعض قصص الأنبياء؛ 4 ـ كتاب فضائل الوضوء والصلاة وحمد اللّه وخوفه؛ 5 ـ كتاب في الرد على محمد بن مسرة حمله عنه أبو محمد الباجي المحدث [ابن منصور، أعلام المغرب العربي، 2/ 270].

المصادر والمراجع

• ابن الأبار، محمد عبد اللّه، الحلة السيراء، تح. د. حسين مؤنس، جزءان، القاهرة 1963، 1/ 201 ـ 202؛
• الخشني، أبو عبد اللّه محمد بن حارث، قضاة قرطبة، القاهرة، 1966، 127-131، 303؛ • الحميدي، جذوة المقتبس، القاهرة، 1966، 4/ 113؛
• ابن العماد، عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، 1979؛ • القاضي عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح. محمد بن شريفة، المملكة المغربية، د. ت/ 174-176؛ • الذهبي، أبو عبد اللّه شمس الدين محمد، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1957، 3/ 14؛
• ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، بإشراف عباس بن عبد السلام، ط مصر، 1351 هـ، 1/ 35؛ • الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، 175 ـ 176؛
• ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، صححه عزّت العطار الحسني ط2، مصر، 1988، 1/ 42؛
• المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، 2/ 14 ـ 15، 50 ـ 51 ـ 63 ـ 148، 156 ـ 515 ـ 644، 3/ 133، 235 ـ 236؛
• الزركلي، الأعلام، ط3، بيروت، 1969، 1/ 118؛ • كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1957، 1/ 214.

د. مزاحم علاوي الشاهري

جامعة الموصل ـ العراق

الجبالي، إبراهيم حسن بن يوسف

(1295هـ/1878م - 1370هـ/1951م)

إبراهيم بن حسن بن يوسف الجبالي، من علماء الأزهر وكتّابه.

مولده بناحية الرحمانية، مركز شبراخيت، من أعمال مديرية البحيرة في غرة المحرّم 1295هـ/ 5 يناير 1878م.

وكان أبوه من أهل العلم فاعتنى به واختار له أحسن المشايخ لتلقينه وتحفيظه القرآن الكريم ومبادئ الدين الاسلامي.

ولمّا أتمّ ذلك انتقل إلى الدراسة في الأزهر وذلك سنة 1307 هـ وتفرغ للعلم والدرس حتى أحرز على شهادة العالمية (1322هـ/ 1902م)، وعلى إثر ذلك انتدب للتدريس بالأزهر ثم دعي، مع زملاء له، إلى مشيخة الأسكندرية سنة 1905 م لتنظيم التعليم الأزهري هناك، فقام بالمهمّة أحسن قيام. ومن هناك دعي إلى تولّي الاشراف على تنظيم عدّة معاهد أزهرية في الأقاليم المصرية مثل معهد أسيوط سنة 1339هـ/ 1920م ومعهد الزقازيق سنة 1342هـ/ 1923م، كما عهد إليه في هذه الاثناء بمهمّة التفتيش بالأزهر والمعاهد الدينية. واختير في سنة 1924م عضوا بمجلس الشيوخ مع بقائه على وظائفه العلمية، إلّا أنّ عضويته في هذا المجلس لم تطل وخُيّر بين الاستقالة والتفرّغ للتدريس والكتابة. واختارته وزارة المعارف مفتشا ومشرفا على التعليم الديني.

ثم نجده في السنوات 1350 - 1358هـ/ 1930 - 1938م مدرسا بقسم التخصص بالأزهر ومحرّرا وكاتبا في «مجلة الأزهر» في فترتها الأولى وكانت تحمل اسم «نور الإسلام» فكان ينشر في كل عدد منها أكثر من مقال يتناول فيها مختلف نواحي المعرفة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، وتشريع، مجيبا على أسئلة المطالعين مقوّما للحياة الإسلامية وما ظهر فيها من بدع وضلالات، حاضا على التمسك بالأخلاق والقيم الإسلامية. وكانت وفاته سنة 1370هـ/ 1951م.

آثاره

لم يترك الشيخ الجبالي مؤلفات غير تأليف وحيد، ولو جمعت مقالاته المنشورة في مجلة الأزهر وحدها لكوّنت مجلدات.

أما كتابه الوحيد، فهو: «شفاء الصدور بتفسير سورة النور»، القاهرة، مطبعة الإرشاد، 1936م، 254ص.

وهو في أصله منشور في حلقات متسلسلة في مجلة «نور الاسلام». وقد سلك في تفسيره هذا مسلك الدعاة مبتعدا عن المناقشات اللّفظية والبلاغية، مستلهما روح التشريع وحكمته مستخرجا من أسراره ما يرفع المؤمن إلى أعلى الدرجات الخلقية والتربوية.

المصادر والمراجع

• فهمي، زكي، صفوة العصر في تاريخ

ورسوم مشاهير مصر ص 529 ـ 532؛ ● الكتب العربية التي نشرت في مصر (1926 ـ 1940) ص 21؛ ● مجلة نور الإسلام من المجلد 1 إلى المجلد 6.

أ. البشير البكوش
أمين مكتبة مجلس النواب ـ تونس

■ الجبالي، عبد القادر بن خالد

(ت 1122هـ/1711م) ■ ■ ■

عبد القادر بن خالد بن زيد بن خالد العيسى الجبالي، ونسبته «العيسي الجبالي» نسبة إلى بني عيسى قرية بجبال مطماطة جنوبي البلاد التونسية.

فقيه مالكي برع في النحو وتخصّص فيه، وقال الشعر وخصّ به الحضرة النبوية. مولده في قريته بجبال مطماطة، وانتقل إلى تونس وهو صغير، وحضر دروس جامع الزيتونة، وتتلمذ على أعلامه وأبرزهم الشيخ فتاتة.

بعد تخرجه وإتمام تحصيله انتصب للتدريس فاستفاد منه جماعة من الطلبة، منهم الشيخ زيتونة والشيخ برناز.

وكانت وفاته بتونس في ذي القعدة سنة 1122هـ/ 1711م.

■ آثاره

1 ـ ديوان أشعاره وأغلبها في المديح النبوي، كما احتوى على تخاميس متعددة لقصيدة البردة للبوصيري، كما خمس قصيدة الطرايفي في الغرض المذكور. ومن هذا الديوان نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس؛ 2 ـ رفع الحجاب عن شواهد قواعد الاعراب. شرح فيه شواهد مقدمة ابن هشام في النحو مخطوطاته كثيرة في دار الكتب بتونس؛ 3 ـ تحفة الحبيب على شواهد «مغني اللّبيب لابن هشام» وهو شرح مبسوط يقع في عدة مجلدات كبار جمع فيه ما تفرق في غيره.

■ المصادر والمراجع

● المؤنس، ص 216؛ ● بشائر أهل الإيمان، ص 205 ـ 206؛ ● الحلل السندسية، 3/ 152 ـ 156؛ ● كتاب العمر، 3/ 119 ـ 121.

أ. البشير البكوش
أمين مكتبة مجلس النواب ـ تونس

ابن الجبّان اللّغوي، أبو منصور محمد علي

(350هـ/962م - 420هـ/1029م)

هو أبو منصور محمد علي بن عمر الرّازي، ويعرف أيضا بابن الجبّان اللّغوي. لا تذكر كتب التّراجم تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته. والأرجح أنه عاش فيما بين سنتي 350هـ و420هـ. فقد زار بغداد سنة 391هـ [الصّفدي، الوافي بالوفيات، 4/ 180] وعاصر أبا علي بن سينا الرّئيس (ت 428هـ) وخالطه، كما خالط الصّاحب بن عبّاد (ت 385هـ). ويذكر السّيوطي أنّه قُرئ على ابن الجبّان في سنة 416هـ [بغية الوعاة، 1/ 185].

أصله من الريّ وعاش في إصفهان، وكان إماما في اللغة وأديبا شاعرا، وهو تلميذ أبي علي الفارسي (ت 377هـ).

تُجمع كتب التراجم على كثرة فضله وكمال معرفته باللّغة والأدب. فهو عند القفطي: الفاضل الكامل العلّامة شيخ وقته في اللّغة واستفادتها. وله رواية، واستفاد النّاس منه، وأخذوا الكثير عنه [إنباه الرّواة، 3/ 194]. وهو عند ياقوت: أحد حسنات الريّ وعلمائها الأعيان، جيّد المعرفة باللّغة، باقعة الوقت وفرد الدّهر وبحر العلم وروضة الأدب. [معجم الأدباء، 18/ 260]. وهو عند الصفدي: إمام في اللغة [الوافي بالوفيات، 4/ 180].

لمّا قدم بغداد سنة 391 هـ روى بها مصنّفه الموسوم بكتاب «انتهاز الفرص في تبيين المقلوب من كلام العرب». وقد قرأه عليه عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي ورواه عنه.

وقد روى بإصفهان حيث عاش وأُخذ عنه وقرئ عليه مسند الروياني (ت 307هـ) بسماعه من جعفر بن فناكي. وتكلّموا فيه من قبل مذهبه الذي يرجّح أن يكون مذهب المعتزلة [الوافي بالوفيات، 4/ 180].

كان ابن الجبّان ينخرط في سلك ندماء الصّاحب بن عبّاد، وكان الصاحب يعزّه ويجلّه ويعلم مقداره ويقرّبه، ثم استوحش من خدمته، وقطع صلته. وله شعر كتب به إلى الصاحب منه:

قل للوزير أدامَ الله نعمتَه
مستخدمًا لمجاري الدهر والقدرِ

ازددت عيدًا وقد أعطيتَه ولدا
فسمِّه باسْم من في المعْراج مفتخري

لا زال ملكك ممدودا ومنتشرا
فإنّه خيرُ ممدود ومنتشِرُ

ويذكر القفطي أنّ أبا منصور بن الجبّان حضر في مجلس علاء الدّولة بن فخر الدولة بن بويه وفي المجلس أبو علي بن سينا الرّئيس، وهو يومئذ وزير لعلاء الدولة. وجرى فصل من اللغة تكلّم فيه الرّئيس ابن سينا، فقال له أبو منصور: أنت منطقيّ، ما نعارضك، وكلامك

في لغة العرب ما نرضاه. فسكت أبو علي خجلا، وبعد انفصاله من المجلس نظر ابن سينا في اللغة وتبحّر فيها، وعمل رسائل أودعها نوعا متوفّرا من اللّغة. واتفق أن سأل علاء الدّولة ابن الجبّان عمّا تضمّنته تلك الرسائل من الغريب، فعلم بعضه وأنكر بعضا، فقال أبو علي بن سينا الكلمة الفلانية معناها كذا، وهي مذكورة في الكتاب الفلاني، وشرح جميعها، وأحال على الأصول. فخجل أبو منصور بن الجبّان، وفطن لما فعله ابن سينا، واعتذر إليه طويلا، وشرع في تصنيف كتاب في اللغة أحسن ترتيبه وتبويبه، واستوفى فيه اللغة غاية إمكانه، وجاء كبيرا وسمّاه لسان العرب. على أنّه مات قبل إخراجه من المسودّة، فبقي على حاله. [القفطي، إنباه الرواة، 4/ 171].

آثاره

1 ـ كتاب الشامل، وهو كتاب كبير في اللغة مرتّب على الحروف، قصد فيه ابن الجبّان جمع الألفاظ اللّغويّة كاملة قدر الإمكان، مع قليل من الشواهد وكثير من الشروح. وقد ذكر القفطي أنّه ملك منه بعضه، والكتاب في 13 مجلّدا [إنباه الرّواة، 3/ 194 و4/ 170]؛ 2 ـ كتاب شرح الفصيح: وهو شرح على كتاب الفصيح لثعلب (ت 291هـ) يوجد مخطوطا في سوهاج [تاريخ التراث العربي مج. 8، 1/ 426]، وقد تمّ تحقيقه ضمن بحث لم يطبع ولم ينشر ورد تحت عنوان: شرح الفصيح لابن الجبّان الاصفهاني، دراسة وتحقيق، ماجستير، بغداد، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1974 [مجلة المورد، 7/ 1، 1978]؛ 3 ـ لسان العرب، كتبه على إثر الحادثة التي جرت له مع ابن سينا. وهو كتاب استوفى فيه ابن الجبّان اللّغة، إلّا أنّه لم يتمكّن من إخراجه للنّاس، فبقي في المسودّة بعد أن باغتته المنيّة. [القفطي، 4/ 171]؛ على أن صاحب كشف الظنون ينسب هذا الكتاب إلى الشيخ الرّئيس ابن سينا يقول: وكتب الشيخ الرّئيس ابن سينا كتابا في اللّغة، وهو المسمّى بلسان العرب، في عشرة مجلّدات، لكنّه بقي في المسودّة أو لم يظهر. [كشف الظنون، 2، 1550]؛ 4 ـ كتاب انتهاز الفرص في تفسير المقلوب من كلام العرب؛ 5 ـ كتاب أبنية الأفعال: لم يصلنا، ذكره ياقوت في معجم الأدباء، [مج. 18].

المصادر والمراجع

● ياقوت، معجم الأدباء، 18/ 260 ـ 262؛ ● القفطي، إنباه الرّواة، 3/ 194 و4/ 170 ـ 171؛ ● الصّفدي، الوافي بالوفيات، 4/ 180؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، 185 ـ 186؛ ● سيزكين، تاريخ التراث العربي، مج. 8، 1/ 425 ـ 426؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، 11، 30 ـ 31.

د. خالد ميلاد
جامعة تونس

جبر، الأب فريد

(1340هـ/1921م ـ 1412هـ/1993م)

ولد الأستاذ اللبناني المتخصص في فلسفة العصور الوسطى الإسلامية واللاهوت في منطقة ضبية في المتن بلبنان سنة 1921م. وأصل العائلة من قرنة الحمراء الأكليريكية بقرن الشباك وبدأ بتلقي اللغات والعلوم الدينية واللغة العربية بمدرستها، حيث درس على يد الأب بطرس التنوري اللغات القديمة كالسريانية الحديثة والفرنسية والعربية. وحين وصل إلى سن العشرين من عمره درس في فرنسا اللاهوت والفلسفة على يد الآباء اللعازاريين أثناء الحرب العالمية الثانية في الفترة من 1942 ـ 1945م. ثم التحق في العام نفسه 1945م بجامعة السربون لإعداد دكتوراه الدولة في الفلسفة الإسلامية حول «فكرة اليقين عند الغزالي» الذي شغل به طوال حياته، وقدم العديد من الدراسات حوله وناقش رسالته عام 1955م. وقد عين بعد حصوله على الدكتوراه أستاذا للفلسفة الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة اللبنانية، وقام بإلقاء العديد من المحاضرات الفلسفية في فرنسا، وألمانيا، وإنجلترا، والولايات المتحدة. وقد زار عددا من الجامعات الأوروبية مثل: كمبردج، وأدنبرة، وتوبنجن. وقام في فترة إعداد الدكتوراه بتدريس تاريخ الأدب العربي والفلسفة في مدرسة الآباء اللعازاريين بدمشق في الفترة من 1945 ـ 1952م، وتدريس اللاهوت العقدي في المعهد الكاثوليكي الأكليريكي العالي للأقباط بمصر في مدينة طنطا والمعادي أعوام 1952 ـ 1954م. وعين رئيسا على دير الآباء اللعازاريين في الاشرفية ببيروت لمدة عشر سنوات 1963 ـ 1972م. وقد شغل منصب مدير كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة اللبنانية الفرع الثاني بين عامي 1976 ـ 1979م كما عين رئيسا للآباء اللعازاريين بالشرق الأوسط من 1974م حتى 1980م.

آثاره

بحث وترجم وحقق وكتب بالعربية والفرنسية وله بعض الدراسات بالانجليزية والألمانية في الفلسفة والفكر الديني.

في مجال الترجمة قام بالاشتراك مع الشيخ صبحي الصالح بترجمة من الفرنسية لكتاب لوي غارديه وجورج قنواتي «فلسفة الفكر الديني في الإسلام والمسيحية» في ثلاثة مجلدات طبع مرتين 1967م و1981م.

ومن أعماله بالفرنسية: فبالإضافة إلى رسالته للدكتوراه وعنوانها: La notion de certitude chez Ghazali dans ses origines psychologiques et historiques التي نشرت بباريس سنة 1958م، نشر «المنقذ من الضلال للغزالي»، النص العربي مع ترجمة فرنسية، ضمن مطبوعات اليونسكو ببيروت سنة 1960م والطبعة الثانية سنة 1969م. وقاموس الغزالي، وهو من مطبوعات الجامعة اللبنانية

سنة 1970م والطبعة الثانية سنة 1985م. والمقال عن حياة الغزالي وأعماله وعنوانه: «La biographie et l'oeuvre de Ghazali reconsidérées à la lumière des «Tabaqat»» de Sobki الذي نشره بمجلة ميديو (Mideo)، المجلد 1، سنة 1954م. والمقال عن مشكلة المعرفة لدى أرسطو والغزالي، وعنوانه: l'être et l'esprit dans la pensée arabe نشر بمجلة Studia Islamica، المجلد 32، سنة 1970م. والمقال عن معنى التجريد عن ابن سينا وعنوانه: Le sens de l'Université chez Avicenne ونشره في Mélanges de l'Université St. Joseph المجلد 50، عدد 1، سنة 1984م. ثم كتابه حول فكرة المعرفة لدى الغزالي، وعنوانه: La notion de la «Ma Rifa» chez Ghazali الذي طبع بدار المشرق ببيروت سنة 1958م.

المصادر والمراجع

- حوار الفكر العربي من منطلق تحقيق فلسفي، في آفاق عربية، ع 4، 1987م؛
- موسوعيون وموسوعات في الثقافة العربية، مكتبة لبنان؛ • مع الأب فريد جبر حول الفكر العربي وتطلعاته الفلسفية، مجلة الحوادث، فبراير 1986م؛
- منشورات الجامعة اللبنانية، مجموعة مقالات وأبحاث تكريما للأستاذ والمفكر اللبناني فريد جبر، بيروت 1989؛
- د. أنطوان سيف، فريد جبر، لا نهضة للفلسفة العربية خارج عبقرية اللغة العربية والعلوم الإسلامية، 1993م.

د. أحمد عبد الحليم عطية
جامعة القاهرة ـ مصر

ابن جبر، أبو الحجاج مجاهد

(21هـ/642م ـ 104هـ/722م)

مجاهد ابن جَبْر، وقيل ابن جُبير، مقرىء ومفسر، ولد في مكة المكرمة، وهو مولى عبد الله بن السائب القارىء، وقيل مولى قيس بن السائب المخزومي، كنيته أبو الحجاج. كان أحد تلاميذ عبد الله بن العباس المقربين إليه، وعنه أخذ القراءة والتفسير والفقه، وكذلك عن أبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلي. كما سمع الحديث أيضًا من ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي ريحانة، وعبد الله بن عمر، ورافع بن خُديج وغيرهم. وحدث أيضًا عن عائشة أم المؤمنين، إلا أنه لم يسمع منها، وأحاديثه عنها مرسلة، وكذلك أحاديثه عن علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية بن أبي سفيان [ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 10/ 42].

وحدث عنه أعلام التابعين من أقرانه، أمثال: عطاء بن أبي رباح، طاووس بن كيسان، وعكرمة مولى ابن عباس، وكذلك سليمان بن الأعمش، و عبد الله بن أبي نجيح، وعمرو بن دينار، وأبو إسحاق السبيعي، والليث بن أبي سُليم، وسلمة بن كهيل، وابن جُريج، وغيرهم.

كان مجاهد كثير التنقل والأسفار، ولا يكاد يسمع بمكان غريب، أو أعجوبة، إلا ذهب لرؤيتها. فيقال إنه زار حضرموت، ومدينة بابل الأثرية، للإطلاع على معالمها وأعاجيبها. فضلاً عن ذلك فقد ساهم في الفتوح الإسلامية في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، لاسيما العمليات الخاصة بافتتاح جزيرتي رودس وأرواد في البحر المتوسط. وبعد إنجاز فتح جزيرة رودس سنة 53هـ/ 672م، أقام فيها المسلمون نحو سبع سنين في حصن اتُخذ لهم. وكان من بينهم مجاهد بن جبر، الذي أقام فيها يقرىء الناس القرآن. وعلى الرغم من أن الخليفة معاوية كان يقوم بإبدال هؤلاء المرابطين ويغيرهم كل فترة، إلّا أن مجاهدا ظلّ فيها تلك السنوات، كما أنه ساهم أيضًا في افتتاح جزيرة أرواد، مع القائد جنادة بن أبي أمية الأزدي سنة 54هـ/ 673م. وسكن مجاهد أيضًا في هذه الجزيرة، وأقرأ بها تُبيْع ابن امرأة كعب القرآن، ويقال أن تُبيع قرأ عليه في جزيرة رودس [البلاذري، فتوح البلدان، 237؛ الطبري، تاريخ، 2/ 157 ـ 163]. وبعد وفاة معاوية سنة 60هـ/ 679م، أمر ابنه يزيد المسلمين بالانسحاب من هذه الجزر، فرجع مجاهد، وتنقل في مناطق مختلفة، وسكن الكوفة، وزار دمشق عدة مرات. إلى أن توفي في مكة، وهو ساجد في صلاته، على أرجح الروايات سنة 104هـ/ 722م، وقيل سنة 102هـ/ 720م أو 103هـ/ 721م أيضًا عن ثلاث وثمانين سنة من عمره.

وتشير المصادر إلى بعض تنقلات مجاهد بن جبر، لا سيما قدومه على الخليفة سليمان بن عبد الملك، والخليفة عمر بن عبد العزيز في أيامه الأخيرة، حيث شهد وفاته. وقد حاوره الخليفة، وطلب منه أن ينقل إليه رأي الناس فيه. وتشير رواية مروان بن معاوية عن معروف بن مشكان عن مجاهد، التي نقلها الذهبي [سير أعلام النبلاء، 4/ 453] إلى اطلاع مجاهد بن جبر على تفاصيل المؤامرة التي دبرت لقتل الخليفة بالسم، واكتشاف الفاعل، الذي اعترف أمامه وأمام الخليفة باستلامه ألف دينار نظير ذلك، فسامحه الخليفة وأرجع المبلغ إلى بيت المال.

إن مشاركة مجاهد بن جبر، وحضوره لهذه الأحداث، يشير إلى أهمية دوره في الحياة العامة، ولا شك أنه كان لمنزلته وعلمه أثر كبير في علو مكانته لدى بعض الخلفاء الأمويين، فضلا عن مشاهير علماء الأمة، أمثال عبد الله بن عمر، الذي صحبه مجاهد كثيرًا. وكان ابن عمر يقدره جدًا، ويمسك بركابه إذا ركب، ويسوي عليه ثيابه. ورغم شهرته، واتصاله ببعض الخلفاء الأمويين، إلا أنه لم يتقلد منصبا عاما، كالقضاء أو غيره، وقد وَهِمَ ياقوت الحموي في اسم مجاهد بن جبر، حين أشار في ترجمته إلى استخلافه على خراج مصر من قبل عمرو بن العاص في عهد الخليفة الراشدي الثاني

عمر بن الخطاب ﷺ، والصحيح أن سَميًّا له شارك في فتح مصر واختط فيها، وكان مولى لابنه غزوان، أخت عتبة بن غزوان الصحابي المعروف، هو الذي تولى ذلك المنصب. وكان يدعى أيضًا مجاهد بن جبر [معجم البلدان، 17/ 79 ـ 80].

اشتهر مجاهد بن جبر بكونه مفسرًا للقرآن الكريم. وأكثر علمه في هذا المجال مأخوذ عن عبد الله بن عباس، وقد صنّف تفسيرا يُعرف بتفسير مجاهد، اعتمد عليه الشافعي، والبخاري وغيرهما من علماء الأمة. ويأتي هذا التفسير عن بعض الطرق، منها الروايات التي أوردها الطبري والتي جاءت بالإسناد عن طريق عبد الله بن أبي نجيح، أو عن ابن جُريج، أو عن ليث بن أبي سُلَيم.

ويبدو أن مجاهدًا كان من أوائل أتباع التفسير العقلي للقرآن الكريم، وفي تفسيره كثير من المجاز وتعبيرات المشبهة. ويعترف مجاهد، انه لم يقرأ قراءة ابن مسعود، وإلا لما احتاج أن يسأل ابن عباس عن كثير من مسائل القرآن. وتتعدد الروايات في الإشارة إلى عدد المرات التي عرض فيها مجاهد القرآن على ابن عباس. فقد جاء عنه أنه قرأه عليه ثلاثين مرة، أو تسعًا وعشرين مرة، ولكن الذي صحّ أن مجاهد قال: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أَقِفُهُ عند كل آية، أسأله فيما نزلت وكيف كانت» [الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص 66] والراجح أنه قرأ على ابن عباس القرآن وختمه عن ظهر غيب ثلاثين مرة، منها ثلاث، سأله فيها عن كل آية، ومعناها، وأسباب نزولها.

ونتيجة لهذه المثابرة والإصرار على معرفة كل معاني الآيات، وأسباب نزولها، فقد وصف ابن جبر بأنه أحد أعلام شيوخ المفسرين، وأنه «كان من العلماء» وهو أعلم من بعض معاصريه، أمثال عطاء بن أبي رباح، وطاووس بن كيسان. وقال سفيان الثوري، بأن التفسير لا يؤخذ إلا من أربعة، هم: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، والضحاك بن مزاحم، وكان مجاهد أعلمهم بالتفسير. وكان بعض تفسير مجاهد يؤخذ بتحفظ، وذلك لأنه كان يطلب الرأي كثيرًا عند علماء النصارى، وأحبار اليهود. فقد قال أبو بكر بن عياش: «سألت الأعمش ما لهم يتقون تفسير مجاهد؟ قال: «كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب»، وقيل أيضًا إنه كان يحدث عن صحيفة جابر بن عبد الله.

أما بالنسبة للفقه، فقد جعل مجاهد للرأي أهمية كبيرة في إصدار الأحكام، ويشير الذهبي [سير أعلام النبلاء، 4/ 455] أن لمجاهد أقوالاً وغرائب في العلم والتفسير تستنكر، ويلمح إلى ذهابه إلى بابل ومحاولته استكشاف أعاجيبها. ولكن، وعلى الرغم من هذه الانتقادات، والمسائل التي أُخذت عليه، فقد كان مجاهد عالمًا ثقة كثير الحديث [ابن سعيد، طبقات، 5/ 367]. ويعد حسب قول قتاده السدوسي، أعلم من بقي بالتفسير في عصره. ويرى أحد تلامذته، سلمة بن كهيل، انه كان كثير الغم مهموماً. وقد سئل مجاهد عن ذلك فقال: حسبما يذكر سليمان بن الأعمش، إنه تأثر بما رواه ابن عباس عن النبي حين أخذ بيده وقال: «يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»

[ابن العماد، شذرات، 1/ 125]. لهذا لم ينشغل إلا بالعلم. فأصبح من الأعلام الأثبات، حافظًا للحديث مكرسا جده ووقته للتفسير. وكان حديثه وعلمه محببًا لسامعيه وتلامذته، حتّى إن أحدهم، وهو ابن جُريج قال: لأن أكون سمعت عن مجاهد، أحب إليّ من أهلي ومالي.

■ المصادر والمراجع

● ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، 1957، 5/ 466 ـ 467؛
● خليفة، الطبقات، تح. سهيل زكار، دمشق، 1966، 2/ 702؛ ● ابن قتيبة، المعارف، تح. ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، 1969، ط 2، ص227؛
● البلاذري، فتوح البلدان، تح. رضوان محمد رضوان، مصر، مطبعة السعادة، 1957، ص237؛ ● الطبري، تاريخ الرسل والملوك، نشر دي غوية، لايدن، 1879 ـ 1903، 1/ 76، 95، 103، 110، 115، 116، 262، 278، 298، 307، 341، 369، 376، 379، 383، 400، 446؛ ● ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، نشر م. فلايشهمر، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1959، ص 82؛
● أبو نعيم، حلية الأولياء؛ ● الشيرازي، طبقات الفقهاء، تح. خليل الميس، بيروت، دار القلم، ص58؛ ● ابن الجوزي، المنتظم حتّى سنة 257هـ، تح. محمد ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992، 7/ 94 ـ 95؛ ● ابن الجوزي، صفوة الصفوة، تح. محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي، بيروت، دار المعرفة، 1979، 2/ 208 ـ 211؛ ● ياقوت، معجم الأدباء، بيروت، دارالمستشرق، 17/ 77 ـ 80؛ ● ابن الجزري، غاية النهاية، نشر، ج. برجستراستر، مصر، مكتبة الخانجي، 1933، 2/ 41 ـ 42؛
● الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، عن طبعة حيدر آباد الدكن 1955 ـ 1958، 1/ 92 ـ 93؛
● الذهبي، ميزان الاعتدال، تح. علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة، 1963، 3/ 439 ـ 440؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط 9، تح. شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ، 4/ 449 ـ 457؛ ● الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح. محمد بن السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985 1/ 94 ـ 95؛ ● الذهبي، معرفة القراء الكبار، تح. بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1404هـ، 66 ـ 67؛ ● ابن حجر، تهذيب التهذيب، بيروت، دار صادر عن طبعة حيدر آباد الدكن، 1326هـ، 10/ 42 ـ 44؛
● السيوطي، طبقات المفسرين، تح. علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، 1396، 11؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1/ 125؛
● حاجي خليفة، كشف الظنون، بيروت،

دار الكتب العلمية، 1992، 1/ 458؛
● الزركلي، الأعلام، ط2، القاهرة، مطبعة كوستانوماس، 1955، 6/ 161؛
● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي، 1957، 8/ 177؛
● سزكين، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية، محمود فهمي حجازي، السعودية، 1983، م 1، 2/ 70 ـ 71.

د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل ـ العراق

جبر، ميخائيل ضومط

(1276هـ/ 1859م ـ 1348هـ/ 1930م)

ولد جبر ميخائيل ضومط «في برج صافيتا» (من أعمال محافظة اللاذقية) بسورية في الرابع عشر من أيلول 1859. تعلم في مدرسة القرية، وهي مدرسة أنشأها المرسلون الأمريكيون. وتعرف إليه العالم يعقوب صروف في صيف 1869، فشجع الفتى «الموهوب» وساعده في انتقاله إلى مدرسة «عَبَيه» (في جبل لبنان) ليكمل تحصيل علومه. ثم انتقل جبر إلى الكلية الانجيلية السورية، وكان من أساتذته فيها وقتذاك يعقوب صروف، والشيخ إبراهيم الحوراني.

عمل في حمص مدرسا في مدرسة حمص الأمريكية، في وقت لم يكن للمدارس الأميرية أي شأن يذكر. وفي العام 1884 سافر إلى الإسكندرية، وحرر في جريدة «المحروسة»؛ ثم عمل ترجمانا في حملة «غوردون» إلى السودان. ثم سافر إلى انكلترا، فدرس في مكاتب لندن والمتحف البريطاني. ثم عاد إلى لبنان في العام 1889، ليزاول مهنة التعليم؛ فكان أستاذا للعربية وعلومها في جامعة بيروت الأمريكية (الكلية الأنجيلية السورية سابقا). وانتخب عضوا مراسلا بالمجمع العلمي العربي بدمشق، وله في مجلة المجمع مقالات عدة، وإسهامات في العديد من المجلات المشهورة وقتذاك، كالمقتطف والمحروسة ولغة العرب. وفي العام 1930 توفي جبر ضومط ببيروت بعد أن كان قد أنجب ذرية.

وهو لغوي ذواقة متضلّع من علوم العربية وفلسفتها نشوءًا وارتقاءً، وباحث متعمق ينأى عن التقليد والمحاكاة بلا إعمال للفكر أو السؤال: كيف؟ ولماذا؟

امتاز بخصلتين أساسيتين في حياته الشخصية والعلمية: البحث عن الحقيقة المجردة بعيدا عن الهوى والأتباع، والانتفاع بمبدأ الاقتصاد انتفاعا دعا إليه في الحياة العامة، وطبقه في علم البلاغة على «انتباه السامع ومتأثريته» [فلسفة البلاغة؛ وفلسفة اللغة العربية وتطورها ص 11 ـ 23 و106 ـ 110].

وقد تجلت أفكاره التجديديّة في معظم

كتاباته. ولعل من أبرزها ذلك البحث الموصول عن «أصل اللغة العربية»، وكيف نشأت كلماتها وتصاريفها؛ فاللغة في رأيه كائن حي، يعتورها التغيير والتبديل. لذا لا بد من التمييز بين الجوهر والعَرَض. أما الجوهر في العربية فيتمثل في الاشتقاق والقياس.

وهو في علم البلاغة ينادي بوجوب النظر في جميع النص، لا بالوقوف عند الجزئيات. والبليغ البليغ، في رأيه، هو الربط بين الاقتصاد على انتباه السامع وبين الاقتصاد على متأثريته [فلسفة البلاغة، وكتاب: الخواطر الحسان. . .] لذا فالبلاغة عنده «غير منحصرة في جيل ولا هي أيضا خاصة بزمان دون زمان، ولا بمكان دون مكان، وإن اختلفت وتباينت باختلاف الزمان والمكان. .» [فلسفة اللغة العربية وتطورها، ص116].

وما يسترعي النظر في مبحثه النحوي ذلك الالحاح منه على إعمال الذائقة اللغوية في الترجيح بين أوجه المسألة الواحدة، وهو ما أشرنا إليه في دراسة كتاب «الخواطر العراب. .».

ومن أشهر أعماله «الخواطر الحسان في المعاني والبيان». وهذا الكتاب يحمل رؤية متجددة في علم البلاغة من حيث علاقته بالنقد الأدبي، وما يعرف اليوم بالمباحث «الأسلوبية». وقد تمثل ذلك في ما قاله ضومط في مفهوم البلاغة وهو «وجوب النظر إلى جميع النص». وهي فكرة بالغة الأهمية في مباحث النقد الأدبي، وبخاصة إذا عرفنا أن البحث البلاغي التقليدي يسقط الضوء على جزئيات، وينتقل إلى مفهوم ارتباط الجمل في المقطع، والأخير في المقالة أو الفصل، والفصول في نسق الكتاب جملةً، وعلاقة ذلك بالوسط الزماني والمكاني، أو الاستصحاب والعلة والمعلول والغاية والصورة والمادة والوهم والتخيل وسواها.

وأما الكاتب البليغ فهو ـ في رأيه ـ من أحسَنَ جميع هذه الاعتبارات، وربط بين جمله وقطعه وفصوله على ما يقتضيه الحال بأنسب الروابط وأدلّها على الغرض المقصود [ص 22 ـ 23].

وتتجلى قيمة هذا الكتاب، مع أنه مدرسي، بخروجه على التقليد، أو الاكتفاء بتلخيص ما نشر. فهو يصر على تقديم مادة البلاغة بثوب جديد والتأكيد على الجدوى في المصطلح البلاغي وعدم فصله عن مفهوم النقد الحديث. ولسوف يكون هذا تمهيدا لتطور آخر في التعاطي مع البلاغة ووظيفتها، وسيظهر في كتابه الثاني «فلسفة البلاغة».

ويقوم كتاب «فلسفة البلاغة» على نظرية «الاقتصاد على انتباه السامع ومتأثريته». وجلي أن ضومط يفيد من أفكار الاقتصادي هربرت سبنسر، وهو ما أشار إليه الكاتب نفسه [ص 88]. أما الشق الأول من النظرية فيعني «ألّا تلجئ الذهن في انتقاء مفردات جملك، ولا في تنسيقها وسائر ما يتعلق بها إلى صرف ما هو في غنى عن صرفه من قوة انتباهه لإدراك المعنى المقصود بها». وأما الشق الثاني «البلاغة في الاقتصاد على متأثرية السامع»، فبدءا «لا يقتصر السامع إذا سمع العبارة الكلامية على أن يفهم معناها فقط، بل هو يفهم معناها، ويتأثر بها معا» [ص 143].

وفي ذلك قوتان: «قوة للفهم أو الإدراك» وهو ما أردنا بانتباه السامع؛ وقوة للتأثر والانفعال، «وهو ما نريده بالمتأثرية» [ص 143]. ثم يقول: «وعلى ما نرى لا يوفّى الموضوع حقه إذا أغفلنا الكلام عن الاقتصاد على المتأثرية، لأن الاقتصاد عليها إن لم يكن أهم من الاقتصاد على انتباه السامع فهو مساو له..» [ص 143].

وبعد الفراغ من تطبيقه النظرية على مسائل البلاغة يعود ليؤكد الربط بين شقي النظرية، وما بينهما من اتصال؛ فـ «إن بين الاقتصاد على انتباه السامع وبين الاقتصاد على متأثريته نسبة كنسبة الفصاحة إلى البلاغة، بمعنى أنه كما لا بد في البلاغة من مراعاة الفصاحة، هكذا في الاقتصاد على متأثرية السامع، لا بد من مراعاة الاقتصاد على انتباهه، فإذا تم للكاتب مراعاة هذين الاقتصاديين، كان كلامه على أعلى طبقة من طبقات البلاغة» [ص 159].

واضح أن قيمة الكتاب بما يحمل من نظرية تطبيقية على مستويات بلاغية شملت اختيار اللفظ، ووضع الألفاظ في الجملة، وقيود الفعل والإسناد في الجملة، وتنسيق الجمل المتعددة في المقطع الواحد، وأنواع المجاز، إضافة إلى ما جرى من تطبيق آخر شمل الشعر وما يتصل به. وقد اغتنى هذا البحث بمصادره الأجنبية والعربية، وما كان من قدرة الكاتب على المزج بين الثقافتين، استجابة لروح العصر النهضوي الذي انتسب إليه.

ومن أعماله أيضا «الخواطر العراب في النحو والإعراب». وهو كتاب مدرسي في النحو العربي. لكن ما يميز هذا الكتاب من سواه هو روح التجديد عند المؤلف. فقد بدا أسلوبه المفعم بالحياة جليا في النصوص والاستقراء والتمارين.

ومن الملفت ما انتهجه وسجله في مقدمة الكتاب، ثم طبقه في الدروس. وهو ما يمكن أن نطلق عليه «المنهج الذوقي» المصاحب للمنهج القياسي. فهو يعتمد في منهجه «الذوقي» على الفهم والتمييز أولا، ثم يطرح أوجه المسألة الواحدة إذا كانت تغني فكر المتعلم وحسه، داعيا إياه إلى تحكيم الذوق.

ولعلنا نجد في هذا الكتاب وأمثاله ما يرفد البحث النحوي بمعطيات منهجية متطورة يكون من أبرزها ترغيب الناشئة في النحو، وبالتالي جعل هذه المادة وظيفية، قابلة للاستثمار والنفع في أساليب المنشئين والمتعلمين.

آثاره

1 - الخواطر في اللغة (بحث فلسفي في اللغة)، المطبعة الأدبية بيروت 1886؛ 2 - الخواطر العراب في النحو والإعراب، المطبعة الأدبية بيروت 1886؛ وط. ثانية بالمطبعة الأدبية 1909؛ 3 - الخواطر الحسان في المعاني والبيان، مطبعة الهلال بمصر 1896؛ وطبع ثانية بمطبعة الوفاء، بيروت 1930؛ 4 - فلسفة البلاغة، المطبعة العثمانية، بعبدا (جبل لبنان)، 1898؛ 5 - فك التقليد في علم الصرف على أسلوب جديد، ألفه بمعاونة بولس (أفندي) الخولي، بيروت 1908؛ 6 - اللغة العربية (بحث تاريخي فلسفي)، المطبعة الأدبية بيروت 1911؛ 7 - فلسفة اللغة العربية وتطورها

(مجموعة مقالات في تاريخ اللغة العربية ونهضة الأقوام المتكلمين بها، وفلسفة نشوئها وتطورها ووسائل ترقيتها، كان قد نشرها في مجلتي المقتطف والهلال بين سنة 1888 وسنة 1928 مع مقدمة للدكتور صروف، (ص ص أ ـ هـ)، مطبعة المقتطف والمقطم بمصر 1929.

المصادر والمراجع

● كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، 3/ 109 ـ 110؛ ● الزركلي، الأعلام، 2/ 108 ـ 109؛ ● سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، 1/ 674 ـ 675؛ ● آل جندي، أدهم، أعلام الأدب والفن، 2/ 355؛ ● أبو سعد، أحمد، معجم أسماء الأسر والأشخاص، 544 ـ 545؛ ● ياغي، هاشم، النقد الأدبي الحديث في لبنان 1/ 212 ـ 235؛ ● م. ن. مجلة لغة العرب، 7/ 708 ـ 713، 8/ 167؛ ● الخولي، بولس، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، 10/ 492 ـ 497؛ ● مجلة المقتطف، 63/ 24 ـ 30، 70/ 358 ـ 359، 72/ 475، 76/ 497 ـ 500، 504 ـ 508؛ ● قاسم، رياض، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، 2/ 575 ـ 580، صفحات متفرقة؛ ● م. ن. مؤتمر العربية في لبنان، منشورات جامعة البلمند، 1998، ص 63 ـ 82.

د. رياض زكي قاسم
الجامعة اللبنانية
بيروت ـ لبنان

جبرا، إبراهيم جبرا

(1339هـ/1920م ـ 1415هـ/ 1994م)

جبرا إبراهيم جبرا، روائي وشاعر وناقد ومترجم وكاتب قصة قصيرة، ورسام، وهو شخصية متنوّعة الميول والإمكانيات. شارك في حركة التجديد في الفكر العربي المعاصر وبخاصة في قضايا الشعر والنقد والقصة.

ولد جبرا في مدينة بيت لحم بفلسطين العام 1920م، وقد درس في الصفوف الثلاثة الأولى في مدرسة السريان في بيت لحم، ودرس سنتين بعد ذلك في المدرسة الوطنية، ثمّ انتقلت أسرته إلى القدس، فدخل جبرا المدرسة الرشيدية وتتلمذ على يد نخبة ممتازة أمثال: إبراهيم طوقان، وعبد الكريم الكرمي، وإسحاق موسى الحسيني... وقد أمضى في هذه المدرسة ثلاث سنوات، انتقل بعدها في عام 1935م إلى الكلّية العربية ليتلقى العلم فيها. وفي عام 1939م توجّه إلى بريطانيا في

بعثة دراسية لدراسة الأدب الإنجليزي في الكلّية الرشيدية، وبعد نكبة 1948 توجّه جبرا إلى بغداد وقد كان يحمل درجة الماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة كمبردج سنة 1948م.

وفي بغداد كان أحد أساتذة الأدب الإنجليزي في كلّية الملكة عالية، ثم في كلية الآداب بجامعة بغداد لبضع سنوات.

وفي عام 1952 ذهب إلى الولايات المتّحدة في «زمالة بحث في النقد الأدبي»، وانتسب إلى جامعة هارفرد في زمالة دراسيّة للنقد الأدبي، حيث أمضى سنة ونصفا.

وفي عام 1954 عاد إلى بغداد، والتحق بشركة نفط العراق في منصب إداري، وظلّ محاضرًا في جامعة بغداد حتّى العام 1964م، وبعد تأميم شركة نفط العراق العام 1973م عُيّن في شركة النفط الوطنية، وقضى قرابة خمس سنوات رئيسًا لمكتب الإعلام والنشر في تلك الشركة. وفي عام 1977م نُقل من عمله في تلك الشركة ليعمل خبيرًا في وزارة الإعلام العراقية.

وقد غدّ، هو نفسه، مجيئه إلى بغداد «البداية لرحلة فاصلة في حياته الفكرية. . » إذ راح يزاوج في كتاباته «بين الكتابة كعملية خلق، والكتابة كعملية إبداع، جاعلا العمليتين تصبّ إحداهما في الأخرى كأمر حتمي» [معايشة النمرة، ص52].

أصدر جبرا كثيرًا من الأعمال الأدبية المتميّزة على صعيد الرواية والقصّة القصيرة، مثل «صراخ في ليل طويل، 1946م»، و«صيّادون في شارع ضيّق، 1960م»، و«السفينة، 1970م»، و«البحث عن وليد مسعود، 1978م»، و«الغرف الأخرى، 1986م»، و«يوميات سراب عفان، 1992م»، و«المجموعة القصصية: عرق وقصص أخرى، 1956م»، التي أعيد طبعها بعنوان «عرق وبدايات من حرف الياء، 1981م».

بحث جبرا في فنّه القصصي والروائي عن الأسباب التي تقف وراء قلق المجتمعات العربية، واضطراب وشعور الناس فيها بالتوتّر والضياع، وأهمّها عنده «التحوّل» من الماضي إلى الحاضر والمستقبل، من القديم إلى الجديد. فالعربي في هذا القرن تتنازعه قوّتان كبيرتان: قوّة الماضي بكل موروثاته من عادات وتقاليد وقيم، وقوّة الحاضر بكلّ معطياته المنبثقة من الداخل، والوافدة من الخارج، والمستقبل الذي لا سبيل إلى تحديده إلّا بانتصار إحدى هاتين القوّتين على الأخرى، وما دام هذا الصراع قائمًا على ما هو عليه من حدّة وقوّة، فإنّ الاضطراب، والقلق على المستقبل، سيظلّان يلاحقان الإنسان العربي حيثما وجد. وقد كانت مؤلّفاته فضاء لرؤى مختلفة لم تنج هي أيضًا من الاضطراب والتوتّر لأنّ الأنا العربية كانت تبحث لها عن هويّة ونقطة ارتكاز لتخرج من دوار التيارات المتناقضة التي تهبّ عليها، لذلك نجد في أدبه الرؤية المتفائلة إلى جانب الرؤية المتشائمة أو القاتمة.

ولقد حرص جبرا بحكم تمرّسه الطويل بالأدب الإنجليزي أن يكون إيجابيّا في رومانسيته. فهي رومانسية متحرّكة تحسّ فيها دبيب الحياة الطبيعية والحركة السليمة في الاتّجاه السليم. وإن يكن في الحركة بطء لكن

فيها النموّ والتطوّر الفنّي وليست الحركة متكرّرة أو منكفئة على نفسها... وقد أكسب شخوصه حيويّة وتغيّرًا متنوّعًا بذلك النموّ الفنّي. ومن هنا كان جبرا يعدّ بحق صاحب المدرسة الرومانسية الطبيعية للفنّ القصصي في مرحلة من المراحل...

وأصدر جبرا أربع مجموعات شعرية هي: «تمّوز في المدينة، 1959م»، و«المدار المغلق، 1979م»، و«متواليات شعرية بعضها للطيف وبعضها للجسد، 1996م»، وقصائد هذه المجموعات الشعرية جميعها متحرّرة من ضوابط العروض في محاولة لخلق إيقاع جديد.

وقد شاعت في شعر جبرا قضيّتان محوريتان، هما: أزمة الإنسان العربي المعاصر في مواجهة معطيات المرحلة التاريخية الراهنة، المتجسّدة في صورة المدينة العربية الجديدة، من حيث هي تجمّع بشري له ملامحه الخاصة، وهويته المتميّزة، وأزمة الوطن السليب بكلّ ما تعنيه هذه القضيّة للفلسطيني من دلالات. وأسهم جبرا في الحركة النقدية التي شهدتها الساحة الأدبية في هذا القرن، سواء بما وضعه من مؤلّفات، أو بما قام به من ترجمات عن الآداب الغربية، فكانت رافدًا مهمّا من روافد الحركة النقدية والأدبية التي عرفتها الساحة العربية في الثلاثين سنة الماضية وأهمّ كتبه النقدية: «الحرية والطوفان، 1960م»، و«الرحلة الثامنة، 1967م»، و«الفن العراقي المعاصر، 1972م»، و«جواد سليم ونصب الحرية، 1974م»، و«النار والجوهر، 1975»، و«ينابيع الرؤيا، 1979م».

كما كان عضوًا مؤسسا في «جماعة بغداد للفن الحديث» التي شكلها جواد سليم العام 1951م، مؤلّفة من رسامين ونحاتين لكلٍّ أسلوبه المعيّن، ولكنّهم يتّفقون في استلهام الجو العراقي لتنمية هذا الأسلوب، فهم يريدون تصوير حياة الناس في كل جديد يحدّد إدراكهم وملاحظتهم لحياة هذا البلد الذي ازدهرت فيه حضارات كثيرة واندثرت ثمّ ازدهرت من جديد، دون أن يغفلوا عن ارتباطهم الفكري والأسلوبي بالتطوّر الفني السائد في العالم، ولكنّهم في الوقت نفسه يبغون خلق أشكال تضفي على الفن العراقي طابعًا خاصًا وشخصية متميّزة [من بيانها التأسيسي].

وقد ناقش جبرا في كتبه النقدية الفنون الأدبية المختلفة، كالشعر، والرواية، والقصّة القصيرة، والمسرحية، كذلك تصدّى لنقد بعض الأعمال الفنية التي صدرت عن رسّامين ونحّاتين.

وإذا كنّا نجد في نقده الشعر ذلك التكامل بين شخصية الشاعر وشخصية الناقد، فإنّ ذلك هو ما أشار إليه من تأثير «ت.س. إليوت» عليه، في ما حدّده بأنّه «الصورة المطلقة للمبدع». وهو الموقف ذاته الذي يسري على نقده الرواية بوجه خاص، إذ نجد عنده هذا التكامل - أو الصورة المطلقة للمبدع - بين «الإبداع الروائي» و«النقد الروائي». بل نجده يذهب إلى أنّه كان في كتاباته النقدية يمنهج، ضمنًا، «للكتابة الإبداعية وطرائقها».

وقد أنجز جبرا، في خلال حياته التي امتدّت أربعة وسبعين عامًا، أربعة وستّين كتابًا ما بين تأليف إبداعي، وتأليف نقدي، وترجمة.

وقام جبرا بترجمة حوالي ثلاثين مؤلفًا أدبيًا مهمًا من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، وهذه الأعمال المترجمة تذهب في مسارين أساسيين، الأول منهما: ترجمات لأعمال نقدية وفكرية، والثاني لأعمال إبداعية (مسرحية، ورواية، وقصة قصيرة).

ولعل المسرحية أوفر الأعمال الأدبية الإبداعية حظًا في مترجماته، فقد ترجم لشكسبير ست مسرحيات هي: «هاملت، 1960م»، و«الملك لير، 1968م»، و«كريالانوس، 1974م»، و«عطيل، 1978م»، و«العاصفة، 1979م»، و«مكبث، 1979م»، كما ترجم مسرحية «في انتظار غودو، 1966م»، لصموئيل بيكيت (بالعامية العراقية)، ولم تنشر مطبوعة في كتاب، وإنّما قدّمت على المسرح.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى الملحوظتين الآتيتين:

- إنّ جبرا لا يترجم إلّا الأعمال التي يحبّها، ويرى فيها تجسيدًا لبعض أفكاره أو أحاسيسه، أو تلك الأعمال التي يرى فيها نموذجا رائعًا يمكن أن يجتذب الكتّاب العرب، أو أن يستفيدوا ممّا يطرحه من أفكار وتصوّرات جديدة.

- إنّ جبرا يحقّق في كلّ عمل يترجمه مستوى رفيعًا من الترجمة الدقيقة الحيّة، ولعلّ تمكّنه من اللغة الإنجليزية والعربية على السواء، هو الذي أعطاه هذه الخصيصة.

■ آثاره

زود جبرا المكتبة العربية بطائفة من الكتب الأدبية والدواوين الشعرية، وبعض كتاباته تُرجم إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، وهذه أهمّ أعماله:

1 - أدونيس أو تمّوز من كتاب «الغصن الذهبي»، دراسة في الأساطير الشرقية القديمة، جيمس فريزر، مترجم، ط1، بغداد 1957، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1979؛ 2 - الأديب وصناعته، روي كاودن، مترجم، مكتبة منيمنة ومؤسسة فرانكلين، بيروت 1962؛ 3 - الأسطورة والرمز، مجموعة مؤلّفين، مترجم، وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1973؛ 4 - آفاق الفن، الكسندر اليوت، مترجم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ط2؛ 5 - البئر الأولى، فصول من سيرة ذاتية، دار رياض الريس للكتب والنشر، 1987، ط1؛ 6 - البحث عن وليد مسعود، رواية، دار الآداب، بيروت 1968؛ 7 - ألبير كامو، جرمين براي، مترجم، بيروت 1967؛ 8 - تمّوز في المدينة، ديوان شعر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1959، ط2، بيروت 1981؛ 9 - جواد سليم ونصب الحرّية، دراسة في آثاره وآرائه، وزارة الإعلام، بغداد، 1974؛ 10 - الحرية والطوفان، دراسات نقدية، دار مجلّة شعر، 1960، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1979، ط2؛ 11 - الرحلة الثامنة، دراسات نقدية، المكتبة العصرية، بيروت، 1967، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1979، ط2؛ 12 - روبرت فروست، لورنس طومبسن، مترجم، المكتبة الأهلية ومؤسسة فرانكلين،

بيروت 1961؛ 13 ـ السفينة، رواية، بيروت، 1970، ط1، دار الآداب، بيروت، 1983، ط3؛ 14 ـ شكسبير معاصرنا، يانكوت، مترجم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1980؛ 15 ـ الصخب والعنف، رواية، وليم فوكنر، مترجم، دار العلم للملايين، بيروت 1963؛ 16 ـ صراخ في ليل طويل، رواية، بغداد 1955، ط1، دار الآداب، بيروت 1988، ط3؛ 17 ـ صيّادون في شارع ضيّق، رواية، صدرت بالإنكليزية أوّلا، لندن 1960، ترجمها إلى العربية محمد عصفور، دار الآداب، ط1، 1974؛ 18 ـ العاصفة، شكسبير، مترجم، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت 1979، ط1؛ 19 ـ عرق وقصص أخرى، مجموعة قصص قصيرة، صدرت طبعتها الأولى العام 1965 عن الدار الأهلية في بيروت، وأعادت الدار نفسها إصدارها العام 1958 تحت عنوان آخر «المغنّون في الظلال» دون علم الكاتب. وصدرت طبعتها الثانية عن اتّحاد الكتّاب العرب بدمشق 1974. وصدرت طبعتها الرابعة تحت عنوان: «عرق وبدايات من حرف الياء» ـ مضيفا إليها قصّة جديدة ـ، دار الآداب، بيروت 1981؛ 20 ـ الفنّ العراقي المعاصر، دراسات نقدية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، طبعة عربية وإنكليزية 1972؛ 21 ـ الفن والحلم والفعل، دار الشؤون الثقافية العامّة، 1985، ط1، المؤسسة العربية، بيروت 1986، ط2؛ 22 ـ قصص من الأدب الإنجليزي المعاصر، عدد من القاصين الغربيين، مترجم، بغداد 1955م. وأصدرها، من بعد، بعنوان «أيلول بلا مطر»، المؤسسة العربية، بيروت 1980؛ 23 ـ قلعة آكسل، دراسة في الأدب الإبداعي الذي ظهر بين عامي 1870 ـ 1930، أدمون ولسون، مترجم، بغداد، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، المؤسسة 1979؛ 24 ـ لوعة الشمس، ديوان شعر، مؤسّسة رمزي، بغداد 1979، ط1؛ 25 ـ مأساة عطيل، شكسبير، مترجم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ط2؛ 26 ـ مأساة كربولانس، شكسبير، مترجم، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت، 1974، ط1؛ 27 ـ مأساة مكبث، شكسبير، مترجم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ط2؛ 28 ـ مأساة الملك لير، شكسبير، مترجم، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت 1968، ط1؛ 29 ـ مأساة هملت، شكسبير، مترجم، دار مجلّة شعر، بيروت 1960، السونيتات لوليم شكسبير، 1983؛ 30 ـ ما قبل الفلسفة، هنري فرانكفورت، وجون ثوركيلدج.، مترجم، مكتبة الحياة، بغداد ومؤسسة فرانكلين، بيروت 1960؛ 31 ـ المدار المغلق، ديوان شعر، المؤسسة الوطنية للطباعة، بيروت، 1964؛ 32 ـ النار والجوهر، دراسات في الشعر، دار القدس، بيروت، 1975، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1982، ط2؛ 33 ـ وليم فوكنر، وليم فان أوكونور، مترجم، المكتبة الأهلية ومؤسسة فرانكلين للنشر، بيروت 1961؛ 34 ـ ينابيع الرؤيا، دراسات نقدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979، ط1؛ 35 ـ تأمّلات في بنيان مرمري، دار الريس، لندن 1989؛

36 ـ معايشة النمرة وأوراق أخرى، المؤسسة العربية، بيروت 1992؛ 37 ـ أقنعة الحقيقة وأقنعة الخيال، المؤسسة العربية، بيروت 1992؛ 38 ـ شارع الأميرات، فصول من سيرة ذاتية، المؤسسة العربية، بيروت، 1994، ط1، 1999، ط2؛ 39 ـ عالم بلا خرائط، رواية مشتركة مع عبد الرحمن منيف، بغداد 1982، ط1، المؤسسة العربية، بيروت 1982، ط2؛ 40 ـ الغرف الأخرى، رواية، ط1، بيروت 1986؛ 41 ـ الأعمال الشعرية الكاملة، رياض الريس، بيروت 1990؛ 42 ـ شكسبير والإنسان المسنوحد، جانيت ديلون؛ 43 ـ حكايات، لافونتين؛ 44 ـ ديلان توماس؛ 45 ـ جذور الفن العراقي، بالإنكليزية، بغداد 1984، بالعربية، بغداد 1986؛ 46 ـ بغداد بين الأمس واليوم، بالاشتراك مع إحسان فتحي، بغداد 1987؛ 47 ـ A celeberation of life، تمجيد الحياة، مقالات في الأدب والفن، بالإنكليزية، بغداد، دار المأمون، 1989م.

المصادر والمراجع

● أباظة، نزار، والمالح محمد رياض، إتمام الأعلام، ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، دار صادر، بيروت، 1999، ص62؛ ● أبو إصبع، صالح، فلسطين في الرواية العربية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت 1957، ص228-243؛ ● حمادة، محمد عمر، أعلام فلسطين، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق 1985، ج1/ 72 ـ 73؛ ● السعافين، إبراهيم، تطوّر الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر، بغداد 1980، ص 325 ـ 367؛ ● العودات، يعقوب، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، وكالة التوزيع الأردنية، عمّان، 1987، ط2، ص 88 ـ 89؛ ● الفزّاع، علي، جبرا إبراهيم جبرا، دراسة في فنّه القصصي، دار المهد للنشر والتوزيع، عمّان، 1985، ط1؛ ● زروق، أسعد، الأسطورة في الشعر المعاصر، دار الآفاق، بيروت، 1959؛ ● لؤلؤة، عبد الواحد، البحث عن معنى، دراسات نقدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1983م، ص 7 ـ 42؛ ● مجموعة مؤلّفين، القلق وتمجيد الحياة، كتاب تكريم جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1995، ط1؛ ● غالب هلسا، قراءات نقدية في أعمال، يوسف الصايغ، يوسف إدريس، جبرا إبراهيم جبرا، حنا مينة، دار ابن رشيد للطباعة والنشر، بيروت د.ت، ص 47 ـ 97؛ ● فاروق وادي، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981، ص141 ـ 182؛ ● جنداري، إبراهيم، جبرا إبراهيم جبرا وفنّه الروائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد 2002؛ ● السامرائي، ماجد، حوار في دوافع الإبداع مع جبرا إبراهيم جبرا، دار المعارف، تونس 1998؛ ● ياغي، عبد

الرحمن، حياة الأدب الفلسطيني المعاصر، من أوّل النهضة حتى النكبة، دار الآفاق، 1981، ط2، ص115، 478 ـ 482، 520 ـ 522، 526؛

• ياغي، هاشم، القصة القصيرة في فلسطين والأردن 1850 ـ 1965، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، ص 267 ـ 281.

ماجد صالح السامرائي
كاتب ـ بغداد ـ العراق
د. يوسف أبو العدوس
الجامعة الأردنية ـ عمان

الجبرتي، بدر الدين حسن بن إبراهيم بن حسن

(1110هـ/1689م ـ 1188هـ/1774م)

ولد الجبرتي في عام 1110هـ/ 1698م في القاهرة ونشأ بها. وهو ينتمي إلى عائلة مشهورة بالعلماء من منطقة الجبرت في الحبشة. واشتهرت هذه العائلة بأنها قدمت إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة مشيا على الأقدام من أجل الحج أو المجاورة. ويملك علماء هذه الأسرة ثلاثة رواقات في الحرم الشريف، والمسجد النبوي، والأزهر وذلك بغرض إعطاء الدروس.

فقد فَقَدَ الجبرتي والده عندما كان عمره شهرا واحدا. وكبر وترعرع بجانب أمه ستيته ابنة عبد الوهاب أفندي الدلجي. وبعد ذلك استقر في رواق العائلة الموجود في الأزهر من أجل مواصلة تحصيله العلمي شأنه في ذلك شأن أجداده. وفي عام 1123هـ/ 1711م تعرف على حسن بن حسن الشرونبولالي وهو ابن الفقيه الحنفي الشيخ الشرونبولالي، حيث التحق بدروسه ونال الإجازة منه وكان في الثالثة عشرة من عمره. وبعد وفاة أستاذه درس الفقه على يد كل من سيد علي الضرير السيواسي، ومحمد بن عبد العزيز الزيادي، ودرس العقائد والتفسير والحديث على يد أحمد بن مصطفى الأسكندري المعروف بلقب الصباغ، ودرس الجبر والهندسة والرياضيات على يد عيد النمرسي، ودرس الحديث على يد أحمد العمادي، ودرس الآداب على يد حسن بن علي المدابيغي.

اعتبارا من عام 1144هـ/ 1731م اهتم الجبرتي بصفة خاصة بعلوم الرياضيات، والجبر، والهندسة، والمنطق، والجغرافيا. وبهدف زيادة معلوماته في هذه المجالات تلقى دروسا من بعض العلماء مثل محمد النجاحي، وحسام الدين الهندي. ومكث مع محمد الفولاني الكشناوي وهو عالم سوداني مشهور في مجال علم الحروف واستفاد منه حتى وفاته.

وعند ذهابه إلى الحج التقى بمجموعة من العلماء المقيمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة أمثال أحمد بن محمد النهلي، وعبد

الله بن سالم البصري، وأبو الحسن السندي، ومحمد خياط السندي ونال منهم الإجازة. وتدارس الجبرتي العلم مع مجموعة كبيرة من العلماء نذكر منهم جمال الدين يوسف الكلارجي، ورمضان الخانكي الصفتي، ومن علماء الأزهر نذكر أحمد الجوهري، وابن خاله أحمد الدلجي، وأحمد الراشدي، وإبراهيم الحلبي، وسليمان بن أحمد الفشتالي الفاسي.
وحظي الجبرتي بتقدير خاص من القطب عبد الخالق بن وفاء، حيث ألبسه تاج الوفائية وكناه بـ «أبي التداني». وكان الجبرتي في الوقت نفسه مهتما بفن الخط. ونال إجازة في خطي الثلث والنسخ من عبد الله أفندي الأنيس وحسن أفندي الضياني، كما نال إجازة في خط التعليق من النقاش الهندي أحمد أفندي. وبالإضافة إلى ذلك كان الجبرتي ملما بالخط الديواني وعارفا معرفة جيدة باللغتين التركية والفارسية.
تأهل على يد الجبرتي عدد كبير من التلاميذ نجد على رأسهم ابنه عبد الرحمٰن الجبرتي، ومحمد بن إسماعيل النفراوي، وعبد الرحمٰن العريشي، ومحمد بن علي الصبان، والأمير الكبير الصنباوي. ونجد كذلك من تلاميذه بجانب هؤلاء علي بن أحمد العدوي، وإبراهيم الزمزمي، وأحمد بن أحمد السجائي، وحسن الجداوي، وأحمد بن يونس الخليفي، ومحمد بن أحمد الجوهري، وسالم القيرواني، ومفتي الجزائر محمد أفندي وغيرهم من العلماء، كما أصبح عدد كبير من العلماء المشهورين القادمين من الأناضول وداغستان والشام والحجاز وشمال أفريقيا من تلاميذه، بل حسبما بيّن ابنه عبد الرحمٰن فهناك تلاميذ من أوروبا درسوا الهندسة على يد الجبرتي.

درّس الجبرتي في الأزهر لمدة نصف قرن من الزمن. وبسبب المرض الذي أصابه في أواخر أيامه بدأ يدرّس في بيته. وفي أوائل شهر صفر من عام 1188هـ الموافق لشهر أبريل من عام 1774م توفي الجبرتي. وبعد أداء صلاة الجنازة عليه في الأزهر، تم دفنه في تربة الصحراء بجوار أسلافه الخطيب الشربيني، وشمس الدين البابلي.
كان حسن الجبرتي رجلا متوسط القامة، أبيض البشرة، واسع العينين، وكثيف اللحية، ومهيب الطلعة، وكان هو الذي يستقبل ضيوفه ويخدمهم بنفسه. وبسبب المساعدات التي كان يتلقاها من جدته من أمه ـ وهي كانت امرأة غنية ـ كان وضعه المادي جيدا للغاية. وبجانب ذلك عمل الجبرتي بالتجارة وبفضل هذا العمل استطاع أن يوفر الاحتياجات الأساسية لبعض التلاميذ الذين أسكنهم في بيته، واستمر يقوم بهذه الخدمة لمدة عشرين عاما.
ويذكر الجبرتي أنه طوال حياته لم يتمدد على فراشه وينام، وكان ينام على أي مكان يتوسده، كما كان لا يترك عبادته بالليل ويعمل على اتباع السنة في جميع سلوكه وتصرفاته. وكان يرى أن أي شيء سوى الاشتغال بالعلم شيء فارغ لا جدوى منه. وكان كذلك لا يحقد على أي شخص لسبب دنيوي. وكان يعامل تلاميذه كأصدقاء أكثر من كونه أستاذا لهم. ولم يكن راضيا عن الاحترام المبالغ فيه له وتقبيل يده.
إلى جانب العلوم الدينية نجد أن الجبرتي يمثل واحدا من أواخر ممثلي الثقافة الإسلامية في القرن الثامن عشر، وذلك من خلال معرفته في مجالات الرياضيات وعلم الفلك والكيمياء والطب. واشتهر شهرة كبيرة في

المحيط العلمي وبين الناس بسبب حله لمشاكل الناس بفتاويه الصائبة. وكان رجلا معتبرا من قبل أركان الدولة وبصفة خاصة من حكيم أغلي علي باشا، وقوجه راغب باشا حيث كان يعرف عنهما أنهما يقدرانه تقديرا كبيرا ويزورانه باستمرار.

يملك الجبرتي مجموعة من الآلات العلمية المختلفة وكذلك مكتبة غنية زاخرة بالكتب القيمة التي جاءت إليه في شكل هدايا بصفة خاصة من رجال الدولة العثمانية، وكذلك رجال الدولة في مصر وباشوات تونس والجزائر. غير أن جزءا كبيرا منها ضاع بسبب أنه كان يعيرها إلى الغير. ويوجد بعضها اليوم فقط في دار الكتب المصرية (دار الكتب القومية).

يملك الجبرتي ثلاثة منازل، وفي كل منزل توجد إحدى زوجاته الثلاث ومجموعة من خدمه وجواريه. وحسب ما يذكر الجبرتي فإن عدد أبنائه يبلغ أربعين ابنا، غير أنهم جميعا ماتوا صغارا في حياته ولم يبق منهم سوى ابنه عبد الرحمن.

■ آثاره

صمم الجبرتي جدول تاريخ يتعلق بآلات قياس ميل الزاوية وتحديد اتجاه القبلة. وقام ببعض الأبحاث في هذا الموضوع. وباستثناء هذا الأمر لم يعط الجبرتي أهمية كبيرة لمسألة تأليف الكتب، غير أنه ألف أكثر من عشرين رسالة وهي على النحو التالي:

1 - الأقوال المصرية عن أحوال الأشربة، رسالة تتعلق بالأشربة على حسب المذهب الحنفي. وهو المؤلف الوحيد الذي نشر له حتى اليوم، القاهرة 1327هـ/ 1909م؛

2 - رفع الإشكال بظهور الأعشر في الأعشر في غالب الأشكال، [مكتبة السليمانية، رئيس الكتاب، رقم 1171، ورق 68 - 75 خط المؤلف]، وهبي البغدادي، رقم 560، ورق اب - 27ب؛ دار الكتب المصرية، أحمد زكي باشا، رقم 421، مصطفى فاضل، الرياضة، رقم 20، دار الكتب، الفلك والرياضة، رقم 4527، الطلعات، الرياضة، رقم 344، 289، 339)؛ 3 - اطلاع الإسفار عن وجوه بعض مخدرات الدر المختار، هي رسالة قام بها على مؤلف «الدر المختار» للحسلوي (ت 1088هـ/ 1677م)، وهو شرح لمؤلف «تنوير الأبصار» لمحمد بن عبد الله التيمورطاشي (ت 1004هـ/ 1595م)، [المكتبة الظاهرية، رقم 2682، 7 ورقات، للاطلاع على النسخ الأخرى انظر: Brockelmann, GAL, II, Suppl., II, 404, 428]؛ 4 - رسالة في جواب عن لغز يتعلق بواجب الصلاة، عبارة عن رسالة كتبها إجابة عن سؤال يدور حول واجبات الصلاة التي وردت في «الدر المختار» وهي 390 واجبا. وتناول في هذه الرسالة واجبات الصلاة [مكتبة السليمانية، وهبي البغدادي، رقم 560، ورق 29ب - 36ب، المكتبة الظاهرية، رقم 268، 16 ورقة]؛ 5 - نزهة العينين في زكاة المعدنين، تتكون هذه الرسالة من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة [مكتبة السليمانية، وهبي البغدادي، رقم 560، ورق 39ب - 54أ؛ مكتبة الدولة ببايزيد، بايزيد، رقم 2563، 17 ورقة؛ المكتبة الظاهرية، رقم 2679، 22 ورقة؛ دار الكتب المصرية، الفلك والرياضة، رقم 10970، 15 ورقة]؛ 6 - الوشي

المجمل في النسب المهمل، [المكتبة الظاهرية، رقم 2678، 5 ورقات]؛ 7 ـ كشف اللثام عن وجوه مخدرات الصنف الأول من ذوي الأرحام، [مكتبة جامعة استانبول المركزية، رقم 2844]؛ 8 ـ مناسك الحج، [مكتبة جامعة استانبول المركزية، رقم 3180، 7 ورقات]؛ 9 ـ الصلوات الخمس والأدعية، [مكتبة السليمانية، الشهيد علي باشا، رقم 1372، ورق 158-167]؛ 10 ـ بلوغ الآمال في كيفية الاستقبال، تدور هذه الرسالة حول المسائل الفقهية المتعلقة بالقبلة وتعيينها. وفي قسم الخاتمة أعطى قياسات الكعبة والمقامات التي توجد في محيطها [مكتبة السليمانية، خالد أفندي، رقم 362، ورق اب ـ 16ب، المكتبة الظاهرية، رقم 2680، 17 ورقة؛ دار الكتب المصرية، تيمور، الرياضة، رقم 155]؛ 11 ـ النشر المُطيّب في العمل بالربع المجيّب، [مكتبة السليمانية، وهبي البغدادي، رقم 2063، ورق 1 ـ 13]؛ 12 ـ العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين، رسالة حول آلات الوزن ووحدات القياس. وخصصت الأقسام الأخيرة منها لمختلف وحدات القياسات المستعملة في مختلف البلاد وقام بوضعها في شكل جداول وشرحها [مكتبة السليمانية، أسعد أفندي، رقم 3169، 40 ورقة؛ المكتبة الوطنية بباريس، ورق 35 ـ 45، وهو حسب ورق السليمانية يقابل الورق 27ب ـ 37أ. وتمت ترجمتها إلى اللغة الفرنسية من قبل M. H. Sauvaire. «Journal of the Royal Asiatic Society, X, 1878, p. 253-284»]؛ 13 ـ الرسالة المفصحة عمّا (فيما) يتعلق بالاستحاء، رسالة تتكون من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة [مكتبة السليمانية، لاله لي، رقم 2719، 28 ورقة؛ دار الكتب المصرية، تيمور، الرياضة، رقم 343/ 1، 55 ورقة، دار الكتب، الهيئة، رقم 97، 19 ورقة، القسم الأخير ناقص]؛ 14 ـ الثمرة المجنية من أبواب الفتحية، رسالة تمت الاستفادة في كتابتها من مؤلف «الرسالة الفتحية» لسبط المارديني، وهي رسالة في الأعمال الجيبية [دار الكتب المصرية، الميقات، رقم 502، 5 ورقات]؛ 15 ـ النسمات الفيحية على الرسالة الفتحية، كتب الجبرتي هذه الرسالة كإضافة لـ «الرسالة الفتحية» [دار الكتب المصرية، الميقات، رقم 259، 8 ورقات؛ مصطفى فاضل، الميقات، رقم 232، 10 ورقات]؛ 16 ـ حقائق الدقائق على دقائق الحقائق، عبارة عن دراسة كتبت حول مؤلف «دقائق الحقائق في معرفة حساب الدرج والدقائق» لصاحبه سبط المارديني، وهو يدور حول حساب الستينية [مكتبة نور عثمانية، رقم 2977، 51 ورقة؛ دار الكتب المصرية، رقم 186/ 3، ورق 14ب ـ 49ب، رقم 49، 652، مصطفى فاضل، الميقات، رقم 78، أحمد زكي باشا، رقم 748/ 2]؛ 17 ـ جدول التوقيعات وموقع عقرباء الساعة في الشهور القبطية، [دار الكتب المصرية، الميقات، رقم 789، 7 ورقات؛ تيمور، الرياضة، رقم 346]؛ 18 ـ العجالة على أعدل آلة، [دار الكتب المصرية، تيمور، الرياضة، رقم 256؛ أحمد زكي باشا، رقم 402، 10 ورقات]؛ 19 ـ رسالة في معنى الهيلاج والكتخداه، [دار الكتب المصرية، الحروف والأوفاق، رقم 82، 4 ورقات]؛ 20 ـ رسالة في

معرفة بُعد الشمس على السطح المنحرف، [مكتبة نور عثمانية، رقم 2923، 43 ورقة]؛

21 ـ الظلّ المنقوص الستيني، [مكتبة نور عثمانية، رقم 4916، ورق 25 ـ 34]؛

22 ـ أحصار المختصرات على الربع المقنطرات، [ميونخ، Staatsbibliothek، رقم 860].

المصادر والمراجع

● الجبرتي، عبد الرحمٰن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت، بدون تاريخ، دار الفارس، I، 440 ـ 466 ؛ ● سركيس، يوسف اليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، القاهرة 1928 ـ 1930، I، 674 ـ 675 ؛ ● إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسماء الكتاب والفنون، نشر معلم رفعت الكليسي وشرف الدين يالت كايا، استانبول 1947، II، 640؛ ● المؤلف نفسه، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، نشر معلم رفعت الكليسي وابن الأمين محمود كمال، I، 300؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، III، 193 ـ 194؛ ● الحافظ محمد مطيع، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الفقه الحنفي، دمشق 1400 ـ 1401هـ/ 1980 ـ 1981م، I، 67، III/ 395 ـ 396، II/ 245 ـ 246، 290؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، نشر زهير فتح الله، بيروت 1399هـ/ 1979م، II/ 178؛

● Carl Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, Leiden 1949, II, 217, 404, 472; ● Carl Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur Supplementband, Leiden 1938, II, 428, 487; ● G. Delanoue, Moralistes et politiques musulmanes dans l'Egypte du XIXe siècle (1798-1882), Caire 1982, I, 5-6; ● D. A. King, Fihrisü'l-mahtûtâti'l-'ilmiyyeti'l-mahfûza bi-Dâri'l-kütübi'l-Misriy-ye, Kahire 1986, II, 205-206, 258, 316, 505, 571, 603-604, 763-764, 956, 990; ● Fuat Sezgin, Beitrage Erschliessung der arabischen Handschriften in Deutschen Bibliotheken (München und Hamburg), Frankfurt 1987, II, 378; ● M. H. Sauvaire, «Arab metrology», Journal of the Royal Asiatic Society, London X (1878), p. 253-284; ● Kasim Kirbiyik, «Cebertî, Hasan b. Ibrâhim», Türkiye Diyanet Vakfi Islâm Ansiklopedisi, Istanbul 1993, VII, 191-192.

د. قاسم كربييك

جامعة مرمرة ـ تركيا

ترجمة: مصطفى بن الطاهر الستيتي ـ تونس

الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن

(1167هـ/1754م ـ 1237هـ/1822م)

عبد الرحمٰن بن حسن الجبرتي، عالِم مؤرّخ، يعدّ مؤرّخ مصر ومدوّن وقائعها وسير رجالها في عصره، تُنْسَبُ أسرته إلى مدينة (جَبَرْت) الزيلع الواقعة في الأرض الحبشية، وفد جده السابع من الحبشة إلى القاهرة ابتغاء الدراسة وتلقي العلم في الجامع الأزهر، ثمّ استقرّ في مصر، وتزوّج فيها، فتتابع حفدتُه يعيشون في ربوعها، فظهر منهم العلماء والفقهاء، حتّى كان لهم في الأزهر «رواق الجبرتيّة»، كان والده الشيخ حسن من أثرياء القاهرة، يجمع بين العلم والتجارة، شديد الولع بالعلوم الدينيّة خاصّة، وبالعلوم الطبيعيّة كعلم البيئة والفلك والطب والحساب.

وتذكر كتب التراجم أنّ عددًا من الطلاب الأوروبيين قدموا إلى مصر فقصدوا الشيخ حسن ليتعلّموا على يديه أصول الهندسة وفنونها، فأخذوا عنه إقامة طواحين الهواء وآلات الجر، واستخراج الماء من باطن الأرض. وسمحت له ثروته أن يقتني الآلات الفلكية والعدد الهندسية. وأن ينشيء في منزله مكتبة عامرة، تستقبل طلاب الأزهر يقرؤون في كتبها، ويستعيرونها، وينقلون منها دون استئذان.

وقد نشأ ابنه عبد الرحمٰن في الوسط العلمي الذي أنشأه والده، فما كاد يتجاوز العاشرة حتّى كان قد أتقن القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، فأخذ عن أبيه العلوم الفلكيّة والرياضيّة، ثمّ دخل الأزهر. فنهل من علوم الدين والمنطق واللغة والحديث والتصوّف. إلا أنّ عقله المنفتح دفعه إلى التفكر الحر والجديد، وهكذا بدأ نجم الجبرتي يلمع بين أرباب العلم والسلطة، فأخذ الناس يغترفون من علومه ومعارفه، ويسترشدون بأفكاره. وتتلمذ أيضًا على يد الشيخ محمد مرتضى الزبيدي صاحب المعجم المشهور «تاج العروس».

عاش الجبرتي في آخر عصر الامبراطورية العثمانية التي كانت آخذة في التقهقر والانحلال، وتسلّط بكوات المماليك، وهو من أحلك عصور مصر ظلامًا، وأشدّها اضطرابًا. فعاش المجتمع المصري حالة من الفساد والفوضى، تتعاور عليه المجاعات والفقر والمرض في حين كان المماليك ينعمون بخيرات البلاد، ولا يلتفتون إلى شؤون العباد.

وكان الجبرتي، مع طائفة من علماء الأزهر المتنوّرين يرثي لحال عامة الشعب، ويعلن مقته واحتقاره لتصرّفات المماليك التي يعاملون بها الفلاحين والفقراء.

عاصر الجبرتي دخول الفرنسيين إلى مصر، الذين أشاعوا حبّهم للإسلام بغية التقرّب من الشعب المصري، وأعلنوا أنّهم جاؤوا ليخلّصوا المصريين من حكم المماليك

الظالمين ولهذا قرّبه نابليون بونابرت وجعله من كتبة الديوان، وعيّنه عضوًا في ديوان الأعيان وهو الديوان الذي حاول أن يحكم به مصر. وولي إفتاء الحنفيّة في عهد محمد علي، وقد نقد حكمه نقدًا لاذعًا وكان في آخر سني حياته موقتًا للصلاة ولرؤية هلال رمضان وهلال شوال في بلاط محمد علي، لأنه عرف رأي الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» وكان يقوم بتأليفه آنذاك. وقيل في سبب قتله أنّ محمد بك الدفتر دار كان حاقدا عليه، فدسّ له من قتله. هذا وقد رجح جورجي زيدان في كتابه تاريخ الآداب العربيّة، الجزء 4، ص283، أن يكون الجبرتي قد توفّي في سنة 1240هـ/ 1824م، حيث قال: «كان المظنون أن الجبرتي قد توفّي سنة 1237 هـ، ولكنّنا وقفنا على نسخة من تاريخه في مكتبة محمد بك آصف بمصر، جاء في آخرها أنّه تمّ تبييضها سنة 1237 هـ، وعلى هامشها ما نصّه بخط واضح: «بلغ مقابلة وقراءة على مؤلفه من أوّله إلى آخره في يوم السبت المبارك 14 ربيع الأوّل 1240 هـ، بمرأى ومسمع مؤلفه». والملاحظ أنّ الجبرتي لم يكن حياديًا في كتابته لتاريخ مصر في تلك المرحلة، لأنّه كان منحازا إلى ثورة مشايخ الأزهر والشعب المصري ضدّ الاحتلال الفرنسي على الرغم من إعجابه بحضارة فرنسا، وكان متعاطفا كذلك مع الحركة الوهابيّة في الجزيرة العربيّة، لأنه يراها حركة إسلاميّة تستهدف إصلاح الفساد والتقهقر الديني، كما أنه لا يخفي موقفه المناهض لكل حكام مصر الظالمين من المماليك العثمانية وخصوصا من محمد علي باشا الذي كان يصفه في كثير من كتاباته بالدجّال والفاسق وسارق أموال الناس، والمستعين بالأرمن ولعلّ هذا الموقف من محمد علي كان سببًا في أن يُقتل غيلة - كما مر معنا. وقبلها قُتل له ولد، فبكاه كثيرًا حتّى ذهب بصره ولكنْ لم يطل عماه فعاجلته منيته بعد قليل مخنوقا بشبرا في يونيه سنة 1822م.

أما من حيث أسلوبه في مؤلفاته فهو أسلوب رجل مثقّف من خيرة مثقفي عصره، مع أنه استخدم مصطلحات غير عربيّة، كالفارسيّة، والتركيّة، واليونانيّة، والإيطاليّة، والفرنسيّة ومع كل هذا كان يعترف بعدم تمكّنه من النحو العربي، لذا وردت في مؤلفاته بعض الأخطاء اللغويّة.

■ آثاره

1 - عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ويعرف بتاريخ الجبرتي، جمع فيه حوادث آخر القرن الثاني عشر للهجرة وما يليه مرتبة على السنين، وينتهي فيه لغاية سنة 1236هـ. وقد أثار نشر هذا الكتاب ضجّة كبيرة في ذلك الوقت، وصادرته الحكومة لما جاء فيه من نقد لاذع لأعمال محمد علي والي مصر. وقد نشر الكتاب مرة ثانية سنة 1297هـ في مطبعة بولاق بالقاهرة بعد تنقيته من عبارات الطعن في أعمال الوالي محمد علي، وهذه الطبعة تعتبر أصل الطبعات المتداولة بين أيدينا اليوم. وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية في مصر سنة 1888م. ويقول الجبرتي في مقدمته هذا الكتاب: «إني سودت أوراقا في حوادث آخر القرن الثاني عشر وما يليه من أوائل الثالث ممّن أدركناها وأمور شاهدناها، واستطردت في ضمن ذلك سوابق سمعتها

ومن أفواه الشيخة تلقيتها، وبعض تراجم الأعيان المشهورين من العلماء والأمراء المعتبرين، وذكر لمع من أخبارهم وأحوالهم، وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم، فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها في أوراق متسقة النظام، مرتبة على السنين والأعوام ليسهل على الطالب النبيه المراجعة ويستفيد ما يرومه من المنفعة ويعتبر المطلع على الخطوب الماضية، فيتأسى إذا لحقه مصاب ويتذكّر بحوادث الدهر، إنّما يتذكّر أولو الألباب، فإنّها حوادث غريبة في بابها، متنوّعة في عجائبها». ثم أورد الجبرتي تفسيره لعلم التاريخ فقال: «اعلم أنّ التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسمهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم، وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم، والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هي وكيف كانت وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها»؛

2 ـ مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس تح. د. إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، وقد طبعت ترجمته إلى اللغة الفرنسية بالإسكندرية سنة 1835م، وفي باريس سنة 1838م؛ 3 ـ دستور تقويم الكواكب السبعة؛ 4 ـ مختصر تذكرة داود الأنطاكي.

المصادر والمراجع

● زيدان، تاريخ آداب اللغة العربيّة 4/ 283 ـ 284؛ ● سركيس، معجم المطبوعات، ص675 ـ 676؛ ● آداب شيخو، 1/ 16؛ ● البغدادي، هديّة العارفين، 1/ 556؛ ● فنديك، اكتفاء القنوع، ص88؛ ● ادوارد لين، المصريون المحدثون في القرن التاسع عشر، ص 149؛ ● كوركيس عواد، المخطوطات التاريخيّة، ص63؛ ● الزركلي، الأعلام، 3/ 304؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، 5/ 133 ـ 134؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية، ليدن، مادة AL. Djabarti، الجزء الثاني 355 ـ 375، بقلم D. Ayalon.

د. عبد الحميد صالح حمدان
باحث ـ جنيف
د. محمود الربداوي
جامعة دمشق ـ سوريا

جبريل، توفيق صالح

(1315هـ/1897م - 1386هـ/1966م)

توفيق صالح جبريل واحد من شعراء السودان المرموقين. ارتبط شعره بحركة النضال السياسي، وكان واحدًا من مناضلي حركة الاتحاد الوطنية التي قادت انتفاضة عارمة ضد الاستعمار عام 1924، لكن فشل الانتفاضة وما أعقبها من قمع ضد الوطنيين أورث الشاعر الكثير من المرارة والأسى، ومع هذا ظل شعره نموذجا للتوق للحرية والانطلاق، ونجد ذلك في الأشواق التي كان ينشدها شعراء الاتجاه الوجداني من خمريات واستغراق في الذات، وكان توفيق أكثر شعراء جيله تعبيرا عن هذا الواقع المسيء، كما لاحظ ذلك محمد محمد علي في دراسته عن الشعر السوداني [علي، الشعر السوداني، 1962م].

ولد توفيق بأقليم دنقلا في شمال السودان عام 1897م، وهاجرت أسرته إلى أم درمان حيث تعلم الشاعر في الخلوة التي أنشأها والده، وتلقى دروسه على أيدي أساتذة متخصصين. التحق بكلية غردون وتخرج منها نائب مأمور عام 1932م. ظل منافحا ضد الاستعمار الذي ناصبه العداء وأبعده من الوظيفة الحكومية عام 1951م. عاد إلى منزله في أم درمان كسير الخاطر واتخذ من منزله منتدى أدبيًا أطلق عليه «الدّهليز» ونسب إليه أغلب شعره.

من أهم أساتذة توفيق الشاعر أحمد محمد صالح الذي درسه مبادئ العروض.

ترك توفيق ديوان شعر ضخم هو ديوان أفق وشفق، وقد كان موضوعا لأطروحة جامعية لدرجة الماجستير اعدتها الرضية آدم في قسم اللغة العربية - كلية الاداب بجامعة الخرطوم 1970م، وفيما بعد حظي الديوان بتحقيق جيد قام به محمد إبراهيم أبو سليم، ومحمد صالح حسن، وقد أصدرت دار جامعة الخرطوم للنشر ما تمخض عنه جهد المحققين في أربعة أجزاء عام 1972م، والديوان سجل حافل لآراء الشاعر وحياته وأفكاره، ويقدم صورة حية وصادقة للشاعر منذ الصبا وحتّى وفاته.

اهتمت دراسات الأدب السوداني بأشعار توفيق وحياته، وأفرد كتابان لحياته هما كتاب أعده صديقه الدبلوماسي محمد عثمان يس بعنوان الشاعر توفيق صالح جبريل: ذكريات وأحاديث 1971م وآخر عده هنري رياض بعنوان توفيق صالح جبريل شاعرا وناثرًا 1986م، كما أفرد الناقد عبد القدوس الخاتم فصلاً بعنوان «الصوت المنفرد - توفيق صالح جبريل»، عالج فيه شعر توفيق في كتابه مقالات نقدية 1977م، ولا تخلو أية دراسة أو مبحث عن الشعر السوداني في النصف الثاني من القرن السابق من إشارة الى شاعرية توفيق صالح جبريل، فقد درسه النويهي في مبحثه عن الاتجاهات الشعرية في السودان 1957م وتحدث عنه عبده بدوي في دراسته عن الشعر السوداني 1964م.

توفي الشاعر 1966م متأثرا بداء النقرس.

المصادر والمراجع

• أبو سليم، محمد إبراهيم، ديوان أفق وشفق؛ • بدوي، عبده، الشعر السوداني الحديث، القاهرة المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية 1964؛ • جبريل، توفيق صالح، أفق وشفق، ديوان شعر (أربعة أجزاء)، دار جامعة الخرطوم للنشر 1972؛ • خاتم (أل)، عبد القدوس، مقالات نقدية، الخرطوم، إدارة النشر الثقافي، 1977؛ • رياض، هنري، توفيق صالح جبريل، شاعرا وناثرًا، بيروت، دار الجيل 1986؛ • علي، محمد محمد، الشعر السوداني في المعارك السياسية 1821 ـ 1924، السودان، 1962؛ • نويهي (أل)، محمد، محاضرات عن الاتجاهات الشعرية في السودان، معهد الدّراسات العربية، القاهرة، 1957؛ • محمد صالح، حسن، الشاعر توفيق صالح جبريل (أربعة أجزاء)، تح. جامعة الخرطوم، دار التأليف والترجمة والنشر 1972؛ • يسن، محمد عثمان، الشاعر توفيق صالح جبريل، ذكريات وأحاديث، بيروت، دار الثقافة، 1971.

د. محمد المهدي بشري
جامعة الخرطوم ـ السودان

ابن جبريل، يحيى بن عبد الله

(1302هـ/1884م ـ 1390هـ/1970م)

ولد الشيخ يحيى بن عبد الله بن جبريل بن الحسن البرناوي بمدينة بدًا (Bida) بولاية نيجر (Niger) في جمهورية نيجيريا، بدأ دراسته الأولى على يد والديه، ثمّ أرسله والده إلى الشيخ إبراهيم فوغن (Fougoun) حيث ختم القرآن الكريم على يديه، ثم واصل دراسته الدينية عند الشيخ موسى الحافظ البرناوي، ثمّ توجّه إلى ألفا إندكو وبدأ دراسة النحو على يديه ثم واصل الدراسة الأدبية واللغويّة عند الشيخ عمر تاكوصيت فدرس عليه مقامات الحريري وأشعار الجاهلية. ودرس السيرة النبويّة والأحاديث النبويّة وعلم البلاغة عند الشيخ أحمد المشهور بعالم دنغنغي [أبو بكر السيوطي، الشيخ يحيى بن عبد الله جبريل ومساهمته في نشر اللغة العربية بمقاطعة بدا، بحث تخرّج 1988، ص 11].

وعند بلوغ ابن جبريل مبلغ العلماء بدأ يدرس عليه الطلّاب العلوم الدينية واللغويّة، وقد تخرّج على يديه طلّاب كثر، ومن أهمّهم الشيخ حمزة بن يحيى، وهو من كبار علماء مدينة بدا؛ والشيخ ألفا يوسف، ومأمون بن الوزير، والشيخ سعيد بن يحيى، والشيخ أحمد بن إدريس وغيرهم.

وكان المترجم له أنشأ معهدا لتعليم اللغة العربيّة والعلوم الشرعية سنة 1933م وتولّى الإفتاء لمدّة سنتين (1933 ـ 1935م)، وتولّى خطّة القضاء في مدينة كتغي (Katagi) من عام 1935 إلى عام 1952م، ثم استقال ليتفرّغ للعلم والتدريس، وقد استقرّ في هذه الفترة بمدينة بدا، ووفد عليه طلّاب العلم من كلّ صوب ونهلوا من علمه، وظلّ يدرّس ويفتي إلى وفاته في 22 مايو 1970م.

آثاره

1 ـ قطوف الأزهار، وهو كتاب في السيرة النبويّة، ويقع في 25 صفحة؛ 2 ـ حجّة الخصم بين من أحلّ خمس نسوة ومن حرم خمس نسوة، وهو عبارة عن مقالة في 10 صفحات؛ 3 ـ الصدق مرّ، وهو نظم في حكم التدخين؛ 4 ـ بعض قصائد في مدح النبي ، وفي الرثاء.

المصادر والمراجع

● سليمان، موسى، الحضارة الإسلامية في نيجيريا، ط1، 2000م؛ ● السيوطي، أبو بكر، الشيخ يحيى بن عبد الله بن جبريل ومساهمته في نشر اللغة العربيّة بمقاطعة بدا، بحث تخرّج من جامعة عثمان دن فوديو، 1988م؛ ● أبو بكر، عيسى محمد، فنّ المديح في مدينة بدا في القرن العشرين، بحث تخرّج من جامعة عثمان دن فوديو، 1991م.

علي يعقوب
نيامي ـ النيجر

ابن جبل، أبو عبد الرحمن معاذ بن عمرو بن أوس

(ت 18هـ/639م)

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ، كنيته أبو عبد الرحمن. ولد سنة 18هـ، وهو من الخزرج، وأمّه هي بنت سهل، من قبيلة جهينة، وأخوه لأمّه هو عبد الله بن جرير بن قيس. وهو بدري.

وكان ﷺ جميلا سمحا، من خير شباب قومه، وكان طوالا حسن الشعر، عظيم العينين، براق الثنايا.

قال ابن حجر في «الإصابة»: كان من أفضل شباب الأنصار حلما وحياء وسخاء، وكان جميلا وسيما سمحا.

وقد أسلم معاذ بن جبل وهو ابن ثماني عشرة سنة، وهو أحد السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة التي أسلم فيها بعض الأوس والخزرج، وهي بيعة الحرب، وكان معاذ بن جبل ﷺ ضمن المبايعين لرسول الله ﷺ فيها.

وكان النبيّ ﷺ شديد الاهتمام بالشباب الذين انشرح صدرهم للإسلام، وبتربيتهم وتوجيههم وتشجيعهم، وإتاحة كلّ فرصة أمامهم لكي يتحمّلوا المسؤولية ويتدرّبوا على القيادة الإسلامية. وكان من حظّ معاذ أن اكتسب هذه الصّفة، فكان الرسول ﷺ يحب معاذا ويقرّبه إليه ويبذل له النصائح، ويشرح له ما استغلق عليه من أمور دينه ودنياه، وبعد أن استشفّ الرسول الكريم ﷺ استعداد معاذ، ومواهبه التي تؤهله لذلك.

وعن معاذ بن جبل قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، ثمّ قال: «يا معاذ، والله إنّي لأحبّك». فقال له معاذ: بأبي وأمّي يا رسول الله، وأنا والله أحبّك. فقال النبيّ ﷺ: «أوصيك يا معاذ: لا تدعن في دبر كلّ صلاة أن تقول: اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

وكان الرسول الكريم ﷺ يدافع عنه ويستمع إلى آرائه، وكان يقول لكلّ من يتكلّم عنه: «تدع عنك معاذا، فإنّ الله يباهي به الملائكة». وكان معاذ ﷺ يحضر كلّ مجالس الرسول ﷺ التي كان الصحابة يحضرونها، ومجالسه ﷺ مع الوفود التي كانت تأتي للزيارة والدخول في الإسلام. وقد لقّبه الرسول ﷺ ب«إمام العلماء يوم القيامة».

واختاره الرسول ﷺ ليكون عامله وسفيره لدى أهل اليمن الذين وفدوا عليه وطلبوا منه أن يرسل إليهم من يعلّمهم دينهم ويفقههم فيه، وعندما ركب معاذ للسفر إلى اليمن، مشى النبيّ ﷺ إلى جانبه يوصيه، فقال: «يا معاذ، أوصيك وصيّة الأخ لشقيق، أوصيك بتقوى الله، وأسرع في حوائج الأرامل والضعفاء، وقل الحقّ ولا تأخذك في الله لومة لائم». ثم قال له: «يسّر ولا تعسّر، وبشّر ولا تنفّر».

وظلّ معاذ يعلّم أهل اليمن القرآن وأحكام الإسلام وشرائعه، ويفقههم في أمور دينهم حتّى كان ذات ليلة وقد رأى معاذ فيما يرى النائم أنّ الرسول ﷺ قد فارق الدنيا، ولمّا اشتدّ عليه هذا الهاتف، أخذ بزمام راحلته متوجّها نحو المدينة، فتأكّد لديه خبر وفاة الرسول ﷺ، فكان ذلك آخر عهد معاذ باليمن سنة إحدى عشرة للهجرة، بعد أن مكث هناك اثني عشر شهرا.

وظلّ معاذ بن جبل في مكّة طوال خلافة سيّدنا أبي بكر الصدّيق ﷺ، يعلم الناس، ويلجأ إليه أبو بكر ﷺ في أمر الإفتاء، ويستشيره في كلّ الأمور، وخاصّة في جمع القران من صدور الرجال ومن الصحف التي كتبها بعض الصحابة في مكّة وفي المدينة.

ثمّ ارتحل معاذ ﷺ في خلافة سيّدنا عمر ﷺ في السنة الثالثة عشرة للهجرة إلى الشام وبتكليف من سيّدنا عمر، واستقرّ معاذ ومعه زوجتاه وابنه عبد الرحمٰن في بلاد الشام.

ثمّ بدأ معاذ في إلقاء دروسه وتعليم الناس أمور دينهم، وتعريفهم بالحلال والحرام، حتّى تخرّج على يديه نفر كثير من التابعين من العلماء والفقهاء الذين حملوا راية الإسلام في ربوع الشام ونشروه في الممالك الإسلاميّة؛ كأبي مسلم الخولاني ومسلم بن عبد الله الخزاعي.

وكانت وفاة معاذ ﷺ في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة، وهو ابن ثمان وثلاثين

سنة، على الصحيح. ودفن شرقي غور بيسان في الشام، بالقرب من قرية القصير من شرقيها. قال النويري في «نهاية الأرب»: وقبره معروف هناك، وقد زرته غير مرّة، وبينه وبين قبر أبي عبيدة بن الجرّاح نحوا من مرحلة.

المصادر والمراجع

● أبو عمر بن عبد البرّ، الاستيعاب، ص355؛ ● ابن الأثير، أسد الغابة، 4/ 376؛ ● العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، الترجمة رقم 8032؛ ● حمدان، عبد الحميد صالح، معاذ بن جبل، إمام العلماء، القاهرة 1410هـ/ 1990م؛ ● الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2/ 353؛ ● الأصبهاني، أبو نعيم، حلية الأولياء، 1/ 288؛ ● ابن الجوزي، أبو الفرج، صفة الصفوة، 1/ 195؛ ● طبقات ابن سعد، 3/ 120، القسم الثاني؛ ● الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 9/ 310؛ ● ابن قتيبة، المعارف، ص 254؛ ● النويري، نهاية الأرب، 19/ 355.

د. عبد الحميد صالح حمدان

باحث ـ جنيف

الجبوري، حمد صالح

(1369هـ/1949م ـ 1406هـ/1985م)

ولد حمد صالح الجبوري في قرية «إجميلة» من قضاء الشرقاط في محافظة نينوى «الموصل» عام 1949م، وينتسب إلى قبيلة الجبور، توفّي في الموصل عام 1985م.

كان موظّفا بسيطا في شركة منتوجات نفط الشمال، كابد شظف العيش، ولم يحصل على شهادة جامعية، فعوّض عن ذلك بتطوير وتثقيف نفسه، وقرأ بنهم شديد عيون الأدب العربي وروائع الآداب العالمية إضافة إلى قراءاته الجادة في مجال العلوم الإنسانية، واستطاع أن يوحد هذه القراءات مع موهبته الجلية، ليبدع أعمالاً قصصية وروائية ملفتة للنظر، بحيث جعلت منه أحد الكتّاب المتميّزين في العراق، ولقد تمكّن حمد صالح خلال عمره الأدبي القصير 1970 ـ 1985 أن يتبوّأ مكانة خاصة في تاريخ القصة العراقية، وأن يكون أحد أعلامها الموهوبين.

هنالك ظاهرة ليست عراقية فقط ولكنها عربية أيضًا وتتمثّل في كون أغلبية الأسماء التي أضافت وجددت في الأدب العربي، هي لكتاب نزحوا من الريف والمدن الصغيرة والمحافظات إلى العواصم، وهذا الحكم يسري على القاص الروائي حمد صالح الذي نجد في أعماله الوفاء للبيئة.

إنّ أهم ما يؤشر إيجابيا للكاتب حمد صالح هو تميّز قصصه بيئويا، إذ إنها تنطلق من عالم واحد، هو عالم قرية معيّنة في شمال العراق، هي قرية «إجميلة» في الشرقاط، قرية لها مناخها وأناسها وعاداتها وأعرافها وأساطيرها، ولها موقعها الجغرافي الخاص المطل على النهر من جهة، والمنفتح على الصحراء من جهة أخرى، وتكاد أن تكون هذه القرية مسرحًا لأحداث كل القصص، في مجموعته الأولى «الملاذات» ما عدا قصة «الجامع» التي تدور أحداثها في بقعة من فلسطين. ولا يشارك حمد صالح في المناخ البيئوي الموحّد إلّا قصاصون قلائل.

تضم مجموعة «الملاذات» لحمد صالح ثماني قصص، سبع منها تدور في قرية محددة تقع في منطقة شبه منطوعة، لا يرى قاطنها حواليها إلّا الآثار وامتداد جبال حمرين، والرؤوس عامرة بالحكايات عن السحالي والذئاب والنذور والأولياء وسرية الصحراء، وأبدية النهر المنساب والمنحدر نحو المجهول. والقصة الوحيدة التي تخرج عن جو هذه المجموعة هي قصة «الجامع» التي أشرنا إليها وهي تدور في مكان ما من فلسطين، وتحكي عن جامع يريد الصهاينة نسفه من أجل استخراج الآثار الموجودة تحته، وإصرار بعض سكان القرية على الاعتصام بالجامع حتّى ينسفوا معه دون أن يخرجوا ويسلموه ببساطة للمحتلين.

في هذه المجموعة، يبدو القاص بارعًا وقديرًا في فن القص، ففي قصة «الأنفاس» نقف أمام حالة إنسان جاء يحمل نبأ استشهاد صديق له إلى أسرته، أمه، وزوجته وطفله الذي ولد في غيابه، ولكنه لم يستطع أن يبوح بما في صدره، وأهمّ ما حقّقه الكاتب في هذه القصة هو حركة شخوصها وانفعالات وهواجس الإنسان القادم بالخبر، والإفصاح عن خصوصية البيئة بالدرجة الأساس.

وفي قصة «تلك الشجرة المباركة» يقدّم لنا الكاتب حزن طفل على شجرة كبيرة تقع في باحة الدار ويريد والداه اقتلاعها، وعلى الرغم من بساطة الحدث إلّا أنّ الكاتب أغناه وملأه بالمكان والمناخ بحيث جعله كبيرًا ومهمًا.

ويلاحظ أنّ الكاتب حمد صالح، في كل قصص مجموعة «الملاذات» يعتمد على الجملة الطويلة ، وعلى الوصف المسهب، ولعل هذا الأمر جزء من أسلوبه الذي ينقذه ابتعاده عن خلق أية حالة من الملل في داخل القارىء، ففي قصة «سفر العودة» يحقق الكاتب هذا الوصف الذي يكمل حركة الحياة في كوخ بسيط، تقطنه أم وكنّة تنتظران الابن الغائب، وينفذ الكاتب إلى دقائق شخوصه البسطاء، هؤلاء الذين نراهم ممتلئين رغم وجودهم في هذا المنفى حيث لا يشدهم شيء إلى العالم الكبير الذي يتواجدون فيه، وليس بعد القرية إلّا الصحراء والغياب الغامض والمخيف: ويميل حمد صالح إلى فرش ظلال من الغموض والسرية في عالم قصصه، ولعل هذا متأتٍ من تشبعه بمثيولوجيا القرية التي تستند غالبًا إلى طقوس غيبية، لا أحد يستطيع أن يفك ما خبأته أو يستوعبه، وقصة «وجهان من الغربة» تجسد هذا. فالمرأة التي تفر مع الفجر متحدية عرف القرية، تصبح كالجنية في الأساطير، وعندما ينهشها الكلب

ذلك النهش الفاجع، نحس وكأننا في كابوس خانق، لا نتنفس بعده إلّا عندما نقرأ وصفه للفارس الذي يخب على جواده مرتميًا في غموض الصحراء.

ويتألّق حمد صالح في قصة «اهتمامات يومية» التي تعد واحدة من أكثر أعمال الكاتب إثارة. والقصة تتحدث عن عالم الذئاب في الصحراء ومهاجمتها للقرى عندما يداهمها الجوع، ورجل الشرطة له القدرة على ترويض أعتى الذئاب. وعلى الرغم من أنّ موضوع الذئاب وهجومها على المدن والقرى، قد قرأناه في قصص عدّة لأدباء عرب وأجانب، إلّا أنّ حمد صالح يفلح في إعطاء قصته خصوصيتها مستعينًا إلى درجة كبيرة بالموقع الجغرافي وكذلك بمناخ الأحداث.

لقد قدّم لنا حمد صالح واحدة من أجمل القصص الرائعة التي كتبها خلال عمره الإبداعي القصير، تلك هي قصة «انهيار سد مأرب» التي يمكن القول عنها وبكثير من الطمأنينة بأنها واحدة من القصص التي تجعل حمد صالح يتبوّأ مكانة متميّزة في القصة العربية وليس القصة العراقية فحسب. إنها قصة انثيال عذابات جيل كامل من الناس تتدفّق أمامنا كصور متراصفة تدفع الواحدة منها الأخرى لترسم في آخر المطاف حال كائن اسمه «رضوان عبد الله» موظف في الهيئة العامة للمزراعة والإصلاح الزراعي، يغني أحزانه كطائر التم لتشيخوف أغنيته الأخيرة، فإذا بها أغنية جيل بلسان إنسان عراقي بسيط، ابتدأ كما يبتدىء خلق الله طفلاً يرى عذابات أهله، وهم يساقون واحدًا بعد الاخر للموت. آخر الصور المتبقية، مشهد لوالده وهو يُضرَب بالسياط في ديوان الشيخ الإقطاعي، فرسمت على ظهره خارطة الأحزان. ومن داخل هذا المشهد الكلي الحضور، نقرأ مع رضوان الله تاريخ العذاب البشري، أمه وأهله وذاته، وإذا بالحياة تحاصره فتدفع بكلابها لملاحقته، وها هي الكلاب بأشكالها وألوانها ووظائفها تطارد رضوان.. كما لو أنها تطارد الجيل الذي يمثله، لتدفع به في آخر المطاف إلى شنق نفسه وسط غرفة كل جدرانها مليئة بصور الكلاب!.. لا شيء بعد ذلك، رجل يتدلّى من السقف، يقف أمامنا ووجهه مصوّب نحو المجهول، يقول عبر عتمة الغرفة ووحشتها ما يمكن أن يقال بلسان عشرات الرجال. وعندما تتفحّص الحال، تجد ضمائر السرد القصصي تتداخل فإذا بضمير الراوي يصبح متكلّما، والمتكلّم يصبح راويًا، فتتداخل أزمنة الماضي بالحاضر، ملامح الفرد بملامح المجتمع، لون الفكرة بطريقة السرد.. إنها حكاية مليئة بكل ما هو سري وخاص.. الجملة لا فواصل فيها ولا نقاط، تذكرنا بجملة جيمس جويس الطويلة، أو بتداعيات «بنجي» في «الصخب والعنف» لفوكنر، جملة تقول لنا إنّ الحياة إذا ما اكتملت لا فائدة من الاستمرار بها وحياة «رضوان عبد الله» اكتملت «الآن» وأخذت من مساحة الروح ما يكفي لأن تلغي جسده.. وبالفعل نجده بعد حكايته يشنق نفسه كطائر التم، حيث يصبح صوته الشجي إعلانا لنهايته.

في «انهيار سد مأرب» يروي رضوان بطل القصة، حكايته، فإذا بها سلسلة متّصلة من أفعال الحاضر والماضي، يتداخل عبرها

تكوين إنساني لا حدّ لمعاناته.. في الجزء الذي يستغرق سبع صفحات ونصفًا من القصّة، نجد كل ما يشيد كيان البيت القصصي المعقد والقريب، ولنأخذ هذا المقطع القصير مثلاً:

«إن هذا البطل المتوحد، المفرد، المستوحش، يعلن الإدانة ويؤشر الخراب في عالم مضطرب شائك غير سوي. وببساطة ليست متوقّعة انهار سد مأرب في داخل رضوان عبد الله. انهار في داخلي.. انهار في داخل هذا العالم المنطوي على مظالمه المزمنة فانهزت السيول الجارفة دفعة واحدة..».

إن السمات البارزة لأدب حمد صالح، تتجلّى في لغته الملونة والغنية بالرموز والدلالات والتي تستبطن من خلال الظلال والصور الموحية، أعماق شخوصه المأزومين المعذبين الذين تمزّقهم هموم الذات من جهة، وظلم المجتمع من ناحية أخرى. ولغة حمد، تبدو رشيقة، حيوية، هامسة وحزينة تارة، وعالية صاخبة رافضة تارة أخرى، وهو في الحالتين، يحكم سيطرته على اللغة القصصية.. وتتجلّى الطفولة في قصصه كسمة ظاهرة أيضًا، وهذه الطفولة، طفولة معذّبة، جريحة، تنزف في ذاكرة القاص وتدمي وجدانه، وهي ناقوس يدق بعنف في ضميره المثقل، وهي طفولة ترحل في الأسطورة والحلم والخوف من المجهول: «شدتني أمي تحت عباءتها الصوفية الثقيلة حيث تجهمت السماء وهبطت الغيوم السوداء الداكنة إلى مستوى قمم التلال واشتدّ عصف الرياح الباردة، وبين خطوة وأخرى كانت الغيوم الحبلى تتصدّع بوميض خاطف وحاد ينير الأرض والحقول والتلال المحيطة بنا، على أثره تدوي قرقعة جافة وخشنة في أشلاء الغيوم المتصادمة بقسوة فيقشعر بدني تحت الدشداشة الرطبة وتهطل الأمطار بغزارة. ألتمس الدفء بجسد أمي المنتصب إلى جانبي فأحس لهاثها كفحيح الرياح التي تنوح بين الأشجار والحقول. لم يكن بيتنا بعيدًا ولكنه في مثل هذا الطقس العاصف بدأ أبعد بكثير من أن نصله سالمين، فأفكر أن الظلام مخيف وأن في الليل تحدث أشياء فظيعة تفوق التصور، حيث تنشط كل الكائنات الأسطورية الشريرة لتمارس شذوذها المروع فأنكمش تحت عباءة أمي الصوفية الثقيلة وأنا أتساءل متخوّفا: متى نصل يا أمي؟ فتجيبني بلهجة تتعمّد أن تجعلها واثقة وعالية النبرة، ولكنّني أتذوّق من خلالها مرارة الحنظل: «لا تيأس يا حبيبي، أوشكنا على الوصول..».

ومن الظواهر التي تتكرّر في عالم حمد صالح، الخمرة والحانة والسكر وما يترتّب على ذلك من تعبير عن هروب وخلاص أو تدمير للبطل عنه.. «أبدأ الليل عادة في حانة منزوية لأنهي الليل متوسّدا صدرها الحنون..» و«في حانة متواضعة من حانات المدينة أختبىء وأعب من رديء الخمور بكل ما أملك من نقود إلى أن أثمل تمامًا..»، و«عالم غريب ومشوّه على شكل بركة ملتمعة ودقيقة تفوح برائحة الخمور المحلية المغشوشة».. و«اكتشفت ذات يوم أبي وهو يترنّح من شدّة السكر ويتحدّث بإبهام وغموض إلى امرأة لا وجود لها..» و«ما أن دخلت الحانة الخانقة حتى صدمت أنفي رائحة الخمور المحلّية المغشوشة».

ويظهر «الكلب» في قصص كثيرة لحمد صالح، ويكتسب دلالة رمزية في أعماله الإبداعية توحي ولا تعلن، وتشف ولا تفصح. «أتجوّل مثل كلب سائب في ليلة شتاء قاسية البرودة جولة أخرى للتحقيق..» وقد عرف عن حمد صالح أنه غالبًا ما يذكر الكلاب التي تطارده عندما يسكر..

وتتجلّى المرأة في كتابات حمد صالح، بطريقة آسرة ومثيرة ومفعمة بالحضور والغموض، وهي قد تقترن بالقضية، وقد تعبر عن فكرة، وقد تكون واقعًا يحيل إلى حلم، أو تكون حلمًا يفصح عن واقع، وكثيرًا ما تكون المرأة في عالمه القصصي مقترنة بالهلاك، بكونها قوة تدميرية، وربّما تكون قوة تطهير للروح المرهقة المثقلة بالأحزان والشقاء الجريح.. المرأة، في أعماله، قطرة ندى وفراشة ووردة تارة، وشفرة قاطعة جارحة تارة أخرى، وتتعانق الطفولة والأنوثة معًا في التعامل مع المرأة، لا بل إن القاص يرى المرأة شعاعا وبرقًا وضوءًا ومستحيلاً غير منال، وهي النافذة التي تفضي إلى المعرفة وتقود إلى نور العالم، وهو في كل حالات الرؤية للمرأة، يقيم علاقة تصوّف مرهف وشفيف إن لم نقل يصل أحيانًا إلى التوحّد والحلول والاندغام مع المرأة الفكرة، والمرأة الواقع، والمرأة الحلم، ذلك أن عالم الكاتب الذي يصفه بـ«السفيه» و «الخشن» و«الظالم» لا يمتلك صفته الإنسانية إلّا بالمرأة وحدها..

آثاره

1 ـ الملاذات، مجموعة قصص، سلسلة كتابات جديدة، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981؛ 2 ـ خراب العاشق، رواية، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986؛ 3 ـ انهيار سد مأرب، الأقلام، العدد الثامن، سنة 20، آب 1985؛ 4 ـ ما رأته زرقاء اليمامة، الأقلام، العدد الخامس، مارس، السنة 22، بغداد، 1986م؛ 5 ـ مملكة الربع الخالي، قصص معدة للطبع، حقق فيها القاص الروائي حمد صالح تطوّرًا مميّزا ونضجًا إبداعيًا وفكريًا، ونشر بعضها في المجالات العراقية والعربية، كالآداب البيروتية والأقلام العراقية والطليعة الأدبية وغيرها.

المصادر والمراجع

● الربيعي، عبد الرحمٰن مجيد، أصوات وخطوات، مقالات في القصة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984؛ ● صالح، حمد، إنك تكتب قصة جيدة، سالم العزاوي، الأمطار، المركز الثقافي الاجتماعي بجامعة الموصل، 1977؛ ● النصير ياسين، الشعلة، مجلة الأقلام، العدد الثامن، سنة 20، آب 1985؛ ● «حمد» قصيدة منشورة في ديوان «فضاءات وأمكنة» تأليف أمجد محمد سعيد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة بغداد، 2001م.

د. نجمان ياسين
كاتب ـ العراق

جبّور، جبرائيل سليمان

(1318هـ/1900م - 1413هـ/1991م)

ولد في بلدة انقريتين السوريّة في 26 كانون الأوّل العام 1900م/ 1318هـ، ثمّ حمل الجنسيّة اللبنانيّة. كانت نشأته على مشارف البادية، فتخلّق بأخلاق أهلها وأخذ عنهم الفراسة والتقشّف والاعتداد بالنفس. أنجز المنهج في التعليم الثانويّ في مدرسة سوق الغرب - لبنان العام 1921، ثمّ أكمل دراساته العلميّة في كلّيّة الآداب والعلوم في الجامعة الأميركيّة في بيروت بين الأعوام 1921 - 1925، ونال درجة بكالوريوس في العلوم، ثمّ في كلّية الآداب في جامعة القاهرة، من تشرين الأوّل 1929 إلى حزيران 1930، ثمّ في كلّيّة الآداب والعلوم في الجامعة الأميركيّة في بيروت حيث أنجز عمله لشهادة أستاذ في العلوم (ماجستير) في أثناء عمله مدرّساً بين 1930و1933، فكلّيّة دراسات التخصّص في جامعة برنستون - برنستون، نيوجرسي في الولايات المتّحدة الأميركيّة من تشرين الأوّل 1946 إلى حزيران 1947، ونال ماجستير في الآداب. وحمل رتبة أستاذ شرف في اللغة العربيّة في قسم العربيّة واللغات الشرقيّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت.

أمّا المراكز التي شغلها فكانت مدير القسم الإنكليزيّ في كلّيّة حمص الوطنيّة (كلّيّة ثانويّة) ونائب رئيسها مدة سنة (1925 - 1926)، وقد راسل في خلالها جريدة «الأحرار» للصحافيّ جبران تويني قبل تحوّلها إلى النهار، عن الثورة السوريّة بتوقيع «فتى البادية»، وكان قريباً من نضال سكّان البادية. ثمّ شغل مركز مدرِّس اللغة العربيّة وآدابها في كلّيّة الآداب والعلوم في الجامعة الأميركيّة في بيروت من 1926 إلى 1935م، وملتحق زائر (فرصة دراسيّة لسنة) في كلّيّة الآداب في جامعة القاهرة، مصر (1929 - 1930)، وأستاذ مساعد في الدائرة العربيّة، كلّيّة الآداب والعلوم في الجامعة الأميركيّة في بيروت من 1935 إلى 1943، وأستاذ مشارك في الدائرة العربيّة في كلّيّة الآداب والعلوم في الجامعة الأميركيّة في بيروت من 1943 إلى 1950، وأستاذ شغل كرسيّ مارغريت ويرهوزر جويت للغة العربيّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت من 1950 إلى 1970. منح في 1960 - 1961 فرصة سنة من الجامعة قضاها في رحلة استغرقت 11 شهراً حول العالم زائراً الجامعات والمؤسّسات التي تعنى بالدراسات العربيّة والإسلاميّة في مختلف المدن المشهورة دارساً مناهجها. ومنذ العام 1970 أصبح أستاذ شرف في كلّيّة الآداب والعلوم في الجامعة الأميركيّة في بيروت. وأشرف منذ العام 1975 على رسائل الدكتوراه في جامعة القديس يوسف.

زار في أثناء عمله في الجامعة الأميركيّة ممثّلاً للجامعة ولبنان عدداً من البلاد العربيّة. وقد

ألقى في بعض هذه الزيارات سلسلة من المحاضرات. وأسهم في مهرجان المعرّي في بيروت العام 1944 بمحاضرة عن حياته، وزار بغداد لحضور أكثر المهرجانات التي دُعي إليها، ومنها: مهرجان ابن سينا (بغداد 1952)، ومهرجان أبي تمّام (الموصل 1971). وتنقّل في بادية الأحساء والشام وبادية الأردن والجزيرة العربيّة.

وفي 1960/ 1961، زار الأساتذة المستشرقين وتعرّف إلى المناهج والوسائل التربويّة، وزار المكتبات والمؤسّسات التي تعنى بالدراسات العربيّة والإسلاميّة في كلّ من الجامعات والمراكز الآتية:

جامعة روما، والفاتيكان، وجامعة فيينا، وجامعة ميونيخ، وجامعة مدريد والإسكوريال، والسوربون، وجامعات لندن وكمبردج وأكسفورد، وجامعة أمستردام، وجامعة كوبنهاغن في الدانمارك، وجامعات ييل وهارفرد وبوسطن وبرنستون وميامي وكاليفورنيا ولوس أنجليس وستانفورد في الولايات المتّحدة الأميركيّة، وجامعة طوكيو. وألقى في خلال هذه الرحلة محاضرة في كلّ من جامعة كمبردج (1960) وجامعة كوبنهاغن (1961) ومحاضرة في كراتشي (الباكستان).

أصبح بعد تقاعده عضواً في المجلس الاستشاري في مؤسّسة الدراسات للعهد الجديد في الشرق الأوسط، ثمّ رئيس المدارس التابعة للكنيسة الإنجيليّة الوطنيّة في بيروت مدّة سنتين (1973 ـ 1975) براتب فخريّ قدره ليرة لبنانيّة واحدة، ثمّ عمدة الكنيسة الإنجيليّة الوطنيّة في بيروت، فرئيس لجنة المدارس 1970 ـ 1977، فعضواً في العمدة 1970 ـ 1977 و1985، فعضواً في المحكمة المذهبيّة وأمين سرّها (1985)، فأمين سرّ العمدة وعضواً في المجمع الأعلى للطائفة الإنجيليّة في سوريا ولبنان في العام 1988، فمشرفاً على المجلّدات التي تحت الطبع من الموسوعة الفلسطينيّة لغة وحضارة وقراءة نصوصها كلّه وإصلاح ما قد يعرض في أقلام كتّابها من أخطاء لغويّة أو تاريخيّة في العام 1986. كما كان يعمل على ضبط ترجمة الكتاب المقدّس الجديدة التي كانت تتولّاها جميع الطوائف المسيحيّة بالشكل الكامل.

لم تعرف حياته الفراغ، وعلى الرغم من انهماكه في التدريس والتأليف والبحث والترجمة مدة تزيد على النصف قرن، فإنّه كان يجد وقتاً لبعض الهوايات، منها: جمع الطوابع البريديّة، والتصوير الفوتوغرافيّ، والرسم.

توفّي في 11 أيّار 1991م، ومنحه رئيس الجمهوريّة وسام الأرز من رتبة كومندور.

آثاره

1 ـ الحياة العربيّة في المئة سنة الأولى التي مرّت بعد وفاة النبيّ العربيّ، بيروت، مطبعة الدائرة الاستعداديّة، 1932؛ 2 ـ ابن عبد ربّه وعقده، ط1، بيروت، المطبعة الكاثوليكيّة، 1933، وط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1979؛ 3 ـ عمر بن أبي ربيعة، دراسة تحليليّة في ثلاثة أجزاء: الجزء الأوّل: عصر ابن أبي ربيعة، بيروت، منشورات كلّيّة العلوم والآداب، الجامعة الأميركيّة في بيروت، 1935، الجزء الثاني: حياة ابن أبي ربيعة، بيروت، منشورات كلّيّة العلوم والآداب، الجامعة الأميركيّة في بيروت، 1938، الجزء الثالث: حبّ ابن أبي ربيعة وشعره، بيروت،

دار العلم للملايين، 1971؛ 4 ـ من تراثنا الأدبيّ، بيروت، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، 1976؛ 5 ـ أوراق من رياض الأدب والتاريخ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1981؛ 6 ـ الملوك الشعراء، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1981؛ 7 ـ كيف أفهم النقد، بيروت، ط1، مطبعة الاتّحاد، 1937، وط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1983؛ 8 ـ البدو والبادية صُوَر في حياة البدو في بادية الشام، أشرف على تحريره سهيل جبرائيل جبّور، بيروت، دار العلم للملايين، 1988. تُرجم إلى الإنكليزيّة؛ 9 ـ من أيّام العمر، 1991. يجمع فيه الذكريات والمذكّرات التي دوّنها على مدى مراحل متفاوتة، منها ما يعود إلى مطلع شبابه؛ 10 ـ في الأدب اللبنانيّ المعاصر.

أمّا الكتب التي أسهم في تحريرها فهي: 11 ـ الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ثلاثة أجزاء، تأليف نجم الدين الغزّي، (تحقيق ودراسة)، منشورات كلّيّة العلوم والآداب، جامعة بيروت الأميركيّة، بيروت، 1945 ـ 1959؛ 12 ـ تاريخ سوريا، [تحرير وإشراف على ترجمته، جزءان، تأليف فيليب حتّي، لندن ونيويورك، 1951]، بيروت، دار الثقافة، 1958 ـ 1959؛ 13 ـ كتاب العيد، الجامعة الأميركيّة في بيروت، 1866 ـ 1966، منشورات العيد المئوي، بيروت، الجامعة الأميركيّة في بيروت، 1967؛ 14 ـ تاريخ لبنان، [تحرير وإشراف على ترجمته، تأليف فيليب حتّي، لندن ونيويورك، 1957]، بيروت، دار الثقافة، 1957؛ 15 ـ فضائل القدس، لعبد الرحمٰن بن الجوزي (تحقيق ودراسة)، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1979.

كما أسهم في ترجمة عدد من الكتب أهمّها:

16 ـ المرشدتين لألس أبكاريوس، بيروت، مطبعة طبّارة، 1925؛ 17 ـ تاريخ العرب لفيليب حتّي، لندن ونيويورك، 1949، ونشر الكتاب بالعربيّة؛ 18 ـ تاريخ العرب، بقلم فيليب حتّي وإدورد جرجي وجبرائيل جبّور، بيروت، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، 1949، وطبعة منقّحة 1965؛ 19 ـ المرشد قبل القراءة، المرافق للكتاب الجديد قبل القراءة ـ للمعلّمين ـ مؤسّسة سكون وفوسمان وشركاهم، شيكاغو، بيروت، مكتبة خيّاط، 1960؛ 20 ـ الكتاب المقدّس للأولاد، لآن دي غريز، بيروت، رابطة الكنائس الإنجيليّة في الشرق الأوسط، ب. ت؛ 21 ـ عواصم الإسلام العربيّ، لفيليب حتّي، بيروت، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع.

كما له سلسلة طويلة من البحوث والرسائل في المجلات والكتب في لبنان والعالم.

■ المصادر والمراجع

1 ـ الكتب:

- أعلام الثقافة في لبنان، العدد 5، منشورات الحركة الثقافيّة، أنطلياس، 1989، ص 13 ـ 19؛ ● الخوري، ابراهيم عبده، شموع في البال، ط1، لا مطبعة، بيروت، 2003، ص 73 ـ 76.

2 ـ الجرائد والمجلّات:

- الأديب، ع. 1 (كانون الثاني 1942)، ص 46 ـ 49، (كانون الأوّل

1942)، ص 18 ـ 19؛ ● لأنوار، 1 شباط 1989؛ ● السفير، 31 كانون الثاني 1989؛ ● مجلّة المسيرة، ع. 294، (17 حزيران 1991)، ص 45؛ ● المشرق، ع. 33 (1935)، ص 45 ـ 68، ع. 34 (1936)، ص 84 ـ 94؛ ● المقتطف، ج 66 (1925)، ص557، ج 77 (1930)، ص 321 ـ 329، ج83 (1933)، ص 485، ج 87 (1935)، ص 518، 633 ـ 634، ج 90 (1937)، ص 425 ـ 432، 575 ـ 580، ج 91 (1937)، ص 41 ـ 47، ج 95 (1939)، ص 158 ـ 166، 346 ـ 351، ج 96 (1940)، ص 348؛ ● المورد الصافي، ع. 7، (نيسان 1922)، ص 355 ـ 359؛ ● النهار، 6 آذار 1986، 17 تشرين الثاني 1988، 11 آذار 1989، 15 أيّار 1991.

د. اليان صليبا
الجامعة اللبنانية ـ بيروت

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد

(540هـ/1145م ـ 614هـ/1217م)

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي. اشتهر عند الكثيرين بأنه رحّالة أو جغرافي، في حين أنّه كان بعيدًا عن مضمون هذين النّعتين بعدًا كبيرًا. فهو عند معاصريه، وعند أصحاب كتب التّراجم الّتي عرّفت به: «أديب وزاهد»، فبهذين الوصفين نعته مثلاً ابن الأبّار (المتوفى سنة 658هـ/1260م) وأقرب مؤلّفي التّراجم إلى عصره [التكملة، ج 1، ترجمة 169].

لم تستوف التّراجم والأبحاث الحديثة في الكثير من الأحيان حقّ هذه الشّخصيّة من ناحية الإلمام بعديد الجوانب من حياتها، وذلك لسبب رئيسي في اعتقادنا، وهو عدم استفادتها من الترجمة الأشمل والأوفى الّتي وضعت له في القديم، ونقصد تلك الّتي خصّه بها أبو عبد اللّه محمد بن عبد الملك المرّاكشي في كتابه «الذّيل والتّكملة»؛ وهي ترجمة امتدّت على مدى خمس وعشرين صفحة. فلا الزّركلي ولا الموسوعة الإسلاميّة استفادا منها. فقد قدّم ابن عبد الملك ـ وعلى عادته ـ في هذه التّرجمة معلومات ضافية حول حياته ومختلف أوجه نشاطه خاصّة الفكري منه. وهذه التّرجمة اعتمدها لسان الدّين بن الخطيب فيما بعد في كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» لكن بنوع من التّلخيص.

يقدّم ابن عبد الملك اسم ابن جبير كاملاً وافيًا، موغلاً بعيدًا في تعداد أجداده حتّى يصل ـ في مرحلة أولى ـ إلى شخص باسم عبد السّلام بن جبير الكناني فيقول: «الدّاخل إلى الأندلس في طالعة بلج بن بشر بن عياض

القيسي القشيري في محرّم ثلاث وعشرين ومائة...»، ثمّ في مرحلة ثانية، إلى ذكر أنّهم من ولد ضمرة بن كنانة، ويعدّد نسبهم حتّى معدّ بن عدنان، مؤكّدًا بذلك نسبهم العربي الصّريح. وطالعة بلج هذه كانت ثانية الطوالع الهامّة من العرب الذين دخلوا الأندلس بعد طالعة موسى في بدايات الفتح سنة 93هـ/ 712م.

وقد كان نزول هذا الجدّ الدّاخل إلى الأندلس بكورة شذونة الواقعة بالجنوب لنجد العائلة المنحدرة منه فيما بعد مستقرّة بشرق الأندلس: بشاطبة ثمّ ببلنسيّة، حيث ولد أبو الحسين محمد سنة 540هـ/ 1145م لينتقل به أبوه صغيرًا إلى شاطبة ثمّ ليستوطن هو فيما بعد مدينة جيان ثمّ مدينة غرناطة.

وقد وضع ابن الأبّار ترجمة لأبي جعفر أحمد والد أبي الحسين مدّنا فيها بمعلومات هامّة جدّا حوله نفهم منها أنّه تزوّج بنت أبي عمران موسى بن أبي تليد الشاطبي، أحد علماء شاطبة الكبار في العهد المرابطي [القاضي عياض، الغنية، ص 256، رقم 85، الدار العربيّة للكتاب 1978]، وأنّه كان كاتبًا شاعرًا، ثمّ نفهم منها خاصّة أنّه ساند أبا عبد الملك مروان بن عبد العزيز، قاضي بلنسيّة، الذي تأمّر على هذه المدينة، مثل عدد هام من القضاة والرّؤساء في مدن أخرى من الأندلس في ظلّ أحداث ما يعرف بالفتنة الأندلسيّة الثّانية عند انقراض دولة المرابطين في سنة 539هـ/ 1144م. وإنّ أبا مروان استوزره ـ لكن مدّة هذا الأخير لم تدم طويلاً ففشلت محاولته وخلع [ابن الأبّار، الحلة السيراء، ط 2، ج 2، ص 218]، وامتحن أصحابه ومنهم أبا جعفر أحمد بن جبير، وقد أكّد ابن الأبّار وقوع هذا الأخير في محنة عظيمة، فذكر أنّ الجند قاموا بالقبض عليه «واعتقلوه حتّى فدى منهم نفسه بمال جليل»، مضيفًا أنه «انتقل إثر ذلك إلى شاطبة فسكنها»، ويُفهم من كلام ابن الأبّار أنّ وفاة أبي جعفر كانت بهذه المدينة وذلك سنة 552هـ/ 1157م.

فأبو جعفر خاض إذن غمار تجربة سياسيّة باءت بالفشل وكانت لها تبعات على حياته وحياة عائلته ومن أفرادها ابنه أبو الحسين الّذي وُلد في أشدّ لحظاتها وطأة، أي سنة 540هـ/ 1145م، فواجه هذه المحنة وهو في المهد ثمّ في أولى سنوات طفولته، غير أنّ النّتائج السّلبيّة لتقلّبات الحياة السياسيّة لوالده، والّتي مكّنت الأموال من مواجهتها، أصبح يُعدّ لها بلا شكّ، ويخفف من وطأتها، هدوء الإشعاع العلمي الذي كان لعائلة جدّه أبي عمران، والمكانة الّتي كانت عليها في مجتمع شاطبة حيث كانت تحظى بالاحترام والتّقدير، وحيث استقرّت عائلة ابن جبير سريعًا بعد الأزمة. والّذي نفهمه من كلّ ذلك هو انتماء أبي الحسين بن جبير إلى طبقات الخاصّة في مجتمع شرق الأندلس سياسيّا وعلميّا. وهو انتماء قويّ سواء من ناحية والده أو من ناحية عائلة أمّه.

لا تتوسّع المصادر كثيرًا في تعداد شيوخ أبي الحسين بن جبير من الأندلسيّين ونراها تقتصر على ذكر بعض الأسماء. فنحن نجد عند ابن الأبّار مثلاً أنّه «حمل عن ابن الحاج، وأخذ العربيّة عن ابن يسعون، وسمع بشاطبة من أبيه أبي جعفر، وأبي عبد الله الأصيلي، وأبي الحسن بن أبي العيش، وأخذ عنه القراءات. وأجاز له أبو الوليد ابن الدبّاغ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى التميمي السبتي».

وهي نفس القائمة الّتي نجدها عند ابن عبد الملك المرّاكشي في التّرجمة الّتي خصّصها لابن جبير مع اختلاف يتمثّل في إسقاط اسم ابن الحاج وإضافة اسم أبي عبد اللّه بن عروس. وهذه الأسماء مذكورة في كتب التّراجم وهي أسماء لغويين ومحدّثين أساسًا.

وبالمقابل نجد عند هذه المصادر تعدادًا أكبر للشّيوخ الّذين التقى بهم ابن جبير بالمشرق فحضر دروسهم أو تلقّى منهم إجازة. ومنهم بمكّة أبو حفص الميانجي، وأبو إبراهيم التّونسي، وأبو محمد الخجندي الأصبهاني؛ وببغداد أبو الفرج بن الجوزي؛ وبدمشق أبو طاهر الخشوعي، وعماد الدّين الأصبهاني الكاتب؛ وبحرّان العارف أبو البركات حيّان بن عبد العزيز، وغير هؤلاء. وهم كلّهم من كبار العلماء خاصّة في ميادين الحديث، والأدب، والزّهد، والتّصوّف.

غير أنّ التقاء أبي الحسين بهذه الشخصيّات المشرقيّة كان في الواقع خلال الرّحلات الّتي قام بها إلى المشرق والّتي بدأت سنة 578هـ/ 1183م، أي وهو قد تحصّل بعد على زاد علمي هامّ أهّله وهو بالأندلس - إلى أن يتولّى بعض المناصب، وهو زاد كان أساسًا في ميدان الأدب والشّعر. فقد ذكر ابن الأبّار أنّ أبا الحسين بن جبير «عني بالآداب فبلغ منها الغاية وتقدّم في صياغة القريض، وصناعة الكتابة ونال بها دنيا عريضة». وهو يشير بذلك إلى اقترابه من أصحاب السّلطة القائمة آنذاك، وهم الموحّدون وولاتهم وخدمته لهم. وقد ذكر ابن عبد الملك المرّاكشي في هذا الصّدد، أنّ أبا الحسين «كتب في شبيبته عن أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن وعن غيره من ذوي قرابته وله فيهم أمداح كثيرة»، وأبو سعيد هو أحد أولاد عبد المؤمن بن علي باني دولة الموحّدين، وكان من كبار الأدباء وله أخبار كثيرة أورد بعضها ابن سعيد في كتاب «المُغرب».

وبإمكاننا أن نقسّم حياة ابن جبير إلى ثلاث مراحل واضحة: مرحلة أولى هي مرحلة أندلسيّة صرفة عاشها قبل رحلته الأولى والّتي كانت، كما ذكرنا، سنة 578هـ/ 1183م، ومثّلت حوالي الأربعين سنة الأولى من حياته؛ تولّى في فترات منها الخدمة للموحّدين. ثمّ مرحلة ثانية بدأت مع هذه الرّحلة لتتلوها رحلة ثالثة سنة 602هـ/ 1205م استقرّ معها في المشرق نهائيًا. فهو إذن بين هذين التّاريخين: 578هـ/ 1183م و602هـ/ 1205م عاش نوعًا من عدم الاستقرار بين المشرق والأندلس. فاعتبرنا ذلك مرحلة ثانية عقبتها مرحلة ثالثة هي الّتي عاشها بالمشرق - دون عودة إلى الأندلس - وانتهت بوفاته سنة 614هـ/ 1217م.

وقد كان خُروج ابن جبير في رحلته الأولى انطلاقًا من مدينة غرناطة يوم الخميس الثامن من شعبان سنة 578هـ/ 3 فيفري 1183م، وعودته إليها. في أوّل الأسبوع الأخير من شعر محرّم سنة 581هـ/ آخر أفريل 1185م. وقد ضبط ابن جبير نفسه مدّة هذه الرّحلة قائلاً: «فكانت مدّة مقامنا من لدن خروجنا من غرناطة إلى وقت إيابنا هذا عامين كاملين وثلاثة أشهر ونصفًا» [ص 320].

وقيام ابن جبير بهذه الرّحلة أمر يبدو طبيعيًا جدًّا في اعتقادنا. ومن الممكن إدراجه في إطار الرّحلات الّتي دأب العلماء على القيام

بها لسببين رئيسيّين، وهما الحجّ من ناحية، ولقاء الشّيوخ والسّماع عنهم من ناحية ثانية. فالرّحلة كانت تزيد من قيمة العالم وتُكسبه مكانة خاصّة، وكُتب التّراجم شديدة الحرص، كما هو معروف، على أن تسجّل للعلماء ـ وخاصّة المغاربة ـ قيامهم أم لا بالرّحلة إلى المشرق. لذلك فنحن نحترز كثيرًا إزاء سبب آخر ذُكر وراء قيام ابن جبير بهذه الرّحلة وهو قيامه بها للحجّ تكفيرًا عن زلّة قام بها تمثّلت في استجابته، تحت الضّغط لطلب الوالي الموحّدي ـ والذي قد يكون أبا سعيد ـ بأن يشرب كؤوسًا من الخمر أثناء أحد المجالس الّتي ضمّتهما. فنحن لا نجد ذلك إلّا في مصادر متأخّرة. [المقّري، نفح الطّيب، ج 2، ص 385].

وما من شكّ أنّ أوّل ما يثير الانتباه حول هذه الرّحلة هو إنجازها على متن مراكب مسيحيّة تابعة لمدينة جنوة الإيطاليّة، وذلك سواء عند الذّهاب بالانطلاق من ميناء سبتة على مضيق طارق بعد الوصول إليه من غرناطة، أو عند العودة بالانطلاق من ميناء عكّة وهو آنذاك تحت الاحتلال المسيحي، إذ إنّ الحروب الصّليبيّة كانت قائمة منذ ما يناهز القرن وأفضت إلى قيام إمارات مسيحيّة على سواحل الشّام.

أمّا رحلة ابن جبير الثّانية فقد انطلقت سنة 585هـ/ 1190م. وقد اتّفقت المصادر المتحدّثة عنها أنّ أسبابها مرتبطة بأحداث الصّليبيّات بالذّات ونجاح صلاح الدّين الأيّوبي في استرجاع بيت المقدس سنة 583هـ/ 1188م. فقال ابن عبد الملك المرّاكشي، وهو أوّل من أشار إلى هذا الرّبط: «ولمّا شاع الخبر المبهجُ للمسلمين جميعًا حينئذ بفتح بيت المقدس على يد السّلطان النّاصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيّوب بن بوري ـ رحمه اللّه ـ وكان فتحه يوم السبت لثالث عشرة ليلة بقيت من رجب ثلاث وثمانين وخمسمائة، كان ذلك من أقوى الأسباب الّتي بعثته على الرّحلة الثانية، فتحرّك لها من غرناطة أيضًا يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأوّل من سنة خمس وثمانين (وخمسمائة)».

وهذه الرّحلة لم يدوّنها ابن جبير ولا نملك حولها من المعلومات في اعتقادنا إلّا تلك الّتي يمدّنا بها ابن عبد الملك المرّاكشي. فهو قد حدّد لنا مدّتها بذكر تاريخ وصول ابن جبير إلى غرناطة عائدًا وذلك «يوم الخميس لثلاث عشرة (ليلة) خلت من شعبان سبع وثمانين (وخمسمائة)»؛ ونقل لنا كلامًا لابن جبير ـ لا نعرف من أين نقله ابن عبد الملك المرّاكشي ـ الذي قال حول رحلته هذه: «وقضى اللّه برحمته لي بالجمع بين زيارة الخليل ﷺ، وزيارة المصطفى ﷺ، وزيارة المساجد الثّلاثة في عام واحد متوجّهًا وفي شهر واحد منصرفًا». فنلاحظ إذن أنّ مدّة هذه الرّحلة الثّانية كانت أطول بقليل من مدّة الرّحلة الأولى وتجاوزتها بحوالي ثلاثة أشهر، وأنّها تركّزت على ما يبدو على منطقتي الحجاز والشّام أساسًا.

ويبدو من التّفاصيل القليلة الّتي يمدّنا بها ابن عبد الملك المرّاكشي حول حياة ابن جبير ونشاطه بعد الرّحلة الثانية أنّه أصبح شخصيّة تعيش نوعًا من القلق وعدم الاستقرار. فنحن نلاحظ، من ناحية أولى، ميله المتزايد إلى

الزّهد والتصوّف، فأصبح ـ على حدّ عبارة ابن عبد الملك ـ «منقطعًا إلى إسماع الحديث والتصوّف وتروية ما كان عنده، وفضله مع ذلك يزيد وورعه يتحقّق وأعماله الصّالحة تزكو». كما نلاحظ، من ناحية ثانية، كثرة تنقّلاته بين عدّة مدن. فهو قد سكن غرناطة مدّة، ثمّ انتقل إلى مالقة، وبعدها إلى فاس، ثمّ سبتة حيث استقرّ بأهله وولده. فنحن نلاحظ إذن أنّه قد خرج في الواقع من الأندلس واستقرّ بالمغرب الأقصى، لكن في مدينة تُمثّل همزة الوصل الرّئيسيّة مع المشرق وكأنّ فكرة الرّحلة من جديد أصبحت تراوده مُبكّرًا بعد عودته من رحلته الثّانية نحو رحلة ثالثة. وهو ما تمّ بالفعل.

فمن سبتة كانت رحلة ابن جبير الثّالثة، وهي الرّحلة الّتي ستكرّس انفصاله نهائيًا عن بلاد المغرب واستقراره بالمشرق. وقد ربط ابن عبد الملك سبب انطلاقها بحدث قد يثير الانتباه، إذ قلّما نجده وراء قرارات من هذا النّوع، ويتمثّل في وفاة زوجة أبي الحسين بن جبير المسمّاة أمّ المجد عاتكة وذلك في شعبان سنة 601 هـ/ 1204م، بعد مرض طويل على ما يبدو، وهي وفاة كان لها تأثيرها الكبير فيه ووصفها بأنّها كانت «لوعة وحرقة». غير أنّنا نعتقد أنّ هذا الحدث أتى كعامل إضافي وهامّ زاد من حالة القلق الّتي كان يعيشها ابن جبير منذ مدّة وكان فيصلاً في دفعه إلى قراره بمغادرة المغرب.

وقد كان خروج ابن جبير من سبتة في غضون سنة 602هـ/ 1205م ليصل مكّة في نفس هذه السّنة ويجاور بها طويلاً ـ على حدّ عبارة ابن عبد الملك ـ ثمّ ببيت المقدس ـ ليتحوّل فيما بعد إلى الاسكندريّة حيث انقطع إلى التّدريس. وعاش حتّى وفاته بها سنة 614هـ/ 1217م. فيكون بذلك قد عاش المرحلة الأخيرة من حياته بالمشرق ودامت اثنتي عشرة سنة. وما من شكّ أنّ استقراره في نهاية الأمر بالإسكندريّة يعكس خلفيّات عدّة لعلّ من أبرزها كثافة وجود المغاربة بهذه المدينة وكثرة تردّدهم عليها.

وما من شكّ أنّ قرار ابن جبير بالاستقرار بالمشرق نهائيًا هو قرار يستدعي التّوقّف والدّراسة المطوّلة، وهو ما لا يمكن القيام به هنا، غير أنّنا نعتقد أنّ بعض التفسيرات قد نجدها ـ إلى جانب حادثة وفاة زوجته ـ في المشاعر والميولات الّتي أصبحت طاغية عليه والّتي عبّر عنها في طيّات ما دوّنه عن رحلته الأولى، لعلّ من أبرزها تشوّقه المتزايد في كلّ مرّة إلى زيارة البقاع المقدّسة بالحجاز والشّام وتعلّقه إلى المجاورة بها. فالزّهد، شعورًا وسلوكًا وتعبيرًا، قد غلب على أبي الحسين بن جبير، كما تدلّ على ذلك عديد القرائن.

وعلى الرغم من أنّ ابن جبير كان شاعرا مكثرا فإنّ ما وقع الاحتفاظ به أكثر عنه وما طغى على شهرته هو بلا شكّ الكتاب الذي دوّن عن رحلته الأولى إلى المشرق.

ويُعرف هذا الكتاب عادة باسم «رحلة ابن جبير». لكن صاحبه وضع له عنوانًا آخر هو «تذكرة بالإخبار عن اتّفاقات الأسفار». ومنذ فترة قريبة جدًا من عصر المؤلّف شكّكت بعض المصادر في نسبة تحرير نصّ هذه الرّحلة إليه. فهو ما نجد صداه عند أبي جعفر بن الزبير (المتوفّى سنة 708هـ/

1308م) صاحب كتاب «صلة الصلة» في ترجمة وضعها لابن جبير، لم تصلنا في الواقع لكن نقل منها ابن القاضي في "جذوة الاقتباس"، حيث قال متحدّثا عن أبي الحسين بن جبير: "ذكره ابن الزبير فقال: حدّثني عن ابن جبير هذا شيخنا علي بن محمد الغافقي، ويُنسب إليه تأليف رحلته المشهورة، وهي بأيدي النّاس، وليست من تأليفه فيما ذكر لي شيخنا الغافقي، إنّما قيّد هو حاصلها من ذكر المراحل والانتقالات وأحوال البلاد لنفسه تقييدًا لم يقصد به التّأليف فرتّبه بعض من أخذ عنه أتقنه مؤسّسًا". ونفس هذه الفقرة نجدها مُلخّصة عند ابن عبد الملك دون ذكر نقلها عن ابن الزبير، إذ هو ينسبها مباشرة إلى الغافقي هذا والذي عدّه ابن عبد الملك من جملة الآخذين عن ابن جبير. وقضيّة التّأليف ستُطرح مرّة أخرى كما هو معروف في شأن رحلة ابن بطوطة فيما بعد.

وقد تضمّن نصّ الرّحلة تسجيلاً لما شاهده ابن جبير وعاشه خلال رحلته بأسلوب يمزج بين المُياومة والوصف والسّرد والاستطراد معبّرًا عن الأحوال الّتي مرّ بها والمشاعر الّتي خالجته على مختلف المسالك الّتي ارتادها، أو بين أحضان المدن ومختلف التجمّعات السّكنيّة، وسواء كان على البحر أو البرّ أو على ظهر نهر، مخترقًا فضاءات مختلفة جدًا منها ما كان إسلاميًا ومنها ما كان مسيحيًا أو أصبح هكذا بعد أن كان إسلاميًا، إذ تنقّل ابن جبير - بعد عبور البحر - بين مصر والصعيد والحجاز والعراق والجزيرة والشّام ببواديه وسواحله الّتي احتلّ الصليبيّون جزءًا منها آنذاك. كما زار عددًا من جزر المتوسّط وخاصّة صقليّة الّتي كانت تحت حكم النّرمان منذ مدّة، واصفًا كلّ ما جلب انتباهه ومُبديًا التّعاليق والانطباعات المختلفة. هذا فضلاً عن حديثه في مواقع مختلفة من كتابه عن فضاء متميّز جدًا في اعتقادنا ألا وهو ظهر السفن وكيف كانت الحياة تسير عليه في أوقات هيجان البحر أو سكونه وطوال الطّريق مدّة أشهر.

هذا وقد وقع التنبيه منذ أمد طويل إلى الأهميّة القصوى لمضمون هذه الرّحلة فوقع استغلالها في مواضيع شتّى من طرف باحثين منتمين إلى اختصاصات علميّة مختلفة. ففضلاً عن المعلومات الواضحة والبارزة الّتي تهمّ المؤرّخ والجغرافي والأنتربولوجي والأتنوغرافي؛ والأقلّ وضوحًا والّتي تستدعي تنقيبًا وبحثًا أعمق كمواضيع متعلّقة بنواحي نفسانيّة أو متصلّة بالذّهنيّات وبقضايا النّظرة إلى آخره؛ هناك مستويات أخرى تقدّم لنا الرّحلة معطيات هامّة حولها. كموضوع التقنيات البحريّة، والمصطلحات المستعملة وغير ذلك كثير.

وغير خاف أنّ تقييد هذه الرّحلة كان عملاً جبّارًا من ناحية الإفادة العمليّة. ولا نبالغ إن قلنا إنّ المرء يبقى مشدوهًا - عند التفكير مليّا - إزاء عظمة تلك اللّحظة الّتي قرّر فيها ابن جبير "يوم الجمعة الموفى ثلاثين شهر شوّال سنة ثمان وسبعين وخمس مائة على متن البحر بمقابلة جبل شبير"، الجبل المطلّ على غرناطة جنوبًا، أن يبدأ، كما ذكر هو حرفيًا [ص 7] في تقييد رحلته، وهو على وعي تام بما يفعل، بل مسجّلاً لنا هذا الوعي ذاته

عندما أكّد على اللّحظة الّتي بدأ فيها في التّقييد.

■ آثاره

1 ـ رحلة ابن جبير، أو «تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار»؛ 2 ـ مجموع شعري، وصفه ابن عبد الملك في الذيل أو التكملة بأنّه «مجلّد متوسّط يكون في قدر ديوان أبي تمّام حبيب بن أوس»؛ 3 ـ مجموع آخر، قال إنّه «جزء سمّاه (ابن جبير) نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصّالح»، وذكر أنّ ابن جبير «أودعه قطعًا وقصائد في مراثي زوجه أمّ المجد المذكورة بعد وفاتها والتوجّع لها أيّام حياتها، تزيد بيوته على ثلاثمائة»؛ 4 ـ نظم الجمان في التشكّي من إخوان الزّمان، وهو جزء شعري ذكر ابن عبد الملك أنّه «يشتمل على أزيد من مائتي بيت في قطع»؛ 5 ـ موشّحات خمس يبقى هذا «ترسيل بديع وحكم مستجادة» على حدّ عبارة ابن عبد الملك الّذي نقل لنا عيّنات منها، وهي من صنف ما تتضمّنه عادة خطب الوعّاظ إذ يطغى عليها طابع الزّهد والتّذكير وتقويم الأخلاق؛ 6 ـ مقالة رسالة اعتبار النّاسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، قال ابن عبد الملك إنّه كتب بها إلى شخص من أهل فاس سنة 593هـ/ 1197م.

وإذا تركنا جانبًا هذه المقالة من ناحية، وما دوّن عن رحلته من ناحية ثانية، نلاحظ أنّ إنتاج ابن جبير كان أساسًا إنتاجًا شعريًا. فإلى جانب هذه العناوين الّتي ذكرنا أعلاه أوردت له المصادر عديد المقطوعات والأبيات الّتي لا ندري هل كانت منفصلة عن هذه الأجزاء والمجاميع، أو داخلة فيها.

وقد اعتنى منجد مصطفى بهجت بجمع أشعار ابن جبير في سفر سمّاه «ديوان الرحالة ابن جبير»، صدر عن دار الرفاعي، ط1. الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة سنة 1999.

■ المصادر والمراجع

● ابن جبير، أبو الحسين محمد، الرّحلة، دار صادر، بيروت، د. ت؛ ● ابن الأبّار، أبو عبد اللّه محمد، التّكملة، نشر وتصحيح عزّت العطار الحسيني، ج 1، ص 63، 1955م، ترجمة أبي جعفر أحمد (والد أبي الحسين بن جبير)، رقم 169؛ و ج 2، ص 598؛ ترجمة أبي الحسين رقم 1581؛ ● ابن الأبّار، أبو عبد اللّه محمد، الحلّة السيراء، تح. حسين مؤنس، دار المعارف، 1985م، ط2، ج 2، ص 218، ترجمة أبي عبد الملك مروان بن عبد العزيز، رقم 145؛ ● ابن إبراهيم، العبّاس، الإعلام بمن حلّ مرّاكش وأغمات من الأعلام، تح. عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكيّة، الرّباط، 1976م، ج 4، ص 179؛
● ابن الخطيب، لسان الدّين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. عبد اللّه عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ط 2، ج 2، ترجمة أبي الحسين بن جبير، ص 230؛
● ابن عبد الملك، أبو عبد اللّه محمد، الذيل والتّكملة، السّفر الخامس، القسم الثاني، تح. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1965م، ترجمة أبي الحسين بن جبير، رقم 1172، ص 595 ـ 621؛

• المقّري، أبو العبّاس أحمد، نفح الطيب، تح. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1968، ج 2، ص 381 وما بعدها؛ • الشتيوي، أحمد، مواقف ابن جبير السياسيّة من خلال رحلته، حوليّات الجامعة التّونسيّة، عدد 26، 1976م، ص 191 ـ 223؛ • الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، سنة 1999، ص 5/ 319 ـ 320، ط 14.

د. عمر بن حمادي
جامعة منوبة ـ تونس

ابن جبير، أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي

(45 هـ/665م ـ 95هـ/714م)

سعيد بن جبير بن هشام، أبو عبد الله الأسدي الكوفي، ابن الحارث، مفسّر، مقرئ، وفقيه ومحدّث، ينتمي بالولاء إلى بني والبة بن الحارث من بني أسد بن خزيمة، وهو حبشي الأصل. كان من سادة التابعين علما وفضلا وصدقا وعبادة. أخذ العلم عن كبار الصحابة، أمثال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، كما سمع الحديث أيضا من أنس بن مالك، وعبد الله بن مغفل، وعدي بن حاتم، والضحاك بن قيس، وغيرهم. وحدث عنه ابناه عبد الملك وعبد الله، وأبو صالح السمان، وآدم بن سليمان، وأيوب السختياني، وأبو إسحاق السبيعي، وبكير بن شهاب، وثابت بن عجلان، وجعفر بن أبي المغيرة، وسليمان الأعمش، وسلمة بن كهيل، وغيرهم. وقد قرأ عليه القرآن، أبو عمرو بن العلاء، والمنهال بن عمرو، وآخرون.

لعب سعيد بن جبير دورا هاما على صعيد الحياة الدينية والسياسيّة في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة. فقد كتب بالكوفة لعبد الله بن عتبة بن مسعود، ثم كتب لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري، حينما كان على القضاء وبيت المال. وعندما قدم الحجاج واليا على العراق (75هـ/ 694م ـ 95هـ/ 714م)، قدّر مكانة سعيد بن جبير وعلمه، وجعله إماما في جامع الكوفة، رغم معارضة أهلها لذلك لكونه من الموالي. كذلك أراد أن يجعله قاضيا لكنه اضطر تحت ضغط الكوفيين إلى استقضاء أبي بردة، بعد أن أمره أن لا يقطع أمرا إلا بإذن سعيد. كذلك جعله من سماره، وأعطاه أموالا كثيرة ليفرقها على الناس بمعرفته.

وحين أرسل الحجاج حملة إلى سجستان لإعادة السيطرة عليها، عين سعيد بن جبير على عطاء الجند. فرافق هذه الحملة التي كانت بقيادة عبد الرحمٰن بن محمّد الأشعث الكندي. ولكن هذا الأخير أعلن العصيان

على الحجاج، ورجع لمقاتلته. ويبدو أن سعيدا لم يكن راضيا عن سياسة الأمويين وممثلهم الحجاج في العراق، فانتهز الفرصة وأيّد هذه الحركة، مع كثير من القراء والزهاد والفقهاء وكان رأي سعيد أنه لا بد من مقاتلة الحجاج وجيشه «لجورهم في الحكم وخروجهم عن الدين وتجبرهم على عباد الله وإماتتهم الصلاة واستذلالهم المسلمين» [الطبري، تاريخ ، 2/ 1082].

ولما انهزم ابن الأشعث وأصحابه في معركة دير الجماجم سنة 82 هـ/ 701 م، هرب سعيد بن جبير إلى أصبهان، حيث بقي فيها نحو سنتين، ثم انتقل إلى أماكن أخرى مثل أذربيجان، وقزوين، وفارس، وذلك نتيجة ملاحقة الحجاج له، ثم عاد إلى العراق فسكن قرية تدعى سنبلان واستقر أخيرا في مكة، إلى أن وشي به إلى عاملها خالد بن عبد الله القسري، فألقى القبض عليه وأرسله إلى الحجاج في العراق.

وتسهب الروايات في وصف ما دار بين الحجاج وسعيد بن جبير أثناء اللقاء، وعتاب الأول له على عصيانه ونكثه بيعة الخليفة عبد الملك بن مروان. ويبدو أن سعيدا لم يكن مستعدا للتنازل أو الاعتذار عما فعل، أو لتبرير موقفه، الأمر الذي أغضب الحجاج فأمر بقتله [الطبري، تاريخ، 2/ 1261 - 1264]. وهكذا انتهت حياة هذا العالم الكبير، نتيجة اشتراكه في تلك الفتنة. وقد اختلفت ردود أفعال بعض علماء المسلمين بشأن موقفه من الحجاج وهروبه منه حيث انتقده محمّد بن سيرين، والحسن البصري [ابن سعد، الطبقات، 6/ 264، 266]، في حين نال إعجاب الآخرين من أمثال أحمد بن حنبل الذي قال: «قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا هو مفتقر إلى علمه» [ابن خلكان، وفيات، 2/ 374]. ومهما يكن الرأي من الموقف السياسي لسعيد بن جبير، فلا لأحد أن ينكر ما تمتعت به شخصيته من علم وفهم، ولا عجب أنه لقب بجهبذ العلماء. وكان سعيد حريصا أشد الحرص على نشر علمه، ويقال إنه حزن جدا عندما كان في فارس وأصبهان من عدم إقبال الناس على سؤاله وطلب علمه، وكان يقول: «لأن أنشر علمي أحبّ إليّ من أن أذهب به إلى قبري» [الذهبي، سير أعلام النبلاء، 4/ 326].

كانت أكثر روايات سعيد عن ابن عباس، وقد حدّث بأذنه، وذلك بعد تردد منه، وكان سعيد يكثر من طرح المسائل على ابن عباس، ويكتب عنه إضافة إلى ما يحفظه. «وكتبت في كفيّ، وربما أتيته فلم أكتب حديثا حتى أرجع، لا يسأله أحد عن شيء» [ابن سعد، الطبقات، 6/ 257]. ويبدو أنه أخذ يكتب عنه بعد إصابة ابن عباس بفقد البصر، لأن الأخير كان يكره أن يكتب عنه لا سيما في الفتيا، فلما فقد بصره، استطاع ابن جبير أن يكتب دون أن يراه.

ونتيجة لكثرة اتصال سعيد بعبد الله بن عباس، وأخذه عنه، فقد نصحه بالاستفادة من علمه، واستخدامه بشكل جيد قائلا: «انظر كيف تحدّث عني، فإنك قد حفظت عني حديثا كثيرا». ولكنّه كان في الوقت نفسه مطمئنا إلى قابليات سعيد وإمكاناته في مجال الحديث والتفسير، فقيل إنه كان إذا جاء أحد

يسأله من أهل الكوفة بعد أن فَقَدَ بصره يقول: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدًا.

عرف عن سعيد بن جبير اهتمامه الشديد بالقرآن الكريم قراءة وتفسيرا، ومما يروى عنه في هذا المجال، أنه كان يؤم الناس في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود، وليلة بقراءة زيد بن ثابت، وأخرى بقراءة غيرهما وهكذا. ولقد بالغ الرواة في نقل أخبار عن سرعته في التلاوة، وختمه للقرآن بأوقات قياسية، فقيل إنه كان يختم القرآن بين المغرب والعشاء في شهر رمضان، أو أنه كان يختم القرآن كل ليلتين. وهذا بطبيعة الحال، يدل على اقتناع الناس بقابلية هذا الرجل، وحفظه وعلمه، فضلا عن اهتمامهم بتفسيره للقرآن، الذي عرف به، لأنه كان من أوائل المفسرين من التابعين. وكان يعتني بهذا التفسير، ويتعهده دائما بالتعديل والتهذيب، وقد أشار ابن سعد إلى تردد أحد معاصريه، وهو الراوي عزرة بن ثابت، ومعه التفسير في كتاب، ومعه الدواة، ليغيّر ويشذب فيه [الطبقات، 6/ 266].

إن الروايات التي أشارت إليها المصادر، لا سيما الطبري في تفسيره وتاريخه، ترينا أن بعضا من تفسيرات سعيد بن جبير كانت لغوية، والبعض الآخر تاريخية، تناولت النص القرآني كله. ويرى سزكين بحق أنه لا يمكن جمع المقتبسات في نص محدد متعارف عليه بسبب كثرة سلاسل الروايات، التي نقلت عنه. وإذا ما أخذنا الطبري نموذجا، نجد أنه أشار إلى عدد كبير من الطرق وسلاسل الإسناد التي تنتهي غالبيتها بسعيد بن جبير عن ابن عباس. وذلك على العكس مما أشار إليه ياقوت [معجم الأدباء، 18/ 64] من أن الطبري قد سلك إلى تفسير ابن عباس عن سعيد بن جبير بطريقين مختلفين فقط. ففضلا عن الروايات التي جاءت بالإسناد الآتي: «حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق عن محمّد بن أبي محمّد عن ابن جبير عن ابن عباس»، أو الروايات المنقولة عن محمّد بن إسحاق بطريق التعليق مثل: حدثت عن محمّد بن أبي محمّد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس [الطبري، جامع البيان، 1/ 410، 411، 483، 488، 495، 564، 2/ 53، 313]، نجد العديد من الطرق الأخرى التي نقلها رواة متعددون عن سعيد، منهم، المنهال بن عمرو، وعطاء بن السائب، وسالم الأفطس، وسليمان الأعمش، وابن جريج، وخصيف بن عبد الرحمن، وأبو بشر وغيرهم.

وصل إلينا هذا التفسير، في المقتبسات المنقولة عنه في الكتب المتأخرة، التي نقلت بدورها عن الكتب المؤلفة في القرن الثاني للهجرة. ويعد الطبري أهم من استخدم هذه المقتبسات التي وصلته بشكل غير مباشر، لا سيما من النقول المأخوذة من تفسير سعيد في كتاب المغازي لمحمّد بن إسحاق، الذي أخذها بدوره بطريق التعليق واستفاد منها دون أن تكون لديه إجازة لرواية هذا الكتاب.

المصادر والمراجع

• ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، 1957، 2/ 256 ـ 257، 266؛ • خليفة، الطبقات، تح. سهيل زكار، دمشق، 1966، 2/ 702؛ • ابن حبيب، المحبر، باعتناء إيلزة ليختن شتيتر، حيدر

آباد الدكن، 1361هـ، 278؛ ● ابن قتيبة، المعارف، تح. ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، 1969، ط 2، 445 ـ 446؛ ● اليعقوبي، تاريخ بيروت، دار صادر، 2/ 278؛ ● الطبري، تاريخ الرسل والملوك، نشر، دي غوية، ليدن، 1879 ـ 1903، 2/ 1087، 1261 ـ 1264؛ ● الطبري، جامع البيان، دار الفكر، بيروت 1405هـ، 1/ 215، 222، 300، 304، 410، 411، 483، 488، 495، 564، 2/ 53، 213، 6/ 27، 9/ 115، 20/ 40، 125، 27/ 156، 163؛ ● ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، نشر، م. فلايشهمر، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، 1959، 82؛ ● ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، حيدر آباد الدكن، 1953، ج2/ ق 1، 10؛ ● أبو محمّد الأنصاري، طبقات المحدثين بأصبهان، تح. عبد الغفور عبد الحق البلوشي، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1992، 1/ 315 ـ 319؛ ● عبد الكريم القزويني، التدوين في أخبار قزوين، تح. عبد العزيز العطاردي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987، 100-102؛ ● أبو نعيم، حلية الأولياء، ط4، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988، 310؛ ● الشيرازي، طبقات الفقهاء، تح. خليل الميس، بيروت، دار القلم 82؛ ● ابن الجوزي، صفوة الصفوة، تح. محمود فاهوري ومحمّد رواس قلعجي، بيروت، دار المعرفة، 1979، 3/ 77 ـ 85؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1968، 2/ 371 ـ 374؛ ● الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت، دار إحياء التراث العربي عن طبعة حيدر آباد الدكن، 1955 ـ 1958، 1/ 76 ـ 77؛ ● الذهبي، معرفة القراء الكبار، تح. بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1404هـ، 4/ 68 ـ 69؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرناؤوط ومحمّد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413 هـ، 4/ 321 ـ 343؛ ● ابن حجر، تهذيب التهذيب، بيروت دار صادر عن طبعة حيدر آباد الدكن، 1326هـ، 4 ـ 11 ـ 14؛ ● ابن الجزري، غاية النهاية، نشر، ج. برجستراستر، مصر، مكتبة الخانجي، 1933، 1/ 305؛ ● الزركلي، الأعلام، القاهرة، مطبعة كونستانوماس، 1955، ط2، 3/ 145؛ ● سزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، السعودي، 1983م، 2/ 69 ـ 70.

د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل ـ العراق

ابن جبيرول، أبو سليمان أيّوب بن يحيى

(413هـ/ 1022م أو 420هـ/ 1029م ـ 450هـ/ 1058م)

شاعر وفيلسوف يهودي أندلسي، عرف عند العرب بأبي سليمان أيّوب بن يحيى بن جُبَيْر، ودعاه اليهود سلُمون بن گبرول، واشتهر عند اللاّتين في العصر الوسيط بـ Avicebron. ولم تتّفق الآراء حول تاريخ ولادته ووفاته، ففي حين يرى مونك Munk، بعد محاولة منه لتحقيق تاريخه، أنّه ولد سنة 1025م وعمّر ما يكفي ليكون له من التآليف أعمقها وأنضجها. يرى كوطمان Guttmann أنّه ولد 1026م وتوفّي 1050م أو 1070م !. ويؤرخ له فايدا Vajda بحوالي 1021 ـ 1050م، وشيرمان Schirmann بـ 1021 ـ 1022م/ 1054 ـ 1058م. وأقرب الناس إلى زمانه من بني جلدته، هو موسى بن عزرا الذي ولد بين 1055م و1060م، يقول بأنه مات في سنّ مبكّرة في صدر المائة الثامنة، والمقصود هنا بالمائة الثامنة من التقويم العبري، أي في بداية العقود الأولى من أربعة آلاف وسبعمائة، أي أربعة آلاف وسبعمائة وكثير من السنين. غير أنّ هذا التاريخ يقع بحوالي قرن قبل التاريخ المفروض لوفاة ابن جبيرول، ولا يفهم هذا الوهم من موسى ابن عزرا إلّا بالاستعانة بما ذكره صاعد الأندلسي (420هـ/ 1029م ـ 462هـ/ 1070م)، وكان يعرف ابن جبيرول حقّ المعرفة، كما كان كتابه طبقات الأمم بين يدي ابن عزرا، يقول صاعد: «احتضر (اختضر)، (أي توفّي في سنّ الشباب)، وقد أربى على الثلاثين، قريبا من سنة خمسين وأربعمائة (للهجرة)»، وهذه السنة توافق في التقويم الميلادي 1058م، وفي التقويم العبري 4818 فيكون المراد من قول المائة الثامنة عند ابن عزرا، أربعة آلاف وثمانمائة وكثير من السنين، أي المائة التاسعة (وأربعة آلاف) من التقويم العبري، جرّه إلى ذلك الوهم وقوع ميلاد ابن جبيرول في سنوات ما بعد الثمانمائة. وهكذا يكون مولده، بتخريج ما جاء عند صاعد الأندلسي، وهو معتمد ابن عزرا، في حوالي سنة 4789 عبريّة، و420 هجرية، و1029 ميلاديّة، ووفاته حوالي 4818 عبرية، و450 هجرية، و1058 ميلاديّة. ويمتنع بوجود مدائح مدح بها ابن جبيرول أحد المحسنين إليه، وهو يقوتيئل ابن إسحق بن حسن الذي خدم بني تُجَيْب، ثم سجن وقتل عام 1039م، قبولُ تاريخ الميلاد هذا. إذ لا يتصوّر أن يحسن طفل ابن عشر سنوات، قول الشعر على الطريقة التي مدح بها الشاعر ممدوحه المشار إليه في قصائد متعدّدة، وعليه يبقى أمر البحث في تاريخ ولادته على الأقلّ، قائما إلى أن يظهر ما يجلي أمره.

عرفت الأندلس مراكز ثقافية يهودية عديدة مثل طليطلة واللسانة وسرقسطة، وهذه الأخيرة شهدت ازدهارا وثروة أكثر من أي مدينة أخرى أندلسيّة، وسكنها عدد كبيرمن اليهود

أكثرهم من التجار وأقلّهم من المزارعين، وبين هؤلاء وأولئك فئة لا يستهان بها من رجال العلم من أطبّاء وأدباء وفلاسفة.

ولد ابن جبيرول بمالقة وعاش وتعلّم في سرقسطة، وقضى ردحا من الزمان. نقل ابن عزرا، أنّ أسرته قرطبيّة غادرت هذه المدينة مع من غادرها من اليهود أيّام الفتنة الكبرى ما بعد 1013م.

وشعر ابن جبيرول هو المصدر الأساس لما عرف من قليل عن حياته، فمنه عرف أنه فقد أباه وهو بعد صغير السنّ، ومنه عرف أنه كان قميء الخلقة، وأنّه أصيب بمرض جلدي عاني منه، فاعتزل الناس وأصيب بالأرق، وزاده حدّة في الطبع، ممّا جعل ابن عزرا يقول فيه: «ولقد كان لنفسه الغضبية على عقله سلطان لا يملك، وشيطان لا يمسك، هوّن عليه سبّ العظماء، فأوسعهم سبّاً وأقرعهم ذمّا. . .» [المحاضرة والمذاكرة، ص 70].

لم يعرف لابن جبيرول أساتيذ أو شيوخ. ومن الأكيد أنّ شيوخه كانوا أحبار اليهود وعلماء المسلمين بسرقسطة، لأنّ ضلوعه في علوم التوراة وبُعد باعه في فنّ القول العبري، واطّلاعه على دقيق اللغة العبريّة، كلّها دلائل تدلّ على أنّه نهل معارفه اليهودية من معين مشايخ أعلام. كما أنّ ثقافته العربيّة المتينة، وخصوصا معرفته العميقة بالفكر الفلسفي، والأفلاطوني منه بوجه، تدلّ على أنّه تتلمذ على أعلام مسلمين، منهم العارف بالعلوم التقليديّة والذي اشتغل بالفلسفة وعلوم الأوائل.

بدأ الكتابة وهو في السادسة عشرة من عمره ولم تتح له حياته القصيرة الوصول إلى سمعة واسعة بين علماء عصره. قال عنه ابن زُهر الطبيب المشهور: «ابن جبيرول غفر الله له رغم انه اصغر الشعراء سنّا فقد تفوّق عليهم جميعًا ليس بالشعر فحسب بل بالآداب الأخرى».

مدح ابن جبيرول مشاهير اليهود أيّامه، مثل يقوتيئل بن حسن الذي خدم بني تُجَيْب، وشموئل النكيد الذي وزر لآل حبوس، وحي بن شريرا كؤون وغيرهم. وكانت له صلات مع كبار متأدّبة اليهود، مثل إسحق بن خلفون، وإسحق قبرون. برع أبو سليمان في فنّ القول، وكان موصوفا بالفصاحة، والجودة، والبلاغة، والتمكّن من ناصية الشعر. وعدّ أوّل من فتح باب البديع للشعراء من اليهود. نظم في فنون الشعر مدحا، وهجاء، وفخرا، وغزلا، وتزهدا، واعتذارا. وكان إضافة إلى ذلك متحقّقا في الشعرية الموسويّة «مطبوعا على سننها»، له نظر في التوراة واللغة العبرية. واشتهر في وقته عند اليهود بعلم الأوائل، حتّى أنّ يهود سرقسطة أخذوا عليه ذلك. واشتهر عند المسلمين، أو على الأقلّ عند من اهتمّ منهم بهذه العلوم، باشتغاله بعلم المنطق، فصاعد الأندلسي يقول فيه: «. . . كان مولعا بصناعة المنطق، لطيف الذهن حسن النظر. . .» [الطبقات، ص 205]. ثمّ اشتهر عند اللاتين فيما بعد بمذهبه الأفلاطوني الذي عكسه كتابه ينبوع الحياة.

فابن جبيرول إذن كان معروفا لدى أصحاب التراجم العرب بصناعته المنطقيّة، ولدى متأدّبة اليهود بعلوّ شأنه في بديع الكلام وطبعه العلمي والفلسفي، فهو شاعر جمع بين

ضروب الشعر الدنيويّة ومنظوم القول الديني الذي صار جزءا من مرتولات البِيّع في طقوس اليهود السفرديم (الأندلسيين). وفيلسوف «علماني» ميتافيزيقي، لا أثر لعقيدته الدينيّة في تفكيره الفلسفي. وكان لهذه الخاصّية أثران في تاريخ الفلسفة اليهودية الوسطويّة، إذ عُدّ ابن جبيرول لدى اللاتين فيلسوفا عربيّا، وعدّه البعض منهم مسيحيّا. وصار اسمه، بصفته فيلسوفا، نسيا منسيّا في تاريخ الفلسفة اليهوديّة. وظلّ معروفا لدى بني جلدته ببعض نظراته الفلسفيّة التي انعكست ظلالها في تفسيره المجازي التوراتي وبشعره الديني، وخصوصا التاج الملوكي وكتابه إصلاح الأخلاق.

وابن جبيرول، كما يتّضح من هذه الحال التي أشرنا إليها، لم يجد أيّة غضاضة في الجمع بين معارفه الفلسفيّة دون أن تؤثّر إحداهما في الأخرى. وهذا الفصل المحكم بين العالمين هو الذي جعل مفكّري اللّاتين يعدّون Avicebron شخصا آخر غير ابن جبيرول، فظلّ هذا الاعتقاد شائعا إلى أن صحّحه Munk، بعد أن عثر أثناء إعداده فهرست المخطوطات العبريّة المحفوظة في المكتبة الوطنيّة بباريس، على نصّ فلسفي هو في الحقيقة ترجمة عبريّة مختصرة لكتاب ينبوع الحياة (الأصل)، الذي كان قد أنجزه شم طوب بن فلقرا.

لا شك أنّ أشهر كتب ابن جبيرول، هو ينبوع الحياة لما كان له من أثر في مفكّري اللاتين وقد كتبه باللغة العربية في شكل حوار بين شيخ وتلميذه، وموضوعه الأساسي هو المادّة والصورة، حيث ارتكز على فكرة أنّ هناك مادّة كلّية وصورة كلّية، وهما معا تقعان على كلّ الأشياء باستثناء الذات العليا، إذ الروح والجواهر البسيطة نفسها تكون موضوعا لها. والكتاب خمس مقالات، تتضمّن الأولى ملاحظات أوّليّة على ما يجب أن يفهم من المادّة والصورة عامّة، حيث تحدّث المؤلّف عن أنواع متعدّدة من المادّة والصورة، وعن المادّة والصورة الكلّيتين. وخصّصت المقالة الثانية للمادّة التي تشكّل في صور جسميّة تجري عليها جميع المقالات، وتناولت المقالة الثالثة الجوهر البسيط الذي هو وسط بين العقل الفاعل الأوّل أي الله وعالم الأجسام، واستدلّ في المقالة الرابعة على أنّ الجواهر البسيطة مركّبة من مادّة وصورة. وعرض في الخامسة للمادّة الكلّية والصورة الكلّية في مفهومها العام وجريانهما على الجواهر البسيطة والمركّبة.

وختم الكتاب بحديث خُصّ للإرادة التي هي الأقنوم الأوّل الإلهي الذي يحيط بكلّ موجود، سواء كان جوهرا بسيطا أو مركّبا، لأنّه المنبع الذي تصدُر عنه جميع الصور. فمنطلق الكتاب يبدأ بالهدف الأسمى الذي يسعى إليه الإنسان، ذاك هو:

أ ـ سموّ المعرفة التي هي هدف الإنسان في نفسه ووجوده؛ ب ـ أنّ العلم بالنفس، أي معرفة الإنسان نفسه، هي الطريق إلى معرفة الله والعالم، إذ الإنسان عالم صغير يكوّنه ما يكوّن العالم الكبير.

وتتمثّل المعرفة في أشياء ثلاثة هي: المادّة والصورة، الجوهر الأوّل، أي الله، والإرادة التي هي وسط بين الطرفين. ووجود هذه الثلاث نابع من مبدأ أنّه لا يوجد معلول بدون

علّة وواسط بين الاثنين. فالعلّة هي الجوهر الأوّل، والمعلول هو المادّة والصورة، والإرادة هي الواسط. وعليه فالمادّة والصورة هما جسم الإنسان وصورته، أي تركيب أعضائه. والإرادة هي النفس. والجوهر الأوّل هو العقل.

وهذه الثلاثة: الله أو الجوهر الأوّل، والإرادة، والمادّة والصورة، هي لحمة الكتاب وسداه.

وإذا كان الإنسان قادرا على إدراك هذه الثلاثة، فما ذلك إلّا لأنّه يجد في ذاته ما يقابلها، فعقله يقابل الجوهر الأوّل، ونفسه تقابل الإرادة، ومادّته وصورته تقابلان المادّة والصورة الأوّليّتين.

فإذن معرفة الجوهر الأوّل لا تتمّ إلّا بفعله وآثاره. والكون من فعله وآثاره، وهو من مادّة وصورة فهو إذن في حدود علم الإنسان. والكون كلّه، سواء الروحاني أو المادّي، مركّب من مادّة وصورة، ومنهما دون غيرهما.

والمادّة والصورة وحدة وتعدّد، افتراق والتقاء. فهما أساس كلّ الكائنات، أمّا ما يفرّق بين الكائنات فهو الصورة مادّية أم روحانيّة، أمّا المادّة فهي واحدة وكليّة.

وإذا كانت المادّة هنا واحدة وكليّة، فإن ابن جبيرول يرى رأيا آخر، يقول: «وما يجب عليك أن تتصوّره من هذه الصور الروحانيّة هو أنّها كلّها صورة واحدة، لا فرق بينها في ذاتها، لأنّها جميعا روحانيّة، خالصة. وإذا وقع فيها تمايز، فذلك من جهة مادّتها الحاملة لها، وكلّما كانت (المادّة) قريبة من الكمال، كانت رقيقة، وكانت الصورة المحمولة عليها في غاية البساطة والروحانيّة، والعكس بالعكس. خذ مثلا نور الشمس، فالنور واحد في ذاته، فإذا لاقى هواء نقيّا رقيقا، نفذ منه وكان جليّا، ونشاهد عكس ذلك في هواء عكر غير شفّاف، كذلك الأمر في الصورة».

وقد تنوّعت آراء ابن جبيرول أيضًا في خواص المادّة والصورة، فخواصّ المادّة «موجودة قائمة بذاتها، ذات جوهر واحد حاملة للتنوّع، تضفي ذاتها واسمها على الكلّ، وتسبّب له الوجود».

ويرى ابن جبيرول في مكان ثالث، أنّ المادّة والصورة أمران متلازمان لا يفضل أحدهما الآخر ولا ينفصل عنه.

وإذا كانت المادّة والصورة تصدق على كلّ الكائنات، فإنّ هذه دوما مركّبة. فالكائنات الروحيّة تدعى بسيطة مع أنّها مركّبة، ووصفها بالبساطة إنّما هو بالنسبة لما دونها. أمّا بالنسبة لما فوقها، فهي مركّبة. وعليه، فكلّ المخلوقات تتكوّن من صورة ومادّة كلّيتين، وكلّما ابتعدنا عن الأصل، كان الكائن مركّبا إذا ما قيس بالذي قبله، في حين يكون بسيطا فيما إذا قيس بالذي يليه. وفي ذات الحين، كلّما ابتعدنا عن الأصل الأوّل، فإنّ الأدنى يكون بحال من الأحوال صورة للأعلى. والواقع أنّ العقل، الجوهر الأوّل العاقل، هو نفسه مركّب من مادّة وصورة. وعنه فاضت ثلاثة نفوس: النفس العاقلة، والحيوانية، والنباتيّة. وليست هذه النفوس الثلاثة مجرّد مبادىء كونيّة وحسب، وإنّما هي مركّبات الإنسان التي تتجمّع فيه صورة الخلق كلّه.

فالنفس (النفوس الثلاثة في الحقيقة لا تكون إلّا نفسا واحدة) جادت بصورتها على الكائنات. ولم ينقص هذا الجود وهذا الفيض من قواها شيئا، لأنّها متناهية وقريبة من الإرادة الإلهيّة. وتنفذ النفس الكلّيّة بصفتها صفاء لا متناهيا، إلى العالم كلّه وترويه. وكذا ينفذ العقل الذي هو أكثر صفاء إلى العالم بنوره، نفوذا أكثر قوّة، لأنّ نوره أكثر شفافية ورقّة من النفس. غير أنّ الإرادة، أي القوّة الإلهيّة التي هي مصدر العالم، تنفذ فيه، وتحيطه، وتحرّكه برقّة أكثر ممّا سبق.

وإذا كان أثر الكائنات الحسّيّة معرّضا للنقص، فإنّ أثر الجواهر البسيطة لا يعتريه ذلك. والمادّة الأولى والصورة الأولى، هي الأقرب إلى الإرادة الإلهيّة، في سلّم الفيوضات، ومن تركيبها يتولّد العقل ثمّ الروح (النفس) ومن هذه تتولّد الطبيعة، وهي آخر الجواهر البسيطة التي يتولّد منها الجوهر الجسمي.

والمادّة تعني:

1 ـ المادّة الأولى الكلّيّة البسيطة المجرّدة عن الصورة وهي أسّ عالمَي المعقولات والمحسوسات، وكلّ ما عدا الله.

2 ـ المادّة الكلّيّة الجسميّة التي فاضت عن الطبيعة، وهي أسّ الصور الجسميّة والكميّة، وتتضمّن الأفلاك السماويّة والكائنات الأرضية.

3 ـ مادّة الأفلاك السماويّة المشتركة، وهي غير فانية ولا يجري عليها الكون والفساد.

4 ـ مادّة ما دون الفلك، وتسمّى أيضا المادّة العامّة الطبيعيّة، وهي التي تتكوّن منها العناصر (النار والهواء والماء والأرض) ويجري عليها الكون والفساد.

5 ـ المادّة الخاصّة الطبيعيّة، وهي تتكوّن منها الكائنات المركّبة الماديّة (والمادّة الكلّيّة الجسميّة التي هي الفيصل بين العالم الجسماني والعالم الروحاني).

والإنسان مركّب من مادّة وصورة، وهو بالإضافة إلى ذلك، يعدّ عالما صغيرا يمثّل في بنائه وتركيبه العالم الكبير.

وإذا أمكن أن نصف الخليقة بأسرها، ونتصوّر نظامها، فما ذلك إلّا لأنّ الأسفل وهو الإنسان، هو صورة الأعلى. إنه صورته، لأنّ الأعلى يدبّر الأسفل ويميل نحوه، وكذلك الأمر في الكون، فالجواهر المحيطة التي هي روحانيّة وكلّيّة، هي التي تدبّر، بصفتها مادّة الأسفل، أمره وتضفي عليه الحركة والضوء، وهكذا من مرقى إلى آخر، حتّى الواحد المطلق، العقل.

وما كان للمادّة الجسميّة التي هي أساس المعقولات التسعة، وبداية التأمّل الإنساني، لتكون مصدرا للمعارف الإنسانيّة إلّا بسبب اشتغال النفس بما هو دون. فأصل هذه النفس أسمى من مصدر هذه المادّة، إذ تصدر مباشرة عن العقل، ومع ذلك تبدأ معارفها انطلاقا من الجرم ومقولاته، وذلك بغوصها في المادّة ونسيانها أصلها السماوي. ولذلك عليها أن تتطهّر بالمعارف الحسّيّة، وذلك باعتمادها العلم الذي لم يبق فيها إلّا بالقوّة بسبب مكثها في عالم الدنيا.

ومعرفة الكون، أي المادّة والصورة، هي الطريق المؤدّية إلى المعرفة الحقيقيّة التي هي معرفة الله، أو بالأحرى معرفة إرادة الله

الذي تستحيل معرفته هو نفسه. فالعلم إذًا، ما هو عليه الحال في اللّاهوت الوسطوي، هو الترقّي الروحي، والعلوّ نحو الذات العليا. والعالم السفلي وعالم الأفلاك وعالم الجواهر البسيطة، هي الغاية والوسيلة من المعرفة، لأنّ هذه تحمل آثار الإرادة الإلهيّة.

وما العلائق بين المادّة والصورة عند ابن جبيرول إلّا آثار من آثار الإرادة الإلهيّة. ولذلك فإنّ الكون ما هو إلّا كتاب مفتوح نقرأ فيه الآثار الإلهية إذا استطعنا إلى ذلك سبيلا.

والعلم بالإرادة الإلهية علمان: علم أسمى، وهو العلم بالإرادة في حدّ ذاتها، عندما تكون مجرّدة من المادّة والصورة، وتكون إلهيّة خالصة، وعلم بتمثّل في المادّة والصورة، أي معرفة العالم المادّي والروحيّ الذي يتجلّى فيه فعل الإرادة، ولا تتمّ المعرفة الثانية إلّا بالمعرفة الأولى ضرورة.

إنّ هدف هذا الدرس الطويل ومبلغ مناه بعد الزهد القاسي، هو رجوع النفس إلى مصدرها، مصدر الحياة. إنه التعلّق بالحياة الخالدة، واليقين من اجتياز دائرة الموت، لأنّ الموت والحياة لا يليقان إلّا بما هو مادّي، وعندما تبلغ النفس عالم العقل الصافي، بتعلّقها بالإرادة التي هي أسمى من كلّ مادّة، ومن الصورة الروحانيّة، فإنّها تترك ظهريا كلّ ما له علاقة بالموت والحياة، فتبلغ مصدر الحياة الحقّ. وغاية الدنيا الخلوص إلى الله، والتجرّد منها هي نفسها. ويتمّ ذلك بشغل النفس بالمعقولات والابتعاد عن المحسوسات.

يتجلّى لنا من هذا التحليل، الأثر البالغ الذي أحدثته الأفلاطونيّة المحدثة في فكر ابن جبيرول، فجرّدته من خصوصيّته الدينية، وجعلته بحقّ يمثّل نقلة هذه المدرسة التي اشتدّ عودها في القيروان لبعطي فاكهة ناضجة في أرض الأندلس.

على الرغم من أهمّية هذا الكتاب، فإنّ أثر ابن جبيرول كان محدودا في بني جلدته، لأنّه لم يتعرّض لأهمّ موضوع كان يشغلهم، وهو علاقة الدين بالفلسفة. فباستثناء موسى بن عزرا، ويوسف بن صديق، وأبراهام بن عزرا الذي لم يذكره بالاسم، فإنّ مفكّري اليهود الوسطويّين لم يأبهوا به كثيرا. ولم ينل «مختصر ينبوع الحياة» الذي أولاه ابن فلفرا كبير عناية، وحتّى على فرض أنّ هؤلاء الفلاسفة كانوا يعرفونه، فإنّهم ولا شكّ تأثّروا برأي ابن ميمون وبعض من سار على نهجه الذين اعتبروا ابن جبيرول مفكّرا خصّ كتابه لغير اليهود، وإنّ الموضوع الذي تناوله لا يحتاج إلى ذلك الجهد، وأنّ كتابه افتقد المنهج العلمي ولم يحسن استعمال المنطق الذي اعتمده.

فإلى أيّ حدّ يصدق هذا النقد على كتاب يعتبره Vajda مشروعا غير كامل [Introduction, p. 76] لم يعدم التأثير في القبليين (المتصوّفة من اليهود) من أهل الأندلس؟. كيفما كان الحال فإنّ الكتاب في حلّته اللّاتينيّة كان له صداه لدى المفكّرين اللّاتين. وقد خصّ هذا الجانب ببحث دقيق في كتابه «Mélanges» الصفحات 261 ـ 306.

آثاره

1 ـ ينبوع حياة، كُتِبَ باللغة العربية وترجمه غُنْدِ سَلْبه، ويوحنا الأسباني إلى اللاتينية وأحدث تأثيرًا عظيمًا على اليهود والنصارى على السواء. فُقِدَ النصّ العربي وتحوّل إلى

ملخّص باللغة العبريّة وبقي النص اللاتيني مطروحًا ومنسيًا لا يُعرف صاحبه حتّى كشفه مُنْك سنة 1847م فقابل النص العبري الذي وضعه سَامْ طُوب بن فلفيرا وقابله بالنص اللاتيني فثبتت نسبة الكتاب إلى ابن جبيريل، عثر على نتف من الأصل العربي نشرها س. بينس S. Pines، وقد ترجم قسم منه إلى الفرنسية، Vrin Pano 1950؛ 2 ـ التاج الملوكي، وهو نظم تضمّن أربعمائة بيت شعري في تسبيح الله والنظر في مخلوقاته. وتأثير علوم العصر في هذا النظم كبير، إذ يعتقد ابن جبيرول أنّ للأفلاك تأثيرا في مصائر الناس، وأنّ الروح التي هي مزج بين النار والعقل الفعّال تهبط من السماء لتتلبّس الجسم الأرضي الذي خصّ بها. وبواسطة هذه الروح يصير الشاعر قادرا على بلوغ العالم العلوي. وفي هذا النظم كثير من آراء كتابه ينبوع الحياة. وأصبحت مقطوعات من هذا الشعر فيما بعد، جزءا من مرتولات البِيَع والصلوات اليهودية.

ترجم التاج الملوكي إلى لغات كثيرة منها الفرنسية والإسبانيّة والألمانيّة، وأقدم طبعات النصّ العبري تعود إلى 1618م وكانت بروما، ونشره شرمان في كتابه الشعر العبري في الأندلس والبروفانس، ج 1، ص 157، 257 ـ 285، نشرة نقدية جيّدة؛ 3 ـ إصلاح الأخلاق، إذا كانت آثار ابن جبيرول الشعريّة الباقية تؤكّد قوّته في فنّ النظم، وهو الذي اشتهر به بين بني جلدته، فإنّ مؤلّفه الصغير، إصلاح الأخلاق، يبيّن قدرته على تبسيط آرائه الفلسفيّة لتكون أسهل رواجا بين عامّة اليهود. وقد كتب الكتاب أصلا باللغة العربية سنة 1045م، وترجمه إلى اللغة العبريّة يهودا بن تبون ترجمة نشرت أوّل مرّة سنة 1562م بـ Riva Di Trento في إيطاليا. تضمّن الكتاب كثيرا من المقتبسات التوراتيّة وأقوال القدماء وأشعار العرب. ورام من تأليفه تهذيب الأخلاق، متأثرا في ذلك بهذا النوع من الكتابات العربيّة التي كانت أمام عينيه عندما كان يضع كتابه؛ 4 ـ مجموع أشعاره؛ 5 ـ نَظْم في النحو واللغة، ضاع ولم تصل منه إلّا مقدّمته.

المصادر والمراجع

- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح. حيلة العيد بوعلوان، بيروت 1985م؛
- موسى بن عزرا، المحاضرة والمذاكرة، بحروف عبريّة وترجمة عبريّة، تح. وترجمة أ. هلفين، القدس 1974م؛
- حاييم شرمان، الشعر العبري في الأندلس والبرفانس، بالعبريّة، القدس، تلّ أبيب 1954 م، ج 1، القسم الأوّل، ص 176 ـ 285؛ • إسحق يوليوس كوطمان، الفلسفة اليهودية، باللغة العبريّة، ألّف الكتاب أصلا بالألمانيّة، موسد بياليك، القدس 1951، ص 87 ـ 100 ـ 381؛ • موسوعة الأعلام البارزين من اليهود، باللغة العبرية، إشراف مردخاي مركليوت، نشر يفنه، تل أبيب 1986، ج 4، مود 1274 ـ 1278.

- F. Brunner, Platonisme et Aristotélisme: La critique d'Ibn Gabirol par St. Thomas d'Aquin, Louvain, 1965; • Encyclopaedia judaica, Jérusalem, 1971, ar. Salomon Ibn

Gabirol; • S. Munk, Mélanges de philosopie juive et arabe, Paris 1955, pp 151-305; • J. Schirmann, Salomon Ibn Gabirol, Sa vie et son oeuvre poétique, Revue des études juives, CXXXI, 1972, pp 323-350; • J.Shlanger, La philosophie de Salomon Ibn Gabirol, Leyden 1968; • C.Sirat, Philosophie juive au Moyen-Age, Paris, C.N.R.S., pp 88-104; • G. Vajda, Introduction à la pensée juive du Moyen-Age, Paris, Vrin 1947, pp.75-83; • Nagy (Albino), Un nuovo codice del "fons vitae" di Ibn Gabirol, Rendiconti dell'accademia dei Lincei, V/5, Roma 1896, p. 154-170; • Chouraqi André, «La couronne du Royaume» de Salomon Ibn Gabirol, in Revue Thomiste, Vol. 3, 1952, p 403 - 442; • Cantarino Vicente, «Ibn Gabirol's metaphysics of light», in Studia Islamica, Vol.26, 1967, p.49-71; • Cano Maria José, Algunos efectos estilicos usados por Ibn Gabirol en su poesia baquica, in Miscelanea de Estudios arabes y Hebraicos, vol. 29, nº2, 1980, p. 31-46; • Saenz-Badillos (Angel), El Anaq, Poema linguistica de shêlomoh Ibn Gibrol, in Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicos, Vol.29, Nº2, 1980, p 5-30.

د. أحمد شحلان
جامعة محمد الخامس ـ الرباط المغرب
سيمون الحائك
الجامعة اللبنانية ـ لبنان

جخاف، لطف الله بن أحمد بن لطف الله

(1189هـ/1775م ـ 1243هـ/1827م)

هو لطف الله بن أحمد بن لطف الله بن أحمد جحاف الصنعاني، ولد في منتصف شعبان سنة 1189هـ/ 1775م في مدينة صنعاء باليمن. أما حياته العلمية، فقد برع لطف الله في علوم كثيرة أهمها النحو، والصرف، والمنطق، والمعاني، والبيان، والأصول، والحديث، حتى صار من أعيان علماء عصره وهو في سن الشباب، ودرس في فنون شتّى، وصنف رسائل أفرد فيها مسائل، ونظّم الشعر الحسن وغالبه في أعلى طبقات البلاغة، وباحث كثيرًا من علماء عصره بمباحث مفيدة يكتب فيها ما ظهر له، ثم يعرضها على مشايخه أو بعضهم ويعترض ما فيه اعتراض من الأجوبة، وقد كتب كثيرًا من ذلك إلى شيخه الشوكاني الذي قال: «فقد كتب إلي من ذلك بكثير بحيث لو جمع هو

مما أكتبه عليه من الجوابات لكان مجلدًا، ولعل غالب ذلك محفوظ لديه وعندي منه القليل».

لقد أخذ لطف اللّه جحاف علومه من عدد من علماء عصره، فكان أبرزهم: الشيخ العلامة علي بن إبراهيم بن عامر، والشيخ علي بن عبد اللّه الجلال، والشيخ العلامة القاسم بن يحيى الخولاني، والعلامة إبراهيم بن عبد القادر، والشيخ محمد بن علي الشوكاني، وغيرهم كثير من أعيان علماء عصره.

أما صفاته فقد تميّز بمزايا قلّما تتوفر في غيره، فكان قوي الإدراك، جيّد الفهم، حسن الحفظ، مليح العبارة، فصيح اللفظ، بليغ النظم والنثر، ينظم القصيدة الطويلة في أسرع وقت بلا تعب، ويكتب النثر الحسن والسجع الفائق بلا تروٍّ ولا تفكر وهو طويل النفس ممتع الحديث، كثير المحفوظات الأدبية لا يتلعثم ولا يتردد فيما يسرده من القصص الحسان ولا ينقطع كلامه بل يخرج من الشيء إلى ما يشبهه ثم كذلك حتّى ينقضي المجلس وإن طال، وكانت له ملكة في المباحث الدقيقة مع سعة صدر إذا رام من يباحثه أن يقطعه في بحث لم ينقطع بل يخرج من فن إلى فن، وإذا لاح له الصواب انقاد له بحيث لا يكاد يحقد على من أغضبه ولا يتأثر لما يتأثر به غيره.

لقد قال عنه شيخه الشوكاني: «وهو الآن من محاسن العصر وله إقبال على الطاعة وتلاوة القرآن بصوته المطرب وفيه محبة للحق لا يبالي بما كان دليله ضعيفًا وإن قال به من قال وتقيد بالدليل الصحيح وإن خالفه من خالف، وهو الآن يقرأ عليّ في صحيح البخاري وفي شرحي للمنتقى وقد سمع مني غير هذا من مؤلفاتي وغيرها».

نشأ لطف اللّه بن أحمد جحاف في بيئة محافظة، فكان والده من أهل الخير والصلاح والدين المتين في زمانه، وقد عرف بالاشتغال بالعبادة والإقبال على العمل بالأدلة مع اطلاعه على التاريخ والأشعار، فكان يتصف بحسن محاضرته، وعرف بفصاحة لسانه وحسن فهمه وعقله وحفظه الكثير من الأحاديث، وكان يلازم مجالس العلم، درس أيضًا على يد الشوكاني صحيح البخاري وغيره.

أما حياته السياسية فبسبب ما كان يتمتع به لطف اللّه بن أحمد جحاف من صفات، فقد اختص بالوزير العلامة الحسن بن علي حنش، وصار لديه بمنزلة ولده لا يفارقه في أغلب الأوقات، وتستمر المباحثة بينهما، وإذا طال الخلاف كانا يشركان معهما الشيخ الشوكاني في البحث. فيرسلان إليه بما يحصل بينهما، فيجيب الشوكاني على ذلك.

ولم يكن في طلبة عصره من كان مثله في الرغبة في المذاكرة على الاستمرار، ولكنه يؤسف له بإجماع معاصريه تحوّل إلى النقيض بعد أن توسعت علاقته مع أصحاب السلطة والجاه وخاصة السلطان المتوكل على اللّه اليمني.

وقد أشار بعض معاصريه، ومنهم شيخه الشوكاني أن لطف اللّه أحمد جحاف بعد أن اتصل بالسلطان أحمد بن المنصور المتوكل على اللّه تغيرت أحواله وأصبح يستخدم قلمه

وعقله لخدمتهم والتجسس على الناس لصالحهم، وكان من جملة من أوشى بهم الوزير ابن حنش الذي عمل لديه لطف الله من قبل، كما اتهم الرجل بالوثوب على الوصايا والأوقاف، وكان يأخذ الكثير منها لنفسه، بالإضافة إلى إسناد السلطة فيما هو محرم عند الله تعالى، ولذلك وصف بأن نور العلم قد انمحى منه أواخر أيامه ولم يبق عليه شيء من هيبته، وقد وصفه الشوكاني بقوله: «كان الرجل يكثر الثناء على الحجاج بن يوسف الثقفي الذي اشتهر بالظلم... وقد انسلخ عمّا كان فيه بالمرة وتخلق بأخلاق يتحاشى عن التخلق بها أهل الجهل والسفه والوقاحة، وما ذكرت ههنا إلّا حقّا، كما أني ما ذكرت في أول الترجمة إلّا حقًّا، ولكن اختلفت الأحوال فاختلف المقال...»، وهكذا انتهت حياة الرجل العلمية من خدمة الحق والعلم وأهله إلى خدمة السلطة ونفسه ومصالحهما فسقط من عين التاريخ والدين والناس!!

ومن نماذج شعره نشير إلى بعض أبيات القصيدة الطويلة التي كتبها الشيخ جحاف إلى أستاذه محمد بن علي الشوكاني جاء في بعضها:

إلى منتهى السؤْل الذي بحياته
يقوم على ساق المفاضلة والجد

إلى حيثما قام الفخَار وحيثُما
استقام العلا حيث انتهى حيثما يبدو

إلى حيثما النقْع استدار وحيثما
البواترُ حيث اشتدت الضُمر الجرد

إلى حيثما خطَّ العلا في صحايف
المحاسن آثارا بها يزدهي العبد

إلى منتهى أمنية حيث تبتدي المنايا
التي أن قام ذو غيلة تعدو

لقد ذكر شيخه الشوكاني بأن من سهولة النظم عليه لما سأله عن مولده كتب إليه من الشعر بيتا مشتملا على تاريخ السنة مع ذكر الشهر وذكر اسمه.

ومن نماذج نثره قوله فيما امتدح فيه الوزير حسن بن علي حنش، قائلا:
«الحمد لله لرفع القلم إلى مسامع عاقد ألوية الهمم، سلطان علماء الإسلام من العرب والعجم، كعبة الفضل المرتفعة المقام، حافظ العصر بالأطباق من أهل الحل والإبرام... المرتدي برد التبجيل وشملة محاسن الشمائل، ريحانة فضلاء اليمن سلوة المتحلى بعقد الفرائض والسنن، سلاما يعبق بطيبه نسمة الصبا ويعيد لفظه إلى الأجسام نشاط من الصبا».

وقد بقي الرجل لطف الله في مناصرة سلاطين اليمن ووزارئهم المتوكل على الله وابنه المهدي حتّى توفي في عام 1243هـ/ 1827م ودفن بمدينة صنعاء.

المصادر والمراجع

• الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار؛ • الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع؛ • الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم، بيروت 1969.

د. دريد عبد القادر نوري
جامعة الموصل ـ العراق

جحظة البرمكي، أبو الحسن أحمد بن جعفر

(224هـ/839م - 324هـ/936م)

هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد البرمكي، لقّبه عبد الله بن المعتز (جحظة) لنتوء في عينيه. ولقّبه الخليفة المعتمد أيضا (خنياكر)، وهي كلمة فارسية معناها: المغني شاعر، كاتب، أديب، مغنّ.

ولد على أرجح الأقوال سنة (224هـ/839م)، إلا أنّ المصادر لم تشر إلى مكان ولادته، ولعل في سكوت هذه المصادر عن تحديد مكان ولادته ما يشير إلى التسليم أنه ولد في بغداد حيث أقام البرامكة الذين ينتمي إليهم، ويؤيد ذلك ما جاء في شعره من تشوّق إلى الأماكن التي عاش فيها أيام صباه في بغداد، من ذلك قوله:

سقى الله أيّامي برحبةِ هاشم
إلى دارِ شَرشير وإن قدُم العهدُ
فقصْر ابن حمدون إلى الشارع الذي
غنينا به والعيشُ مقتبل رغْدُ

وقد ورد في شعره أيضا ذكر لأماكن أخرى في بغداد.

والظاهر أن جحظة لم يتزوج، وعاش في مقتبل حياته في أسرة فقيرة لم تخلّف له شيئا سوى الفقر، ولم يكن لها ذكر بين الناس، ولم يكن راضيا عن ذلك، وفي شعره ما يشير إلى تبرّمه بهذا الإرث السيّء.

على أن له عمًّا كان نائبا لوالي السند قُتل في عهد الواثق بالله؛ وهو عمران بن موسى. كما كان له أخ مغنّ يدعى سليمان؛ إلا أنه لم تكن له شهرة أخيه جحظة.

وإن العصر الذي نشأ فيه جحظة شهد نشاطا حضاريا متميزا لم يكن جحظة بعيدا عنه، وإذا سكتت المصادر عن الإشارة إلى من أخذ عنهم؛ فإننا نستطيع أن نذكر عددا منهم؛ أمثال: ميمون بن إسحاق، وأبي العيناء محمد بن القاسم، وأبي هفان، وخالد الكاتب، وثعلب، ومحمد بن أحمد بن يحيى المكي، وعلي بن يحيى المنجم، وغيرهم.

ولقي عددا من شعراء عصره وأدبائه ومغنيه، منهم: البحتري، وابن الرومي، وابن المعتز، وإبراهيم بن المدبر، وأحمد بن يحيى ثعلب، وابن دريد، وعمرو بن بانه، وعثعث الأسود، وعريب، وشارية، وفريدة.

وروى عنه عدد من العلماء والرواة منهم: أبو الفرج الأصفهاني، وأبو عمرو بن حيويه، والمعافى بن زكريا، والصولي، وعبد الله بن محمد المعروف بابن السقاء، والحسين بن محمد الكاتب، وغيرهم.

كان جحظة شيعي الهوى، نديما، حسن المجالسة، أديبا، شاعرا جيدا، مغنيا بارعا في الغناء والألحان، راويا للأخبار، له فنون ونوادر، ودراية بصناعة النجوم، وفيه ظرف

ورقة طبع. ولكن كان يؤخذ عليه وساخته، وضعف عقيدته، ودناءة نفسه، إضافة إلى قبح منظره.

والناظر في شعر جحظة يجد أنه طرق معظم أغراض الشعر، ففيه:

- **الخمريات**: ولها الصدارة بين أغراض شعره. وهذا الأمر ليس غريبا لأنه يتفق وسيرة حياته. فهو مغن ونديم، ويبدو أن جحظة كان يحاول مجاراة أبي نواس في خمرياته أو التفوّق عليه، ويستطيع المرء أن يلحظ ذلك من خلال أخباره.

- **الهجاء**: لم يعرف عن جحظة الطبع الشرير، ولذلك غلب على هجائه تناوله لجماعات غير محددة؛ فهجا البخلاء، والمتنكرين له، وذكر أناسا بأعيانهم أساؤوا إليه، إضافة إلى هجائه والديه.

وقد مال في هجائه إلى السخرية والبذاء والإفحاش.

- **الشكوى**: ويقترن هذا الموضوع عنده غالبا بالهجاء؛ وكأنه ضرب من الهجاء غير المباشر.

- **المدح**: ما وصل إلينا من مدح في شعره لا يدل على أنه كان يريق ماء وجهه كسبا للمال، وإنما يشكر صنيع من أحسنوا إليه وأخلصوا له.

- **الغزل**: في غزله ما يدل على عاطفة مشبوبة وألم وحرقة، وإن لم يصرح باسم من يتغزل بها.

- **الحكمة**: صدرت عن جحظة أبيات فيها خلاصة تجربته ومعاناته في الحياة، ولا سيما أنه عاش قرنا من الزمن، وهذه الحياة المديدة أكسبته خبرة كبيرة وأعانته على التفكّر واستخلاص العبر.

- **العتاب**: له بعض القطع التي عاتب فيها أصدقاءه على تنكرهم له وتقصيرهم معه، كعتابه لأبي الفرج الأصفهاني، والوزير ابن مقلة.

- **الرثاء**: في ديوانه قطعتان رثى في الأولى ابن دريد مؤلف «جمهرة اللغة»، وفي الثانية حمدون النديم.

- **الفخر**: وله فخر أقرب إلى الندرة، فقد فخر - فيما وصل إلينا - مرتين: الأولى بالبرامكة، والثانية بنفسه وحبه لآل البيت.

توفي جحظة في «جيل» من قرى بغداد سنة (324هـ/ 936م) على أرجح الأقوال، وقيل: (326هـ/ 938م)، فعاش بذلك قرنا كاملا.

آثاره

صنف جحظة عددا من الكتب، إلا أن شيئا منها لم يصل إلينا. ومما ذكره القدماء من كتبه:

1 - كتاب الطبيخ؛ 2 - كتاب الطنبوريين؛ 3 - كتاب فضائل السكباج؛ 4 - ما شاهده من أمر المعتمد؛ 5 - كتاب المشاهدات؛ 6 - كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصحّ من الأحكام؛ 7 - الترنم؛ 8 - إضافة إلى ديوان شعره.

المصادر والمراجع

● الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. مصورة (بلا تاريخ)، 2/ 241، 283؛

● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1398هـ/ 1978م، 1/ 133 ـ 134؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ/ 1983م، 15/ 221؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1404هـ/ 1983م، 11/ 185؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1410هـ/ 1989م، 4/ 127؛ ● السوداني، د. مزهر، جحظة البرمكي الأديب الشاعر، مطبعة النجف، العراق، 1397هـ/ 1977م؛ ● ديوان جحظة البرمكي، جمعه د. سعدي ضناوي، دار صادر، بيروت، 1996.

د. علي أبو زيد
جامعة دمشق ـ سوريا

الجد حفصي، أحمد بن عبد السلام

(ت بعد 1028هـ/1618م)

أحمد بن عبد السلام الجد حفصي البحراني المعني. ينسب إلى قرية «جد حفص» إحدى قرى البحرين العريقة في السياسة والعلم [الماحوزي سليمان، فهرست علماء البحرين، ص 124 ـ 125؛ النويدري سالم، أعلام الثقافة الإسلامية 1/ 422].

وهو فقيه أديب خطيب شاعر، ويصفه يوسف البحراني (ت 1186هـ/ 1772م) بأنه من أجلاء فضلاء البحرين [الكشكول 2/ 252؛ التاجر، محمد علي المنتظم، ترجمة 66] وعدّه بعض المترجمين نادرة عصره في الذكاء وكثرة الفنون والخطابة والإنشاء [الأمين، الأعيان، 2/ 624؛ البلادي، علي، الأنوار، ص122؛ النويدري، أعلام الثقافة، 1/ 423؛ الأمين، محسن، الأعيان، 2/ 624؛ النويدري، سالم، أعلام الثقافة 1/ 423].

لا يعرف تاريخ مولده أو وفاته لكن يمكن القول إنه من أبناء القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر ميلادي. وكان حياً في عام 1028هـ/ 1618م فله مراسلات مع الشاعر البحراني جعفر الخطي في هذا التاريخ [الأمين، الأعيان، 2/ 625؛ الخطي، جعفر، ديوانه ص 428].

ارتبط بصداقة حميمة بالفقيه البحراني علي بن سليمان القدمي (ت 1064هـ/ 1653م)، وكان يتولى الخطابة له في يوم الجمعة لبلاغته وفصاحته وجمال صوته، وبعد فراغه من الخطبة كان الشيخ القدمي يرقى المنبر، ويخطب خطبة خفيفة احتياطاً للقول باتحاد الإمام والخطيب [الأمين، الأعيان، 2/

624؛ البحراني، الكشكول 2/ 252]. وحين تمزقت أواصر الصداقة بين الرجلين نزح المترجم إلى مدينة شيراز وبقي بها إلى أن قضى نحبه ودفن هناك، [البلادي، الأنوار ص122؛ التاجر، المنتظم، ترجمة 66؛ الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، 5/ 17].

آثاره

له عدة تصانيف، أهمها:

1 ـ رسالة في الاستخارة؛ 2 ـ رسالة في أصول الدين صغيرة أسماها «المباراة»؛ 3 ـ رسالة في علم الفلاحة؛ 4 ـ مجموعة خطب تزيد على مائة خطبة؛ 5 ـ ديوان شعر صغير؛ 6 ـ بعض المسائل كتبها في الرد على أحمد بن زين العابدين [البحراني يوسف، الكشكول، 2/ 250]؛ 7 ـ ينفرد التاجر في المنتظم ترجمة 66 بذكر رسالة رآها وهي في صنعة النجارة ألفها بطلب من أحد الصناعيين وختمها بأبيات منها:

الزمْ قوانينَ الصناعه
واحذرْ تصاريفَ الصناعه
واحفظ عبائتك التي
كلفتها فهي البضاعه
والسرُّ فاجعلْ بينه
روحاً وإياك الإذاعه
واعرف إشارات مضتْ
إن كنتَ من أهل البراعه

[الأمين، الأعيان، 2/ 625؛ الطهراني، طبقات، 5/ 17 ـ 18؛ النويدري، أعلام الثقافة، 1/ 423].

المصادر والمراجع

● الأمين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت 1983، ج2، ص 624 ـ 625 ؛ ● البحراني، يوسف، أنيس المسافر وجليس الخاطر المعروف بـ «الكشكول»، مكتبة نينوى طهران. د ت. ج 2، ص 250 ـ 253؛ ● البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين، مطبعة النعمان، النجف، 1377، ص 122؛ ● التاجر، محمد علي، منتظم الدرين ترجمة 66، نسخة مخطوطة؛ ● الخطي، جعفر بن محمد، ديوانه، تح. ودراسة د. أنيسة أحمد المنصور وجليل العريض، نشر مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002، ص428؛ ● الطهراني، آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، تح. علي نقي منزوي، مؤسسة إسماعيليان، قم، ط 2، د.ت، ج 5، ص17 ـ 18؛ ● م. ن. الذريعة إلى تصنيف الشيعة، ج 7، ص 183، و ج 9، ص 56؛ ● الماحوزي، سليمان، فهرست علماء البحرين، تح. فاضل الزاكي، نشر المحقق، ط 1، 2001، ص 124 ـ 125؛ ● النويدري، سالم، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، مؤسسة المعارف، بيروت، 1992، ط 1، ج1، ص422 ـ 424.

د. جليل منصور العريض
جامعة البحرين

الجد حفصي البحراني، علي بن عبد الله

(ت 1225هـ/1810م)

علي بن عبد الله بن يحيى بن راشد بن علي الحكيم [التاجر، محمد علي، منتظم الدرين، ترجمة 656] ينسب إلى قرية «جد حفص» من قرى البحرين المعرقة في العلم والأدب [النويدري، سالم، أعلام الثقافة، 2/ 479]. وكان عالماً فقيهاً محدّثاً.

ينتمي إلى أسرة علمية برز أبناؤها في العلم والأدب والفقه والصيدلة. وعاصر مرحلة اتسمت بنشاط فكري وثقافي [المنصور، أنيسة، شعر البحرين، ص98 ـ 135].

تتلمذ على يد والده، وعلى علّامة البحرين الكبير الشيخ حسين بن محمد العصفور (ت 1216هـ/ 1801م). [الأميني، عبد الحسين، شهداء الفضيلة، ص317؛ البلادي، علي، أنوار البدرين، ص226؛ التاجر، المنتظم، ترجمة 656؛ النويدري، أعلام الثقافة، 2/ 479].

وعاصر فترة سياسية حرجة، اتسمت بالاضطراب وعدم الاستقرار، فنزح عن موطنه، واستقر في بلدة «مينا» بفارس، وفيها تسنّم مركزاً مرموقاً، وكانت له رئاسة دينية ويبدو أنه استقر هناك وعاش حياة مديدة تقارب المائة عام كما يذكر، وتوفي في 1300هـ/ 1882م [باقر هاشم، غاية المرام، ص 48].

آثاره

1 ـ مختصر كتاب «مصابيح الأنوار اللوامع» لأستاذه الشيخ حسين بن محمد العصفور في مجلدين ضخمين؛ 2 ـ كتاب «حياة القلوب» الكبرى في تمام أبواب الفقه مع الاستدلال ونقل الأقوال. وذكر الطهراني في الذريعة 7/ 122 مكان وجوده؛ 3 ـ كتاب «حياة القلوب» الصغرى واقتصر فيه على نقل الأقوال والإشارة إلى الأدلة. وأشار الطهراني في نفس المصدر إلى مكان وجوده؛ 4 ـ رسالة في طهارة الماء القليل في الانتصار لابن أبي عقيل؛ 5 ـ شرح المفاتيح والموسوم بـ «المصابيح اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع» والكتاب الأصل لأستاذه حسين العصفور في أربعة عشر مجلداً واختصره المترجم في مجلدين؛ 6 ـ رسالة في الحكم الشرعي لقضية زراعية شائكة في المنطقة فيها خلاف كبير بين الفقهاء سميت بـ «الدفين». [البلادي، الأنوار ص226؛ التاجر، المنتظم ترجمة 656؛ الطهراني آغا بزرك، أ ـ الذريعة 7/ 122 و5/ 235، ب ـ الكرام البررة 2/ 785؛ القائيني، علي، معجم مؤلفي الشيعة، ص115؛ النويدري، أعلام الثقافة، 2/ 480].

المصادر والمراجع

• الأميني، عبد الحسين، شهداء الفضيلة، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط2، 1983، ص317؛ • باقر، هاشم

سلمان، غاية المرام في تاريخ الأعلام، ص 48، دراسة مطبوعة على آلة كاتبة غير منشورة؛ ● البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مطبعة النعمان، النجف، 1377هـ، ص26 ـ 227؛ ● التاجر محمد علي، منتظم الدرين، ترجمة 656، نسخة مخطوطة بخط المؤلف؛ ● الطهراني، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط3، 1983، ج7، ص122 و ج15 ص235؛ ● الطهراني، آغا بزرك، الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة، دار المرتضى، مشهد، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ط2، 1404، ج2، ص785 ـ 786؛ ● القائيني، علي الفاضل، معجم مؤلفي الشيعة، مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، ط1، 1405، الجمهورية الإسلامية الإيرانية ص115؛ ● المنصور، أنيسة، شعر البحرين من القرن السابع عشر إلى الثلث الأول من القرن العشرين، أطروحة دكتورا دولة بصدد النشر، ص98 ـ 135؛ ● النويدري، سالم، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 1992، ج2، ص479 ـ 481.

د. أنيسة أحمد خليل المنصور
جامعة البحرين

■ الجد حفصي، البحراني علي بن لطف الله

■ ■ ■

(1099هـ/1687م ـ 1142هـ/1729م)

علي بن لطف الله بن يحيى بن راشد بن علي الجد حفصي، أديب شاعر ينسب إلى قرية «جد حفص» العريقة في العلم والأدب والسياسة.

ينتمي إلى أسرة عرفت بالعلم والأدب والشعر. درس على يد علماء أسرته، وحظي بمكانة أدبية مرموقة بين أدباء البحرين في عصره. قرَّظه من ترجم له؛ وقيل عنه إنه متفرد في فنّه، ذو ذكاء وفطنة وفراسة، وله نوادر وطرائف، وله اليد الطولى في الشعر والإنشاء [البلادي، علي، أنوار البدرين، ص187؛ النويدري، سالم، أعلام الثقافة، 2/ 171]. وعرف بالحكيم لمهارته في تشخيص الداء وتركيب الدواء ومعرفة خصائص الأدوية والأغذية [التاجر، محمد علي، منتظم الدرين، مسودات المخطوط].

عاصر المترجم مرحلة خطرة في حياة البحرين السياسية اتسمت بالاضطراب، وتعدد الهجمات الخارجية على البلاد، فنزح الكثير من أهلها، ولعلّ المترجم منهم، مما أدّى إلى ضياع أخباره وآثاره العلمية والشعرية [المنصور، أنيسة، شعر البحرين، ص544].

ما وصل من شعره قليل، وأهمّه قصيدة ميمية يتحدث فيها عن سفر له طال وامتدّ، وسبّب له معاناة وأرقاً، حتى ألهبت الغربة والبعد عن الأهل مشاعره فحنّ وتشوّق وقال مخاطباً النسيم محمّلاً إياه تحيته وسلامه: [الرمل]

يا نسيم الريحِ إن جئتِ المقاما
فابلغي عنّيَ احبّائي السلاما
بلّغيهم قبل ما أن تحملي
من هدايا الروض شيحاً وخُزامى
بلّغيهم عن محبٍّ شيّقٍ
ساهرٍ لا يألف في ليلٍ مناما

ثم خاطب أحبته:

ذِكرُ أيامِ التصابي ضرَّني
وجفاكُمْ أورثَ القلبَ كِلاما
سادتي لو تعلموا ما قد جَرَى
بي لأجريتُم له الدمعَ سجاما

ووصف ما لقيه من أهوال ومشاق في ذلك السفر:

سفرٌ قد صار من أهوالِهِ
فيه كلُّ المستحبّاتِ حَرَاما
طَالَ حتى ملّتِ الروحُ بهِ
الجسمَ والقلبُ بهِ مَلَّ المقاما
ولقد صلّيتُ نحو الشرقِ والـ
غربِ في السيرِ ولم أخشَ آثاما
فلعمري جازَ من تطويلِهِ
لو بهِ صُمنا وصلّينا تماما

وتحدّث عن الغربة ولوعتها:

غربةٌ قد عرفَ القلبُ بها
ربَّه من بعدِ ما عنه تَعَامى
نلتُ فيه شدّةً لو ألقيتْ
فوق رَضْوَى أصبَحَ الصخرُ رُغاما
يا لذاذاتٍ مَضَتْ قد بُدِّلتْ
بهمومٍ تحرقُ الجسمَ ضراما
آهِ من صرفِ زمانٍ بَزَّني
حلّةَ البشرِ لفرقاكم دواما

وفي إطار تلك المشاعر عوّل على الأماني يعلل بها نفسه ويؤكد على الوفاء:

ليت شعري هل تروني والصفا
كالذي كان وألقاكم على ما
أنا ذاكَ الخلُّ لم أنقص ومن
شدّةِ البعدِ وفاءً وذِماما
بعدكم لم تبقَ لي جارحة
لم تنلْ من بعدِكم قطُّ سقاما

[الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، 1/ 118؛ البلادي، الأنوار، ص118؛ التاجر، منتظم الدرين، مسودات المخطوطة؛ النويدري، أعلام الثقافة، 2/ 172].

وله قصيدة يقال عنها إنها طويلة جداً مطلعها:

صبوتُ وقد زالَ الصِّبا بجنونِهِ
ولم يبقَ إلا ما له من ديونِهِ
فما ذنبُ جسمي أن أجاب ندا الصِّبا
إذا كان قلبي موثقاً من رُهونِهِ

[البلادي، الأنوار، ص187]

آثاره

ينسب إليه رسالة في العطارة. وقد وجّه إليه معاصره الشيخ أحمد بن إبراهيم آل عصفور (ت 1131هـ/ 1718م) أسئلة في الصيدلة، فكتب الرسالة في الردّ عليه وسمّاها «العطارية»، أشار إلى ذلك التاجر في كتابه المذكور، ووهم أكثر المترجمين ونسبوها إلى السائل [الطهراني، الذريعة، 15/ 277؛ طبقات أعلام الشيعة، 6/ 513].

المصادر والمراجع

● الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، ط1، 1989، ج1، ص118 ؛ ● البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، مطبعة النعمان، النجف، 1377، ص187؛ ● التاجر، محمد علي، منتظم الدرين في أعيان القطيف والأحساء والبحرين، المخطوط ومسوداته؛ ● الطهراني، آغا بزرك، أ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط3، 1983، ج15، ص277، ب. طبقات أعلام الشيعة، تح. علي نقي منزوي، نشر جامعة طهران، مصور عن ط1، 1372هـ/ 1952م، ج6، ص513؛ ● المنصور، أنيسة، شعر البحرين من القرن السابع عشر إلى الثلث الأول من القرن العشرين، أطروحة دكتورا دولة بصدد النشر ص544؛ ● النويدري، سالم، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 1992، ج2، ص171 ـ 173.

د. أنيسة أحمد خليل المنصور
جامعة البحرين

الجد حفصي البحراني، لطف الله بن علي

(كان حياً في 1211هـ/1796م)

الشيخ لطف الله بن علي بن لطف الله بن محمد بن عبد المهدي [شبر جواد، أدب الطف، 5/ 359؛ النويدري سالم، أعلام الثقافة، 2/ 491] عالم، شاعر، أديب ينسب إلى قرية «جد حفص»، وكانت مركزاً للزعامة الدينية والعلم في زمن المترجم.

ينتمي إلى أسرة علمية أنجبت الكثير من العلماء الفقهاء والشعراء، منهم جدّه لطف الله بن محمد والعديد من أعمامه. والمتوقع أنه تتلمذ على أيديهم. وكانت البحرين تعيش عصراً علمياً نشطاً ازدان بطائفة كبيرة من العلماء والإنتاج الفكري والأدبي [المنصور أنيسة، شعر البحرين، ص98].

ولا تمدنا المصادر التي ترجمت له بشيء من أخبار مولده، أو طفولته، أو شيوخه أو تنقلاته. لكن يمكن القول أنه عاش في عصر سياسي مضطرب حافل بالأحداث الجسام، عانت فيه البحرين من سلسلة من الهجمات الخارجية الشرسة التي كان يطمح أصحابها للسيطرة على ما تتمتع به البلاد من رخاء اقتصادي [المنصور، شعر البحرين، فصل الحياة السياسية ص44 ـ 53]. والمتوقع أن المترجم نزح عن وطنه نتيجة فقدان الأمان، وتنقل ـ كما هو شأن أبناء جيله ـ في بلدان الجوار كالقطيف والعراق وإيران، مما أدّى إلى ضياع أخباره وتراثه.

جلّ ما وصل من خطابه الشعري يدور في إطار أغراض الشعر العربي التقليدية، خاصة المدائح النبوية، فهو رثاء لآل البيت، أو رثاء لبعض أقاربه، أو مدائح للرسول ﷺ. وفي مجال المدح النبوي يقول بمناسبة زيارته للمدينة المنورة: [الخفيف]

هو أحرى بالحمد إن شئت حمداً
وهو أولى بالمدحِ والإطراءِ

فهو أعلى قدراً وأرفع مجداً
وهو أدنى من حضرةِ الكبرياءِ

وهو أورى ناراً وأقدحُ زنداً
وهو أقضى بيومِ فصلِ القضاءِ

فاقَ كلَّ الورى صلاحاً ورشداً
فهو يُدْعى للضرِّ والبأساءِ

وعلا سؤدداً ونسكاً وزهداً
من يدانيهِ في تقًى وسخاءِ

ومزاياهُ ليس تحصرُ عدّاً
من يعدُّ النجومَ باستقصاءِ

وعرض لمعجزاته:

شقَّ بدرَ السما ولامَسَ صَلداً
فجّر الماءَ منه عند الظماءِ

ودعا ميتاً تَبَوَّأَ لحداً
فاستوى قاعداً مع الأحياءِ

[التاجر، مسودات مخطوطة منتظم الدرين]

وفي موضوع الرثاء ركّز على رثاء آل البيت، ومما قاله في التفجع على مأساة الحسين بن علي: [البسيط]

والهفتاهُ له مُلقى تقلّبُهُ
حوافرُ الخيلِ إذ تُوطي له جسدا

حاكتْ له الريحُ من سافي الثرى حللاً
محكومةَ النسجِ طابتْ لُحمةٌ وسَدَى

وظلَّت الطيرُ في البيداءِ عاكفةً
عليه كيما تقيهِ الحرَّ أنْ وقدا

وحوله صحبُهُ كالبدرِ حَفَّ به
زُهرُ النجومِ لقاهُ في الفلاةِ سدا

[السابق]

وفي إطار الرثاء كان يشيد بمكانة العلويين، وتنويه القرآن بذكرهم، وكثيراً ما كان ينهي قصيدته بطلب الشفاعة: [الطويل]

أيا من أتى في «هل أتَى» طيبُ مدحهمْ
وفي النحلِ والأعرافِ والنورِ والنجمِ

إليكم نظامَ الخلقِ نظماً بمدحكم
تنزّه بين الناسِ عن وصمةِ الذمِّ

به نالَ «لطفُ الله» مولاكمُ فتًى
علِيّ بن لطفِ اللهِ عفواً من الجرمِ
[الطف، 5/ 361]

وتناول بالرثاء بعض أقاربه، فقال في رثاء ابن عمه الشيخ عبد الله بن علي الحكيم الجد حفصي مصبّراً نفسه على القضاء عاتباً على الدهر: [البسيط]

جرى القضاء فجرى حتماً به القلمُ
فهل لنا اليومَ إلا الصبرَ مُعْتَصَمُ
يا دهرُ آليتَ إن لم تلفِ ملتئماً
إلا وعاد شتاتاً وهو ملتئمُ
ما كان أغناكَ عن تفريق أُلفتِنا
فهل لك اليوم وِترٌ عندنا ودمٌ؟

وأشاد بخلال المرثي الخلقية والعلمية:

مُهذَّباً قد أبتْ عَدّاً فضائلهُ
وضَاقَ عن حصرِها الأوصافُ والكلمُ
لم تُغنِ عنكَ علومٌ جمّةٌ ونُهًى
ولا عفافٌ ولا تقوى ولا كرمُ
فأينَ ذاك الذكا والذهنُ مُتَّقدٌ
كالنارِ لكنه بالنورِ متَّسمُ

وخاطبه في إطار التفجع والإحساس بالفقد وبيان مكانته:

يا راحلاً أنكرتْهُ الحادثاتُ لنا
فيمن تنكّر وهو المفردُ العَلَمُ
فكيف أوحشْتَنا من بعدِ ما عمرتْ
بالانسِ أوطانُنا والشملُ منتظمُ
فهل تُرى حِلْتَ عمّا كان نعهدُهُ
حاشاكَ بل حالتْ الأقدارُ والقِسَمُ
فمن نعدُّ إلى الجُلّى إذا طرقتْ
ساحاتنا وعرانا الفادحُ العمَمُ

[التاجر، مسودات المنتظم]

وعرض لموضوع الغزل في إطار مقدمات قصائد المديح والرثاء، فغالباً ما كان يفتتحها بذكر الأطلال والأحبة الراحلين. يقول في مطلع قصيدة رثائية: [البسيط]

ماذا على الركبِ لو ألوى على الطللِ
فبتُّ أقريه صَوب المدمعِ الهَطِلِ
وما عليه إذا استوقفتُهُ فَعَسَى
أقضيهِ بعضَ حقوقٍ للهوى قِبَلي
ربعٌ لليلايَ قد أقوتْ معالمه
وراعَهُ البينُ بعد الحَلْيِ بالعطلِ
أغرى بهِ الدهرُ عن لؤمٍ نوازلَهُ
فعادَ خُلْواً من النُّزّالِ والنزلِ
وكان بالحيِّ مأهولاً يطيبُ به
مَرُّ النسائمِ بالابكارِ والأُصُلِ

[شبر، أدب الطف 5/ 359، محفوظ، المنتخب ص24]

وقدّم بمقطع غزلي لقصيدة مدح فيها الرسول ﷺ، وعرض لجمال الحبيبة: [الخفيف]

والغواني بها تنظمنَ عِقداً
فوق أجيادِ حسنِها والبهاءِ
كلُّ عذراءَ في دجى الليل أهْدَى
للمضلّين من نجوم السماءِ
ولقلبي فيها حبيبٌ مُفدًّى
هو أقصَى سُؤلي وأوفى مُنائي

أنبتَ الحسنُ فوقَ خَدَّيه ورداً
وسقاهُ بصوبِ ماءِ الحياءِ
كلما اسودَّ خالُهُ احمرَّ خداً
فهو يزهو بظلمةٍ وضياءِ

[التاجر، مسودات مخطوط منتظم الدرين]

وفي ثنايا المقدمة الطللية يعرض للعديد من أدبياتها فيقف وقفة متأنية أمام لحظات الوداع، ويصف أثرها النفسي: [البسيط]

للهِ وقفةُ توديعٍ ذُهلْتُ لها
بمعركِ البَينِ بينَ البانِ والأثلِ
والحيُّ قد قَوَّضُوا للظعنِ وانتدبوا
لِوَشْكِ بَينٍ وشُدَّتْ أرحُلَ الإبلِ
والوجدُ قد كاد أن يقضي هناكَ على
قُلُوبِ أهلِ الهوَى من شدةِ الوهلِ
فبينَ باكٍ وملهوفٍ وذي شَجَنٍ
بادي الكآبةِ في توديعِ مرتحِلِ

[شبر، أدب الطف 5/ 360، محفوظ، المنتخب ص24]

لقد كانت تلك المقدمات العاطفية الطللية تطول طولاً بارزاً في الكثير من الأحيان، وتتواتر بشكل ملحوظ، فصاحب أدب الطف يذكر ثلاثة مطالع جلها تتبنّى الطلل ومعاني الرحيل موضوعاً لها. يقول في أحدها: [البسيط]

قوّض برحلِكَ إنَّ الحيَّ قد رحلُوا
وانهضْ بعزمِكَ لا يقعدْ بكَ الكسلُ

[شبر، أدب الطف، 5/ 361]

وتفسير إلحاح الشاعر على ذكر الطلل والرحيل ربما يعود إلى طول فترات النزوح التي كانت تضطره إلى الابتعاد عن الوطن بسبب اضطراب الأوضاع السياسية وقسوتها، فيحنّ ويشتاق ويعوّل على الذاكرة ليستحضر صور المرابع وأيام اللقاء في أحضان الأحبة، وفي ربوع الوطن كتعويض نفسي عن الغربة.

ومن الظواهر المميزة في خطابه الشعري أرجوزتان ذاتا طابع قصصي منها قصة الغزالة والذئب وطول البحر على مدينة الكوفة، وعدتها مائة وعشرة أبيات، وله مطولة شعرية في معاجز الرسول تتكون من أربعمائة وخمسين بيتاً، طعمها بالكثير من الخيال الذي قارب فيه قصص التراث الشعبي، وتميز الأدب في البحرين بانتعاش الشعر القصصي في هذه المرحلة [المنصور، شعر البحرين، الفصل السادس، الشعر القصصي، ص349 - 372]. فإذا أضفنا إلى ذلك طول متوسط القصيدة عنده وهو ثمانون بيتاً أدركنا ما يمتلكه من طول النفس الشعري.

ويتميز الجد حفصي كذلك بقدرته على توظيف فنون البديع توظيفاً جيداً كقوله: [البسيط]

أيامَ أصبو إلى الهوى ويسعُدني
شرخُ الشبابِ ولا أصبو إلى عذلي
أيامَ لا أتقي كيدَ الوشاةِ ولا
أخافُ من مَيَل في الحبِّ أو مَلَلِ
أيامَ أرفضُ عُذّالي وترفضُني
ومالكي شافعي والهمُّ معتزلي

[محفوظ، المنتخب ص25]

فالبيت الأول يتضمن مقابلة، وفي البيت الثاني ترادف وجناس ناقص وتصدير، وفي الثالث تكرار وتقطيع وتورية.

كما يتميز الجد حفصي بقدرته على حسن التخلص والربط الجيد بين مقدمة القصيدة وموضوعها. يقول على لسان الحبيبة رابطاً بين موضوع الغزل وموضوع رثاء الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

فليت شعري وقد حُمَّ البعادُ لنا
والبعدُ يا ربما اغراكَ بالبدلِ

فهل تحافظُ على عهدي أو تضيِّعُه (!)
كما أُضيعتْ عهودٌ في الوصيِّ علي

[محفوظ، المنتخب ص25]

ومع تقليدية الشاعر موضوعاً وتقنيات، يحقق مستوىً فنياً جيداً بالقياس إلى عصر الانحطاط الذي عمَّ الأدب العربي في عصر الشاعر حيث هوى الشعر إلى درجات هابطة.

آثاره

1 ـ مجموعته الشعرية، وتعرف بمجموع المراثي أو مجموع الشيخ لطف الله؛ وهي عبارة عن مختارات شعرية لأربعة وعشرين شاعراً من سابقيه ومعاصريه، موضوعها رثاء آل البيت خاصة رثاء الحسين بن علي، وجلّ الشعراء من أبناء قريته «جد حفص»، أو من شعراء البحرين عموماً. وفرغ منها في 18 رجب 1201هـ/ 1786م، وكتبها بخطه الجيد المجدول [شبر، أدب الطف 5/ 359؛ الطهراني، آغا بزرك، الذريعة 9 ـ 944 و20/ 104؛ القائيني، علي، معجم مؤلفي الشيعة ص60؛ النويدري، أعلام الثقافة 2/ 493]. وأشار الطهراني إلى مكان وجودها في «العراق». وغدت هذه المجموعة مصدراً يمدّ كتب التراجم والاختيارات الشعرية بالنماذج الأدبية المطلوبة [مثال ذلك كتاب شبر، أدب الطف ج5؛ الإحالات في ص69، 86، 174، 208؛ وكتاب محفوظ، المنتخب من أدب البحرين ص18 ـ 21 على سبيل المثال].

المصادر والمراجع

● التاجر، محمد علي، منتظم الدرين، مسودات المخطوطة، واعتمدنا عليها لتعذر الوصول إلى المصادر الأصلية؛ ● شبر جواد، أدب الطف أو شعراء الحسين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1974، ج5، ص 359 ـ 361؛ ● الطهراني، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط3، 1983، ج9، ص 944، وج20، ص104؛ ● القائيني النجفي، علي الفاضل، معجم مؤلفي الشيعة، مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، ط1، 1405، الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ ● محفوظ، حسين، المنتخب من أدب البحرين، شركة طباعة تابان، طهران، 1375، 1955، ص24 ـ 25؛ ● المنصور، أنيسة، شعر البحرين من القرن السابع عشر إلى الثلث الأول من القرن العشرين، أطروحة دكتورا دولة بصدد النشر، ص44 ـ 53، 98 ـ 135، 358، 349 ـ 372؛ ● النويدري، سالم، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1 1992، ج2، ص491 ـ 494.

د. جليل منصور العريض
جامعة البحرين

الجد حفصي، البحراني لطف الله بن محمد

(كان حياً في 1164هـ/1750م)

ينتسب الشيخ لطف الله بن محمد بن عبد المهدي بن لطف الله بن علي [شبر جواد، أدب الطف، 5/ 258؛ الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، 6/ 624؛ محفوظ، حسين، المنتخب من أدب البحرين، 20] إلى قرية «جد حفص» وكانت معقلاً من معاقل العلم والزعامة الدينية آنذاك. وهو ينتمي إلى أسرة علمية أنجبت العديد من العلماء الشعراء، منهم حفيده وسميّه لطف الله بن علي بن لطف الله [النويدري سالم، أعلام الثقافة، 2/ 18].

يصفه مترجموه بأنه عالم فقيه أديب شاعر [التاجر، منتظم الدرين، ترجمة 744]. عاصر مرحلة الانتعاش العلمي في البحرين، حيث حفلت ساحتها الفكرية بحشد من العلماء والشعراء رفدت الحياة الثقافية وحركتها [المنصور، أنيسة، شعر البحرين، ص98 ـ 135].

لا تشير المصادر إلى شيوخه أو تلاميذه، ولا تعرض لتنقلاته، كما لا تذكر تاريخ مولده أو وفاته، لكنه كان حياً في عام 1164هـ/ 1750م وهو تاريخ كتابة بعض مؤلفاته [الطف، 5/ 258]، وربما امتدت به الحياة إلى عام 1186هـ/ 1772م وهو تاريخ كتابة بعض الكتب التي نسخت خصيصاً لمكتبته [التاجر، المنتظم، ترجمة 43].

وله كتاب صحّح فيه أجزاءً من شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد، فرغ منه في شهر شعبان 1164هـ/ 1750 [الطهراني، الذريعة، 9 ـ 3 ـ 944]، ولا يعرف نوع ذلك التصحيح لكن هذا المصدر يشير إلى مكان وجود هذا المصنف في «طهران».

تشير آثار الجد حفصي إلى غلبة الصفة الشعرية عليه أكثر من صفة الفقه أو أية صفة علمية أخرى. ولا تشير المصادر سوى لمؤلف واحد له، ويشير الطهراني في الذريعة، [9 ـ 3 ـ 944] إلى ديوانه دون أن يحدد مكانه. وجلّ خطابه الشعري ـ في حدود ما توفر منه ـ يتركز في موضوع واحد هو المدائح النبوية، خاصة رثاء الشهداء من آل الرسول، والتنويه بمكانتهم: [الطويل]

مهابطُ وحيِ اللهِ خزّانُ علمِهِ
فما منهمُ إلا إلى اللهِ قائدُ

قوامٌ لدينِ اللهِ قد حفظوا الورَى
بحلمٍ وعلمٍ حيثُ تُثنَى الوسائدُ

[مجموعة شعرية، مخطوطة، ص 305]

ويتعاطف الشاعر مع فواجعهم خاصة واقعة «كربلاء» أو «الطف» التي استشهد فيها الحسين بن علي؛ فينظم هذا الحادث بشكل تفصيلي ـ كما هو الشأن لدى شعراء الإمامية ـ فيذكر عرض الحسين على أصحابه الرحيل

قبل المعركة ويحلهم من بيعته لأنه هو المطلوب، ولأنه يتوقع أن تكون مجزرة يقتلون فيها جميعاً: [الكامل]

يا قومُ من يرد السلامةَ فليجدَّ
السيرَ قبل الصبحِ و ليترحلِ

احلِلتُكم من بيعتي واقلتُكُمْ
عقدَ النمامِ وليس لي من معدلِ

فالقومُ ليس لهم سوائي مطلبٌ
جاؤوا إليه ويقنعون بمقتلي

[التاجر، المنتظم، مسودات المخطوط]

ويعرض لوضع الحسين بعد استشهاد جميع أصحابه وأبنائه وبقائه وحيداً في مواجهة الجيش العرمرم، وما أبداه من ثبات على المبدأ تمثل في ما أبداه من شجاعة وبطولة:

وبقي حبيبُ محمدٍ من بعدهم
كالكفِّ إذ جُذمتْ بقطعِ الانملِ

يلقَى الرماحَ بصدرِهِ وجَبينِهِ
فرداً يكابدُ نارَ ذاكَ الجحفلِ

إنْ صَالَ صَالَ بصارمٍ بذُبابِهِ
صوتُ الردَى والحتفُ غيرُ مؤجّلِ

تتطايرُ الأبطالُ عنه تطايرَ الطيرِ
القطَا عند انقضاضِ الأجدلِ

لا دارعٌ يغني غنًى عن حاسرٍ
كلا ولا من رامحٍ عن اعزلِ

[المصدر السابق]

ويتصوّر الشاعر الحسين وهو يلتفت إلى خيم النساء العلويات قبل بروزه للمعركة بخطاب يزخر بالخوف والقلق على مصيرهنّ ومصير الأطفال، فيعهد إلى توصية أخته زينب بالأطفال، وبالتماسك إزاء المحنة:

ويميلُ من حذرٍ إلى خيمِ النسا
كالوالهِ المتورّعِ المتنقّلِ

ويقولُ يا آل الرسولِ عليكُمُ
منّي سلامُ المشرعِ المتَحمّلِ

وعلى الأكابرِ من ذويَّ تحيّتي
وعلى الصغيرِ تأسُّفي وتقلقلي

يا زينبُ يا اختُ لمّي شَعثَهم
وتلطَّفي بصغيرِهمْ وتكفّلي

حاشاكِ يا ابنةَ فاطمٍ أن تُمزّقي
جيباً عليَّ إذا قُتِلتُ وتُعولي

[المصدر السابق]

ويرصد محنة المرأة العلوية في وقعة «الطف» فيصف ما تعرضت له من ترويع وسلب وسبي بعد مقتل وليهن فيتفجع لما أصابهن: [الطويل]

خرجنَ كسربِ الطير تبكي مروَّعةً
عثوراتِ خطوٍ في ذُيول المصائبِ

طَوينَ بساطَ البسطِ من بعد بُعْدِهِ
له أسفاً من بعد نشرِ النوائبِ

فعاجلهن القومُ بالسلب والسبَى
فأصبحنَ أسرَى بين سابٍ وسالبِ

بنفسي بنات المصطفَى بعد خدرها
يجررُها من سترِها كلُّ ناهبِ

لهنَّ على فَقْدِ الاحبةِ رنَّةٌ
تذوبُ لها شمُّ الجبالِ الأخاشبِ

بـأحـزانِ يـعـقـوب ولـوعـةِ يـوسـفِ
وضـرَّاءِ أيـوبٍ ونـوح الـنـوادبِ

[مجموعة شعرية، مخطوطة، ص293]

وينقل في مشاهد طويلة شكواهن لوالدتهنّ ولوالدهن وجدهن ما وقع عليهن من ضيم وأذى. ويتجه إلى الرسول فيعزيه بمصابه الجلل في أبنائه، ويشكو تضييع القوم وصيته في أسرته: [الكامل]

يـا راكـبـاً نـحـو الـمـديـنـةِ قِـفْ بـهـا
عـنـد الـرسـولِ مـعـزيّـاً مُـتـظـلّـمـا

اديـتَ لـلـنـاسِ الـرسـالـةَ صـادعـاً
بـالـوحـي سـامـونَ الـخـطـاءِ مـكـرَّمـا

هـا قـد أضـاعـتْ يـا رسـولَ الـلـه مـا
ائـتُـمِـنَـتْ بـذمَّـتِـهـا وعـهـداً مُـبـرمـا

وجـزتْـك شَـرُّ جَـزَا بـآلـكَ بـعـدمـا
فـارقْـتَـهـا والـعـهـدُ لـم يـتـقـدَّمـا

[مجموعة شعرية، مخطوطة، ص280]

ويصف تعاطفه مع الحدث فيبكي ويتفجع ويعبرعن عمق تأثره: [الكامل]

فـلـبـسـتُ أثـواب الـسـوادِ تـأسّـيـاً
لـمـصـابـهـم وحـمـلـتُ مـا لـم يُـحـمَـلِ

أجـثُـو عـلـى الـغـبـرا وأجـثـو تُـربَـهَـا
فـوقـي ودمـعُ الـعـيـنِ مـثـلُ الـجـدولِ

يـجـري بـمُـحـمَـرِّ الـدمـاءِ كـأنـمـا
فُـصِـدَتْ مـعـالـجـةً بـعـرقِ الأكـحـلِ

أبكي الـحـسـيـن وصـحـبَـهُ فـي «كـربـلاء»
قُـتـلـوا عـلـى ظـمـا بـشـاطـي الـمـنـهـلِ

[التاجر، المنتظم، مسودات المخطوط]

ويعمد الشاعر إلى استخدام آليات فنية يجسد من خلالها الحدث ويخلق أجواء مأساوية فيرسم لوحات حوارية يقيمها بين أبطال حادثة «الطف»، فينشئ حواراً بين الحسين وأصحابه، وآخر بينه وبين النساء العلويات وغيرها من الأطراف. فيقول مخاطباً أخته «زينب»، وردها عليه في مقطع طويل نختزله فيما يلي: [الوافر]

وإن أبـصـرتـنـي بـيـن الأعـادي
قـطـيـعَ الـرأسِ مـحـزوزَ الأيـادي

وأبـصـرتِ الـرؤوسَ عـلـى الـصـعـادِ
وجـسـمـي تـحـت أيـدي الـصـافـنـاتِ

أُخـيَّـةَ لا تـشـقّـي الـجـيـبَ وجـداً
ولا تـدمـيـنَ بـالـكـفـيـنَ خَـدًا

ولا تـتـجـاوزي لـلـهِ حـدّاً
ورفـقـاً بـالـبـنـيـنِ وبـالـبـنـاتِ

وأوصـيـكـم عـلـى الـبـأسـا بـصـبـرٍ
إذا مـا الـشـمـرُ أصـبـح فـوق صـدري

ومَـكَّـنَ سـيـفَـهُ بـعـظـامِ نـحـري
لـيـذبـحـنـي وآنـتْ لـي وفـاتـي

فـقـامـتْ وهـي تـعـثُـرُ فـي الـذيـولِ
وأدمـعُـهـا كـمـنـحـدرِ الـسـيـولِ

تـقـولُ أُخـيَّ يـا ركـنـي وسُـؤلـي
ويـا خـصـبَ الـسـنـيـنِ الـمـمـحـلاتِ

- أُخـيَّ أراكَ تـؤذنُ بـالـرحـيـلِ
بـغـيـر سَـخَـا فـفـي دعـةِ الـجـلـيـلِ

فـواالـمـاهُ مـن حـزنٍ طـويـلٍ
ومـن نـقـصِ الـمـعـيـشـةِ والـحـيـاةِ

أخيَّ من لليتامي وللعليلِ
إذا غلُّوهُ في القيد الثقيلِ

ومن يشفي من البلوى غليلي
وأيتامٍ غدونَ مبلبلاتِ

[مجموعة شعرية، مخطوطة، ص299]

ومن الظواهر الفنية في شعر الجد حفصي التنويع في مقدمات القصائد، فقد يفتتحها بالوقوف على الأطلال والتغزل، أو النعي على ذلك المطلع، أو يقدم بأبيات من الحكمة والتأمل في محن الحياة، أو بمقدمة عاطفية حزينة في قصائد الرثاء. ومن قوله في مطلع طللي: [الكامل]

ألغيرِ كاظمةٍ يروقُ تغزّلي
حَيِّا الحَيَا ساحاتِهِ من منزلِ

وإذ كلفتُ بهِ وغصنُ شبيبتي
غَضٌّ وصبغةُ صبوتي لم تنصلِ

وظباهُ كنَّ أوانساً بي تبتغي
وصلي فتعملُ حيلةَ المتوصِّلِ

[التاجر، المنتظم، ترجمة 744؛ محفوظ، المنتخب من أدب البحرين، ص20]

ومن قوله في ذم الوقوف على الأطلال: [الكامل]

حتَّام تسألُ عن هَوَاكَ الارسمَا
غيًّا وتستهدي الجمادَ الابكما

وإلامَ تسأل دمنةً لم تلفَ في
ارجائها إلا الاثافي جُثَّما

خلتِ الديارُ من الانيس فما القطينُ
بها القطينُ ولا الحمَى ذاكَ الحمَى

سَفَهٌ وقوفُك بين أطلالٍ خلتْ
وعفتْ وغيَّرها البلاءُ وأعدما

ضَحِكَ المشيبُ بعارضيكَ فَنُحْ أسىً
أسفاً على عمرٍ مَضَى وتَصرَّما

[المجموعة الشعرية، المخطوطة، ص278؛ محفوظ، المنتخب، ص20؛ النويدري، أعلام الثقافة، 2/ 190].

ومن مقدماته التأملية والتي يحكم ربطها بالموضوع: [الطويل]

سهامُ المنايا في البرايا نوافذُ
وحادي المنايا مستضيفٌ ووافِدُ

يسوقُ إلى وِردِ المنونِ ظعائناً
فما صادرٌ إلا ويتلوهُ واردُ

كأنَّا وصرفَ الدهرِ خيلُ مُراهنٍ
تَعضُّ شكيماً للسباقِ تطاردُ

فما ردّه عَنَّا مرادٌ ونالَه
ولا فاتَهُ مِنَّا سريٌّ وماجدُ

ولوعٌ بخفضِ الأكرمين كأنَّهُ
خصمٌ لمن نالَ العلا ومعاندُ

[مجموعة شعرية، مخطوطة، ص304]

ومع تقليدية أغراض الشاعر وأدواته الفنية، نلمس جزالة في الألفاظ ومتانة في التراكيب بالقياس إلى المستوى الشعري في الأدب العربي في عمومه في عصر الشاعر والذي اصطلح على تسميته بعصر الانحطاط، ومن ثم فالجد حفصي يحقق مستوىً فنياً جيداً بالقياس إلى عصره. وتتميز أشعاره بطول النفس، والنظم على الأوزان الطويلة المقاطع كالكامل والطويل والوافر.

المصادر والمراجع

● التاجر محمد علي، أ ـ منتظم الدرين في الأحساء والقطيف والبحرين، ترجمة 43 و744 (مخطوط). ب ـ مسودات الكتاب السابق وهي غنية بالشعر والمعلومات التي يتعذر الحصول عليها، وقام التاجر باختصار المسودات عند تبييض الكتاب؛ ● شبر، جواد، أدب الطف أو شعراء الحسين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1974م، ج5، ص258؛ ● الطهراني، آغا بزرك: أ ـ طبقات أعلام الشيعة، تح. علي نقي منزوي، نشر جامعة طهران مصوّر عن ط1، 1952، ج6، ص624، ب ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، 1983، ط3، ج9، ص944؛ ● مجموعة شعرية، مخطوطة، وهي موقوفة بتاريخ 1265هـ/ 1848م، ص278 و280 و293 و299، 304؛ ● محفوظ، حسين، المنتخب من أدب البحرين، شركة طباعة تابان، طهران 1375هـ/ 1955م، ص20؛ ● المنصور، أنيسة، شعر البحرين من القرن السابع عشر إلى الثلث الأول من القرن العشرين، أطروحة دكتورا دولة بصدد النشر، ص98 ـ 135؛ ● النويدري، سالم، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، مؤسسة المعارف، بيروت، 1992، ط1، ج2، ص189 ـ 192.

د. جليل منصور العريض
جامعة البحرين

ابن الجدّ الفهري، أبو عامر أحمد بن عبد الله

(ت 550هـ/1155م)

أحمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجدّ الفهري أبو عامر، نحوي يذكره ابن الزبير مع من اشتهر بكنيته ويشير إلى أنّه من أهل إشبيلية وأنّ أصله من لبلة [صلة الصّلة، ص 154]؛ لا تذكر المصادر تاريخ مولده ولا تحدّد بدقّة عام وفاته وإنّما تكتفي بالإشارة إلى أنّه توفّي «في آخر عشر الخمسين وخمسمائة» كما أنّها لا تكاد تذكر شيئا عمّن أخذ عنهم سوى علي بن عبد الرّحمان أبي الحسن بن الأخضر الإشبيلي (ت 514هـ/ 1120م) وهو نحوي لغوي تلمذ الأعلم الشمنتري، وقد لازمه ابن الجدّ وأخذ عنه كتاب سيبويه فتمكّن منه «ومهر في فَهْم أغراضه وغوامضه فكان من أجَلّ أصحابه» [بغية الوعاة، 2/ 25]، ويشير ابن الزبير إلى أنّه أخذ أيضا عن «أشياخ أخيه أبي بكر» (496هـ/ 1102م ـ 586هـ/ 1190م)، وأخوه هذا هو كما يعرّف به ابن الخطيب «الحافظ

الجليل. . . زعيم وقته في الحفظ» متضلّع في الفقه وله مكانه لدى أولي الأمر [الإحاطة، 3/ 90]؛ وقد أخذ مثل أخيه كتاب سيبويه عن ابن الأخضر كما أخذ عن مشايخ آخرين من القرّاء والمحدّثين ومنهم ابن رشد الجدّ (ت 520هـ/ 1126م)، وشريح بن محمد بن شريح (451هـ/ 1059م - 537هـ/ 1142م)، وأبو محمد بن عتاب فقد سمع عليه بعض الموطأ، وأبو القاسم بن منظور القاضي وقد سمع عليه صحيح البخاري، وقد يكون أبو عامر قد أخذ عن هؤلاء أيضا.

وقد شهد لأبي عامر ابن الجدّ شيخه ابن الأخضر «بالتقدّم في العربيّة» واعترف له ابن ملكون (584هـ/ 1188م) وهو ممن صحبه في الأخذ عن ابن الأخضر بتقدّمه في إقراء كتاب سيبويه؛ لكنّه سرعان ما انزوى واجتنب مخالطة النّاس فاعتبره ابن القابله (ت 565هـ/ 1169م) أحد معاصريه أنّ علم العربيّة فُقد بانزوائه، وقد ألحّ عليه في العودة إلى إقراء الكتاب فاستجاب، لكنّه لم يواصل فانزوى من جديد؛ ولما انتشرت الفتنة على المرابطين لجأ إلى لبلة، لكنّه أخرج منها وقتل رغم أنّه لم يشارك في الفتنة.

لا نعرف من تلامذته إلّا عددا قليلا منهم أبو بكر محمد بن طلحة (ت 618هـ/ 1221م). فقد سمع منه كتاب سيبويه [غاية النّهاية، ج 2، ص 157]، كما أخذ عنه هذا الكتاب الحافظ أبو العباس بن خليل. . .

■ آثاره

أمّا مصنّفاته فلا نعرف عنها شيئا رغم تنويه المصادر بتضلّعه في النّحو ولعلّه اكتفى بإقراء سيبويه فلم يضع مصنّفاته في النّحو.

■ المصادر والمراجع

● ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصّلة، نشر وتصحيح السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي والمثنّى، 1375هـ/ 1955م، 1/ 59؛ ● أبو جعفر بن الزبير، صلة الصّلة، نشر ليفي بروفنسال، مكتبة خياط، بيروت، ص 154؛ ● ابن الجزري، غاية النّهاية في طبقات القرّاء، شرح برجستراسر، مكتبة الخانجي 1352هـ/ 1933م، ج 2، ص 157؛ ● ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد اللّه عنان، القاهرة 1395هـ/ 1975م، ج 3، ص 89؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنحاة، تح. محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة 1384هـ/ 1965م، ج 3، ص 25.

عبد القادر المهيري
الجامعة التونسية - تونس

الجراح، خديجة

(1343هـ/1923م - 1421هـ/2000م)

مثلت خديجة الجراح في أدبها همومها النسوية متلفعة بأردية رومانسية على أن الرجل ذئب مفترس للمرأة غارق في المتع الرخيصة والتسلية مع المرأة جسداً دون عناية بالقيم من جهة أو كرامة المرأة من جهة أخرى، وتعللت الجراح في غالبية قصصها بزخم العاطفة وفيض المشاعر من المرأة إلى الرجل منعزلة عن اشتراطاتها الاجتماعية وتحليلها النفسي مما لا يراعيه الرجل أبداً. ثم مازجت في بعض قصصها الأخيرة هذه الهموم النسوية بهموم الوطن.

ولدت خديجة الجراح (النشواتي) والمعروفة باسم «أم عصام» في دمشق عام 1923، وتلقت تعليمها في دمشق، ولا يعرف عنها المشاركة في عمل أو نشاط اجتماعي أو علمي أو تعليمي، ولكنها برزت قاصة من خلال مجموعتيها «ذاكر يا ترى» (1960) و«إليك» (1970) ثم تابعت إبداعها في روايتها المشتركة مع هيام نويلاتي الشاعرة «أرصفة السأم» (1973)، ومجموعتها الأخيرة «عندما يغدو المطر ثلجاً»، (1980).

واللافت للنظر أنها عنيت باسم الرجل حين ربطت اسمها على أغلفة كتبها باسم ابنها «عصام»، فكتبت «أم عصام» وأضافت اسمها الحقيقي خديجة الجراح النشواتي إلى صفحة الغلاف الداخلية، و«النشواتي» هو اسم عائلة زوجها.

إن نظرة فاحصة لقصتها المتوسطة من حيث الطول «ذاكر يا ترى» (تقع في 63 صفحة من أصل صفحات مجموعتها التي بلغت 192 صفحة) تكشف عن تفكيرها القصصي برمته، فالقصة ببساطة هي تعلق «سمر» بـ «عامر» لدى رؤيته لأول مرّة، ذلك على الرغم من معرفتها بزواجه واعترافه لها أن ثمة قطيعة وجفاء مع زوجته مما نمّى اللقاء المتواصل بينهما في غرفة النوم.

تباعد القاصة بين طبيعة هذا التعلق ومحيطه الاجتماعي وشروطه التاريخية في احتوائها على خصائص الفضاء القصصي من أعراف وتقاليد، فلا تذكر شيئاً عن اللقاء في غرفة النوم سوى التقبيل والضم، ولا تحفل بنظرة «عامر» للمرأة سوى أنها مادة للتسلية والإمتاع بالنسبة إليه، ولا تفكر سمر بمسوغات العلاقة ونتائجها سوى أنها حب المرأة للرجل، ولا تعنى بدوافع المنظور السردي التي تعلل تتالي الحوافز القصصية، فتتكرر اللقاءات في فيض الإنشاء اللغوي العاطفي بطوابعه الرومانسية، وتتفاقم هذه الوطأة على الذات دون تعليل عندما اتهمها بالتفاهة والعادية ما لم تتجاوز حال العلاقة من طرف واحد، وتنخرط في عشرات العلاقات الأخرى، فما كان منها إلا أن قررت «الأخذ» بأفكاره، وأن تعيش «كما يريد» [ص61] متخلية عن تفاهتها وعاديتها متمادية في الخوض في تطبيق مبادئه وهي

التفريط في العلاقات من الزواج إلى لقاء الرجال، واختصرت وجهة نظرها بالعبارات الختامية التالية:

«علمتني كيف أحيا..
علمتني كيف أكفر بالحب.. وأتفهم الغاية..
لقد أصبحت امرأة ناضجة.. امرأة غرست فيها أفكارك لكنك خسرتها..
لم تعد العيون الوالهة تسكب فيَّ شيئاً..
لم تعد أيامك تعني لي سوى أيام عشتها وأنا جاهلة الواقع..
لم تعد الكلمات المعسولة تعني لدي شيئاً..
لقد عرفت الحقيقة وفهمتها..
ودعت سمر عامراً بنظرة أخيرة.. حين كانت الدهشة تعانق وجهه.. وشيء من الحسرة يسري جنباته!
الحسرة على ماضٍ بعيد طوته الأيام..»
[ص63]

وثمة قصص أخرى لا تفترق عن هذا الموضوع على أن المرأة ذائبة في حب الرجل، بينما لا يستحق الرجل هذا الحب مما يدفعها إلى محاولات تخطي هذه العلاقات المتعبة التي تؤدي إلى شقاء المرأة وعذابها، وتفرط القاصة في وصف معاناة المرأة بالغة بالدرجة الأولى، ونلاحظ أن المجموعة الثانية «إليك» لا تحمل ثقة بهذا العنوان، لأن قصص المجموعة برمتها تدور في فلك هذه النظرة التي أوجزتها في العتبة المفتاحية في الصفحة التي سبقت صفحة العنوان الداخلي:

«من ظلمك أثور.. وفي دوامة حبك أدور
تفجعني.. تسعدني.. ترهبني.. تسكرني..
تبعدني.. تشدني
اشتكي منك وعلى يديك أرتمي
أهرب منك.. والى صدرك احتمي
إليك أهدي «إليك» [ص1].

وأذكر قصة «الستائر الخضر» أنموذجاً لأسلوبها في مجموعتها الثانية «إليك» الذي لا يختلف أيضاً عن كتابتها في مجموعتها الأولى، فهي قصة تدور حول لقائها به مصادفة. وبسهولة لم تكن تحسبها انصاع إليها كغنيمة جديدة صاماً أذنيه عن الهمسة الصادقة ليضعف أمام الإغراء الحوائي الكبير.. وتتسلل قدماه كغيره إلى الغرفة العجيبة، ويرتمي على سرير اللعب.. ذلك الشاب تميز عن غيره لديها.. لقد تعلق بها الكل.. أما هذا فلم تعرف الملك بين ذراعيه القويتين بل صهرت تجاربها وخبرتها في سبيل الاحتفاظ به [ص85]

ثم آلت الخاتمة إلى الوجهة إياها: ضغوط الضياع والحسرة والعذاب والألم عليها لدى معرفتها بزواجه من الصديقة ذات الهمسة الصادقة:

«حينذاك عادت إلى غرفتها العجيبة والى ستائرها الخضر.. توهم نفسها بأنها ستبحث كالماضي عن صيد معتق جديد لتعيش في ألق سحر جديد.. لكن القنديل حين يخبو ويصبح في النزع الأخير. هيهات أن يحس بالحياة ثانية» [ص86].

وطورت القاصة نزوعها الرومانسي في مجموعتها الثالثة «عندما يغدو المطر ثلجاً» بمقاربة أوثق لعنصري التوتر والتكثيف تخفيفاً للاسترسال الإنشائي اللغوي وملامسته لمبنى استعاري عن طريق التحليل النفسي ودقة

الوصف المجازي، فالعلاقة بين المرأة والرجل لم تغادر مثواها الأثير عند خديجة الجراح عندما يكثر الرجل من علاقاته بالمرأة، ويترك من تحبه أسيرة لقيود عشقها، ثم تسعى جاهدة للخروج من هذا الأسر، وقد دللت على هذا المبنى الواقعي للعلاقة بإشارات إلى مبنى استعاري من خلال حرارة العلاقة وبرودتها وانهمار الثلج والمطر والتجمد أو انقطاعه:

«ما أرهب المسافة بين نقطة البداية ونقطة النهاية..

يجمد في عينيها كل شيء، يتكاثر الثلج في الخارج يكللها على الرصيف وهي تغادر السيارة.. تقف فترة.. تستسلم إليه وهو يمحوها كتلة بياض ناصع.. يوشوش الصغار: عندما كنت مطراً شاركتني عيناك. تسره: عندما تتكاثر البرودة يغدو المطر ثلجاً.. تدخل بيتها.. وتسحقها غربة كبيرة حتى الصقيع». [ص120].

وجعلت القاصة الإهداء من هذه الوشوشة وهذا الإسرار تغليباً لعذاب المرأة من خذلان الرجل لها وخيبة الحب. غير أن المجموعة الأخيرة حوت قصصاً جاوزت فيها المرأة الهموم النسوية إلى حد ما حين اعتنت بدواخل المرأة وتحليلها نفسيتها ووعيها للأوضاع الاجتماعية والإنسانية برفض أن تكون المرأة رقماً ضائعاً في قصتها «الرقم الضائع» فهي «طوال حياتها كانت تحاول أن تمتلك شيئاً بين قبضة أصابعها ولا تجد إلا الفراغ.. فراغاً رهيباً أحرقت معه سني عمرها الضائع.. هي المرأة الشرقية التي خلقت من فراغ قوقعة وتربت بين جدران قوقعة.. وشبت وعرفت الصبا والقوقعة تحنطها.. حتى في عمر النضج والمعرفة ما تزال تسبح في قوقعة ودوامة رهيبة من التساؤلات: علام حصلت كامرأة شرقية؟» [ص29] وختمت الجراح قصتها والسؤال ما زال مفتوحاً: «إلا متى أظل رقماً ضائعاً بين الملايين» [ص43].

ووضعت خديجة الجراح روايتها الوحيدة «أرصفة السأم» بالاشتراك مع الشاعرة هيام نويلاتي. وتميل الرواية إلى الاشتغال على الهموم النسوية الناجمة عن الزواج والأوضاع الاجتماعية التي تندرج في مآل اضطهاد المرأة وافتقادها للحرية، وتستخدم شيئاً من التحليل النفسي الذي يتلاقى مع توصيف النمط الاجتماعي السائد الذي تبدو فيه المرأة منسحقة تحت وطأة الهيمنة الذكورية حين تصير المرأة إلى مجال إمتاع للرجل الغارق في الفسق والملذات والفساد. وتصور الرواية تعلق «ماريا» برجل اسمه «حبيب» الذي أوحى إليها بتقديره للمرأة ومكانتها في التقدم الاجتماعي، بينما هو مخادع كاذب متلاعب بالمشاعر ومجالها الرئيس: المرأة، على أنها متزوجة، ويعمل زوجها تاجراً في لندن، مما يضطر إلى السفر كثيراً، وتصفه بمثل مآل أوصاف «حبيب» في النهاية، فهو زير نساء، لا هم له سوى ارتياد أماكن الابتذال ومطاردة النساء البغايا والمتاجرات بأجسادهن. وعمدت المؤلفتان إلى جعل العلاقة بالزوج لفظية عن طريق الرسائل، أما العلاقة العملية فكانت مع الحبيب والعشيق «حبيب» الذي لطالما التقت به في الأماكن العامة وشبه الخاصة.

وتقترب الرواية من دفق النجوى واسترسالها الحواري مع الذات والآخر داخل سيارة

المرأة «ماريا» غالباً. بما يقترب من كشف النوازع الذاتية الرومانسية عن التعلق بالرجل، وقد غطاها الأسى والتأسي على حال المرأة مع الرجل المخادع لدوام استهلاك المرأة مادة للمتعة والتلذذ. ثم عاد الزوج إلى بلاده، ولم تنقطع اللقاءات بين ماريا وحبيب، ويلحّ المنظور السردي على التماثل بين ذوبان الرجلين في الابتذال المرفوض من قبل المرأة: الزوج في لندن، والعشيق في دمشق، إلى أن لمحت ماريا خاتم الخطبة في إصبع العشيق، وواجهته بذلك، ولم يهتم، بل كذب عليها بأن غيابها عنه هو السبب الذي أوقعه في علاقته بمن خطبها، مما أوقعها مجدداً في الحيرة والتردد حول استمرار العلاقة معه أو العودة إلى زوجها، إلا أن الأمر الضاغط عليها هو «السأم» من كل شيء، وكأن الذكورة قدر ظالم وجائر على الأنوثة، فالرجل غارق في خيانة المرأة التي تدفع المرأة دفعاً إلى العلاقة مع الرجل دون أن تسميها خيانة.

ويبدا تأثير الوجودية على المنظور السردي طاغياً، وقد تلونت بتلوينات التحليل النفسي والرؤية الاجتماعية، وثمة رواية لالبرتومورافيا بعنوان «السأم» تقترب الرواية منها إلى حدّ ما في إطارها الأعم والأعمق بتصوير العلاقة بين الرجل وعشيقته، والرجل وزوجته.. الخ. وتمتلىء الرواية بالحوارات والأحاديث السياسية والفكرية والأخلاقية من منظورات المرأة الضيقة، فالمرأة تنتقد على سبيل المثال زوجها، ولا تنتقد نفسها. بل تسعى لأن تعطي ذاتها سبل الرحمة والرجاء لدى المتلقي من تسلط الذكورة على القيم الاجتماعية. وتلوذ المرأة بالشاعرية في ملامسة السأم الناجم عن غربة المرأة واغترابها في دنيا الرجل ومجتمعه، ولا يحدد المنظور السردي مفهوم السأم وحدوده واندغامه بالفضاء الروائي، لأنه ملفوظ يستلزم الإقناع أو الصدق الفني والتاريخي.

وتردد المؤلفتان من حين لآخر عبارات انتقادية للطبقة البرجوازية والطبقة المتوسطة دون تمثيل هاتين الطبقتين في شخصيات الرواية، لأن هذه الشخصيات كثيرة، وسرعان ما تغيب عن مشاهد الرواية، وهذا كله شديد الصلة بمستوى الرواية الفني الذي يميل إلى النجوى الذاتية الخطابية عن حال المرأة المتأسية من الهيمنة الذكورية، ولو كان الأمر عن طريق الإلماح والإيماء.

خصصت خديجة الجراح إبداعها القصصي والروائي للعلاقة بين المرأة والرجل على أن المرأة هي المحبة والصادقة، وإذا خرجت عن ذلك، فالرجل هو المسؤول الذي يظلمها ويخدعها ويخادعها ويدفعها إلى الابتذال والمرض والموت، ثم طوّرت تجربتها القصصية في مجموعتها الثالثة إلى وعي الشروط التاريخية والاجتماعية الضاغطة على وجدان المرأة وتهميشها من قبل الهيمنة الذكورية وتسليعها للمرأة.

المصادر والمراجع

- الجراح، خديجة (أم عصام ـ وهيام نويلاتي)، أرصفة السأم، دمشق 1973؛
- الجراح، خديجة (أم عصام)، ذاكر يا ترى، دار الثقافة بدمشق 1960؛

● الجراح، خديجة (أم عصام)، إليك، دار الأجيال، دمشق، 1970؛ ● الجراح، خديجة (أم عصام)، عندما يغدو المطر ثلجاً، مطبوعات دار مجلة الثقافة في دمشق، 1980؛ ● د. ضويحي، هيام، الرواية النسائية في سورية 1946 ـ 1985، دراسة مشهدية نقدية، مطبعة العجلوني، دمشق 1992؛ ● د. حمود، ماجدة، الخطاب القصصي النسوي، نماذج من سورية. دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق 2001.

د. عبد الله أبو هيف
جامعة تشرين ـ اللاذقية ـ سوريا

جرادة، محمد سعيد

(1346هـ/1927م ـ 1412هـ/1991م)

يقع شعر الشاعر محمد سعيد جرادة في منزلة بين منزلتين، يأتي في أولاهما شعر الشاعر محمد محمود الزبيري، ويأتي في ثانيهما شعر الشاعر محمد عبده غانم. ففي من خصائص شعر الأوّل همّه الوطني وانشغاله بقضاياه، وفيه ملامح من طرائق صياغته الشعر من جهة البناء واستخدام اللغة، لكنه ينزاح عنه من حيث تعدد أصوات الشعر فيه فتجد البعد الوطني يلتقي فيه مع أبعاد أخرى، منها القومي ومنها الإنساني ومنها الذاتي المحض.

وإن فيه من الشعر الثاني نفحات تتمثّل في طرائق الخروج على عروض الخليل ـ وإن جاء محدودا ـ، ومحاولة تطوير بناء الموشحة كما أثرت عند الأندلسيين وأن قلّت أثرًا. ويلتقي معه في الانغمار في مشكلات الذات، والتأمّل في قضايا المجتمع من منظور أخلاقي يمنح الذات الشاعرة حدًا من الحرية تمكّنها من الرؤية والتصوّر والتعبير، لكنه يتقاصر عنه من حيث إيغاله في تحرير بناء القصيدة عروضيا من أسر القديم وتشكيله على أنحاء غير مألوفة من قبل.

أثر هذا التداخل بين نمطين من الشعر متقابلين على شعر الجرادة فجاء بنية منغلقة لم تتدنّ عن شعر سابقيه ولم تتجاوز شعر لاحقيه، فقلّ لذلك أثره في الآخرين، وبدأ في جملته: «كلحم أسخن، لا هو أنضج فأكل، ولا ترك نيئًا فينتفع» كما قال ابن حذار الأسدي في وصف شعر الزبرقان بن بدر: وما ذاك إلا لأنه لم يعن بصنعته، ولم يعدّ له عدته التي ترقى به إلى الدرجات العلى، وتمكّنه من القدرة على الحياة في الأفئدة زمنا طويلاً لا يحصى عدد سنين.

ولد الشاعر محمد سعيد جرادة في مدينة الشيخ عثمان بعدن عام 1927م. وعاش في كنف والده الذي اعتنى بأوّليات تحصيله المعرفي حيث أوكل تدريسه إلى شيخين

كبيرين أحدهما الشيخ سالم الكدادي البيحاني والد الشيخ المعروف محمد بن سالم البيحاني، والشيخ الثاني هو الشيخ أحمد أبو حربة، وكلا الشيخين من حضرموت، وكانا يتناوبان تعليمه القرآن الكريم. توفّي والده وهو في سنّ التاسعة لكنه لم يفقد معاشه ومعاش والدته وأخواته حيث خلف لهم الأب عددًا من البيوت يدر إيجارها عليهم رزقا كفاهم مؤونة الشقاء في طلب الرزق، فتولع بالقراءة، ثم وجد في فضيلة الشيخ أحمد العبادي معينًا له في تعلم العربية وأصولها، ومرشدًا في تقويم قصائده حتّى استقام له كيان الشعر. عمل الجرادة بالتدريس مدة طويلة من الزمن ثم عمل موجها فنيا فمديرا للتوثيق التربوي، وكان آخر وظائفه مستشارًا ثقافيًا في سفارة اليمن بأثيوبيا، أسهم جرادة في عدد من النشاطات الثقافية والاجتماعية فكان من مؤسّسي نادي الشباب الثقافي بالشيخ عثمان، وعضو حلقة الملاح التائه، ومن مؤسّسة اتّحاد الأدباء والكتاب اليمنيين. منح وسام الدولة للآداب والفنون.

وفي 22/ 1/ 1991 انتقل إلى رحمة ربه.

في شعر جرادة تجارب شتّى تتراسل، وأصوات متنوّعة تتداخل، فقصائده ذات البعد الوطني تتراسل مع قصائده ذات البعد القومي، وهما بعدان شعريان يتراسلان من حيث سمة الثورية مع شعره المنظوم في الحديث عن بعض الثورات التحريرية في العالم. وهذه القصائد المتراسلة الأبعاد تتداخل مع قصائد ذات بعد عاطفي أو ذات منزع اجتماعي، وما إلى ذلك على أنّها جميعها تتّخذ المناسبة إطارًا ينتظم فيه القول، فيقوم على حادثة استدعت الرغبة في النظم واستثارتها. فهذه قصيدة نظمت في ليبيا، لأنّ الرئيس جمال عبد الناصر ناداها في خطاب من خطبه، وهذه قصيدة قيلت في توديع صديقه، وتلك بمناسبة انعقاد مؤتمر خمَر عام 1965م، وأخرى قيلت عندما ألحقت عدن بحكومة الاتحاد، وغيرها من أمثالها استقبل بها أحد الشعراء قدم من صنعاء، ولم تخل مناسبة مولد ولده هاني من قصيدة يناجيه فيها.. إلى آخر ما هنالك من ذلك.

فما من مناسبة تُثير في الشاعر خافقًا إلّا وكان الشعر طوع لسانه وعقله فيصوغ فيها الأبيات ويدبج فيها قصائد. ولعلّه لذلك غدت بعض عناوين قصائده علامات تاريخية فتجد مثلاً (22 يونيو/ الاثنين 28 سبتمبر 1971/ 20 مارس الجديد/ من وحي 48م/ 30 نوفمبر/ 13 يناير..).. إلى آخر ذلك. وعندي أن العلة في كون شعر جرادة مناسبات أنه لم يكن ملتزما لحزب أو جماعة. وهو يرغب في الحديث عن الوطن ومشكلاته، فعجز عن أن يكون محفليا كما هو حال الشاعر الملتزم بإطار تتخلق في أعماقه هواجس الشعر وخواطره وأفكاره دون حاجة إلى مثير، فلم يعد له إلا اقتناص المناسبة ينظم فيها ما يراه ملائمًا، ويزيد من وصفه بأنه شاعر الوطن وقضاياه. ولعلّه لذلك كثرت قصائد المناسبات في شعره من مختلف الألوان والأشكال والطعوم، فكان منها الوطنيّ والإخوانيّ والقوميّ وما شابه ذلك وناظره. وقليلة هي القصائد التي عدلت عن ذلك النسق. أضف إلى ذلك أن قصائد المناسبات هذه قد جاءت غير محدّدة المعالم، يوشك أن يكون الدافع

إليها مجرّد انفعال بالواقعة دون تغلغل في أعماقها وتأمل أبعادها. ولقد جنى اعتناء الشاعر بالمناسبة باعثًا على القول على حركية شعره في وجدان المتلقي، وتواصلها مع الحياة وذلك بسبب من أنّ حركة التاريخ في المجتمع اليمني قد تجاوزت كثيرا من مواقف الشاعر وآرائه، في تلك القضايا. وإن من الآثار السلبية لاقتصار الشعر على المناسبة أن غدت رؤيته للحياة مفتتة متفرقة مبعثرة، فأنت لا تستطيع أن تحدد له رؤية متكاملة سياسية أو وطنية وإنّما هي خطرات ونظرات، أشتات وصور متفرّقات، وإن كانت جميعا نتاج هوية إبداعية واحدة، لكنك على الرغم من القول السالف لن تخطىء ما يتّسم به شعره الوطني من حماسة صادقة وإن جاء المتأخر منه مشايعا رغبات الحاكم وممالئا له. ومن هنا يمتاز قوله في أربعينات القرن الماضي أو خمسيناته:

أرضي وفيها طعنةٌ مسمومة
تُدمي فؤادَ الشاعر المتألّمِ
أرضي أيجنى شهدها مستعمر
وأنا أذوق بها كؤوس العلقمِ
فيها القراصنة اللئام صَلاتهم
بشريعة الغابات لم تتصرّمِ
حمْر الوجوه مشوّهون كأنما
نبتتْ جسومُهم بأرض جهنّم

من قوله في السبعينات من ذلك القرن:

لقد جَبَّ يونيو بتيّاره
رواسبِ مارس ومن رسبوا
أعاد إلى الأرض أصحابَها
وشلَّ الأيادي التي تنهبُ
وأمّم أملاكَ من يسرقون
جهودَ الشعوب ولم يتْعبوا
وأسكن من ينزلون العَراء
دورًا وكرّم من غربوا...

وجرادة يترسم في شعره خطى المتقدمين من شعراء العربية حتّى ليقع على طرائق لهم في رسم الصورة انعدم سالكوها في العصر الحديث، من ذلك مثلاً استخدام الاستدارة التنبيهية في قوله:

ما مُغرم بالراح عاقرَ عمره
كاساتِها قد أترعت إتراعا
غنى بها لونًا كخدّ جميلة
كشفتْ عن الوجه الوضيء قناعا
وشدا بنشوتها تحوُّل ليله
صبْحًا يغيض من الكؤوس شعاعا
بأشدَّ منّي فرحة بهدية
جسّدتَ فيها الفن والإبداعا

وهنا يقيم النص مشابهة بين فرحة المتكلّم بهدية تصله من صديق وفرحة شارب الخمر قد انقطع عنها حين أظلّه رمضان فأقلع حتّى جاءه عيد الفطر بالبشرى ففرح بمعاقرتها ثانية. ومن الطرافة أن المشبه هنا غدا مشبهًا به، ويؤكد التشبيه بزوال أداته، وإن جاءت الصفة في اسم الفاعل نقطة يتلاقى عندها طرفا التشبيه.

ولجرادة في شعره خصيصةٌ، وهي أنه ينظم الفكرة فيرتّب أجزاءها فتجيء الأبيات ملتحمة متدفّقة لأنها نتاج عقل يفكر ويربط الأشباه

بالنظائر. فخلا نصّه من الانفجار الوجداني والفوضى الداخلية التي يصوغ الشاعر العبقريّ منها وحدة عضوية لقصيدته تنأى بها عن هذا التنظيم العقلاني للفكرة. قال:

ثم ماذا حملتَ يا قايمًا افـ
ضى إلينا من المدينة يسعَى
خَبر النفط؟ قُل وأسهِب فإنا
نستعيدُ الحديثَ وترًا وشفعا
أي نهر من حقلِ شرمة قد فا
ضَ ما تنشر النبوّة شرعا
علم الله ما قررنا به عيـ
ـنا لأنّا نريد ريًّا وشبعا
فاليَمانون جرّبوا الدهر ألوا
نًا وذاقوا الحياة خفضًا ورفعًا

وهكذا يمضي الشاعر في عرض فكرته جزءًا جزءًا حتّى يكتمل أداؤها ويتّضح مغزاها، (وما هكذا يا سعد تورد الإبل)، ولكن للشعراء مذاهب في القول تغدو مع الأيام خصائص أسلوب وطرائق أداة. ولعلّه لسبب من هذا حكم أحد الدارسين على شعر جرادة بأنه «يوشك أن يكون مجرّد تسجيل منغّم لخبر من الأخبار نستمع إليه في الإذاعة أو نقرؤه في الصحف وما نلبث أن نعبّره بآذاننا أو بعيوننا». وللشعر حال غير هذا الحال وهيئة قولية تخالف ما سلف وصفه. أفتراه لهذا انقطع تفاعل الآخرين مع شعر الجرادة، وغدا «كلحم أسخن، لا هو أنضج فأكل، ولا ترك نيئًا فينتفع به»، هذا أمر يجوز، لكن من الصواب أنه في ذاته صورة شعرية تمثل تجربة مبدع في تعامله مع اللغة وطرائق تشكلها وخصائص أدائها، ورؤيته للحياة وموقفه منها، وكفى بهذا حافزا على درسه والتأمل فيه.

آثاره

أ- دواوينه:

1 ـ مشاغل الدرب؛ 2 ـ لليمن حبي؛
3 ـ وجه صنعاء؛ 4 ـ أرض الشعر؛
5 ـ فردوس القرآن؛ 6 ـ حي البردة.

وقد جمعت هذه الأعمال الستة في مجلّد واحد بعنوان «الأعمال الكاملة الجزء الأوّل»، ولم يصدر له ـ من بعد ـ سواها.

ب- كتبه النثرية:

1 ـ الثقافة والأدب في اليمن عبر العصور، الجزء الأوّل؛ 2 ـ الثقافة والأدب في اليمن عبر العصور، الجزء الثاني.

وله تحت الطبع: أعلام من الأدب العربي.

المصادر والمراجع

● إسماعيل، عز الدين، الشعر المعاصر في اليمن؛ ● البردوني، عبد الله، رحلة في الشعر اليمني؛ ● المقالح، عبد العزيز، الأبعاد الموضوعية والفنّية لحركة الشعر المعاصر في اليمن؛ ● ناجي هلال، شعراء اليمن المعاصرون؛ ● محمد سعيد جرادة عاشق الناس والحياة، لعدد من الكتاب اليمنيين.

د. عبد الله حسين البار
المكلا ـ حضرموت ـ اليمن

الجِزافي، أحمد بن محمد بن أحمد

(1280 هـ/1864م ـ 1316هـ/1899م)

هو القاضي العلّامة المؤرّخ، الخطيب الواعظ، أحمد بن محمد بن أحمد الجِزافي. ولد ونشأ في صنعاء، ثمّ اخترمته المنيّة قبل الأوان، فقد حوّم عليه الأجل وهو في السّادسة والثّلاثين من عمره، وقبل استكمال تاريخ حوادث عصره، الّذي شرع فيه مؤرّخا لعشر سنوات توفّي في آخرها بعد أن قام بعمل آخر له علاقة بكتاب صاحب «نفحات العنبر» المؤرّخ إبراهيم الحوثي (ت 1223هـ/ 1808م)، وأبحاث ورسائل كثيرة في مواضيع أخرى سنأتي على ذكرها.

كان منذ حداثته نابها، صرف همّته العالية للتّحصيل في مختلف فروع العلم والمعرفة الشّائعة في عصره، متنقّلا بين علماء صنعاء المشهورين، حتّى «فاق أقرانه، وحقّق النّحو والصّرف والمعاني والبيان، والفروع والأصول، وبرع في الحديث والعربيّة، واعتنى بحفظ طرق الإسناد والرّواية، وجمع إجازاته وإجازات مشايخه ومشايخهم، وأصلح وصحّح ونقّح، وانقطع إلى الدّرس والتّدريس والتّصنيف، وجمع نفائس الكتب النّافعة، وقصر نفسه على الإفادة للطّالبين، ولم يدنّس منصب العلم الرّفيع بمخاطبة الدّولة التّركيّة (بالعمل في إدارتها). وكان شيخه رئيس علماء اليمن السيد أحمد بن محمد الكبسي يأمره في آخر أعوامه بالجوابات عن الأسئلة الّتي ترد عليه، فيجيب عنها بأبلغ الأجوبة المطوّلة المربوطة بالأدلّة القاطعة من الكتاب والسنّة بغاية الإتقان وأوضح حجّة وبيان برهان...».

لقد كان العلّامة الجِزافي فقيها محدّثا، كما كان خطيبا مفوّها تقيا قبل أن يكون مؤرّخا، وقد ذكر له المؤرّخ زبارة عددًا من الرّسائل والمباحث في الفقه واللّغة والردّ على الصّوفيّة، بل شرع في وضع مؤلّف كبير في «التّرغيب والتّرهيب سلك فيه مسلك الحافظ المنذري في التّبويب ونحوه وزاد فيه زيادات كثيرة مفيدة، ولو وجد من أكابر العلماء بعده من يكمله على ذلك الأسلوب البديع لعمّ الانتفاع به جدا، وهو من أنفع الكتب اليمنيّة المبرهنة لعموم الطّوائف الإسلاميّة بأنّ ما في كتب الزّيديّة باليمن هي ما في الأمّهات السّتّ والمسندات الشّهيرة من الأحاديث النّبويّة...».

إنّنا في الواقع لا نعرف أماكن معظم تلك الرّسائل والكتابات، ولعلّ هذا ما جعل الباحث الحبشي يضطرّ إلى أن يحيل المجهول منها ـ وهو كثير ـ إلى المؤرّخ زبارة. واللّافت للنّظر أنّ إحدى تلك الرّسائل (الموجودة) قد عالج فيها العلّامة الجِزافي موضوعا لا زال مثارا حتّى اليوم، ذلك هو التّسبيح أو الأذان الّذي يردّد قبل أذان صلاة الفجر وليس له أساس في السنّة النّبويّة، وعنوان تلك الرّسالة «النّصح النّافع في التّأذين عند طلوع الفجر

السّاطع» وقد لخّص لنا المؤرّخ زبارة بواعث تلك الرّسالة، واستجابة العلماء لها، وأثرها ذاكرا: «ولمّا عظمت البلوى على المؤمنين بتأذين بعض المؤذّنين المتغافلين أذان الفجر بصنعاء قبيل الوقت الشّرعي، وطالت مدّة تلك المحنة، قام صاحب التّرجمة لنهي (المنكر) وقعد وحرّر رسالته «النّصح النّافع» وقد استوعب فيها معظم كلام أهل التّفسير وأقوال جماعة من الصّحابة والتابعين، وأئمّة أهل البيت، وأهل المذاهب الأربعة وقرّر المسألة أبلغ تقرير، وقد قرظ رسالته جماعة من العلماء . . .» وقد يردّد البعض هنا اليوم: ما أشبه اللّيلة بالبارحة !.

لقد كان من شيوخ الجِرافي العالمان المؤرّخان الكبسي والآنسي وكان ابن الآنسي الحافظ العالم والأديب الشّاعر محمد بن عبد الملك الآنسي (ت 1316هـ/ 1899م) تربه وزميله، متأثّرا به غير أنّ تأثّره الأكبر كان بشيخه العالم الحافظ المفسّر عبد الكريم بن عبد اللّه أبي طالب الروضي (ت 1309هـ 1891م) الّذي عرف بغزارة العلم وكثرة التّصنيف مع الزّهد والورع، والتّفرّغ في جامع الرّوضة للعلم والتّدريس حتّى توفي عن خمس وثمانين سنة ودفن بجوار مئذنة الجامع.

وفي اليوم الّذي مات فيه أحد شيوخه العلاّمة زيد بن أحمد الكبسي في 9 رجب سنة 1316هـ/ 22 نوفمبر 1898م كان مؤرّخنا الشّاب هو إمام الحاضرين للصّلاة عليه في جامع صنعاء الكبير «ثمّ خرج لدفنه فأدركه الفتور عن المرور مع الجنازة فعاد ممّا حول مسجد وهب بن منبّه خارج السّور إلى بيته وبقي مريضا فيه عشرة أيّام كاملة، ومات ضحوة يوم السّبت عشرين رجب سنة 1316هـ/ 3 ديسمبر 1898م وكانت الصّلاة عليه عقب صلاة الظّهر بجامع صنعاء وقد حضر تشييع جنازته ودفنه الجموع من المؤمنين وحزن الخاصّ والعامّ. . .».

حين عاد مؤرّخنا الجِرافي إلى داره أضاف إلى حوليّاته آخر ما كتب مسجّلا وفاة شيخه الكبسي ـ بتركيز واضح ولغة سهلة متينة تدلّ على أسلوبه ـ وذلك على النحو التّالي:

«وفي ليلة الثّلوث تاسع شهر رجب سنة 1316 توفّي شيخنا السيد العلاّمة ضياء الدين زيد بن أحمد بن زيد الكبسي رحمه اللّه، وقبر عقب الشّروق يوم الثّلوث بالقرب من الماجل، وصلّى عليه في الجامع المقدّس بعد مرض طائل. وكان رحمه اللّه تعالى من خيار النّاس علما وعفافة وصدقا ودينا، درّس كثيرا واستعمل بأمور الدّولة والوقف أيّاما. قرأت عليه ثلثا في شرح الأزهار والناظري في الفرائض، بلغ من العمر خمسا وخمسين سنة، وكانت ولادته كما أخبرني شفها سنة 1216. رحمه اللّه تعالى وتغشّاه بواسع الرّحمة، ولم يخلف من الذّرّية سوى بنت وبيته ملآن من النّساء وغيرهنّ واللّه لهنّ» [الحوليّات، ص 186].

■ آثاره

كان العلاّمة أبو طالب قد قام باختصار كتاب المؤرّخ الحوثي «نفحات العنبر» وسمّاه: «طيب السّمر من نفحات العنبر» فقام الجِرافي بوضع مختصر لطيب السّمر: «اطّلعت عليه في

مكتبة حفيده العلّامة القاضي محمد بن أحمد بن محمد الجِرافي، وهو في مجلّد نفيس يضمّ عشرات من تراجم أعيان علماء وأدباء اليمن في القرن الثّاني عشر، بالإضافة إلى بعض رسائله»؛ فكان هذا ـ فيما يظهر ـ بداية اهتمامه أو بالأصحّ بداية مزاولته صنعة التّاريخ، وبعد وفاة شيخه كتب «ترجمة حياته» الّتي اطّلع عليها المؤرّخ زبارة ونقل منها نقولا كثيرة. لكنّ الأهمّ من ذلك أنّه كان قد شرع من مطلع عام 1307هـ/ 1889م في تسجيل حوليّات سنويّة وتقييدها، حوت من حوادث الولاة الأتراك وأخبارهم ومعارك الاقتتال وغير ذلك من الأحداث والتّراجم المفيدة الّتي لا نعرف الكثير منها إلّا منه وقد حقّقها ونشرها الكاتب بعنوان «حوليّات العلامة الجِرافي» [دار الفكر المعاصر، بيروت؛ دارالفكر، دمشق، 1412هـ/ 1992م].

المصادر والمراجع

● زبارة، أئمّة اليمن في القرن الرّابع عشر، القاهرة، 1376هـ، 2/ 280 ـ 289؛ ● زبارة، نزهة النّظر، مركز الدّراسات، صنعاء، 1979م، 1/ 140؛ ● د. حسين العمري، المؤرّخون اليمنيّون في العصر الحديث، ص 100 ـ 105؛ ● مقدّمة تحقيق حوليّات العلّامة الجِرافي، ص 118، 203 منها؛ ● القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر، دمشق، 1996 م، ص 365.

أ. د. حسين عبد الله العمري
سفير وباحث في التراث اليمني
صنعاء ـ اليمن

الجِرافي، عبد الله بن عبد الكريم بن محمد

(1319هـ/ 1901م ـ 1397هـ/ 1977م)

هو ابن أخي المؤرّخ العلّامة أحمد بن أحمد الجِرافي، ولد ونشأ ومات بصنعاء حيث تتلمذ على كبار مشائخها وحفّاظها، فحفظ القرآن الكريم وجوّده، درس علوم العربيّة والفقه والأصول والحديث على جماعة من أعلام العصر، منهم: العلّامة حسين بن محمد أبو طالب، والعلّامة عبد الخالق بن حسين الأمير، والقاضي العلّامة عبد الله بن محمد السّرحي، والقاضي العلّامة علي بن حسين المغربي، والعلّامة أحمد بن علي الكحلاني، والقاضي العلّامة علي بن علي اليدومي اليماني وغيرهم، إلّا أنّه لازم والتصق منذ عام 1343هـ/ 1924م بأستاذه شيخ الإسلام القاضي العلّامة الحسين بن علي العمري حتّى وفاته سنة 1361هـ/ 1942م فأخذ عنه الكثير الطّيّب كالأمّهات السّتّ في علم الحديث وغيرها وأجازه في كلّ علومه ومقروءاته، وعنه ألّف كتابه «تحفة الإخوان

بحلية علّامة الزّمان . . .» بالقاهرة، (1365هـ) ونسخ بخطّه جملة ثمينة من الكتب اليمنيّة النّادرة في التّاريخ والمعارف العامّة، وقد التحق بوزارة المعارف وتدرّج في أعمالها لكنّه لم يدع التّدريس لعلوم العربيّة وآدابها. في جامع صنعاء الكبير وفي حلقة شيخه العمري.

وفي عام 1356هـ/ 1937م أسّست في صنعاء أوّل لجنة رباعيّة للتّاريخ اليمني برئاسة المؤرّخ محمد زبارة (ت 1380هـ/ 1960م) ألحقت بوزارة المعارف وكان الجِرافي أحد أعضائها. كما كان أحد كتّاب «مجلّة الحكمة اليمانيّة» الّتي أصدرتها وزارة المعارف أيضا عام 1938م ورأسها الأديب أحمد بن عبد الوهاب الوريث (ت 1359هـ/ 1940م) ثمّ زميله الأديب المؤرّخ أحمد بن أحمد المطاع (ت 1367هـ/ 1948م) حتّى توقّفت عن الصّدور عام 1941م.

«والجِرافي بكسر الجيم وبالفاء، نسبة إلى بلاد الجراف بحاشد (شمال صنعاء)، ولعلّ انتقال الأجداد إلى بلاد إب كان في القرن الحادي عشر الهجري، ومن إب انتقل الجدّ علي بن حسين الجِرافي في آخر القرن الثّاني عشر إلى صنعاء بطلب من الإمام المهدي عباس بن المنصور (ت 1189هـ/ 1775م) ولا يزال بقيّة من الأسرة في بلاد إب».

■ آثاره

في عام 1366هـ/ 1947م انتدبته وزارة المعارف إلى مصر للإشراف على طباعة عدد من كتب التّراث اليمني صدر منها بمراجعته: «البحر الزخار» للمهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت 840هـ/ 1437م)، و«فتح الغفار» للرّباعي (ت 1276هـ/ 1859م)، وجزء من «شمس العلوم» لنشوان بن سعيد الحميري (ت 574هـ/ 1178م)، وديوان الشاعر الحميني عبد الرّحمان الآنسي (ت 1250هـ/ 1834م) وغيرها. وفي نفس الوقت طبع كتابه المختصر والمحكم: «المقتطف من تاريخ اليمن»، القاهرة 1955م، وعددا من الرّسائل الّتي كان قد جمعها بعنوان «ذخائر علماء اليمن»، كما شارك بالكتابة في مجلّة التّقريب بين المذاهب الّتي كانت تصدر في القاهرة حينذاك.

وخلال السّنوات القليلة الّتي أمضاها في مصر رافق العالمين اليمنيّين (أعضاء المفوّضيّة اليمنيّة) علي المؤيّد، وإسماعيل بن أحمد الجِرافي ومعهما تعرّف إلى عدد كبير من علماء الأزهر ورجال الفكر والأدب، كما تيسّر له التّردّد على دار الكتب المصريّة، ومجمّع اللّغة العربيّة، ووزارة المعارف المصريّة وغيرها فاستفاد من ذلك كثيرا فيما حقّقه ونشره.

ولعلّ آخر إسهاماته هو مراجعة وتحرير كتاب المؤرّخ زبارة «نزهة النّظر في رجال القرن الرّابع عشر» الّذي استكمل فيه عددا من التّراجم النّاقصة بعد وفاة المؤلّف بالتّعاون مع ابنه العلّامة المعمَّر أحمد بن محمد زبارة مفتي الجمهوريّة (ت 1421هـ/ 2000م). وصدر في مجلّد كبير (651 صفحة) عن مركز الدّراسات والأبحاث اليمنيّة (صنعاء، 1979م) بعد عامين على وفاته، وفيه ترجم لنفسه ترجمة مبتسرة محدودة الفائدة لم تتجاوز الصّفحتين، نصفها لشيوخه والنّصف الآخر منظومة بإجازته من شيخه العلّامة القاضي يحيى بن محمد الأرياني سنة 1351هـ/ 1930م.

المصادر والمراجع

- زبارة، نزهة النّظر، مركز الدّراسات، صنعاء، 1979م، ص 380 ـ 381؛
- الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تح. القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، الكويت، 1984م، 1/ 183؛
- القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر، دمشق، 1996م، ص 368.

د. حسين عبد الله العمري
سفير وباحث في التراث اليمني
صنعاء ـ اليمن

جران العوْد، عامر بن الحارث

(ت 68هـ/687م)

هو عامر بن الحارث بن كلفة أو كَلَدَة، من بني ضبة بن نُمير بن عامر بن صعصعة، قيل اسمه المتنورد، اشتُهِرَ بلقبه جِران العَوْد، وقد اتّخذه لنفسه، وذكره في شعره غير مرّة، ومرجعه إلى ما لقيه من زوجتيه من معاملة سيّئة، ممّا اضطرّه إلى تهديدهما بسوط اصطنعه لنفسه من جران العود، والعَوْد هو الجمل المسن، والجران مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره، يقول:

عَمدتُ إلى عَوْدٍ لحيثُ جِرانُه
ولَلْكَيْسُ امضى في الأمور وانجحُ

خذا حذرًا يا خُلَّتيَّ فإنّني
رأيتُ جِرَانَ العود قد كان يصلُحُ

أخباره نادرة، وقد اختلف في تحديد العصر الذي عاش فيه، ومن المرجح أن يكون قد ولد مع ظهور الإسلام، أو ولد في الجاهلية ثم أدرك الإسلام فأسلم، ثمّ كانت وفاته في العصر الأموي، نحو عام 68هـ/ 687م، إذ يذكر في شعره تقدّمه في العمر، ويؤكّد ذلك الروح الإسلامية السائدة في شعره، فهو يذكر الصلاة والحشر والتسبيح، كما يذكر بعض المعاني المستوحاة من القرآن الكريم، وقد ذكر المدينة، وكان اسمها في الجاهلية يثرب، ولعلّه أقام فيها، فقال:

وكان فؤادي قد صحا ثم هاجني
حمائمُ وُرْقٌ بالمدينة هُتَّفُ

وتزوّج امرأتين، أولاهما «رُزينة» والأخرى «أم حازم»، ولكن لم يطب له العيش معهما، يقول:

ألاقي الخنا والبَرْحَ من أم حازم
وما كنت ألقى من رزينة أبرحُ

لقد كان لي عن ضرتين ـ عَدِمْتُني ـ
وعما الاقي منهما مُتَزَحْزَحُ

هما الغول والسعلاة، حلقي منهما
مُخَدَّشٌ ما بين التراقي مجرَّحُ

وكانت إحداهما تضربه بالعصا، وتطارده حتّى يغمى عليه، يقول:

تداورني في البيت حتّى تكبُّني
وعيني من نحو الهراوة تلمحُ

وقد علّمتني الوقذ ثم تجرّني
إلى الماء مغشيًا عليَّ أُرَنّحُ

وكانت الأخرى قبيحة تصطنع المرض، ولا تمشط شعرها، ناحلة، ساقها مثل النعامة، ما تفتأ تشتمه وتضربه بالحجارة، يقول:

تصبِّر عينيها وتعصب راسها
وتغدو غدوَّ الذئب والبوم يصدحُ

ترى راسها في كل مبدى ومحضر
شعاليلَ لم يمشط ولا هو يُسَرَّحُ

لها مثل أظفار العُقاب ومَنْسِم
أزجُّ كظنبوبِ النعامة أرْوَحُ

أجلّي لها عمّا بعيد وأتّقي
حجارتها حقًّا ولا أتمَزَّحُ

ولذلك لجأ إلى جران العود فجعل منه سوطًا، ويبدو أنه كان يلوّح به ويهدّد، ولم يكن يستخدمه، ولعلّه كان يبالغ نوعًا ما ويمزح، وإن نفى عن نفسه المزاح.

وكان كلفًا بالمرأة، خبيرا بها، وهو يؤكّد أنّ النساء لسن سواء، ففيهنّ من هي مثل روضة باكرها الندى فهي لا تتغيّر، وفيهنّ من هي مثل قيد من جلد قذر مملوء بالقمل من الصعب الفكاك منه، يقول:

ولسن بأسواء فمنهن روضة
تهيج الرياضُ غيرَها، لا تَصَوَّحُ

ومنهن غُلٌّ مُقْمِلٌ لا يفُكُّه
من القوم إلّا الشحشحانُ الصرنقحُ

ويبدو على قدر غير قليل من الغرور، فقد صوّر المرأة تطربه، فتذكّر أنه معروف في القبيلة، وشعره قوي يتلقّفه الناس، وهو جواد كريم يبذل المال، ثمّ إنّها تحدّد له مكان لقائها وزمانه، يقول على لسان إحداهنّ:

حُمِدْتَ لنا حتّى تمناكَ بعضُنا
وأنت امرؤ يعروك حمدٌ فتُعْرَفُ

رفيعُ العُلا في كل شرق ومغرب
وقولك ذاك الآبدُ المتلقَّفُ

ونُلقى كأنّا مغنمٌ قد حويتَه
وترغبُ عن جزل العطاء وتُسرِفُ

فموعدُك الشطُّ الذي بين أهلنا
وأهلِكَ حتّى تسمَعَ الديكَ يهتفُ

ويذكر عهد الصبا وما كان له من مغامرات يلتقي فيها الحسان، فيحملنه إلى مكان مرتفع، ليستمع بأحاديثهنّ، وندى الليل يهمي عليهم، ويظلّ معهن على هذه الحال حتّى يُؤذّن لصلاة الفجر، يقول:

حملن جران العود حتّى وضَعْنه
بعلياء في أرجائها الجنُّ تعزفُ

فبتنا قعودًا والقلوب كأنّها
قطًا شُرَّعُ الأشراكِ ممّا تَخَوَّفُ

علينا الندى طورًا وطورًا يرشّنا
رذاذٌ سرى من آخر الليل أوطَفُ

ينازعننا لذًا رخيمًا كأنّه
عوائرُ من قطر حداهنَّ صيِّفُ

وأدركن أعجازًا من الليل بعدما
أقام الصلاةَ العابدُ المُتحنِّفُ

وما أُبْنَ حتّى قلن: يا ليت أنّنا
ترابٌ وليت الأرض بالناس تُخْسَفُ

ويبدو خبيرًا بمشاعر المرأة عارفًا بالمداخل إلى قلبها، فهو يرى أنّ الرجل الجلف البدين الثقيل لا تهيم به الحسان، ولكنهن يهمن بمن كان رقيقًا لطيفًا خميص البطن، يقول:

ولن يستهيم الخُرَّدَ البيض كالدمى
هِدَانٌ ولا هلباجَةُ الليلِ مُقْرِفُ

ولكن رفيقٌ بالصِّبا مُتَبَطْرِقٌ
خفيفٌ نفيفٌ سابغ الذيلِ أهْيَفُ

ولعلّه في وصفه الرجل الذي يستهوي المرأة يعني نفسه، ممّا يدلّ على أنّه كان أهيف ناحلاً خفيف الظل رشيقًا غزلاً يستهوي النساء.

وظلّ على كلفه بالنساء إلى آخر عمره، وهو لا يتردّد في ذكر حبّه لامرأة تدعى «حميدة» مؤكّدا ما كان بينهما من لقاء، يقول:

لولا «حُمَيْدَة» ما هام الفُؤادُ ولا
رجَيْتُ وصلَ الغواني آخر العُمُرِ

أحببته فوق ما ظنّ العُداةُ بنا
حبَّ العلاقة لا حبًا على الخَبَرِ

وقد عمر حتّى أسنّ، وأصبح قعيد البيت، وابيضّت عيناه، وغدا عبئًا على أولاده، ولم يلق منهم الرعاية، ورد ذلك إلى زوجاته اللواتي ضقن به ذرعًا، ولا سيّما عندما أوصى أولاده بالضرائر، يقول:

وأصبحتُ قد جمّحتُ في كِسْرِ بيتِكم
كما جمّحَ الضبعانُ بين السخابرِ

بعينين ملحاوين أخنى عليهما
مرورُ الليالي كابرًا بعد كابرِ

أطعتُم بني الكنات حتّى رمين بي
على خَفَضٍ مستمسكًا بالمشاجرِ

وقلن أبوكم شِقْوَةٌ لحقت بكم
كذبن، ولكن هنّ إحدى النظائرِ

ولكن سمعن الشيخ قد قال قولة:
عليكم إذا ما ربْتكم بالضرائرِ

ويبدو أنّه لم يتّعظ من عيشه البائس بين ضرّتين، فنصح لأولاده بالضرائر.

وليس في شعر جران العود مديح ولا هجاء، ومعظمه يدور حول حياته مع زوجتيه ومغامراته وتقدّمه في العمر، ممّا يعني أنّ شعره كان ذاتيا، يعبّر فيه عن وجدانه. وتميل القصيدة عنده إلى الطول، وتكاد تستقلّ بموضوعها، فلا تتعدّد فيها الأغراض، ونادرًا ما يستهلها بذكر الأطلال. وأجمل شعره ما قاله في زوجتيه وفي مغامراته، ويمثّل النوع الأول قصيدته الحائية وتقع في ثمانية وأربعين بيتًا من الطويل، ولا تخلو من مرح ودعابة مرة، ويمثّل النوع الثاني قصيدته الفائية وتقع في ثمانية وسبعين بيتًا من الطويل، وتمتاز بالرقة والعذوبة، وفيها يذكر لقاءه بالصبايا، ويغلب عليها أسلوب القص، وقد كتبها بأخرة من حياته، ولا تخلو من مبالغة في الإعجاب بالذات والإسراف في تصوير إعجاب النساء به، ولعلّها تعويض عن بؤس عيشه مع زوجتيه، أو استرجاع حلم جميل لأيام الشباب المولي.

وتشبهها قصيدة لعمر بن أبي ربيعة (23هـ/ 643م ـ 93هـ/ 711م) يحكي فيها عن زيارته

لإحدى صويحباته ليلاً وخروجه بها إلى ظاهر الحي وتمضيته الليل معها يتبادلان أطراف الحديث، ومطلع قصيدته:

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ
غداة غد أم رائح فمُهَجِّرُ

ويغلب على القصيدتين أسلوب القص، وفيهما تظهر المرأة مدلّهة بالرجل، كما يظهر الرجل مغرورًا، تعشقه النساء. وقصيدة جران أكثر عناية بالتفاصيل وأكثر قدرة على تصوير المشاعر ولا تخلو من رقّة ولطف على الرغم من صعوبة الألفاظ، ولا تختلف عنها قصيدة عمر إلا في سهولة ألفاظها، ولا يستبعد تأثره بجران العود.

ولجران العود كثير من المعاني الجميلة الدالّة على ذوق رفيع وحسّ مرهف، منها تمنّيه أن يكون مع من يحب في أرض قفراء ثمّ يحملهما العقاب إلى نجم بعيد، يقول:

ألا ليتنا من غير شيء يصيبنا
بتهلك لا عين تحسّ ولا ذِكْرُ

بعيدًا عن الواشين أن يمحلوا بنا
وراء الثريا والسِّماك لنا سِتْرُ

ألا ليتنا طارت عقاب بنا معًا
لها سببٌ عند المجرة أو وكْرُ

وقد تعاور الشعراء العذريون من بعده مثل هذا المعنى، ومنهم كثير عزة (40هـ/ 660م - 105هـ/ 723م) يقول:

ألا ليتنا يا عزُّ كنا لذي غنى
بعيرين نرعى في الخلاء ونعزُبُ

ويلاحظ عنايته بالنجوم، وكثرة ذكرها في شعره، وحسن تشبيهه لها، ومن ذلك قوله:

فقد كانت الجوزاء وهنًا كأنّها
ظباء أمام الذئب طرَّدها النُّفْرُ

فلما السَّمْت والركاب متاحة
إذ الأرض منها بعد لَمُّتِها قَفْرُ

ويمكن أن يعد شعر جران العود مرحلة انتقالية بين الشعر الجاهلي والشعر الأموي، وقد تضمّن معظم الخصائص التي ظهرت فيما بعد لدى شعراء الغزل أمثال عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة.

آثاره

وصلنا شعر جران العود برواية أبي سعيد السكري (212هـ/ 827م - 275هـ/ 888م) وقد نشر أوّل مرّة في دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة 1350هـ/ 1931م، عن نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية بخط الشنقيطي، عني بقراءتها أحمد نسيم، وجاءت في ستّين صفحة، مضبوطة بدقّة وخالية من الأخطاء.

وأعادت نشره دار صادر ببيروت عام 1999م، وعنيت بتحقيقه كارين صادر، فخرَّجت أشعاره وصنعت لها الفهارس، ووضعت للديوان مقدّمة، واعتمدت في التحقيق على عدّة مخطوطات محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ولكنّها منقولة عن نسخة الشنقيطي، وجاءت الطبعة الجديدة في 159 صفحة، وفيها قدر غير قليل من الأخطاء في ضبط الأشعار.

المصادر والمراجع

- جران العود، ديوان جران العود، رواية أبي سعيد السكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1350هـ/ 1931م، قطع كبير، 60 صفحة، عمل على نشره

وتدقيقه أحمد نسيم؛ ● جران العود، ديوان جران العود، رواية أبي سعيد السكري، تح. كارين صادر، دار صادر، بيروت، 1999، قطع كبير، 159 صفحة؛ ● البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لسان العرب، ط. مصر، 1299هـ؛ ● ابن أبي ربيعة، عمر، ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة، ط ثالثة، 1965م؛ ● ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح. أحمد محمد شاكر، ط. مصر 1364هـ؛ ● ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، ط. ثالثة 1969م.

د. أحمد زياد محبّك
جامعة حلب ـ سوريا

الجَراوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام

(ت 609هـ/ 1212م)

أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي، بفتح الجيم ثم الراء بعدها ألف المد، ثم الواو. اشتهر بنسبه إلى قبيلة جراوة، إلّا أنّ هذه اللفظة التبست على النسّاخ والمؤرّخين بسبب محاولة بعضهم كتابة الجيم جيما معقودة، حتّى ينطق بها كما يتعيّن. فبعضهم يكتبها (كافا) والبعض الآخر يرسمها (قافا)، ثمّ تتصحف الكراوي إلى كوراثي، وعرواني، وقرواني، إلى غير ذلك من التحريفات والتصحيفات.

أما دراسته فلا نعرف عنها شيئا، ولا نشك أنه ابتدأها بمسقط رأسه تادلة ثم مراكش، وتشير بعض المراجع إلى تردّده على الأندلس، وقد ذكر ابن الأبّار من شيوخه بها: أبو الفضل بن الأعلم، وأبو العباس بن سيد.

كان له اطّلاع واسع على الأدب العربي الجاهلي والإسلامي، حتّى كان يُنعت بالحافظ، هذا اللقب الذي كان خاصّا برجال الحديث، قال ابن خلكان في [وفيات الأعيان، 2/ 494]: «وكان هذا الأديب نهاية في حفظ الأشعار القديمة والحديثة، وتقدّم في هذا الشأن، وجالس عبد المؤمن، ثمّ ولده يوسف، ثمّ ولده يعقوب».

وكان الجراوي مع تخصّصه في معرفة الأدب ومعاناته للشعر يميل إلى الفلسفة. قال ابن الأبّار: «كان عالما بالآداب، حافظًا، بليغ اللسان، شاعرا مفلقا»، كما تميّز بفنّي المدح والهجاء، وكان في الهجاء بذيءَ اللسان، فاحشه. هجا قومه وبلده، وكثيرا من الناس، فهو حطيئة عصره بلا منازع. متصرّفا في غير ذلك من الفنون.

امتحن الجراوي في أواخر أيام المنصور

ضمن الجماعة التي امتحنت مع الفيلسوف ابن رشد، ولا يذكر أحد ممّن ترجموا له شيئا عن هذه المحنة، إلّا أنّ الذين ترجموا لابن رشد وذكروا محنته كلّهم يوردون اسمه في لائحة الممتحنين معه، لأنه كان من خاصّته، ومن الذين يخوضون فيما أنكر عن ابن رشد، وهو أمر أدخلُ في باب السياسة منه في باب الفلسفة، ولسان الجراوي طويل. وكان يقول في آخر عمره: «تعسًا لطول العمر الذي أخرني لمعاشرة هؤلاء الأنذال، وعهدي بالخليفة عبد المؤمن يقول لي في جبل الفتح: «يا أبا العباس، إنا نباهي بك أهل الأندلس».

توفي في إشبيلية بعد وفاة المنصور بنحو 14 عاما، فنقل إلى مراكش، ودفن خارج باب الدباغين. وقد عاصر عددًا من ملوك الدولة الموحّديّة، وظلّ في خدمتهم ردحا من الزمن حتّى دعاه صاحب كتاب «زاد المسافر» بشاعر الخلافة، وهم: الخليفة عبد المؤمن، وابنه يوسف، وحفيده يعقوب المنصور.

كان الجراوي يؤثر في شعره التعابير الفخمة، خصوصا في مدحه للخليفة المنصور الموحّدي، وفي وصفه لوقائعه الهائلة، والسرّ في ذلك حسب ما يظهر نهضة الدولة التي كان يعيش في أحضانها، فلا غرو أن يسير الشعر أيضًا في هذا المسار. يقول في مدح المنصور:

إنّ الخلافة نالت من محاسنكم
أوفى الحظوظ فأبدت منظرًا عجبًا

أعلى المراتب من بعد النبوّة قد
حبا بها الله أعلى الخلق وانتخبا

سينظم السَّعدُ مصرا في ممالكه
حتّى تُدوّخ منها خيلُه حلبَا

إلى العراق إلى أقصى الحجاز إلى
أقصى خراسان يلقى جيشه الرُّعبا

أمّا عندما يصف المواقع الحربية، فإنه يبلغ الدرجة العليا في دقّة الوصف، وتهويل أمر الفتح والنصر، كلّ ذلك بأسلوب متين يظهر فيه أثر مخالطة الشعراء الجاهليين، من ذلك قوله:

هو الفتح أعيا وصفُه النظم والنثرا
وعمَّت جميع المسلمين به البشرى

وأنجد في الدنيا وغارَ حديثُهُ
فراقتْ به حسْنا وطابت به نشْرَا

وله في أحد المتبذلين:

يا سيدي جاءتك رقعةُ شاعرٍ
شهدَتْ لها الشعراء بالإحسانِ

لو أدرك النعمانُ في أيّامه
لرأى له فضلاً على الذبياني

أو كان يوما في بني حمدان لم
تبهج بأحمدها بنُو حمدانِ

لكنه قد أدركتْهُ حرفةٌ
أدبية مزجَتْه بالعبدانِ

فإذا نظرتَ إلى قفاه حسبتَهُ
نبتَتْ عليه شقائقُ النعمانِ

آثاره

1 - صفوة الأدب وديوان العرب، في مختارات الشعر، ألّفه للسلطان يعقوب المنصور الموحّدي، وهو مليح، أحسن في

اختياره كل الإحسان كما قال ابن خلكان، يشتمل على الأبواب التالية: المدح، الفخر، المراثي، النسيب، الأوصاف، الأمثال والحكم، الملح، ذم النقائص، الزهد والمواعظ، والأشعار فيه مرتّبة على الأقدمية: الجاهليين، ثمّ الإسلاميين، حتّى المتنبي والمعرّي وأهل عصرهما، كما أنّ فيه من أشعار المغاربة والأندلسيين غير قليل. وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق. وقد أثنى الكثيرون على كتاب الصفوة، فمن ذلك ما قاله صاحب كشف الظنون: «صفوة الأدب، وديوان العرب، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الكواري (كذا) الأديب، وهو كتاب يحتوي على فنون الشعر كالحماسة، وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق، ومؤلفه من شعراء ملوك الموحّدين»؛ 2 ـ ديوان شعر.

■ المصادر والمراجع

● التعاريجي، عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، تح. عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، 1974م، 2/ 114؛ ● ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، طبع بالجزائر 1908، ص312؛ ● ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح. عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب د.ت، 1/ 112؛ ● المكناسي، أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1974، ص 397 ـ 486؛ ● كَنُون، عبد الله، ذكريات مشاهير رجال المغرب، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، عدد 6؛ ● الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في تحفة الأقطار، تح. د.إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية 1984، ص 127، 163، 201؛ ● التجيبي، صفوان بن إدريس، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، أعدّه وعلّق عليه عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان 1980م، ص49؛ ● ابن سعيد، علي بن موسى، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تح. إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار المعارف المصرية 1967، ص98؛ ● مفاخر البربر، مجهول المؤلّف، طبع بالرباط، 1352هـ/ 1934م، ص65؛ ● كَنون، عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 1961م، 1/ 169 و3/ 16 ـ 190؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان د.ت، 7/ 136.

د. أحمد متفكّر
جامعة القاضي عياض ـ مراكش

الجرباذقاني، أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد

(321هـ/933م - 382هـ/990م)

محمد بن الحسن بن محمد الجرباذقاني أبو عبد الله. لغوي، أديب، فقيه شافعي.

ولد في «جرباذقان»، وهي بلدة بين جرجان وأستراباذ. رحل إلى خراسان والعراق وأصبهان.

لم تذكر المصادر القليلة جدا التي تحدثت عنه، شيئا عن شيوخه أو طلبته أو عمله. وكل ما تذكر عنه أنه صنف كتاب «الروضة» في اللغة. والظاهر أن هذا الكتاب معجم لغوي على شاكلة «المجمل» لابن فارس؛ ويؤيد هذا ما ذكره الزركلي صاحب «الأعلام»، من أن له كتبا «منها حرف العين في الضاد والظاء من كتاب الروضة» وأنه رآه مخطوطا في السليمانية برقم (5194)، وقد ورد عنده باسم «الروحة» بالحاء المهملة، ولعل في هذا تصحيفا أو خطأ مطبعيا.

المصادر والمراجع

- الفيروز آبادي، مجد الدين، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، مركز المخطوطات والتراث ط 1، 1407هـ - 1987م، ص 193؛
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ط 10 - 1992 ج 6، ص 82.

د. ممدوح محمد خسارة

جامعة دمشق

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن

(ت 471هـ/1078م)

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمٰن بن محمد الجرجاني، ولد في مطلع القرن الخامس للهجرة بجرجان، وحينما شبّ عن الطوق درس علوم الدين والعربية على بعض أعلام زمانه، منهم أبو الحسن محمد بن الحسن ابن أخت أبي علي الفارسي الذي نزل في جرجان واستقرّ بها وأخذ عنه أهلها فضلا كثيرا. وكان عبد القاهر أحد تلاميذه الذين تأثروا به ودرسوا عليه كتاب «الإيضاح» لأبي علي، وعني بهذا الكتاب ووضع عليه شرحًا

كبيرًا في ثلاثين مجلدًا سماه «المغني» ثم اختصر هذا الشرح في ثلاثة مجلّدات بكتاب سماه «المقتصد».

وذكر ياقوت الحموي أن عبد القاهر قرأ على القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني واغترف من علمه [معجم الأدباء، 5/ 942]. غير أنّ الحموي نفسه قال في ترجمة ابن أخت علي الفارسي إنّ من تلاميذ «عبد القاهر وليس له أستاذ سواه» [معجم الأدباء، 7/ 3]. وهذا أقرب إلى الصحة لأنّ القاضي الجرجاني مات في بعض الروايات سلخ صفر سنة ست وستين وثلثمائة، 366هـ، وفي بعضها أنه مات سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة، 392هـ، ولا يعقل أن يتّصل به عبد القاهر حتّى في أواخر أيامه.

وذكر الخوانساري أن عبد القاهر درس النحو على شيخين هما: ابن جني، والصاحب بن عباد [روضات الجنات، 334]، ولا يصحّ هذا الخبر لأنّ ابن جني توفّي سنة 382هـ. ومات الصاحب سنة 385هـ، وقد تكون دراسة عبد القاهر لكتبهما لا عليهما.

وقد أشار عبد القاهر إلى شيخه في كتابه [دلائل الإعجاز، 741] ونقل عنه ولكنه لم يسمّه، وأكبر الظنّ أنه الشيخ أبو الحسن ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي.

ولم يقف عبد القاهر عند أخذه عن شيخه وإنّما قرأ الكتب بعقل واعٍ، ونقل عن الكثيرين ممّن اشتهروا باللغة والنحو والبلاغة والأدب كسيبويه، والجاحظ، والمبرّد، وابن دريد، والعسكري، والمرزباني، والفارسي، والآمدي، والقاضي الجرجاني. وكان ثمرة ذلك الاطلاع والثقافة الواسعة أن تصدّر بجرجان وذاع صيته وشدّت إليه الرحال وقصده الطلاب يقرؤون عليه كتبه ويأخذونها عنه وظلّ مقيمًا في بلدته جرجان يفيد الراحلين إليه والوافدين عليه. ومن تلاميذه يحيى بن علي الخطيب التبريزي، وعلي بن زيد الفصيحي، وأبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري، وأحمد بن عبد الإله المهاباذي الضرير.

وقد حظي عبد القاهر بمنزلة عظيمة وتصدّر مجالس الدرس والعلم. قال القفطي: «وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء، وتصدّر بجرجان، وحثّت إليه الرحال، وصنّف التصانيف الجليلة» [إنباه الرواة، 2/ 188]. وكان إلى جانب علمه عظيم الخلق ورعا تقيا، وكان شافعيّ المذهب، أشعريّ الأصول متكلّما.

وأعجب المؤرّخون بعلمه وخلقه وأدبه، وقال عنه معاصره الباخرزي: «اتفقت على إمامته الألسنة، وتجمّلت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة، وأثنى عليه طيّب العناصر، وثنيت به عقود الخناصر، فهو فرد في علمه الغزير، لا بل هو العلم الفرد في الأئمّة المشاهير. وقد أفادني الشيخ أبو عامر مما ألقاه بحر الفضل على لسانه ما نطق لسان الدهر باستحسانه. وليس فيما فاتني من كريم مشاهداته واشتهار لذيذ الشهد من مذكراته أيام أسعدتني الأيام منه بدنوّ الدار ولفّ أطناب الخيمتين قرب الجوار إلّا كمن ودع الماء والخضرة وتدرّع الشعثة والغبرة» [دمية القصر، 2/ 12].

وترجموا له في مختلف الكتب. فقال عنه ابن

الأنباري: «فإنه من أكابر النحويين» [نزهة الألباء، 248]، وذكره القفطي، والسيوطي، وابن العماد الحنبلي مع النحاة، وذكره السبكي، والأسنوي، في طبقات الشافعية، وذكره الباخرزي بين الأدباء، وذكره ابن شاكر الكتبي في الأعيان، وذكره اليافعي وابن تغري بردي في التاريخ. أما اشتهاره بالبلاغة فلم يتحدّث عنه معظم المتقدّمين، ولم يذكروا له كتابيه المشهورين «دلائل الإعجاز»، و«أسرار البلاغة» مع أنهم ذكروا جميع كتبه الأخرى، واكتفى السيوطي - مثلا - بأن قال عنه: «وكان من أكابر أئمّة العربية والبيان» [بغية الوعاة، 2/ 106]، وقال طاش كبري زاده: «ولو لم يكن له سوى كتاب أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لكفاه شرفا وفخرا» [مفتاح السعادة، 1/ 170].

وأسلوب عبد القاهر أسلوب العلماء الذين تعنيهم دقة العبارة ووضوح الفكرة، وليس أسلوب الأديب الذي تنساب عباراته كالماء الرقراق، ولكنه - على الرغم من ذلك - كان يبدع في تحليل النصوص ويظهر ما فيها من روعة وجمال، وما تحدِث في نفوس المتلقين من هزّة وتأثير، وكان لنظرية النظم التي بنى عليها كتابه «دلائل الإعجاز» أثر عظيم في ذلك، لأنّ البرهنة عليها تحتاج إلى ذوق رفيع وأسلوب بديع، وقد وفّق الجرجاني في ذلك توفيقًا عظيما وأرسى نظرية النظم التي كانت إشارات في كتب المتقدّمين كالجاحظ، والقاضي عبد الجبار الاستراباذي وغيرهما. وتعد نظرية النظم التي أرسى قواعدها أحدث ما وصل إليه علم اللغة الحديث.

وكان له شعر، ولكنه شعر العلماء، وقد قال القفطي: «وأشعاره كثيرة في ذم الزمان وأهله، وكان هذا الأمر هو السبب في تقصيره إذا صنف إذ لم يجد راحة ممّن جمع لهم وألّف» [إنباه الرواة، 2/ 190].

ولم يزل مقيما بجرجان يفيد الراحلين إليه والوافدين عليه إلى أن توفّي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة للهجرة، 471هـ. وقيل سنة أربع وسبعين وأربعمائة، 474هـ، الموافقة لسنة 1078 أو شباط 1082 للميلاد.

آثاره

ألف عبد القاهر كتبا في الدراسات القرآنية والنحوية والبلاغية وغيرها.

أ - في الدراسات القرآنية:

1 - كتاب شرح الفاتحة، في مجلّد [فوات الوفيات، 1/ 613]؛ 2 - درج الدرر في تفسير الآي والسور [هدية العارفين، 1/ 606]؛ 3 - المعتضد، وهو الشرح الكبير لكتاب أبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي في إعجاز القرآن [إنباه الرواة، 2/ 189]؛ 4 - الشرح الصغير، وهو شرح مختصر لكتاب الواسطي؛ 5 - الرسالة الشافية، وهي في إعجاز القرآن الكريم، طبعت في كتاب «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، دار المعارف، القاهرة، 1955، ونشرها محمود شاكر في طبعته لدلائل الإعجاز سنة 1404هـ/ 1984م.

ب - في الدراسات البلاغية:

6 - أسرار البلاغة، طبع عدّة مرات، منها طبعة هـ. ريتر، إستانبول 1954؛ 7 - دلائل الإعجاز، طبع عدّة مرات، من أشهرها طبعة محمود شاكر، القاهرة 1404هـ/ 1984م؛

8 ـ المدخل في دلائل الإعجاز، طبع مقدّمة لدلائل الإعجاز؛ 9 ـ آراء الجرجاني، وهي خمس ورقات، منها نسخة مصوّرة في معهد المخطوطات في القاهرة.

ج ـ في الدراسات النحوية والصرفية والعروضية:

10 ـ الإيجاز، مختصر لكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي [كشف الظنون، 1/ 211؛ هدية العارفين، 1/ 606]؛ 11 ـ المغني، شرح لكتاب الإيضاح للفارسي في ثلاثين مجلّداً؛ 12 ـ المقتصد، ملخص كتابه «المغني في شرح الإيضاح»، ط. في جزأين ببغداد، تح. كاظم المرجان سنة 1982م؛ 13 ـ التكملة، وسماه الزركلي التتمة [الأعلام، 4/ 49]؛ 14 ـ العوامل المائة، كتاب مختصر، طبع عدّة مرات، منها طبعة القاهرة سنة 1369هـ/ 1949م؛ 15 ـ التلخيص، شرح لكتاب الجمل [شذرات الذهب، 3/ 340]؛ 16 ـ العمدة في التصريف، منه نسخة مصوّرة في معهد المخطوطات بالقاهرة؛ 17 ـ كتاب في العروض، طبع في ذيل كتاب «الإقناع في العروض وتخريج القوافي» للصاحب بن عباد، تح. الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد، 1379هـ/ 1960م؛ 18 ـ المختار من دواوين المتنبي، والبحتري، وأبي تمام، طبعه عبد العزيز الميمني في كتاب «الطرائف الأدبية»، القاهرة 1937م؛ 19 ـ مختار الاختيار، ذكره البغدادي [هدية العارفين، 1/ 606]، 20 ـ التذكرة، ذكرها القفطي [إنباه الرواة، 2/ 189]، 21 ـ المفتاح، ذكره صاحب فوات الوفيات، [1/ 316].

ولمكانة عبد القاهر الجرجاني العلمية، اهتمّ به المتأخرون ولخصوا كتابه «دلائل الإعجاز» مثل فخر الدين الرازي في كتابه «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز»، وابن الزملكاني في كتابيه «التبيان في علم البيان»، و«البرهان الكاشف عن إعجاز القران».

وعني به المعاصرون بعد أن شاعت الدراسات الأسلوبية والبنيوية، فأصدروا عنه كتبا ودراسات كثيرة اعتبروا فيها أنّ نظرية «النظم» التي أرسى أصولها هي من أهمّ نظريات النقد الحديث، وأنّ الجرجاني سبق بها المعاصرين من بنيويين وأسلوبيين.

المصادر والمراجع

● الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح. محمود محمد شاكر، القاهرة، 1404هـ/ 1984م؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح. د.س.مرغليوث، الطبعة الثانية، القاهرة، 1923م؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1384هـ/ 1965م؛ ● الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، طبعة حجرية، إيران 1307هـ؛ ● القفطي، إنباه الرواة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1371هـ/ 1952م؛ ● الباخرزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تح. سامي مكي العاني، الطبعة الثانية، الكويت، 1405هـ/ 1985م؛ ● ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح. إبراهيم السامرائي، بغداد 1959م؛ ● طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، تح. كامل

بكري وعبد الوهاب أبو النور، القاهرة، 1968م، دار الكتب الحديثة؛ ● الكتبي، ابن شاكر، فوات الوفيات، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1951م؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، الطبعة الثالثة، طهران 1387هـ/ 1967م؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، إستانبول، 1951م؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، الطبعة الخامسة، بيروت، 1980م؛ ● مطلوب، أحمد، عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، بيروت، 1393هـ/ 1973م؛ ● مطلوب، أحمد، مناهج بلاغية، بيروت، 1393هـ/ 1973م؛ ● مطلوب، أحمد، القزويني، وشروح التلخيص، بغداد، 1387هـ/ 1967م؛ ● مطلوب، أحمد، دراسات بلاغية ونقدية، بغداد، 1400هـ/ 1980م.. إلى آخره.

د. أحمد مطلوب
المجمع العلمي العراقي
بغداد ـ العراق

الجرجاني القاضي، أبو الحسن علي بن عبد العزيز

(ت 392هـ/ 1001م)

أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني، ولد بجرجان ونشأ فيها وتلقى من العلوم والآداب ما جعله من الأعلام، وقد قال فيه الثعالبي: «حسنة جرجان، وفرد الزّمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة العلم، ودرّة تاج الأدب، وفارس عسكر الشعر، يجمع خطّ ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحتري؛ وينظم عقد الإحسان والإتقان وفي كل ما يتعاطاه» [يتيمة الدهر، 4/ 3]. وكان كثير الأسفار. وقد ورد نيسابور سنة (337هـ) مع أخيه أبي بكر، وأخوه إذ ذاك فقيه مناظر، وهو قد ناهز الحلم فسمعا على الشيوخ وانتفعا كثيرا. وأصبح ذا مقام محمود في اللغة والآداب، ولذلك تتلمذ عليه بعض معاصريه. وقد ذكر الحموي أن عبد القاهر الجرجاني كان أحد تلاميذه. قال: «وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء إليه» [معجم الأدباء، 5/ 249]. وليس هذا صحيحا لأن القاضي الجرجاني توفي في بعض الروايات سلخ صفر سنة ست وستين وثلاثمائة، وفي بعضها أنه توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، ومات عبد القاهر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، أو أربع وسبعين وأربعمائة. وكان قد تتلمذ على أبي الحسين محمد بن الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي الذي نزل في جرجان واستقر بها. وقد استدرك الحموي في ترجمته فقال إن من تلاميذه «عبد القاهر وليس

له أستاذ سواه» [معجم الأدباء، 7/ 3]. وذكر السيوطي هذا الكلام أيضا [بغية الوعاة، 1/ 94] ولذلك لا تصحّ رواية ياقوت الحموي الأولى.

وبعد أن اشتدّ عوده عرّج على الصاحب بن عباد «فاشتد اختصاصه به وحلّ منه محلّا بعيدا في رفعته قريبا في أسرته؛ وسيّر فيه قصائد أخلصت على قصد، وفرائد أتت من فرد» [يتيمة الدهر، 4/ 3]. وتولى قضاء جرجان، ثم أصبح قاضي القضاة بالرّيّ.

وكان حسن السيرة في قضائه، صدوقا عالما، ولذلك عرف الصاحب بن عبّاد فضله، وكان أثر العلماء عنده، ومما يروى أنه انصرف يوما من دار الصاحب، وذلك قبيل العيد، فجاءه رسوله بعطر الفطر، ومعه رقعة بخطه فيها هذا البيتان:

يا أيها القاضي الذي نفسي له،
مع قرب عهد لقائه، مشتاقهْ
أهديت عطرا مثل طيب ثنائه
فكأنما أهدي له أخلاقهْ

كان أبو الحسن فقيها أديبا شاعرا. وقد ذكرت المصادر كثيرا من شعره، قال ياقوت: «طوّف في صباه البلاد وخالط العباد واقتبس العلوم والآداب، ولقي مشايخ وقته وعلماء عصره. وله رسائل مدوّنة وأشعار مفنّنة» [معجم الأدباء، 51/ 249 ـ 250] وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابه «طبقات الفقهاء» فقال: «وله ديوان شعر» [وفيات الأعيان، 2/ 440؛ طبقات الشافعية للأسنوي: 1/ 348؛ طبقات الشافعية الكبرى، 3/ 459].

وكان القاضي الجرجاني أبيّ النفس، ولذلك لقي الاحترام والتقدير حتى وافاه الأجل وهو قاضي القضاة بالرّيّ. وحمل تابوته إلى جرجان ودفن هناك، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد. وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي القاسم وزير مجد الدولة، وأبو الفضل العارض راجلين [معجم الأدباء، 5/ 249].

وقد اختلف القدماء في سنة وفاته فابن العماد الحنبلي نقل عن الحاكم النيسابوري أنه مات بنيسابور في سلخ صفر سنة ست وستين وثلاثمائة (366 هـ) وعمره ست وسبعون سنة [شذرات الذهب، 3/ 57؛ طبقات الشافعية للأسنوي، 1/ 351]، ولكن معظم المؤرخين يذكرون أنه مات سنة 392هـ/ 1002م.

قال ياقوت: «مات بالرّيّ يوم الثلاثاء لستّ بقين من ذي الحجة سنة 392 هـ وهو قاضي القضاة بالرّيّ حينئذ» [معجم الأدباء، 5/ 249]. وقال ابن خلكان بعد ذكر رواية الحاكم: «ومات بالرّيّ وهو قاضي القضاة في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وحمل تابوته إلى جرجان ودفن بها؛ ونقل الحاكم أثبت وأصح» [وفيات الأعيان، 2/ 442؛ طبقات الشافعية للأسنوي، 1/ 351؛ وطبقات الشافعية الكبرى، 3/ 462]. وذكر ابن تغري بردي وفاته في سنة 392 هـ، قال: «وفيها توفّي علي بن عبد العزيز أبو الحسن الجرجاني قاضي الري، سمع الحديث الكثير وترقى في العلوم حتى برع في الفقه والشعر والنحو وغير ذلك من العلوم» [النجوم الزاهرة، 4/ 205؛ البداية والنهاية، 11/ 332].

آثاره

ترك القاضي الجرجاني عدة كتب هي:

1 ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه، وهو أهمّ كتبه البلاغية والنقدية، قال ابن خلكان: «وله كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه أبان فيه عن فضل غزير واطلاع كثير ومادة متوفرة» [وفيات الأعيان، 2/ 242؛ طبقات الشافعية للأسنوي، 1/ 350] وقال الثعالبي: «ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتنبي عمل القاضي أبو الحسن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره، فأحسن وأبدع وأطال وأطاب وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمر في فصل الخطاب، وأعرب عن تبحّره في الأدب وعلم العرب وتمكّنه من جودة الحفظ وقوّة النقد. فسار الكتاب مسير الرياح وطار في البلاد بغير جناح، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور:

أيا قاضيًا قد دنت كتْبُه
وإن أصبحتْ دارُه شاحطَهْ
كتابَ الوساطةِ في حُسنه
لِعقد معاليك كالواسطَهْ»

[يتيمة الدهر، 4/ 4؛ معجم الأدباء، 5/ 251، 254]

ومن طبعاته المعتمدة تلك التي حقّقها:

1 ـ محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، القاهرة 1364هـ/ 1945م؛

2 ـ ديوان شعر، وقد نقل منه الثعالبي كثيرا في يتيمة الدهر [4/ 269] وذلك في التشبيب والغزل والمديح في الصاحب بن عباد وغيره؛

3 ـ تفسير القرآن المجيد [معجم الأدباء، 5/ 251]؛ 4 ـ تهذيب التاريخ [معجم الأدباء، 5/ 251]؛ 5 ـ كتاب الوكالة، وفيه أربعة آلاف مسألة [طبقات الشافعية الكبرى، 3/ 459]؛ 6 ـ رسالة مدونة [معجم الأدباء، 5/ 250؛ الإعلام، 4/ 300].

ولكن كتابه «الوساطة بني المتنبي وخصومه» من أهمّ كتب البلاغة والنقد. وقد ألفه بعد أن وضع الصاحب بن عباد رسالته في إظهار مساوىء المتنبي، وأراد أن يقف موقفا وسطا بينه وبين خصومه وهو القاضي العدل، وأن يضعه حيث ينبغي أن يوضع بين الشعراء الفحول فلا يتعصّب له أو عليه. وبنى كتابه على «المقايسة» أي قياس الأشباه والنظائر، وعالج فيه كثيرا من القضايا النقدية والبلاغية ومنها «عمود الشعر» الذي استقرت أبوابه في شرح الحماسة للمرزوقي. وتكلم على الإبداع وعناصره الفنية، ورقّة الشعر وصلابته، وأرجع ذلك إلى ثلاثة أمور: اختلاف الطبيعة والبيئة، والغرض أو الموضوع. وطاف في فنون البلاغة التي اتخذها أسسا في نقده ومقايسته، وتحدث عن الاستعارة والتشبيه والمطابقة والتقسيم وجمع الأوصاف والترصيع والاستهلال والتخلص والخاتمة والغلوّ والإفراط والسرقات الشعرية، وأبدى رأيه في كثير من قضايا النقد؛ وقد اتخذ ذلك كله سبيلا للدفاع عن المتنبي.

ويتضح مما عرضه في كتابه «الوساطة» أنه لم يتعصّب للشاعر، وإنما نظر إليه بعين الإنصاف والعدل، فاستحسن ما كان حسنا من شعره واستهجن ما لم تكن فيه طلاوة وإبداع. وكان نقده لذلك نقدا منهجيا، لأنه استند إلى أسس

علمية وأصول فنية قاس بها شعر المتنبي، ودفع عنه كثيرا مما أثير حوله من نقد لأن أهل الأدب كانوا فئتين في المتنبي: من مطنب في تقريضه ومنقطع إليه بجملته، وإلى عائب يروم إزالته عن رتبته. وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه. وكان كتاب الجرجاني، وهو القاضي وساطة بين المتنبي وخصومه، وقد اتضح فيه العدل والإنصاف، وعدّ من أهم ما كتب عن المتنبي قديما.

المصادر والمراجع

• الثعالبي، يتيمة الدهر، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1375هـ/ 1956م، ط 2؛ • ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح. د. مرجليوث، القاهرة 1928م، ط 2؛ • الأسنوي، طبقات الشافعية، تح. عبد الله الجبوري، بغداد 1390هـ؛ • السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1384هـ/ 1964م؛ • السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تح. محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، القاهرة 1384هـ/ 1965م؛ • ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1367هـ/ 1948م؛ • الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب، بيروت 1399هـ/ 1979م، ط 2؛ • بردي، ابن تغري، النجوم الزاهرة، دار الكتب، القاهرة؛ • مبارك، زكي، النثر الفني، 2/ 7 ـ 16؛ • عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت 1391هـ/ 1971م، 335 ـ 312؛ • مطلوب، أحمد، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، بيروت 1393هـ/ 1973م؛ • مطلوب، أحمد، دراسات بلاغية ونقدية، بغداد 1400هـ/ 1980م.

د. أحمد مطلوب

المجمع العلمي العراقي

الجرجاني، أبو إبراهيم إسماعيل بن حسان بن محمد

(473هـ/1080م ـ 531هـ/1136م)

هو زين الدين أبو إبراهيم إسماعيل بن حسان بن محمد الحسيني الجرجاني، نسبته إلى مدينة جرجان إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين، وكانت قد أصبحت منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مركزًا ثقافيًا وعلميًا وفنيًا مرموقًا في إطار الحضارة الإسلامية. كان مولد إسماعيل في مدينة استباد بالقرب من بحر قزوين أيضًا، وأغلب الظن أنه بدأ يتعلم بها ثم انتقل إلى جرجان وارتبطت حياته بها، وأصبح من أعلام علمائها.

كان عالمًا في عدة تخصصات، في مقدمتها: الأدب، والجغرافيا، ولكنه اشتهر في عصره بعلمه وخبرته في الطب في المقام الأول. وصل صيته إلى قصر ملك خوارزم وسرعان ما كان له منصب كبير، كان كبير الأطباء في عهد أبي الفتح قطب الدين محمد بن أنوشتكين خوارزم شاه، وأهدى إليه كتابه: «ذخيرة العلم»، فعرف هذا الكتاب بذخيرة خوارزمشاه نسبة إلى المهدى إليه.

اهتم إسماعيل أيضًا بالنباتات الطبية والعقاقير، وله كتاب في «الأقراباذين». وذكر في كتبه قصة اتصاله بالقصر، ذلك أن أنوشتكين ملك خوارزم كان مريضًا فتولى علاجه وشفي. ولكن إسماعيل لم يكن واثقًا من كمال علمه بالطب فاشتغل به أكثر وأكثر وعمق المعرفة بجوانبه المتعددة، فأصبح الطبيب الأول في القصر. استمر في هذه المكانة أيضًا في عهد علاء الدين أتزس. ولكنه في خريف عمره ذهب إلى مرو واستقر بها إلى حين وفاته، وقبره هناك.

كان تعليم الطب يتم في الدولة الخوارزمية بالعربية، والفارسية، وبهما درس إسماعيل وألف كتبه الطبية الكثيرة. بعض كتبه مؤلف أولا بالفارسية ولكن المؤلف نفسه ترجمه إلى العربية تلبية لرغبة بعض العلماء الذين وجدوا العربية أكثر انتشارًا في الدوائر العلمية في العالم الإسلامي. أشهر كتبه الطبية تلك الموسوعة الطبية الكبيرة في عشرة مجلدات التي ألفها لملك خوارزم، وعرفت بعنوانها الفارسي: ذخيرة خوارزمشاه، وهو أهم كتب الطب في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ومنه نسخة في متحف تاريخ الطب الخوارزمي في مدينة خيوة التي تقع الآن في تركمانستان. وقد ترجم المؤلف نفسه هذه الموسوعة إلى اللغة العربية، وترجمت بعد ذلك إلى التركية العثمانية بقلم عبد الله فضل محمد بن إدريس دفتري (ت 1575م)، كما ترجمت إلى الأردية حديثًا بقلم محمد هادي حسين. ولهذه الموسوعة ملخص في مجلد واحد أعد بطلب مجد الدين وزير ملك خوارزم.

ألف إسماعيل كتبًا متعددة في الطب، منها: تعليق الشيخ الرئيس، وزبدة الطب، كما ألف كتابًا في طب العيون بالفارسية. ويتضح في كتبه استمرار التقاليد العلمية الطبية في الحضارة الإسلامية التي تقوم على تراث اليونان والإضافات بالعربية، وتشهد كتبه أيضًا بالاهتمام بالجراحة، وكذلك بالإفادة من الأسس العلمية وواقع الممارسة الطبية. وفي كتب إسماعيل الجرجاني ملاحظات من واقع الخبرة، منها أن طقس خوارزم جميل ومناسب لصحة الإنسان وهواه أفضل من باقي مناطق آسيا الوسطى.

إن إسماعيل الجرجاني هو أول عالم في آسيا الوسطى درس أثر البيئة في حياة الإنسان، وربط الأمراض بتغيرات الطقس في فصول السنة، وعلم الطب عنده يتضمن أيضًا الربط بين نظام التغذية والصحة، وفائدة النظافة والحمام والماء المعدني في حفظ الصحة، كما عرف أيضًا نظام العلاج بالطين الذي أشادت به دراسات حديثة عن تاريخ الطب في خوارزم القديمة بوصفه أحد علمين كبيرين، والثاني هو عمر الشغميني. ومن كتبه مخطوطات في مكتبات مختلفة، منها نسخ في

معهد الاستشراق بأكاديمية العلوم في أزبكستان، وكذلك في متحف تاريخ العلوم في خوارزم بجمهورية تركمانستان. وله كتب أخرى بالفارسية: كتاب قرابذين خوارزمشاه، زبدة الطب، تعليق الشيخ الرئيس.

آثاره

1 ـ التذكرة الأشرفية في الصناعة الطبية، هذا الكتاب ألف في الأصل بالفارسية بعنوان: مختصري علائي. أعدت الصياغة العربية لعلاء الدين ألب أرسلان، وله مختصر بعنوان: الأغراض الطبية والمباحث العلائية أعد لوزير خوارزمشاه علاء الدين تُكُش مجد الدين البخاري. وقد وصلت كل هذه الصياغات العربية والفارسية مخطوطة؛ 2 ـ ذخيرة خوارزمشاه، هذا كتاب أساسي في الطب بالفارسية في اثني عشر مجلدًا، وصل مخطوطًا، وكذلك الترجمة التركية العثمانية والأردية؛ 3 ـ في القياس، وصل مخطوطًا؛ 4 ـ في التحليل، وصل مخطوطًا؛ 5 ـ المنبه، موضوعه تهافت اللذة الأرضية ووجوب الزهد فيها، وصل مخطوطًا.

المصادر والمراجع

• أنظر كتاب (بالأزبكية)، إدريسيف وأناسير ونظام الدين وحسان وعبد الله، إسماعيل الجرجاني وعمر شغميني عالما الطب في خوارزم القديمة، طشقند 1972؛ • البيهقي، تتمة صوان الحكمة 1/ 11؛ • حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 368، 3/ 33؛

• Wüstenfeld, 165;

• Brockelmann, GAL, I, 478.

د. شمس الدين كريم
د. محمود فهمي حجازي
جامعة نور مبارك
جمهورية قازاخستان

الجرجاني، أبو سهل عيسى بن يحيى

(ت 401هـ/ 1010م)

أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني، من الأطباء الذين تميزوا في صناعة الطب، علما، وعملا، عمل طبيبًا في خراسان، وهي منطقة تمتد مما يلي حدود العراق وآخر حدودها مما يلي الهند وقد سكنتها القبائل العربية خلال الفتح الإسلامي [معجم البلدان، 2/ 350]، ثم انتقل إلى خوارزم وعمل بها وقرأ عليه فيها الرئيس ابن سينا، ولما حلَّ بها محمود الغزنوي سنة 401هـ/ 1010م أمر بالقبض على ستة علماء من خوارزم ونقلهم إلى غزنة، وكان منهم أبو الريحان البيروني، والشيخ الرئيس ابن سينا، وأبو سهل الجرجاني للشك في إلحادهم، ففر أبو سهل مع تلميذه ابن سينا إلى مازندران

ولكنه توفي في الطريق في عاصفة ترابية، على حين تمكن ابن سينا من الوصول إلى طوس، وكانت وفاة أبي سهل عيسى الجرجاني سنة 401هـ/ 1010م وقيل انه توفي سنة 390هـ/ 999م وقيل ت 377هـ/ 989م، وفي هدية العارفين أنه كان نزيل بغداد وتوفي في بغداد [هدية العارفين، 1/ 806م؛ بروكلمان، عربي 4/ 294؛ معجم المؤلفين]، قال عنه الشيخ الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي على ما نقله ابن أبي أصيبعة في كتابه [عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 436]: لم أجد من الأطباء النصارى المتقدمين والمتأخرين، أفصح عبارة، ولا أجود لفظًا، ولا أحسن معنى، من كلام أبي سهل المسيحي. وقد وصفه ابن أبي أصيبعة، بقوله طبيب بارع في صناعة الطب، فصيح العبارة، جيد التصنيف وأورد من بليغ حكمته في علم الطب قوله: نومة بعد أكلة خير من شربة دواء نافع. وقال: كان حسن الخط متقنًا للعربية، وأنه رأى بخطه الحسن كتابه في إظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان، وهو في نهاية الصحة والإتقان، والإعراب والضبط، وهذا الكتاب من أجلّ كتبه وأنفعها، وقيل إن المسيحي هو معلم الشيخ الرئيس ابن سينا قرأ عليه علم الطب، وأن الشيخ الرئيس بعد ذلك تميز في صناعة الطب، ومهر فيها، وفي العلوم الحكمية حتى صنف كتبًا لأبي سهل المسيحي وجعلها باسمه. كان أبو سهل المسيحي طبيبًا، حكيمًا، ومنطقيًا وألف في ذلك كتبًا ورسائل، ونقل ابن أبي أصيبعة عن عبد الله بن جبريل قوله: إن المسيحي عاش بخراسان، وكان متقدمًا عند سلطانها، وأنه مات وله من العمر أربعون سنة. [عيون الأنباء، ص 436].

■ آثاره

1 ـ المائة في الصناعة الطبية، وهو كتاب موسوعي في موضوعات الطب المختلفة، رتبه المؤلف على أقسام وسمَّى كل قسم منها كتابًا، وقد تضمن مائة كتاب ومن هنا سمي بالمائة في الصناعة الطبية، جعل المؤلف الكتاب الأول فهرسًا لكتابه وسماه: المدخل إلى صناعة الطب. أما بقية أقسام أو كتب هذه الموسوعة فهي الكتاب الأول: في استقصاد البلدان، والكتب من الثاني إلى الكتاب الرابع في الأعضاء المتشابهة والأعضاء الآلية، والكتاب الخامس في منافع الأعضاء، والكتاب السادس إلى الثامن: في الأخلاط والقوى والأفعال والأرواح، والكتاب التاسع: في الأحوال الطبيعية للبدن، ومن الكتاب العاشر إلى الثاني عشر في حالات الهواء، والمساكن، والمياه، والكتابان الثالث عشر والرابع عشر في الغذاء، والأغذية المفردة.

وهكذا يتناول المؤلف في الكتب الأخرى، الحالات التي يتعرض لها البدن وقد أفرد لكل حالة كتابًا، في النوم، واليقظة، والدلك، والحركة، والسكون، والاستحمام، والاستفراغات، والإسهال، والقيء وفي علامات الامتلاءات وغلبة الأخلاط وفي علاجات المزاج، وأمراض التنفس وفي النبض والبول والبراز والفرق، وفي الاستعداد للأمراض والإنذار منها، وأوقات الأمراض وعلاماتها، وفي البحران، وتقدمة المعرفة، وفي حفظ الصحة، وتدبير الانحرافات الصحية، وقوانين علاج الأمراض، وفي أمراض الأسنان والفم، والمعدة، وغيرها من الأمراض التي تصيب بدن الإنسان.

والكتب الأخرى من الكتاب (66) إلى الكتاب الأخير، فتتضمن علاجات الأمراض التي تصيب أعضاء البدن من أمراض الرأس، والعين، والأذن، والأنف، والأسنان، والفم والزكام والنزلة والسل، والربو وضيق النفس، والصدر، والقلب، والمعدة، وعلاجات الاستفراغات المعدية، والكبد والطحال، والاستسقاء، واليرقان، والقولنج، والديدان والحيات وحب القرع، وأمراض المعدة، وأورام الكلى والمثانة والأمراض الخاصة بالنساء، كالرحم، والحيض، والحبل والأمراض الخاصة بالرجال كالنقرس، وعرق النساء، ووجع المفاصل، وأعراض الشعر، واللون، والجلد، والكسر، والخلع، وقد أفرد لكل علاج كتابًا خاصًا به.

وقد ذكر هذا الكتاب الطبيب علي بن عباس المجوسي الذي كان حيا سنة 384هـ/ 994م [معجم المؤلفين، 7/ 616] في كتابه كامل الصناعة الطبية المعروف بالملكي، وقال عنه في المقدمة: ان ابن سهل الجرجاني، لم يذكر في كتابه من الأمور الطبيعية وغير الطبيعية إلا قليلا. [مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة، مكتبة المتحف العراقي؛ أسامة النقشبندي، ص 304 ـ 309؛ كشف الظنون، 2/ 576؛ بروكلمان، عربي 4/ 294؛ عيون الأنباء، 436؛ هدية العارفين، 1/ 806] وقد ذكر بروكلمان نسخ هذا الكتاب في خزائن المخطوطات في العالم، وقال: واستخرج منه المؤلف كتاب المسهلات، ووضعت على هذا الكتاب حواشي للنعمان بن أبي الرضا الاسفرائيني. كما قال عنه بن أبي أصيبعة إنه من أجود كتبه وأشهرها.

ولامين الدولة هبة الله بن التلميذ البغدادي المتوفى سنة (560هـ/ 1164م) [معجم المؤلفين 13/ 139] حاشية عليه وقال: يجب أن يعتمد على هذا الكتاب فإنه كثير التحقيق قليل التكرار، واضح العبارة؛ منتخب العلاج؛ 2 ـ كتاب الطب الكلي، [عيون الأنباء، ص 437؛ بروكلمان، ص 495؛ نسخة منه في برلين برقم 6207، وفي رامبور برقم 489/ 164؛ هدية العارفين، 2/ 806 ذكر فيها الكتاب بعنوان كفاية الطب الكلي]؛ 3 ـ كتاب إظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان عن غرض ومنافع الأعضاء في جسم الإنسان، قال عنه ابن أبي أصيبعة: إن المؤلف قد أتى في هذا الكتاب بجمل ما ذكره (جالينوس) وغيره في منافع الأعضاء بأفصح عبارة وأوضحها، مع زيادات نفيسة من قبله تدل على فضل باهر، وعلم غزير، ولذلك يقول في أول كتابه هذا: وليس يعرف فضيلة ما أوردناه على ما أورده إلا من قابل بين كلامنا هذا وكلامهم، مع دراية وإنصاف منه، . فإن من لا يدري ما يعتبره لم يصلح للحكم فيه، ومن لا إنصاف فيه، لم يحكم للأفضل ولم يؤثره فمن اعتبر من يصلح للاعتبار، وهو العالم المنصف بعناية واستقصاء منه ما أوردناه وما أوردوه، رأى كيف صححنا ما أوردوه، وهذبناه، وأتممناه، وسهلناه، ورتبناه ترتيبًا أفضل لجملة الكلام ولكل فصل منه؛ وأسقطنا من هذا الصنف من العلم ما ليس منه، ثم كم زدنا من عندنا، معاني دقيقة عجيبة كانت قد خفيت عليهم للطفها وجلالة رتبتها، وكيف جعلنا البيانات من الأشياء المتقدمة على الأشياء المتأخرة، بالعكس مما فعلوه، ليكون بيانا

للشيء بمبادئه وأسبابه، فيكون برهانًا حقيقيًا [عيون الأنباء، ص 436؛ بروكلمان، 4/ 295]؛ 4 ـ كتاب في أصناف العلوم الحكمية [بروكلمان، ص 4/ 295]؛ 5 ـ تلخيص على كتاب السماء والعالم لارسطو طاليس، [بروكلمان، 4/ 295]؛ 6 ـ كتاب أركان العالم، [بروكلمان، 4/ 295]؛ 7 ـ كتاب مبادئ الموجودات الطبيعية، ذكره بروكلمان هكذا، ولعله نفس كتاب العلم الطبيعي الذي ذكره [ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 437؛ بروكلمان، 295]؛ 8 ـ رسالة في ماهية الجدري، ووردت في بعض المصادر رسالة الجدري، نسخة منها في مكتبة شهيد علي في تركيا برقم 5/ 2095، [مخطوطات الطب الإسلامي في تركيا، ص 359؛ عيون الأنباء، ص 437؛ بروكلمان، 4/ 295]؛ 9 ـ كتاب في الوباء ألفه للملك العادل أبي العباس محمد بن مأمون خوارزم شاه، وعنوان الكتاب في مكتبة شهيد علي بتركيا، [عيون الأنباء، ص 437؛ مخطوطات الطب الإسلامي في تركيا، ص359]؛ 10 ـ كتاب الكفاية في تعبير الرؤيا، وهو كتاب في تفسير الأحلام، رتبه المؤلف على مائة واثنين وثلاثين بابًا، [كشف 2/ 1498؛ بروكلمان، 4/ 295؛ عيون الأنباء، ص 437]؛ 11 ـ رسالة في تحقيق أمر الوباء والاحتراز عنه وإصلاحه إذا وقع، [مخطوطات الطب في تركيا، ص 359]؛ 12 ـ رسالة في تحقيق سوء المزاج، ما هو، وكم أصنافه، [مخطوطات الطب الإسلامي في تركيا، ص 359]؛ 13 ـ اختصار كتاب المجسطي، [عيون الأنباء، ص 437؛ هدية العارفين، 2/ 806]؛ 14 ـ فوائد في الشعر، [مخطوطات الطب الإسلامي في تركيا، ص 360].

د. أسامة ناصر النقشبندي
مركز بغداد للتراث ـ العراق

الجرجاني، الشريف، علي بن محمد بن علي

(740هـ/ 1340م ـ 816هـ/ 1413م)

السيد علي بن محمد بن علي، المشهور بالشريف الجرجاني، المولود في «تاجو Tadju» ويسمِّيها الزركلي غلطًا تاكو، [انظر الأعلام، 5/ 159]، سنة 740هـ/ 1340م من نواحي جرجان (وهي هرقانية Hyrcania القديمة وكركان الحديثة)، وكانت مدينة عظيمة مشهورة في الركن الجنوبي الشرقي لبحر الخزر بالقرب من طبرستان ويفصل بينهما نهر [E.I؛ القمي، الكنى، 2/ 132]، وقد كانت تعرف جرجان أيضًا باستراباذ [انظر: الموسوعة العربية الميسّرة، 1/ 621] وقد غلط محمد مهران [تطور المنطق العربي، 493 ـ 495] فاعتبرهما مدينتين مختلفتين، والصحيح كلاهما

مدينة واحدة [E.I., art. Jurjan؛ كذلك دائرة المعارف الإسلامية، مقالة هارتمان، 6/ 313 ـ 333]، ومن هنا يُلقب بالشريف الجرجاني وأحيانًا بالإسترابادي، وهو لقب مُسْتَحْدَث، كما ينتسب إلى السادة الحسينيين، ويلقبه البعض بالحسيني نسبًا، كما يُلقّبه آخرون بالحنفي انتسابًا إلى مذهب أبي حنيفة في الفقه [قارن القمي، الكنى، 2/ 132].

درس في مستهل حياته العلوم الدينية والفقه والأصول في جرجان، ثم رحل إلى شيراز سنة 766هـ/ 1365م، وهو في سن الخامسة والعشرين ثم إلى هراة وعرف قطب الدين الرازي، المشهور بالتحتاني، الفيلسوف الذي توفي في نفس السنة 766هـ/ 1365م وهو الذي نصحه بالدراسة على مبارك شاه في مصر، فرحل الجرجاني إلى كرمان بقصد الدراسة على محمد جمال الدين الأقسرائي الذي توفي قبل لقاء الجرجاني به في كرمان وهناك تعرّف على شمس الدين محمد الفناري (ت 1431م) فاصطحبه إلى مصر (حوالى سنة 1370م) للدراسة على مبارك شاه (ت حوالي 1400م)، فلازماه زمنًا لدراسة العلوم العقلية، ثم عادا إلى كرمان فشيراز، فبقي فيها الجرجاني بعد أن لازم سعد الدين التفتازاني (ت 791هـ/ 1390م) درس عليه على الأكثر، أوصى به هذا الأخير الشاه شجاع لتعيينه أستاذًا للكلام والعلوم العقلية في جرجان سنة 779هـ/ 1377م. وبعد عشر سنوات فتح تيمورلنك شيراز سنة 789هـ/ 1387م ليلحقها بدولته المغولية، هنا يذكر الزركلي أن الجرجاني فرّ إلى سمرقند [الأعلام، 5/ 159] بينما يرى ريشر أن تيمورلنك أرسله إلى سمرقند بغرض أن يكون في بلاطه هناك [Rescher, D.A.L., 222] ولم يستطع محمد مهران حسم موضوع فرار الجرجاني إلى سمرقند من انتقاله إليها بأمر تيمورلنك [انظر الترجمة العربية لريشر، ص493 ـ 495].

وفي سمرقند لازم الجرجاني سعد الدين التفتازاني، وحصلت بينهما منافسة انتهت بمناظرة مشهورة بحضور تيمورلنك [مقدمة التعريفات للجرجاني، ص11] أدّت إلى جفوة كبيرة بين الاثنين حتّى وفاة التفتازاني الذي كان أسن من الجرجاني بثمانية وعشرين عامًا. وبعد وفاة تيمور لنك سنة 807هـ/ 1405م، عاد الجرجاني إلى شيراز حتّى وافاه الأجل سنة 816هـ/ 1413م وهو وفي سن الثالثة والسبعين.

ويعدّ الشريف الجرجاني واحدًا من أهمّ الجرجانيين المعروفين في كتب السير، ذكر الزركلي ستة منهم في [الأعلام، 2/ 107] كما ذكر القمي عددًا منهم في [الكنى، 2/ 131 ـ 132]، بل إنّه كما يرى ريشر أهمّهم في الدرس المنطقي [Rescher, 222، ترجمة محمد مهران، 494]. وقد تنوّعت معارفه بين الفقه، والأصول، والكلام، والفلسفة، والمنطق، والنحو، وعلم الهيئة، والمصطلحات، حتّى عُدَّ عَلَم عصره في هذه العلوم. فبلغت مؤلفاته الخمسين مصنفًا [الزركلي، 5/ 159] وعدها طرابيشي [معجم الفلاسفة، 233] خمسة وعشرين، لكن المشهور أن المطبوع منها سبعة عشر كتابًا [مقدمة التعريفات، 11]، أشار بروكلمان إلى تسعة منها مطبوعة [الأعلام،

5/ 159 ـ 160]، كما أشار ريشر إلى عشرة عناوين أخرى [Rescher, ، ترجمة مهران، 222 ـ 223، 494 ـ 495]

آثاره

يمكن تصنيف كتبه في ثلاثة أنواع:

أ ـ التأليف:

1 ـ التعريفات، وهو كتاب في المصطلحات والمفاهيم، طبع مرارًا كانت أول مرة في ليبزيك 1845 وآخرها في بغداد 1986؛
2 ـ رسائل الجرجاني، مجموعة مطبوعة، القاهرة 1328هـ؛

ب ـ الشروح:

وهي شروح متعددة على مفاتيح العلوم للسكاكي، استانبول 1241هـ، وعلى الكشاف للزمخشري، القاهرة 1307هـ، 1308هـ، 1318هـ، وعلى المطوّل التفتازاني، وعلى تلخيص المفتاح للقزويني، استانبول 1241هـ، وعلى كتاب المواقف للإيجي في علم الكلام، اسطنبول 1329هـ، وعلى الفرائض السراجية للسجاوندي، قازان 1889، 1894.

وللجرجاني شروح أخرى غير مطبوعة مثل شرح ايساغوجي للأبهري، وشرح التذكرة للطوسي، وشرح كتاب الجغميني في الهيئة.

ج ـ الحواشي:

وهي تعليقات وحواش على شروح لغيره، مثل حواشي شرح قطب الدين الرازي التحتاني على الرسالة الشمسية لنجم الدين الكاتبي، ط. كلكتا، 1261هـ، ولكنهو، 1883م، وحواشي شرح البخاري على كتاب حكمة العين لنجم الدين الكاتبي، ط. كلكتا، 1845م، وحواشي شرح الكاتبي على ايساغوجي الأبهري (مخطوط)، وحواشي شرح التحتاني لكتاب مطالع الأنوار للأرموي (مخطوط)، وحواشي لشرح الأرموي على كتابه مطالع الأنوار (مخطوط).

وبناء على هذه المؤلفات والشروح والحواشي، نلاحظ أن الجرجاني قد برع في كتابة اللغة والمصطلح والحديث وعلم الكلام والفلسفة وعلم الهيئة، علاوة على مؤلفاته المنطقية التي كان مبرزًا فيها [Rescher ترجمة مهران، 222 ـ 223، 494 ـ 495]، أشهرها الرسالة الكبرى في المنطق، ط. لكنهو، 1264هـ، والرسالة الصغرى في المنطق، ط. القاهرة، 1328هـ/ 1910م. ومن الملاحظ أن الجرجاني العالم بالعربية كتب بعض مؤلفاته بالفارسية مثل: الرسائل الصغرى في المنطق، نقلها إلى العربية ابنه نور الدين الجرجاني.

وأهم أعمال الشريف الجرجاني، هو كتابه «التعريفات» الذي نشره أول مرة في ليبزيك سنة 1845م المستشرق فلوكل G. Flugel تحت عنوان: Definitions، وقد عُدّ الكتاب واحدًا من أهم الكتب التي بحثت في دلالات الألفاظ والكشف عن المعاني المختلفة، وقد رتّبه على حروف الهجاء، فجاءت مصطلحاته متنوّعة بتنوّع ثقافته التي أفرزها عصره في الحديث، والكلام، والفقه، والنحو، والصرف، والتفسير، وغير ذلك، وقد عالج أحمد مطلوب أهمّية كتاب التعريفات، ط. بغداد 1986، في مقدمة بيّن فيها مكانة الكتاب بين أصول المعاجم العربية [التعريفات، المقدمة، 5 ـ 10]، على

الرغم من أن تطوّر المصطلح الفلسفي عند فلاسفة الإسلام أخذ منهجًا مغايرًا في رسائل الحدود والرسوم التي وصلت إلينا من جابر بن حيان حتّى زمان سيف الدين الآمدي. لكن الجرجاني، قدم لأجيال القرون الخامس عشر وحتّى القرن العشرين معجمًا مهمًا بالعربية اجتهد فيه أن يكون في أيدي المثقفين من غير المتخصصين، فكان له ما أراد! فقد طبع الكتاب طبعات كثيرة منذ 1845م في ليبزيك، واستانبول، والقاهرة، وبيروت، وتونس، وآخرها بغداد.

المصادر والمراجع

● اللكنوي، أبو الحسنات، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، القاهرة 125، 1924؛ ● طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، القاهرة، 1/ 167؛ ● القمي، عباس، الكنى والألقاب، النجف 1956، 2/ 329 ـ 331؛ ● الأعسم، عبد الأمير، المصطلح الفلسفي عند العرب، بغداد 1985، القاهرة 1987، تونس 1991، بيروت 1997؛ ● بروكلمان، C. Brockelmann، مادة (الجرجاني) في دائرة المعارف الإسلامية، 6/ 333 ـ 334؛ ● الزركلي، الأعلام، ط3، 5/ 159؛ ● طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، بيروت 1987؛ ● مطلوب، أحمد، مقدمة كتاب التعريفات للجرجاني، بغداد 1986؛ ● هارتمان R. Hartmann، مادة (جرجان) في دائرة المعارف الإسلامية، 6/ 331 ـ 333.
كذلك قارن ما يقوله بروكلمان:

• Brockelmann, C.: G.A.L., I, 216-217, II, 280-281; Supl., I, 504-515-516, II, 305-306; • Rescher, N.: The Developpement of Arabic Logic, Pittsburg University 1964, 222-223.

[الترجمة العربية لمحمد مهران تطور المنطق العربي، القاهرة 1985، 493 ـ 495].

د. عبد الأمير الأعسم
بيت الحكمة ـ بغداد

الجرجاني، أبو عبد الله يوسف بن علي

(ت 522هـ/1128م)

لم تتوفر معلومات كافية عن المؤلف في كتاب خزانة الأكمل الذي كان وسيلة للتعريف بالمؤلف والذي تم تأليفه حسب ما ورد في المقدمة في عيد الأضحى عام 522هـ (كانون الأول 1128م)، لذا نُسب الكتاب إلى العديد من الأشخاص. ويذكر كل من

كُتاب الطبقات الحنفيين الأوائل وهما قُرشي وابن قطلوبغا بأن أبا عبد الله يوسف بن علي بن محمد الجُرجاني هو مؤلف الكتاب ذي الستة مجلدات. وقد تكررت هذه المعلومات في كتب الطبقات الحنفية الأخرى فيما بعد. إلا أنه، وكما أشار كل من تقي الدين التميمي واللكنوي [الطبقات السنية، ورق 567 أ؛ الفوائد البهية، صفحة 231] عند أخذ تاريخ تأليف الكتاب بنظر الاعتبار، فقد ثبت عدم صحة المعلومات الواردة في كتب طبقات الأولى حول أخذ الجرجاني لدروس عن الكرخي (المتوفى عام 340هـ/ 952م).

ويؤيد هذا الرأي وجود مؤلفات لأشخاص عاشوا بعد الكرخي بعصر واحد بين مصادر خزانة الأكمل. وربما ورد هذا الخطأ نتيجة الالتباس بين الجرجاني الذي لا تتوفر عن هويته معلومات أخرى وبين أستاذ القدوري أبي عبد الله محمد بن يحيى الجرجاني (المتوفى عام 398هـ/ 1008م) [تميمي، ورق 567 أ]. وقد وردت كنية المؤلف على النسخ المخطوطة لخزانة الأكمل كأبي عبدالله وأحياناً أخرى كأبي يعقوب.

وسجل كاتب جلبي كنيته كأبي يعقوب [كشف الظنون، I، 702]، إلا أن الكتاب يُنسب إلى أبي القاسم علي بن حسين بن محمد الزينبي (المتوفى عام 543هـ/ 1149م) وذلك في النسخة الموجودة في مكتبة السليمانية [قسم يگي جامع، رقم 413 ـ 415] وفي بعض النسخ التي ذكرها بروكلمان [Supplement, I, 970]. إلا أنّ الزينبي الذي تذكر عنه المصادر بأنه عيّن قاضي قضاة من قبل الخليفة العباسي المسترشد بالله. وبالرغم من انه عُرف بالصدر الأكمل أو الأكمل بسبب عمله نائباً للوزير [القرشي، II، 568؛ الذهبي، XX، 208 ـ 207؛ ابن تغري بردي، V، 282؛ التميمي، ورق 33 أ] فمن الغريب انه لم يتم ذكر أي شيء عن كتابه هذا.

وقد أشار ابن قطلوبغا إلى خطأ نسبة هذا الكتاب إلى أبي الليث السمرقندي وبيّن محمد قامي الادرنوي إلى خطأ نسبة الكتاب إلى ابن الذهبي المعروف كذلك بأكمل وذكر أن كورجاني هو مؤلف الكتاب [تاج التراجم، صفحة 318؛ محامل الفقهاء، ورق 68 أ].

وقد تم العثور على خمس عشرة نسخة مخطوطة من خزانة الأكمل التي يعتبر جزءا منها ناقصا (مكتبة السليمانية، قسم الفاتح، رقم 1627، قسم الملا جلبي، رقم 101، قسم حالت أفندي، رقم 131، قسم آيا صوفيا رقم 1146، قسم شهيد علي باشا، رقم 769 ـ 770 [المجلد الأول ناقص]، قسم أسعد أفندي، رقم 678 ـ 680، قسم رئيس الكتاب مصطفى أفندي، رقم 327 ـ 329، قسم جار الله أفندي، رقم 633 ـ 637، قسم يگي جامع، رقم 413 ـ 415؛ مكتبة نورعثمانية، رقم 1518، 1519؛ مكتبة بانكي پور خودا باش، رقم 1617؛ مكتبة معهد بحوث الشرق في طاشقند، رقم 3488؛ دار الكتب الظاهرية، الفقه الحنفي، رقم 9116، المجلد III)، [انظر بروكلمان، Supplement I، 970].

وتجدر الإشارة هنا إلى النسخ المُذهبة لفاتح وحالت أفندي ونورعثمانية على وجه الخصوص. ويعتبر قسم «كتاب الوقف» من الكتاب وكذلك سليمانية [رئيس الكتاب،

قسم مصطفى أفندي، رقم 1159، ورق ط87 ـ ط 114] بالإضافة إلى كوبريلي [قسم فاضل احمد باشا، رقم 689، ورق 277 أ ـ 301ط] من الأقسام المحفوظة في مجموعات مسجلة بالمكتبة.

ويذكر المؤلف بالمقدمة بأنه عند مراجعته للأعمال التي أعدها علماء الحنفية فانه قرر كتابة مثل هذا الكتاب للحاجة الماسة لأصحاب الفتوى لما لهذا الكتاب من أهمية كبيرة نظراً لكونه شاملاً لمعلومات من مصادر متعددة. ويحوي الكتاب إلى جانب الأحكام الصادرة من الأحداث العادية بعض الأحكام من الأحداث النادرة. والكتاب عبارة عن ملخص للأعمال المهمة للأئمة الحنفيين وعلماء الدين فيما بعد. ويقدم الكتاب في البداية كتب الإمام محمد وكتاب «الكافي» للحاكم الشهيد، بالإضافة إلى قائمة المصادر التي استعملها:

ففي كتاب خزانة الأكمل الذي تم ترتيبه حسب الترتيب العام لكتب الفقه التقليدية، فان تسلسل العناوين الثانوية لم يكن مرتباً حسب هذا الترتيب التقليدي كما ذكر المؤلف في المقدمة. فبدلاً من وضع أبواب لحصر معلومات خاصة بموضوع ما، فقد تم جمع هذه المعلومات تحت عناوين مثل: جمعة، غسول، جنازة، اعتكاف... الخ. وفي هذا الكتاب الذي يعتبر كتاب فتوى وسُجلت فيه آراء طُلاب أبي حنيفة، لم يتم ذكر الدلائل، بل وردت الآيات في بداية الأقسام الرئيسية. ونظراً لأهمية كتاب خزانة الأكمل لكونه عملاً يحتوي على ملخصات العديد من الكتب، فقد ختم في نهايته حياة الرسول ﷺ ومعلومات خاصة عن عصر الخلفاء الراشدين، ، في منظور زمني، ويحتوي الكتاب فيما بعد على طبقات الصحابة وفقهاء التابعيين وزاهدي التابعين ورؤساء التابعين والأصوليين (الكلاميين) الأوائل، كما يتضمن الكتاب الأئمة أصحاب المذاهب الذين جاؤوا بعد التابعين والفقهاء الآخرين وفقهاء أهل البيت.

المصادر والمراجع

● الذهبي، سِيَرُ أعلام النبلاء، XX، 207 ـ 208؛ ● القُرشي، الجواهر المضيئة، نشر عبدالفتاح محمد الحلو، القاهرة 1393 ـ 1399، II، 568، III، 630 ـ 631؛ ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، القاهرة، 1956، V، 282؛ ● ابن قطلوبغا، تاج التراجم، نشر م. خير رمضان يوسف، دمشق، 1413هـ/ 1992م ص 310، 318؛ ● التميمي، الطبقات السنية، مكتبة السليمانية، قسم رئيس الكُتاب، رقم 673، ورق 33أ، 567أ؛ ● علي الكاري، الأثمار الجنية، مكتبة السليمانية، قسم شهيد علي باشا، رقم 1841، ورق 86 ب؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، I، 702؛ ● محمد كامي الادرنوي، محامل الفقهاء، مكتبة السليمانية، قسم عاشر افندي، رقم 422، ورق 68ب، 83ب؛ ● اللكنوي، الفوائد البهية، القاهرة، 1324، صفحة 231؛ ● بروكلمان، Geshicht der

Arabischen Litterature, Panta Public Library: an Introduction to the khuda Oriental and Eastern, V.C. Scott O'Connor, I, 639, 969 - 970 ؛Supplement, I, 461.

● م. مفتي الحافظ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الفقه الحنفي، دمشق، 1401هـ/ 1980م، I، 294 - 295؛ ● احمد أوزال، علماء الفقه الحنفي، انقره، 1990، صحفة 45.

د. أحـمـد أوزال
مركز الدراسات الاسلامية
اسطنبول - تركيا
ترجمة: تورنجان كوثر

الجرجاني، أبو الفضائل إسماعيل بن حسين

(ت 531هـ/1137م)

تذكر المصادر أن اسم والده هو حسين، ولقبه شرف الدين، وكنيته أبو الفضائل، وأجداده من أسياد أصفهان. ولد في عام 434هـ الموافق عام 1042م في جرجان. وقضى قسما كبيرا من حياته هناك. ويذكر أنه أثناء وجوده هناك التقى بعض طلاب ابن سيناء. وذهب إلى نيسابور لتلقي العلم. ودرس الطب على يد أبي القاسم عبد الرحمٰن بن علي النيسابوري وهو أحد طلاب ابن سيناء، وكان يلقب بـ «بكرة الثاني»، ويدعى بـ «ابن أبي صادق». كما حصّل علم الحديث على يد أبي القاسم القشيري. ولمدة من الزمن مكث في قم ومرو. ثم ذهب بعد ذلك في عام (504هـ/ 1110م) إلى خوارزم في عهد قطب الدين محمد خوارزم شاه.

مكث الجرجاني فترة طويلة في خوارزم. وحقق نجاحات كبيرة في مجالي التداوي والجراحة أثناء فترة وجوده هنا. وكتب مؤلفه الشهير «الذخيرة» الذي يدور حول مجال الطب في هذه المنطقة، وقام بإهدائه إلى السلطان المذكور. ومكث سبعة عشر عاما في حماية محمد قطب الدين شاه (490هـ/ 1097م - 521هـ/ 1127م) وحظي بعناية واهتمام كبيرين من قبل السلطان. وتمت مكافأته على أبحاثه التي أنجزها. كما تم إسناد إدارة مستشفى بهاء الدولة إليه. وفي عام 521هـ/ 1127م دخل في حماية أتسز بن محمد وذلك عند وفاة قطب الدين شاه. وتعمقت علاقاته فيما بعد مع صديقه آتسز وذلك أثناء فترة الشهزاده ليك. وقدم إليه كتابيه «حفي علائي» و«الأغراض الطبية»، وهما كتابان في مجال الطب. ويذكر أنه أهدى مؤلفه إلى وزيره مجد الدين صاحب بن محمد البخاري.

قضى الجرجاني بقية عمره مستقرا في مرو في

سراي السلطان السلجوقي سنجر. ويذكر البيهقي أنه رآه في عام (531هـ/ 1137م) في سرخس، بينما يشير ياقوت الحموي إلى أنه توفي في العام نفسه في مرو، أما كاتب چلبي فيذكر أنه توفي في عام 535هـ.

آثاره

1 ـ ذخيرة خوارزم شاهي، يعتقد أنه أهم موسوعة طبية شاملة كتبت باللغة الفارسية حتى ذلك الزمن. ويذكر الجرجاني في كتابه هذا أن المرء، إذا أراد أن يصبح طبيبا لابد أن يقرأ عددا لا يحصى من كتب الطب بمختلف اللغات. وبين أنه كتب مؤلفه باللغة الفارسية وذلك حتى يزيل هذه المشقة.

احتوى الكتاب ـ إلى جانب المؤلفات الفارسية والعربية التي تمت كتابتها في الفترات السابقة للجرجاني في مجال الطب ـ على التجارب التي قام بها بنفسه. ويتألف الكتاب من عشرة أقسام (كتب)، وتمت إضافة أحدها كملحق. وتناول في هذا المُؤلّف بالترتيب تعريف علوم الطب واتجاهاته العلمية والعملية وفوائده، والعناصر التي تشكل جسم الإنسان، وتعريف الأمراض المختلفة، والصحة، والتنفس، وتحديد الحالة، وكيفية تشخيص الأمراض، وأسباب النبض، والحمى بأنواعها وتداويها، وعلاج الأمراض، وتعريف الأورام والسموم وتأثيرها، بالإضافة إلى مواضيع متعلقة بمعلومات عن العلاج. وبصفة خاصة يوصي بإخراج القسم الداخلي من عدسة العين في علاج إعتام العدسة. ويظهر هذا توافقا مع المعلومات التي تم قبولها من قبل الطب اليوم. وتميّز الكتاب من حيث الأسلوب بالبساطة وعدم التكلف والوضوح والجمال، ويعتبر مثالا جميلا من النثر الفارسي الأول.

توجد من الكتاب نسخ عديدة متفرقة في عديد المكتبات. وتعتبر النسخ الكاملة منه قليلة جدا وذلك بسبب حجمه الكبير. وقام علي أكبر سعيدي سرجاني بنشر نسخة مخطوطة كاملة من المؤلف مؤرخة بعام (603هـ/ 1206م) [طبعة طبق الأصل، طهران 1355 شمسي/ 1976]. كما تم نشر المجلد الأول من قبل جلال مصطفوي، ومحمد حسين اعتمادي ومحمد شهراد [طهران 1344 ـ 1352 هجري ـ شمسي].

كما قام المؤلف بترجمته إلى اللغة العربية في عهد أتسز، ثم بعد ذلك تم اختصاره وترجمته إلى اللغة العبرية. وفي الهند نشرت الترجمة التي تمت من اللغة الفارسية إلى اللغة الأوردية [ترجمة محمد هادي حسين، I-II، ليكنو 1878]. وقام صابون جو شرف الدين (ت 873هـ/ 1468م) بترجمة قسم الأقرباذين إلى اللغة التركية [مكتبة السليمانية، قسم الفاتح، رقم 3536؛ قسم قلج علي باشا، رقم 1/ 761]. واستفاد كل من مراد بن اسحاق في كتابه "خواص الأدوية" ـ وهو من العلماء الذين عاشوا في عهدي السلطان مراد الأول والسلطان يلدرم بايزيد ـ من مؤلف الجرجاني فائدة كبيرة، كما استفاد منه أيضا استفادة كبيرة مُقبل زاده مؤمن في كتابه «الذخيرة المرادية»، وهو من العلماء الذين عاشوا في عهد السلطان مراد الثاني. كما قام عباس نفيسي بدراسة تتعلق بـ «الذخيرة» بعنوان:

Les Fondements théoriques de la

médecine persane, d'après l'Encyclopédie médicale de Gorgani, avec un aperçu sommaire de la médecine en Perse (Paris 1933)

ودرس B. Thierry de Crussol des Epesse في مقالته الفصل الثاني من القسم السادس والذي يتعلق بالعين [قفتار]:

(La Science dans le Monde Iranien à l'époque islamique, Téhéran 1998, p. 235-252).

وبالإضافة إلى ذلك قام بترجمتها إلى اللغة الفرنسية مع الملاحظات:

(Discours sur l'oeil d'Esmail Gorgani, Téhéran 1998).

2 ـ حفي علائي، مؤلف تم اختصاره من «الذخيرة» تلبية لرغبة أتسز. وهو يتكون من مجلدين صغيرين. وتمت طباعته طبعات مختلفة [أكرا 1852؛ كانبور 1891؛ طهران 1369 شمسي]؛ 3 ـ الأغراض الطبية والأبحاث العلائية، رغم أن هذا المؤلف هو كذلك عبارة عن مختصر من «الذخيرة»، إلا أنه يعتبر أكثر توسعا وأكثر تفصيلا من «حفي علائي». وتم فيه تناول المواضيع بطريقة جديدة. وحسب ما يفهم من «كشف الظنون» فهو عبارة عن شرح تم بتكليف من الوزير مجد الدين صاحب بن محمد البرهاني لكتاب في الطب (ينبغي أن يكون «حفي علائي»)، وكتب هذا المؤلف باللغة الفارسية. وتم استنساخه في عام 543هـ/ 1148 ـ 1149م. وتوجد منه نسخة في مكتبة السليمانية [قسم آيا صوفيا، رقم 3566]، كما توجد منه نسخة في India Office Library في لندن، ونسخة في Fort William College Library في كالكوتا، وبالإضافة إلى ذلك توجد نسخة في مكتبة آصافية في حيدر أباد.

ويتكون الباب الأول من الكتاب من تسعة عشر فصلا، ويعرف في القسم الأول المجالات المتعلقة بمواضيع الطب، وتضمن القسم الثاني الذي يتكون من سبعة فصول أعضاء الجسم البسيطة، بينما اشتمل القسم الثالث على الأعضاء المعقدة. واحتوت الأقسام اللاحقة بالترتيب على دراسة في المرض والصحة وأسباب المرض وأنواع النبض والتنفس والبول وإفرازات الجسم الأخرى. وشرح في الباب الثاني من القسم الثاني تطور المرض ومدته ونتائجه وتوقعه المسبق وعلامات ذلك. أما الباب الثالث فقد احتوى على العلاج والحمية، وأورد نقاشا حول مرض الكزاز (التاتانوس) وأسبابه المتمثلة في الاضطرابات العصبية، وهذا متوافق تماما مع ما توصل إليه الطب الحديث. وطبع في طهران (1345 شمسي/ 1966). وتمت ترجمته إلى اللغة الأوردية من قبل Kausar Chandpuri.

للجرجاني كتب أخرى باستثناء هذه المؤلفات، ويوجد بعضها في شكل مخطوطات وهي على النحو التالي: «الرسالة المنبهة»، و«زبدة الطب»، و«الأجوبة الطبية»، و«يادغار في الطب»، و«الطب الملوكي»، و«كتاب المنبهات»، و«تدبير اليوم والليلة»، و«التذكرة الأشرفية في الصناعة الطبية».

المصادر والمراجع

• البيهقي، علي بن زيد، تاريخ حكماء الإسلام، نشر محمد كرد علي، دمشق 1365هـ/ 1946م، ص 172 ـ 174؛

● المؤلف نفسه، تتمة صوان الحكمة، نشر محمد شفيع، ص 172 ـ 176؛ ● الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت 1957، II، 122؛ ● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشر نزار رضا، بيروت 1965، ص 472؛ ● الطهراني، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت 1403، X، 10 ـ 11؛ ● عنوشه، حسن، «الجرجاني، سيد إسماعيل»، دائرة معارف التشيع، طهران 1375، V، 331؛

● Brockelmann, Geschichte der Arabischen Lietteratur, I, 641; Supplementband, I, 889-890; ● Adnan Adivar, Osmanli Türklerinde Ilim, Istanbul 1970, p.20, 28, 52; ● Manfred Ullmann, Die Medizin im Islam, Leiden 1970, p. 161, 337; ● George Sarton, Introduction to the History of Science, New York 1975, II/1, p. 234-235; III/2, p. 1216; ● Hakim Muhammed Said, «The Works of Ismail al- Jurjani (C. 480-531 H). An Important Source Material», Hamdard Medicus, XX, Karachi 1977, P. 7-80; ● Kausar Chandpuri, «Sharf al-Din Ismail Jurjani», Studies in History of Medicine, II/1, New Delhi 1979, p. 69-74; ● Salahudin Salihzadih, «Isma'il Jurjani and His Magnum Opus-The Dhakhirah-i Khwarazmshahi», Journal of Central Asia, X/1, 1987, p. 69-75; ● J. Schacht, «al-Djurdjani, Ismail b. Al- Husayn», Encyclopaedia of Islam (new edition), II, 603; ● Ali Akbar Saidi Sircani, «Dakira- ye Kvarazmiahi», Encyclopaedia Iranica, California 1993, VI, 609-610; ● Hasan Doğruyol, «Cürcani, Ismail b. Hasan», Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1993, VIII, 133-134.

د. أحمد أوزال
الموسوعة الإسلامية ـ اسطنبول ـ تركيا
ترجمة: أنعم محمد عثمان الكباشي ـ السودان

ابن جرجس، جرجي بن أنطنيوس

(1261هـ/1845م ـ 1355هـ/1936م)

جرجي بن أنطونيوس بن جرجس بن ميخائيل ينّي، اليوناني الأصل، الطرابلسيّ المولد والوفاة. خرج جدّه الأعلى ميخائيل في أحد المراكب من الأرخبيل اليوناني للتجارة مع الموانيء الشرقية للبحر المتوسط، حوالي سنة 1184هـ 1770م

فتحطّم المركب على مقربة من ميناء طرابلس، وفقد كل ما يملكه، فنزل في المدينة واستضافه ابن وطنه «جواني كاتسفليس» وكان وجيها يعمل مترجماً لدى قنصل إنكلترا بطرابلس، وسعى له عند القنصل فوفّر له العناية والحماية، وأخذ يبني حياته من جديد، وقطع صلاته بوطنه اليونان، واستقرّ له المقام بطرابلس فتزوّج بها ورُزق الأولاد، والأحفاد، والذراري.

ولد جُرجي في دار أبيه الفخمة التي كان يرتادها ذوو الوجاهة والسياسة من سوريين، ولبنانيين، وأتراك، وأمريكيين، ويونان، وإنكليز، فنشأ في جوّ عابق بالوجاهة ومجالس الفكر والسياسة، وعاش حياة هنيّة بين المباهج الاجتماعية وأطيب الأوقات، فتوفّرت له الدروس في كتاتيب المدينة، ثم درس في المدرسة الإنجليزية، وتعلّم العربية والصرف والنحو، ومبادىء الإنكليزية والحساب والتاريخ والجغرافية، وشيئا من العلوم الطبيعية، والتحق بالمدرسة الوطنية في بيروت للمعلّم بطرس البستاني (ت 1301هـ/ 1883م) وأمضى فيها خمس سنوات متّصلة يتلقّى العلوم العالية، وعاد إلى طرابلس، فعهد إليه والده بجميع أعماله السياسية والصيرفية، ولكنّ ذلك لم يصرفه عن الاهتمام بالنواحي الفكرية والعلمية، فأسهم مع نفرٍ من علماء طرابلس من الروم الأرثذوكس بتأسيس مدرسة «كفتين» الشهيرة بمنطقة الكورة القريبة من طرابلس سنة 1299هـ/ 1881م.

وفي السنة المذكورة ـ وكان عُمره سبعة وعشرين عامًا ـ نشر كتابه "تاريخ سورية" الذي عمّت شُهرته بلاد الشام، ودلّ على أنه كان رصينًا في كتابته، واسع الاطّلاع، مُلمّا بالكثير من المصادر والمراجع التاريخية، وباختلاف لغاتها التي كان يتقنها. فقد قرأ تاريخ «استرابو» و«بلّيني»، و«يوسيفوس»، و«هيرودتس»، و«ديودورس»، و«هوميروس»، و«استيفانوس» وغيره من مؤرّخي اليونان القدماء، والكتاب المقدّس بعهده القديم، واستعان بالمراجع الغربية الحديثة أمثال مؤلّفات «روبنصن» و«لايرد» و«دولاروك» و«فولناي» و«يوركارد» و«هوك» و«ميشود» و«مكسيموس» و«رينان» وغيره، ورجع إلى أمهات المصادر العربية من مؤلّفات ابن خلدون (ت 808هـ)، وأبي الفداء (ت 732هـ)، وابن بطوطة (ت 777هـ)، وياقوت الحموي (ت 628هـ)، وطالع الفَرَمانات والصكوك والسجلّات الرسمية والمراسلات والتقارير القنصلية والرسائل الدبلوماسية ونصوص المعاهدات والقيود والفتاوى والمذكّرات وبعض المخطوطات التي باتت في حكم المفقود.

وقصد بتاريخ «سورية» بلاد سورية الطبيعية التي كانت تضم الأقطار الحالية: لبنان، وسورية، والأردن، وفلسطين. وقسّم كتابه إلى قسمين، تناول في الأوّل التاريخ العام للبلاد من العصر الفينيقي حتّى القرن التاسع عشر الميلادي. أما القسم الثاني فخصّصه لتاريخ أشهر المدن، مبتدئا بحلب، وأعقبَها بقِنَّسْرين، والإسكندرية، وأنطاكية، ودفنه، وسولوقية، ومدن الداخلة، واللاذقية، وجبلة، وطرطوس، وحماه، وحمص، وأرواد، وعرقا، ثم طرابلس التي خصّها بأكثر الصفحات، وبعد ذلك البترون، وجبيل، وبيروت، وبعلبك، ودمشق، وتدمر،

وصيدا، وصور، وعكا، ويافا، والقدس، وغيرها من المدن.

ويؤخذ على جرجي ينّي أنه اعتمد على الرواية المنسوبة للواقدي (ت 208هـ) في كتاب «فتوح الشام» التي تتحدّث عن فتح طرابلس الشام على يد الراهب «يوكنا» بطريق الحيلة، ويُهمل العودة إلى «فتوح البلدان» للبلاذريّ (ت 279هـ) وهو المؤرّخ الثقة المعوّل على روايته في حركة الفتوحات. الأمر الذي جعل معظم المؤرّخين المحدثين يأخذون بهذا القول خطأ دون تدبّر وتحقيق والعودة إلى المصادر الموثوقة. وحين أعاد جرجي ينّي كتابة «تاريخ طرابلس» في مجلّته التي كان يصدرها بطرابلس بعنوان «المباحث»، كرّر اعتماد الرواية المنسوبة للواقدي، وأتى في تاريخه بأغلاط وأخطاء وأوهام، قمنا بتصحيحها في مؤلّفاتنا.

آثاره

1 ـ إسكندر الثاني قيصر روسيا، مطبوع؛ 2 ـ تاريخ حرب فرنسا وألمانيا، مطبوع؛ 3 ـ تاريخ سوريا، مطبوع؛ 4 ـ عجائب البحر ومحاصيله التجارية، ترجمة كتاب سموندس بالإنكليزية؛ 5 ـ رواية البائسين، بالاشتراك مع أخيه صموئيل، مطبوعة؛ 6 ـ مختصر كتاب كشف اللثام عن مُحيّا الحكومة والأحكام، لنوفل نعمة الله نوفل؛ 7 ـ رواية حفظ الوداد، مطبوعة؛ 8 ـ تاريخ الأشوريين والبابليين، مخطوط؛ 9 ـ تاريخ فارس، مخطوط؛ 10 ـ تاريخ الماسونية العام، في 5 أجزاء؛ 11 ـ معجم الميثولوجيا؛ 12 ـ تاريخ سوريا المطوّل، في 31 مجلّدًا.

المصادر والمراجع

• الأعلام، 2/ 108؛ • معجم المؤلفين، 3/ 124.

د. عمر عبد السلام تدمري
الجامعة اللبنانية ـ طرابلس ـ لبنان

ابن جرج، أبو القاسم عبد الله بن أبي عامر يحيي

(ت 666هـ/1268م)

عبد الله بن أبي عامر يحيي بن عبد الرحمٰن بن ربيع الأشعري القرطبي، يكنى أبا القاسم، ويُعرف بابن جرج.

نشأ بقرطبة محبا للعلم، فكان أديباً كاتبا وشاعرا، ومن النحويين الذين يشار إليهم، ومن الفقهاء الأصوليين، أشعري النسب والمذهب، أخذ الفقه عن أبيه أبي عامر يحيي بن عبد الرحمن، وُلِّيَ القضاء في عدد من المدن، منها: رنده، ومالقة: التي تولى الخطابة بجامعها، ثم ولي بعد ذلك القضاء بغرناطة، فأمسى قاضي القضاة بها، وعُقد له مجلس لتعليم القراءات لطلبة العلم بغرناطة،

واستمر على هذه الحال نحو سبعة أعوام، وكانت وفاته سنة 666هـ.

من شيوخه: أبو عامر يحيى بن عبد الرحمٰن بن ربيع الأشعري، وهو والد عبد الله عاش بقرطبة، وإشبيليه، ومالقة، وغرناطة، وكان صدر علماء زمانه في الفقه والأصول، وعلم الكلام، كانت وفاته عام 639هـ؛ وعبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الحارثي الأندي، أبو محمد، كان فقيها ونحويا وشاعرا، وُلِيَ قضاء إشبيلية، وقرطبة، ومرسية وغيرها، كانت وفاته بغرناطة سنة 612هـ؛ وعلي بن محمد بن علي بن محمد نظام الدين، أبو الحسن، ابن خروف الأندلسي النحوي، كان إماما في العربية، درّس النحو بعدد من البلدان، أقام بحلب مدة من الزمن، صنّف: شرح سيبويه، وشرح الجمل، وكتاباً في الفرائض، كانت وفاته سنة 609هـ؛ ومحمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك الأموي الاشبيلي، أبو بكر المعروف بابن طلحة، كان إماما في صناعة العربية، عارفا بعلم الكلام، والقراءات، درّس العربية والأدب بأشبيلية أكثر من خمسين عامًا، كانت وفاته سنة 618هـ؛

المصادر والمراجع

- الغرناطي، صلة الصلة، تح. أ. ليفي بروفنسال، مكتبة خياط، بيروت، لبنان؛
- النباهي المالقي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتبة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان؛
- السيوطي، جلال، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

د. نوري كاظم الساعدي

جامعة بغداد ـ العراق

الجر، خليل ابراهيم

(1332هـ/1913م – 1409هـ/1987)

خليل إبراهيم الجر: باحث أكاديمي ولغوي ومترجم. ولد في يحشوش، وهي إحدى قرى جبل لبنان، ودرس في مدرسة «تحت السنديانة» في قريته على يد الخوري جبرائيل سعيد والأستاذ أسعد اسطفان زوين، ثم في المدرسة اليسوعية في بيروت (1925 ـ 1932م).

سافر في السنة 1934 إلى بغداد، وعلم فيها في مدرسة الآباء الكرمليين. وفي السنة 1935 عاد إلى لبنان ليعلم في دار المعلمين والمعلمات.

في السنة 1937 التحق بجامعة السوربون، ونال منها في السنة 1944م شهادة دكتوراه دولة في الفلسفة بإشراف لويس ماسينيون، وكانت أطروحته بعنوان: «الترجمات العربية والسريانية لمنطق أرسطو».

علم في المعهد الكاثوليكي في باريس، ثم عاد إلى بيروت في السنة 1945م ليمارس التعليم في معهد الآداب الشرقية في الجامعة اليسوعية، والأكادمية اللبنانية، ومدارس راهبات الناصرة والرسل والبيزانسون.

في السنة 1951م استدعي من قبل الشيخ بشارة الخوري، رئيس الجمهورية اللبنانية، لإنشاء الجامعة اللبنانية، فكان رئيسها الأول. وفي السنة 1952م كلف من قبل الأونسكو لمدة ستة أشهر بالتحضير لمؤتمرات تربوية في أوروبا، ثم عاد إلى لبنان ليدير دار المعلمين، وليمارس التعليم في الجامعة اللبنانية، والجامعة اليسوعية، وجامعة الكسليك، وبعض المدارس الخاصة. ثم كلف بعمادة كلية التربية، كما عين عضوا مراسلا لمجمع اللغة العربية في القاهرة، وعضوا في اللجنة العامة للفلاسفة الفرنسيين، ورئيسا لجمعية أهل القلم. وهو مؤسس وأول رئيس لمجلس كسروان الثقافي سنة 1965م.

آثاره

أ ـ الكتابات:

1 ـ تاريخ الفلسفة العربية، بالاشتراك مع الأب حنا فاخوري جزءان، ط 2، 1981م؛ 2 ـ تاريخ العلوم عند العرب، ط 5، 1980م؛ 3 ـ معجم «لاروس»، قاموس عربي ـ عربي، دار لاروس، باريس، 1973م.

ب ـ الترجمات:

4 ـ الكون، لبول كودير؛ 5 ـ السيبرنتية، للويس لوفينال؛ 6 ـ علم الاجتماع السياسي، لغاستون بوتول؛ 7 ـ من الذرة إلى النجم، لبيار روسو؛ 8 ـ الظاهرتية، لجان فرانسوا ليوتار؛ 9 ـ أصول الحياة، لجول كارل؛ 10 ـ الإسلام، لدومينيك سورديل؛ 11 ـ الرأسمالية، لفرانسوا بيترو؛ 12 ـ نشأة البشرية، لكميل أرامبور؛ 13 ـ سوسيولوجيا الثورات، لأندره ديكوفل؛ 14 ـ النفط، لإيتين دالمون؛ 15 ـ الوراثة الإنسانية، لجان روستان؛ 16 ـ فيزيولوجيا الوجدان، لبول شوشار.

المصادر والمراجع

- الأعلام، شيوخ الفكر والأدب في لبنان، السنة الثالثة، 1983، ص 4 ـ 7؛
- طوني ضو، معجم القرن العشرين وجه لبنان الأبيض، دار أبعاد، زوق مصبح (لبنان). لا طبعة، لا تاريخ، ص 670.

د. اميل يعقوب
الجامعة اللبنانية

الجرّ، شكر الله يوسف

(1316هـ/1898م ـ 1395هـ/1975م)

ولد في بلدة يحشوش الكسروانيّة المشرفة على مجرى نهر ابراهيم. تلقّى دروسه الابتدائيّة على شقيقته الكبرى نوبلاش الجرّ، فمدرسة الإخوة المريميّين في جبيل، ثمّ التحق بمدرسة الحكمة في بيروت العام 1911، وبقي فيها إلى العام 1919. ثمّ هاجر إلى البرازيل في العام 1922، وعمل بصحبة أخيه عقل في التجارة. إلّا أنّه مال عنها إلى الأدب، وسرعان ما ارتفع له اسم وذكر في دنيا الأدب بين المهاجرين في البرازيل.

انصرف إلى الصحافة فأنشأ مجلّته «الأندلس الجديدة» العام 1930 إحدى أكبر المجلّات العربيّة في المهاجر الأميركيّة، وبقي يصدرها حتّى العام 1941 عندما حظرت السلطات البرازيليّة صدور الصحف الأجنبيّة بغير اللغة البرتغاليّة. ثمّ أنشأ جريدة «الزنابق»، وحرّر في عدّة جرائد ومجلّات. ولم يجن من جهوده الأدبيّة غير المتاعب والمشاكل، ولم تدرّ عليه مجلّته وكتبه ما يغريه بالاستمرار، فعاد إلى ميدان التجارة وأنشأ مصنعاً للقمصان يرتزق ما يكفيه وما يصون به إباءه وكبرياءه.

أسّس مع أخيه عقل «النادي الفينيقي» و«عصبة الأدب اللبناني». وكان من المساهمين في تأسيس «العصبة الأندلسيّة» العام 1932 وأوّل المنضمّين إليها، والمتطوّعين للعمل لها، فأسهم في تحقيق فكرتها ونشر رسالتها، فكانت نهضة أدبيّة عظيمة تعهّدها ميشال المعلوف، وفوزي وشفيق المعلوف، وفيليب لطف الله، والشاعر القرويّ رشيد سليم الخوري، ونعمه قازان، وجورج حسّون المعلوف، وتوفيق ضعّون، ونظير زيتون، واسكندر كرباج، ونصر سمعان، وداود شكور، ويوسف البعيني، وحسين غراب، ويوسف أسعد غانم، وغيرهم. وأصدرت هذه العصبة مجلّة «العصبة» التي كانت منبراً لحملة الأقلام في المهاجر البرازيليّة.

وكان إلى هذا كلّه رسّاماً بارعاً ونحا برسمه المنحى الرمزيّ، وزيّن أحياناً مؤلّفاته بريشته. وله لوحات منها: النسوة الأربع، عين في قلب التي تمثّل النفس الخفيّة، وشيخ جليل التي تمثّل الفكر.

وقف موقفاً وسطاً بين التجديد والمحافظة، وكان من دعاة الحرّيّة الاصلاحيّة التي قام بها «أمان الله» في أفغانستان، إلّا أنّ الشاعر اللبنانيّ البليغ أمين ناصر الدين اتّخذ موقف المعارض من هذه الحركة، وقامت بين الشاعرين مناظرة شعريّة حادّة في صحيفتي «الصفاء» و«البريد» اللبنانيّتين في آب العام 1928.

عاد شكرالله الجرّ إلى لبنان في العام 1962، واتّخذ من جبيل مكان سكنه في البيت الذي انطلق منه نسراً إلى العالم الجديد. توفّي في 23 شباط 1975م/ 1395هـ.

كان في الأدب من دعاة التجديد الموضوعيّ مع التمسّك بسلامة اللغة وفصاحة الأسلوب.

جمع بين مَلَكة النقد ومَلَكة الشعر والنثر، وبين الذوق الفنّي، فكان ناقداً بصيراً موفّقاً، يجري على مقاييس عالية للأدب، وعلى تمجيد المعاني الإنسانيّة والفكريّة السامية. ومن تعريفه للنقد الأدبيّ يظهر نبل غايته وإخلاصه للأدب، فيقول:

«ليس هنالك نقد عنيف أو نقد لطيف، بل هنالك إمّا نقد مصيب، وإمّا نقد مخطئ. الأدب قوام الشعوب والأمم، والنقد قوام الأدب والفنّ».

ويمتاز نثره بحرارة التعابير. وتشعّ في مؤلّفاته الفكرة والثقافة الواسعة والثقة بالنفس حتّى ليشعر القارئ بأنّه يخاطبه من برج عالٍ وينظر إلى صغارته نظرة إشفاق.

أمّا في الشعر فكان شاعراً واسع الأفق، رحيب الخيال، يمتاز بموسيقى الألفاظ وبعاطفة قويّة وفكرة نيّرة:
ينظم في الحنين، فإذاهو شعور رهيف معذَّب،
وينظم في وصف الطبيعة، فإذا هو إحساس فسيح، وخيال محلّق،
وينظم في الوطنيّة، فإذا هو ثورة ونقمة ولهيب.
وينظم في معاني الحياة والوجود، فإذا هو فكر نيّر، يغني له خيال خصيب وحسّ دفوق.
وقد غلب شعر الوطنيّة والحنين إلى الوطن عنده إلى حدّ أنّ ديوانه «الروافد» كاد يكون كلّه شعراً وطنيّاً محترق الأنفاس، فيه صور حارّة صادقة .

في حلقه غصّة سببها الاغتراب وجور الحياة المهجريّة عليه وضياع القيم في محيط جاهل مستهتر:

جـلّ مَـنْ قَـدّرَ الـسَّـعـادةَ لـلـنـــ
ـنـاسِ ومَـن قَـدَّرَ الـشَّـقـاءَ عـلـيـنـا
قد قضينا الأعمارَ نبري من الأقـ
ـلامِ أعـنـاقَـهـا إلـى أنْ بُـريـنـا
فـإذا سـرْبُـنـا الـمُـزقـزِقُ يـفـنـى
ريـشـةً ريـشـةً ولـونـاً فـلـونـا

وإذا كان الحنين هو عاطفة الحبّ المتلهّف الذي يحمله الغريب إلى وطنه، فإنّ هذا الحنين يرافقه عادة غيرة على حرّيّة الوطن ورقيّه ومجده، ونقمة على أعدائه وظالميه. وفي شعره كثير من هذا.

وعلى الرغم من إيمانه بأنّ شعر الوطنيّة يزول بزوال المناسبة التي قيل فيها، إلّا أنّه جمع في «الروافد» قصائده الوطنيّة التي لا تخلو من صور فنّيّة، ولوحات لطبيعة الوطن وأرضه وسمائه.

لقد أحسن وصف طبيعة لبنان حين ذكره مهاجراً، كما أحسن وصف الطبيعة في أميركا الجنوبيّة، فهو وصف يدلّ على مزج الحسّ بالشعور، وتحويل المشاهد إلى انفعالات وانطباعات حيّة. هو شعر فيه خيالات وأحاسيس كلّها لطف وجمال.

ولا يخلو شعره من المناسبات العامّة والخاصّة، فهو تارة يشترك في تكريم شاعر بقصيدة، وطوراً يهنّئ أحد رجال السلك السياسيّ المصريّ ويكرّمه مع الجالية العربيّة في البرازيل. إلّا أنّ الرثاء يكثر في ديوانه.

■ آثاره

أ ـ المنشورة:

كان شكرالله الجرّ مؤلّفاً خصباً، ترك عشرات الكتب النثريّة والشعريّة والقصصيّة والاجتماعيّة، منها: 1 ـ الروافد، مطابع الأندلس الجديدة، البرازيل، 1934. وهو ديوان شعر يحتوي على عدد من القصائد الوطنيّة والاجتماعيّة التي تعبّر عن فورة الشعور، ونفرة الإباء ورقّة الحنين؛ 2 ـ نبي أورفليس جبران خليل جبران، ط1، 1939، وط2، بيروت، دار المكشوف، 1967؛ 3 ـ المنقار الأحمر، 1940. وهو يحتوي على عدد من الفصول النقديّة التي كان ينشرها في مجلّته «الأندلس الجديدة»؛ 4 ـ زنابق الفجر (شعر)، 1945؛ 5 ـ أغاني الليل، (شعر)، بيروت، نشر وتوزيع دار الثقافة، 1963؛ 6 ـ الشبح الأبيض، ط1، دار الحضارة، بيروت 1964؛ 7 ـ قرطاجة، (شعر)، بيروت، 1965؛ 8 ـ جزر الخطيئة أو ديفا وآدون، رواية كتبها في البرازيل، وبطلها المؤلّف نفسه، 1971؛ 9 ـ بروق ورعود، (شعر)، بيروت، 1972؛ 10 ـ من خوابي الزمن (شعر)، ط1، بيروت، دار الثقافة، 1973؛ 11 ـ أضواء على الحياة.

ب ـ ومن مؤلّفاته المخطوطة:

12 ـ شعراء الأندلس، ويشتمل على سِيَر أربعة وعشرين شاعراً من صفوة شعراء العرب فيها.

■ المصادر والمراجع

1 ـ الكتب:

● البدوي الملثّم، الناطقون بالضاد في أميركا الجنوبيّة، بيروت، دار الريحاني للطباعة والنشر، 1956، ج1، ص 378 ـ 381، ج2، ص 666؛ ● حسن، محمّد عبد الغني، الشعر العربيّ في المهجر، نشر مؤسّسة الخانجي بالقاهرة، 1962، ط3، ص 56، 338 ـ 347؛ ● داغر، يوسف أسعد، مصادر الدراسة الأدبيّة، الجزء الرابع، أعلام النهضة، القرنان التاسع عشر والعشرون، منشورات الجامعة اللبنانيّة، قسم الدراسات الأدبيّة، بيروت، 1983، ص 175 ـ 176؛ ● ديب، وديع، الشعر العربيّ في المهجر الأميركيّ، بيروت، دار ريحاني للطباعة والنشر، 1955، ص19، 51؛ ● صيدح، جورج، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركيّة، قدّم له عيسى فتّوح، طرابلس ـ لبنان، مكتبة السائح، 1999، ط4، ص 387 ـ 392؛ ● ضعّون، توفيق، ذكرى الهجرة رسالة المهاجرين السوريّين واللبنانيّين إلى أخوانهم المتخلّفين، إعترافات وإذاعات، سان باولو، البرازيل، 1945 ـ 1946، ص 454 ـ 462؛ ● عبّاس، إحسان، ونجم، محمّد يوسف، الشعر العربيّ في المهجر أميركا الشماليّة، بيروت، دار بيروت. دار صادر، 1957؛ ● فتّوح، عيسى، وجوه مضيئة في الأدب العربيّ الحديث، ط1، طرابلس ـ لبنان، مكتبة السائح، دمشق، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2003، ص 163 ـ 181؛ ● الفيصل، سمر روحي، معجم الروائيّين العرب، طرابلس/لبنان، جرّوس برس، 1995، ط1، ص 197 ـ 198؛

● الناعوري، عيسى، أدب المهجر، دار المعارف بمصر، 1959، ص 26، 523 ـ 534.

2 ـ المجلّات:

● الأسبوع العربي، العدد 929، 20 حزيران 1977، ص 49؛ ● الضاد، العدد 9 ـ 10 (تشرين الثاني ـ كانون الأوّل 1969).

د. اليان صليبا
الجامعة اللبنانية ـ بيروت

جرداق، منصور حنّا

(1299هـ/1881م ـ 1384هـ/1964م)

من روّاد المعرفة العلميّة وناشريها تدريساً وتأليفاً، ومن أشهر أساتذة الجامعة الأميركيّة في بيروت، ومن كبار المتخصّصين بالرياضيّات والفلك والفيزياء. ولد في الشوير العام (1881م/ 1299هـ)، وتلقّى فيها دروسه الأولى ثمّ التحق بالكلّيّة السوريّة الانجيليّة (الجامعة الأميركيّة) في بيروت في خريف العام 1896 وتخرّج فيها العام 1901. وألقى خطبة الوداع في حفلة التخرّج. ثمّ نال شهادة الماجستير في الفنون (M.A.) العام 1907، وعُيّن رئيساً لقسم الرياضيّات. ومن أساتذته الذين أثّروا فيه: كارلزو، ووست، وبوست، وفانديك، كما تأثّر بسِيَر من سبقوه إلى التخرّج في الكلّيّة والتدريس فيها، أمثال يعقوب صرّوف، وفارس نمر، وشبلي الشميّل، ونعمه شديد يافث. وبعد تخرّجه مارس التعليم في الجامعة الأميركيّة، فدرّس علم الحساب من العام 1901 إلى العام 1904، ثمّ الرياضيّات مدّة عامين (1905 ـ 1906)، ثمّ عُيّن أستاذاً مساعداً للرياضيّات من العام 1906 إلى العام 1909، فأستاذاً للرياضيّات من العام 1909م إلى العام 1946، ثمّ تقاعد في تشرين الأوّل العام 1947. ولكنّه عُيّن أستاذاً فخريًا للرياضيّات من العام 1950 إلى العام 1963. وإضيف إليه في العام (1919 ـ 1920) تدريس مادّة علم الفلك. كما أنّه تولّى مسؤوليّة قسم الفلك من العام 1914 إلى العام 1919. وتولّى من العام 1921 إلى العام 1942 رئاسة قسم الهندسة. وكان على وفرة اهتمامه بالعلوم الرياضيّة والفلكيّة التي تخصّص بها من قلّة أساتذة الجامعة التي عنيت بإنشاء هذا القسم فيها في إطار كلّيّة الآداب والعلوم وبالتدريس فيها، وهو القسم الذي أصبح في أوائل العام 1951 كلّية الهندسة في الجامعة.

سافر في العام 1922 إلى الولايات المتّحدة حيث درس في جامعة كولومبيا مدّة سنة المؤسّسات التعليميّة الأميركيّة.

جمع منصور جرداق في شخصه فضائل

المعلّم والعالِم كما جمع بين العلم والفضيلة.
كان من حيث هو معلّم دقيقاً في كلّ ما يعيّنه لطلّابه من دراسة وما يتوقّعه منهم من مجهود. يطلب إليهم المعرفة الوثيقة والوضوح في تأديتها، ولا يتساهل مع أحدهم، إلّا لعذر يبلغ في تقديره مبلغ السبب القاهر، ومن هنا كان يبدو بالغ القساوة في بعض الأحيان، على بعض الطلّاب، لأنّه كان يضيق ذرعاً بالتهاون في تأدية الواجب، دراسيّاً كان أو غير دراسيّ، ولأنّه كان يؤمن بأنّ فيهم من القدرة الكامنة، ما يكفل السموّ بهم فوق المستوى العادي الذين يجدهم قانعين به، فكان يلسعهم من حين إلى آخر، بتعبير قاسٍ، أو بنكتة جارحة، عسى أن يكونا، بين شفتيه، كالمهماز يفجّر بلذعه طاقة مستكنّة في الجواد المؤصّل.
وكان التعليم طريقه إلى منزلة العالِم التي تبوّأها، فلم يقنع يوماً ما بحدود الكتب التي تعيَّن للتدريس، ولا بحذق الموضوعات التي يعهد إليه في تدريسها وحسب، بل كان يتّخذها جميعاً مطايا لفكر ثاقب متحفّز، ليرود المراجع الأمّهات ويغوص على خفيّها، وليخرج من نطاق علم أو تدريس خُصّص له، إلى ما لم يُخصّص، فصار بالأولى عالِماً رياضيّاً ممتازاً، وأضاف بالثانية، الفلك والفيزياء إلى نطاق تخصّصه بالرياضيّات، فكان له فيها جميعاً، قدم راسخة، وعناية لم يعتورها فتور حتّى أيّامه الأخيرة.
كان عضواً في جمعيّات علميّة عديدة، منها الجمعيّة الرياضيّة الإنكليزيّة في لندن، والجمعيّة الرياضيّة الأميركيّة، والجمعيّة الفلكيّة الباسيفيكيّة الأميركيّة، والجمعيّة الفلكيّة الكنديّة، والجمعيّة المتيورولوجيّة الأميركيّة. كما كان عضواً في جمعيّات علميّة دوليّة أو وطنيّة أخرى، ورئيساً للجمعيّة الفلكيّة اللبنانيّة.
تولّى علاوةً على تدريس الرياضيّات إدارة المرصد الفلكيّ في الجامعة، فأتيح له أن يكشف في حزيران 1918م النجم الجديد «نوفا» في كوكبة النسر الطائر. وأقبل خلال سنين طويلة على تقصّي أسماء النجوم في المعاجم الفلكيّة الحديثة وأصولها العربيّة في المراجع العربيّة القديمة والحديثة كالبيروني والصوفي وفانديك، فأصدر في العام 1947م «القاموس الفلكيّ» الذي جاء أوسع وأوفى من «المعجم الفلكيّ» الذي أخرجه قبل ذلك بنحو 12 سنة أمين فهد المعلوف. وقد قدّم للقاموس بمقدّمة طويلة تصف روائع الكون وخصوصاً النظام الشمسيّ في أربع وسبعين صفحة كبيرة.
في العام 1948م منحه رئيس الجمهوريّة بشاره الخوري وسام الاستحقاق تقديراً لخدماته العلميّة. ونال في العام 1961م وسام دانيال بلسّ الذهبي The Distinguished Golden Order of Daniel Bliss. توفّي في نيسان العام 1964م/ 1384هـ.

آثاره

كتب منصور جرداق كثيراً مقالات علميّة تهذيبيّة واجتماعيّة، نشر معظمها في مجلّة «الكلّيّة» التي صدرت عن الجامعة الأميركيّة، وفي «المقتطف» و«الفجر» وغيرها.

أ ـ ووضع لتدريس الرياضيّات كالحساب والجبر **مؤلّفات جاء بعضها في حلقات وأجزاء عدّة، أهمّها:**

1 ـ النظام الشمسيّ والقمر وأحدث الآراء

الفلكيّة فيها، بيروت، المطبعة الأدبيّة، 1922. وهي خطب تليت في نادي التعاون؛ 2 ـ الجبر الحديث، 3 أجزاء، بيروت، المطبعة الأميركانيّة، 1925 ـ 1929؛ 3 ـ مبدأ الحساب الحديث، ط2، بيروت، المطبعة الأدبيّة، 1922؛ 4 ـ رسالة في أصول علم الفلك الحديث، بيروت، المطبعة الأدبيّة، 1930؛ 5 ـ درجات الحساب الحديث للمدارس الابتدائيّة، 3 درجات، بيروت، المطبعة الأميركانيّة، درجة أولى 1935 وط2، بيروت، 1946، درجة ثانية 1937؛ 6 ـ مآثر العرب في الرياضيّات والفلك، بيروت، المطبعة الأميركانيّة، 1937. وهو خطاب ألقاه في جمعية العروة الوثقى؛ 7 ـ آراء فلكيّة حديثة، بيروت، المطبعة الأميركانيّة، 1939؛ 8 ـ الكون العجيب وظواهره، بيروت، المطبعة الأميركانيّة، 1948؛ 9 ـ عجائب السماء والفلك والظواهر الجويّة: أمجادها ومحاسنها، بيروت، المطبعة الأميركانيّة، 1949؛ 10 ـ القاموس الفلكيّ والأبراج وصور النجوم أو كوكباتها وأسماؤها العربيّة، بيروت، المطبعة الأميركانيّة، 1950؛ 11 ـ حلقات الحساب الحديث وفقاً للمنهج الجديد المقرَّر من وزارة التربية الوطنيّة اللبنانيّة، جزآن، بيروت، المطبعة الأميركانيّة، 1951.

ب ـ ومن مؤلّفاته بالانكليزيّة:

- An Advanced Arithmetic, Beirut, American Mission Press, 1916.

- School Arithmetic, Beirut, American Mission Press, 1928.

ج ـ ومن مؤلّفاته المخطوطة:

12 ـ «قاموس المصطلحات العلميّة في الرياضيّات والفلك والعلوم الطبيعيّة».

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ مؤلّفاته المدرسية مبدأ الحساب الحديث والحساب الحديث والجبر الحديث قد وضعت بناء على اقتراح عدد كبير من المدارس الوطنيّة والأجنبيّة، وكان القصد منها بسط المبادئ المهمّة المطلوبة في درس علمَي الحساب والجبر وما يبنى عليهما من سائر العلوم الرياضيّة البسيطة والعالية لتنطبق على حاجات البلاد العصريّة وتناسب عقول الطلبة. وكان أسلوبها مستحدثاً يتدرّج بها الصغار في العلم تدريجاً لا يعرفون به تعباً ولا مللاً. وقد تلقاها رؤساء المدارس ومديروها ومعلّموها بالقبول وعولّوا عليها في التدريس، فانتشرت في سرعة في سوريا والبلاد العربيّة.

وخلاصة القول، لقد ترك منصور جرداق أثراً حيّاً في نفوس الذين علّمهم العلوم، وتراثاً نفيساً فيما ألّفه فيها باللغة العربيّة، ومثالاً كريماً فيما تحلّى به من فضائل المعلّم، فكان في المرحلة التي درج فيها من أواسط النهضة في أواخر القرن التاسع عشر، إلى مقتضيات القرن العشرين وأعبائه العلميّة، من البناة في ميدان العلوم الأساسيّة، التي تشتدّ الحاجة إليها وتزداد، عاماً بعد عام، في تنمية الأمم المتطلّعة إلى العزّة والرقيّ.

المصادر والمراجع

1 ـ الكتب:

● جرداق، منصور، رسالة في أصول

علم الفلك الحديث، بيروت، المطبعة الأدبيّة، 1930، ص 34؛ ● داغر، يوسف أسعد، مصادر الدراسة الأدبيّة، الجزء الرابع، أعلام النهضة القرنان التاسع عشر والعشرون، منشورات الجامعة اللبنانيّة قسم الدراسات الأدبيّة 7، بيروت، 1983، ص 251 ـ 253؛ ● الأصول العربيّة للدراسات اللبنانيّة، دليل ببليوغرافي بالمراجع العربيّة المتعلّقة بتاريخ لبنان، منشورات الجامعة اللبنانيّة، قسم الدراسات التاريخيّة، بيروت، 1972، ص 528 ـ 529؛ ● صرّوف، فؤاد، منازل الفضل وأوراق غربيّة، قدّمت له وحقّقته سلمى مرشاق سليم، بإشراف د. قسطنطين زريق، ود. هشام نشّابة، ط 1، بيروت، دار العلم للملايين، 1986، ص 30 ـ 32.

2 ـ الجرائد والمجلّات:

● بيروت المساء، 4 نيسان 1964؛
● الفجر، العدد 5، السنة 6، (أيّار 1939)، ص 288 ـ 292؛ ● مجلّة الكلّية، الجزء 22، (كانون الثاني 1948)، ص 10، الجزء 37، العدد 3 (صيف 1961)، ص 7، 19؛
● المشرق، 34 (1937)، ص 146؛
● مجلّة هنا بيروت، عدد أيلول 964؛
● News Letter, Vol 3,4, .Oct. 1922

د. اليان صليبا
الجامعة اللبنانية ـ بيروت

جـرمانـوس، جبريل بن فرحات بن مطر

(1081هـ/1670م ـ 1145هـ/1732م)

هو جبرائيل (جرمانوس بعد ذلك) بن فرحات بن مطر بن شاهين الماروني الحلبي: أسقف، لاهوتيّ، لغويّ، أديب، مترجم، متعدّد اللغات.

ولد في 7 رجب 1081هـ/ 20 تشرين الثاني 1670م بمحلة الصليبيّة في مدينة حلب، من عائلة لبنانية الأصل. وفي سنة 1677م أدخله والده الكُتّاب المارونيّ في حلب ليتعلم العربيّة والسريانيّة. وفي سنة 1682م درس مبادئ الإيطالية واللاتينية على الخوري بطرس التولوي. ودرس في سنة 1684م صرف اللغة العربية ونحوها على إمام علماء حلب آنذاك الشيخ سليمان بن عبد القادر النحوي. ثم درس في سنة 1686م علوم البلاغة والعروض على الشيخ يعقوب بن نعمة الله بن أبي الغيث الدبسي. وفي السنة 1689م أكبّ على العلوم العالية كاللاهوت، والمنطق، والفلسفة، والخطابة، والطبيعيات، والتاريخ.

وفي أواخر سنة 1695م التحق فرحات برفاقه الحلبيّين الذين كانوا أسّسوا رهبانية في إهدن

سنة 1694م، ثمّ سيم كاهنًا سنة 1697م. وفي سنة 1711م سافر إلى رومية، ثم إلى إسبانية، وأخيرا عاد إلى لبنان سنة 1712م.

ترأس جبرائيل فرحات الرهبانيّة اللبنانية ثلاث مرات، من أواخر 1716م إلى سنة 1722م، وسيم أسقفًا على حلب سنة 1725م باسم جرمانوس فرحات، فأنشأ المكتبة المارونية فيها، وأصلح الكُتّاب المارونيّ. ونظّم شؤون أبرشيّته أفضل تنظيم، فأحبّه أبناؤها وأخلصوا له.

توفي جرمانوس فرحات يوم 10 تموز من سنة 1145هـ/ 1732م، وله من العمر إحدى وستون سنة وثمانية أشهر إلا عشرة أيام. وقد أقامت مدينة الشهباء نصبًا له، أزيح الستار عنه في مهرجان كبير حضره رئيس الجمهورية العربية السورية آنذاك، يوم 12 أيار 1934م.

■ آثاره

ألف فرحات في الدين والأدب واللغة والبلاغة، وعرّب وصحّح واختصر الكثير من الكتب.

أ ـ من مؤلفاته:

1 ـ الأجوبة الجليّة في الأصول النحويّة، ألف على هيئة السؤال والجواب. والأجوبة النحوية فيه مستخرجة من كتابه «بحث المطالب». ط. مالطة سنة 1832م، وسنة 1841م، وفي دير سيدة طاميش بلبنان سنة 1857م، وفي حلب سنة 1877م؛ 2 ـ إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب، وهو معجم لغوي أكثر فيه من الاعتماد على القاموس المحيط للفيروزآبادي سواء في ترتيب المواد (أي منهج ترتيب القافية الذي يرتّب الكلمات وفق جذورها، واضعًا الكلمة في باب الحرف الأخير من جذرها وفي فصل الحرف الأول منه)، أو في المادة اللغوية المدونة، حتى إننا نستطيع اعتبار كتاب فرحات مختصرًا لكتاب الفيروزآبادي مع بعض الزيادات، وخاصة المفردات والتعابير المسيحية، والتوضيحات. طبعه رشيد الدحداح في مرسيلية سنة 1849م بعنوان «إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب» مراجعا ومزيدا عليه؛ 3 ـ بحث المطالب (في الصرف والنحو)، ط. طبعات عدّة، منها في مالطة سنة 1836، وفي بيروت سنوات 1845م، 1865م، 1882م، 1891م، 1911م، 1913م. وهو مؤلَّف من مقدّمة في أحوال الحروف الهجائيّة والحركات، وثلاثة كتب: الأول في تصريف الأفعال، والثاني في تصريف الأسماء، والثالث في النحو، وخاتمة في إعراب الكلام المركَّب. وهذا الكتاب أشهر كتب فرحات، وأشهر كتاب نحويّ في زمانه. وقد أقبل عليه العلماء يدرسونه، أو يختصرونه، أو يشرحونه، أو يصحّحونه. ومن هؤلاء الشماس عبد الله زاخر الذي ذيّل الكتاب بعدّة حواش؛ وأحمد فارس الشدياق الذي علّق عليه بملاحظات في كتابه «الساق على الساق في ما هو الفارياق»؛ والمعلم بطرس البستاني الذي شرحه في كتاب سمّاه «مصباح الطالب في بحث المطالب»، ط. بيروت سنة 1854م؛ والشيخ سعيد الشرتوني الذي صحّحه وعلّق عليه بحواشٍ، نُشر في بيروت سنة 1882م، ثمّ تعددت طبعاته؛ والخوري نعمة الله الخوري الذي نشر الكتاب الأول منه (كتاب الصرف) معلّقا عليه ببعض الحواشي في المطبعة اللبنانية ببعبدا سنة

1900م، والشيخ عبد الله البستاني الذي شرح الكتاب الثالث منه (كتاب النحو) والخاتمة ط. المطبعة اللبنانية في بعبدا سنة 1900م؛ وسليم صادر الذي اختصره في كتاب بعنوان «موجز في بحث المطالب»، ط. المطبعة العلمية ببيروت؛ 4 ـ بلوغ الأرب في علم الأدب، مطوّل في علم المعاني والبيان، صدر عن دار المشرق، بيروت 1990، تح. إنعام فوال؛ 5 ـ التذكرة في القوافي، مخ. في المكتبة المارونية بحلب؛ 6 ـ ديوان شعري، طبع طبعات عدّة بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت، سنوات 1850م، و1866م، و1894م، 1905م، 7 ـ رسالة الفوائد في العروض، نشرها سعيد الشرتوني في صدر ديوان فرحات ببيروت سنة 1894م. ص 13 ـ 22؛ 8 ـ رسوم الكمال، هي قوانين تقتدي بها النساء المتعبّدات. نشرها الأب ميشال بريدي في كتاب بعنوان «رسالة الإيضاح لرسوم الكمال»، ط. سنة 1953م، مطابع خياطة بطرابلس؛ 9 ـ الرياضة الروحية، نشره بطرس حبيقة، الحدث (لبنان) 1904م، المطبعة الشرقية؛ 10 ـ سلسلة البابوات عصرًا فعصرًا؛ 11 ـ سلسلة بطاركة الموارنة للبطريرك إسطفان الدويهي، وقد تمّمه فرحات للبطريرك يوسف يعقوب عوّاد، ط. بيروت سنة 1898م، وسنة 1920م؛ 12 ـ عوامل الإعراب، ط. في نهاية كتابه: «إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب»؛ 13 ـ فصل الخطاب في الوعظ، ط. عدّة طبعات، منها ط. مالطة 1842م، وط. سيدة طاميش بلبنان 1867م، وط. بيروت 1873م، وط. بيروت 1896م عن المطبعة الكاثوليكية بشرح رشيد الشرتوني؛

14 ـ فوائد نحويّة وإعرابيّة، مخ. في دار الكتب الوطنية ببيروت، وهو تكملة لمواد «بحث المطالب»؛ 15 ـ المثلّثات الدرّيّة، منظومة شعريّة لمثلثات قطرب. يحوي كلّ بيتين منها ثلاث لفظات متّفقات الأحرف مختلفات المعاني. تكون الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، والثالثة مضمومة، مع الشروح، ط. سنة 1867م في مطبعة دير طاميش في لبنان؛ 16 ـ مجموع حواشٍ على بحث المطالب؛ 17 ـ المحاورات الرهبانية، ط. سنة 1922 بعناية وتعليق القس طانيوس شبلي اللبناني في مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان). وفيه ثلاث عشرة محاورة في تعريف الرهبنة وغيرها، والنذر، وقانون الرهبنة، والكمال المسيحي، والطاعة، والعفة، والفقر الاختياري، والرؤساء، والراهب، والمبتدئ، والفتور والتواني، وإماتة الذات، والتواضع؛ كما يتضمّن رسالة في رسوم الرهبانية المارونية وعوائدها في عشرة فصول... إلخ؛

ب ـ ومن المعرَّبات:

18 ـ الكتاب المقدس (العهد القديم)،

ج ـ ومن المختصرات:

19 ـ أباطيل العالم؛ 20 ـ الأسرار؛

د ـ ومن التصحيحات:

21 ـ معربات البطريرك أثناسيوس الدباس، والقس يوسف الباني الحلبي، وغيرهم؛ ومؤلفات الخوري بطرس التولوي، والبطريرك إسطفان الدويهي، وغيرهم...

المصادر والمراجع

1 ـ الكتب:

● جرمانوس فرحات، بلوغ الأرب في علم الأدب، مطوّل في علم الجناس، تح. إنعام فوال، دار المشرق، ط 1، 1990م، ص 13 ـ 36؛ ● م. ن، ديوان المطران جرمانوس فرحات، مقدمة سعيد الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1894م؛ ● إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ط. استانبول 1364هـ/ 1945م ـ 1366هـ/ 1947م، 1/ 193؛ ● بطرس البستاني، دائرة المعارف، مادة جرمانوس فرحات، بيروت 1876 ـ 1900م؛ ● إ. فنديك، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ط. مصر 1313هـ/ 1896م؛ ● الدبس، يوسف، تاريخ سوريا، بيروت 1321هـ/ 1905م، 4/ 543؛ ● جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ط. مصر 1913 ـ 1914، 4/ 14 ـ 13؛ ● لويس شيخو، شعراء النصرانية بعد الإسلام، بيروت 1927، ص 459 ـ 468؛ ● يوسف إليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس بمصر، 1928م، ص 1442 ـ 1441؛ ● نوفل، عبد الله حبيب، تراجم علماء طرابلس وأدبائها، طرابلس (لبنان) 1929م، ص 275؛ ● لجنة يوبيل المطران فرحات، روائع اليوبيل المئوي الثاني لتخليد ذكرى فقيد العلم والفضيلة النابغة المطران جرمانوس فرحات، حلب 1934م، المطبعة المارونية؛ ● الأب بولس مسعد، الذكرى في حياة المطران جرمانوس فرحات، جونية (لبنان) 1934م؛ ● كحالة، عمر، معجم المؤلفين، بيروت، د. ت. دار إحياء التراث العربي، 3/ 128؛ ● الزركلي، خيرالدين، الأعلام، بيروت 1984م، دار العلم للملايين، ط 6، ج 2/ 109 ـ 110؛ ● عبود، مارون، رواد النهضة الحديثة، بيروت، دار نظير عبود، ص 27 ـ 31؛ ● معيد جبور، جرمانوس فرحات مؤسس التعليم الحديث في اللغة العربية، 1670 ـ 1732م، رسالة لنيل شهادة الكفاءة في اللغة العربية وآدابها، كلية التربية، بيروت؛ ● نهاد نقولا رزوق، جرمانوس فرحات: حياته وآثاره، رسالة أعدت لإنجاز مقررات شهادة الكفاءة في اللغة العربية وآدابها، كلية التربية، الجامعة اللبنانية، بيروت 1972م؛

2 ـ الدوريات:

● مجلة رسالة السلام، «جرمانوس فرحات أبو النهضة الحديثة» للأب جرجس منش، 3/ 357؛ ● مجلة الشهباء، مج. 8/ 1933، ومج. 9/ 1934، العدد الممتاز تخليدا لذكرى المطران فرحات؛ ● مجلة المجمع العلمي العربي، مج. 8، ص 644 ـ 663؛ ● مجلة المشرق، مج. 25/ 1927، مج. 32/ 1934... إلخ.

د. إميل يعقوب
الجامعة اللبنانية

جرمانوس، عبد الكريم

(1302هـ/ 1884م - 1400هـ/ 1979م)

عبد الكريم جرمانوس المجري، عالم، باحث، محقق، من كبار المستشرقين الأوربيين في العصر الحديث.

ولد في بودابست عاصمة المجر سنة (1302هـ/ 1884م) وتلقى علومه الأولى في مدارسها، وقصد إستانبول وفينا لمتابعة دراسته الجامعية في مجال الدراسات الشرقية، وقصد بعدها لندن وعكف فيها على دراسة النصوص العثمانية القديمة في المتحف البريطاني، وعاد إلى بودابست سنة (1331هـ/ 1912م) وعمل أستاذًا للدراسات الشرقية في أكاديمية بودابست للعلوم، ونال درجة الدكتوراه في الدراسات الشرقية من جامعة بودابست.

ودرَّس طلابه الفكر الإسلامي واللغتين العربية والعثمانية، وعني بتاريخ الأمم الإسلامية.

ودعي إلى الهند وعمل في بعض جامعاتها أستاذًا زائرًا، وكان وثيق الصلة بعلمائها من قبل، واعتنق الإسلام أثناء وجوده هناك سنة (1349هـ/ 1930م) وأشهره في مسجد دلهي الكبير، وغيَّر اسمه إلى عبد الكريم جرمانوس بعد أن كان جوليوس جيرمانوس.

وعاد إلى بلاده فسمي مديرًا للمعهد الشرقي بجامعة بودابست، فرئيسًا لقسم اللغة العربية بكلية العلوم والفنون فيها.

وانتخب عضوًا بالهيئات والمجامع العلمية اللغوية العربية والعالمية، كمجامع اللغة العربية في دمشق، والقاهرة، وبغداد، وعمَّان، والمجمع العلمي الهندي.

وبذل جهودًا طيبة حين ترأس جمعية العلوم الشرقية في بلاده حتى أصبحت أكبر مركز للدراسات الشرقية والعلوم الإسلامية في أوروبا الشرقية، وكان يجيد ثماني لغات شرقية وغربية إجادة تامة. وحصل على أوسمة رفيعة داخل بلاده وخارجها.

وقضى معظم حياته متنقلا في ربوع البلاد الإسلامية، وكان من ضمنها حجّ إلى بيت الله الحرام بعد أن أعلن إسلامه، وعرف الكثير من ملوك ورؤساء الدول التي زارها.

وانتخب عضوًا في البرلمان المجري في الأعوام (1378 - 1386هـ/ 1958 - 1966م) فكان العضو المسلم الوحيد فيه. وكان سليم الفطرة أبعد ما يكون عن التكلّف. وكان خبيرًا بتذوق الأطعمة على اختلاف طرائقها في الشرق والغرب.

توفي سنة 1400هـ/ 1979م فكان لنبأ وفاته بالغ الأثر في نفوس طلابه وزملائه وأصدقائه في المجر والبلدان العربية والإسلامية ومواطن الاستشراق، وشعر الدارسون بفداحة خسارته.

آثاره

خلّف جرمانوس مؤلفات وأبحاثًا كثيرة ذات صلة حميمة بالتراث العربي الإسلامي. منها:

1 - الله أكبر؛ والحركات الحديثة في

الإسلام؛ 2 ـ شوامخ الأدب العربي؛ 3 ـ حضارات رائدة؛ 4 ـ مقارنة بين اللغتين العربية والمجرية؛ 5 ـ منتخب الشعراء العرب.

وكتب مقالات كثيرة في مجالات عديدة ببلاده مختلفة.

وأهدي إليه كتاب تكريمي بعنوان «الشرق الإسلامي: أبحاث لتكريم الدكتور عبد الكريم جرمانوس بمناسبة بلوغه السبعين».

وعمّر طويلا بحيث كان شاهدًا على كامل القرن الرابع عشر الهجري تقريبًا.

وكان يتكلم العربية بفصاحة نادرة المثال بين جمهرة المستشرقين في أيامه، يميل إلى المزاح والمداعبة.

المصادر والمراجع

● ذيل الأعلام، ص 127؛ ● إتمام الأعلام، ص 163؛ ● تتمة الأعلام، 1/ 314؛ ● مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، 60/ 409 ـ 412؛ ● مجلة الأزهر، 63/ 686 ـ 692؛ ● مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 45/ 189 ـ 194؛ ● مجلة الأديب، عدد شباط، 1982؛ ● مجلة المجمع العلمي العراقي، 35/ 349 ـ 351.

أ. محمود الأرناؤوط
باحث ومحقق ـ سوريا

الجُرموزي، المطهر بن السيد محمد

(1003هـ/1595م ـ 1077هـ/1667م)

هو المطهر بن السيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن الداعي المنتصر الحسني اليماني الزيدي المعروف بالجرموزي. من ولد يوسف بن المرتضى بن المفضل، من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب. وكان قد سكن بعض الأشراف منهم في هجرة بني جرموز من بني الحارث، شمال صنعاء، فنسبوا إليها.

وقد ولد المطهر سنة 1003هـ/ 1595م في هجرة بني جرموز، ودرس على علماء الهجرة فيما نرى، ذلك أن المصادر والمراجع لم تسعفنا في تقديم صورة واضحة عن نشأته وسيرته العلمية، فمصادر العصر وقفت عن ذكر شيوخه وأساتذته، وكل ما ورد إشارات محدودة حول لقائه مع بعض العلماء والفقهاء في مجالس الأئمة الذين عاصرهم، وعلى بعض الصفات التي أسبغها العلماء والمؤرخون عليه، بعد أن شُهر أمره، فقد وصفه عبد الله بن علي الوزير «بالسيد الرئيس»، ولقب السيد يطلق على من انتسبوا إلى آل البيت. وأما الرئيس فيطلق على القادة المحاربين، والمطهر كانت له قيادة عسكرية في عهد الإمام القاسم وابنه الإمام المؤيد [الوزير، عبد الله بن علي، طبق الحلوى].

ووصفه القاضي حسين المهلا بأنه «من أعيان الدهر، وأفراد العصر علمًا وعملاً، ونباهة وفضلاً»، [المحبي، خلاصة الأثر، 4/ 406، 444]. وأما صاحب نشر العرف، فوصفه «بالفقيه، العالم، ذي الجدارة، من أكابر أعيان دولة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، وولديه الإمام المؤيد بالله، والإمام المتوكل على الله» [زبارة، نشر العرف، 1/ 117 ـ 118].

وانفرد المحبي بذكر «أن المطهر بن محمد الجرموزي كان من أصدقاء والده، وكان بينهما مراسلات ومكاتبات رائقة»، ولكنه لم يثبت أية مراسلات ولا أية مكاتبات في مؤلفاته، مع أنه أفرد صفحات كثيرة لأدب أولاد المطهر بن محمد الجرموزي، [المحبي، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، 4/ 390 ـ 396، 397 ـ 406؛ الحيمي، طيب السمرة 109 ـ 127]، ويبدو أن جلّ خدمته كانت في دواوين الإمام القاسم بن محمد بن علي وولديه المؤيد محمد والمتوكل إسماعيل. وفي مجالس الأئمة تشكلت معالم شخصيته، فغلب عليه الاشتغال بالتاريخ ثم الإدارة والقضاء، وشارك في المعارك التي خاضتها قوات الإمام القاسم في بلاد عُتُمة، الواقعة جنوب صنعاء، غرب ذمار، التابعة لقضاء آنس، والتي تحيط بها مناطق مغرب عنس من الشرق، ووصاب العالي من الغرب، وكُسمة من الشمال، والقفر وحبيش من الجنوب [الوزير، طبق الحلوى، 69]، ويتضح دوره في بلاد عُتمة بعد أن عيّنه الإمام المؤيد محمد بن القاسم بن محمد، واليًا على بلاد عُتُمة، وعهد إليه بإخضاع ناحية عُتُمة لطاعة المؤيد بالله محمد بن القاسم. وقد نجح في مهمته، واستطاع بفضل جهوده ورعايته للعلماء والفقهاء من نشر المذهب الزيدي، وتمكينه في مخلاف سمأة، فأضاف الإمام المؤيد إليه وظيفة القضاء اعترافًا بكفاءته، وحسن إدارته، وعدالته وإنفاذ أحكام الشريعة في ولايته [الأكوع، هجر العلم ومعاقله، 4/ 1953].

وظل المطهر بن محمد الجرموزي واليًا على بلاد عُتُمة حتى وفاته بها في 27 ذي الحجة سنة 1077هـ/ 20 جوان 1667م، ودفن بقرية المحروم من عتمة، وخلف أبناءً وأحفادًا كثيرين، اشتهروا من بعده، وخاصة الحسن، حاكم المخا، وجعفر وأحمد والحسين والقاسم وإسماعيل، وما من أحد من أولاده إلا وله النظم السائر والأدب الرائق [الحيمي، طيب السمر في أوقات السحر، مخ. القسم الثالث، ق 109 ـ 127].

وتعتبر طريقة الجرموزي في الكتابة التاريخية استمرارًا لمنهجية الكتابة عند المؤرخين اليمنيين في العصور الحديثة، التي تتصف بالاهتمام بالتاريخ المحلي والاعتماد على المصادر التي تناولت الأحداث السابقة التي لم يعاصرها، ومن خلال اطلاعنا على مصنفاته يمكننا أن نستدل على منهجيته في الكتابة التاريخية بالملاحظات التالية:

ـ اعتمد على مصادر العصر. ومنها اللآلي المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، وروح الروح في ما بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، لعيسى بن لطف الله بن المطهر.

ـ كان حريصًا على ذكر أسماء الأشخاص الذين أخذ عنهم روايات الأحداث التي لم

يرها ولم يكن مشاركًا فيها، مثل قادة الجيوش، والعلماء والفقهاء أو رؤساء القبائل الذين شاركوا في الأحداث.

ـ أفاد من قربه من الأئمة الذين سجل سِيَرهم وأخبارهم، فاطلع على وثائق سرية ومراسلات ومكاتبات، سواء مع الأطراف الموالية للأئمة أو المراسلات التي تمت مع الولاة العثمانيين، أو مع أولاده وقادة ورؤساء القبائل وزعماء وأعيان البلدان والتعيينات والعهود، وضمّن مصنفاته تلك الوثائق المهمة، مما أضفى على كتابته أهمية زائدة، أفاد منها الباحثون والدارسون، فكأنه اطلع على الأرشيف الإمامي، وأثبت ما يفيد كتابته التاريخية [العمري، المؤرخون اليمنيون، 73 ـ 77].

ـ كان موافقا لمنهجية من سبقه من المؤرخين من حيث إثباته الخوارق والأساطير وكرامات الأئمة وأنهم مجابو الدعوات، حتى أن أحدهم استنفر الجراد ليحارب معه، ورؤيا الأئمة وما تخبر به من صدق مقالة تتحقق. وسجل أيضًا الحوادث الفلكية التي وقعت باليمن، وركز على الطالع والمطالع قبل المعارك والحروب كنوع من التمهيد للنصر أو الهزيمة.

ومما يؤخذ على مؤرخنا، انحيازه لبني قومه من الأئمة؛ ولكنه كان شديدًا على العثمانيين فينعتهم بالظَّلَمَة، وأنصارهم من اليمنيين بأعوان الظلمة، وأوغل في وصف فساد أخلاقهم، وسوء ما يأتونه في اليمن من مفاسد وشرور وظلم وعسف، وكلها مما جرى عليه المؤرخون اليمنيون في تناولهم للوجود العثماني في اليمن إلا ما ندر.

ويلاحظ أيضا أنه يطنب في ذكر الحدث، وينتقل من حادثة إلى أخرى، هبوطًا وصعودًا، ثم يتنبه لذلك، فيكتب رجعنا إلى أخبار كذا، ومثل هذا كثير في مؤلفاته. ويعود مثل هذا الاضطراب في منهجيته لعدم إثباته فهرسًا لكتابه كما جرت عادة المؤرخين، وإنما يدخل في الموضوع أو القضية مباشرة دون أبواب أو فصول. ففي كتابه «الجوهرة المنيرة» كتب بعد البسملة والحمدلة: «فقد سبق في المجلد الأول، شرح قيام مولانا المنصور بالله». وفعل مثل ذلك في بقية مصنفاته فيما عدا كتابه عقد الجواهر [الجرموزي، الجوهرة المنيرة، الأوراق، 3، 9، 10، 146، وغيرها]. فقد جعل لكل دولة فصلاً.

وبالإجمال، فإن الجرموزي حفظ لنا مرحلة هامة من تاريخ اليمن، أهّلته لأن يحتل مكانة بين المؤرخين اليمنيين.

آثاره

1 ـ الدرّة المضيئة في السيرة القاسمية. وتعرف أيضا «النبذة المشيرة إلى جُملٍ من عيون السيرة في أخبار مولانا المنصور بالله القاسم بن محمّد»، تعرض فيها لجوانب حياته الشخصية والعلمية والحربية، منذ ولادته سنة 967 هـ/ 1559م ثم دعوته لنفسه بالإمامة سنة 1006هـ/ 1597م من جبل قارة حديد في حجور الشام، ثم انتقاله إلى شهارة واتخاذها معقلاً له، وحروبه ضد الولاة العثمانيين منهم سنان باشا، وصلحه معهم. وفيه تراجم بعض المعاصرين ورسائل التعازي وردودها ومراثي الشعراء للإمام القاسم بن محمد بن علي.

وتوجد من هذا الكتاب نسخ خطية منها:

ـ نسخة في الخزانة الغربية بالجامع الكبير

بصنعاء رقم 19 تاريخ نسخت سنة 1094هـ/ 1682 م، وتقع في 216 ورقة، منها صورة رُقيّض على ميكروفيلم رقم 285 في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، وقد طبعت على ورق تصوير شمسي، تحت رقم 2564ح.

ـ نسخة أخرى محفوظة في المكتبة البريطانية ـ لندن، رقمها OR 3329 مكتوبة في 19 شعبان 1064هـ/ 1654م، وتقع في 286 ق؛ 2 ـ الجوهرة المنيرة في تاريخ الخلافة المؤيدية. ذكر فيه سيرته الشخصية وحياته العلمية ودعوته سنة 1029هـ/ 1620م وفضائله ومزاياه ومناقبه، ورسائله إلى الأطراف يدعوهم لمقاتلة الأتراك، ومحاربتهم بعد نقض الصلح الذي كان قد أبرمه والده سنة 1025هـ/ 1616م، وأخبار معاركه في المناطق والجهات. والجرموزي، كان ممن خدم الإمام المؤيد بالله، وتولى له أعمال بلاد عُتُمة، وكان شاهد عيان لكثير من الأحداث التي ضمنها كتابه. وفي المكتبات العربية والأجنبية نسخ من هذا الكتاب، نذكر منها:

ـ نسخة في الخزانة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقمها 17 تاريخ، مكتوبة سنة 1065هـ/ 1654م.

ـ نسخة أخرى في الخزانة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقمها 18 تاريخ، مكتوبة سنة 1088هـ/ 1677م، مصورة في دار الكتب والوثائق القومية على ميكروفيلم رقم 95.

ـ نسخة ثالثة في الخزانة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقمها 68 تاريخ وتقع في 267 ورقة.

ـ نسخة في المكتبة الأهلية ببرلين رقمها 9744، وتقع في 147 ورقة.

ـ ونسختان، واحدة في مكتبة الجامعة في هولندا، أشار إليها فهرس المكتبة، ص 99، وثانية في مكتبة الإمبروزيانا بإيطاليا رقم B 74.

ـ وقد ذكر بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي [402، GII] اسم الكتاب «الجواهر المنيرة في جمل من السيرة في أخبار الإمام المؤيد بالله»، في حين جاء اسمه في هدية العارفين للبغدادي، وفهرس مكتبة برلين الأهلية: كتاب الجوهرة المضيئة في تاريخ الخلافة المؤيدية، وما أحسب ذلك إلا وهمًا من أوهام النُّسّاخ؛ 3 ـ تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار. أرخ فيه لسيرة الإمام المتوكل على الله، إسماعيل بن القاسم بن محمد، وعرض لنشأته وسيرته الشخصية والعلمية ثم ولايته على بلاد آنس وبلاد رَيْمة وبلاد عُتُمة لأخيه المؤيد، ثم عزله عنها، ودعوته لنفسه بالإمامة في رجب 1054هـ/ 1644م في ضُوران ومعارضة أخيه أحمد له، ثم استقرار الأمور للمتوكل إسماعيل، واهتمامه بنشر المذهب الزيدي. وتقتني الخزانة الغربية بجامع صنعاء الكبير عددًا من نسخه. منها واحدة برقم 51 تاريخ، كتبت بتاريخ 6 محرم 1093هـ/ 1682م، و201 ق، وثانية برقم 52 تاريخ، بدون تاريخ في 289 ق، منها 15 ورقة، من (77-91) هي رحلة الحبشة للقاضي حسين بن أحمد الحيمي. وثالثة بخط مؤلفها، كانت ضمن مجموعة الكتب المصادرة من تعز، تاريخ نسخها سنة 1073هـ/ 1662م وتقع في 289 ق؛ 4 ـ عقد الجواهر البهية في معرفة المملكة اليمنية والدولة الفاطمية الحسينية. وضعه في أخبار ملوك اليمن، منذ عهد النبي ﷺ إلى سنة 1007هـ/ 1598م، وقسمه إلى خمسة عشر فصلاً، خصص لكل دولة فصلاً. منه نسخة

محفوظة في مكتبة الشيخ حمد الجاسر، كتبت سنة 1258هـ/ 1841م، تقع في 161 ورقة، منقولة عن نسخة أخرى، حبيسة المكتبات الأسرية [سيد، أيمن فؤاد، 236 ـ 238].

المصادر والمراجع

● الجرموزي، المطهر بن محمد، الجوهرة المنيرة في تاريخ الخلافة المؤيدية، خ. المكتبة الأهلية ببرلين، رقم 9744، أوراق عديدة، وخاصة 3، 5، 7، 11، 19، 146، 147؛ ● الحيمي، أحمد بن محمد، طيب السمر في أوقات السحر، خ. دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، رقم 6892 أدب، الأوراق، 109 ـ 127؛ ● عيسوي، أحمد محمد ومحمد سعيد المليح، فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير، ط. الإسكندرية، 1978م، ص 651، 660؛ ● الأكوع، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دمشق، بيروت، دار الفكر، 1995م، 3/ 1075 ـ 1079، 4/ 1953، 2205؛ ● زبارة، محمد بن محمد، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، صنعاء، مركز البحوث والدراسات، د. ت، ص 1/ 117 ـ 118؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، بيروت، د. ت، دار إحياء التراث العربي، ص 6/ 463؛ ● م. ن. المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث، ط. دمشق، 1988م، دار الفكر، 34 ـ 33؛ ● المحبي، محمد أمين بن فضل الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ط. بيروت، 1966م، ص 4/ 406؛ ● م. ن. نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، القاهرة 1961م، دار إحياء الكتب العربية؛ ● الوزير، عبد الله بن علي، طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تح. محمد بن عبد الرحيم جازم، ط. صنعاء، 1985، ص 210؛ ● سيد أيمن فؤاد، مصادر اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار، القاهرة، 1974، 236 ـ 238؛ ● العمري، حسين بن عبد الله، مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، ط. دمشق، 1980، ص 87 ـ 90.

د. محمد عيسى صالحية
جامعة اليرموك
اربد ـ الأردن

الجَرمي، أبو عمر صالح بن إسحاق

(ت 225هـ/840م)

أبو عمر صالح بن إسحاق الجَرْمي اللغوي النحوي البصري، هو مولى جرْم بن زبّان أو ربّان من قبائل اليمن. نزل فيهم فنُسِب إليهم [وفيات الأعيان، 2/ 486]،

وقيل بل مولى بَجيلة، وقيل بل مولى قريش [معجم الأدباء]. نشأ بالبصرة ثم انتقل إلى بغداد وتوفي فيها عام 225هـ، في خلافة المعتصم. أخذ اللغة عن أبي عبيدة، وأبي زيد، والأصمعي وطبقتهم، وأخذ النحو عن الأخفش، وعليه قرأ كتاب سيبويه، ولقي يونس بن حبيب [أخبار النحويين، 84]، والكسائي [مجالس العلماء، 266]، وأسند الحديث عن يزيد بن زريع، ويحيى بن كثير الباهلي. أمّا تلامذته فكثيرون: روى عنه أحمد بن ملاعب المُخرِّمي، وأبو خليفة الجُمَحي، وغيرهما [تاريخ بغداد، 9/ 314]، وقرأ عليه كتاب سيبويه كثيرون أبرزهم المازني، والزيادي [طبقات النحويين، 93]، والتّوزي [أخبار النحويين، 95]، كما بدأ المُبَرِّد قراءة الكتاب عليه قبل أن يُتمّه على المازني.

وقد نُقل عن المبرّد أنه قال فيه إنه كان «أثبت القوم في كتاب سيبويه» [تاريخ بغداد، 9/ 314]، وإنه «كان أغوص على الإخراج من المازني» [أخبار النحويين، 84]. وقد كان الجرمي عالما بالحديث والأخبار، فقيها بارعا في استنباط الأحكام. نقل عنه أنه قال: «أنا منذ ثلاثين أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه» وذلك أنّ الجرمي كان صاحب حديث، فلمّا علم كتاب سيبويه تفقّه في الحديث [طبقات النحويين، 75].

عدت عوادي الزمن على كتب الجرمي فلم تترك منها شيئا فيما نعلم، ولم يبق أمام الباحث إلّا ما تناثر من نقول هنا ليقف على بعض آرائه. وهذه النقول كثيرة في المنصف، والخصائص، وسر الصناعة، وتذكرة النحاة، والمزهر، وهمع الهوامع، والأشباه، والنظائر، والخزانة، وغير ذلك كثير. غير أنه يبدو أن كتاب سيبويه كان محورا أساسيا من محاور نشاط الجرمي قراءة وإقراء وتأليفًا. ومع أنّ المصادر تذكر أنّ له كتبا انفرد بها [تاريخ بغداد، 9/ 314]، فإنّ في ما نقل عنه وعنها يشير إلى مكان كتاب سيبويه. وقد ذُكر أنه هو الذي نظر في أبيات الكتاب فنسب ألف بيت منها إلى أصحابها، وبقي منها خمسون بيتا لم يَعرف قائليها [طبقات النحويين، 75].

وقد ألّف عددا من الكتب في النحو منها كتاب جيّد يعرف بالفرخ، معناه فرخ كتاب سيبويه [وفيات الأعيان، 2/ 485]. وربّما كان مختصر الجرمي في النحو، أو مختصر نحو المتعلّمين [الفهرست، 80] أشهر كتبه فيما يقولون، فعليه أكثر من شرح. ولم يكن هذا المختصر، فيما يبدو، بعيدا عن كتاب سيبويه، فقد نسب أبو حاتم السجستاني إليه في معرض ذمّه لمختصره، قوله إنه لم يضع كتابا في النحو وإنّما اختصر كتاب سيبويه [طبقات النحويين، 74 ـ 75].

أمّا في الصرف فكتابه في الأبنية منتزع ـ فيما يبدو ـ من كتاب سيبويه. جاء في الخزانة أنّ الأصمعي فسّر حروفا من اللغة التي في كتاب سيبويه، وفسّر الجرمي الأبنية [الخزانة، 1/ 370]، وزاد عليها أمثلة يسيرة [كشف الظنون، 1/ 4]. ولا يدري أن كان له كتاب آخر هو كتاب الأبنية والمصادر، فقد ذكره [الفهرست، 80] إلى جانب كتاب الأبنية مما يوحي بأنه كتاب مستقلّ.

أمّا في اللغة فقد ذكرت المصادر للجرمي كتابا في تفسير غريب سيبويه [الفهرست، 80].

وهكذا يكون الجرمي قد تناول مختلف الوجوه في كتاب سيبويه نحوا وصرفا ولغة وشواهد.

غير أن هذا الاهتمام بكتاب سيبويه لا يعني أنه يأخذ بكلّ ما فيه، فقد كانت له مواقف خالف فيها سيبويه. وقد جمع عبد الحسين المبارك وافرا من المسائل التي كان فيها للجرمي رأي مميّز في النحو وفي الصرف وفي اللغة [أبو عمر الجرمي، 21 ـ 46]. وليس بعيدا أن يكون لهذه الآراء دور في اختلاف المبرّد مع سيبويه [المنصف، 2/ 282؛ مجالس العلماء، 57]. وآراؤه التي خالف فيها سيبويه تدلّ على حرية في التفكير أكثر ممّا تدلّ على نظر صائب وتصوّر منهجي عام، وإنّما هي آراء متفرّقة في مسائل جزئية. فقد ذهب إلى أنّ الألف والواو والياء في التثنية والجمع ليست بإعراب ولا بحروف إعراب وإنّما انقلابها هو الإعراب وهذا ـ كما يقول الزجاجي- قلب للأصول [الإيضاح، 141]. وذهب إلى أنّ المضارع المنصوب بعد واو المعيّة وبعد فاء السببيّة لا ينتصب بـ"أن" مضمرة بل بالواو وبالفاء [الإنصاف، دار الفكر، 2/ 555، 557].

ويدل بعض ما نقل عنه أنه كان طويل الباع في المناظرة لإلزام الخصم وهذا ظاهر في مناظرته للفرّاء لإلزامه الابتداء رافعا للمبتدأ [الإنصاف، 1/ 49]، «وناظرته لمن يجيز ألف التعريف ولامه في العدد المضاف في مثل: هذه الخمسة الدراهم» [الأشباه والنظائر، بيروت، 5/ 124 ـ 125].

وكنا نتمنّى أن نعرف المزيد عن كتابه في السيرة الذي قيل عنه إنه «عجيب»، وعن الكتب التي قيل إنه «انفرد بها» [تاريخ بغداد، 9/ 314 ـ 315]، فكتبه الأخرى التي ذكرتها المصادر مألوفة العناوين كالقوافي، والتثنية، والجمع، والعروض.

■ آثاره

1 ـ القوافي [الفهرست]؛ 2 ـ التثنية والجمع، [الفهرست]؛ 3 ـ الفرخ [الفهرست] يعني فرخ كتاب سيبويه [معجم الأدباء]، وعليه شرح لابن درستويه [تاريخ التراث، 9/ 72 ـ 73]؛ 4 ـ الأبنية [الفهرست]؛ 5 ـ الأبنية والمصادر، ذكره الفهرست كتابا مستقلا عن الأبنية، وسكتت عنه المصادر الأخرى؛ 6 ـ العروض؛ 7 ـ مختصر في النحو، أو مختصر نحو المتعلّمين [الفهرست]. وعليه شروح: لأبي الحسن الوراق، الهداية في شرح مختصر الجرمي، وقد ذكر عبد الحسين المبارك أنهما شرحان: أكبر وأصغر [أبو عمر الجرمي، 11 ـ 12] وللمعافري بن زكريا؛ ولأبي إسحاق بن علي الفارسي؛ ولعلي بن عبيد الله الدقاق الدقيقي؛ ولعلي بن عيسى الرَّبعي [تاريخ التراث، 9/ 72 ـ 73]؛ 8 ـ مقدمة في النحو [هدية العارفين]، غير أنّ الذهبي يذكر أنّ مقدّمته في النحو مشهورة، تعرف بالمختصر [أعلام النبلاء، 10/ 563]، ويُفترض أنه المختصر في النحو المذكور أعلاه؛ 9 ـ كتاب في السيرة، ورد باسم «كتاب في السيرة عجيب» [تاريخ بغداد، 9/ 315]؛ 10 ـ التنبيه في النحو [كشف الظنون، 1/ 493]؛ 11 ـ شرح كتاب العين [هدية العارفين]؛ 12 ـ شرح كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري [تاريخ التراث، 8/ 77].

المصادر والمراجع

● الزجاجي، مجالس العلماء، تح. هارون، الكويت، 1962، 250 ـ 252؛
● السيرافي، أخبار النحويين، تح. محمد البنا، دار الاعتصام، 1405هـ/ 1985م، 84 ـ 85؛ ● الزبيدي، طبقات اللغويين، تح. أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1984، 74 ـ 75؛ ● ابن النديم، الفهرست، تح. إبراهيم رمضان، بيروت، 1415هـ/ 1994م، 80؛ ● ابن خلّكان، الوفيات، تح. إحسان عباس، بيروت، 1972م؛
● ياقوت، معجم الأدباء، تح. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993؛ ● السيوطي، البغية، تح. أبو الفضل إبراهيم، صيدا، 2/ 8 ـ 9؛
● البغدادي، الخزانة، تح. هارون، القاهرة، 1409هـ/ 1989م، ط3؛
● حاجي خليفة، كشف الظنون، مصوّرة عن طبعة استانبول، 1951، 1/ 493؛
● إسماعيل باشا، هدية العارفين، [كشف الظنون]؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1986، 3/ 189؛ ● ضيف، شوقي، المدارس النحوية، القاهرة، 1979، 111 ـ 115؛
● المبارك، عبد الحسين، أبو عمر الجرمي، مجلّة كلّية التربية، جامعة البصرة، 1979، 1/ 51 ـ 55؛
● F. Sezgin: Geschichte der arabichen schriftums, Leiden, 1982.

د. حسن حمزة
جامعة ليون ـ فرنسا

الجرهمي، عبيد بن شرية

(ت 67هـ/686م)

في العهد الإسلامي، وبعد أن استقرت أركان الدولة الإسلاميّة، أخذ الرواة والأخباريون يعنون بجمع أخبار العرب في الجاهليّة والإسلام وأخبار من اتصل بهم من الأقوام [برهان الدين دلّو، ج 1، ص 16].
ومن أبرز الرواة الذين اشتغلوا برواية الأخبار عن العرب لعصر ما قبل الإسلام وقد عرفوا بنشاطهم المتزايد في كثرة المرويات عن العرب عموما، واليمن القديم خصوصا هم: كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبيد بن شرية الجرهمي، ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام الكلبي. ولعله من المفيد أن نشير إلى واحد من أبرز الرواة اليمنيين وهو عبيد ابن شريه الجرهمي.
من أهل صنعاء، كان من المعمرين، ويحدثنا ابن النديم أنّه كان في زمن معاوية بن أبي سفيان، وأدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئا، وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان [ابن

النديم، ص 138؛ وابن خلكان، ج 4، ص417؛ وياقوت الحموي، ج 12، ص78]، وتوفّي سنة سبع وستين للهجرة تقريبا، وقيل إنّه عاش مائتين وعشرين، [السجستاني، ص 39؛ والحموي، ج 12، ص 73]، وقال بعضهم ثلاثمائة سنة [ابن خلكان، ج 4، ص 417؛ الحموي، ج 12، ص 73].

وفد عبيد بن شرية على معاوية بالشام وهو خليفة، وكان قد طلب في حضوره من صنعاء فأجابه، وذلك ليسأله عن الأخبار المتقدمة وعن ملوك العرب والعجم، [ابن النديم، ص 138؛ ابن خلكان، ج 4، ص417]، وقال ياقوت لم يفد عليه، وأنّه لقيه بالحيرة لما توجّه معاوية إلى العراق [الحموي، ج 12، ص 73].

كما ذكر ابن النديم أنّ عمرو بن العاص أشار على معاوية باستدعاء عبيد بن شرية وسؤاله عن أخبار الماضين من العرب والعجم لما رآه فيه من حبّ المسامرة والأخبار السالفة، فأحضره واتخذه سميرا له، [ابن النديم، ص 138]، وكانت رغبة معاوية التعرّف على أخبار المتقدّمين، وخاصة الروايات الإخباريّة عن أهل اليمن ليعرف كيف كان اليمن بالجاهليّة، وكيف تمكّنت حمير من تسخير العرب والعجم وسيرها في البلاد، وملكها في مشارق الأرض ومغاربها، إلى جانب موضوعات أخرى عن افتراق الناس وتبلبل الألسنة، وعن العرب العاربة والعرب المستعربة، كما كان يرغب إلى معرفة كيف لم يكن لبني معد بن عدنان ذكر مع اليمنيين في تلك الأزمنة البعيدة [وهب، ص 326 ـ 328].

هكذا برز عبيد بن شرية في بلاط الخليفة معاوية كقصّاص لأخبار المتقدّمين من العرب والعجم، وخاصة أخبار ماضي اليمن [لمزيد من التفاصيل انظر: الجرهمي، ص 325 وما بعدها الحموي، ج 12، ص 72 ـ 78]. بل يبدو أنّ أخباره هي أوّل ما تمّ تدوينه من أخبار ماضي اليمن قبل الإسلام.

عند القراءة المتأنية لمروياته خاصة لكتابه المدوّن في ذيل كتاب التيجان في ملوك حمير، فإنّ أسلوب الصياغة الذي دوّنت به، يدلّ على التقييد (التدوين) المباشر لكلمات الراوي بعد سماعها منه من ناحية، ولأسئلة الخليفة معاوية بعد أن يلفظها من ناحية أخرى.

فكتاب ابن شرية ـ هنا ـ في أجزاء واسعة منه هو عمل مشترك بين الراوي عبيد بن شرية والسائل الخليفة معاوية، بل إنّ أسئلة معاوية هي التي حدّدت منحى المرويات الإخباريّة لدى الراوي، من حيث البداية وتسلسل الموضوعات والخاتمة [وهب، ص 363 ـ 366، 390 ـ 392، 407، 408؛ وانظر عبد الرحمٰن السقاف، ص 103].

آثاره

ظهرت الروايات الاخباريّة لعبيد بن شرية تحت عديد من المسميات، فذكر ابن النديم وكذا الحموي أنّ معاوية بعد أنّ اتخذه سميرا له أمر بتدوين أحاديثه ونسبتها إليه، فدونت تحت عنوان «كتاب الملوك وأخبار الماضين» [ابن النديم، ص 138؛ الحموي، ج 12، ص 78؛ وجواد علي، ج 1، ص 83].

ومن العناوين المنسوبة إليه «أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وانسابها» ودوّن بهذا العنوان في ذيل كتاب

«التيجان في ملوك حمير» لوهب بن منبه الذي طبع في الهند سنة 1347 هـ [أنظر كتاب التيجان، 325 وما بعدها].

وإلى جانب ما تقدّم ينسب نشوان الحميري كتابا اسمه «البلبلة» إلى عبيد بن شرية في بلبلة الألسن وذكر ملوك حمير، [فاطمة الصافي، ص 111، عن نشوان الحميري، ج 1، ص 127]، ويبدو أنّ هذا الأمر قد التبس على نشوان لأنّ ما يعنيه هو الكتاب المذكور آنفا، لأنّ ابن النديم روى أنّ معاوية سأل عبيد عن الأخبار المتقدّمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الألسنة، وأمر افتراق الناس في البلاد، فتوهّم نشوان أنّه كتاب آخر في البلبلة [ابن النديم، ص 138؛ فاطمة الصافي، ص 111].

كذلك ألّف عبيد بن شرية في زمن معاوية كتابا آخر في الأمثال، ذكر ابن النديم أنّه رآه في نحو خمسين ورقة [ابن النديم، ص 138؛ الحموي، ج 12، ص 78؛ جواد علي، ج 1، ص 83].

ويغلب على «أخبار عبيد بن شرية» طابع السمر والقصص الشعبي (الفولكلور) المتأثر بالاسرائيليات، بل وصف البعض كتابه بأنّه قصة تاريخيّة معظم شخصياتها وبعض حوادثها صحيحة ومزينة بأساطير ومبالغات ومادة قصصيّة شعبيّة مسلية ممّا يتوقع أن يقدّمه رجل على علم احترف رواية القصص [جواد علي، ج 1، ص 83 ـ 84].

كما يمتاز كتابه بكثرة ما أورده من شعر وعنايته بذلك لأنّ معاوية كثيرا ما استزاده من قول الشعر للمسامرة، كما يعد الشعر دليلا على صحة الخبر بقوله: «ألا شددت حديثك ببعض ما قالوا من الشعر ولو ثلاثة أبيات؟» [الجرهمي، ص 331]. فالشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر ومنه تعلّمت اللّغة [السيوطي، ج 2، ص 470]. وقد عدّ كتابه ـ لكثرة ما ورد فيه من شعر ـ تدوينا شعريا للتاريخ، وملحمة شعريّة ترد على من يقول إنّ العرب لم يعرفوا الملاحم [فاطمة الصافي، ص 236]، ولكن ماذا عن صحّة تلك الأشعار؟

لا يمكننا التسليم بصحّة الأشعار التي أوردها. فهي تبدو أشعار ملفّقة (موضوعة) نُسب بعضها إلى من لم يقل الشعر من القدماء.

المصادر والمراجع

● دلّو، برهان الدين، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م؛ ● ابن النديم، الفهرست، مطبعة الاستقامة، القاهرة، بدون تاريخ؛ ● ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حقّقه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب)، دار المأمون، مصر بدون تاريخ؛ ● السجستاني، سهل بن محمد بن عثمان، كتاب المعمرين، رواية أبي رزق الهمداني، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1323هـ/ 1905م؛ ● ابن منبه، وهب، كتاب التيجان، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنيّة، صنعاء، الطبعة الثانية، 1979م؛ ● جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1968م؛ ● السيوطي، جلال

الدين عبد الرحمٰن بن الناصر الشافعي، المزهر في علوم اللّغة، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي البجّاوي، ومحمد أبو الفضل، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ؛ ● فاطمة الصافي، المرويات اليمنيّة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، جامعة حلب، 1982م.

● السقاف، عبد الرحمٰن عمر، تطور المعرفة التاريخيّة عن حضارة اليمن قبل الإسلام، كلّية الآداب قسم التاريخ والآثار، جامعة عدن، 2002م.

محمد بن هاوي باوزير
اليمن ـ جامعة عدن

ابن جريج، أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز

(80هـ/698م ـ 150هـ/767م)

هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، ويكنى بأبي الوليد وبأبي عبد العزيز، أصله رومي نصراني، ولد بمكة سنة ثمانين للهجرة (80 هـ)، لم يطلب العلم إلا في الكهولة، ومع ذلك كان من علماء مكة ومحدثيها وفقيه أهلها في زمانه، وكونه يرى الرخصة في زواج المتعة فقد تزوج نحوا من تسعين امرأة نكاح متعة، وهو من أول من صنف الكتب في الحجاز، ويعد قطب الإسرائيليات في عهد التابعين [محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ج 1، ص 198 ـ 200].

روى عن أبيه وعن عطاء بن أبي رباح، وأسلم بن زيد، والزهري وغيرهم. وروى عنه ابناه: عبد العزيز ومحمد، والأوزاعي، والليث، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وحماد بن زيد وغيرهم. كان المترجم له قطب الإسرائيليات في عهد التابعين، وأكثر من رواها عنه ابن جرير الطبري عند تفسيره للآيات التي وردت في النصارى، وكان يعبر عنه دائما بـ«ابن جريج».

يعد ابن جريج من طبقة مالك بن أنس وغيره ممن جمعوا الحديث ودونوه، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: من أول من صنف الكتب؟، قال ابن جريج وابن أبي عروبة. وقال ابن عيينة: سمعت أخي عبد الرزاق بن همام عن ابن جريج يقول: «ما دوّن العلم تدويني أحد»، وقد عرف بكونه رحالة في طلب العلم، فبعد أن نشأ بمكة وشب فيها، رحل إلى البصرة واليمن وبغداد. قال عنه ابن خلدون في العبر: «إنه لم يطلب العلم إلا في الكهولة ولو سمع في عنفوان شبابه لحمل عن غير واحد من الصحابة، فإنه قال: كنت أتتبع الأشعار العربية والأنساب، فقيل لي: لو لازمت عطاء؟ فلازمته ثمانية عشر عاما» [عبد الحي بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 1، ص 226].

وقد رويت عن ابن جريج أجزاء كثيرة في التفسير عن ابن عباس، منها الصحيح ومنها ما ليس بالصحيح، وذلك لأنه لم يقصد الصحة

فيما جمع، بل روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم [جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 188].

أما منزلته من ناحية العدالة فلم يظفر الرجل بإجماع العلماء على توثيقه وتثبته فيما يرويه، وإنما اختلفت أنظارهم فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه؛ فمن جهة التوثيق، قال عنه العجلي: «مكي، ثقة»، وقال سليمان بن النضر بن مخلد بن يزيد: «ما رأيت أصدق لهجة من جريج»، وعن يحيى بن سعيد قال: «كنا نسمي كتب ابن جريج كتب الأمانة» وقال ابن معين: «ثقة في كل ما روي عنه من الكتاب»، وعن يحيى بن سعيد أيضا قال: «كان ابن جريج صدوقا، فإذا قال حدثني فهو سماع، وإذا قال أخبرني فهو قراءة»، وذكر الخزرجي في خلاصته ص 207 أنه مجمع عليه من أصحاب الكتب الستة.

أما من جهة اتهامه بالتدليس فقد قال الدارقطني: تجنب تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان من فقهاء أهل الحجاز وقرائهم ومتقنيهم، وكان يدلّس وذكره الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال، وقال: «أحد الأعلام الثقات، يدلس» وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبي: «بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة، كان ابن جريج لا يبالي من أين يأخذها، يعني قوله: أخبرت وحدثت عن فلان»، كما كان الإمام مالك يرى فيه أنه لا يبالي من أين يأخذ، فقد روي عنه أنه قال: «كان ابن جريج حاطب ليل» [الحافظ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج 2، ص 151]، ويذكر أحمد أمين في «ضحى الإسلام» [ج 2، ص 107] أن البخاري لم يوثق عبد الملك بن جريج، بل قال: إنه لا يتابع في حديثه. واعترض الذهبي، صاحب «التفسير والمفسرون» على ما نسبه أحمد أمين للبخاري في هذه القولة متسائلا عن مورد استقاء صاحب الضحى هذا الكلام الذي عزاه للبخاري؟ وجاعلا من ابن جريج وعاء لعلم امتزج صحيحه بعليله، وأنه من أقطاب الإسرائيليات، وعليه يدور كثير مما هو مبثوث في كتب التفسير، فعلى المفسر أن يكون حذرا فيما يروي عن ابن جريج حتى لا يروي ضعيفا أو يعتمد على سقيم [الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج 1، ص 200].

المصادر والمراجع

● العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، طبعة الهند سنة 1325هـ؛ ● الذهبي، شمس الدين، ميزان الاعتدال، مطبعة السعادة، القاهرة سنة 1325هـ؛ ● السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة مصطفى الحلبي، بيروت سنة 1344هـ/ 1935م؛ ● ابن العماد، عبد الحي، شذرات الذهب، مطبعة القدسي، القاهرة سنة 1350هـ؛ ● الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ط. دار الكتب الحديثة، 1396هـ/ 1976م.

د. حسن مزيو
جامعة الزيتونة ـ تونس

الجريري، أبو الفرج، المعافي بن زكريا بن يحيى

(305هـ/917م - 390هـ/1000م)

المعافي بن زكريا بن يحيى بن حميد، أبو الفرج النهرواني يعرف بالجريري وبابن طرار، بالطاء المهملة المفتوحة وفتح الراء المكررة وبعضهم يكتبها بالهاء بدل الألف. فقيه ومحدث ومفسر ومن علماء العربية وآدابها.

ولد بمدينة النهروان القريبة من بغداد يوم الخميس السابع من شهر رجب سنة 305هـ/ اليوم الخامس والعشرون من كانون الأول 917م. درس وحدث عن والده، وأبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي، وأبي محمد يحيى بن محمد بن صاعد الهاشمي البغدادي، وأبي بكر عبد الله بن سليمان بن أبي داؤد، وأبي حامد محمد بن هارون الحضرمي، وأبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، وأبي سعيد العدوي، ومحمد بن أبي الأزهر، وأبي عبد الله محمد بن مخلد، وأبي بكر محمد بن إبراهيم المقرئ، ومحمد بن جعفر النهرواني، ومحمد بن محمد بن يزيد النهرواني، وأبي بكر محمد بن محمد بن مجاهد البلخي، وأبي علي محمد بن همام الكاتب، وأبي النضر أحمد بن إبراهيم العقيلي، وأحمد بن إبراهيم الخليل النهرواني، وأحمد بن جعفر بن المهندس، وأحمد بن الحسن السامح، وأحمد بن القاسم الشبي، وأحمد بن جعفر بن المهندس وأحمد بن الحسن السامح، وأحمد بن الحسن بن الشرقي، وأحمد بن عبد الله بن حمدويه، وأحمد بن رامين الخراساني، وأبي الحسين أحمد بن محمد الواسطي، وأحمد بن محمد الترمذي، وإبراهيم بن الفضل الحلواني قاضي سامراء، وأبي بكر إسماعيل بن إبراهيم الناقد سمع منهما بسامراء سنة 323هـ/ 934م [تاريخ بغداد، ج9/ 120]، وأبي محمد طلحة بن محمد الجوهري، وأبي القاسم عبيد الله بن محمد الأزدي، وأبي عيسى الفضل بن محمد الخواص، وأبي الربيع الفضل بن عبد الرحمٰن النهرواني، وأبي القاسم نصر بن أحمد البصري، روى عنه مقطعات من شعره [تاريخ بغداد، ج32/ 296]، وأخذ القراءة عرضا عن أبي الحسن بن شنبوذ، وأبي مزاحم الخاقاني، وأبي عيسى بكار، والخضر بن الحسن الحلواني [غاية النهاية، ج2/ 302]، وأخذ الأدب عن أبي عبد الله إبراهيم بن محمد المعروف بنفطويه، والأخفش الصغير وغيرهما، ولم تذكر المصادر التاريخية للمعافي رحلة في طلب العلم، إنّما كانت له رحلة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ثم عاد إلى بغداد.

وكان والده زكريا من أهل العلم والمعرفة، حدث عن أحمد بن علي البرمبهاري، وأحمد بن يحيى الحلواني، ومحمد بن جعفر الختلي، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة،

وأحمد بن منصور الحاسب، ودرس عليه وسمع منه جماعة من أهل النهروان وغيرهم [تاريخ بغداد، ج8/ 463].

كان أبو الفرج المعافي على مذهب محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ/ 923م) وإليه ينتسب، وقد تبع هذا المذهب وأخذ به جماعة من أهل العلم، فعملوا على نشره والترويج له، وألفوا لنصرته الكثير من المؤلّفات، ومن أشهر أتباع هذا المذهب، علي بن عبد العزيز بن محمد الدولابي له في المذهب كتاب الأصول الكبير وكتاب الأصول الأوسط، والرد على ابن المغلّس، وأبو القاسم بن العراد، ألف كتاب الاستقصاء في الفقه، وأبو الحسن أحمد بن يحيى بن أبي منصور، وله كتاب المدخل إلى مذهب الطبري، وكتاب الإجماع في الفقه على مذهب أبي جعفر الطبري، وأبو الحسن الدقيقي الحلواني له كتاب رد فيه على المخالفين، وأبو بكر أحمد بن كامل، ومن مؤلفاته جامع الفقه، وكتاب الشروط. ومنهم أيضًا: أبو إسحاق بن حبيب الطبري البصري له تاريخ موصول بكتاب تاريخ الطبري ضمنه من ينتمي إلى أبي جعفر الطبري في الفقه، وهو من أقرانه في السن. ودرس أبو الفرج المعافي أوحد زمانه في المذهب، فألّف في الذود عنه ونصرته مؤلفات، ورد على ما له فيه، ونذر أصوله ومسائله [الفهرست، ص327].

كان أبو الفرج إمام عصره غير مدافع، ومن أعلم الناس بالفقه والنحو واللغة وأصناف الأدب، متفنّنا في علوم كثيرة، مضطلعا بها، مشار إليه فيها، في غاية الذكاء وحسن الحفظ وسرعة الخاطر في الجواب، ثقة مأمونا فاضلاً، مع الديانة المتينة والورع. وكانت خصاله هذه مبعث حسد وبغض من بعض معاصريه فقال:

ألا قلْ لمن كان لي حاسدًا
أتدري على من أسأتَ الأدب

أسأتَ على الله في فعله
لأنك لم ترض لي ما وهب

فجازاك عنه بأنْ زادني
وسدَّ عليك وجوه الطلب

[تاريخ بغداد، ج13/ 230]

عاش المعافي في عصر اختلت فيه الموازين والقيم، علا فيه أصحاب الأمراء والسلاطين والعاملون في خدمتهم والتذلّل لهم، ولم يكن في خلق المعافي وسيرته من ذلك شيء، لذلك عاش طوال حياته قليل الشيء متعفّفا [تذكرة الحفاظ، 1010] به من آثار العوز والفاقة الكثير، ولم ينل من دولة زمانه المكانة التي تليق بعلمه وأدبه، ولا سعى إلى سبل الذلّة والمهانة للوصول إلى غاياته.

قال أبو حيان التوحيدي: رأيته وقد نام مستدبرا الشمس في جامع الرصافة في يوم شات وبه من آثار الفقر والبؤس والضر أمر عظيم مع غزارة علمه واتساع أدبه وفضله المشهور، ومعرفته بصنوف العلم خاصة علم الآثار والأخبار وسير العرب وأيامها، فقلت له: «مهلا أيها الشيخ وصبرًا فإنّك بعين الله، ومرأى منه ومسمع، وما جمع الله لأحد شرف العلم وعز المال». فقال: «ما لا بد منه من الدنيا فليس منه بدٌّ» ثم أنشد يقول:

يــا مــحــنــةَ الــلــه كــفّــي
إن لــمْ تــكُــفّــي فــخِــفّــي

قــد آنَ أن تــرحَــمــيــنَــا
مــن طــولِ هــذا الــتــشــفّــي

طــلــبــتُ جــدًا لــنــفــســي
فــقــيــل لــي قــد تــوفّــي

فــلا عــلــومِــيَ تُــجــدي
ولا صــنــاعــةُ كَــفّــي

ثــور يــنــالُ الــثــريّــا
وعــالِــمٌ مــتــخــفّــي

[معجم الأدباء، ج19/ 152]

ومن شعره يعاتب زمانه:

أأقــتــبس الــضــيــاءَ مــن الــضــبــاب
وألــتــمــس الــشــرابَ مــن الــســراب

أريــد مــن الــزمــان الــنــذْل بــذلاً
وأريــا مــن جــنــى ســلــع وصــاب

أرجــيَ أن الاقــي لاشــتــيــاقــي
خــيــار الــنــاس فــي زمــنِ الــكــلاب

ومن شعره:

مــالــك الــعــالــمــيــنَ ضــامــنُ رزقــي
فــلــمــاذا أمــلَــك الــخــلــق رقــي

قــد قــضــى لــي بــمــا عــلــيَّ ومــا لــي
خــالِــقــي جَــلَّ ذكــرُه قــبــل خــلــقــي

صــاحــبــي الــبــذل والــنــدى فــي يــســاري
ورفــيــقــي فــي عــســرتــي حــســنَ رفــق

وكــمــا لا يــرد عــجــزي رزقــي
فــكــذا لا يــجــر رزقــي حــذقــي

وذكر أنه عملها في معنى قول علي بن الجهم:

لــعــمــرك مــا كــان الــتــعــطّــل ضــائِــرٌ
ولا كــل شــغــل لامــرئ فــيــه مــنــفــعــه

إذا كــانــت الارزاق فــي الــقُــرب والــنــوى
عــلــيــك ســواء فــاغــتــنــم راحــةَ الــدعــه

[معجم الأدباء، ج19/ 153 ـ 154؛ وفيات الأعيان، ج5/ 222 ـ 223]

وكان واسع الاطلاع أخذ من كل علم بنصيب وافر، ذكر تلميذه أحمد بن عمر بن روح أنّ شيخه أبا الفرج المذكور حضر في دار لبعض الرؤساء وكان جماعة من أهل العلم والأدب فقالوا له: «في أي نوع من العلوم نتذاكر؟» فقال المعافي لذلك الرئيس: «خزانتك قد جمعت أنواع العلوم، وأصناف الأدب فإن رأيت أن تبعث بالغلام إليها وتأمره أن يفتح بابها ويضرب بيده إلى أي كتاب رأى منها فيحمله ثم تفتحه في أي نوع هو فنتذاكره ونتجارى فيه» [تاريخ بغداد، ج3/ 230؛ إنباه الرواة، ج3/ 297] وهذا يدلّ على أنّ المعافي له اطلاع ومعرفة بسائر العلوم، وكان أبو محمد عبد الله بن محمد البخاري المعروف بالباقي يقول: إذا حضر القاضي أبو الفرج المعافي فقد حضرت العلوم كلّها، ولو أوصى رجل بثلث ماله أن يدفع إلى أعلم الناس أن يدفع إلى المعافي وهي رواية مشهورة نقلها معظم من ترجم له. ولأبي الفرج من التحريرات والتعليقات والأجوبة أنه قال: ذكر لنا الداركي حديث جابر عن الرسول ﷺ «إذا أرفت الدود فلا شفعة» في تدريسه كتاب الشفعة فقال: إذا (أزفت) فسألت ابن جني

النحوي الموصلي عن هذه الكلمة فلم يعرفها، ولا وقفت على صحتها، فسألت المعافي عن الحديث، وذكرت له طرقه فلم أستتم حتى قال: «إذا أرفت» والأرف: المعالم، يريد إذا بينت الحدود وعيّنت المعالم وميزت فلا شفعة [طبقات الشافعية، ج3/ 332].

وقال في قوله ﷺ «بلغوا عني ولو آية . . .» الحديث، قال: الآية في اللغة تطلق على ثلاثة معاني، العلامة الفاصلة والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة. فمن الأوّل: قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران، 41] ومن الثاني: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ [آل عمران، 49] ومن الثالث: «اجعل الأمير فلانًا اليوم آية» ويجمع بين هذه المعاني الثلاثة أنه قيل لها لدلالتها وفصلها وإبانتها. وقوله ﷺ في الحديث: «ولو آية» أي واحدة ليسارع في التبليغ كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل، ليتّصل بذلك نقل جميع ما جاء به الرسول ﷺ [فتح الباري، ج6/ 498].

واختلف العلماء في الرجل يوصي الوصية في كتاب، ويشهد على ما فيه من غير أن يُقرأ على الشهود، ثم يشهدون على ما فيه فينفذ، فسوغ ذلك جماعة من أهل العلم وأنكره جماعة. قال القاضي المعافي: أجاز ذلك وأمضاه وأنفذ الحكم به جمهور أهل الحجاز وروى ذلك عن سالم بن عبد الله وهو مذهب الإمام مالك، ومحمد بن سلمة المخزومي ومكحول، ونمير بن أوس، وزرعة بن إبراهيم، والأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز ومن وافقهم من فقهاء الشام، وحكى نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه، وهو قول الليث بن سعد المصري فيمن وافقه من فقهاء مصر والمغرب، وهو قول فقهاء البصرة وقضاتهم وجماعة، وأخذ بهذا عدد كبير من أصحاب الحديث مثل أبي عبيد وإسحاق بن راهويه، والبخاري.

قال المعافي: وأبى ذلك جماعة من فقهاء العراق ومنهم: إبراهيم وحماد والحسن وجماعة من الشافعية. ثم قال: وإلى القول الأول نذهب وسوغ ذلك [البداية والنهاية، ج9/ 197 ـ 198]، والإشارة هنا إلى وصية الخليفة سليمان بن عبد الملك وعهده بالخلافة لعمر بن عبد العزيز فكتبها في صحيفة وختمها ولم يشعر بذلك عمر بن عبد العزيز ولا أحد من بني مروان سوى الخليفة سليمان وحاجبه رجاء بن حيوه، ثم أمر صاحب الشرطة بإحضار الأمراء ورؤوس الناس من بني مروان وغيرهم فبايعوا سليمان على ما في الصحيفة المختومة.

درس على المعافي وروى عنه جماعة منهم: أبو الطيب بن عبد الله الطبري، وأحمد بن عمر بن روح النهرواني، وأبو علي محمد بن الحسين الجازري، وأبو منصور أحمد بن مسرور الخباز، وأبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ، وعمر بن عتبة العتبي، وعبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي، وأحمد بن محمد العتيقي، وأبو الطاهر محمد بن عبد الواحد البيع، وأبو الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد البلدي، وأبو حنيفة عبد الوهابي بن علي المؤدب، وأبو العلاء محمد بن علي الواسطي، وأبو القاسم عبد الله الأزهري، وأبو الحسني محمد بن أحمد النرسي، وأحمد بن علي التوزي، وأبو

طالب المحسن بن عيسى البغدادي، وأجاز لأبي الغنائم محمد بن علي الدجاجي، وغيره.

ولي أبو الفرج المعافي القضاء ببغداد بباب الطاق نيابة عن القاضي ابن صبر، ومارس التدريس ببغداد مدة طويلة. وكان يحضر مجالس المناظرة بين علماء عصره [تاريخ بغداد، ج7/ 231].

توفّي المعافي بالنهروان يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة سنة 390هـ/ السادس عشر من تشرين الثاني 1000م.

آثاره

ألّف عددًا من المؤلفات، وله أكثر من خمسين رسالة في الفقه، والكلام، والنحو، أحصى بعضها ابن النديم في الفهرست ونقلها عنه الداودي في طبقات المفسّرين، والبغدادي في هدية العارفين وهي:

1 ـ كتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، وهو من أكثر مؤلفاته شهرة، ذكر فيه فضائل جمّة وأخبارًا مستحسنة، وهو مقسّم إلى مائة مجلس قُرئ فيها. ويبدأ كل مجلس عادة بحديث من أحاديث الرسول ﷺ أو بقول لأحد صحابته، وتأتي بعد ذلك تفسيرات لغوية وموضوعيّة مع حكايات وأخبار قصيرة طريفة وأمثال وأشعار تناسب المقام.

نقل عنه البغدادي في تاريخ بغداد (مثلا: 2/ 367، 3/ 4، 19، 175، 389، 290، 306، 349، 4/ 89، 150، 153، 202، 406، 5/ 68، 406، 416، 459، 6/ 144، 243، 7/ 159، 433، 439، 8/ 468، 492، 9/ 51، 80، 288، 370؛ 416، 10/ 32، 48؛ 56، 175، 208، 340، 11/ 321، 367، 12/ 386، 429، 13/ 18، 27، 158، 200، 518، 15/ 9، 11؛ 197، 249، 251)، وابن كثير في البداية والنهاية (مثلا: 2/ 215 و5/ 307 و8/ 39 و9/ 122، 133، 364 و10/ 7، 59، 321 و11/ 194).

ونقل عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء، وابن حجر في الإصابة، وابن أبي جرادة في زبدة الحلب، والسيوطي في تدريب الراوي وغيرهم.

ومخطوطات الكتاب ومختصراته كثيرة في مكتبات العالم [بروكلمان، 3/ 318؛ سزكين، مج1، ج3/ 256 ـ 257]. وقد حقق الكتاب المرحوم محمد مرسي الخولي وحصل به على شهادة الدكتوراه والكتاب مطبوع؛ 2 ـ رسالة في الحديث، منها نسخة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع 4/ 68 في أربع ورقات [سزكين، مج1، ج3/ 257]؛ 3 ـ كتاب التفسير الكبير، وهو في ستة مجلّدات. قال الذهبي في تذكرة الحفاظ، [1011] «فيه مخبئات وفوائد نفيسة»؛ 4 ـ كتاب التحرير والمنقر في أصول الفقه؛ 5 ـ كتاب الحدود والعقود في أصول الفقه؛ 6 ـ كتاب المرشد في الفقه؛ 7 ـ شرح كتاب المرشد؛ 8 ـ شرح كتاب الخفيف للطبري في الفقه؛ 9 ـ كتاب الشافي في مسح الخفين؛ 10 ـ كتاب الشروط؛ 11 ـ كتاب أجوبة الجامع الكبير لمحمد بن الحسن؛ 12 ـ كتاب الرد على أبي يحيى البلخي في اقتراض الإماء؛ 13 ـ كتاب الرد على الكرخي في مسائل؛ 14 ـ كتاب الرد على داؤد بن علي؛ 15 ـ كتاب تأويل القرآن؛

16 ـ كتاب القراءات؛ 17 ـ كتاب المحاورة في العربية؛ 18 ـ شرح كتاب الجرمي، صالح بن إسحاق البصري النحوي؛ 19 ـ رسالة العنبري القاضي في مسألة الوصايا؛ 20 ـ رسالة في واو عمرو؛ 21 ـ رسالة عمر؛ 22 ـ أجوبة المزني.

المصادر والمراجع

• ابن النديم، الفهرست، بيروت، 1978، ص327 ـ 328؛ • الشيرازي، طبقات الفقهاء، تح. إحسان عباس، بيروت، 1981، ص 93؛ • البغدادي، الخطيب، تاريخ بغداد، القاهرة، 1349، 13/ 230؛ • الحموي، معجم الأدباء، دار المأمون، مصر، 19/ 151 ـ 154؛ • معجم البلدان، بيروت، 5/ 325؛ • القفطي، إنباه الرواة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1955، 3/ 496 ـ 497؛ • ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، 1995، 8/ 15؛ واللباب في الأنساب، القاهرة، 1357هـ، 1/ 234 و3/ 249؛ • السمعاني، الأنساب، 1/ 295؛ • الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. الأرناؤوط والعرقسوسي، 16/ 544 ـ 546؛ وتذكرة الحفاظ، حيدر آباد، 1010 و1011؛ • ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 11/ 328، 336؛ • ابن الجوزي، المنتظم، تح. محمد ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1992، 7/ 213 ـ 214؛ • السبكي، طبقات الشافعية، تح. الطناحي والحلو، 3/ 332؛ • اليافعي، مرآة الجنان، تح. محمد المصري، دمشق، 1972، 259؛ • ابن عبد الغني، تكملة الإكمال، مكة المكرمة، 1410هـ، 16؛ • ابن قاضي شهبة، طبقات النحويين، 2/ 249 ـ 250ح • ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، بيروت، 1389هـ، 6/ 498؛ • ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، دار الكتب المصرية، 4/ 201 ـ 202؛ • السيوطي، طبقات المفسرين، تح. علي محمد عمر، القاهرة، 1972، 2/ 232 ـ 236؛ • الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب، بيروت، 2/ 134 ـ 135؛ • حاجي خليفة، كشف الظنون، مكتبة المثنى، بغداد، 1/ 593؛ • البغدادي، هدية العارفين، استانبول، 1955، 2/ 464 ـ 465؛ • كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، 12/ 302؛ • الزركلي، الأعلام، ط3، 8/ 169؛ • بروكلمان، تاريخ الادب العربي، الترجمة العربية، القاهرة، 1977، 3/ 318؛ • الكتاني، الرسالة المستطرفة، بيروت، 1986، 166؛ • سزكين، تاريخ التراث العربي، الترجمة العربية، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1983، مج1، ج3/ 255 ـ 257؛ • ديتريش، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، عدد 30 سنة 1955، 380 ـ 394.

د. ناطق صالح مطلوب
جامعة الموصل ـ العراق

الجريري، أبو محمّد أحمد بن محمّد بن الحسني

(ت 311هـ/922م)

أحمد بن محمد بن الحسني، وكنيته أبو محمد، وكنية والده أبو الحسن.

كان من كبار أصحاب الجنيد، وصحب أيضا سهل بن عبد الله التستري، وهو يعدّ من كبار مشايخ القوم، قعد بعد الجنيد في مجلسه لتمام حاله وصحّة علمه [السلمي، طبقات الصوفيّة، ص 61].

كان صوفيّا ملتزما بالكتاب والسنّة، صحيح العقيدة، ولم ينقل عنه ما يخرجه عن الدين، وهذا واضح من كلامه.

ومن أقواله نذكر:

التسرّع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة، والوقوف عند حدّ الانحسار نجاة، والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تلطّف، وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حين الإقبال مساءة، والاستسلام عند التلاقي جرأة، والانبساط في محل الأنس غيرة. . .

رأيت في النوم كأنّ قائلا يقول لي: لكلّ شيء عند الله حقّ، وإنّ أعظم الحقوق عند الله حقّ الحكمة، فمن جعل الحكمة في غير أهلها طالبه الله بحقّها، ومن طالبه بحقّها خصم.

وقيل له: متى يسقط عن العبد شغل المعاملة، فقال: هيهات لا بدّ منها، ولكن يقع الحمل فيها.

أدلّ الأشياء على الله تعالى ثلاثة: ملكه الظاهر، ثم تدبّر في ملكه، ثم كلامه الذي يستوفي مني كلّ شيء.

الرجاء طريق الزهاد، والخوف سلوك الإبطال.

قوام الأديان ودوام الإيمان وصلاح الأبدان في خلال ثلاث: الاكتفاء والاتّقاء والاحتماء، فمن اكتفى بالله صلحت سريرته، ومن اتّقى ما نهي عنه استقامت سيرته، ومن احتمى ما لم يوافقه ارتاضت طبيعته، فثمرة الاكتفاء صفو المعرفة، وعاقبة الاتّقاء حسن الخليقة، وغاية الاحتماء اعتدال الطبيعة.

رؤية الأصول باستعمال الفروع، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول، ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلّا بتعظيم ما عظّم الله من الوسائط والفروع.

ومن كلامه كذلك: من استولت عليه نفسه صار أسيرا في حكم الشهوات، محصورا في سجن الهوى، وحرم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذّ بكلام الله تعالى، ولا يستحليه وإن قرأ كلّ يوم ختمة، لأنّه تعالى يقول: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: 146] يعني أحجبهم عن فهمها عن التلذّذ بها، وذلك لأنّهم تكبّروا بأحوال النفس والخلق والدنيا.

وكان يقول أيضا: من لم يحكّم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة، فإن من لا تقوى عنده فوجهه

مطموس، ومن لا مراقبة له فحاله منكوس.

ويقول: قدمت مكة فبدأت بأبي القاسم الجنيد لئلّا يعنّى لي، فسلمت عليه، ثم مضيت إلى منزلي، فلما صلّيت الصبح فإذا أنا به خلفي في الصفّ، فقلت له: إنّما جئتك أمس، لئلا تتعنّى لي، فقال لي: ذلك فضلك، وهذا حقّك.

وقال في قوله ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: 79] أي سامعين من اللّه، قائلين باللّه، وكان يقول: لو رأيت من يهجرني للّه تعالى لوضعت له ضدّي، وكان يقول: من قرأ القرآن بقصد الارحاب في الجنة فقد رضي بالقليل بدلا عن الكثير، لأن الجنة مخلوقة.

والقرآن غير مخلوق، ومعظم الفائدة في قراءة القرآن إنما هو وجود الربّ، وفهم خطابه، فكيف بمن يطلب بقراءته عرضا من الدنيا، ومن فعل ذلك فقد فاته خير القرآن كلّه.

وقال: انكشف القمر ليلة الجمعة، وأنا في مدينة رسول اللّه، ﷺ، فإذا به أسود، مكتوب في وسطه بالنور، أنا وحدي؛ فغشي علي إلى الصباح، وقال في قوله تعالى ﴿يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: 23] إنما قالت مريم ذلك لأنّ اللّه تعالى أطلعها على أنّ عيسى ﷺ سيعبد من دون اللّه، فغمّها ذلك، فقالت: «يا ليتني مت قبل هذا» ولم أحمل بمن يعبد من دون اللّه تعالى، فأنطق اللّه عيسى ﷺ: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: 30]. . . [الأنصاري، الطبقات الكبرى، ص 94ـ 95].

المصادر والمراجع

- الأنصاري، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد، الطبقات الكبرى المسمّاة بواقع الأنوار في طبقات الأخيار، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي، مصر، 1373هـ/ 1954م، ج 1؛
- السلمي، أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفيّة، نشر أحمد الشرباحي، مطابع الشعب، 1380 هـ.

د. عبد الكريم سلمان الشمري
جامعة الموصل ـ العراق

الجزائري، شهاب الدين أبو العباس أحمد

(800هـ/1397م ـ 884هـ/1479م)

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد اللّه الجزائري الزواوي، نسبة إلى قبيلة زواوة. متكلّم وفقيه مالكي عاش بالجزائر.

اختلف في تاريخ وفاته: سنة 898 هـ/ 1492 م، أم سنة 899 هـ/ 1493 م [حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 1501]، أم سنة 897هـ/ 1491م [البغدادي، هدية العارفين، المجلد1، ص 136].

■ آثاره

- المنظومة اللامية الجزائرية في التوحيد، أو كفاية المريد أو القصيد في علم التوحيد، وهي المعروفة بقصيدة: «يقول العبد». طبعت بتونس سنة 1311هـ/ 1893م. وعليها شروح منها شرح المنظومة الجزائرية او العقد الفريد في حلّ مشكلات التوحيد، أو المنهاج السّديد في شرح كفاية المريد لمحمد بن يوسف السّنوسي المتوفّى سنة 895هـ/ 1489م، يقول عنه: «لقد دعاني إلى شرح هذا النظم المبارك بعث مؤلفه بنسخة منه إليّ بمكتوب يستدعي فيه أن أصنع عليه شرحا فأجبته إلى ذلك طالبًا لرضائه ودعائه الصّالح [حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 1539]. وينسبها [حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 1349] للشيخ سراج الدين علي بن عثمان الأوشي الفرغاني الحنفي المتوفّى سنة 575هـ/ 1179م.

■ المصادر والمراجع

● حاجي خليفة، كشف الظنون، استانبول، 1941؛ ● البغدادي، اسماعيل باشا، هدية العارفين، استانبول، سنة 1951، المجلد 1، ص 136؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج 1، ص153؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، ج 1، ص286؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الترجمة العربية بإشراف محمد فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، 1995، القسم السابع، ص 482 ـ 483؛ ● ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 3، 1967؛ ● سركيس، معجم المطبوعات العربية، القاهرة، 1928؛ ● السخاوي، الضوء اللامع، ج 1، ص 358؛ ● التنبكتي، نيل الابتهاج، 82 ـ 83؛ ● الحفناوي، تعريف الخلف

د. مقداد عرفة
الجامعة التونسية

■ الجزائري، الأمير عبد القادر بن محيي الدين

(1275هـ/1858م ـ 1301هـ/1883م) ■ ■ ■

ترجمة الأمير عبد القادر متوفرة بأقلام كثيرة ولغات عديدة، مع وجهات نظر مختلفة وقد كنا من بين من ترجموا له وعربنا بعض الكتب الصادرة عنه وسنحاول هنا ضغط مجال حياته في بعض صفحات وهو أمر ليس باليسير.

ظهر الأمير عبد القادر في مرحلة يمكن تسميتها بالانتقالية، فهي انتقالية بالنسبة لبلاده (الجزائر) التي شهدت ضعف السلطة العثمانية المركزية وتعاظم نشاط الطرق الصوفية (تجانية، درقاوية، قادرية، شاذلية، رحمانية. . .) لملء الفراغ الذي تخلت عنه

السلطة نتيجة انحسار دور الجزائر البحري وتضاؤل المداخيل المنجرة منه.

كما واجهت الجزائر ضغوطا كبيرة من الدول الأوروبية المنتصرة على نابليون، لوقف ما أسموه بالقرصنة، ومن جهة أخرى كانت الدولة العثمانية عاجزة عن حماية «إيالتها» الغربية، كما كانت عاجزة عن تغيير قادتها الذين أعلنوا استقلالهم عن الباب العالي. وحين توجه الشاب عبد القادر للحج مع والده محيي الدين وجد الشرق الإسلامي يمر أيضا بتطورات جديدة، سواء في مصر على عهد محمد علي بتأثير الحملة الفرنسية هناك وتحديث الدولة بمساعدات فرنسية، أو في الحجاز بتأثير الحركة الوهابية التي وإن كانت قد فشلت كقوة عسكرية سياسية للتغيير، فإنها تركت بصماتها العقدية على المنطقة. أما من الجانب الفرنسي فقد كان هناك تحفز للقيام بحملة جديدة خارج أوروبا، ولتكن هذه المرة ضد الجزائر وليس ضد مصر، فمؤتمر فيينا (1815) وعودة المحافظين بزعامة شارل العاشر إلى حكم فرنسا لم يترك سوى اختيار المكان والزمان لاقتناص الضحية، ذلك أن فرنسا قد تلقت التشجيع من الفاتيكان ومن دعاة الحرب الذين خسروا معركة «واترلو» في نهاية المطاف. وهكذا كان الجو مهيئا والمسرح جاهزا لمغامرة فرنسية جديدة ضد جزء هام من العالم الإسلامي، وظهور فارس غير منتظر قادر على تحدي قادة المغامرة. فكان ذلك الفارس هو عبد القادر بن محيي الدين.

كانت قرية القيطنة، حيث ولد الأمير، هادئة وديعة ترقد في سفوح وادي الحمام الخضراء بعيدة عن الحروب التي جرت حديثا في معسكر وهران بين السلطة العثمانية وبعض الطرق الصوفية كالتجانية والدرقاوية، وكانت عائلة «المختاري» تتوارث زعامة الطريقة القادرية في المنطقة، فإلى زاويتها يحج المريدون بصفة دائمة ومعهم الهدايا أو حق الزيارة لشيخ الطريقة، لالتماس البركة منه أو حضور حلقة الذكر أو قراءة القرآن أو طلب الصلح، وفي كل عام تقريبا كانت «الصرة» تخرج من القيطنة محمولة من ركب الحج المتجه إلى الحجاز ثم إلى بغداد حيث ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني، وحيث كان أحفاده يتلقون الزيارات السنوية ويقدمون بركات الشيخ وأوراده ونصائحه لخلفائه من شتى أنحاء العالم الإسلامي، ومنه خليفته في الجزائر.

وفي العهد الذي نتحدث عنه شارك في حمل الصرة إلى بغداد الشيخ مصطفى المختار (جد الأمير) الذي أدركته الوفاة في ليبيا أثناء عودته من الحج والزيارة. وكان محيي الدين (والد الأمير) هو الذي قام بالمهمة نفسها سنة 1827 واختار من أبنائه الأربعة أوسطهم (عبد القادر) ليكون رفيقا له في حجته وزيارته.

وكان في القيطنة بالإضافة إلى ما ذكرنا، مسجد للصلوات وحلقات الدرس، وبيوت للغرباء، وكانت لزاويتها أوقاف حبسها عليها أهل الخير والإحسان. وكان هذا المجمع الديني والروحي يضم أيضا مكتبة غنية بشتى أنواع الكتب في تخصصات مختلفة. وفي هذا المكان الذي تظلله الروحانية والقداسة ولد عبد القادر سنة 1808، ونشأ نشأة تكيفها الطبيعة الخلابة والأجواء الدينية المنعشة في

كفالة والده الذي سهر على تربيته وتعليمه إلى أن بلغ مبلغ الرجال، فكان يهوى المطالعة والفروسية. وقد حج مع والده كما ذكرنا وتزوج بابنة عمه «خيرة». بينما كانت العلاقات الدولية تأخذ مجراها المتمثل في تحضير فرنسا لغزو الجزائر وصمت بريطانيا وبقية الدول على هذه الفعلة، لأنها تخرج فرنسا من الساحة الأوروبية وتدفع بجيشها المتحفز للمغامرة، إلى إفريقيا.

لم تكن حكومة الداي الجزائرية قادرة على رد الاعتداء الفرنسي الذي بدأ بالحصار البحري سنة 1827 إثر فشل المفاوضات بين الطرفين على دفع فرنسا مستحقات الديون للجزائر ورفض هذه الاعتذار عن الإهانة التي قيل إن قنصل فرنسا تلقاها من الداي. وهكذا كان على الداي أن يوقع معاهدة استسلام مخزية وأن يغادر الجزائر إلى غير رجعة تاركا العاصمة في قبضة قائد الحملة الفرنسية «الكونت دي بورمون». وبذلك انفرط عقد الدولة فاستولى الفرنسيون أولا على الإقليم القريب من العاصمة وهو إقليم التيطري، ثم تفاوضوا مع حاكم الإقليم الغربي (عاصمته وهران) لاستسلامه شخصيا وتسليم الإقليم لهم بدون قتال، بينما استقل حاكم الأقاليم الشرقي (عاصمته قسنطينة) وأعلن نفسه «باشا» أي حاكم الجزائر كلها بعد خلع الداي وخروجه من البلاد، وطلب الباشا الجديد من السلطان العثماني «محمود الثاني» الاعتراف به ممثلا لسيادة الدولة العثمانية في الجزائر. ومن جهتها أحست القوى المحلية من قبائل وعائلات كبيرة وأعيان وطرق صوفية، أنها في حل من أمرها وغير ملزمة بالولاء لأية جهة تفرض عليها الضرائب، ولكنها جميعا كانت مستعدة «للجهاد» دفاعا عن الأرض والإسلام.

كانت الثقة في العثمانيين قد تزعزعت في الإقليم الغربي، ربما لأن قادتهم قد تخلوا عن واجباتهم الشرعية وعجز سلطانهم عن تقديم المساعدات لهم في ساعة العسر، فاتجه قادة الرأي في الإقليم إلى مخاطبة سلطان المغرب لمبايعته على أن يبسط حمايته عليهم ويدفع عنهم غائلة الاحتلال الأجنبي. وقد قام محيي الدين، باعتباره أبرز الأعيان ومحل ثقة الناس، بدور كبير في هذا الشأن، ولكن مساعيه فشلت لعدة أسباب منها التهديد الفرنسي للمغرب إذا تدخل. ولذلك ألح الناس على الشيخ محيي الدين ليقبل البيعة منهم والولاية عليهم بكل ما يلزم ذلك من واجبات شرعية كحفظ النظام وتوفير الأمن والقيام بالجهاد. ولكن محيي الدين اعتذر بكبر سنه وبكونه زعيما روحيا لا زمنيا، ورشح ابنه عبد القادر لهذا الأمر الخطير الذي يعلم استعداد ابنه الفطري للقيام به دون إخوته. وهكذا بايع أهل معسكر عبد القادر «سلطانا» عليهم، ودخلوا تحت طاعته، ثم تتابعت الوفود للمبايعة من مختلف الجهات ولقبوه بلقب «الحاج» تارة ولقب «السلطان» تارة أخرى، ولم يلقبوه بالأمير.

اتخذت عملية المدافعة ضد الفرنسيين أسماء عديدة، فهي حرب ضد أجنبي غاصب، وهي جهاد في سبيل الله، وهي مقاومة مسلحة تعبر عن رفض الاستسلام للقوة مهما كانت عاتية. وقد استغرقت هذه المقاومة سنوات عديدة وأصبحت رمزا في تاريخ الجزائر لكل أشكال

المقاومة (ثورات، انتفاضات...) الأخرى لأنها تأسست على رفض الاستسلام وعلى حق الدفاع عن النفس والقيم الحضارية والحرية في وطن مستقل. كما كانت مقاومة الأمير عبد القادر رمزا للمقاومات الأخرى في البلدان المجاورة وحتى النائية للأسباب نفسها.

كانت تلك هي خطة الأمير، فقد ورث أقاليم متباعدة وشاسعة، وشعبا لا يربطه ببعضه إلا عقيدة الدفاع عن الإسلام بكل تعاليمه وقيمه وثقافته، لذلك جعل الأمير الأولوية للجهاد لإشباع حماس المواطنين وتجنيدهم إلى جانبه ضد الفرنسيين، فكان عليه أن يجمع شتات القبائل المتنافرة، وأن يجري الصلح بين المتخاصمين، وأن يخضع الذين يرفضون طاعته سواء كانوا من أهل الدين كالطرق الصوفية، أو من أهل الدنيا كرؤساء العشائر وكبار العائلات المتنفذة وبقايا الإدارة العثمانية. وهكذا استطاع أن يطمح إلى تكوين دولة حديثة تضاهي دولة محمد علي في مصر أو على الأقل دولة سلطان المغرب. ومن أجل هذا الهدف وقع مع الفرنسيين معاهدتين: تعرف باسم الجنرال الفرنسي الذي وقعها، وهي معاهدة ديميشال، سنة 1834، والثانية تعرف باسم المكان الذي عقدت فيه، وهي معاهدة التجارة، سنة 1837، وفي كلتا المعاهدتين جرى الاعتراف بالسيادة والحدود، وحرية التجارة، وتبادل الأسرى والقناصل. وقد فهم الأمير من مواد المعاهدة الثانية على الخصوص أنها تفتح أمامه المجال لحكم الجزائر كلها ما عدا بعض المدن الساحلية، بما من ذلك الإقليم الشرقي الذي كان يسيطر عليه الحاج أحمد باشا، كما امتد بصر الأمير إلى منطقة القبائل وإلى مناطق الجنوب والصحراء.

بلغ الأمير أوج سلطانه بين 1837 ـ 1839، وهي فترة السلم مع الفرنسيين. لذلك سارع بوضع أسس الدولة المنشودة بإقامة النظام الإداري والقضائي والعسكري والتعليمي والاقتصادي والدبلوماسي، فقسم البلاد إلى وحدات إدارية جعل على كل منها «خليفة»، ونصب القضاة في مختلف الولايات، وجعل التعليم من أولوياته، واستعان بالأجانب على إقامة مصانع السلاح وتحديث الجيش، وأقام العدل بنفسه في عاصمته وأناب عنه فيه خلفاءه في الولايات، واهتم بالزراعة والتجارة، وأنشأ جيشا نظاميا سماه الجيش المحمدي، إلى جانب جيش احتياطي كبير، وصنف الجيش ووسمه ورتب له رواتب ثابتة. وفي المجال الدبلوماسي فتح المفاوضات مع الدول الأخرى كبريطانيا وأمريكا وإسبانيا. وفي وقت لاحق راسل السلطان العثماني أيضا لأنه كان يعرف أن السلم مع الفرنسيين لن يدوم طويلا فكان يتهيأ بسرعة لتوفير حاجاته اقتصاديا وعسكريا وتحصين نفسه سياسيا ودبلوماسيا.

ثم حدث ما كان يتوقعه. ذلك أن الفرنسيين لم يمهلوه. فقد قرأ أفكاره كل من المارشال «فاليه» 1837 ـ 1841 والمارشال «بوجو» 1841 ـ 1847 وغيرهما، وتأكدوا أنهم إذا تركوه فترة أطول في حالة سلام فسيتمكن من الاستقواء عليهم وغلبتهم، كما أنهم لم يعودوا في حاجة إلى المعاهدات معه بعد احتلالهم قسنطينة وإخراجهم الحاج أحمد

منها، ومهاجمتهم بلاد القبائل، وأخذهم الضوء الأخضر من حكومتهم للقضاء على المقاومة، وعجز الدولة العثمانية حتى منع باي تونس من التعاون مع الفرنسيين ضد الأمير. ومن جهة أخرى هدد هؤلاء سلطان المغرب إذا حمى الأمير داخل حدوده أو تدخل في شؤون الجزائر. وبعد حرب ضروس مع الأمير احتل الفرنسيون عاصمته ومدنه وحصونه، فاستعمل الزمالة أو الخيام المتنقلة حيث تجمع أهله ونساء أعوانه وقواده وخزانته ومكتبته ومؤونته وسار بها بعيدا عن أنظار الفرنسيين، في حين كانت مهاجمة هؤلاء للزمالة لا تنقطع. وقد دام هذا الوضع قرابة أربع سنوات، أي إلى سنة 1843 حين استولى الفرنسيون على الزمالة نفسها، فلم يبق مع الأمير غير عائلته وبعض أصحابه المخلصين، وكان هؤلاء لا يجدون الملجأ إلا داخل الحدود المغربية. وأمام هذا الوضع اليائس شاور الأمير أصحابه في الأمر فاختاروا مفاوضة الفرنسيين على الارتحال إلى الحجاز أو الشام.

ورغم أن الفرنسيين قد أعطوا الأمير كلمتهم بالموافقة على لسان الحاكم العام ـ وهو الدوق دومال، ابن ملكهم لويس فيليب ـ فإنهم نقلوا الأمير إلى فرنسا حيث سجنوه خمس سنوات قبل أن يسمح له نابليون الثالث بالانتقال إلى المشرق، دون السماح له برؤية وطنه من جديد.

وقبل الحديث عن الأمير في المشرق دعنا نذكر بعض الملاحظات عن دوره في الجزائر. فقد انحدر الأمير من أسرة حسنية شريفة ترجع إلى أحد أبناء الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب. وبهذه العلاقة كانت الأسرة، وابنها الأمير، تتمتع بين الناس باحترام خاص. وأضيف إلى النسب أن هذه الأسرة كانت قادرية النزعة الصوفية مما جعلها موضع ثقة الناس في المنطقة، ولا سيما في عهد الشيخ محيي الدين، وكان ظهور الأمير بالصفتين (الشريف والتصوف) في وقت انحلت فيه عرى الدولة وتفككت فيه الصلة بين القبائل قد أكسبه احتراما لم يحظ به حاكم من قبل في المنطقة. ورغم أن الأمير كان من أهل الريف، وهو العمق الأكبر للجزائر، فإن أهل المدن، كالعاصمة، وتلمسان، والمدية، وقسنطينة، ومستغانم، سرعان ما رأوا فيه المخلص لهم من الحكم الأجنبي فانضووا تحت لوائه أيضا. وقد بذل جهدا كبيرا في توحيد البلاد، متغلبا على النزعات القبلية والطرقية والعائلية، وغير أسلوب الحكم فاعتمد على العلماء ورجال الدين بدل رجال السيف وقبائل المخزن، وقطع الصلة بالسلطان العثماني في أول الأمر وربطها بالسلطان المغربي، وأعطى للدولة مفهوما سلفيا وحديثا في نفس الوقت، فمن جهة الشرعية واتخاذ قرار الحرب والسلم اعتمد طريقة الخلفاء الراشدين، ومن جهة بناء الهياكل وإقامة المؤسسات اعتمد النظام الغربي سيما تحديث الصناعة والجيش.

ويعتبر الأمير من جهة أخرى باعث الهوية الوطنية والقومية وداعية الجامعة الإسلامية قبل ظهور أهل هذه الأفكار بعدة عقود، فهو سابق لزمانه في هذا المضمار بالدعوة إلى توحيد الشعب باسم الجهاد واستثارة مشاعره ضد المحتل الأجنبي، وقد اعتمد في ذلك على

شعارات: الأرض، والوطن، والشرف، والتاريخ، والإسلام، واللغة العربية، فكان فارسا وشاعرا متمتعا بحماسة الأديب المحارب من أجل قضية وطنه ومن أجل الأمة التي ينتمي إليها باللغة والدين والتاريخ والثقافة والقيم. أما دعوته إلى الجامعة الإسلامية فقد ظهرت في خطابه الديني إلى وحدة جميع المسلمين ضد التغلغل الأجنبي. وعندما دعاه الداعي إلى وضع السلاح، نهاية سنة 1847، شعر بأن القدر قد أخذ منه راية الجهاد التي استلمها سنة 1832 فقد تحالف عليه أصدقاؤه مع أعدائه، وضاقت به الأرض فأصبح مطاردا، فطلب الرحيل إلى بلد إسلامي. ولعله كان يفكر في العودة إلى المقاومة حين تسمح له بها الظروف.

أثناء سجنه في فرنسا كان الأمير يقضي وقته في العبادة والتأليف وتعليم أولاده والعناية بأسرته ولاسيما والدته. وقد حاول الفرنسيون على نسيان وعدهم له، وأغروه بشتى أنواع الإغراء فلم يلن لهم. كان ذلك في عهد الجمهورية الثانية التي رفعت شعار الليبرالية والاستعمار. ولا شك أن الأمير كان يتابع أحداث الجزائر عن بُعد إذ تواصلت المقاومة بعده بأشكال عديدة، ومنها بالإضافة إلى الثورات المسلحة، الهجرة إلى المشرق. وكان في السجن يستقبل الزوار من مختلف الجنسيات والطبقات والميول، بينهم الجزائريون الأوفياء له، والفرنسيون الذين حاربوه، ورجال الدين الفضوليون والمستعربون، والسياسيون والصحافيون، ومنهم الإنكليز، وغيرهم. وقد تولى لويس نابليون رئاسة الجمهورية ثم انقلب عليها وحولها إلى إمبراطورية، وجعل من اهتماماته الأولى - كما قال - إطلاق سراح الأمير إظهارا لشهامة الأسرة النابليونية، حسب دعواه. وبعد ترتيبات وزيارات ووعود متبادلة، سافر الأمير إلى اسطنبول نهاية 1852، وقابل السلطان عبد الجميد، فرحب به وأعد له قصرا في بروسة، وهو دون رغبته في الإقامة ببلد عربي إسلامي، وبقي الأمير في بروسة على مضض إلى أن حل بها زلزال سنة 1855 فاغتنمه وطلب السماح له بالإقامة في دمشق التي انتقل إليها بأهله عبر لبنان.

وفي هذه العاصمة الأموية التي تزخر بالتاريخ والحضارة والنشاط التجاري أقام الأمير بقية حياته، ولم يخرج من دمشق إلا زائرا أو حاجا. وأصبح معروفا هناك بألقاب فخمة كالحسني، والمجاهد، والجزائري، وهذا اللقب هو الذي استقرت عليه الأسرة كلها إذ أصبحت تعرف بأسرة الجزائري. وتوارد عليه أعيان الشام وعلماؤه وقد أصبح مطمح الأنفس ومحط الأنظار. اشترى الأراضي وبنى القصور واستقبل الضيوف وتولى التدريس بالجامع الأموي وغيره، وأقام المجالس العلمية والصوفية، وألف الكتب وكتب الرسائل إلى عظماء العالم ورجال العلم، وأدى فريضة الحج مع المجاورة، وحضر افتتاح قناة السويس مع كبار العالم، وحمى آلاف الأرواح عندما نشبت بوادر حرب طائفية في الشام سنة 1860، فجاءته رسائل التمجيد والشكر من رؤساء العالم الغربي والجمعيات الخيرية والدينية فيه، ومن ضمنها الجمعية الماسونية، وغطت صدره الأوسمة. وتردد اسمه ليكون ملكا على

اليونان، ثم ملكا على العرب حين التقت رغبة القوميين العرب مع مصالح بعض الدول الكبرى لفصل الأقاليم العربية عن الدولة العثمانية. ولكن الأمير كان أكثر نضجا وتجربة وعمقا إسلاميا من أن يقع في ذلك الفخ الذي يراد منه إضعاف الخلافة، كما ورد اسمه من جديد في الجزائر على أنه وراء تحريض ابنه محيي الدين على الثورة ضد فرنسا سنة 1870. ولكنه تخلص من ذلك بلباقة ودبلوماسية.

توفي الأمير بدمشق في مايو، 1883، وترك عشرة أولاد إضافة إلى عدد من البنات. وقد اختلف مصيرهم فمنهم من سار على درب أبيه، مثل علي ومحيي الدين، ومنهم من اجتهد وسار في درب آخر. ومن أحفاده الذين ساروا على دربه: خالد بن الهاشمي، وعبد القادر بن علي.

آثاره

ترك الأمير ديوان شعر، معظمه في الفخر والحماسة والفروسية أيام شبابه ومقاومته في الجزائر. وأثناء سجنه بفرنسا ألف عملين في العقائد والفلسفة والدفاع عن تعاليم الإسلام وهما ذكرى العاقل، والمقراض الحاد.

وفي الشام نشط نزوعه الصوفي وأثرت عليه فلسفة ابن عربي الإشراقية فوضع كتاب المواقف الذي جمع فيه بين الفلسفة والتصوف وابتعد فيه عن عالم الواقع.

وله في التاريخ والاجتماع آراء وأجوبة تلقي الضوء على نمط تفكيره في أحوال المجتمع الإسلامي، منها الأجوبة التي أجاب بها الجنرال دوماس عن موقف الإسلام من المرأة، ومذكراته التي شاركه فيها صهره مصطفى بن التهامي، وإملاؤه على العقيد شارل هنري تشرشل البريطاني التي ضمنها كتابه «حياة الأمير عبد القادر» ثم إملاؤه ومراجعته لكتاب «تحفة الزائر» الذي ألفه ابنه محمد.

فإذا أضيف إلى ذلك مراسلات الأمير الكثيرة مع أعيان المشرق والغرب فإننا سنكون أمام ثروة هائلة من الآثار الأدبية، والدينية، والفلسفية، والتاريخية. فهو لم يكن رجل مقاومة ودولة فقط، ولكنه كان رجل فكر وسياسة أيضا.

المصادر والمراجع

أما مصادر حياة الأمير فكثيرة نكتفي منها بما يلي:

● الأمير محمد، تحفة الزائر؛ ● شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر؛ ● الاسكندر بيلمار، الحياة السياسية للأمير عبد القادر؛ ● بول أزان، عبد القادر؛ ● أديب حرب، التاريخ العسكري للأمير عبد القادر؛ ● كذلك مذكرات الأمير عبد القادر؛ ● ومجلة الثقافة الجزائرية (عدد خاص)، سنة 1983.

د. أبو القاسم سعد الله

جامعة الجزائر

الجزائري، عبد النبي بن سعد الدين بن محمد

(ت 1021هـ/1612م)

ولد الشيخ الجزائري في مدينة النجف الأشرف، وتلقى علومه الدينية فيها على علمائها وفقهائها، وروى عن بعضهم روايات مباشرة ومنهم: الشيخ فخر الدين الطريحي، والشيخ جابر بن عباس النجفي، والشيخ علي بن عبد العالي الكركي، والشيخ محمد قاسم بن محمد المشهدي، والسيد محمد العاملي.

ولما بلغ درجة الاجتهاد في الفقه أجيز من الشيخ علي الكركي، ومن الشيخ محمد قاسم المشهدي في رجب عام 999هـ، ومن السيد محمد العاملي في شعبان عام 1020هـ وبلغ الشيخ الجزائري مبلغا كبيرا في علمي الحديث والرجال، وأشارت المصادر إلى أنه كان عالما محققا جليلا، ومن أجلاء مجتهدي الأمامية في عصره، وقد تتلمذ عليه بعض طلاب الحوزة العلمية في مدينة النجف الأشرف، وقد بلغ بعضهم المقام الرفيع في الفقه والأصول منهم: السيد إسماعيل بن السيد علي الجزائري، والشيخ محمد بن جابر النجفي.

توفي الشيخ عبد النبي في مدينة النجف الأشرف يوم الخميس 8 جمادى الأولى 1021هـ.

آثاره

تشير قائمة مؤلفات الشيخ الجزائري إلى موقعه العلمي الكبير من الفقه والأصول، والحديث، والرجال، وعلم الكلام، وهي على النحو التالي:

أ ـ كتب الفقه والأصول:

1 ـ الاقتصاد في شرح الإرشاد للعلامة الحلي، وقد كتبه الشيخ الجزائري بالتماس من السيد علي شمس الدين بن شدقم المدني في المدينة المنورة؛ 2 ـ حاشية على كتاب «الإرشاد» للعلامة الحلي؛ 3 ـ حاشية على كتاب «المختصر النافع»؛ 4 ـ شرح كتاب «تهذيب الأصول» وقد سماه «نهاية التقريب»، وقد فرغ منه في 21 جمادى الأول عام 1010هـ، ويقع في مجلّدين.

ب ـ الحديث والرجال:

5 ـ حاوي المقال في معرفة الرجال، ويسمّى أيضًا حاوي الأقوال في معرفة الرجال، ويقع في أربعة أقسام وفق أصناف الحديث وهي: الصحيح، والحسن، والموثق، والضعيف؛ 6 ـ حواشي على كتاب «تهذيب الأحكام» للشيخ الطوسي؛ 7 ـ فوائد على سائر كتب الحديث والرجال.

ج ـ علم الكلام:

8 ـ الإمامة؛ 9 ـ المبسوط في الإمامة، فرغ منه في جمادى الأولى عام 1013هـ.

■ المصادر والمراجع

● الأمين، محسن العاملي، أعيان الشيعة، مطبعة الأنصاف، بيروت، ومطبعة الإتقان، دمشق؛ ● الحر العاملي، محمد بن الحسن، أمل الآمل، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأولى المحققة 1385هـ؛ ● الخوانساري، محمد باقر الموسوي، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، دار المعرفة، بيروت 1974م؛ ● الخياباني، محمد علي التبريزي المدرس، ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب، مطبعة سعدي؛ ● الطهراني، محمد محسن، آغابزرك، الذريعة، مطابع الغري والآداب، النجف ومجلس الشورى ودولتي طهران؛ ● المشيخة، مصنفي المقال في مصنفي علم الرجال، مطبعة جابخانة دولتي إيران، الطبعة الأولى 1378هـ/ 1959م؛ ● عماد، عبد السلام رؤوف، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، الدار العربية، بغداد، الطبعة الأولى 1983م؛ ● القمي، عباس محمد رضا، الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، جابخانة مركزي 1327هـ؛ ● المامقاني، عبد الله بن محمد حسن، تنقيح المقال في أحوال الرجال، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف 1350هـ؛ ● محبوبة، جعفر بن باقر، ماضي النجف وحاضرها، المطبعة العلمية والنعمان في النجف 1955 ـ 1957م؛ ● النوري، حسين الطبرسي، مستدرك الوسائل، المطبعة الإسلامية 1384هـ

د. حسن عيسى علي الحكيم
جامعة الكوفة ـ العراق

■ الجزائري القلعي، محمد بن أبي بكر

(ت حوالي 665هـ/1264م)

هو محمد بن أبي بكر منصور القلعي الجزائري. عالم رياضي أصله من قلعة بني حمّاد، قرب بجاية بالجزائر. كان بارعا في الرياضيات، وله علم بالفقه والفرائض، علما وعملا؛ وسبق الأوائل في علم الحساب.

يقول أبو العبّاس أحمد بن عبد الله الغبريني (ت 714هـ/ 1314م) في كتابه «عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية»: «لو لقيه الحصّار (ت حوالي 570هـ/ 1175م) وابن وهب (ت حوالي 601هـ/ 1204م) وغيرهما ما أمكنهم إلّا الأخذ والاستماع عنه؛ وكانت له طريق في الفرائض ملخّصة في نهاية القرب، ولم يكن ببجاية في وقته أحد يريد قراءة هذا العلم إلّا قرأه عليه؛ وكان يقصد من البلاد لقراءة هذا العلم عليه».

وكان عدلا من العدول المرضيين، وله مجلس يقرأ عليه «التّهذيب» لأبي سعيد البرادعي أحيانا، وكان عالما بأحكام الوثائق والشروط، موثق الوقت.

وكان له ظهور في مدّة ولاية ابن حجّاج القضاء ببجاية ووثيقته محكمة مطوّلة، لا يبني وثيقته إلّا على الأصول التي تترتّب الإفادة عليها.

■ المصادر والمراجع

● الغبريني، عنوان الدراية، الجزائر 1328هـ/ 1910م، ط 1، ص158؛ ● التنبكتي، نيل الابتهاج. ط. مصر 1351هـ، ص230؛ ● النويهي، نهاية الأرب، ص179؛

● D. Lamrabet. Introduction à L'histoire des Mathématiques Maghrèbines, Rabat, 1994, Nº 360 p. 75.

د. محمد سويسي
جامعة تونس

■ الجزائري، محمد بن الأمير عبد القادر

(1256هـ/1840م - 1331هـ/1913م)

هو محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري بن محيي الدين بن مصطفى بن المختار، من عائلة كانت تمثل الطريقة القادرية ناحية معسكر بالغرب الجزائري، وكانت على صلة دائمة بالمشرق عن طريق الحج وزيارة ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد. ولد محمد في بلدة القيطنة الواقعة قرب معسكر عام 1256هـ/ 1840م. وكان وادي الحمام يمر قرب القيطنة وتحيط به الجبال والروابي الخضراء ليسقي تربة خصبة تنجب الثمار من كل الأنواع. كان محمد أكبر أبناء والده. وأمه هي خيرة بنت عم الأمير عبد القادر. ولكن الطفل محمدًا عاش طفولة غير مستقرة إذ كان تاريخ ميلاده هو تاريخ استئناف الحرب بين والده والفرنسيين (استؤنفت الحرب سنة 1839) وحل الجنرال «بوجو» بالجزائر سنة 1841 ليطبق سياسة «الأرض المحروقة» المعروفة وهي السياسة التي أدت إلى هزيمة الأمير عبد القادر بعد حوالي ستة أعوام من الكفاح المرير.

عاش محمد ثماني سنوات من عمره في الجزائر وهي تخوض حربا غير متكافئة ضد الفرنسيين، كما عاش خمس سنوات أخرى وهو في حالة أسر مع أبويه وأقاربه في سجون فرنسا. وبعد إطلاق سراح والده توجه معه إلى المشرق حيث قضى معه أكثر من سنتين في مدينة بروسة التي منيت بزلزال كبير سنة 1855. وقد اغتنم والده هذه المناسبة فطلب من السلطان العثماني أن يسمح له بالإقامة في دمشق، فوافق وكان محمد من بين النازلين معه بدمشق. وفي هذه المدينة العربية العريقة

استقر به المقام، وقد بلغ سن المراهقة، فأخذ يستكمل تعليمه الذي بدأه على يد والده وبعض أقاربه في سجن امبواز (فرنسا). ولكن محمدًا لم يتلق في النهاية تعليما منتظما كما لم يعش حياة هادئة قبل دمشق.

فقد تلقى علم التوحيد والحديث والنحو على يد والده، كما أخذ عن الشيخ مصطفى بن التهامي الذي يمكن أن نسميه معلم أبناء الأسرة القادرية الأسيرة. وكان ابن التهامي من الأدباء والسياسيين والعلماء، فقد تولى منصب خليفة للأمير عبد القادر على العاصمة معسكر، وفاوض باسمه بعض زعماء البلاد (مثل محمد التجاني)، وخاض معه الحرب ضد الفرنسيين قبل أن يصبح معلم الأولاد. وكان ابن التهامي قبل كل شيء صهرا للأمير. وفي دمشق عوض محمد من الكتب والمعلمين والمدارس ما افتقده في الجزائر وفرنسا وبروسة، فقد تلقى دروسا بالجامع الأموي وغيره من المؤسسات العلمية على يد مهاجرين جزائريين وشيوخ سوريين أصبحوا من المقربين لوالده، وكانت دمشق (والشام عموما) تشهد في عقد الخمسينات والستينات عهدا من الانفتاح الحذر نتيجة الحكم المصري بين 1830 ـ 1840، فتأثر محمد بظهور الصحف والأفكار والتنافس الطائفي في المدارس وغيرها. ثم لم يلبث أن شهد حركة الجامعة الإسلامية بزعامة جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ابتداء من السبعينات، وقد التقى عدة مرات بالشيخ محمد عبده حين جاء بيروت منفيا بعد ثورة أحمد عرابي باشا وتراسل معه. وفي السبعينات أيضا ظهرت في الشام حركة تدعو إلى ولاية الأمير عبد القادر ملكا على سورية، ومن زعمائها منح الصلح، ويوسف كرم، ثم تطورت هذه الحركة مع غيرها لتصبح حركة قومية عربية شاملة.

كان محمد موضع سِرّ والده فقد كان ملازما له في معظم تحركاته. رافقه يوم لقاء والده بنابليون الثالث بباريس ويوم استقبله السلطان عبد المجيد في إسطانبول، ثم عاود السفر معه إلى فرنسا، كما رافقه في زيارته لمصر، وحين قصد الأمير أداء فريضة الحج كان يراسل ابنه محمدًا بأخبار رحلته في الحجاز، وبيروت، والإسكندرية، والسويس، والقاهرة، وجدة، ومكة. وكان محمد يحضر مجالس والده مع أعيان دمشق والزائرين الأوروبيين، وأخبر عن نفسه أنه كان يحذو حذو والده، وقد زار فرنسا وحده سنة 1866 لسبب لا نعرفه، ولكنه ذكر أنه ذهب إلى مدينة بوردو واستعاد فيها ذكريات أسره. وزار المكان الذي نزل فيه والده. ورغم ذلك فليس هناك ما يدل على أن محمدًا كان يحسن الفرنسية، بل بالعكس من ذلك فإنه عند تأليف كتابه «تحفة الزائر» اعتمد على المترجمات لمعرفة آراء الفرنسيين فيما كتبوه عن والده وعن حربهم في الجزائر.

مال محمد إلى الأدب والتاريخ. فكانت له منهما ثقافة واسعة، وله أسلوب أدبي رشيق. كما اهتم بالقضايا السياسية والدينية والاجتماعية المعاصرة مثل المرأة في الإسلام والأسرة. ويبدو أنه كان يميل أيضا إلى فكرة الجامعة الإسلامية بمفهوم السلطان عبد الحميد الثاني، ولكنه لم يكن نشيطا فيها. وكان ولاؤه للدولة العثمانية واضحا، إذ دعا

إلى سلاطينها بالنصر، وكان على صلة بوالي الشام العثماني. وقد كوفئ على ذلك، إذ منحته الدولة وسام السلطنة وراتبا ثابتا منذ انتخابه كبيرا وممثلا للأسرة القادرية. كما حصل على رتبة باشا، وأصبح ضابطا في الجيش العثماني، وربما كانت هذه التسمية الأخيرة شرفية فقط.

ولا نعرف أن محمدا قد زار الجزائر، مسقط رأسه ومقر أسرته، ولعله حاول ولكن الفرنسيين لم يسمحوا له لأن اسم الأمير عبد القادر كان يخيفهم حتى أنهم حين سمحوا بذلك للأمير علي (وهو أخو محمد) سنة 1911 أحاطوا زيارته بالكتمان ولم تستغرق الزيارة سوى بضع ساعات. ومع ذلك فإن كتابته عن الفرنسيين تتسم بالحياد إلى حد كبير، سيما في غير أوقات الحرب معهم. كما أنه لم يتخذ موقفا متحمسا من الوطنية الجزائرية رغم أنه عاش فترة ظهور الحركات الوطنية في العالم وفي المشرق على وجه الخصوص، ولكن عاطفة الشوق والحنين إلى وطنه كانت مشبوبة وقوية. وقد أنجب محمد ابنا سماه زين العابدين الذي أنجب بدوره أحمد المختار، وهذا هو والد السيدة أمل الجزائري التي التقينا بها في مدينة الجزائر بتاريخ 25 مايو 1983.

آثاره

1 ـ تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، وقد طبع مرتين، الأولى في حياة المؤلف سنة 1903. وقد خصصنا لهذا الكتاب دراسة بعد أن عثرنا على أصله المخطوط [انظر: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، ط 3]. 2 ـ ذكرى ذوي الفضل في مطابقة أركان الإسلام للعقل. وقد طبع بالقاهرة وعنوانه يذكرنا بكتاب والده «ذكرى العاقل وتنبيه الغافل»؛ 3 ـ كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب، مطبوع بالقاهرة أيضا؛ 4 ـ الفروق والترياق في تعدد الزوجات والطلاق، والكتابان الأخيران صغيرا الحجم وقد تناول فيهما قضايا المرأة المسلمة التي كانت محل نقاش بين مفكري النهضة الإسلامية في آخر القرن التاسع عشر الميلادي. وكان والده قد تناول عددا من تلك القضايا أيضا حين سأله أحد الفرنسيين (وهو يوجين دوماس) رأيه فيها؛ 5 ـ عقد الجياد في الصافنات الجياد، ط 2، سنة 1963 على نفقه الشيخ أحمد بن الشيخ علي آل ثاني؛ 6 ـ نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد. وهو مختصر عن الأول وقد طبع مرتين الأولى في بيروت سنة 1293هـ، والثانية سنة 1326هـ في حياة المؤلف، وهو في أوصاف الخيل وتاريخها وأدابها؛ 7 ـ نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، ط. القاهرة، وهو ديوان شعر والده جمع فيه ما عثر عليه منه، وهو في حجم صغير؛ 8 ـ تأليف في السيرة النبوية.

المصادر والمراجع

هناك مراجع عديدة تناولت حياة محمد بن الأمير عبد القادر، منها:

• الزركلي، الأعلام؛ • بروكلمان، الذيل، 2/ 887؛ • سركيس، معجم المطبوعات، ص 694؛ • محمد السنوسي، الرحلة الحجازية • السعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب

الإسلامي، ص 603 ـ 607؛ ● تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبي بكر سعد الله؛ ● الأميرة بديعة الحسني، أصحاب الميمنة؛ ● كحالة، معجم المؤلفين؛ ● نويهض، معجم أعلام الجزائر؛ ● باردان، الجزائريون والتونسيون في الدولة العثمانية (بالفرنسية)؛ ● معجم مشاهير المغاربة

د. أبو القاسم سعد الله
جامعة منيسوتا ـ الولايات المتحدة الأمريكية

ابن الجزار، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد

(حوالي 285هـ/898م ـ 369هـ/979 ـ 980م)

هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد أحمد بن الجزار، ولد حوالي سنة 285هـ/ 898م بالقيروان في عائلة طيبة مشهورة بالعلم وخاصة بالطبّ، فهو طبيب ابن طبيب، وعمّه أبو بكر طبيب [انظر ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص 88؛ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء 2/ 38]. فقد كان والده إبراهيم بن أحمد (ت 312هـ/ 924م) طبيبًا كحّالا كما كان ذا ثقافة دينية سنّية متينة، وكان عمّه أبو بكر محمد بن أحمد (ت بعد 322هـ/ 933م) عالمًا بالطبّ حسن النظر فيه، وقد نسب إليه أحمد بن الجزار في كتبه تركيب أدوية وأشربة ومعاجين وترياقات وجوارشنات كثيرة.

لا نعرف عن نشأة أحمد بن الجزار العلمية شيئًا ذا بال، والمرجّح أنّه قد بدأ يتعلّم ما يتعلّمه أبناء عصره من علوم شرعية وخاصة الفقه المالكي الذي كان المذهب الغالب على علماء القيروان. لكن صلة ابن الجزار بالطبّ كانت أمتن، ونعرف عن شيوخه الذين أخذ عنهم الطبّ ثلاثة، هم والده إبراهيم وعمّه محمد ثم الطبيب الفيلسوف إسحاق بن سليمان (ت بعد 341هـ/ 953م). على أن تأثره ـ وإن كان غير مباشر ـ كان عميقًا أيضًا بطبيب إفريقية وفيلسوفها الأوّل إسحاق بن عمران (ت 279هـ/ 892م).

قضى ابن الجزار فيما يبدو حياته كلها بإفريقية. وقد همّ بالرحلة إلى الأندلس لكنه لم يقم بها؛ ثم إنه لم يغادر إفريقية مع من غادرها مع المعز الفاطمي إلى مصر سنة 362هـ/ 975م. وبإفريقية كانت وفاته سنة 369هـ/ 979 ـ 980م وقد كان محمود السّيرة حسن المذهب. فإنه «لم تحفظ عليه في القيروان زلّة قط» [ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص 89]، وكان عزيز النفس أبيّها وخاصة في صلاته بأصحاب السلطة الفاطميين الذين كان يرفض أن تكون لهم عليه نعمة [طبقات الأطباء، ص 89] ؛ كما كان رؤوفًا بالفقراء وضعفاء الحال، وقد كان له عليهم معروف كثير وأدوية يوزعها عليهم [ياقوت، معجم الأدباء، 2/ 137].

وكان أهم شواغله العلمية بالقيروان ثلاثة، هي:

1 - التدريس، وقد اشتغل بتدريس الطب، لكننا لم نعرف من تلاميذه إلا واحدًا هو الطبيب الأندلسي أبو حفص عمر بن بريق الذي أتى القيروان حوالي سنة 350هـ/961م، ولازم ابن الجزار ستة أشهر، وهو الذي حمل كتاب ابن الجزار «زاد المسافر وقوت الحاضر» إلى الأندلس وأذاع أمره فيها.

2 - الاشتغال بالطب والصيدلة، فقد كان طبيبًا وصيدلانيًا ممارسًا. وكانت له في منزله عيادة يستقبل فيها المرضى ويعالجهم، وكان حسن الطبّ والعلاج فكان لذلك مقصودًا. وكان قد أقام في منزله أيضًا صيدلية وضع فيها معاونًا له اسمه «رشيق» وكان يعدّ له بنفسه الأدوية المركبة والأشربة ويوجّه إليه المرضى ووصفات الدواء بعد فحصهم.

3 - التأليف، كان ابن الجزار ذا ثقافة موسوعية، وكان فيما يبدو ذا معرفة بالعلوم النقلية والعلوم العقلية، إلا أنّ هذه كانت عليه أغلب؛ فقد كان ذا معرفة بالتاريخ والجغرافيا، والفلسفة، واللغة، والطبيعيات، والطبّ، والصيدلة، وقد غلبت معرفته بالطبّ والصيدلة على ما عداها، وكان ذا اختصاصات في الطبّ متنوعة، فقد جمع بين طبّ الأطفال وطبّ المشايخ، وطبّ الفقراء، وأمراض المعدة، والجلد، والكُلى، والفم، ومجاري البول وآلات التناسل، وأمراض النساء، وأمراض الرأس، والجهاز العصبي، وأمراض الباطنية... الخ.

وشملت معارفه الصيدلية الأدوية المفردة، والأدوية المركبة وأبدال الأدوية، والسموم، ومنافع الحيوان، ومصالح الأغذية، وطبائع المعادن.

■ آثاره

قد ظهر أثر هذه الموسوعية في مؤلفات ابن الجزار. فقد ترك، حسب القائمة التي وضعناها لمؤلفاته [انظر، بحوث في تاريخ الطبّ والصيدلة، ص 185 - 199] ثلاثة وأربعين عنوانًا بين كتاب ورسالة، وهي تنقسم إلى ستة أصناف أهمها صنف المؤلفات الطبية والصيدلية التي وصلنا منها في نصوصها العربية أحد عشر كتابًا ورسالة، والأصناف الخمسة غير الطبية هي:

أ - التاريخ والطبقات والسير:

وله فيها أربعة كتب ضاعت جميعًا وبقيت منها نقول كثيرة في كتب التاريخ والطبقات وهي:

1 - غازي إفريقية؛ 2 - بار الدولة؛ 3 - التعريف بصحيح التاريخ؛ 4 - طبقات القضاة.

ب - الجغرافيا:

5 - عجائب البلدان.

ج - الأدب واللغة:

6 - المكلّل في الأدب؛ 7 - الفصول في سائر العلوم والبلاغات.

د - الفلسفة:

8 - رسالة في النفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها؛ 9 - رسالة في الاستهانة بالموت.

هـ - الطبيعيات:

10 - كتاب الأحجار.

وأما كتبه الطبية والصيدلية فعددها ثلاثة وثلاثون قد ضاع منها اثنان وعشرون كتابًا [قائمة مفصلة فيها في كتابنا بحوث، ص 197 ـ 198].

و ـ المخطوطات:

وأما الكتب الباقية فقد حُقق منها ستة، والكتب الخمسة التي لا تزال مخطوطة هي: 11 ـ في فنون الطيب والعطر؛ 12 ـ طبّ المشايخ وحفظ صحتهم؛ 13 ـ رسالة في البول؛ 14 ـ أبدال الأدوية؛ 15 ـ في الكُلى والمثاني.

ز ـ والكتب المحقّقة الستة هي:

16 ـ كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة: نشر فؤاد سزكين صورة عن مخطوطة الكتاب الجيدة المحفوظة بمكتبة أيا صوفيا (تركيا) رقم 3564 (فرنكفورت، 1985) وقد حققنا نص الكتاب عن خمس مخطوطات وجعلنا مخطوطة آيا صوفيا أصلا، ولم ننشر تحقيقنا بعد. ويرجع زمن تأليف الكتاب إلى مدة حكم الخليفة الفاطمي الثاني القائم بأمر الله (322هـ/ 933م ـ 334هـ/ 945م) الذي أهدي الكتاب إليه. وقد قسّمه ابن الجزار إلى أربع مقالات مشتملة على 278 دواء من النبات والمعادن، اتبع في تبويبها طريقة معقدة دالة على معرفة المؤلف العميقة بطبائع الأدوية وقواها، وهي ترتيبها بحسب درجات قواها وهي أربع: الأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة، وقد وضع المؤلف في كل مقالة الأدوية الموافقة لها في الدرجة. على أنه قد اقتصر في كتابه على ذكر قليل من كثير من الأدوية: «وقصدنا في كتابنا هذا الذي سميناه كتاب الاعتماد إلى ذكر الأدوية المفردة التي يضطرّ إلى علمها ومعرفتها جميع الأطبّاء، وقصدنا فيه إلى ذكر الأدوية المشهورة التي يسهل وجودها في كلّ البلدان»، على أن من أسباب الإقلال أيضًا أنّه كان قد ألّف في «الحيوان» وفي «مصالح الأغذية» وفي «السمائم» كتبًا مستقلة.

17 ـ زاد المسافر وقوت الحاضر: صدر بتونس في طبعة تامة عن بيت الحكمة سنة 1999، بتحقيق محمد سويسي، والراضي الجازي، وفاروق العسلي، وجمعة شيخة، ويرجع زمن تأليفه فيما نرى إلى السنوات الأولى من خلافة المعز لدين الله الفاطمي التي بدأت سنة 341هـ/ 950م فقد ألفه بعد كتاب الاعتماد، وتدلّ مقدمته على أن الخليفة الذي أهدى إليه هو المعزّ [بحوث في تاريخ الطبّ والصيدلة، ص 83 ـ 85]. والكتاب في سبع مقالات مقسمة بدورها إلى أبواب جملتها ستة وخمسون ومائة (156)، قد اشتملت على القول في الأمراض التي تعرض في الرأس (25 بابًا) والأمراض التي تعرض في الوجه (25 بابًا) والأمراض التي تصيب آلات التنفّس (16 بابًا) والأمراض التي تعرض في المعدة والأمعاء (20 بابًا) والأمراض التي تعرض في الكبد والكُلى (20 بابًا) فالأمراض التي تعرض في آلات التناسل (20 بابًا) والأمراض التي تعرض في داخل الجلد (30 بابًا).

18 ـ سياسة الصبيان وتدبيرهم: حققه محمد الحبيب الهيلية ونشر بتونس، الدار التونسية للنشر، 1968م، ثم ببيروت، دار الغرب الإسلامي، 1984م. وهو في طبّ الأطفال؛

19 ـ في المعدة وأمراضها ومداواتها: حققه سلمان قطاية ونشره ببغداد، دار الرشيد، 1980م؛ 20 ـ طبّ الفقراء والمساكين: حققه سلمان قطاية ونشره بباريس (بدون تاريخ)؛ 21 ـ الفروق بين الاشتباهات في العلل: نشره سلمان قطاية بعنوان «كتاب ما الفارق، أو الفروق، أو كلام في الفرق بين الأمراض»، معهد التراث العلمي العربي، حلب، 1978م، ونسبه دون حجّة أو دليل إلى أبي بكر الرازي، ثم نشرته رمزية محمد الأطرقجي بعنوان «الفروق بين الاشتباهات في العلل»، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، 1989م، ونسبته إلى ابن الجزار. وقد كنا منذ سنة 1984م نسبناه إلى ابن الجزار [بحوث في تاريخ الطبّ والصيدلة، ص 196، 211] ولم نر نسبته إلى الرازي صحيحة لأن مؤلفه ينقل عن الرازي، وقد أحال إليه في ثلاثة مواضع قد نقده في أحدها.

وأجلّ الكتب الأحد عشر المعروفة اثنان، هما: كتاب الاعتماد، وكتاب زاد المسافر، وهما دالان على منزع ابن الجزار الطبي الخاص في التأليف إذ لا أثر فيهما للفلسفة. وقد ترجم الكتابان إلى أكثر من لغة في القديم، فقد نقل كتاب الاعتماد إلى اللاتينية نقلين مختلفين، قام بأولهما قسطنطين الإفريقي في القرن الحادي عشر الميلادي لكنه انتحل الكتاب ونسبه إلى نفسه، وقام بالنقل الثاني اسطفن السرقسطي في القرن الثالث عشر الميلادي. وقد نشرت الترجمة الأولى ضمن أعمال قسطنطين (بال، 1936)، ونشر الترجمة الثانية لوثر فولغر (Luther Volgar) ببرلين سنة 1941. وللكتاب نقل إلى العبرية أيضًا. وأمّا زاد المسافر فقد نقله في القرن العاشر الميلادي إلى اليونانية عالم يدعى قسطنطين الرّجيني (Konstantinos Rheginos) ثم ترجم إلى اللاتينية مرتين: فقد ترجمه في القرن الحادي عشر قسطنطين الإفريقي وادّعاه لنفسه، ونشرت هذه الترجمة منسوبة إليه في طبعات كثيرة أولاها كانت سنة 1510 بمدينة ليون (Lyon) الفرنسية، ثم ترجمه في القرن الثالث عشر اسطفن السرقسطي، ولم تنشر ترجمته بعد؛ مع أنّ الكتاب قد ترجم مرتين إلى العبرية: الأولى في القرن الثاني عشر عن ترجمة قسطنطين اللاتينية والثانية في القرن الثالث عشر عن النص العربي [بحوث في تاريخ الطبّ والصيدلة ص 202 ـ 208]. وقد كان لكتاب زاد المسافر تأثير واسع عميق في ثقافة القرون الوسطى الطبية بأوروبا. فكان مرجعًا أساسيًا للطبيب في معالجاته، وللأستاذ في تدريسه، وللطالب في دراسته.

المصادر والمراجع

● ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تح. فؤاد سيد، القاهرة، 1955، ص 88 ـ 90 ؛ ● صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح. لويس شيخو، بيروت، 1912، ص 62، 2/ 136، 137؛ ● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح. أوغست ملر، القاهرة، 1299هـ/ 1882م، 2/ 37، 39 ؛ ● ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. ج.س. كولان وأ. ليفي

بروفنسال، بيروت، 1948، 1/ 237؛
● عبد الوهاب، حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، تونس، 1965 ـ 1972، 1/ 306 ـ 322؛ ● ابن مراد، إبراهيم، دراسات في المعجم العربي، بيروت، 1987، ص 27، 153؛ ● ابن مراد، إبراهيم، بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، بيروت 1991، ص 72 ـ 92، 179 ـ 226.
● L. Leclerc, Histoire de la médecine arabe, Paris, 1876, I/413-417.
● F. Sezgin. GAS, Vol III, Leiden, 1970, pp. 304-307؛

د. إبراهيم بن مراد
جامعة منوبة ـ تونس

■ جزرة، أبو عليّ صالح بن محمّد

(205هـ/820م ـ 293هـ/905م) ■ ■ ■

هو صالح بن محمد بن عمر بن حبيب بن حسّان بن المنذر بن عمّارٍ أبي الأشرس، الأسديُّ، مولى أسد بن خزيمة، كنيته: أبو عليّ ويلقّب بـ: جزرة.
قال الكتّاني سمعته يقول: أنا صالح بن محمد، وساق نسبه كما قدّمنا، وكذا ساقه الخطيب البغداديّ في تاريخ مدينة السلام. [شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 14، ص 25].
ولد المترجم له ببغداد سنة خمس ومائتين للهجرة (205هـ)، وفيها نشأ وشبّ على طلب العلم فسمع من أشهر محدّثيها، وعلى رأسهم سعيد بن سليمان بن سعدويه، وعليّ بن الجعد، وخالد بن خدّاش، وعبيد الله العيشي، وأبو نصر التمّار، ويحيى بن عبد الحميد الحبّاني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وهُدبة بن خالد، ومنجاب بن حارث، وعليّ بن المديني، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأخواه عثمان والقاسم، وخلق كثير. ثمّ ارتحل في طلب الحديث إلى الحرمين والشام، ومصر، والبصرة، وخراسان، وما وراء النهر، وأخذ بكلّ منها على طبقة مشائخه البغداديين حتّى أصبح حافظا عارفا، من أيمة الحديث وممن يُرجع إليهم في علم الآثار ومعرفة نقلة الأخبار، فجمع وصنّف وبرع في هذا الشأن. ثمّ ورد نيسابور سنة 253هـ فاستوطنها مدّةً التقى بالذهلي وسمع من محمد بن عبد الله بن فهرزاد ثمّ رجع إلى بغداد؛ وفي ربيع الآخر من سنة ستة وستين ومائتين 266هـ انتقل عن بغداد إلى بخارى فاستوطنها وحصل حديثه عند أهلها ومَلّكه أميرها بالإحترام والإحسان. [الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج 10، ص 439].

كان صاحب الترجمة يحدّث من حفظه دون أن يكون معه كتاب أو أصلٌ يروي منه، فأخذ عنه خلق كثير منهم: مسلم بن الحجّاج خارج الصحيح، وهو أكبر منه بقليل، وأحمد بن عليّ بن الجارود الأصبهاني، صاحب التصانيف، ومَنْ له رحلة وهمّة ومعرفة تامّة، وأبو النَّضْر محمد بن محمد الفقيه، وخلَف بن محمد الخيام، وأبو أحمد عليّ بن محمد الحبيبي، وبكر بن محمد بن حمدان الصيرفي، والهيثم بن كليب الشاشي، وأحمد بن سهر، ومحمد بن محمَّد بن صابر، وغيرهم كثير [السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 212].

قال الدارقطني: هو من وَلد حبيب بن أبي الأشرس، أقام ببخارى وحدّث عندهم وكان ثقة حافظا غازيا. وقال أبو عبد الله الحاكم في «تاريخه»: «صالح بن محمد أبو عليّ أحدُ أركان الحفظ، سمع سعيد بن سلمان الواسطي، وهو أقدم شيخ له، ثمّ سمّى له عليّا بن الجعد وجماعة قال: وهؤلاء من أتباع التابعين، أمّا رحلته فكانت إلى الدنيا بأسرها، فكتب من مصر إلى سمرقند».

وقال الحافظ أبو سعيد الإدريسي: صالح بن محمد ما أعلمُ في عصره بالعراق وخراسان في الحفظ مثلَه، دخل ما وراء النهر فحدّث مدّة من حفظه، وما أعلم أُخذ عليه ممّا حدّث خطأ، ورأيت أبا أحمد بن عليّ يفخّم أمره ويعظّمه.

وقال الخطيب البغدادي بعد أن ساق نسب صالح ـ كما أسلفنا ـ حدّث من حفظه دهرا طويلاً، ولم يكن استصحب معه كتابا، كان صدوقا ثبتا، ذا مزاح ودعابة، مشهورا بذلك.

وحدّث أحمد بن عبد الرحمٰن السيراجي قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد ببلخ يقول: سمعت أبا حفص محمد بن حامد بن إدريس البخاري يقول: سمعت صالح جزرة يقول: عبرتُ جيحونكم وما معي كتاب [البغدادي، تاريخ بغداد، ج 10، ص 441].

وبخصوص تلقيبه بـ «جزرة» قال أبو حامد بن الشرفي فيما رواه الحاكم عن أبي زكرياء العنبري: كان صالح بن محمد يقرأ على محمد بن يحيى النيسابوري أحد الحفاظ الأعيان كتابَه «الزُّهريات» الذي جمع فيه حديث ابن شهاب الزهري في مجلّدين، فلمّا بلغ حديث عائشة ﵂ أنّها كانت تسترقي من الخرْزة، قال صالح «الجزرة» فلقّب به، وقال أبو بكر البغدادي: هذا غلط، لأنّه لُقّب بجزرة في حداثته قبل أن يرتحل إلى محمد بن يحيى بزمان، فقد أخبرنا الملّيني أنّ ابن عديّ حدّثه، قال: سمعت محمد بن أحمد بن سعدان يقول: سمعت صالحَ بن محمد يقول: قدم علينا بعض الشيوخ من الشام وكان عنده حديثٌ عن حريز بن عثمان، فقرأت عليه: حدّثكم حريز بن عثمان الرحبي الحمصي قال: كان لأبي أمامة خرزة يرقي بها المريض، وقلت: جزرة بدل خرزة فلُقّبتُ «جزرة» [البغدادي، تاريخ بغداد، ج 10، ص 323].

وقال خلف بن محمد الخيّام: حدّثنا سهل بن شاذويه أنّه سمع الأمير خالدَ بنِ أحمد يسأل أبا عليّ صالح بن محمد: لمَ لقبت جزرة؟ فقال: قدم علينا عمر بن زرارة فحدّثنا بحديث عن عبد الله بن بشر أنّه كانت له خرزة للمريض فجئتُ وصحتُ بالشيخ: يا أبا حفص، يا أبا حفص

كيف حديثُ عبد الله بن بشر أنّه كانت له جزرة يداوي بها المرضى، فصاح المحدّثون المُجّان، وبقيَ عليّ حتّى الآن.

كان المترجم له صاحب دعابة، ولا يغضب إذا واجهه أحد بهذا اللقب، وكان يقول للبغداديين: كان ببخارى رجل حافظ وشاعر يلقّب بجَمَل، وكنت ذات يوم أمشي معه فاستقبلنا بعيرٌ عليه وَقْرُ جزر، وأراد صاحبي أن يُخجلني فقال: يا أبا علي ما هذا الذي على البعير؟ فقلت: أما تعرفه! قال: لا، قلت: هذا أنا عليك: جزرٌ على جملٍ.

وأخبر محمد بن يعقوب قال: أخبرنا محمد بن نُعيم قال: سمعت صالح بن محمد يقول: كنّا بمرو، وكان عبد الله بن أبان يمتحن كلّ من يجيئه من أصحاب الحديث، وكان هو غاليًا في التشيّع، فدخلت عليه فقال: من حفر زمزم؟ قلت: معاوية بن أبي سفيان، قال: فمن نقل ترابها؟ قلت: عمرو بن العاص؛ فصاح فيّ وزمجر ودخل منزله.

وقال ابن نعيم: سمعت أبا النَّضْر الفقيه يقول: كنا نقرأ على صالح جزرة وهو عليل، فتحرّك فبدت عورته، فأشار إليه بعض أهل المجلس بأن يجمع عليه ثيابه فقال: رأيته؟ لا ترمد عيناك أبدا. وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول لابن أبي زرعة: حفظ الله علينا أخانا صالحا لا يزال يُضحكنا شاهدا أو غائبا، كتب إليّ من مصر يذكر أنّ محمد بن يحيى الذهلي مات فجلس للحديث خلفا عنه رجل يعرف بمحمد بن يزيد محمش فحدّث أن النبي قال: يا عُمير ما فعل البعير؟ محرّفا للفظ «النُّغَيْر» وهو تصغيرٌ للنغير وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، جمعه: نغران

[ابن الجوزي، المنتظم، ج 6، ص 66].

حدّث محمد بن عليّ الصوري لفظا قال: حدّثني عبد الغنيّ بن سعيد الحافظ قال: سمعت حمزة بن محمد يقول: حدّثنا محمد بن محمد الباغندي قال: كنّا في مجلس عثمان بن أبي شيبة ومعنا صالح جزرة فقال رجل من أصحاب الحديث لصالح: من روى عن المغيرة بن شعبة حديث المسح على الخفّين؟ قال: فقال له صالح: رواه أبو سلمة بن عبد الرحمٰن، وعروة بن المغيرة بن شعبة، وذكر جماعة، قال: فقال له: ابقي عليك، فقد روى هذا عن المغيرة خلقٌ كثير نحو الأربعين، قال: فقال له صالح: يا هذا قد ذكرت لك جمهور الرواة عنه وفي ذلك كفاية؛ ولكن من روى عن المغيرة بن شعبة حديث: إن امرأتين اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرى بعمود، قال فَبَلَحَ الرجل (أعيا) ولم يأت بشيء، فقال له: يا أعمى القلب أليس الساعة قرئ على أبي الحسن عثمان بن أبي شيبة: عن غندر عن شعبة عن منصور عن إبراهيم عن عُبيد بن نُضَيْلة عن المغيرة بن شعبة.

قال الباغندي: ويضرب الدهر ضربه، وأجتمعُ أنا وصالح بمصر، فنحن في الجامع إذ أقبل ذلك الرجل فقعدنا معه ثمّ التفت إلى صالح جزرة وقال له: ما أسند أبان بن تغلب؟ فقال له صالح: ومَن أبان هذا حتّى يُهتمّ بحديثه، أو يجمع!، وأساء عليه الثناء في مذهبه، وسأل صالحٌ الرجلَ: ماذا أسند سعيد بن المسيب عن أبي هريرة؟ وما عند الزهري عنه؟ وما عند يحيى بن سعيد عنه؟ وما عند عليّ بن يزيد بن جدعان عنه؟ قال: فَبَلَحَ الرجلُ.

أخبر محمد بن عليّ المقرئ أنّ الوزير أبا الفضل البلعمي قال لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أنّه سمع كتاب المُزني من صالح جزرة، فصاح محمد بن إسحاق وقال: صالح لم يسمع هذا الكتاب من المزني قطّ فكيف قرأه عليكم وهو ركن من أركان الحديث لم يُتّهم!؟، فخجل أبو الفضل البلعمي من مقالته تلك وكتب إلى بخارى في ذلك، قال: فكتبوا إليه أنّهم سألوا صالحا: أعندك مختصر المزني؟ قال: نعم، فاستأذنوه في قراءته، فأذن لهم فقرؤوه عليه، فلمّا فرغوا من قراءته قالوا: أهو كما قرأناه عليك؟ قال: نعم، فسأله بعضهم: حدّثكم به المزني؟ قال: ولا حرفا، كنت أنا بمصر أتفرّغ إلى سماع هذا، إنما كان المزني يجالسنا ونجالسه، وسألتموني عندي الكتاب؟ قلت: نعم، وكان عندي منه نسخة، فاستأذنتموني في قراءة الكتاب فأذنت لكم، ولم تطالبوني بسماعي منه إلى الآن.

أخبر محمد بن عليّ المقرئ أنّ أبا الفضل بن إسحاق قال: كنت عند صالح جزرة ودخل عليه رجل من أهل الرستاق فأخذ يسأله عن المحدثين وهو يكتب جوابه فيهم، وقال له: يا أبا علي ما تقول في سفيان الثوري؟ فقال صالح: كذّاب، فكتب الرجل ذلك فتعجّبت وقلت: يا أبا علي هذا لا يحلّ لك، فإنّ الرجل يتوهّم أنّك قلته على الحقيقة فيحكيه عنك، فقال: ما أعجبك! من يسأل مثلي عن مثل سفيان الثوري يُفَكَّرُ فيه أيحكي أو لا يحكي!؟

وأخبر الحافظ الذهبي أنّ عصمة بن بجماك البخاري قال: سمعت صالح بن محمد بمصر يقول: كنت شارطتُ هشام بن عمّار على أن أقرأ عليه كلّ ليلة بانتخابي ورقة، فكنت آخذ الكاغَدَ الفرعوني، وأكتب مقرمطا، فإذا جاء الليل أقرأ عليه إلى أن يصلي العتمة، فإذا صلى العتمة يقعد وأقرأ عليه، فيقول: يا صالح ليس هذا ورقة، هذه شقة.

وأخبر البرقاني قال: بلغني أنّ صالح بن محمد سمع بعض الشيوخ يقول: إنّ السين والصاد يتعاقبان، فذهب إليه وسأل بعض تلاميذه عن كنيته، فقالوا: أبو صالح، فقال: يا أبا سالح أسلح الله حالك، هل يجوز أن تقرأ: نحن نقسّ عليك أحسن القسس؟، فقال له بعض التلاميذ: أتواجه الشيخ بهذا؟ فقال إنّه يكذب، إنّما تتعاقب السين والصاد في بعض المواضع وهو يذكرها على الإطلاق.

وجاء عن القاضي أبي العلاء محمد بن عليّ الطوسي قال: أخبرنا عبد الله بن موسى السلامي إجازة قال: قال لي أبو نوح سنان بن الأغرّ الأديب قال: قال لي أبو علي صالح بن جزرة: كان ببغداد شاعران، أحدهما صاحب حديث والآخر معتزلي، فاجتاز بيَ المعتزليّ يوما فقال لي متعجبا: يا بنيّ كم تكتب! يذهب بصرك ويحدودب ظهرك وتزدار قبرك! ثمّ أخذ كتابي وكتب عليه من «المجزوء الكامل»:

إنّ القراءة والثقا
فة والتشاغل بالعلوم
أصلُ المذلّة والإضا
قةِ والمهانة والهموم

قال ثمّ ذهب وجاء المحدّث فقرأ هذين البيتين فقال: كذب عدوّ نفسه، بل يرفع ذكرك وينتشر

علمك ويبقى اسمك مع اسم الرسول إلى يوم القيامة، ثمّ كتب هذين البيتين من مجزوء الكامل أيضا:

إنّ التشاغلَ بالدفا تر والكتابة والدراسة
أصل التقيّة والتزهّـ د والرياسة والسياسة

وذكر عيسى بن أبي محمد أنّ أحمد العسّال قال: سمعت صالح جزرة يقول: يحتاج المحدّث أن يكتب مائة ألف ومائة ألف ـ فلم يزل يقول ومائة ألف ويرفع رأسه إلى فوق حتّى كادت قلنسوّته أن تسقط ـ حديث بعلوّ، ومائة ألف ومائة ألف ـ وجعل يخفض رأسه حتّى عادت القلنسوة ـ حديث بنزول حتّى يقال: إنه صاحب حديث [ابن ماكولا، الإكمال، ج 2، ص 461].

وقال أبو سعيد جعفر بن محمد بن محمد الطُستي: كنّا ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين (291هـ) عند أبي مسلم الكُجّي وكان معنا عبد الله بن عامر بن أسد مستملي صالح جزرة، فقال مستملي أبي مسلم لأبي مسلم: إنّ هذا الشيخ، يعني مستملي صالح، فقال أبو مسلم: ومَن صالح؟ فقال: صالح جزرة، فقال أبو مسلم: وَيْحَكم ما أهونه عندكم! لا تقولون سيّد الدنيا ولا سيّد المسلمين! تقولون صالح جزرة!، قال: وكنّا في أخريات الناس فقدّمنا بعد ذلك حتّى أجلسنا بين يديه وقال لنا: كيف أخي وكبيري؟ ثمّ أملى علينا حاجتنا.

وعن مرضه قبل وفاته، قال الحاكم: سمعت أبا النّضر الطوسي يقول: مرض صالح جزرة فكان الأطباء يختلفون إليه، فلمّا أعياه الأمر أخذ العسل والحبّة السوداء، فزادت حمّاه، فدخلوا عليه وهو يرتعد ويقول: بأبي أنت يا رسول الله ما كان أقلّ بصرك بالطبّ، ولعله قال هذه الكلمة من هذيان الحمّى في حال غلبة الرعدة، فما وعى ما يقول.

وفي يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذي الحجّة من سنة ثلاث وتسعين ومائتين (293هـ) توفي صاحب الترجمة ببخارى ودفن بها، وقد أمّ صلاة جنازته نجله أبو الحسن عليّ بن صالح بن محمد [الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج 10، ص 444].

المصادر والمراجع

● الذهبي، الحافظ شمس الدين، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت 1412هـ/ 1992م، ط 8؛ ● البغدادي، الخطيب، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدّثيها وذكر قطّانها، تح. د. بشّار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1422هـ/ 2001م؛ ● ماكولا، الإكمال، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1230؛ ● السمعاني، الأنساب، دار الجنان، بيروت 1408هـ/ 1988م؛ ● ابن الجوزي، المنتظم، دار التراث الإسلامي، بيروت 1304 هـ.

د. حسن مزيو
جامعة الزيتونة ـ تونس

الجزري، بديع الزمان أبو العز إسماعيل بن الرزاز

(ت 602هـ/1206م)

يفهم من نسبته أنه من «جزره»، وهي مركز تابع لشرناك الموجودة اليوم في تركيا حيث أشار إلى أنه عاش في آمد (ديار بكر) ما بين (1185 ـ 1206م)، وعلى الرغم من ندرة المعلومات عنه فإن ذريته ما يزال بعضهم يقطن جزيرة ابن عمر جنوب شرق تركيا على حدود سوريا، وهي تبعد عن العراق بحوالي 40كم. ولا توجد معلومات بشأن حياته باستثناء تلك المعلومات الموجودة في كتابه. وأورد عبد الله جزره عام 1153م تاريخا لميلاده وعام 1233م تاريخا لوفاته، غير أنه لم يذكر المصدر الذي أخذ منه هذه المعلومة [ص 57]. ويذكر كذلك أن فقير الله (ت 1657 ـ 1734م)، مرشد إبراهيم حقي الأرضرومي ينحدر من نسل ابن الرزاز [ص 60]، ويبين الجزري أن ابن الرزاز دخل في حماية ثلاثة سلاطين من أسرة أرتوق منذ عام 577هـ/ 1181م وذلك لمدة خمسة وعشرين عاما. وأوضح أنه أكمل مؤلفه «كتاب في معرفة الحيل الهندسية» (الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل) في عام 602هـ/ 1206م و ذلك بتشجيع من السلطان ناصر الدين أبي الفتح محمود بن محمد بن قرا أرسلان، وقد كلفه السلطان بصنع ما أنجزه من آلات وابتكارات.

لقد تألّق الجزري أثناء خدمته في ديار بكر بعقليّته الفذّة في علوم الهندسة الميكانيكية والهيدروليكيّة، والتي غطّت نواحي كثيرة منها. فقد صمّم الجزري أن يعمل فوّارات لقصور المملكة. وابتكر آلات لرفع الماء وسواقي تخدم في رفع الماء من الآبار. وقد وصف الجزري في كتابه «الحيل في الجمع بين العلم النّافع والعمل»، خمسة أنظمة لرفع الماء، وأحد هذه الأنظمة يمثّل ساقية تعمل بالماء، وذلك بهدف زيادة مردود الآلات التقليديّة. ويوجد في واحد من هذه الأنظمة إشارات إلى تخفيض العمل المتقطّع. وفي ثان منها يتمّ استخدام مقبض الإدارة، وهو أوّل نموذج لمقبض مستخدم كجزء مكمّل لآلة. أمّا الآلة الخامسة فهي مضخّة مائيّة مؤلفة من إسطوانتين تعملان بواسطة عجلة تجديف، ومركّبتين على محور أفقي فوق مجرى الماء، ومن عجلة مسنّنة مثبّتة على الظرف الآخر من المحور. وعندما تدور عجلة التجديف، فإنّها تجبر العجلة المسنّنة العموديّة على الدّوران حول محورها، والمحور بدوره يدير العجلة المسنّنة الأفقيّة الموجودة في التّركيب، وتفرض العصا على الذّراع حركة تذبذبيّة من جهة إلى أخرى (من إسطوانة إلى أخرى). وعندما يقوم أحد المكبسين بالصّرف، فإنّ الآخر يقوم بالإدخال.

والرّكن الأساسي في هذه الآلة هو مبدأ

الفعل المزدوج، وتحويل الحركة الدّورانيّة إلى حركة متناوبة، واستخدام أنابيب إدخال حقيقيّة. وقد تمّ صنع نموذج بقياس يساوي ربع قياس الآلة الأصليّة بمناسبة المهرجان العالمي للإسلام في العام 1976م، وهو مخصّص لمتحف العلوم في لندن. ولديه التّركيبة نفسها للآلة التي وصفها الجزري، باستثناء أنّ تشغيلها يتمّ بالطّاقة الكهربائيّة.

أمّا أبرز إسهاماته الميكانيكيّة فكانت في عمل السّاعات المائيّة، ويمكن اعتبار مؤلّفه «الحيل» قمّة الإنجازات في هذا الميدان. وفي هذا المؤلّف يصف الجزري بدقّة التّركيب الأصلي للسّاعات المائيّة، ويخبرنا بعد ذلك إلى طرائق تحسينه وتطويره، ومن ذلك مثال نموذج معيّن لمنظّم معدّل جريان الماء كان مستخدما في السّاعات المائيّة على يد تقنيّين مسلمين، وقد وجد الجزري أنّه لم يكن ملائما، ووصف الطّريقة الّتي اخترع بها أكثر ملاءمة بواسطة معايرة ثقب صغير بهدف الحصول على معدّلات جريان مضبوطة بالنّسبة إلى ارتفاعات مختلفة للماء. ولقد استخدمت إحدى السّاعات الّتي وصفها الجزري في كتابه لعمل السّاعة الّتي على باب جيرون في دمشق، والّتي صنعها محمد السّاعاتي بين عام (1140 ـ 1149هـ)، ومازالت شاهدة على دقّة تلك الصّنعة.

وتظهر براعة الجزري أيضا في صنع الأقفال الّتي تقفل على حروف. ولقد وصف الجزري قفلا يقفل على صندوق بحروف اثني عشر على حروف المعجم. وصفة هذا القفل كما في كتابه «الحيل» هي: أربع دوائر على مربّع مستطيل، ودون كلّ دائرة دائرة وبينهما ستّة عشر خطّا وبين الخطوط ستّة عشر حرفا تقوم مقام ثمانية وعشرين حرفا. وتمثّل صورة سطح الغطاء وعليه الدوائر

وأوساطهنّ مخروقات خروقا مستديرة... ثمّ يتّخذ في كلّ خرق فلسا يملأه وسمكه سمك الغطاء.

ويتّخذ دون حرف الفلس دائرة ويقسم ما بين حرفه و بين الدائرة ستّة عشر خطّا ويكتب بينهما الحروف السّتّة عشر. ويتّخذ على حروف الفلس لوزة لطيفة نصفها على وجه الفلس ونصفها خارج عن حرفه. و يتّخذ على حرف الفلس أيضا رأس طائر ليمسك به ويدار الفلس في خرق الغطاء

ورأس اللّوز يمرّ بالحروف كمري الأجزاء ومنقار الطّائر أيضا وهما يمنعان الفلس من النزول في الخرق إلى أسفل. ثمّ يثقب مركز هذا الفلس ثقبا واسعا... ثمّ يتّخذ في ثقب الفلس شنبرا خارجه يملأ ثقب الفلس وطرفه مساوي وجه الفلس والطّرف الآخر بارز عن ظهر الفلس ضعف سمك الفلس ويلحم بحاله».

كما كان لقرب الجزري من الملك أن ابتكر كثيرا من الآلات الّتي تستخدم في القصور، منها عمل أواني وصور تليق بمجالس الشّراب، وعمل أباريق وطساس وعمل آلات للزمر الدّائم بعضها يتحرّك بالميزان وبعضها بعوّامات. ولقد أودع الجزري معظم أعماله في كتابه الوحيد الّذي وصلنا المعروف بـ «الحيل». ويعتبر الكتاب واحدا من أهمّ كتب الهندسة الّتي ألّفها علماء المسلمين إن لم يكن أهمّها على الإطلاق، إذ لم يكن لدينا

حتّى العصور الحديثة أيّة وثيقة، من أيّة حضارة أخرى في العالم، فيها ما يضاهي ما في كتاب الجزري من تصميمات وشروح هندسيّة متعلّقة بطرق الصّنع وتجميع الآلات.

ويحتوي كتاب الحيل والّذي عرف أيضا بكتاب الآلات الرّوحانيّة كما أورده حاجي خليفة في «كشف الظنون» على خمسين فصلا تتضمّن بالإضافة إلى النّص والرّسوم، تعليمات دقيقة مخصّصة للصّناعة في المستقبل، لكي يتسنّى صنع الماكينات موضوع البحث لاحقا على يد حرفيّين، وذلك وفقا لغايات المؤلف. فالكتاب يضمّ في ثناياه ناحيتين: الأولى كيفيّة صناعة هذه الماكينات، والثّانية كيفيّة عمل هذه الماكينات والتّعامل معها .والكتاب ينقسم إلى ستّة أنواع، كلّ نوع منها يحتوي على عدد من الأشكال، وهي كما يلي:

النوع الأوّل: في عمل فناجين يعرف منها مضي ساعات مستوية زمانيّة بالماء والشمع، وفيها عشرة أشكال، منها فنجان على هيئة طبّالين، وثان على هيئة كأس، وثالث على هيئة فيل، ورابع على هيئة طواويس، وخامس على هيئة سياف، وسادس على هيئة كاتب، وسابع على هيئة قرد، وغيرها.

النوع الثاني: في عمل أوانٍ وصور تليق بمجالس الشّرب، وتشتمل على عشرة أشكال، من بين هذه الأشكال زورق يوضع في بركة في مجالس الشّرب، وشكل رجل في يده قدح وقرابة يصبه من القرابة إلى القدح شربا ويشربه، وشكل جارية تخرج من خزانة كلّ زمان ما وفي يدها قدح فيه شراب.

النوع الثالث: وهو مخصّص في عمل أباريق وطساس ونحو ذلك، ويشتمل على عشرة أشكال، منها إبريق يصبّ منه ماء حار وماء بارد وماء ممزوج، وشكل إبريق يضعه الخادم إلى جانب طست بين يدي الملك على كرسيّ لطيف وينفصل عنه الخادم فيصفّر طائر على رأسه وينصبّ من بلبلته ما يتوضّأ به، وشكل طاووس يصبّ من منقاره ما يتوضّأ به المخدوم.

النوع الرّابع: في فوّارات تتبدّل في أزمنة معلومة وعمل الزمر الدّائم، ويتضمّن عشرة أشكال، منها شكل فوّارة الكفّتين تتبدّل في كلّ زمان معلوم، وشكل فوّارتي الكفّتين وأنبوب بأربعة مخارج.

النوع الخامس: في آلات ترفع ماء من غمرة وبئر ليست بعميقة ونهر جار، وتشتمل على خمسة أشكال، من بينها شكل آلة ترفع ماء من غمرة إلى مكان مرتفع بدابّة تدير سهما، وشكل بركة في وسطها عمود مجوّف عليه قرص وعلى القرص تمثال بقرة تدير دولابا يرفع من البركة ماء إلى فوق نحو من عشرة أشبار.

النوع السادس: وهو مختلف وأشكاله غير متشابهة، وفيه خمسة أشكال منها شكل آلة يستخرج بها مركز نقط ثلاث مجهولات الأماكن يقعن على سطح الكرة مطلقا وعلى سطح يوازي الأفق ما خلا وقعهن على خطّ مستقيم ويستخرج بها أيضا سائر الزّوايا المستعملة الحادّة والمنفرجة، ومن بينها شكل قفل يقفل على صندوق بحروف اثني عشر حرفا من حروف المعجم، وشكل أغلاق أربعة على ظهر باب واحد.

وقدّم الجزري وصفا دقيقا لنموذج المضخّة ذات الزنجير والدلاء قبل المنشأة المائيّة الّتي وصفها «أجريكولا» عام 1556م.

تمّ التوصّل إلى قسم من هذه الاختراعات في أوروبا بعد عدّة قرون، وهذه من الحقائق التاريخيّة. فمثلا عمليّة الصهر عبر الصناديق الرمليّة المغلقة بدأت في أوروبا في القرن السادس عشر. وكان ليوناردو هو أول من تناول الحنفيات المخروطة، واستعملت ساعات الماء مع براءة الاختراع في إنجلترا في عام 1784، وكان ابن الرزاز قد عمل في بعض الماكينات على تأسيس توازن بتأثير الميكانيكا الهيدروليكية، وسعى كذلك إلى إيجاد نظام في الحركة، واستعمل في بعض الماكينات دولابا مسنّنا بين العوامة والبكارة المركبة. وقام بتطبيق النظام الموجود في التأثير المعاكس، والأهم من ذلك عمل على تأسيس توازن رفيع بمؤثرات مختلفة، وبالنظر إلى أعماله يتضح لنا أن ابن الرزاز كان مهندسا بارعا وفي الوقت نفسه يعتبر أول عالم في مجال الميكانيكا، وهو بلا شك الرائد في هذا العلم.

تعتبر الطُّلُمْبَة التي تعمل بدولاب الماء واحدة من مساهمات ابن الرزاز البارزة في تطور الهندسة الحديثة. وتم في هذه الماكينة تطبيق تأثير الأساس المزدوج وتحويل حركة الدوران إلى الخلف، وتم كذلك استعمال أنبوبة الامتصاص لأول مرة. ومثلت هذه التطورات أهميّة بالغة في مجال الهندسة وهي تمثل أول نموذج لماكينة البخار وطلمبة الامتصاص. وتعتبر الميكانيكا الهيدروليكية - التي احتلت مكانا في الكتاب - التي عن طريقها يعمل نظام أوتوماتيكي من عوامتين وأربعة مخارج من الأنظمة التي ساعدت على حل مشاكل الهيدروليك الموجودة اليوم.

ترجمت بعض أقسام مؤلف ابن الرزاز لأول مرة إلى اللغة الألمانية من قبل كل من إ. ويدمان وف. هاوسر، ونشرت هذه الترجمة في شكل مقالات في مختلف المجلات في الفترة من عام 1908 إلى عام 1923؛ [للاطلاع على نسخ المقالات انظر: Der Islam, XI, 1921, 214.] وقام كل من ج. آنت، وب. أنانده، وك. كومار اسوومي، ور. رفستهال، وب. ويتيك، و ل. أ. ماير، بتقييم النص من خلال التصاوير التي تضمنها [تم نشرها مع مقالات أخرى ودونت من قبل فؤاد سيزكن [Natural Sciences in Islam, Volum 41, Frankfurt 2001.] وترجمه دونالد ر. هيل إلى اللغة الإنجليزية كاملا ونشره مع توضيحات وهوامش في مجلد واحد: The book of Knowledge of Ingenious Mechanichal Devices, Dordrecht 1974.

كما قام أحمد يوسف الحسن وقاسم أجنبي باعتماد نسخة بودلين والنسخ الأربع الموجودة في استانبول [مكتبة متحف سراي طوب قابي، أحمد الثالث، رقم 3461، 3471، الخزينة، رقم 414؛ مكتبة السليمانية، آياصوفيا، رقم 3606] وأخرجا مؤلفا جيدا (حلب 1979). وقامت وزارة الثقافة التركية بإصدار كتاب بعنوان: Olaganustu Mekanik Araçlarin Bilgisi Hakkinda Kitap, Ankara 1990.

وذلك بالاستفادة من نسخة أحمد الثالث (رقم 3471)، كما ترجم إلى اللغة التركية من قبل سفم تكه لي، وملك دوساي، وياووز أونات (أنقرة 2002).

تم تأليف العديد من المقالات في القرن العشرين تتعلق بابن الرزاز ومؤلفه [انظر المصادر والمراجع؛ الجامع بين العلم والعمل، ترجمة سفم تكه لي وآخرون، ص 18 ـ 20]، وتم كذلك عقد مجموعة من المؤتمرات العلمية تتناول الموضوع نفسه [مؤتمر ابن الرزاز الجزري، 14 مارس 1986 قيصري].

المصادر والمراجع

● الجزري، ابن الرزاز، الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل، ترجمة سفم تكه لي وملك دوساي وياووز أونات، أنقرة 2002، المقدمة XV - XX، ص 1 ـ 2؛ ● باشا، أحمد فؤاد، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، دار الهداية، القاهرة، 1997؛ ● موسوعة تاريخ العلوم العربية، إشراف رشدي راشد، بيروت، 1997 ؛

● Carl Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur Supplementband, Leiden 1937, I, 902-903; ● G. Sarton, Introduction to the history of science, London 1962, II, 632-633; ● D. R. Hill, «Medieval Arabic Mechanical Technology», Proccedings of Arabic Science, Halep 1976 ; ● D. R. Hill, «al- Djazari», Dictionary of Scientific Biography, New York 1981, XV, 253-255; ● D.R Hill, «al-Djazarî», the Encyclopaedia of islam supplement, p.266-267; ● Toygar Akman, «Sekizyüz Yil önce Otomatik Makine Yapan Türk Bilgini Ebül üz», Bilim ve teknik, say1 77(1974)p.1-6; ● Toygar Akman, «ülk Türk Sibernetik Bilgini Ebül üz», ayni dergi, say1 103 1976,p1-4; ● Toygar Akman, «Gelecegin Bilim Adamlari ve Ebül üz», ayni dergi, say1 113(1977),p.7- 10; ● Atilla Bir, «Ebül üz El-Cezeri nin Otomatlar kitabi», ayni dergi, say1 110 (1977), p.1-3; ● Abdullah Cizre, «Turklerin Icad Ettikleri Otomatik Aletler», Hayat Tarih Mecmuasi, yil 13, sayi 12 (1 Aralik 1977), p.54-60; ● Ahmed Yusuf el-hasan, «the Arabic Text of al-Jazari's: a compendium on the theory and practice of the mechanical Arts», MecelletuTarihi'l'ulumi'l-'Arabiyye, I/1(Haleb 1977), p.47-64 ; ● Ahmed Yusuf el-hasen, «el-cami 'beyne'l- 'ilm ve'l ameli'n-nafi 'fi sina 'ati' l-hiyel», Ebhasu' l-mu' temeri's- seneviyyi's-sani li'l-cem 'iyyeti's-Suriyye li-tarihi'l- 'ulum, haleb 1979, p. 99-103 ; ● kazim çeçen, «the great Islamic Scientist al-Jazari (in 6 century h.)», International conference on Sience in Islamic Polity, Islamabed 1983, II, 28-35;

• kazim çeçen, «12. Aasirda Diyarbakir' da Buyuk Bir Turk Muhendisi: el-Cezeri», Insan ve kainat, sayi 13, Istanbul 1986, p.47-51; • Abdulhakim Koçin, «harika Bilgin Cizreli Ebu' l-Izz», Bilim ve Teknik, sayi 265 (1989), p.29; • Sadettin Okten, «cezeri, Ismail b. Rezzaz», Turkiye diyanet vakfi Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1993, VII, 505-506; • Cevat Izgi, «Hiyel», ayni ansiklopedisi, Istanbul 1998, XVIII, 179.

د. قاسم كربييك
جامعة اسطنبول ـ تركيا
ترجمة: مصطفى بن الطاهر الستيتي (تونس)
د.أحمد فؤاد باشا
جامعة القاهرة ـ مصر

ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد

(751هـ/1350م ـ 833هـ/1429م)

هو شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الدمشقي، ثم الشيرازي المعروف بابن الجزري. وهو من كبار علماء الشافعية وحفاظها في عصره. ألف في التجويد، والحديث، والتاريخ، والفقه، والنحو. كان مشاركا في فروع العلوم الإسلامية والعربية، ولكنه اشتهر على الخصوص بعلوّ مكانته في علم القراءات، فهو مقرئ الممالك الإسلامية بلا منازع، وحجة القراءات المشهود له، وقد وصفه السيوطي بأنه أحسن من تكلم في القراءات «فهو إمام القراء في زمانه وشيخ شيوخنا» [الإتقان، 1/ 75]. وكان من اهتمام ابن الجزري بالقراءات أنه أنشأ مدرسة للقراء بموطنه دمشق، وأخرى بشيراز أثناء إقامته بها، سميت كل منهما «بدار الإقراء». وفيهما أقرأ طلاب النص القرآني الوجوه والروايات المختلفة للقرآن، مبينا المتواتر منها والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج.

وتأتي نسبة ابن الجزري من انتماء أصوله إلى «جزيرة ابن عمر»، وهي بلدة تقع شمال الموصل يحيط بها نهر دجلة مثل الهلال؛ مع أنه ولد بدمشق سنة 751هـ ولا ينفرد ابن الجزري بهذه النسبة، بل يشاركه فيها آخرون، يعرف كل منهم بلقب ابن الجزري لقدومهم من المنطقة نفسها، مثل ابن الجزري حسين بن أحمد الأديب الشاعر الذي عاش في حلب في القرن الحادي عشر الهجري.

وقد حفلت حياة ابن الجزري شيخ القراء المشهور بالرحلة الدائمة في طلب العلم، شأن كثير من المحدثين في عصور الرواية السابقة، فبعد أن حفظ القرآن الكريم في دمشق، وعُني برواية جانب من الحديث النبوي، انصرفت همته إلى دراسة القراءات

المختلفة، فأفرد للقراءات على أبي محمد عبد الوهاب السلار وغيره، وجمع للسبعة على إبراهيم الحموي، ثم قام بالحج سنة 768هـ، فقرأ على إمام المدينة المشرفة محمد بن صالح الخطيب.

بعد ذلك رحل ابن الجزري إلى الديار المصرية سنة 769هـ لجمع القراءات للاثني عشر، وقراءة «التيسير» و«الشاطبية» على عبد الله بن الصائغ (الشاطبية منظومة للشاطبي المتوفى 590 هـ، وقد نظم فيها كتاب «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني المتوفى 444هـ).

ثم رجع ابن الجزري إلى دمشق فولي القضاء بها، وانتقل بعد ذلك إلى بروسية، ثم إلى ما وراء النهر حيث نفي بأمر تيمورلنك. وبعد موته سافر إلى خراسان، وأصبهان، والبصرة، واليمن وغيرها، طالبا ومعلما للقراءات والحديث النبوي والفقه الشافعي. وأخيرا انتهى به المطاف إلى شيراز، حيث ألزمه سلطانها بتولي القضاء بها، وقد لبث بها إلى أن توفي سنة 833هـ ، ودفن بدار الإقراء التي أنشأها بها.

بهذه الرحلات المتعددة في طلب العلم اكتسبت شخصية ابن الجزري خبرة مستوعبة لتراث الأمة الإسلامية في علوم الرواية المختلفة، ولا سيما علم القراءات الذي يحظى فيه ابن الجزري بمكانة خاصة بين علماء المسلمين على مر العصور، لذلك أذن له غير واحد من شيوخه بالإفتاء والتدريس والإقراء، منذ وقت مبكر في حياته، مثل ابن كثير (ت 774هـ) والبلقيني (ت 805هـ)، وغيرهما. وقد لقب بالإمام «الحافظ»، أو «حافظ القراء»، وهو مصطلح علمي ظهر متأخرا نسبيا في تاريخ الثقافة الإسلامية للدلالة على تمكن صاحبه من حفظ القراءات القرآنية، أو رواية الحديث النبوي، وإن كان لا يخلو أيضا من الدلالة المنهجية على ثقافة العصر. كذلك وصفه ابن حجر بأنه الرجل الذي انتهت إليه رياسة علم القراءات في الممالك الإسلامية، وإن اتهمه بعض معاصريه - ربما نفاسة عليه - بالمجازفة في القول، والإغارة على مرويات الآخرين أحيانا ونسبتها إلى نفسه، وهي صفة - إن صح رميه بها - لم ينفرد بها ابن الجزري بين المتأخرين، كما يقول بعض الرواة في الدفاع عنه.

وينتمي ابن الجزري إلى القرن التاسع الهجري، أحد القرون الممتدة خلال المرحلة الوسيطة في تاريخ الحضارة الإسلامية، من سقوط بغداد إلى قبيل عصر النهضة الحديثة، وفيها تزايد اعتماد العلماء على الرواية عن السابقين، وترديد ما دوّنوه، وجمع ما تفرّق منه. وذلك بسبب تناقص الاهتمام بالعلوم بعد هجوم التتار، واستيلائهم على بغداد، واختفاء المذاهب العقلية بعد القضاء على المعتزلة، حاملي لواء النهضة الفكرية سابقا، بالإضافة إلى شيوع العصبية المذهبية نتيجة للتدهور العلمي الذي شهدته هذه المرحلة.

وفي إطار هذه الحقبة الثقافية الخاصة، تأتي جهود ابن الجزري تحمل طابعا إيجابيا، إذ تعنى على الخصوص بجمع الروايات المتفرقة حول القراءات المعتمدة للنص القرآني: السبعة، ثم العشرة، ثم ما عدا ذلك من الروايات غير المتواترة، مما تنطبق عليه شروط القراءة عنده.

وكان الشائع عند الناس الاتفاق على السبعة ثم العشرة مطلقا، باعتبار التواتر، حيث لم ينل

ما زاد على ذلك قبولا عندهم؛ بل ربما عدّه بعضهم من القراءات الشاذة، فبيّن ابن الجزري أن هناك قراءات معتمدة غير هذه العشرة لا يصح إهمالها، ذلك أن كل قراءة حققت الشروط بأن: 1 ـ وافقت العربية، ولو بوجه، 2 ـ ووافقت الرسم العثماني، ولو احتمالا، 3 ـ وصح سندها؛ فهي قراءة صحيحة عند ابن الجزري، لا يجوز ردّها، ولا يحل إنكارها، سواء كانت عن القراء السبعة الأئمة، أو عن العشرة، أو عن غيرهم من المقبولين.

أما إذا اختل ركن من هذه الأركان فهي شاذة، أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أو عمّن هم أكبر منهم؛ وهذا عند ابن الجزري هو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه، قبل أن يتم اختيار السبعة عن طريق العلماء المتأخرين في المائة الثالثة.

وهكذا أوضح منهج ابن الجزري القواعد الضابطة للقراءة القرآنية المعتمدة، وهي تحقيقها للشروط الثلاثة السابقة، فلم يعد الاحتكام مقصورا على كونها داخلة في إحدى القراءات السبع أو العشر فحسب أو خارجة عنها. وهذا في الحقيقة ضابط علمي يوضح ابن الجزري معالمه، ويقيمه على التحقيق الموضوعي، ويهتم بالدعوة له، وقد شاع بين من جاؤوا بعده، وهو يضيف بذلك إلى مناهج الرواية التقليدية التي كانت سائدة، وسائل الفحص المنهجي للقراءة المروية، ولذلك ألف فيما يسميه: «إعانة المهرة في الزيادة على العشرة» تأكيدا لمذهبه، منددًا بجهل من يقول: إن القراءات الصحيحة هي وحدها المروية عن هؤلاء السبعة.

وقد أوضح ابن الجزري وغيره أن القراءات غير الأحرف السبعة، على أصح الآراء، وإن أوهم التوافق العددي الوحدة بينهما، لأن القراءات مذاهب أئمة، وهي باقية إجماعا، يقرأ بها الناس، ومنشؤها اختلاف في اللهجات، وكيفية النطق، وطرق الأداء، وجميعها في حرف واحد هو حرف قريش. أما الأحرف السبعة، فالمراد بها سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، نزل بها القرآن تيسيرا على العرب، وقد حمل الصحابة الناس في عهد عثمان على حرف واحد هو حرف قريش، وكتبوا به المصاحف تجنُّبا للفتنة، بعد زوال الأسباب الداعية إلى تعدّد الأحرف عند نزول القرآن.

آثاره

ترك ابن الجزري عددا من الكتب بعضها مطبوع، وبعضها لا يزال مخطوطا، وأهمها ما يلي:

أ ـ المطبوعات:

1 ـ تقريب النشر في القراءات العشر، ط. 1381هـ؛ 2 ـ الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، ط. عدة مرات، القاهرة منها ط. شرف 1302هـ، والحلبي 1345هـ؛ 3 ـ الدرة المضية في قراءات الأئمة الثلاثة المرضية، القاهرة ط. 1285هـ، 1308هـ؛ 4 ـ الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح، القاهرة ط. 1307هـ، 1310هـ، الحلبي 1375هـ؛ 5 ـ طيبة النشر في القراءات العشر، ط. 1282هـ، ط. شرف 1308هـ؛ 6 ـ المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد، ط. الخانجي، القاهرة 1929م؛

7 ـ غاية النهاية في طبقات القراء (مجلدان) ط. الخانجي، القاهرة 1932م؛ 8 ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين، القاهرة 1977م؛ 9 ـ النشر في القراءات العشر، نشر الضباع، ومصطفى محمد، بلا تاريخ.

ب ـ المخطوطات:

10 ـ أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب، 45 ق، حديث، 1619 دار الكتب المصرية؛ 11 ـ الإصابة في لوازم الكتابة، برلين رقم 306؛ 12 ـ تحبير التيسير في القراءات، قراءات طلعت 155، دار الكتب المصرية، وبرلين رقم 590؛ 13 ـ ذات الشفا في سيرة المصطفى، 24 ق، تاريخ 2800، دار الكتب المصرية؛ 14 ـ غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولي الرواية والدراية، 301 ق، تاريخ 1616، دار الكتب المصرية؛ 15 ـ المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه من 38 ـ 44، قراءات 20، 117، دار الكتب المصرية؛ 16 ـ نهاية البررة في الثلاثة الزائدة على العشرة، 21 ق، 23030، دار الكتب المصرية؛ 17 ـ الهداية في علوم الرواية، 10 ق، مصطلح الحديث، طلعت 124، دار الكتب المصرية؛ 18 ـ هداية المهرة في الزيادة على العشرة، 39، آيا صوفيا.

المصادر والمراجع

● ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، تح. وتقديم إبراهيم عطوة، ط. القاهرة 1961م؛ ● السيوطي، طبقات الحفاظ، 3/ 85؛ ● السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 9/ 255 ـ 260؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، بيروت، د. ت. دار إحياء التراث العربي، مج 5، ص 187؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، 11/ 291 ـ 292؛ ● الزركلي، الأعلام، 7/ 45؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، مادة ابن الجزري.

د. عفت الشرقاوي

جامعة القاهرة ـ مصر

ابن الجَزَريّ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم

(658هـ/ 1259م ـ 739هـ/ 1338م)

هو شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجَزَري. أصله من جزيرة ابن عمر، بلدة فوق الموصل. ولد بدمشق سنة 658هـ وبدأ تفوّقه على أقرانه منذ الصغر، فكان هو عريف الكُتّاب الذي يتعلّم فيه. وجمع بين وَلَعه بالتأريخ والتصنيف فيه، ومهارته في الطب ومعالجة المرضى ووصف الدواء والتبرّع به أحيانًا كثيرة، مع صدقه وتديّنه وعدالته وورعه.

نال شهرة عظيمة بكتابه في التاريخ المعروف

بـ «حوادث الزمان»، لِمَا أتى فيه من معلومات كثيرة عن الحقبة التي عاصرها وعاشها بنفسه، ولهذا اختار منه الحافظ «الذهبي» (ت 748هـ) مجلّدًا واختصره. وكان تاريخ ابن الجزري مصدرًا أساسًا لمعظم المؤرّخين الذين عاصروه أو أتوا بعده، فاقتبس منه «النويري» (ت 733هـ) نصوصًا كثيرة ووضعها في كتابه «نهاية الأرب في فنون الأدب»، كما اعتمد عليه الذهبي في «تاريخ الإسلام»، وبدر الدين العيني (ت 855هـ) في «عقد الجُمان»، وغيره.

وهو بدوره، اعتمد كثيرًا على صاحبه المؤرّخ البرزالي (ت 739هـ)، ولكثرة نقْله عنه نَسَبَ بعضُهم كتابه «حوادث الزمان»، إلى البرزالي. والكتاب في الأساس من 16 مجلّدًا، لم يصلنا منها سوى مجلّدين فقط، أحدهما يتناول حوادث ووفيات (689 ـ 699هـ)، والآخر يتناول حوادث ووفيات (725 ـ 738هـ)، وهو القسم الأخير، والأهمّ، رغم الحقبة القصيرة التي يتناولها، إذ كان المؤلّف شاهدًا عيانًا أمينًا على أحداث عصره، وخاصة فيما يتعلّق بالحوادث اليومية التي رصدها بعين ثاقبة، وهو مقيم بدمشق؛ فجاء تاريخه سجلًّا حافلاً بأخبارها السياسية، والإدارية، والاجتماعية، والعسكرية، والاقتصادية، والزراعية، والعمرانية، والدينية، والثقافية. ولا تقلّ معلوماته عن الوقائع في الديار المصرية أهميّة عن معلوماته عن بلاد الشام، فهو يأتي بأخبار تفرّد بها، ولا نجدها عند غيره من المؤرّخين المصريين، حيث كان يتمتّع بشبكة علاقات واسعة مع تجارٍ وأعيان عصره من الرحّالة، فيحدّثونه عن أحوال البلاد التي يزورونها شرقًا وغربًا. فلم يحصر تدوينه ضمن نطاق الحدود الجغرافية التي كانت تحت سيادة المماليك: بلاد الشام، والديار المصرية، وأراضي الحجاز، وبلاد اليمن، بل تعدّى الإطار الجغرافي ـ على اتّساع رقعته ـ إلى رحابة التأريخ العالمي ـ إن جاز التعبير ـ في مداه الأوسع والمعروف في ذلك العصر، فتناول أخبار الهند والبنغال، مسترجعًا إلى الذاكرة تاريخ تلك البلاد اعتبارًا من سنة 602هـ، حتى وقت تأريخه للكتاب، وكتب قطعة عن بلاد الترك، والتتر في أواسط آسية، وبلاد الروس ونهر الفولغا (ويُسمّى: أتل) في أوربة، وبلاد الحبشة، إضافة إلى تحرّكات الفرنجة في البحر المتوسط.

وأرّخ ـ في كلّ سنة ـ للحوادث التي تقع في مكة المكرمة، والمدينة المنوّرة، وبلاد الحجاز عمومًا، كما أرّخ في بعض السنوات لأخبار العراق، وبلاد فارس، وبلاد الأرمن، وبلاد خوارزم، في المشرق؛ ويتناول جملة أخبارٍ في تونس، والمغرب، وبلاد التكرور، والأندلس.

وبطبيعة الحال، فقد كان لأخبار دمشق ووفياتها الحيّز الأكبر من الكتاب لأنها بلده وموطنه، ويمكن أن نطلق على القسم الأخير منه أنه بمثابة سِجلّ يوميّ أو جريدة تكاد تكون يومية لتسجيل وقائع دمشق من حوادث ووفيات.

وتتنوّع مادّة الكتاب تنوّعًا كبيرًا، فهي تشمل الأخبار والوقائع المتعلّقة بالخليفة العباسي، وسلطان المماليك، والأمراء، والوزراء، والقضاة، والنُظّار والأئمّة، والمدرّسين،

والخطباء، والكتاب، وغيرهم من أهل السياسة، وذوي المناصب، والعلماء، وأخبار الحروب، والتجاريد، والغزوات، والفتوح، والفتن، وأخبار الوفود، والسفراء، وأخبار العمارة والبناء، والتوسعة، والهدم والتخريب، وحركة الحجّاج وقوافلهم ذهابًا وإيابًا، والنوادر والطرائف، والغرائب، والعجائب، والظواهر الطبيعية، والنكبات، والأحوال الاقتصادية، والاجتماعية، والإدارية، والمالية، والثقافية، والزراعية، والتركيز على وفاء النيل ومقياسه من كل سنة، وخروج المحمل السلطاني والحجّ، والرُّخص، والغلاء، والأوبئة، والأمراض، ومواقع البروج وأحوالها، والزلازل، والسيول، والصواعق، والحرائق، والرياح، والعواصف، والتصقيع، والكسوف، والخسوف، وإثبات الأهلّة لمطالع الشهور، عدا الأخبار العاديّة من توليةٍ وعزل وحبس للأمراء وأصحاب المناصب والوظائف، ومباشرة النيابة، والقضاء، والتدريس، وغير ذلك.

وبالاعتماد على تاريخ ابن الجزري هذا، يمكن تصحيح الكثير من تواريخ الوفيات التي وردت خطأً أو غلطًا في كتاب «الدرر الكامنة» لابن حجر، ففي بعض تراجم الوفيات بيّض ابن حجر لتواريخ الوفاة، وأثبتها ابن الجزري في تاريخه، في اليوم والشهر والسنة.

وقد أرّخ للأحداث والوفيات بالطريقة الحولية، سنة بعد سنة، مبتدئًا بذكر الحوادث مرتّبة على الشهور، بعد أن يذكر العنوان التقليديّ: «ثم دخلت سنة كذا، وأوّلها يوم كذا»، ويذكر بعد ذلك اليوم والشهر الموافِقَين بالميلادي، فالقبطي، فالفارسي. وبعد العنوان يسرد أسماء حكّام البلاد، فيبدأ بالخليفة العباسي، ثم بالسلطان المملوكي، وحدود مملكته، ثم سلطان التتر، وبعد ذلك أسماء النوّاب والوزراء والقُضاة والنُظّار وغيرهم من أرباب المناصب في مصر والشام. ويبدأ بعد ذلك بتدوين الوقائع والأخبار المختلفة، وبعد أن ينتهي من ذلك يذكر الوفيات تحت عنوان: «ذكر من درج في هذه السنة من الأكابر والأعيان»، فيرتّبهم حسب تواريخ الوفيات، ولم يوفّر أحدًا من المتوفّين، رجلاً أو امرأة، شابًا أو بنتًا، وخاصّة من أهل بلده دمشق، ولم يكتف بذكر الأكابر والأعيان فحسب، بل ذكر كثيرًا من العامّة، والمجاهيل من الأفراد، بحيث زادت وفيات كل سنة على المائة، طوّل في بعضها، وأوجز في البعض الآخر، وكانت الغالبية العُظمى من التراجم متوسّطة الحجم.

ويتميّز الكتاب بالتناسق التامّ، بحيث تساوت صفحات الحوادث وصفحات الوفيات تقريبًا، إلّا أنّه يكاد يخلو من العناوين للمواضيع إلّا في مواضع قليلة جدًّا، وخاصّة عند الحديث عن ملوك اليمن، حيث أفرد لأخبارهم عدّة صفحات، بدْءًا بوفاة الملك المؤيّد هِزَبر الدين داود سنة 721هـ.

ويظهر أسلوب الاستطراد واضحًا عند المؤلّف، فكثيرًا ما يذكر خبرًا أو معلومة ما، ثم يستطرد إلى حديث آخر، مثل تعريفه بالصحابيّ أبي هريرة ﷺ بعد أن ذكر حديثًا بروايته. وفي موضع آخر ذكر وفاة الكاتبة نُضار بنت أثير الدين أبي حيّان المغربي فاستطرد للحديث عن أبيها.

وبعد أن انتهى من ذكر حوادث سنة 736هـ، ذكر «تالي سنة ستٍّ وثلاثين»، فتحدّث عن ضمان الثمار والفواكه والخضار في الشام، واستطرد إلى أنواع المشمش، والتوت، والخوخ، والتين، والرمان، والسّفرجل، والإنجاص، والدُّرّاق، والعنب. ثم استطرد إلى ما قيل في مدح دمشق وما أنشده «ابن عُنين» فيها، ثم عاد إلى «تتمّة أخبار العنب»، وذكر مُستخرجاته: الدبس، والزبيب، والمَلْبن، وأخيرًا ضمان الثلج.

وفي وفيات سنة 734هـ ذكر ترجمة «بدر الدين السيوفي»، ومنها استطرد إلى ترجمة «الرئيس ابن سينا»، فنقل ما كتبه «ابن خلّكان» عنه، ثم ذكر نصًّا في الاعتذار عن شُرب الخمر نقله عن أحد المصادر.

وتناول خبر قتل الكلاب بدمشق في حوادث سنة 729هـ واستطرد منه إلى الحديث عن الكلاب كوسيلة تنقُّل في روسيا وغيرها، والتعريف بنهر أتل (الفولغا)، ثم تناول طبائع الكلاب كما وردت في كتاب «عجائب المخلوقات» للقزويني، وبعض الطرائف عنها، وأفرد فصلاً في خواصّها. ونقل من كتاب «فضل الكلاب على كثير ممّن لبس الثياب» لأبي بكر المرزبان. وبعد أن يستطرد يعود فيقول: «ولولا خوف الإطالة لذكرت منه أكثر من ذلك»، ولكنه يستدرك قائلاً: «ولْنُختم هذا الفصل بما رويناه عن مشايخنا المحدّثين..» ويتابع ـ مستطردا ـ ما قيل في طبائع وخِصال الكلاب. ثم ينتقل فجأة إلى تدوين فصل عن إقامة المساجد الجامعة في الأمصار، وذلك نقلاً من «تاريخ دمشق» لابن عساكر، وكما هو واضح فإنه لا رابط بين الموضوعين. وهذا إنْ دلّ على شيء فإنّما يدلّ على طول نَفَس المؤلّف في التدوين والعرض لمعلوماته، ومخزون مطالعاته، فهو يأخذ وقته الكافي في كتابة مادّته دون مَلَل، ولا يملّ من تكرار عبارة «رحمه الله وإيانا» عقب كل ترجمة للوفيات، وربّما زاد على ذلك: «والمسلمين أجمعين»، ويُكثر من الدعاء عقب إيراد كلّ خبر طيّب أو عمل حسن، فيقول: «والله تعالى يتمّم بالخير والبركات إن شاء الله تعالى»... «ويسهّله بمنّه وكرمه»، «والله تعالى يُلهمه فعل الخير ويعصمه عن الشرّ بمنّه وكرمه».

وتميّز منهجه بالدقّة والوضوح، والاهتمام بدقائق الأمور، وضبط التواريخ والوقائع، وبشكل خاصّ في الوفيات، فحين يدوّن وفاة أحدهم لا يفوته أن يذكر يوم الوفاة والشهر، ويحدّد بالضبط وقت الوفاة صباحًا، أو ظُهرًا، أو ليلاً، ويذكر اسم من تولّى غُسْله، ومن صلّى عليه أوّل مرة وثاني مرة وثالث مرة (هكذا)، والمكان الذي صُلّي عليه في كلّ مرّة، ويُسمّي الأعيان ممّن حضروا الصلاة وشيّعوه، ويصف زحام الناس وراء الجنازة إن كان المُتوفّى مشهورًا، وموضع القبر، واسم المقبرة. ثم يذكر ما تَيسَّر له من قراءة على روحه إن كان يعرفه، أو تربطه به صُحبة أو قرابة.

■ آثاره

1 ـ تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه. تح. عمر عبد السلام تدمري، 3 مجلّدات، ط. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1419هـ/ 1998م؛

2 ـ ذات الشفا في سيرة المصطفى ومن بعده

من الخُلَفَا (منظومة في السيرة النبوية وتاريخ الخلفا)؛ 3 ـ مختصر تاريخ الإسلام للذهبي؛ 4 ـ شعر.

المصادر والمراجع

● البغدادي، اسماعيل باشا، هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، (د.ت) مج 5، ص 150؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، 8/ 194؛ ● بروكلمان، كارل، ملحق تاريخ الأدب العربي، 6/ 43؛ ● تدمري، عمر عبد السلام، تح. تاريخ حوادث الزمان، وفيه حشد لمصادر كثيرة لترجمته؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1999، ط 14، مج 5/ 298.

د. عمر عبد السلام تدمري

الجامعة اللبنانية

طرابلس ـ لبنان

ابن جزلة، أبو علي يحيى بن عيسى

(ت 493هـ/1100م)

هو يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة البغدادي، أبو علي، إمام الطبّ في عصره، من أهل بغداد. وله نظر في علم الأدب. لم يعرف تاريخ لميلاده. إلا أنه عاش في بغداد أيّام الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله (448/ 487هـ ـ 1056/ 1094م). قرأ الطب على نصارى الكرخ الذين كانوا في زمانه، وقد تتلمذ على أبي الحسن سعيد بن هبة الله (436هـ/ 1045م ـ 495هـ/ 1101م). وأخذ الحكمة عن أبي جعفر الطوسي (385هـ/ 995م ـ 460هـ/ 1067م). ثم أراد دراسة المنطق أيضا، ولمّا تبيّن له أنه لم يكن في النصارى المذكورين في ذلك الوقت من يقوم بهذا الشأن، التجأ لتعلّم المنطق إلى أبي علي بن الوليد (ت 478هـ/ 1086م) شيخ المعتزلة في ذلك الوقت فلازمه، ولم يزل ابن الوليد يدعوه للإسلام ويشرح له الدلالات الواضحة ويبيّن له البراهين حتى استجاب وأسلم.

وقد ذكر أن إسلامه كان سنة 466هـ/ 1074م. وقد علم بإسلامه القاضي أبو عبد الله الدامغاني (398هـ/ 1007م ـ 478هـ/ 1085م) قاضي القضاة في ذلك الوقت، فسرّ بإسلامه وجعله طبيبه الخاص وأدناه منه ورفع من مكانته، واستخدمه في كتابة السجلات بين يديه، خصوصا أنه كان يكتب بخط جيّد. ويشير ابن أبي أصيبعة (579هـ/ 1183م ـ 616هـ/ 1219م) إلى أنّ ابن جزلة كان يكتب خطا جيّدا منسوبا، وقد رأى بخطه عدة كتب من تصانيفه تدلّ على حسن معرفته وفضله.

وكما حدث لبعض الأطباء من اليهود والنصارى ممن اعتنقوا الإسلام، فقد دفع

حسن استقبال ابن جزلة في الإسلام للكتابة ضد أبناء ديانته الأولى، فكتب في ذلك رسالة في الردّ على النصارى ومدح فيها الإسلام، وأقام الحجّة على أنه الدّين الحق، وذكر فيها ما قرأه في التوراة والإنجيل عن ظهور النبي عليه الصلاة والسلام، وأنه نبي مبعوث، وأنّ اليهود والنصارى أخفوا ذلك ولم يظهروه، ثم ذكر فيها أيضا عيوب اليهود والنصارى، وهي بالخلاصة وكما ذكر ابن خلكان رسالة حسنة أجاد فيها، وقد كتبها إلى إليا القسّ.

وكان مع اشتغاله بكتابة السجلات لقاضي القضاة في بغداد يطبّب أهل محلته وسائر معارفه بغير أجرة ولا جعالة، بل احتسابا ومروءة، ويمدّهم بالأدوية بغير عوض كما يذكر القفطي. كما ذكر أنه كان يتفقّد الفقراء. ويحسن إليهم، كما كان ملمّا بمعرفة الأدوية المفردة والحشائش الطبية، اختلف في تاريخ وفاته، والأرجح أنه توفي عام 493هـ/ 1100م في بغداد. ويعرف عند الغربيين باسم Ben Gasla أو Ben Jasls أو Ibn Jasls.

يوصف ابن جزلة، وكما قال الذهبي، بأنه كان ذكيا صاحب فنون ومناظرة واحتجاج.

آثاره

يمكن حصر مؤلّفات ابن جزلة حسب ما وردت في كتب التراجم في خمسة:

1 ـ كتاب تقويم الأبدان في تدبير الإنسان، صنّفه للخليفة المقتدي بأمر الله، وهو أهمّ كتبه وأجلّها. وضعه المؤلف بشروح ضمن جداول عرض فيها أكثر الأمراض والآفات بعلاماتها وأعراضها ووسائل معالجتها، وبحسب الأمزجة والأعمار والبلدان والأزمنة. ترجمه إلى اللاتينية فرج بن سالم، وهو الذي ترجم كتاب الحاوي للرازي، وأهداه للملك شارل الأوّل في صقلية، وقد نشر باللّاتينية في القرن السادس عشر. كما ترجم ونشر بالألمانية والفرنسية.

ومخطوطات هذا الكتاب كثيرة ومنتشرة في الكثير من المكتبات العالمية، طبع لأول مرة باللغة العربية عام 1333هـ/ 1915م في مطبعة روضة الشام في دمشق بعناية الأديب سليمان الدخيل صاحب جريدة الرياض في بغداد، على نفقة رشيد باشا (آل ناصر) الوكيل العام للأمير ابن الرشيد أمير نجد. وقد طبع الكتاب بنفس الحالة التي وضعها المؤلف أي بالجداول المرتّبة على نحو يسهل معه استنباط المعلومات دون مشقة.

يعدّ هذا الكتاب نقلة نوعية في المؤلفات الطبيّة العربية في أسلوبه ومنهجه، فهو يعتبر بمثابة كنّاش أو كتاب سهل التناول Handbook، غرضه الأساسي أن يكون بمتناول الطبيب دوما لصغر حجمه ووضوح تبويبه، وتكمن قيمة هذا الكتاب في معلوماته المبوّبة والمنسّقة حسب الأعضاء التشريحية، فضلا عن دقّة تحديد المرض وأسبابه وعلاماته وتدبيره. ولا يكتفي المؤلف بالتدبير الموجز، بل بشرح التدبير على نحو أوسع على الصفحة المقابلة للجدول الذي وضعه. ويمكن باختصار أن نطلق عليه بلغة اليوم أنّ كتاب تقويم الأبدان هو كتاب الطبيب الممارس اليومي، وهذا يعود إلى سهولة تناوله وتصنيفه وتبويبه.

والقراءة المتأنّية لهذا الكتاب توضّح منهجية واضحة في ترتيب الأمراض وعلاجها، بحيث

يمكننا أن نقول إن ابن جزلة اتّبع في مؤلفه هذا المنهج التجريبي؛ فهو يضع التشخيص عن طريق المشاهدة السريرية الدقيقة، ويحدد أسباب المرض ضمن معطيات عصره، ثم ينتقل إلى طرق العلاج والتدبير المألوفة والمجرّبة آنذاك. وقد كتب كتابه هذا على شكل جداول متقاطعة يشمل عددها أربعة وأربعين جدولا، ويحتوي كل منها في صفحتين ثمانية أمراض، ممّا يجعل عدد الأمراض 352 مرضا.

في الصفحة الأولى وضمن الجداول نجد اسم المرض والمزاج والسنّ والفصل والبلد، ثم درجة الخطورة (أي ما يسمّى اليوم بالإنذار Prognosis) فأسباب المرض وعلاماته، بعدها يذكر ما يسمّيه بالتدبير الملوكي؛ وهو الدواء الذي لا يكون له مذاق مرّ بحيث لا يزعج المريض، ثم ذكر التدبير السهل الوجود، وهي الأدوية المتوفّرة في كل زمان ومكان، ويمكن الحصول عليها بثمن زهيد. أما في الصفحة الثانية والمقابلة فيذكر ما يسميه التدبير العام، حيث يشرح بتفصيل أكثر طريقة التدبير والمعالجة، كما يتضمن بعض الوصفات العلاجية. وفي أوائل الصفحات ونهاياتها يقدّم بشكل موجز لهذه الأمراض وبعض صفاتها وخواصها العامة.

ويذكر بعض الباحثين أن ابن جزلة قد تأثّر بأسلوب أبي الحسن المختار بن بطلان في كتابه المجدول أيضا «تقويم الصحة»، والبعض يعتقد أنّه تتلمذ عليه. ثم تبعه آخرون في التقليد مثل الحكيم كمال الدين أبي الفضل حبيش بن إبراهيم بن محمد التفليسي في كتابه المجدول أيضا «تقويم الأدوية». وكذلك أيضا الطبيب إبراهيم بن أبي سعيد الطبيب المغربي العلائي في كتابه «تقويم الأدوية المفردة» والذي ذكر فيه 550 دواء طولا وفي العرض ستة عشر جدولا، وسمّاه «الفتح في التداوي لجميع الأمراض والشكاوي». ولعل أفضل وصف لكتاب «تقويم الأبدان» هو ما وصفه به ابن جزلة نفسه بقوله: «يستغنى به عن كثير من إطالة الأطبّاء وعن كتبهم المدوّنة فيه، وهو علم تدبير الأمراض ومعرفة الأسباب والأعراض... قليل الحجم، كثير العلم»؛

2 ـ كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، وأهداه أيضا إلى الخليفة المقتدي بأمر الله. ولسعة تداول هذا الكتاب بأيدي الأطبّاء عرف ابن جزلة بصاحب المنهاج. وقد وضعه مبوّبا على تسلسل الحروف الهجائية، ويبحث الكتاب في الأدوية والأغذية وغير ذلك مما يحتاجه الإنسان في حالتي الصحة والمرض. والمؤلّف يعيد عبارة ذكرها كثيرون في تبرير الغرض من تصانيفهم فيقول: «لم أجد كتابا مختصرا جامعا لما رمت جمعه في هذا الكتاب، بل وجدت إما ذكر الأدوية دون الأغذية أو الأغذية دون الأدوية مع إهمال ذكر كل شيء في بابه كالحشائش، والحبوب، والأوراق، والثمار، والعصارات، والأدهان».

وممّا يلفت النظر كثرة أسماء الأعشاب والأدوية والتعابير الفارسيّة في هذا الكتاب. ولا يشير ابن جزلة إلى المصادر التي أخذ منها معلوماته، مع أنه يذكر أحيانا بعضا من الأطبّاء الذين اقتبس منهم كأبقراط، وديسقوريدس، وروفس، وجالينوس، واريباسيوس، وبولس، وحنين، وابنه اسحق، والرازي، والمجوسي وغيرهم.

وفي مقدّمة الكتاب تفسير لقوى الأدوية ودرجاتها الثلاث التي يتكرر ذكرها في أكثر الكتب الطبية التراثية التي تبحث في الأدوية المفردة. وقد خصص فصولا لذكر الأدوية المفتحة والملينة والمفتتة للحصى والمدرّة للبن، كما فعل من قبله المجوسي في كتابه الملكي. وفي كل الأحوال يعتبر كتاب منهاج البيان أول كتاب من نوعه في اللغة العربية. وقد ترجم إلى اللغة اللاتينية سنة 1532م. وتوجد مخطوطات متعددة للمنهاج في مكاتب كثيرة كالقاهرة، والهند، واسطنبول، ودمشق، وبغداد. وتوجد من هذا الكتاب نسخة بخزانة دير الشرفة بلبنان مكتوبة بالكرشوني (العربي بحروف سريانية). نشير إلي أنّ ابن البيطار كتب كتابا يعارض فيه ابن جزلة في كتابه هذا، وسمّاه «الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام»؛ 3 ـ كتاب الإشارة في تلخيص العبارة فيما يستعمل من القوانين الطبية في الصحة وحفظ البدن، ولا نعرف شيئا عن محتويات هذا الكتاب، أي ما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة وحفظ البدن، وقد لخّصه من كتاب تقويم الأبدان؛ 4 ـ رسالة في مدح الطبّ وموافقته للشرع والردّ على من طعن فيه؛ 5 ـ رسالة في الردّ على النصارى، وقد كتبها إلى إليا القسّ لما أسلم، وقرئت عليه في شهر ذي الحجة سنة 466 هـ.

المصادر والمراجع

● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، تح د. نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، 1966، 343؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، مكتبة المثنى، بغداد، 467؛ ● حمارنة، سامي، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية في الطب والصيدلة، دمشق، 1969، 287 ـ 294؛ ● حميدان، زهير، أعلام الحضارة العربية والإسلامية، دمشق، 1992، ج 2، 522 ـ 529؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، مطبعة النهضة المصرية، 1949، 5/ 365؛ ● الزركلي، الأعلام، بيروت، 1984، 8/ 161؛ ● السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال، بيروت، 1990، 1/ 513 ـ 517؛ ● الشطي، أحمد شوكت، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه، منشورات جامعة حلب، حلب، 1990، 272 ـ 278؛ ● الأب لويس شيخو، علماء النصرانية في الإسلام، المكتبة البولسية، بيروت، 1983؛ ● القفطي، إخبار العلماء ليبزيغ، 1903، 365 ـ 366؛ ● قطاية، سلمان، مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبات العامة بحلب، حلب، 1976، 163 ـ 169، 365 ـ 373؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، 1957، 13/ 218، 887 ـ 888.

● Brockelmann, S 1.

د. عبد الناصر كعدان
طبيب ـ باحث في التراث العلمي
حلب ـ سوريا

الجزولي، عبد الله بن يسن

(400هـ/1008م - 451هـ/1059م)

هو الفقيه عبد الله بن يسن الجزولي المجاهد المرابط الورع الزاهد الصوام القوام، مهدي المرابطين الذي اختاره الفقيه وجاج بن زللو الفقيه المالكي المشهور والذى بنى دارا للعلم في بلده نفيس في السوس الأقصى، وسماها دار المرابطين.

ولد عبد الله بن يسن من أب صنهاجي ينتسب إلى قبيلة جزولة الواقعة في أقصى بلاد المغرب قرب جبل درن، والتي تضرب بطونها قرب مصب نهر السنغال، وكان على دراية بالصحراء ويعرف الأحوال بها، وكان قد شد الرحال إلى بلاد الأندلس طلباً للعلم والمعرفة، وكان من الفقهاء البارزين ذوي النفوس الحازمة، له رأي سديد، وتدبير حسن.

عندما اختاره الشيخ يحيى بن إبراهيم زعيم جدالة لإرشاد قومه إلى الدين الإسلامي الصحيح اتجه عبد الله بن يسن إلى ديار لمتونة، واضطر إلى محاربتها لاعتراضها على الدعوة، وكان انضمام قبيلة جدالة إلى الدعوة قد ساعد على ضم الكثير من الجماعات إليه، لكن ابن يسن لقي معارضة من النبلاء الذين سخروا منه، وحاولوا عزله وإبعاده عن الفتوى، بل وكاد بعضهم بهدم داره، واضطر إلى التوجه للمغرب طالباً النجدة من أستاذه وجاج بن زللو الذى نصحه بالعودة واستكمال الرسالة، وقد ناصره في ذلك الأمير يحيى بن إبراهيم الذي أيده في كل خطوة، واتجه الفقيه مع الأمير إلى الجنوب حيث ديار جدالة التي ناصرته حتى أثمرت الجهود لقيام دولة المرابطين.

بدأ عبد الله بن يسن في إنشاء رباط للعبادة في جزيرة صغيرة قرب مصب نهر السنغال لأنه هو الحد الفاصل بين الملثمين ومضارب الزنوج، وكانت الأربطة في بلاد المغرب قد تحولت إلى أماكن للعبادة وصيام النهار وقيام الليل، والبعد عن الهوى، وكان هذا هو الدور الإيجابي لعبد الله بن يسن.

كان الرباط الذي بناه بن يسن يتولى الدفاع عن نفسه وعن رجاله من خطر الأعداء، ويهيئ لهم سبل الحياة بيسر وسهولة وكان الرباط يضم أراضي زراعية تمد السكان بحاجتهم من الطعام.

لم يتوقف ابن يسن عند مرحلة جذب الأتباع بل كان يرسل البعوث إلى القبائل المجاورة يحثهم على الانضمام للدعوة، والدخول مع جماعته لنصرة الحق ونشر الإسلام الصحيح، واستجاب الناس لهذه الحركة، وازدادت أعدادهم حتى وصلوا إلى ألف مرابط.

لم يتهاون عبد الله بن يسن في حد من حدود الله، وكان يلزم أتباعه باتباع الحدود، وكان ينتقي من الملثمين من هو أقدرهم على العمل الشاق والجهاد، وكان هدفه:

أولاً: فتح بلاد السودان ونشر الإسلام الصحيح.

ثانياً: فرض مذهب الإمام مالك على شعوب الشمال الأفريقي.

طلب عبد الله بن يسن من أتباعه إبلاغ الدعوة إلى المناطق المجاورة؛ وصار على المرابطين حمل السيف لمحاربة الفساد في مجتمع الملثمين، ولم يأذن لهم بالخروج إلا بعد أن تأكد من الإعداد الجيد، وكان عليه اختيار زعيم للحركة بعد وفاة يحيى بن إبراهيم، وكانت هناك مشكلة الاختيار، فهل يختار من جدالة أم من قبيلة أخرى؟ لكنه قرر اختيار الأفضل ومن هو أحق بالإمارة، وجمع عبد الله بن يسن مجلساً من علية القوم، واستطاع وضع حد للفتنة.

واختار الزعيم يحيى بن عمر، وهكذا نقل القيادة من جدالة إلى لمتونة، وذلك لأنه لن يستطيع الوصول إلى الشمال دون رضاء لمتونة التي تتحكم في طرق التجارة الساحلية.

كان الزعيم الجديد يؤمن برسالة عبد الله بن يسن ويعمل على تحقيق أهدافه بكل ما أوتي من قوة، واتجه عبد الله بن يسن ناحية الشرق نحو منحنى النيجر وصوب مدينة أودغشت لاستردادها، وحمل سكان غانة على اعتناق الإسلام.

كانت المعارك ضارية والهزيمة تعني ضياع الدولة وهي في مهدها، ولذا خاض المرابطون معارك قوية حتى استشهد الزعيم يحيى بن عمر في موقعة تابفاريلا مع بعض أتباعه، ولكن حقق المسلمون النصر على الأعداء.

تولى القيادة الزعيم أبو بكر بن عمر الذي واصل النضال والجهاد واستولى المرابطون على مدينة أودغشت، وتوغلوا صوب الجنوب حتى بلاد التكرور التي تحالفت مع المرابطين.

استطاع ابن يسن أن يضع ثلاثة أسس لبناء الدولة وهي:

أولاً: إخضاع مملكة غانة وهزيمة جدالة واستمالة لمتونة.

ثانياً: إقامة حلف جديد من قبائل الملثمين من أجل إحياء السنة.

ثالثاً: نشر الإسلام الصحيح وبسط لواء العدل ورفع راية الإسلام.

بعد هذه الانتصارات، وبعد التوسعات جنوباً أخذت الحركة طوراً جديداً حيث اتجهت إلى الشمال وإلى المغرب والأندلس، وتطلع سكان المغرب الأقصى إلى هذه القوة الجديدة التي ذاع صيتها وتطلع المغاربة إلى المرابطين لإنقاذهم من الجور والمفاسد الدنيوية والضلال، واستجاب المرابطون لدعوة فقهاء سجلماسة، وتوجهت قوات المرابطين إلى هناك وهزمت أميرها، وفتحت المدينة لتبدأ صفحة جديدة في حياة المرابطين.

انتهج ابن يسن سياسة الحزم والقوة لفرض الإسلام الصحيح ولم يتوقف عن الجانب العلمي لرسالته حتى أنه خلق في الصحراء جواً من العلم والمعرفة لم يألفه الناس من قبل، كما خلق جيلاً من الفقهاء الذين اشتهروا بالورع.

واصل عبد الله بن يسن غزواته في إقليم

السوس عام 451هـ ـ 1059م، وواصل المرابطون زحفهم في مناطق الصحراء حتى استشهاد عبد الله بن يسن عام 1059 بعد أن حافظ على السنّة المحمّدية ومذهب الإمام مالك، وظل متمسكاً بأهداب الشريعة، عاملاً على إحيائها، وجعل من حركة المرابطين دولة واسعة مترامية الأطراف امتدت إلى قلب أفريقيا جنوب الصحراء، ودخلت قلب إمبراطورية غانة.

لقد ترتب على حركة جهاد الشيخ عبد الله بن يسن عدة نتائج حيث إن القبائل التي كانت تقاتل بعضها بعضاً طوال سنوات طويلة، انضمت إلى هذه الحركة، وصارت لحمتها وسداها، وتشكلت طلائع المرابطين الذين امتدوا في الصحراء ونشروا الإسلام الصحيح في هذه الجهات.

استطاعت هذه الحركة بفضل سياسة الحزم والشدة التي اتبعها عبد الله بن يسن أن يعيد للإسلام صورته المشرقة، وأن يلتزم الناس بتعاليم وآداب هذا الفقيه والذي أقام مجتمعاً إسلامياً متماسكاً.

استطاعت الحركة أن تضع نهاية للصراع الدائم بين القبائل العربية وبين مملكة غانة، ونجحت قوات المرابطين في الدخول إلى عاصمة غانة. وبهزيمة غانة انساقت الدعوة الإسلامية في غرب القارة، ودخل الناس أفواجاً في الدين الإسلامي.

نجحت الحركة في القضاء على ملك زناتة، وانتقلت إلى المغرب الأقصى ثم انتقلت إلى الأندلس لصد هجمات الفرنجة، فكانت خطواتها ومشاركتها في حرب الجهاد، وحماية تراث الإسلام وحضارته أمام هذه القوى الأجنبية، فكانت حركة مباركة سطرت بحروف من نور صفحات مشرقة في الجهاد الإسلامي، نجحت في جمع الأندلس والمغرب وأفريقيا جنوب الصحراء تحت قيادة واحدة.

نجحت الحركة في إعلاء مذهب الإمام مالك الذي صار المذهب السائد في كل هذه المناطق بعد الصراع الطويل مع المذهب الشيعي.

اتضح من جهاد الشيخ عبد الله بن يسن أنه لم يكن مجرد مجاهد لإعلاء كلمة الحق والدين، بل كان يقرأ القرآن ويفسره، ويروي الحديث ويشرحه، ويعلم الناس أحكام الدين. وترتب على هذه الحركة تخريج جيل من الفقهاء والدعاة الذين امتدوا شرقاً وغرباً حاملين لواء الزهد والتقشف وأصول الدين الصحيح. كان هذا فاتحة الخير لهذه المنطقة وإخراجها من إطارها المحلي إلى المجال العالمي.

ورغم كل هذا الجهد الكبير في الدعوة الإسلامية إلا أن المصادر لا تشير إلى مؤلفات لهذا الفقيه الورع.

المصادر والمراجع

● ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء السادس، بولاق 1284هـ؛ ● البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دي سلان، الجزائر 1857هـ؛ ● حسن، أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، الطبعة الثانية 1966؛ ● ابن أبي زرع، أبو

الحسن علي بن عبد الله، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس أوبسالة 1843؛ ● النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم، نهاية الأرب، غرناطة، الجزء 22، 1919، ص 172؛ ● القلقشندي، الشيخ أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، القاهرة 1913، ج 5؛ ● عبد الله عبد الرازق إبراهيم، دراسات في تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة 1998؛ ● التيجاني (من أعيان القرن الثامن الهجري)، الرحلة التيجانية، مخطوط بدار الكتب، ص 8؛ ● ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، 3 أجزاء، ليدن 1848، وباريس 1930، الجزء الأول؛ ● المراكشي، عبد الواحد، وثائق المرابطين والموحدين، تح. د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، 1997.

د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم
معهد البحوث والدراسات الإفريقية ـ القاهرة

الجزولي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن

(ت حوالي 870هـ/1465م)

أبو محمد عبد الله محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي السملالي، من أهل جبال السوس الأقصى جنوب المغرب.

يرجع المؤرّخون نسبه إلى علي بن أبي طالب، اعتمادا على قوله: «ليس العزيز من تعزّز بالقبيلة وحسن الجاه، وإنّما العزيز من تعزّز بالشرف والنسب. أنا شريف في النسب، جدي رسول الله» [ممتع الأسماع، ص 5؛ إظهار الكمال، ص 236].

وقد نظم عبد السلام بن الطيّب القادري هذا النسب في كتابه [الإشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف، الخزانة العامّة بالرباط رقم 310 د، ص 31-32].

ويستبعد محمد المهدي الفاسي انتساب الجزولي إلى الأشراف الحسينيين حسبما ورد في نسخة «معتبرة» ـ كما قال ـ من "دلائل الخيرات"، بل يرجع انتسابه إلى الحسينيين، خاصّة أنّ المعروف أنّ سليمان بن عبد الله الكامل بن حسن نزل بتلمسان ودخل أكثر أولاده إلى لمطة وسوس الأقصى، فلا يبعد أن يكون اسمه قد سقط في تسلسل النسب [ممتع الأسماع، ص 3].

ويكتنف سيرة الجزولي كثير من الغموض، فالمراحل غير واضحة، والآراء فيها متضاربة، كما يطغى الجانب الأسطوري على الواقع.

ولد الجزولي في مدشر «تانكرت» في سوس ببلاد الساحل على وادي يعرف بهذا الاسم. ولا نعرف متى كان ذلك على وجه التحديد؟ ويصعب التقدير ما دامت المصادر لم تشر إلى عمره عند وفاته، ولعلّه كان سنة 807هـ/ 1404 ـ 1405م [فروخ، تاريخ الأدب العربي، 6/ 657]، واختلف في تحديد تاريخ وفاته كذلك، على أنّ هناك من قال إنه توفّي مسموما في مكان اسمه أفغال في 16 ربيع الأوّل 870هـ/ 9 أوت 1464م.

وقد خرج الجزولي من بلاده لقتال بها [الاستقصاء، 4/ 122]، فقد عرفت سوس في آخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع صراعات داخليّة، إذ كانت من أكثر المناطق خروجا على المخزن ورفضا لسلطته من جهة، ومواجهة للاستعمار البرتغالي الذي تسرّب إلى المنطقة من جهة أخرى.

وقصد مدينة فاس لطلب العلم فنزل بمدرسة الصفارين. وكان يعيش حياة عزلة وتأمّل، إذ لم يكن يُدخل أحدا إلى غرفته التي كان يخلو فيها بنفسه بعدما نقش على جدرانها كلمات: الموت ـ الموت.. وهذا مظهر من مظاهر عدم الاستقرار، والبحث عن شيخ مرب يمكن السلوك على يديه. لذلك اضطرّ الجزولي إلى السفر إلى المشرق للاتصال بالعلماء والشيوخ المربّين. وتحدد الروايات المدّة التي قضاها به سبع سنوات، طاف فيها في مدن الحجاز ومصر، ومدينة القدس، وأخذ عن عبد العزيز العجمي [ممتع الأسماع، ص 22]. ويبدو أنّه لم يعثر على ضالّته، مع طول أمد جولته، وتنوّع أماكن زيارته، فعاد إلى المغرب وحلّ بفاس من جديد. وإن كان الأمر قد اختلط على بعض المصادر، فلم تميّز بين رحلته العلمية الأولى، وهذه السفرة الثانية إلى المدينة. وفيها ألّف كتابه دلائل الخيرات [إظهار الكمال، 238]، والتقى الإمام أحمد بن عيسى البرنسي الشهير بأحمد زروق الذي أرشده إلى الشيخ المربي، والمعين على سلوك الطريق، وهو أبو عبد الله محمد امغار الصغير بـ «تيط» [تحفة الكرام للمنفلوطي، حسين بن مصطفى غانم، 7أ].

نزل الجزولي عند شيخه، وأخذ عنه ورْد الشاذلية ودخل في فترة خلوة وتأمّل وعبادة بإشارة منه ـ حسب ما قيل ـ إلّا أنّها طالت حتّى بلغت أربع عشرة سنة. فلم يخرج منها إلا وقد أخذت الكرامات تصدر عنه، حسب تعبير صاحب «ممتع الأسماع».

وكان مشدّدا على نفسه. يمضي الليل والنهار في تلاوة أوراده. وهي: سلكتان من دلائل الخيرات، ومائة ألف من باسم الله الرحمٰن الرحيم، وسلكة وربع السلكة يختمها كل ليلة من القرآن الكريم [إظهار الكمال، ص270].

وتختلف الروايات حول توقيت زيارته لمراكش وتعرّفه بها إلى مريده عبد العزيز التباع، وأسرته بحي القصور. فهناك من يجعلها بعد خلوته وعودته من «تيط». وهناك من يجعلها بعد رجوعه من فاس. وفي الحالتين يبقى تحديدها الزمني غير ممكن ما دمنا نجهل كذلك تاريخ ميلاد التباع الذي كان طفلا صغيرا انذاك. ويبدو أنّ فترة الخلوة والتأمّل كانت كافية لاكتمال الطريقة وبروزها لدى الجزولي. فشرع في نشرها بين مريديه وتلامذته.

وكانت آسفي من المدن الأولى التي ظهر فيها نفوذ الجزولي. ساعد على ذلك استعداد أهلها لتقبّل الطريقة. فقد عرفت فيها قبل طريقة أبي محمد صالح. وبالقرب منها كان رباط كوز هرتنانة، هذه الزاوية التي كانت تعرف تعاليم الشاذلية. فشيخها أبو سعيد عثمان الهرتناني هو شيخ أبي عبد الله محمد الصغير امغار الذي أخذ عنه الجزولي؛ إضافة إلى وقوعها في منطقة عند مصب تانسيفت بالقرب من المدينة. لهذا بلغ مريدوه بها خمسة وستين وستّمائة واثني عشر ألفا، الشيء الذي جعل السلطات المرينية تتضايق منهم، خاصّة أنّ الفترة كانت فترة ضعف السلطان المركزي بفاس مع ما يترتّب على مثل هذه الحالة من ظهور الدويلات الطامعة في الحكم. فأمره الوالي بمغادرة المدينة.

وسيكون مصير الجزولي متشابها في كل المدن والقرى التي سيزورها ولنفس الأسباب. بل لقد ازداد مريدوه وأنصاره بعد انتشار خطر الاحتلال الأجنبي للشواطىء المغربية، ويأس الناس من قدرة الدولة الحاكمة الضعيفة على مواجهة الأحداث.

ففي ماسة بسوس تم إجباره بعد فترة قصيرة من حلوله بها على الخروج، فنزل بأفوغال من بلاد الشياظمة، وتمكّن روبير مونتاني Montaigne، وبيير دوسنفال Pierre de cinval من التعرّف إلى هذه القرية التي صارت تعرف باسم «أحد الدرا». وفيها اتّجه نحو التعليم وتربية المريدين، وقضى زهاء سبع سنوات بينهما وبين «تازروت» فكثر أتباعه وتلامذته بهما، وكانت نهايته أن سمّه حكامها بعدما تضايق منهم.

وقد وقع الاختلاف حول تاريخ مقتله إذ جعلوه بين تسع وستين وثمانمائة 869هـ وخمس وسبعين وثمانمائة 875هـ، ويرجح زروق سنة سبعين وثمانمائة لأن الفقيه أبا عبد الله محمد بن قاسم القروي تلقى سؤالا في شأن عمرو المغيطي الذي قام بعد مقتل الجزولي طالبا بثأره. وبما أنّ القروي قد توفّي سنة اثنين وسبعين وثمانمائة [فهرس ابن غازي] فإنّ الشيخ يكون قد توفّي قبل هذا التاريخ بالطبع [ممتع الأسماع، ص11 - 12].

ويمكن تعليل سر انتشار الطريقة الجزولية وتطوّرها في شكل فروع متعدّدة، بسنّيتها وواقعيّتها.

فهي لم تدخل في جدل فلاسفة التصوّف، وإنّما حافظت على كثير من أسباب التوازن بين الشريعة والحقيقة. ومن هنا كان تركيز الجزولي في مقالاته على تلقين المريد أحكام الشريعة، ومعرفة الخالق وتوحيده والإسلام وأركانه وقواعده، والإيمان وشُعَبه وتطوّره إلى مرحلة الإحسان. وتأتي بعد ذلك المعارف الصوفية التي صبّ اهتمامه فيها على المسائل الأساسية التي تعين المريد على طيّ المقامات وقطعها للوصول إلى الهدف المنشود، فكان تركيزها على أبرز أشواطها: البداية - التمكين - النهاية. دون الدخول في التفاصيل والآراء المحدّدة لها. وضمن لنفسه المحافظة على وحدة الأمّة بعدم الخروج على إجماعها (الاتجاه السني).

وتبدو الواقعيّة في الاهتمام بالجانب التطبيقي من التصوّف أكثر من الاهتمام بالتنظير والمناقشة الفلسفية، لهذا ركز أقواله وأجوبته

في جوانب التلقين: توبة المريد وعلاقته بالشيخ المربي، وآداب المجالسة، وآداب المريد، وأهمّية الأذكار في تطهير النفس والروح من العلل والعيوب، والرقي بها في مدارج المعرفة الصوفية. ويتبلور هذا الاهتمام في كثرة الأحزاب والأذكار التي ألّفها، والتصليات التي وضعها والتي تشغل كافّة أيام الأسبوع ومختلف ساعات النهار. وتبدو الواقعيّة كذلك في مراعاة ظروف المخاطبين من مريدي عصره، وما كان أكثرهم، بتبسيط دروسه إليهم إلى أقصى الحدود ليفهمها محدودو الثقافة، مع تخصيص الحديث عن المجاهدة والمراقبة والمشاهدة لأكثرهم ثقافة وأقدمهم تربية.

وكان الجزولي يعيش أحداث عصره، فأسهم في صنع تاريخه، إذ لم تكن قضايا الطريقة لتحول بينه وبين ذلك، وإن كان جهاد النفس أكبر وأعظم. فدعا مريديه إلى مناهضة الاستعمار الذي كان يعيث فسادا في منطقة سوس ويحتلّ بلاد الإسلام. وقد عبر عن ذلك في كتاباته عندما قال: «ودولتنا دولة المجتهدين، المجاهدين في سبيل الله، القاتلين أعداء الله» [ممتع الأسماع، ص5 - 6؛ بادرة الاستعجال، ص50]. هذه الواقعيّة أعطت لتصوّف الجزولي وطريقته نكهة خاصّة، وقربت بين مواقف مريديه ومواقف السلف الصالح في عبادة الله ونصرة دينه وأمّته؛ وهو ما كان ينقص كثيرا من الطرق الصوفية التي كانت ذاتية أكثر من اللازم، ففقدت مصداقيتها وشعبيّتها.

فروع طريقته الطريقة العيساويّة نسبة إلى محمد بن عيسى (ت 933هـ/ 1526م) وهي التي حفظت مؤلّفات الشيخ الجزولي، وساهمت في انتشارها.

وقد عرف عن الجزولي سعيه الدائم في طلب العلم والتعمّق في المعارف الدينيّة، فكان إلى جانب ثقافته الواسعة في مجال التصوّف، فقيها متمكّنا يحفظ عن ظهر قلب المدوّنة والمختصر الفرعي لابن الحاجب ومناقبه وأخباره مسرودة في كتاب «ممتع الأسماع؛ مناقب الشيخ الجزولي ومن له من الأتباع» وهو مجهول المؤلّف.

آثاره

1 - دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار، النسخة السهيلة منقولة عن المؤلّف، مخ. الخزانة اليوسفية بمراكش 377، ولها عدة شروح وطبعات، وهو مجموعة صلوات على النبيّ مع وصف ضريحه، وذكر أسمائه وصفاته وغير ذلك، طبع عشرات المرّات. وكان تصنيفه له بفاس، مستعينا بما في مكتبة القرويين من ذخائر؛ 2 - حزب الشيخ أو الحزب الكبير، م.خ.ع بتطوان 447؛ 3 - حزب الفلاح أو الصغير، م. خ. ع بتطوان 447 وهما عبارة عن نصّ دعاء وتأمّل وجداني وروحي في حقيقة الذات الإلهيّة وتجلّياتها وسرّ وحدانيّتها، وقد آثر الجزولي أن يضع نصّ هذين الحزبين بلغة تقارب كثيرا العامّية وتعتمدها في مواضع عديدة، ولعلّ هذا ما كان وراء الانتشار الكبير لهما فقد صارا من محفوظات الطريقة العيساويّة نسبة إلى محمد بن عيسى (ت 933هـ)؛ 4 - عقيدة الجزولي، مخ. الخزانة الحسينيّة بالرباط ضمن مجموع رقم 7245 من 24 إلى 36؛ 5 - رسالة التوحيد،

توجد أوائلها في خزانة ابن يوسف رقم 587، من ص41 إلى43؛ 6 ـ كتاب الزهد، توجد أوائله في خزانة ابن يوسف بمراكش رقم 587، من 43 إلى 44؛ 7 ـ أجوبة في الدنيا والدين، مخ. الخزانة العامّة بالرباط رقم 731 ق، ص 15 ـ 16؛ 8 ـ من كلام الشيخ الجزولي، في ممتع الأسماع، ط. حجريّة؛ وبادرة الاستعجال، مخطوطة خاصّة بالرباط.

■ المصادر والمراجع

• الناصري، أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ط. دار الكتاب، الدار البيضاء 1954؛ • القادري، عبد السلام بن الطيب، الإشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف، مخ. الخزانة العامّة بالرباط رقم 310 د؛ • السملالي، عباس بن إبراهيم، إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش السبعة رجال، مخ. الخزانة الحسنيّة رقم 232؛ • السملالي، عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مطبعة ملكية 1974 ـ 1982؛ • المنفلوطي، حسين بن مصطفى، تحفة الكرام في بعض مناقب غوث الأنام قطب جزولة، مخ. الخزانة العامّة بالرباط 925 د؛ • فهرس ابن غازي، تح. محمد الزاهي، ط. الرباط 1979؛ • محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع، ط. حجريّة، فاس 1305 هـ، وتح. عبد الحي العمري وعبد الكريم مراد، ط 1994؛ • جلّاب، حسن محمد بن سليمان الجزولي، مقاربة تحليلية لكتاباته الصوفية، ط1، مراكش 1993، ط. ثانية 1999؛ • فرّوخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت 1983، 6/ 656 ـ 661.

د. حسن جلّاب
كلية اللغة العربية ـ مراكش ـ المغرب
د. محمد الكحلاوي
كاتب ـ تونس

■ الجزولي، أبو موسى عيسى بن عبد العزيز

(ت 607هـ/1210م) ■ ■ ■

عيسى بن عبد العزيز بن يلّبخت ـ بفتح الياء وتشديد اللّام، ومعناها بالبربريّة صاحب البخت ـ أبو موسى الجزولي، نسبة إلى جزولة قبيلة من قبائل سوس الشهيرة بالنباهة، وثقافة ملائمة لقيام أنشطة علمية، كما نبغ فيها كثير من رجال العلم.

ولد بموضع يدعى «إيداوغردا» من جزولة، لا

نعرف عن نشأته الأولى ما يساعدنا على الإلمام بأطوار طلبه للعلم في بلده، لكنّ ابن عبد الملك في كتابه «الذيل والتكملة» أفرد له ترجمة طويلة كشفت عن جوانب هامّة من نشاطه العلمي في المراحل اللاحقة.

طوف أبو موسى الجزولي في الآفاق سعيا وراء طلب العلم، فحلّ بالديار المقدّسة لأداء فريضة الحجّ ومنها ذهب إلى مصر ودرس على شيوخ أجلّاء، نذكر منهم: ابن بري رئيس النحويين بمصر، وهو أجلّ شيوخه في العربيّة؛ وأبو المحاسن مهلّب بن الحسن بن بركات المصري؛ وأبو محمد الحجري شيخ القراءات والحديث.

وروى بالإسكندرية عن السلفي أبي حفص التميمي. ثمّ اتّجه إلى بجاية ويمتاز مقامه بها بدورين: الأوّل دور التلميذ، فقد أخذ بها على أبي عبد الله بن إبراهيم أصول الفقه، ولزمه حتّى أتقنه، والثاني دور الأستاذ، إذ درّس بها مدّة إقامته العربية، وانتفع به خلق كثير، ومن أشهر تلاميذه: ابن معطي صاحب «الدرّة الألفيّة».

ثم رحل إلى المريّة فكتب بها زمانا، وأخذ عن جماعة من أهلها، ونشر علما كثيرا في طريق عودته إلى المغرب بإفريقية والأندلس، وتخرّج عنه الكثير من نحاة هذا البلد. أنهى أبو موسى الجزولي رحلته وتنقّله في الغرب الإسلامي، وفضّل الإقامة بقيّة حياته بمرّاكش بعد أن سلخ من عمره نصف قرن أو يزيد، ومرّاكش في أوج ازدهارها السياسي والحضاري والثقافي، كما كانت عاصمة الموحّدين، أعني عاصمة المغرب، والأندلس، والجزائر، وتونس، وطرابلس الغرب.

وفي ضوء تفاعل أبي موسى مع البيئة الجديدة، وعلاقته مع عناصرها، نقسّم هذه الفترة الأخيرة من حياته إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة الحياة العامّة التي انتصب فيها لتدريس العربيّة. ولمّا اشتهر أمره، وعرف قدره انثال الطلبة على مجالس من المغرب وخارجه، حتّى ضاق بهم ذلك المسجد الذي كان يدرّس فيه، فانتقل إلى مسجد ابن الأبكم لما كان عليه من حسن الإلقاء، ودقّة الفهم، وغزارة المادّة النحويّة والعربيّة.

المرحلة الثانية: لم يكد الجزولي يستقرّ بمرّاكش، ويمارس نشاطه العلمي في مراكز الثقافة العامّة حتّى اهتمّ به الخليفة المنصور الموحّدي فسلّط عليه أعوانه لمراقبة أحواله، والكشف عن باطن أمره، ولمّا تأكّد ممّا هو عليه من الدّين والزهد، والتقشّف، والإعراض عن الدنيا، والانقطاع إلى العلم وأهله، وابتعاده عن مخالطة الأمراء والولاة، وأصحاب الجاه، قرّر إجباره على الدخول في «حضرته» ليجعله أحد عناصر تلك البيئة، وقد قدّمه المنصور إلى «الطلبة» بالجامع الأعظم، وأسند إليه الخطبة به، وكان يعتقد فيه الخير التامّ، فأوصى بأن يغسله عند موته تبرّكا به، فكان الأمر كما أراد.

وبعد وفاة المنصور أكرمه ابنه الناصر، واستصحبه في أسفاره، وتبرّك بلقائه إلى أن وجّهه رسولا ومصلحا في قضيّة بين صنهاجة الساكنين بأزمور، فتوفّي هناك ودفن بتربة الشيخ الفاضل أبي شعيب الصنهاجي المعروف بـ«السارية».

آثاره

1 ـ القانون، وهو أشهر مؤلّفاته، وقد تعدّدت أسماؤه في الكتب التي ترجمت للجزولي، فهو المقدّمة، وهو الجزولية، وهو المقدّمة الجزولية تارة أخرى، وهو الاعتماد، وهو الكراس، وهو التقييد، والتعليقة، وكلّ تلك الأسماء لمسمّى واحد.

قال ابن خلكان في الوفيات، [1/ 498]: «لقد أتى فيها بالعجائب وهي في غاية الإيجاز، مع الاشتمال على شيء كثير من النحو، ولم يسبق إلى مثلها..».

ضغط أبو موسى في قانونه مسائل النحو ضغطا قلّل كثيرها، ثمّ زاد على ذلك فأعراه من الأمثلة، وأخلاه من الشواهد إمعانا منه في الإيجاز، فأدّى ذلك الاكتناز البالغ إلى عسر فهمه حتّى على المتخصّصين في النحو. حقّق بعناية الدكتور شعبان عبد الوهاب محمد، واعتمد في تحقيقه مخطوطة المكتبة التيموريّة. وقد وضعت عليه شروح عديدة، منها:

- شرح أبي زكريا يحيى بن معط الزواوي، سمّاه «المشكاة والنبراس في شرح الكرّاس»، مخطوطة بخزانة القرويّين بفاس، المغرب.

- شرح أبي إسحق العطّار

- عمر بن محمد الملقّب بـ «الشلوبين»، له ثلاثة شروح عليه:

الأوّل، سمّاه «التوطئة»، وهو وجيز ميسّر، طبع محقّقا بعناية د. يوسف مطوع من الكويت. والثاني، الشرح الصغير، قام بتحقيقه الشيخ ناصر الطريم من كلّية اللغة العربية بالرياض. والثالث، الشرح الكبير، منه بقيّة مخطوطة في أوراق.

- شرح أبي عمرو عثمان بن عمر الكردي المعروف بـ «ابن الحاجب»، توجد منه مخطوطة بخزانة القرويّين بفاس، المغرب.

- شرح لأبي محمد بن أحمد بن الموفّق اللورقي، سمّاه المباحث الكاملة، وهو أكمل شروح القانون وأوفاها، حقّقه وأعدّه للطبع د. شعبان عبد الوهاب محمد من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة.

- شرح محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، سمّاه المنهاج الجليّ في شرح القانون الجزولي، وغيرها راجع كشف الظنون.

2 ـ شرح القانون؛ 3 ـ أمالي في النحو؛ 4 ـ شرح الإيضاح الفارسي جملة؛ 5 ـ شرح شواهد مفردة؛ 6 ـ شرح أصول ابن السرّاج؛ 7 ـ تعليقات على كتاب سيبويه؛ 8 ـ تنبيهات على مفصل الزمخشري.

المصادر والمراجع

● أحمد الزواوي، الجزولي، أبو موسى، مطبعة موناستير، المحمّدية، 1984م؛ ● التعارجي، عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حلّ مرّاكش وأغمات من الأعلام، 9/ 404، تح. عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكيّة، الرباط، 1980م؛ ● القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة، تح. محمد أبو الفضل، مطبعة دار الكتب المصريّة، 1952م، 2/ 378؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف،

لبنان، 1966م؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل، الطبعة الثانية، دار الفكر، 1979م، 2/ 236؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربيّة رمضان عبد التوّاب، الطبعة الثالثة، دار المعارف، 5/ 349؛ ● دائرة المعارف الإسلاميّة، الترجمة العربية، 1933م، 6/ 449؛ ● عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، رقم 19، مكتبة المدرسة ودار الكتاب، بيروت؛ ● المراكشي، ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، القسم الأوّل من السفر 8، تح. محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، 1984م، ص 246؛ ● الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 5/ 26؛ ● ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القرّاء، عني بنشره ج. برجستراسر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلميّة، بيروت 1980م، 1/ 611؛ ● البغدادي، هديّة العارفين، منشورات المثنى، بغداد، عن مطبعة استانبول، 1951م، 2/ 807؛ ● ابن خلكان، وفيّات الأعيان، تح. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 3/ 488.

د. أحمد متفكر
جامعة القاضي عياض ـ مراكش ـ المغرب

ابن جزيّ الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد

(693هـ/1294م ـ 741هـ/1340م)

في الأصل «ابن جُزَيْئِن»: تصغير لكلمة «جزء». قلبت الهمزة ياء. وأدغمت في مثيلتها فأصبحت «ابن جزيّ» وقد تقرأ بالتّخفيف «ابن جُزَيْ».

هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرّحمان بن سعيد بن جزيّ الكلبي الغرناطي الأندلسي المالكي، القاضي والمفتي. ولد في التاسع عشر من ربيع الأوّل من سنة 693هـ/ 1294م. وتوفّي شهيدا في واقعة طريق ضحوة في السابع من جمادى الأولى من سنة 741هـ/ 1340م. وهي معركة دارت بين الجيش العربي الإسلامي بقسميه النّصري والمريني وبين جيشي قشتالة والبرتغال بظاهر طريق من الجزيرة الخضراء جنوب شبه الجزيرة الإيبيريّة، وامتُحن فيها المسلمون.

وابن جزي من أهل غرناطة ومن ذوي الأصالة والنّباهة فيها. وينتمي إلى أسرة كان لها ظهور في دولة بني الأحمر. وتعود شهرتها إلى نبوغ عدد من رجالاتها في علم الشّريعة. أمّا أصل الأسرة فمن «وَلْمَة» من حصون البراجلة التي تقع في منطقة البشرات الجبليّة في جنوب

غرناطة (وقيل من أعمال شنت بريّة Santaver شمال شرقيّ طليطلة). نزل بها أوّلهم عند الفتح العربي للأندلس صحبة قريبهم القائد أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي (ت 130هـ/ 748م)، وكان لجدّه الثالث أبي بكر يحيى رئاسة وانفراد بالتّدبير بمدينة جيّان. بويع بها في رمضان 539هـ/ 1144م بعد أن اندلعت الثّورة ضدّ المرابطين بالأندلس في الرّبع الثاني من القرن 6هـ/ 12م.

عكف ابن جزي منذ نعومة أظافره على دراسة مختلف علوم عصره بشغف واجتهاد عرف بهما واشتهر: درس على كبار شيوخ عصره بغرناطة أمثال أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير المحدّث والمؤرخ (ت 708هـ/ 1308م)، قرأ عليه العربيّة واللّغة والحديث والقرآن، ودرس القرآن على الشيخ المقرئ أبي عبد الله بن الكمّاد (ت 712هـ/ 1312م). كما أخذ عن صاحب الرّحلة أبي عبد الله بن رشيد (ت 721هـ/ 1321م)، والوليّ الصّالح محمد بن أحمد الطنجالي (ت 724هـ/ 1323م).

ولمّا امتلأ وطابه علما، جلس لتدريس العلوم اللّغويّة والشرعيّة بغرناطة. وكان من تلامذته علم الأندلس الأكبر لسان الدّين بن الخطيب (ت 776هـ/ 1374م)، وأبو محمّد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي (ت 749هـ/ 1348م) الذي ذكره في فهرسته، وإبراهيم بن محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي (ت بعد 750هـ/ 1349م). وقد نوّه ابن الخطيب بطول باع شيخه علما وعلوّ درجته فضلا، وسموّ منزلته ورعا وتقوى. وقرأ على ابن جزيّ أبناؤه الثلاثة وهم: قاضي الجماعة الفقيه أبو بكر أحمد، (ت 785هـ/ 1383م)، والفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد (ت 758هـ/ 1356م) مدوّن رحلة ابن بطوطة، والبارع في العلوم الشيخ أبو محمد عبد الله (ت في النصف الثاني من القرن 8هـ/ 14م).

وابن جزي مثال العالم العامل بعلمه، لذا وقع تفضيله وتقديمه لخطّتي الإمامة والخطابة بالمسجد الجامع بغرناطة رغم صغر سنّه وكثرة من هو جدير بهما بعاصمة بني نصر. كما تولّى الإفتاء بغرناطة، ووصلت فتاويه إلى طرابلس بالعدوة الإفريقيّة.

لم يخصّص ابن جزي - باستثناء الفوائد العامّة في لحن العامّة - كتابا في اللّغة والنّقد. وإنّما نجد في كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» مقدّمتين:

I - المقدّمة الأولى [ص 4]، وتحتوي على 12 بابا هي على التوالي:

1 - في نزول القرآن؛ 2 - في السّور المكّية والمدنيّة؛ 3 - في المعاني والعلوم التي تضمّنها القرآن؛ 4 - في فنون العلم التي تتعلّق بالقرآن؛ 5 - في أسباب الخلاف بين المفسّرين؛ 6 - في ذكر المفسّرين؛ 7 - في النّاسخ والمنسوخ؛ 8 - في جوامع القراءة المشهورة والشاذة؛ 9 - في الوقف؛ 10 - في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان؛ 11 - في إعجاز القرآن؛ 12 - في فضل القرآن.

II - المقدّمة الثانية [ص 15] في تفسير معاني اللّغات، ذكر فيها الكلمات التي يكثر دورانها في القرآن أو تقع في موقعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف ابتداء من الهمزة إلى الياء.

وبالنسبة إلى المقدّمة الأولى ميّز ابن جزي في الباب العاشر منها بين الفصاحة والبلاغة، ثمّ تحدّث عن عناصر علم البيان وسمّاها أدوات البيان.

والفصاحة عند ابن جزي لها خمسة شروط [ص 14]: الأوّل أن تكون الألفاظ عربيّة لا ممّا أحدثه المولّدون ولا ممّا غلطت فيه العامة؛ الثاني أن تكون من الألفاظ المستعملة لا الوحشيّة المستثقلة؛ الثالث أن تكون العبارة واقعة على المعنى، موفية له، لا قاصرة عنه؛ الرابع أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد؛ الخامس أن يكون الكلام سالما من الحشو ، وهكذا تشمل الفصاحة عنده اللّفظة والعبارة.

وبالنسبة إلى البلاغة فهي عنده سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقال من الإيجاز والإطناب ومن التّهويل والتعظيم والتحقير ومن التصريح والكناية والإشارة وشبه ذلك بحيث يهزّ النّفوس ويؤثّر في القلوب ويقود السّامع إلى المراد أو يكاد [ص 13].

وبالنّسبة إلى أدوات البيان عرّفها ابن جزي بأنّها صناعة البديع وهو تزيين الكلام كما يزيّن العَلَم (رسم في الثوب) الثوب. ثمّ ذكرها وهي: المجاز والكناية والالتفات والتجديد والاعتراض والتجنيس والطّباق والمقابلة والمشاكلة والتّرديد ولزوم ما لا يلزم والقلب والتقسيم والتتميم والتكرار والتّهكم واللّفّ والنّشر والجمع والترصيع والتسجيع والاستطراد والمبالغة [ص 14].

وأمّا الباب الحادي عشر من المقدّمة الأولى، فقد خصّصه لإعجاز القرآن، وجعل وجوهه عشرة: الأوّل فصاحته، الثاني نظمه العجيب، الثالث عجز المخلوقين عن الإتيان بمثله، الرّابع ما جاء فيه من الأخبار الماضية، الخامس ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة، السادس ما فيه من التعريف بالباري ﷻ ونقل أوامره ونواهيه والدّعوة إلى الصّراط المستقيم، السّابع أحكام القرآن وما شرع فيه من حلال وحرام، الثامن كونه محفوظا من الزّيادة والنّقصان دون سائر الكتب، التاسع تيسيره للحفظ، العاشر كونه لا يملّ قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد. وتمثل الوجوه الثلاثة الأولى حديثا عن الإعجاز من الوجهة البيانيّة.

وصلنا من شعر ابن جزي بعض المقطوعات فيها عفويّة وسهولة تنمّان عن حسّ مرهف، وإيمان عميق، وخلق رفيع ومنها: قطعة بيّن فيها غرضه من الحياة على طريقة أبي العلاء قال: [الطويل]

لكلّ بني الدّنيا مرادٌ ومقصدُ
وإنّ مُرادي صحّةٌ وفراغُ

لأبلغَ في عِلم الشريعة مبلغًا
يكون به لي للجنان بلاغُ

ففي مثل هذا فلْيُنافس أولو النّهى
وحسْبيَ من دار الغرورِ بلاغُ

فما الفوزُ إلّا في نعيمٍ مؤبّد
به العيش رغدٌ والشراب يساغُ

آثاره

لم يقتصر نشاط ابن جزي على التّدريس بل «دوّن وصنّف»، وكما كان متعدّد الاختصاصات في التّدريس، كان موسوعيًا في التأليف. ويمكن أن نقسّم إنتاجه على النّحو التالي:

أ ـ التفسير:

1 ـ التّسهيل لعلوم التّنزيل، طبعه مصطفى محمّد، مصر 1355 كما طبع بتونس بدون تاريخ (صورة عن الطبعة الأولى المصريّة)؛ 2 ـ الجواهر الحسان، انفرد بذكره ابن القاضي في درّة الحجال ج 2/ 117.

ب ـ القراءات:

3 ـ أصول القرّاء الستّة غير نافع؛ 4 ـ المختصر البارع في قراءة نافع.

ج ـ الحديث:

5 ـ الأنوار السّنيّة في الكلمات السّنّية. ذكر الزركلي أنّه مطبوع؛ 6 ـ الدّعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار، نرجّح أنّه في الحديث. ذكره ابن فرحون في الدّيباج ـ ص 295؛ 7 ـ وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم.

د ـ الفقه والأصول:

8 ـ تقريب الوصول إلى علم الأصول؛ 9 ـ القوانين الفقهيّة في تلخيص مذهب المالكيّة والتّنبيه على مذهب الشّافعيّة والحنبليّة والحنفيّة. قام بنشره عبد الرّحمان بن حمدة اللّزام الشريف، ومحمد الأمين الكتبي بتقديم السيّد معاوية التّميمي، ط 1، تونس 1344هـ/ 1926م. وأعيد طبعه، تونس، ليبيا 1982. هو كتاب في قوانين الأحكام الشّرعيّة ومسائل الفروع الفقهيّة على المذهب المالكي. وزاد المؤلّف فنبّه على كثير من الاتّفاق والاختلاف بين مالك وأبي حنيفة والشافعي وابن حنبل، ولابن المؤلّف قاضي الجماعة أبي بكر أحمد تعليق عليه. أشار الزركلي أنّه طبع بفاس، وأنّ له نسخة مخطوطة في خزانة إصريف بالسّوس. وحققه أيضا د. عدنان زرزور، ود. محمّد رضوان الدّاية؛ 10 ـ النّور المبين في قواعد عقائد الدّين.

هـ ـ اللّغة:

11 ـ الفوائد العامّة في لحن العامّة.

و ـ علم الرّجال:

12 ـ فهرسة كبرى اشتملت على جملة كثيرة من علماء المشرق والمغرب.

ويغلب على مؤلّفات ابن جزي الطابع التعليميّ بما فيها من اختصار ووضوح وتبويب وتقسيم. ولنا في «التسهيل» و«القوانين الفقهيّة»، و«الأنوار السّنيّة» وهي الكتب التي وصلتنا وطبعت خير نموذج على ذلك.

المصادر والمراجع

● ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف، نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان، تح. د. محمد رضوان الدّاية ط. بيروت، 1976، ص 165 ـ 166؛ ● التّنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج، طبع على هامش كتاب الدّيباج لابن فرحون، ط 2 بيروت، بدون تاريخ، ص 238؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هديّة العارفين، ط إسطنبول، 1951. 2/ 160؛ ● ابن الخطيب، الإحاطة، تح. محمد عبد الله عنان، طبعة القاهرة، 1395هـ/ 1975م، مجلّد 3، ص 20، 61، 198، 561؛ ● ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناهم من شعراء المائة الثامنة، تح. إحسان عبّاس، ط.

بيروت، 1983، ص 46 الترجمة عدد 7؛ ● الدّاية، محمد رضوان، تاريخ النّقد الأدبي في الأندلس، ط 1، بيروت، 1968، ص 529؛ ● الزركلي، الأعلام، ط بيروت، 1980، مجلّد 5، ص 325؛ ● شيخة، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشّعر الأندلسي، ط. تونس، 1994، ج 2، ص 314 ـ 319؛ ● ابن فرحون، الدّيباج، ط 2، بيروت، بدون تاريخ، ص 295؛ ● ابن القاضي، درّة الحجال، تح. محمد الأحمدي أبو النّور، ط. تونس، 1971، ج 2/ 117، الترجمة عدد 566؛ ● مخلوف، محمد، شجرة النّور الزّكيّة، ط. بيروت، 1349، ص 213، الترجمة عدد 746؛ ● المقّري، أزهار الرّياض، ط. الرّباط، 1978، ج 3، ص 184، 185، 186، 187؛ ● المقّري، نفح الطّيب، تح. إحسان عبّاس، ط. بيروت، 1968، ج 2/ 514، ج 5/ 514، 515، 516، 526، 640.

د. جمعة شيخه
جامعة تونس

الجزيري القصري، أبو نصر الفتح بن موسى

(588هـ/1192م ـ 663هـ/1265م)

الفتح بن موسى بن حماد بن عبد الله الأموي الجزيري القصري، نجم الدين، أبو نصر، الأصولي، النحوي، الأديب.

ولد في مدينة الجزيرة الخضراء، وهي من مدن الأندلس الشهيرة، في شهر رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. وعاش في حجر والده الشيخ موسى بن حماد الجزيري الذي أشرف على تربيته وتعليمه، فقد صحبه معه عند انتقاله إلى المغرب وإقامته بمدينة قصر عبد الكريم، وكان عمر الفتح خمس سنوات، أقام أبو نصر الفتح عشر سنوات بقصر عبد الكريم يتعلّم خلالها ويدرس على شيوخها وفقهائها، فأتقن ما وصل إليه من علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية، فلما بلغ الخامسة عشرة من عمره أحب العودة إلى الجزيرة الخضراء وابتدأ بالاشتغال على علمائها بدراسة النحو، ومطالعة الكتب المصنّفة فيه لرغبته الشديدة في إتقان هذا العلم والتميّز فيه، وسرعان ما ظهرت عليه أمارات هذا التميز والتفوّق، فسارع بالرحلة إلى إفريقية، فدخل تونس في سنة سبع وستمائة، ولم تطل إقامته فيها، فشدّ الرحال إلى الديار المصرية فدخلها في السنة نفسها، وأقام بالقاهرة مدة خالط علماءها واجتمع بشيوخها ولازم العلامة الجزولي الشيخ

عيسى بن عبد العزيز النحوي المراكشي حتى وفاته (ت 607هـ) ودرس مقدمته النحوية المعروفة بـ «الجزولية» وأتقنها، ولم يفت في عضده موت شيخه الجزولي فأقام بالقاهرة ثلاث سنين يأخذ عن شيوخها ويطلع على مراكزها الثقافية ويدرس فيها ما كان به حاجة إلى دراسته، حتى أتقن علم النحو والعربية إتقانا تامًا فرغب في الرحلة إلى بلاد الشام فدخلها سنة عشر وستمائة والتقى العلامة اللغوي أبا اليمن تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي (ت 613هـ) الذي عرف بمكانته اللغوية والأدبية فتصدّره للتدريس في عدة مدارس بدمشق، فالتحق أبو نصر الفتح بحلقة درس تاج الدين الكندي وأخذ عنه علوم اللغة والأدب، ثم واصل رحلته إلى البلاد الشمالية من بلاد الشام فدخل حماة واتصل بالعلامة سيف الدين أبي الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي (ت 631هـ) أستاذ العلوم العقلية الذي اشتهر عنه تفرّده بالحكمة والمنطق والفلسفة وله مصنفات كثيرة، فانضوى أبو نصر الفتح تحت لوائه يسمع منه ويأخذ عنه هذه العلوم حتى أحكمها وبرع فيها، وفاق أقرانه بها حيث أصبح المشار إليه بها في ذلك الوقت.

كان أبو نصر الفتح من علماء عصره الأجلاء برع في علوم شتى، وتميّز في الكثير منها، وصار له صيت بالمشرق العربي، ومنزلة رفيعة، ثم اشتغل في مذهب الشافعي وله جلالة ومكانة متميّزة. وكان دائم الاشتغال ليل نهار. وقد نال إعجاب المعاصرين له والمؤرّخين، فقد وصفه السيوطي (ت 911هـ) بقوله: «كان فقيهًا فاضلاً شافعيًا، أصوليا، نحويًا، عارفًا بالعروض والحكمة والمنطق»، وأثنى عليه أبو عبد الله محمد المراكشي (ت 703هـ) قائلاً: «وكان محدثًا راوية مكثرًا، متسع السماع صحيحه، فقيها شافعيًا، شاعرًا مجيدًا مدح الملوك وحظي لديهم، وصنف في ما كان ينتحله من العلوم»، ووصفه شمس الدين الذهبي (ت 748هـ) بقوله: «الشافعي، الأصولي، وكان من فضلاء زمانه...».

وعلى الرغم من نصوص المدح والثناء عليه، لم نحظ في المصادر التي ترجمت له وأشادت بعلمه وفضله بمن تتلمذ له وأخذ عنه سوى اثنين من الطلبة هما:

أبو محمد عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك الرعيني المالقي الرندي (ت 632هـ) مات مبكّرًا في سن الكهولة إثر مرض عضال، وكان محدثًا ضابطًا متقنًا، قائمًا على معرفة الرجال، قدم للإمامة بجامع مالقة فمرض قبل الصلاة فيه بالناس ثم توفي. ولا ريب أنه سمع من أبي نصر الفتح وأخذ عنه كثيرًا من مسموعاته ومروياته ولاسيما في رحلته إلى المشرق العربي في علم الكلام والأصول والمنطق والجدل والخلاف ذاعت شهرتها في عصره وفاقت على مصنفات غيره.

وشمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلّكان (ت 681هـ) المؤرّخ المشهور صاحب الكتاب النفيس «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» كانت له صلة وثيقة بأبي نصر الفتح ومودة أكيدة في أثناء إقامته بالقاهرة وقد جمعت بينهما رابطة الأدب والشعر، فقد روى ابن خلكان من شعره وأخذ عنه، وللأسف الشديد لم يترجم له في كتابه «وفيات الأعيان».

ولمنزلة أبي الفتح العلمية بين علماء عصره ولبراعته في عدة علوم أُسندت إليه وظائف

علمية تدريسية أبانت عن أهليته ومقدرته الفائقة على القيام بواجباتها على أكمل وجه، فقد باشر التدريس بالمدرسة النظامية، ودرس بمدينة رأس عين بمدرسة عماد الدين بن المشطوب وعند انتقاله إلى مصر واستيطانه بأسيوط درس بالمدرسة الفائزية بأسيوط حتى توفّي بها.

وقد تولى العلامة أبو نصر الفتح وظائف إدارية جليلة، ومهام ذات مسؤولية كبيرة، أسفرت عن حسن سيرته وقيامه بما أسند إليه أحسن قيام منها: مباشرة ديوان الإنشاء، والقيام بواجباته ومراسلاته ومكاتباته، وكذلك تولى القضاء بأسيوط فسار فيه سيرة حسنة نالت إعجاب الرعية والحكام.

آثاره

خلف أبو نصر الفتح مجموعة طيبة من الكتب النافعة في موضوعات متعددة نالت إعجاب الطلبة والدارسين، وذاعت شهرتها في عصره وحياته منها:

1 ـ نظم الإشارات والتنبيهات في المنطق والحكمة للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله الشهير بابن سينا (ت 428هـ)؛

2 ـ نظم السيرة النبوية لمحمد بن إسحاق (ت 151هـ) وسماها «الوصول إلى السؤال» وقد نظمها على قافية رائية في اثني عشر ألف بيت، تدل دلالة واضحة على قدرته على النظم وإصابة العربية بحيث استوعب هذا الكتاب الضخم في مجموعة هذه الأبيات؛

3 ـ نظم المفصل في النحو للعلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)؛ 4 ـ منظومة في العروض.

المصادر والمراجع

● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء الكتب وآثار المصنفين، المكتبة الإسلامية، إستانبول 1967م، 1/ 814؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المكتبة الإسلامية، إستانبول 1967م؛ ● الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، نسخة خطية محفوظة بمكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم 3010، 663هـ؛ ● م.س، ذيل سير أعلام النبلاء، تح. عبد السلام محمد عمر علوش، أبو عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1417هـ/ 1997م، ص67؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، 1984م، 5/ 134؛ ● السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح. محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1964 ـ 1976م، 8/ 348؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1967م، 2/ 242؛ ● ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، تصحيح د. عبد العليم خان، دائرة المعارف العثمانية، الهند 1399هـ/ 1979م؛ ● م.س، طبقات النحاة واللغويين، نسخة مصورة عن نسخة مكتبة الظاهرية بدمشق، رقم 110؛ ● المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1965م.

د. إيمان صالح مهدي
جامعة بغداد ـ العراق

الجسر، حسين بن محمد بن مصطفى

(1261هـ/1845م ـ 1327هـ/1909م)

حسين بن محمد بن مصطفى الجسر الطرابلسي، ينتهي نسبه إلى بني مائي من دمياط. انتقلت أسرتهم من مصر إلى بلاد الشام حوالي سنة 1170هـ/ 1756م. عالم فقيه، متصوّف، شاعر، أديب، صحافي.

ولد في طرابلس «محلّة بوّابة الحدّادين» في 23 شهر رمضان سنة 1261هـ، ونشأ يتيمًا، إذ توفّي والده «أبو الأحوال» وهو في السنة الأولى من عمره. فكفله عمّه مصطفى الجسر، واعتنى بتربيته، فأرسله إلى الكتّاب، فتعلّم القرآن الكريم، وشيئا من الخطّ. ثمّ انتقل إلى حلقة الدرس العلميّة، فقرأ على عبد القادر الرافعي، والشيخ عرابي مبادىء النحو والصّرف والفقه... لكنّ طموحاته العلميّة حملته إلى الأزهر فوصل مصر عام 1279هـ. وأقام فيها خمس سنوات مكبًا على التفسير والحديث والفقه واللغة.. لازم حسين المرصفي الأزهري (ت 1307هـ/ 1889م) أحد أعلام النهضة، وصاحب الأفكار الاصلاحية، والداعي إلى تعلّم اللغات الأجنبيّة، والاقبال على المصطلحات الحديثة: الأمّة والوطن، والحكومة والحرّية، والعدالة، والظلم، والتربية، والسياسة... ورفع شعار النهضة التربويّة لتطوير المجتمع... وقبل أن يرتوي، من علوم الأزهر، اضطرّ عام 1284هـ للعودة إلى لبنان لاشتداد المرض على عمّه، فاستقرّ في طرابلس، وقد خلف أباه وعمّه في مشيخة الطريقة الخلوتيّة. وأخذ يعقد الحلقات الصّوفيّة معتقدا على طريقة الشعراني في أوّل كتاب ألفه سنة 1305هـ أنّ تدبير الكون منوط بالقطب، والإمامين، والأوتاد، والأبدال بحيث لو فقد واحد منهم لاختلّ نظام العالم، وأنّ كرامات الأولياء لا تقف عند التصرّف في الكون والمخلوقات في حياة الأولياء فقط وإنّما تستمرّ إلى ما بعد الموت [حسين الجسر، نزهة الفكر، ص 195 ـ 210، 183 ـ 184]؛ وقد اضطلع بالتدريس في المدرسة «الرجبيّة» وفي أروقة المسجد المنصوري فتوافد الطلّاب إلى حلقته من مختلف البلاد السوريّة. لكن حسين الجسر، الذي شهد تمركز الارساليات الغربيّة في لبنان، أدرك «أنّ طريقة التدريس عل الأصول القديمة، لا تأتي بالفائدة المطلوبة، بل يجب تبديلها بسواها» فأسّس المدرسة الوطنيّة عام 1880م، وحظيت بتأييد مدحت باشا، زعيم الحركة الاصلاحية في تركية. وتوزّعت برامجها بين التقليد والتجديد. فحضنت:

1 ـ العلوم الدينيّة: التفسير، والحديث، والفقه، والعبادات، والتوحيد...

2 ـ علوم الآلة: النحو، والصرف، واللغة، والبلاغة، والعروض، والانشاء، والأدب، والشعر.

3 ـ العلوم الفنّية: المنطق، والحساب، والهندسة، والجغرافية، والتاريخ.

4 ـ القانون العثماني

5 ـ اللغات الأجنبيّة: التركيّة، والفرنسية قراءة وكتابة.

هذا التطوّر في المنهج التعليمي أزعج جماعات الوقوفيّة فحاربوا المدرسة وصاحبها واستصدروا «فرمانًا» يمنع طلّابها من دخول امتحان الاستثناء من الخدمة العسكريّة. ممّا اضطرّها إلى إقفال أبوابها عام 1883م، فانتقل الجسر إلى بيروت ليعمل مديرًا للمدرسة السلطانيّة، وكان من أساتذتها الشيخ محمد عبده، وأحمد عباس الأزهري، وإبراهيم الأحدب... وتأثر الجسر بمحاضرات محمد عبده التي كان يلقيها على طلبة المدرسة السلطانيّة... وكانت نواة لكتابه «رسالة التوحيد» نشرها للدفاع عن التوحيد الاسلامي ومواجهة النظريات الحديثة.

بعد عام رجع إلى مسقط رأسه، وتابع رحلته الاصلاحيّة والتعليميّة، تخرّج عليه عدد من الطلبة النابهين منهم ولده محمد حسين الجسر (ت 1353هـ/ 1934م)، رئيس مجلس الشيوخ اللبناني، زمن الانتداب الفرنسي، وأمين عز الدين، قاضي طرابلس... وعبد القادر المغربي، عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ثمّ في مصر. ومحمد رشيد رضا (ت 1354هـ/ 1935م) الصّحافي، والمفسّر، والمؤرّخ، والمصلح الاجتماعي (صاحب المنار).

إنّ الأفكار الاصلاحيّة التي حملها الجسر دفعته إلى اصدار جريدة طرابلس الأسبوعيّة بمساعدة محمد كامل البحيري، وتولّى الجسر رئاسة تحريرها. صدر عددها الأوّل في 13 آذار سنة 1893م. نشر على صفحاتها مقالاته، وقد بثّ فيها آراءه النهضويّة، والاقتصاديّة، والتربويّة، والأدبيّة... عاش بداية عصر التنوير، فسعى لانهاض بلده وأمّته من خلال مقالات موجّهة وجريئة، تعرض مشاكل المجتمع؛ فتعرّض لانتقادات وملاحقات ولتعطيل جريدته، وخصوصًا أيّام عبد الحميد، وقد أبى الجسر أن ينضمّ إلى رجال السلطان، أو أن يكون من المروّجين لحكمه الظالم، أو أن يجاري أبا الهدى الصيادي في نشر أفكار وقوفيّة، لكنّه اضطرّ إلى مجاراة الوضع السياسي، الذي يتطلّب اللّين، ومجاملة الحكّام، ليحفظ طريقه الجهادي، إذ كان ينشر مقالات الاصلاحيّة وإلى جنبها الأخبار التي تروّج للسلطان وحكمه، ممّا دفع جمال الدين الأفغاني إلى مخاطبة الجسر قائلاً: «ما هذا يا أستاذ! إنّ جريدتكم جمعت بين الكفر والإيمان، أقرأ في صفحاتها الأولى الحضّ على الفضيلة والخير ومكارم الأخلاق، وفي باقي الصفحات ضروبا من التخلّف والنفاق...».

ظلّ الجسر يعمل في التأليف والصحافة والتدريس، والإفتاء الحر والإصلاح حتّى وفاته في طرابلس سنة 1327هـ/ 1909م.

بدأ الجسر بقراءة جديدة للفقه، وسار معه في اتّجاهين:

1 ـ عَرَضَ في تدريسه وتأليفه لقضايا الفقه التقليديّة التي لا بدّ منها، في تقرير أحكام العبادات والمعاملات، وتبيين الحلال

والحرام... وضع من أجل ذلك رسائل لارشاد الناس مثل «اشارات الطاعة في حكم صلاة الجماعة»، و«رسالة في صدقة الفطر»، و«ذخيرة المعاد في فضائل الجهاد». لكنّه تخلّى عن الطريقة الموروثة في الشرح والتحشية...

2 ـ وطالب علماء المسلمين ألّا يعترضوا على المكتشفات العلميّة المؤكّدة، التي لا مجال لإنكارها، حتّى لا يقف الاسلام عائقا في طريق التطوّر العلمي السليم، أو حتّى لا يكون رادعًا لأبنائه عن المشاركة في مواكبة التطوّرات العلميّة. لكن رغم اصطناعه نزعة عقلية هيأته للخوض في المسائل الفلسفيّة والعلميّة، لمجابهة الفلسفات الجديدة والعلم الحديث، ولتقرير العقائد الدينيّة بأدلّة عقليّة تناسب الأزمنة الحديثة، إلّا أنّه ظلّ طيلة حياته محافظًا شديد الحذر، قصْده الرئيس مناهضةُ شُبَه العلم الحديث والفلسفات المستجدّة بمناهج عقليّة كلاميّة. ويستند منهجه في الفهم إلى ثلاث مقدّمات أساسيّة: الأولى أنّ الأصل في العقائد الإسلاميّة الدليل العقلي القاطع لا الدليل الظنّي؛ الثانية تضافر الدليل العقلي والدليل الشرعي واستبعاد التقليد في حالة توافرهما؛ الثالثة أنّ مقصود الشريعة بيان معرفة الله وصفاته وكيفيّة عبادته، وبيان الأحكام التي توصّل إلى انتظام المعاش وحسن المعاد. أما التعريف بمباحث «العلوم الكونيّة» فليس من مقاصد الشرائع، وما ورد منه على سبيل الإجمال لأجل أن يكون «دليلا عقليّا للناس على وجود إله العالم وعلى اتّصافه بالعلم والقدرة والحكمة إلى غير ذلك» [الرسالة الحميديّة، ص283 ـ 289؛ الحصون الحميديّة، ص 100 ـ 103].

قاوم حسين الجسر الفلسفات الحديثة الوافدة إلى العالم الإسلامي من الغرب، وبخاصّة تلك المرتبطة بالعلم الحديث وبنظريّاته المنحدرة من القرن التاسع عشر وفي مقدّمتها النظريّة النشوئيّة الداروينيّة. وفي كتابيه، عزم على أمرين أساسيّين: الأوّل التصدّي لهذه الفلسفات، والثاني بيان أنّ العقائد التي انطوى عليها هذا التوحيد ممّا يبدو لا عقلانيّا - كالمعجزات مثلا - هي، ابتداء من النظريات العلميّة الحديثة، جائزة عقلاً [جدعان، أسس التقدّم، ص216]. وفي هذا الإطار توسّل الجسر بالمقدّمات العقليّة الصارمة التي استجذبها فلاسفة الإسلام والمتكلّمون المسلمون القدماء عروضًا «تقليديّة» رقيقة لأصول الديانة الإسلامية رأى أنّها تصلح للعصر الحديث. بيد أنّ الذي وقف عنده وخصه بعنايته الفائقة هو الخطر الآتي من «الدهريّة» العلميّة القائلة بقدم العالم، مادّةً وحركة، ومن النظريّة «النشوئية» القائلة بتنازع البقاء والانتخاب الطبيعي، حيث يذكر «الماديون النشوئيون جملة القضايا الدينية المتعلّقة بالبعث، والملائكة، والحقّ، والسماوات، والعرش، والكرسي، واللوح، والقلم، وأمثال ذلك» [الرسالة الحميدية، ص 157]. وفي رأي الجسر أنّ المبدأ في هذا المذهب هو الاعتقاد بقدم العالم اعتقادًا لا يلجىء إلى تقرير وجود إله، فيكفي إذن لإسقاط المذهب برمّته اللجوء إلى برهان الخلف بالتدليل على صدق القضيّة المناقضة، أي حدوث المادّة بإحداث إله لها من العدم. وهو ما يفعله الجسر مستندا تارة إلى أرسطو

وأخرى إلى الإسلاميين من الفلاسفة والمتكلّمين. ويفعل الأمر نفسه في مسائل «النشوء» وأصل الإنسان، والانتخاب الطبيعي حيث يرى أنّ النصوص الدينيّة تكلّمت على تطوّرات وترقيات في خلق ذرّية الإنسان لكنّها سكتت عن مسألة بيان النشء، أما أدلّة النشوئيين فهي «ظنّيّة» منبأها الفروض [الرسالة، ص 300 ـ 327]. ويؤكّد الجسر أنّ ما جاء في الشريعة الإسلاميّة من أمر البعث، والملائكة، والمعجزات، والسموات ليس ممّا ينكره العقل. وفي مسألة البعث على وجه التحديد أكّد الجسر أنّ حصول البعث بالفعل مردّه الشرع، إلّا أنه جائز عقلا. وهو يقدّم جملة من الأدلّة التي يعترف بأنّها «ليست برهانيّة قاطعة» وبأنّها «إقناعيّة تذعن لها العقول وتطمئنّ لها القلوب» [الرسالة، ص 362؛ الحصون، ص 95 ـ 96].

لقد أفاد الجسر إفادة عظيمة من قراءاته لكتب العلوم الطبيعيّة الحديثة التي كانت تتوافر في «الكلّيّة البروتستانتية السوريّة» لكنّه ظلّ حريصًا على ألّا يأخذ منها إلا ما يوافق الإسلام ومعتقداته، كما أنّه في معالجته المختلفة كان أجنح إلى التقليد وأبعد عن النهج التجديدي الذي سار عليه الشيخ محمد عبده.

آثاره

1 ـ الرسالة الحميديّة في حقيقة الديانة الاسلاميّة، وحقيقة الشريعة المحمّديّة، مطبعة ولاية سوريّة، دمشق 1305هـ؛ 2 ـ الحصون الحميديّة للمحافظة على العقائد الإسلاميّة، مطبعة السعادة، 1323 هـ، البابي الحلبي، مصر 1955م، ط 2؛ 3 ـ نزهة الفكر في ترجمة الشيخ محمد الجسر، المكتبة الأدبيّة، بيروت 1306هـ؛ 4 ـ اشارات الطاعة في حكم صلاة الجماعة؛ 5 ـ رياض طرابلس الشام، عشرة مجلّدات، نشرها في جريدة طرابلس؛ 6 ـ هديّة الألباب في جواهر الآداب، منظومة من الرجز في الأخلاق وحسن السلوك، المطبعة الميمنيّة، بيروت 1298هـ؛ 7 ـ الكواكب الدرية في الفنون الأدبيّة؛ 8 ـ سيرة مهذّب الدين، رواية اجتماعيّة تتضمّن نقدًا للعادات والأخلاق، نشرها في جريدة طرابلس؛ 9 ـ ديوان شعر، يضمّ حوالي ثلاثة عشر ألف بيت؛ 10 ـ العلوم الحكميّة في نظر الشريعة الاسلاميّة؛ 11 ـ البدر التمام في مولد سيّد الأنام؛ 12 ـ تربية المصونة؛ 13 ـ التوفير والاقتصاد؛ 14 ـ الذخائر في الفلسفة الاسلاميّة؛ 15 ـ القرآن الكريم وعلوم اقتباسه شيئا من التوراة والانجيل، وعصمة الأنبياء؛ 16 ـ ذخيرة المعاد في فضائل الجهاد؛ 17 ـ رسالة في صدقة الفطر.

المصادر والمراجع

● الجسر، محمد، تاريخ حياة سيدي الوالد الشيخ حسين الجسر؛ ● جدعان، فهمي، أسس التقدّم عند مفكّري الاسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، عمان 1988م، ط3؛ ● الزركلي، الأعلام، 2/ 258؛ ● جرجي زيدان، تاريخ آدب اللغة العربيّة، مكتبة الحياة، بيروت، 4/ 589؛ ● سركيس، يوسف اليان، معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة، قم 1410 هـ، 1/ 698؛

● فانديك، ادورد، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، دار صادر، بيروت، ص 514م؛ ● فهرس مخطوطات الظاهرية؛ ● عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، 9/ 287؛ ● ميقاتي، محمد نور الدين، طرابلس في النصف الأول من القرن العشرين، ص 103 ـ 104؛ ● نوفل، عبد الله، تراجم علماء طرابلس وأدبائها، مكتبة السائح، طرابلس 1984م، ص 167 ـ 172.

د. فهمي جدعان
الجامعة الأردنية ـ الأردن
د. حسن نصر الله
الجامعة اللبنانية
طرابلس ـ لبنان

الجصّاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي

(305هـ/ 917م ـ 370هـ/ 981م)

أحمد بن علي أبو بكر الرازي [البغدادي، 4/ 314]، المعروف بالجصّاص [ابن قطلوبغا، ص 17؛ انظر تحقيق اسمه في الطبقات السنية، ص 268] الفقيه، إمام أهل الرأي في وقته، شيخ الحنفية ببغداد.

أجمع مترجمو الجصّاص على أنّ ولادته كانت سنة 305هـ/ 917م لكنّهم لم يذكروا مكانها. أمّا د. عجيل جاسم النُّشمي، محقق كتاب أصول الفقه للجصّاص ـ فقد جعلها بالريّ [أصول الفقه، 1/ 11] غير أنّه لم يوثّق معلومته، ولعلّه استند فيما ذهب إليه إلى نسبته لمدينة الريّ: الرازي.

وجعل اللكنوي ولادته ببغداد [الفوائد البهيّة، ص 28]، وكذلك فعل السيد محمد علي إيازي في كتابه «المفسّرون»، [ص 110]. ولا أعتقد أنّ هذا صحيح لأنّ بعض مترجميه أشار إلى كونه دخل بغداد في شبيبته [البغدادي، 4/ 314]، وأنّ دخوله إليها كان سنة 325هـ/ 936م [الصيمري، ص 172] فتكون سنّه حين دخلها حول العشرين، يعني في شبيبته.

اعتبر الأغلب أنّ وفاة الجصّاص كانت ببغداد في 7 ذي الحجّة 370هـ/ 981م [ابن قطلوبغا، ص 17]. وشذّ الداودي فجعلها سنة 376 هـ/ 987 م [طبقات المفسّرين، 1/ 55] ولا نعلم مصدره في ذلك. كما شذّ اللكنوي فجعلها سنة 315هـ/ 928م نقلا عن شرح المواهب اللدنيّة للزرقاني [الفوائد البهيّة، ص 288؛ شرح المواهب، المطبعة الأزهرية، 1327 هـ، 6/ 331]. ويعود هذا فيما يبدو إلى تشابه بين اسم مترجمنا وبين محدّث نيسابور الإمام أحمد بن عليّ بن الحسين بن شهريار الرازي ثمّ النيسابوري

[سير أعلام النبلاء للذهبي، 11/ 631].
والتاريخ الصحيح لوفاة أبي بكر الجصّاص هو 370هـ/ 981م لأنّه الذي عليه الأغلب، ولأنّ سنّه عند الوفاة كانت 65 سنة [البغدادي، 4/ 315]. ولمّا كانت سنة ولادته 305هـ/ 917م محلّ إجماع تعيّن أن تكون سنة وفاته هي سنة 370هـ/ 981م.
وذكر بروكلمان [G, SI, 335] وسبايز O. Spies [EI2, II, 498] أنّ وفاته كانت بنيسابور. ولعلّهما وقعا في نفس الاشتباه الذي وقع فيه اللكنوي، غير أنّ الإمام المحدّث، المشتبه به قد ولد بنيسابور ولكنّه توفّي بالطابَران [سير أعلام النبلاء، 11/ 631].
أكثر الجصّاص من التنقّل بين البلدان، وذلك يعود إلى عاملين اثنين هما: طلب العلم والآفات التي أصابت عدّة مناطق تنقل بينها الجصّاص كالأوبئة، وغلاء الأسعار [أصول الفقه، ص 14؛ الكامل لابن الأثير، مصر، طبعة أولى، 1353هـ، 6/ 249، 281، 288، 299، 321، 347 ـ 348]. فبعد أن دخل بغداد سنة 325هـ/ 936م خرج إلى الأهواز بعدما أصاب الغلاء بغداد، ثمّ عاد إليها ليخرج منها إلى نيسابور لتلقّي العلم، ثمّ عاد إلى بغداد سنة 344هـ/ 956م حيث استقرّ نهائيًا.
وفي البلاد التي زارها الجصّاص التقى بالعديد من الشيوخ.
تلقّى أبو بكر الفقه والأصول ببغداد على أبي الحسن عبيد الله [عبد الله، كشف الظنون، 2/ 1634] ابن الحسين الكرخي 340هـ/ 952م صاحب المختصر في فروع الحنفية. وقد صنّفه ابن كمال باشا في الطبقة الثالثة من طبقات الفقهاء السبعة، وهي طبقة المجتهدين في المسائل [طبقات الحنفيّة، مخطوط، 122 بتونس، دار الكتب الوطنيّة، رقم 17976] لكن هناك من اعتبره أعلى من هذه الطبقة [الفوائد البهيّة، ص 108، تعليق 1].

كان للكرخي دور في توجيه الحياة العلمية لأبي بكر، فهو الذي أشار عليه بالخروج إلى نيسابور مع الحاكم النيسابوري [الجواهر المضية، 1/ 85] كما كان له دور في توجيه حياته الروحية؛ فقد اقتفى أبو بكر الجصّاص خطوات شيخه الكرخي في زهده وورعه [ابن قطلوبغا، 17].

وفي رحلته إلى نيسابور أخذ الجصّاص الفقه على أبي سهل الزُّجاجي [في كتاب الجواهر المضيئة، 1/ 84، الزجاج] تلميذ أبي الحسن الكرخي [ترجمة الزجاجي في كتاب الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، 171] ولعلّه قد تأثّر به في قوّة جدله الذي كان به مشتهرا [نفس المرجع، ص 171].

روى أبو بكر الحديث عن عدد من المشايخ، منهم أبو الحسن عبد الباقي بن قانع (351هـ/ 963م) حافظ بغداد [سير أعلام النبلاء، 12/ 153]، وقد أكثر من الرواية عنه في كتاب الأحكام. ولقي ببغداد أيضا دَعْلَجْ بن أحمد (351هـ/ 963م) المحدّث، الحجّة، الفقيه. وفي نيسابرو جلس إلى أبي العبّاس محمد بن يعقوب الأصمّ (346هـ/ 958م) محدّث نيسابور [الوافي بالوفيّات، 5/ 223].

وبأصبهان أخذ عن أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (360هـ/ 971م) مسند عصره [شذرات الذهب، 3/ 30]، وأبي محمّد عبد

الله بن جعفر بن فارس (346هـ/ 958م) محدّث أصبهان[شذرات الذهب، 2/ 372].
أمّا اللغة فقد أخذها عن أبي عمر محمد بن عبد الواحد المطرّز البغدادي (345هـ/ 957م) صاحب ثعلب وإمام الكوفيين في النحو واللغة [الوافي بالوفيات، 8/ 243].
اشتغل الجصّاص بالتدريس والإفتاء والتأليف. أمّا القضاء فإنه قد دعي إليه وامتنع من قبوله [الجواهر المضيئة، 1/ 84]، ولعلّ ذلك كان من شدّة تأثير شيخه الكرخي، فقد كان يمقت القضاء ويهجر من يليه من أصحابه [الصيمري، ص 167]. وأمّا التدريس فقد باشره ببغداد سنة 344هـ/ 956م بعد رجوعه من نيسابور، وقد كان تولّاه أبو عليّ الشاشي (344هـ/ 956م) بأمر من الكرخي حين فلج، فلمّا عاد الجصّاص إلى بغداد كان الشاشي عليلا علّة الموت، فجلس للتدريس مكانه في مسجد الكرخي ثمّ في أماكن أخرى ببغداد [الصيمري، ص 169، 172].
تخرّج على الجصّاص عدد من الفقهاء المتميّزين منهم:

- أبو بكر محمد[في EI2 II ،498 أحمد] بن موسى الخوارزمي (403هـ/ 1013م) الذي عدّ من المجدّدين للدّين على رأس المائة الرابعة [الفوائد البهية، ص 201 - 202].

- أبو عبد الله محمد بن يحيى الجرجاني (398هـ/ 1008م) شيخ أبي الحسن أحمد القدوري (428هـ/ 1037م) صاحب المختصر الشهير [الفوائد البهيّة، ص 30]. وقد أخطأ O. Spies حين عدّ القدوري من تلاميذ الجصّاص [EI2 II ،498].

- أبو الحسن محمد بن أحمد الكماري (417هـ/ 1027م) الفقيه العدل والد إسماعيل قاضي واسط [الفوائد البهيّة، ص 155 - 156].

- أبو الحسن محمد بن محمد بن أحمد الزعفراني (393هـ/ 1003م) المشتهر بالفقه والثقة والصلاح [الفوائد البهيّة، ص 155].

- أبو القاسم عليّ بن محمد التنّوخي (343هـ/ 955م) الذي تقلّد القضاء في عدّة بلدان وكان يختلف إلى أبي بكر الرازي مع أبي الحسن الزعفراني المذكور قريبًا [الفوائد البهيّة، ص 137 - 138، 155].

لم نر من لقّب الجصّاص بالمفتي سوى الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء» [12/ 411]. وذكر د. النشمي في مقدّمة تحقيقه لكتاب أصول الفقه للجصّاص أنه لمّا فلج الكرخي جعل التدريس لأحمد بن محمد الشاشي والافتاء لأحمد بن محمد الدامغاني، فلمّا عاد الجصّاص من نيسابور إلى بغداد سلّمت له المهمّتان. ويحقّ للجصّاص أن يتولّى خطّة الإفتاء لأنه - وإن صُنّف في طبقة أصحاب التخريج من المقلّدين [الطبقة الرابعة؛ ابن كمال باشا، 122 أ] - فقد اعتبره بعضهم من المجتهدين في المذهب، يعني من رجال الطبقة الثانية من الطبقات السبع التي صُنّف إليها علماء الحنفيّة [الفوائد البهيّة، تعليق محمد بدر الدين أبي فراس النعساني، ص 27؛ النشمي، ص 21]، وهو ما يظهر جليًا في مؤلّفاته التي تدلّ على مستوى رفيع في الاجتهاد. يضاف إلى هذا أنّ للجصّاص كتابا يسمّى «الواقعات» يذكر فيه ما سيحدث من القضايا وكذلك الحكم فيها [الطبقات السنيّة، ص 478، 480].

ومعلوم أنّ كتب الواقعات تحتلّ المرتبة الثالثة في كتب الفقه الحنفي بعد كتب الأصول والنوادر [أبو حنيفة، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط 2، 1955، ص 222].

لم يهتم مترجمو الجصّاص عموما بذكر عقيدته لولا أنّ الذهبي قد أشار في كتابه «سير أعلام النبلاء» [12/ 412] إلى كونه كان يميل إلى الاعتزال، وفي تواليفه ما يدلّ على ذلك. وأثار الباحثون المعاصرون هذا الموضوع، فمنهم من اعتبره معتزليا [الوزاني، الجصّاص الرازي ومنهجه في التفسير، ص 66]، وآخرون جعلوه يميل إلى عقيدة المعتزلة [الذهبي، التفسير والمفسّرون، 3/ 107 ـ 108؛ محمد علي إيازي، المفسّرون، ص 111]، ويؤيّد هذا الرأي تصنيف أبي بكر في كتاب سرح العيون للحاكم الجشمي بين الأصحاب بجعله في الطبقة الثانية عشرة من طبقات المعتزلة، وهي التي تلي طبقة القاضي عبد الجبّار [الطبقتان 11 و12 من كتاب سرح العيون، الدار التونسية للنشر، طبعة 2، 1406هـ/ 1986م، ص 391؛ فرق وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد سيّد، دار المطبوعات الجامعية، 1972]. واعتمد أصحاب هذا الرأي أساسا على تفسير الجصّاص لعدد من الآيات بما يوافق مذهب الاعتزال كالاعتقاد بنفي الرؤية [أحكام القرآن، 4/9، تفسير الآية 103، الأنعام] والعدل [أحكام القرآن، 2/ 17، آل عمران، الآية 78] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [أحكام القرآن، 2/ 29 ـ 34، باب فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، آل عمران، الآية 104].

أمّا أصحاب الرأي الثاني فقد أبعدوا أبا بكر عن الاعتزال، ومن هؤلاء شفيق كبّي محقّق كتاب «الإجماع للجصاص» وقد اعتمد مقالة د. النشمي في الموضوع في كتابه «أحمد بن عليّ الرازي الجصّاص»، وعلّل رأيه بقوله: «وليس بالضرورة أن يكون معتزليّا إذا اشتغل بعلم الكلام فوافق رأيا للمعتزلة» [الإجماع، ص 115].

آثاره

ترك الجصاص مؤلفات كان أغلبها شروحا على أمّهات الكتب في الفقه الحنفي من المتقدّمين والمتأخّرين في عصره. وكان عصر أبي بكر عصر انتشار المذاهب الأربعة: الحنفي، المالكي، الشافعي، والحنبلي، كما كان عصر التقليد لتلك المذاهب مع غلق باب الاجتهاد.

عاصر الجصّاص ثمانية من خلفاء العهد العباسي الثاني الذي تميّز بضعف الخلافة، وكثرة الفتن، وسيطرة الأتراك والديلم. وكان هؤلاء بحاجة إلى تبسيط كتب السابقين لجهلهم باللغة العربيّة، وهو ما يفسّر ظهور الشروح على كتب الأمّهات [حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، دار الجيل، ط14، 1416هـ/ 1996م، 3/ 26 ـ 50؛ مقدّمة كتاب الإجماع، ص 103].

للجصاص عدد من المؤلّفات والشروح والمختصرات نستعرضها فيما يلي:

أ ـ المؤلّفات:

1 ـ كتاب أحكام القرآن، مطبوع؛ 2 ـ كتاب الفصول في الأصول، مطبوع؛ 3 ـ كتاب الواقعات، ولعلّه نفس كتاب «جوابات عن مسائل وردت عليه»، مفقود [الطبقات السنيّة، ص478، 480].

ب ـ الشروح والمختصرات:

4 ـ مختصر اختلاف الفقهاء، للطحاوي (321هـ/ 933م)، مخطوط، [سزكين، 3/ 103، القاهرة ثان، 1/ 400 فقه حنفي 647، الجزء الثاني]. اعتبر د. عبد المجيد محمود هذا المختصر «من المصادر المفيدة في الاطلاع على آراء فقهاء الأمصار في المسائل الخلافية» [أبو جعفر الطحاوي وأثره في الحديث، ص146؛ الجصّاص الرازي، 91 ـ 94]؛ 5 ـ شرح أدب القاضي لأبي بكر أحمد بن عمر الخصّاف (261هـ/ 875م)، مخطوط، [سزكين، 3/ 104، باتنة 1/ 92، 933؛ جار الله 1689م؛ فيض الله، ص658 ـ 659]، دار الكتب المصرية رقم 97 [الجصّاص الرازي، ص 96]. اعتمد هذا الشرح حسام الدين عمر بن عبد العزيز بن مازه المعروف بالصدر الشهيد (536هـ/ 1141م) في شرحه لنفس الكتاب. وقد تعدّدت نسخ هذا الشرح في البلدان وهذا يدلّ على شدّة أهمّيته [الجصّاص الرازي، 95]؛ 6 ـ شرح الأسماء الحسنى، مفقود [الطبقات السنّية، ص 480]؛ 7 ـ شرح الجامع الصغير لمحمّد بن الحسن الشيباني (189هـ/ 804م)، مفقود، [الطبقات السنّية، ص480]؛ 8 ـ شرح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني (189هـ/ 804م)، مخطوط، [سزكين، 3/ 103، القاهرة ثان 1/ 439، فقه حنفي، ص 745، ج 1 و 2، ص 746، ج 2]؛ 9 ـ شرح مختصر الطحاوي (321هـ/ 933م)، مخطوط، [سزكين، 3/ 95، دار الكتب بالقاهرة، فقه حنفي، ص 498، 756 الخ، السليمانية، ص 717؛ أصول الفقه للجصاص، ص 22، هامش 1]؛ 10 ـ شرح المناسك، مفقود [الداودي، 1/ 55]؛ 11 ـ شرح مختصر أبي الحسن عبد الله الكرخي (340هـ/ 952م) مفقود [الطبقات السنيّة، ص 480].

ونفصل القول فيما يلي فيما وقفنا عليه من تلك الكتب.

كتاب أصول الفقه المسمّى بـ «الفصول في الأصول»:

ذكر ابن أبي الوفاء القرشي في الجواهر المضيئة أنّ لأبي بكر الرازي كتابا مفيدا في أصول الفقه [الجواهر المضيّة، 1/ 85]، وبهذه التسمية أشار الجصاص إلى كتابه هذا في تأليفه «أحكام القرآن» [1/ 35، 59 الخ. . .]. طبع الكتاب تحت عنوان «أصول الفقه» المسمّى بـ «الفصول في الأصول» [دراسة وتحقيق د. عجيل جاسم النشمي، ط 2، 1414، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، الإدارة العامّة للإفتاء والبحوث الشرعية، الكويت، 4 أجزاء].

وضع الجصاص هذا الكتاب مقدّمة لكتابه «أحكام القرآن»، ذكر فيه جملا «مما لا يسع جهله من أصول التوحيد وتوطئة لما يحتاج إليه من معرفة طرق استنباط معاني القرآن واستخراج دلائله وأحكام ألفاظه وما تتصرّف عليه أنحاء كلام العرب، والأسماء اللغويّة، والعبارات الشرعيّة. .» [أحكام القرآن، مطبعة الأوقاف، 1335هـ، 1/ 6]. ألّف هذا الكتاب بعد وفاة الكرخي (340هـ/ 952م) [مقدمة المحقّق، 1/ 23] وقد أصبح

الجصّاص من الأعلام المرموقين في المذهب. ويظهر أنّه قد لقي حظًا عظيمًا لدى العلماء فنقلوا عنه مباشرة أو بواسطة [مقدمة المحقق، 1/ 27]. يقول د. عبد الوهاب أبو سليمان إنّ هذا الكتاب ينتمي «إلى المؤلّفات الأصولية الأولى التي أسّست هذا العلم وحدّدت مفاهيمه وقوانينه على أسس علمية متينة. وقد أعطى لأصول الفقه الحنفي بخاصة مفهوما جديدا غير ذلك التدوين الذي شاهدناه في أصول أبي الحسن الكرخي» [الفكر الأصولي دراسة تحليليّة نقديّة، دار الشروق، جدّة، ط. أولى 1983؛ مقدمة كتاب الإجماع، ص 121]، والملاحظ أنّ زهيرًا الكبّي أصدر كتابا بعنوان «أبو بكر الجصاص، الإجماع»، دراسة في فكرته من خلال تحقيق باب الإجماع، درس فيه الإجماع مع تحقيق لباب الإجماع من كتاب «الفصول في الأصول» للجصّاص.

أحكام القرآن:

هذا الكتاب في التفسير الفقهي للقرآن الكريم، وقد أثبته أغلب مترجمي الجصّاص بين مؤلّفاته.

طبع هذا التفسير عدّة طبعات [المفسّرون، حياتهم ومنهجم، ص109] منها: طبعة مطبعة الأوقاف الإسلامية، دار الخلافة العليّة، 1335 هـ، في ثلاثة أجزاء، طبعة المطبعة البهيّة المصريّة، 1347 هـ، ثلاثة مجلّدات؛ طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ/ 1985م، تح. محمد الصادق قمحاوي، خمسة مجلّدات.

يعتبر الجصّاص من الأوائل الذين ألّفوا في تفسير الأحكام، وقد سبقه في ذلك الإمام الشافعي (204هـ/ 819م)، وأبو جعفر أحمد بن محمّد الطحاوي (321هـ/ 933م).

اهتمّ أبو بكر في هذا التفسير بذكر أحكام القرآن ودلائله [أحكام القرآن، 1/ 6] وذلك باقتصاره على تفسير الآيات القرآنية التي يمكن استنباط حكم أو أحكام شرعيّة منها. رتّب الكتاب على ترتيب السور والآيات كما جاءت في المصحف، وقسّمت مباحثه إلى أبواب، ومطالب وفصول. اهتمّ الجصّاص ببيان الأحكام على ضوء المذاهب الفقهية في الغالب ليرجّح مقالة المذهب الحنفي في المسألة، مبيّنا تفوّق الأدلّة المذكورة فيه على ما جاء في غيره من المذاهب الفقهيّة، لهذا اعتبره الذهبي قائما على تركيز مذهب الحنفية ومروّجا له [التفسير والمفسّرون، 3/ 105]. اتّبع الجصّاص منهج الجماعة في تناول الآيات، وذلك بتفسير القرآن بالقرآن، والسنة، وعلوم القرآن، واللغة، مع اعتماد كبير للشواهد الشعرية. وقد أكّد إلى جانب هذا على استعمال العقل فجعل صحّة الخبر موقوفة عليه. يقول الجصّاص في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة 22]: «وقد تضمّنت هذه الآيات الأمر باستعمال حجج العقول والاستدلال بدلائلها، وذلك مبطل لمذهب من نفى الاستدلال بدلائل الله تعالى، واقتصر على الخبر بزعمه في معرفة الله والعلم بصدق رسول الله، لأنّ الله تعالى لم يقتصر فيما دعا الناس إليه من معرفة توحيده وصدق رسوله على الخبر دون إقامة الدلالة على صحّته من جهة عقولنا» [أحكام القرآن، 1/ 30]. ويظهر هذا التمسّك بالعقل في

السعي الدائب وراء الدليل وذكر العبارات الدالّة على ذلك: فدلّ ذلك، ويدلّ عليه، بدلالة، فوجه قوله الخ...

ولشدّة اعتداده بالعقل جعله بعضهم معتزليا في تفسيره لبعض الآيات كما رأينا فيما سبق.

ومع تحرّي الجصّاص الصواب في تناول المسائل بتقديم النظرية وتحليلها، وتقديم الأدلّة وتفصيلها ونقدها، مع ذكر الاستنتاج وتحليل ما تمّ إثباته، يترك المفسّر المجال للبحث مفتوحا فيختم مباحثه بقوله: «والله أعلم بالصواب... والله أعلم».. ومع هذا فإنّ المفسّر لا يتأخّر عن نقد مذهب المخالف نقدا شديدا إذا اقتضى الأمر ذلك كما فعل كثيرا مع الإمام الشافعي مثلا [أحكام القرآن، 2/ 118، 120، 3/ 370...].

ويتوسّع الجصّاص في تفسيره وينهج منهج الأحناف في افتراض المسائل (فإن قال قائل... قيل له) ويعطي الإجابات المحتملة في الموضوع.

إن أهمّية كتاب «أحكام القرآن» لأبي بكر الجصّاص تظهر في موضوعه، ومنهجه، والمادّة الفقهيّة الوفيرة الواردة فيه. وقد اهتمّ العلماء بما جاء فيه، فسايروا مؤلّفه تارة وناقشوه أخرى. ومن بين من أعاره اهتمامه نذكر المُحسّن بن محمد الحاكم الجشمي المعتزلي (494هـ/ 1101م)، وأبا الحسن عليّ بن محمد الطبري، المعروف بإلكيا الهرّاسي الشافعي (504هـ/ 1110م) [زرزور، الحاكم الجشمي، مؤسسة الرسالة، ط أولى 1392هـ/ 1972م، 159]. في كتابه أحكام القرآن، [دار الكتب العلمية، ط. أولى 1403هـ/ 1983م، 3/ 108، 134]؛ وأبا بكر محمد بن عبد الله بن العربي (543هـ/ 1148م) في كتابه أحكام القرآن أيضا، [دار إحياء الكتب العربية، ط. أولى 1376هـ/ 1957م، 1/ 394، 397؛ الجصاص الرازي، ص 273-281].

ولا حرج في أن يكون لبعض هؤلاء موقف متشنّج من الجصّاص (الكيا الهرّاسي)، فهذا يدلّ على أهمّية ما يقوله المفسّر من ناحية، كما يدلّ على استقلالية نسبيّة في مواقفه داخل المذهب.

المصادر والمراجع

● الداودي، محمّد بن علي، طبقات المفسّرين، ط أولى، مطبعة الاستقلال الكبرى 1392هـ/ 1972م؛ ● البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت؛ ● الذهبي محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، دار الفكر، بيروت، 1417هـ/ 1997م، ط 1؛ ● الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسّرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1381هـ/ 1961م؛ ● الشيرازي، أبو اسحاق، طبقات الفقهاء، حققه وقدّم له د. إحسان عبّاس، دار الرائد العربي، بيروت، 1401هـ/ 1981م؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، دار صادر بيروت، 1381هـ/ 1962م، 1393هـ/ 1973م؛ ● الصيمري، حسين بن عليّ، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، بيروت 1405هـ/ 1985م، ط 2؛ ● ابن العماد، عبد الحيّ، شذرات الذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت، د. ت؛ • الغزي، تقي الدين عبد القادر التميمي الداري، الطبقات السنيّة، تح. عبد الفتّاح محمد الحلوّ، القاهرة، 1390هـ/ 1970م؛ • القرشي، عبد القادر بن أبي الوفاء، الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة، ط أولى، حيدر آباد الدكن، 1332هـ؛ • ابن قطلوبغا، قاسم، تاج التراجم، تح. إبراهيم صالح، ط. أولى، دار المأمون للتراث، 1412هـ/ 1992م؛ • اللكنوي، محمد عبد الحي، الفوائد البهيّة في تراجم الحنفيّة، ط. أولى، مطبعة السعادة، مصر 1324 هـ؛ • الوازني، مسعود عبد الله خليفة، الجصاص الرازي ومنهجه في التفسير، الكلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين 1401هـ/ 1981م، مرقونة؛ • فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية، محمود فهمي حجازي، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1403هـ/ 1983م؛

د. هند شلبي
جامعة الزيتونة ـ تونس

الجعابي، أبو بكر محمد بن عمر

(283هـ/ 896م ـ 355هـ/ 966م)

هو أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم التميمي، البغدادي، الجعابي.

محدث، حافظ، فقيه، إخباري، قاض [النجوم الزاهرة، ج4/ 12؛ معجم المؤلّفين، ج11/ 92؛ الوافي بالوفيات، ج4/ 240].

ولد في شهر صفر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل: سنة أربع وثمانين ومائتين.

كان حافظ زمانه، حيث كان يفضل الحفّاظ بأنه كان يسوق الألفاظ من المتون على ما هي عليه، وأكثر الحفاظ يتسامحون في ذلك، وكان إماما في المعرفة بعلل الحديث وثقات الرجال ومواليهم ووفياتهم وما يُطعَنُ به كل واحد منهم، ولم يبق في زمانه من يتقدّمه في الدنيا [الوافي بالوفيات، ج4/ 240].

سمع الكثير، وكانت له الرحلة، صنّف في الأبواب والشيوخ والتاريخ، وكان يتمذهب بالتشيّع. قال أبو علي الحافظ النيسابوري: ما رأيت من المشايخ أحفظ من عَبدان أبي محمد (ت 306هـ)، ولا رأيت من أصحابنا أحفظَ من أبي بكر بن الجعابي [النجوم الزاهرة، ج4/ 12]. وقال ابن حجر: كان أحد الحفاظ المجوّدين [لسان الميزان، ج5/ 322]، وروى أبو القاسم التنوخي عن أبيه قال: ما شاهدنا أحفظ من أبي بكر بن الجعابي كان يفضل الحفاظ فإنه كان يسوق المتون بألفاظها ولم يبق في زمانه من يتقدّمه في الدنيا [لسان الميزان، ج5/ 322] وقد قيل: إنّ الجعابي كان يقول: أحفظ أربعمائة حديث وأذاكر

بست مائة ألف حديث [لسان الميزان، ج5/ 322؛ الشذرات، ج3/ 17].
قال الخطيب: سألت البرقاني عنه فقال: كان صاحب غرائب ومذهبه معروف في التشيّع، قلت: هل طعن في حديثه وسماعه، فقال: ما سمعت إلّا خيرًا أي بعدمه [لسان الميزان، ج5/ 324].
قيل: إنه كان قليل الدين والورع [الشذرات، ج3/ 17]
سمع من يوسف بن يعقوب القاضي، ومحمد بن الحسن بن سماعة، ومن طبقتهما [كحالة، عمر رضا، ج11/ 92].
حدّث عن أبي حنيفة ومحمد بن الحسن بن سماعة، وأبي يوسف القاضي، وتخرّج بابن عقدة [لسان الميزان، ج5/ 322؛ الشذرات، ج3/ 14].
سمع منه وروى عنه الدارقطني وابن شاهين، والحاكم أبو عبد الله، وابن رزقويه، وأبو نعيم الأصبهاني، وآخرون [معجم المؤلّفين، ج11/ 92؛ لسان الميزان، ج5/ 322؛ الشذرات، ج3/ 17].
تولى القضاء بمدينة الموصل بالعراق. وتوفّي ببغداد في نصف رجب سنة 355 للهجرة الشريفة [معجم المؤلّفين، ج11/ 92؛ لسان الميزان، ج5/ 322].

آثاره

1 ـ كتاب الموالي؛ 2 ـ من روى الحديث؛ 3 ـ مسند عمر بن علي بن أبي طالب من بني هاشم؛ 4 ـ أخبار آل أبي طالب [معجم المؤلفين، ج11/ 92؛ كشف الظنون، ج1/ 1324].

المصادر والمراجع

● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة الكتب المصرية بالقاهرة، 1349هـ/ 1930م؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت؛ ● ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1390هـ/ 1971م؛ ● الصَّفدي، كتاب الوافي بالوفيات، اعتناء س. ديدرينغ، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن، الطبعة الثانية، 1394هـ/ 1974م؛ ● ابن العماد، الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. لجنة أحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

د. نور الدين مختار الخادمي
جامعة الزيتونة ـ تونس

الجعبري، أبو إسحق ابراهيم بن عمر

(640هـ/ 1242م - 732هـ/ 1332م)

إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس الربعي، أبو محمد وأبو اسحق بن أبي حفص المقرئ، ويقال له شيخ الخليل، الملقب في بغداد بـ «تقي الدين» وبغيرها برهان الدين ويكنى أيضا بـ «ابن السراج»، والمنعوت بالسلفي (نسبة إلى طريقة السلف). وغلب عليه لقب الجعبري نسبة إلى قلعة جعبر على نهر الفرات بين بالس والرقة. [انظر: الحموي، معجم البلدان، 2/ 84]. وهو شافعي المذهب، مشهور بالفضائل والديانة والعفة، ذكي وقور ساكن، واسع العلم وشيخ القراء في زمانه، عارف بالحديث وأسماء الرجال وعلم الفقه.

سمع سنة 646هـ/ 1248م من القاضي كمال الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن المنبجي المعروف بابن البواري، قاضي جعبر ومنبج، كما سمع بعد سنة 670هـ/ 1271م ببغداد من الأمام شمس الدين أبي الحسن علي بن عثمان بن عبد القادر المقرئ المعروف بابن الوجوهي (ت 672هـ/ 1273م) شيئا من صحيح البخاري، وقرأ عليه القراءات السبع، وسمع من عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن الزجاج، كما سمع مقامات الحريري من أبي علي الحسن بن عبد الله بن علي بن أحمد الخزرجي، وقرأ كتاب «التعجيز في مختصر الوجيز» حفظا على مؤلفه تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن يونس بن منعة الموصلي (ت 671هـ/ 1272م)، وهو في الفقه الشافعي والوجيز في فروع الشافعية للإمام أبي حامد الغزالي [كشف الظنون، 2/ 2002]. وأجاز له الجمال القفصي، يوسف بن جامع بن أبي البركات، أبو إسحق المقرئ (ت 782هـ/ 1381م). كما أجاز له الحافظ يوسف بن خليل الحنبلي محدّث الشام (ت 648هـ/ 1250م) بحلب، وسمع من الفخر ابن البخاري، وروى الشاطبية، قصيدة في القراءات القرآنية للإمام الشاطبي المتوفى (590هـ/ 1193م) حيث رواها بالإجازة عن عبد الله بن ابراهيم بن محمود الجزري، وقرأ على المنتخب حسين بن حسن التكريتي القراءات العشر، كما روى القراءات بالاجازة عن الشريف أبي البدر الداعي، محمد بن عمر بن أبي القاسم، شيخ العراق في زمنه (ت 688هـ/ 1289م).

ورحل إلى بلدان شتى طلبا للعلم والمعرفة فضلا عن المناصب العلميّة التي تولاها في كثير من البلدان التي رحل إليها، فقد رحل إلى بغداد وسمع من الكمال ابن وضاح، والعماد ابن أشرف العلوي، وعبد الرحيم بن الزجاج. كما رحل إلى دمشق ونزل بالسميساطية الخانقاه السميساطية بدمشق، وهي قرب جامع بني أمية منسوبة إلى واقفها أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي

الدمشقي المعروف بالسميساطي (نسبة إلى سميساط وهي بلدة على نهر الفرات) والمتوفى (453هـ/ 1061م) [ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 1/ 113]، وأصبح معيدا في الغزالية (تطلق على الزاوية الغربية من جامع بني أمية بدمشق، وتنسب إلى الغزالي الذي أقام فيها عند دخوله دمشق) [النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، 1/ 413] ثمّ رحل إلى مدينة الخليل ﷺ في فلسطين، فتولى مشيخة الحرم في هذه المدينة بضعا وأربعين سنة حتى وفاته.

وقد تتلمذ عليه عدد كبير من الطلاب وأخذوا منه ورووا عنه ومنهم الحافظ الذهبي (ت 748هـ/ 1347م) الذي قرأ عليه «نزهة البررة في القراءات العشرة» وهي قصيدة لامية، كما قرأ عليه القراءات العشر أبو بكر بن الجندي، وكذلك قرأ عليه شيخ صفد عمر بن حمزة العدوي، وأحمد بن نحلة السلعوسي، ومحمد المطرز، والقاسم المغربي، وابراهيم البعلبكي الشاهد، كما قرأ عليه أيضا أبو المعالي بن اللبان، وابراهيم بن أحمد الضرير الشامي، والحسام المصري، كما روى أيضا تاج الدين السبكي (ت 771هـ/ 1369م) صاحب كتاب «طبقات الشافعيّة الكبرى». وظلّ يصنف ويدرس حتى وافته المنية وله من العمر اثنتان وتسعون سنة.

آثاره

وله مؤلّفات كثيرة تجاوزت المائة في القراءات القرآنيّة، والتفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والنحو، ومجالات المعرفة الأخرى، وقد فقد بعضها وبقي البعض الآخر، ومن تلك:

1 - أكمل شرح التعجيز لمصنفه؛ 2 - شرح الشاطبية وسماها كنز المعاني شرح حرز الأماني في القراءات السبع والتجويد والشاطبية المسماة حرز الأماني ووجه التهاني للامام أبي محمد القاسم بن فيرة الشاطبي (ت 590هـ/ 1193م) وعدد أبياتها (1173) بيتا، وقد فرغ الجعبري من تأليفها سنة (691هـ/ 1291م)، وتوجد منها نسخة في دار الكتب الظاهريّة برقم (296/ 7 - القراءات) ونسخة أخرى برقم (6075). [فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريّة، علوم القرآن، ص 126]؛ 3 - شرح الرائية وسماها جميلة أرباب المقاصد، والرائية اسمها عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، وهي قصيدة رائية في رسم المصحف للشيخ أبي محمد قاسم بن فيرة الشاطبي، [كشف الظنون، 2/ 1159]؛ 4 - له قصيدة لامية في القراءات العشر، قرأها عليه الذهبي وسماها نزهة البررة في القراءات العشرة؛ 5 - قصيدة في الرسم سماها روضة الطرائف؛ 6 - قصيدة في (العدد)؛ 7 - اختصر مختصر الحاجب وسماه المعتبر في اختصار المختصر، ومختصر ابن الحاجب هو كتاب منتهى السؤال والامل في علمي الأصول والجدل للإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن أبي الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب (ت 646هـ/ 1248م) [كشف الظنون، 2/ 1853]؛ 8 - مقدّمة في النحو اختصر فيها مقدمة ابن الحاجب (ت 646هـ) في النحو المسماة

بـ «الكافية» [كشف الظنون، 2/ 1370، 1373]؛ 9 ـ منظومة الإفهام والإصابة في مصالح الكتابة؛ 10 ـ منظومة يواقيت المواقيت؛ 11 ـ السبيل الأحمد إلى علم الخليل بن أحمد وهو في علم العروض؛ 12 ـ تذكرة الحفاظ في مشتبه الألفاظ؛ 13 ـ رسوم التحديث في علم الحديث؛ 14 ـ موعد الكرام لمولد النبي ﷺ؛ 15 ـ المناسك؛ 16 ـ مناقب الشافعي؛ 17 ـ الشرعة في القراءات السبعة؛ 18 ـ عقود الجمان في تجويد القرآن، وهي قصيدة نونية في 822 بيتًا، يوجد منها نسخة قديمة ومصححة على نسخة المؤلف في خزانة دار الكتب الظاهريّة برقم (8726) وأخرى برقم (343/ 54 ـ قراءات) [فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريّة، علوم القرآن، ص 51]؛ 19 ـ الترصيع في علم البديع؛ 20 ـ حدود القرآن في تجويد القرآن؛ 21 ـ الاهتداء في الوقف والابتداء؛ 22 ـ الإيجاز في الألغاز؛ 23 ـ حديقة الزهر في عد آي السور، وهي في ثمان وخمسون بيتا؛ 24 ـ رسالة في أسماء الرواة المذكورين في الشاطبية؛ 25 ـ عقد الدرر في عدد آي السور؛ 26 ـ الدمائة في القراءات الثلاثة؛ 27 ـ شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، وهي قصيدة دالية في اثنين وعشرين بيتا. وهي شرح للقصيدة المسماة «الواضحة»، توجد نسخة حديثة في خزانة دار الكتب الظاهريّة برقم (339/ 50 قراءات) [فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريّة، علوم القرآن، ص 50].

المصادر والمراجع

• الاسنوي، طبقات الشافعية، تح. عبد اللّه الجبوري، بغداد، 1970، مطبعة الارشاد، ط 1، 1/ 5؛
• ابن تغري بردي، المنهل الصافي، أحمد يوسف نجاتي، القاهرة، 1956، دار الكتب المصرية، ط1، 1/ 112؛
• ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصر، د.ت، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 9/ 296؛
• ابن الجزري، غاية النهاية، عنى بنشره: برجستراسر، مصر، 1932، مكتبة الخانجي، 1/ 21؛
• حاجي خليفة، كشف الظنون، بيروت، د.ت، منشورات مكتبة المثنى، 1/ 134، 203، 385، 399، 645، 646، 927 و2/ 978، 1044، 1154، 1840، 1909، 1996، 2054؛
• الذهبي، العبر، تح. محمد السعيد بن بسيوني، بيروت، 1985، دار الكتاب العلميّة، 4/ 94؛
• الذهبي، ذيول العبر، تح. محمد رشاد عبد المطلب، الكويت، د.ت، ص 174؛
• الذهبي، معرفة القراء الكبار، تح. محمد سيد جاد الحق، ط1، مصر، 1969، دار الكتب الحديثة، 2/ 591؛
• الزركلي، الأعلام، ط3، 1/ 49؛
• السبكي، طبقات الشافعيّة، ط 2، بيروت، د.ت، دار المعرفة، 6/ 82؛
• السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، د.ت، المكتبة العصريّة، 1/ 420؛
• ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تح. د. احسان عباس، بيروت، 1973، دار الثقافة، 1/ 39؛
• العسقلاني، الدرر الكامنة، تح. محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة،

1/ 51؛ • ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ط 2، بيروت، 1979، دار المسيرة، 6/ 98؛ • الفاسي المكي، منتخب المختار، تح. عباس العزاوي، بغداد، 1938، مطبعة الأهالي، ص 12؛ • ابن كثير، البداية والنهاية، ط 2، بيروت، 1977، مكتب المعارف، 14/ 160؛ • اليافعي، مرآة الجنان، ط 2، بيروت، 1970، مؤسسة الأعلمي، 4/ 285.

د. عبد الجبار حامد أحمد
جامعة الموصل - العراق

الجَعْد، أبو بكر محمد بن عثمان

(ق. 4هـ/10م)

هو أبو بكر محمّد بن عثمان بن مسبّح [معجم الأدباء، 18/ 250] مسبيح الشّيباني المعروف بالجعد [ابن النّديم، 127؛ البغدادي، تاريخ بغداد، 3/ 47؛ إيضاح المكنون للبغدادي، 2/ 448 المعروف بالجعدي].

مقدَّم في النّحو واللّغة والأدب [ياقوت، 18/ 250]، واشتغل بالتأليف في علوم القرآن.

لم يتوسّع مترجموه في ذكر أخباره، وما جاء عند متأخّريهم مثل الداودي، والسيوطي لا يكاد يختلف عمّا جاء عند أوائلهم مثل ابن النديم، والبغدادي.

اتّفق الجميع على تزكيته خُلُقًا وعلمًا، فهو عندهم من العلماء الفضلاء [الداودي، 2/ 193]، له شهرة في العلم وتقدّم في الفهم [القفطي، 1/ 269].

لا نعرف متى ولد الجعد ولا أين كان ذلك، وإن كان تلقيبه بالبغدادي [البغدادي، 3/ 47]، وذكر ترجمته في كتاب تاريخ بغداد، قد يفيد أنّه ولد بمدينة السّلام أو نشأ بها.

لم تعتن ترجمات الجعد بذكر مشائخه ولا بذكر تلامذته إلّا ما كان من الإشارة إلى انتسابه إلى محمد بن أحمد بن كيسان النّحوي (ت 320هـ/ 932م)، فقد تكرّر التّعبير عن أخذ الجعد عنه وملازمته إيّاه بعبارة: «صاحب ابن كيسان [ابن النديم، 127] أو عبارة: «أحد أصحاب ابن كيسان» [ياقوت، 18/ 250].

أما التّلميذ الوحيد الذي عرفناه له فهو أبو بكر أحمد بن جعفر بن سلم الذي حدّث عنه بكتابه الناسخ والمنسوخ.

فلم هذه الغفلة عن ذكر المشائخ والتلاميذ، وعن التبسّط في سرد حياة الجعد عمومًا؟ لا نملك اليوم ما يخوّل الإجابة عن هذا السّؤال، ولا يمكن أن نقول إنّ الجعْد كان

نكرة، فقد تكلّمت عنه مصادر متعدّدة، وإن غفل عن ذكره البعض، مثل ابن الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي في كتابه مراتب النحويين، وأبي بكر محمد بن الحسن بن بيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين، وابن الجزري في كتابه غاية النهاية في طبقات القراء.

كما أنّ مشاركته العلمية كانت واضحة إذ إنّه ترك مؤلّفات متعدّدة في مجالات علميّة متنوّعة، ووردت ترجمته في كتب اختصّت بمجالات مختلفة: في النحو [القفطي، إنباه الرّواة]، والتفسير [الدّاودي، طبقات المفسرين]، والأدب [ياقوت، معجم الأدباء] واللغة [السيوطي، بغية الوعاة].

والذي يغلب على الظنّ أنّ شهرة الجعد كانت في اللّغة والنّحو، وبذلك نعته الصفدي [الوافي بالوفيات، 4/ 8] وغيره.

ولعلّ الاقتصار على ذكر ابن كيسان النحوي في شيوخه كان للتأكيد على هذا الجانب. ويظهر أيضًا أنّه كان على مذهب هذا الإمام في النحو. ومعلوم أنّ ابن كيسان خلط في النحو بين مذهبي أهل الكوفة وأهل البصرة كغيره من تلاميذ ثعلب مثل أبي الحسن عليّ بن سليمان الأخفش الصّغير (ت 315هـ/ 928م)، وإبراهيم بن محمد نفطويه (ت 323هـ/ 935م) [مدرسة الكوفة، د. مهدي المخزومي، ط 2، 1377هـ/ 1958م، مصطفى البابي الحلبي، 81 ـ 83]. يؤيد هذا أنّ ابن النديم وضع الجعد ضمن «جماعة من العلماء النّحويّين واللغويّين ممّن خلط المذهبين» [الفهرست، 121].

فليس من باب الصّدفة إذن أن يصنّفه ياقوت مع كبار النّحويين في عصره كأبي العبّاس أحمد بن يحيى ثعلب (ت 291هـ/ 904م)، وأبي العبّاس محمد بن يزيد المبرّد (ت 288هـ/ 900م)، وأبي جعفر الرّستمي، وأبي حسن بن كيسان (ت 320هـ/ 932م)، والمفضّل بن سلمة (ت 290هـ/ 903م)، وأبي إسحق الزّجّاج (ت 316هـ/ 926م). وهؤلاء جميعًا اعتبرهم ياقوت «من فرسان هذا اللّسان» [ياقوت، 18/ 62].

لم يهتمّ مترجمو الجعد بذكر تاريخ وفاته إلّا قليل منهم، وكان اختلافهم في ذلك واسعًا. فقد ذكر الزركلي، نقلا عن كتاب الألقاب لأبي الوليد عبد الله بن محمّد بن الفرضي (ت 403هـ/ 1013م) [مخطوط المكتبة الظاهرية في دمشق] أنّ وفاة الجعد كانت في شهر رمضان من سنة (288هـ/ 901م)، وأنّه دفن في باب السّلام [الأعلام، ط 3، 6/ 260].

وقال ياقوت إنّه توفيّ في نيّف وعشرين وثلثمائة [ياقوت، 18/ 251]. وجعل حاجي خليفة وفاة الجعد سنة 310هـ/ 914م [كشف الظنون، 2/ 1920]. أما البغدادي فإنّه أرّخها في سنة 311هـ/ 924م [هديّة العارفين، 2/ 29]، وسجّل د. مصطفى زيد وفاة الجعد في 322هـ/ 934م [النّسخ في القرآن، 1/ 325].

لا نملك هنا أيضًا شيئًا يمكن أن نرجّح به قولا من هذه الأقوال الخمسة. وما يمكن ملاحظته أنّ التّاريخ الذي ذكره ابن الفرضي ـ على دقّته ـ مستبعد لأنّه يجعل الجعد في طبقة ثعلب (ت 291هـ/ 904م)، والمبرّد (ت 288هـ/ 900م)، وهما من شيوخ ابن

كيسان (ت 320هـ/ 932م) الذي ينتسب إليه الجعد. ولا يمكن اعتبار التواريخ التي جاءت في كشف الظنون: سنة (301هـ/ 914م)، وفي هدية العارفين: سنة (311هـ/ 924م)، وفي كتاب د. مصطفى زيد: سنة (322هـ/ 934م)، موثوقًا بها لعدم الإشارة إلى المصادر المعتمدة فيها. فبقي التاريخ الذي ذكره ياقوت: سنة نيّف وعشرين وثلثمائة، وهو وإن كان لا يتمتّع بالدقّة المطلوبة، فإنّه إلى منطق الأحداث أقرب.

والذي بدا لي بعد الوقوف على بعض الملاحظات، أنّ الجعد لم يعمّر طويلا. فقد قاربت وفاته، على رواية ياقوت، وفاة شيخه ابن كيسان. ونفيد من ملاحظة حول كتابه غريب القرآن أنّه بعد الفراغ من تأليفه أراد أن يحفظه فلم يتيسّر له ذلك لأنّه سرعان ما أدركته الوفاة. وتكون هذه العملية، بحسب المنطق، في بداية النشاط العلمي للشخص، لأنّها تؤهّله لإلقاء الكتاب على الطلبة. ولكنّ هذا الكتاب لم يخرج عن الجعد للسّبب المذكور.

ولعلّ هذا الاحتمال حول قصر مدّة حياة الجعد يفسّر عدم انتشار مؤلّفاته وعدم الوقوف على طلبة تلقّوا العلم عنه.

آثاره

إنّ الفترة التي ظهر فيها الجعد، وهي العصر العبّاسي الثّاني (232 ـ 447هـ/ 847 ـ 1055م) تميزت ببداية نهاية الخلافة العبّاسية، لكنها كانت مسرحًا لظهور أعلام بارزين في المجالات العلمية المختلفة. والناظر في كتب الطبقات وكتب التراجم يتبين ذلك بوضوح.

لم تبخل المصادر باستعراض مؤلفات الجعد المتعدّدة والمتنوّعة، لكنّ الذي يؤسف له أنّ جميع هذه المؤلّفات مفقودة، ولم نقف على من اعتمد واحدًا منها. ولا نتصوّر أنّ هذا الإهمال يعود إلى غضّ من قيمتها، وقد رأينا مؤلّفها مزكّى خلُقًا وعلمًا، كما أنّ بعضها كان محلّ إعجاب وتقدير [القفطي، إنباه، 3/ 184].

ولا ريب أنّ الجعد قد ساهم بجدّ ـ إن لم يكن في بناء صرح العلوم اللغوية والقرآنية بسبب تأخّر ظهوره نسبيًا، فإنّه قد عمل على نقل تلك العلوم وتسجيل آخر ما جدّ بشأنها، ومؤلّفاته أكبر شاهد على ذلك.

والملاحظ أنّ العناوين التي اتخذها الجعد لمؤلّفاته قد شارك فيها العديد من معاصريه وشيوخهم كالفرّاء (ت 207هـ/ 823م)، والأخفش (ت 215هـ/ 831م)، وثعلب (ت 291هـ/ 904م)، والزّجّاج (ت 310هـ/ 923م)، وابن كيسان (ت 320هـ/ 932م)، وابن الأنباري (ت 328هـ/ 940م). وهذا يدلّ على مواكبة الجعد لعصره ومساهمته الفعّالة في الإنتاج الثقافي في ذلك العصر.

اتّفقت المصادر على ذكر معظم مؤلفات الجعد وانفرد ابن النّديم بذكر اثنين منها، أوّلهما بعنوان كتاب الوقف والابتداء، وهو في علم الوقوف من فروع علم القراءات، وذكر ابن النديم اسم المؤلّف فيه بصيغة: الجعدي [الفهرست، 60] وهي نفس الصيغة التي ذكرها البغدادي مع كتاب المختصر في النحو [إيضاح المكنون، 2/ 448].

أما الكتاب الثاني فهو كتاب غريب الحديث [الفهرست، 135]، لم يأت به في ترجمة

الجعد وإنما أورده تحت عنوان: تسمية الكتب المؤلّفة، في غريب الحديث.

ونشير إلى كون ابن النّديم لم يذكر بين مؤلّفات الجعد كتاب غريب القرآن الذي جاء عند غيره. فهل اشتبه الأمر عليه فنسب إلى الجعد كتابًا في غريب الحديث بينما هو في غريب القرآن؟ أم هل أنّ للجعد كتابين في غريب القرآن وفي غريب الحديث؟.

يمكن توزيع مؤلّفات الجعد على العلوم الآتية:

أ ـ القرآن وعلومه.

ب ـ اللّغة وعلومها.

ج ـ الحديث.

د ـ العروض.

راعينا في هذا الترتيب وفرة المؤلّفات في كلّ علم فقدّمنا العلم الذي حظي بالعدد الأوفر منها، وسنستعرض تلك المؤلّفات مرتبة ترتيبًا أبجديًا.

أ ـ القرآن وعلومه:

للجعد في علوم القرآن ستّة مؤلّفات:

1 ـ غريب القرآن، ذكر هذا الكتاب البغدادي في [تاريخ بغداد، 3/ 47]، والقفطي في [إنباه الرّواة، 3/ 184] وغيرهما. ويفهم من كلام البغدادي أنّ الجعد ألّف هذا الكتاب في آخر حياته ولم ينتشر بين النّاس فإنّه «لمّا فرغ من عمله أخذ نفسه بحفظه فلم يمكث إلّا يسيرًا حتّى توفّي ولم يخرج الكتاب عنه» [تاريخ بغداد، 3/ 47].

وممّن ألّف في هذا العلم من معاصري الجعد أبو عبيد القاسم بن سلّام (ت 224هـ/ 839م)، وابن دريد اللّغوي (ت 321هـ/ 933م)، ومحمد بن عزيز السّجستاني (ت 330هـ/ 942م) [كشف الظنون، 1207 ـ 1208]؛

2 ـ كتاب القراءات، ذكره ابن النّديم [الفهرست، 127]، والدّاودي [طبقات المفسّرين، 2/ 193] وغيرهما. ومن الذين ألّفوا في هذا العلم، في القرنين الثالث والرابع أبو عبيد القاسم بن سلّام (ت 224هـ/ 839م)، وسريج بن يونس البغداي (ت 248هـ/ 863م)، وابن مجاهد (ت 324هـ/ 936م)؛

3 ـ معاني القرآن، ذكره ابن الأنباري [نزهة الألباء، 309] وياقوت [معجم الأدباء، 18/ 250] وغيرهما.

وقائمة الكتب المؤلّفة في هذا الموضوع في القرنين الثالث والرابع طويلة [كشف الظنون، 1730] منها ما كتبه سعيد بن مسعدة الأخفش (ت 215هـ/ 831م)، وأبو العبّاس ثعلب (ت 291هـ/ 904م)، والزّجّاج (ت 310هـ/ 923م)، وابن كيسان (ت 320هـ/ 932م) وغيرهم؛

4 ـ ناسخ القرآن ومنسوخه، لم يذكره ابن النّديم أثناء ترجمة الجعد إنّما ذكره تحت عنوان: الكتب المؤلّفة في معاني (هكذا) شتّى من القرآن [ص 64]. وقد قال القفطي عن هذا التأليف ما يلي: «وهو من أحسن الكتب وأجودها» [إنباه الرّواة، 3/ 184]، وعلّق عليه الصّفدي بقوله: «وهو جيّد» [الوافي

بالوفيات، 4/ 82]. وعن طريق هذا الكتاب عرفنا أحد تلاميذ الجعد وهو: أبو بكر أحمد بن جعفر بن سلم الذي حدّث بهذا التأليف عنه [تاريخ بغداد، 3/ 47]. ولم نعثر لهذا التلميذ على ترجمة.

والذي عليه مترجمو الجعد أنّ هذا الكتاب في ناسخ القرآن ومنسوخه، لكنّ حاجي خليفة جعله في ناسخ الحديث ومنسوخه. [كشف الظنون، 2/ 1920]، وهو على ما يبدو سهو وقع فيه.

وهذا ما لاحظه أيضًا د. مصطفى زيد في كتابه، النّسخ في القرآن الكريم، [1/ 925، دار الوفاء، المنصورة، ط 3، 1408هـ/ 1987م] عند استعراضه للمصنّفات الإحدى عشر في النّسخ في القرن الرابع الهجري. وقد عدّ تأليف الجعد من بينه.

وممن ألف في النسخ في عصر الجعد أبو عبيد القاسم بن سلّام (ت 224هـ/ 839م)، وسريج بن يونس (ت 235هـ/ 850م)، وأبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري (ت 328هـ/ 940 م)، وأبو جعفر النّحاس (ت 338هـ/ 950م)؛

5 ـ كتاب الهجاء، ذكره ابن النّديم [الفهرست، 128]، والدّاودي [طبقات المفسّرين، 2/ 193] وغيرهما. وهو في رسم المصحف. ومن المؤلفات التي ظهرت فيه في القرنين الثالث والرابع نذكر كتاب أبي عبيد القاسم بن سلّام (ت 224هـ/ 839م)، وكتاب أبي حاتم سهل بن محمد السّجستاني (ت 255 هـ/ 870م)، وأبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري (ت 327هـ/ 939م) وغيرهم [كتاب رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمَد، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، ط. أولى، 1402هـ/ 1982م، الكتب المؤلفة في الرّسم، 168 ـ 187].

6 ـ كتاب الوقف والابتداء، انفرد ابن النّديم بنسبة هذا الكتاب إلى الجعدي، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. ومن الذين كتبوا في الوقف والابتداء في عصر الجعد نذكر ثعلب (ت 291هـ/ 904م)، وابن كيسان (ت 320هـ/ 932م)، وابن الأنباري (ت 328هـ/ 940م) [الفهرست لابن النّديم، 60].

ب ـ اللّغة وعلومها:

عدّ المترجمون ستّة كتب للجعد في اللغة وعلومها.

7 ـ كتاب الألفات، ذكره ابن النّديم [الفهرست، 128]، وياقوت [معجم الأدباء، 18/ 250] وغيرهما. [صُحف في تعليق محقّق كتاب إنباه الرّواة للقفطي، وهو محمد أبو الفضل إبراهيم إلى: الألقاب. إنباه الرّواة، 3/ 184، هامش: 4]. ويظهر أن هذا الكتاب جاء على نحو كتاب شرح الألفات لأبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري (ت 327هـ/ 939م) الذي حقّقه أبو محفوظ الكريم معصومي ونشره في مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق [المجلد 34، الجزءان، 2 ـ 3، 1378هـ/ 1959م، ص 273 ـ 290، 447 ـ 461].

تناول ابن الأنباري في هذا الكتاب أو الرسالة أنواع الألفات «المبتدأ بها في أوائل الأفعال وهي ستّ: ألف أصل، وألف قطع، وألف وصل، وألف الاستفهام، وألف الخبر عن نفسه، وألف ما لم يُسمّ فاعله» [ص 283]، وبيّن خصائص كلّ واحدة منها مع التّعليل

والتمثيل بعبارات من القرآن الكريم في أغلب الأحيان. ثم تعرّض إلى ذكر الألِفات المبتدأة في الأسماء وجعلها أربعا: ألف أصل، وألف قطع، وألف وصل، وألف استفهام [ص 452]، واهتمّ بها اهتمامه بالألفات السابقة. وختم بالألفات المستأنفات في الأدوات وما تجري في مجراها من المكانيّ وأسماء الإشارات [ص 457]. وقد استعرض محقّق الكتاب عددًا من المؤلفات في هذا الموضوع وعدّ منها كتاب الجعد [ص 277]؛

8 ـ كتاب خلق الإنسان، ذكره ابن النّديم [الفهرست، 128]، وابن الأنباري [نزهة الألباء، 309] وغيرهما. وهو تأليف في اللّغة، شارك الجعدُ بالتأليف فيه جماعةٌ من معاصريه مثل عبد الله بن قتيبة (ت 276هـ/ 890م) وأبي بكر بن الأنباري (ت 327هـ/ 939م) وغيرهما؛

9 ـ كتاب الفرق، ذكره القفطي [إنباه الرّواة، 3/ 184]، وياقوت [معجم الأدباء، 18/ 251] وغيرهما.

لا أتصوّر أنّ الصّيغة التي ورد عليها هذا العنوان في معجم الأدباء وهي: الفِرَق، صحيحة، لأنّه لم يؤثر عن الجعد اشتغاله بالكتابة في علم الكلام والفِرَق. والصّيغة التي ذكرها القفطي والسّيوطي [بغية الوعاة، 1/ 171] وهي الفَرْق أقرب إلى اختصاص الجعد. وقد ذُكرت مؤلّفات للغويين ونحاة بهذا العنوان في موضوعات مختلفة من ذلك كتاب الفَرْق لأبي عبيدة معمر بن المثنّى (ت 210هـ/ 826م) وهو فيما خالف فيه الإنسان ذوات الأربع من السّباع والبهائم والطّير [كشف الظنون، 1446]، ولأبي إسحق الزّجاج (ت 310هـ/ 923م) [ن.م]، وكتاب الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (ت بعد 400هـ/ 1010م)، وهو في الفرق بين معان تقاربت حتّى أشكل الفرق بينها نحو العلم والمعرفة [الفروق في اللغة، الدار العربية للكتاب، ط6، 1403هـ/ 1983م، ص 9]؛

10 ـ المختصر في النحو، ذكره ياقوت [معجم الأدباء، 18/ 250]، والدّاودي [طبقات المفسّرين، 2/ 193]، وورد في كتاب إيضاح المكنون للبغدادي، [2/ 448] بصيغة مختصر الجعدي في النّحو.

وللنّحاة مؤلّفات بهذا العنوان مثل مؤلّفات أبي عبد الله هشام بن معاوية الضّرير (ت 309هـ/ 922م) [كشف الظنون، 451]، وأبي اسحق إبراهيم الزّجّاج (ت 310هـ/ 923م) [ن.م، 1630] وغيرهما؛ 11 ـ المذكر والمؤنث، ذكر هذا الكتاب معظم مترجمي الجعد منهم ابن النّديم [الفهرست، 128]، وياقوت [معجم الأدباء، 18/ 251]. وقد اهتم بالتأليف في هذا الموضوع عدد كبير من اللغويين والنحاة استعرض الأستاذ محمد عبد الخالق عضمية عند تحقيقه لكتاب المذكّر والمؤنّث لابن الأنباري [ط. القاهرة، 1401هـ/ 1981م، 1/ 8 ـ 12] أربعة وعشرين عنوانًا منها كتاب الجعد. ومن ألّف في هذا العلم يحيى بن زياد الفرّاء (ت 207هـ/ 823م) وهو أوّل من ألّف فيه، وابن كيسان (ت 320هـ/ 932م) شيخ الجعد، وأبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري (ت 328هـ/ 940م)، وكتابه «ما عمل أحد أتمّ منه» [وفيات الأعيان لابن خلكان، القاهرة، 1948، 3/ 464]. وقد بيّن ابن الأنباري في

كتابه مدى أهمية المعرفة بالمذكّر والمؤنّث فقال: «اعلم أنّ من تمام معرفة النّحو والإعراب معرفة المذكّر والمؤنّث لأنّ من ذكّر مؤنّثا أو أنّث مذكّرًا كان العيب لازمًا له كلزومه من نصب مرفوعًا أو خفض منصوبًا» [المذكّر والمؤنّث، 1/ 51]؛ 12 ـ كتاب المقصور والممدود، ذكر هذا الكتاب ابن النّديم [الفهرست، 127]، والداودي [طبقات المفسّرين، 2/ 193] وغيرهما. وممّن ألّف في هذا الباب الفرّاء (ت 207هـ/ 823م) والمبرّد (ت 288هـ/ 900م) وابن كيسان (ت 320هـ/ 932م) وغيرهم؛ 13 ـ غريب الحديث، وهو الكتاب الثاني الذي انفرد بذكره ابن النّديم، وقد سبق الحديث عنه أعلاه. وممّن ألف في الموضوع في القرنين الثالث والرابع أبو عبد القاسم بن سلّام (ت 224هـ/ 839م)، وابن دريد (ت 321هـ/ 933م)، ومحمد بن عزيز السجستاني (ت 330هـ/ 942م) [كشف الظنون، 1207 ـ 1208]؛ 14 ـ العروض، ذكره ابن النّديم [الفهرست، 128؛ وياقوت، 18/ 251] وغيرهما. وممّن ألف في العروض في عصر الجعد أبو عثمان بكر بن محمّد المازني (ت 248هـ/ 863م)، وإبراهيم بن محمّد الزّجاج (ت 310هـ/ 923م)، والأخفش الأوسط (ت 321هـ/ 933م) [كشف الظنون، 1438].

تتعذر المعرفة الحقيقية بقيمة العالم إلّا بالوقوف على أعماله. وقد غابت مؤلّفات الجعد فلم يبق لبيان أهميته في السّاحة الثقافية إلّا ما وصلنا من أخبار تتعلق بشخصه أو بمؤلّفاته.

وما يمكن الوثوق به أن الجعد كان نجمًا لمع في سماء بغداد إلى جانب كوكبة أمثاله، خُلّد ذكرهم إمّا بوصول أخبارهم أو بالوقوف على آثارهم. وقد شارك الجعدُ جميعَهم في تثبيت أصول العلوم القرآنية واللغوية بالكتابة في الفنون الدّارجة في ذلك العصر. ولعلّ الأيام تكشف عن آثاره الضّائعة فتزكي العين ما بلغ الأذن ويوضع الجعد في المكان المناسب الذي يليق به.

المصادر والمراجع

● ابن الأنباري، كمال الدين، نزهة الألبّاء، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهر، ص 309؛ ● البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، بيروت، 3/ 47؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، استانبول، 1951، 2/ 29؛ ● الداودي، محمد بن علي، طبقات المفسّرين تح. علي محمد عمر، مصر، ط. أولى، 1392هـ/ 1972م، 2/ 193؛ ● السّيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة، عيسى البابي الحلبي، ط. أولى، 1384هـ/ 1964م، 1/ 171؛ ● الصّفدي، خليل، الوافي بالوفيات، فيسبادن، 1394هـ/ 1974م، 4/ 82؛ ● القفطي، علي، إنباه الرّواة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1369هـ/ 1950م، 1/ 269، 1374هـ/ 1955م، 3/ 184؛ ● ابن النّديم، الفهرست، القاهرة، ص 127 ـ 128؛ ● ياقوت، معجم الأدباء، القاهرة، 1357هـ/ 1938م، 18/ 250 ـ 251.

د. هند شلبي
جامعة الزيتونة ـ تونس

ابن جعفر الصادق، أبو الحسن علي الرضى بن موسى الكاظم

(153هـ/770م - 203هـ/819م)

علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجّاد بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو الحسن، أمه سكينة وهي نوبيّة.

يورد المؤرخون في مولده روايات متباينة، فابن خلكان (681هـ) يذكر تاريخين: أولهما بعض شهور سنة 153هـ، والثاني في شوال سنة 151هـ. ويذكر الذهبي (748هـ) أنه ولد سنة 148هـ.

فإذا اعتمدنا ما يروى عن الحاكم النيسابوري أنه توفي عن تسعة وأربعين عاماً وستة أشهر، وعلمنا أن جمهور مؤرخيه قيّدوا وفاته عام 203هـ اتضح لنا أنّ أرجح الروايات في مولده هي الرواية الأولى [تاريخ الطبري 7/ 150؛ وفيات الأعيان 3/ 270؛ سير أعلام النبلاء 9/ 387، 393].

وكانت ولادته في المدينة المنورة، وفيها نشأ ودرس، فأخذ عن أبيه موسى الكاظم (183هـ) وعن أعمامه: إسماعيل، وإسحاق، وعبد الله، وعلي. وأخذ عن عبد الرحمٰن بن أبي الموالي، وعبيد الله بن أرطأة بن المنذر، وغيرهم من أهل الحجاز.

وكان انصراف أسرة الرضى عن شؤون السياسة وطلب السلطة منذ عهد جدّه زين العابدين (94هـ) وتفرّغ أهل بيته للعلم والتعليم وفيهم أبوه وجده قد أتاح له فرصة كافية لتلقّي العلم والتفقّه في أمور الدين.

وكان نبوغه المبكر يسمح له بالتصدّر والإفتاء منذ أن تجاوز العقد الثاني. فالحاكم النيسابوري يقول عنه في «تاريخ نيسابور»: كان يفتي في مسجد رسول الله ﷺ وهو ابن نيّف وعشرين سنة، وكان من أهل العلم والفضل مع شرف النسب». وبمثل ذلك يصفه الذهبي ويضيف: «كان كبير الشأن أهلاً للخلافة». [سير أعلام النبلاء 9/ 387؛ تهذيب التهذيب 7/ 387] وكأنه يومئ بذلك إلى ما روي عن الحسن بن سهل وزير المأمون أنه حضر المأمون وسمعه يعرض على الرضى تقليده أمر الخلافة وفسخ البيعة عن عنقه، والرضى يأبى ذلك ويعتذر قائلاً: يا أمير المؤمنين لا طاقة لي بذلك ولا قوة.

وكان ذلك بعد أن استدعاه المأمون من المدينة إلى مرو عام 200هـ [تهذيب الكمال 5/ 304؛ البداية والنهاية 10/ 272].

ويبدو أن شخصية الإمام الرضى وتصدّره أهل بيته وجاهة وعلماً وكياسة أغرت المأمون باستقدامه مع جماعة من أهل بيته من المدينة إلى مرو في خراسان عن طريق البصرة فالأهواز فنيسابور ثم مرو، وذلك عام 200هـ. وقد يكون ذلك خطوة احترازية من المأمون

سيراً على سنّة أسلافه في التعامل مع أئمة أهل البيت، كما كان يسلك أبو جعفر المنصور مع الإمام جعفر الصادق (148هـ) في تشديد الرقابة عليه والترصد له، وكما سلك الرشيد مع الإمام موسى الكاظم (183هـ)، حيث احتجزه في بغداد سجيناً، حتى مات في سجنه. وقد اتخذه المأمون، حين رأى علمه وفضله وزهده، مستشاراً له في أمور الناس والدولة، كما يتضح مما نقله الطبري في حوادث سنة 202هـ، ووثّق علاقته به فزوّجه ابنته أم حبيب كما زوّج ابنه محمداً الجواد (220هـ) ابنته الأخرى أم الفضل [تاريخ الطبري، 7/ 149].

وحين خرج زيد أخو الرضى بالبصرة ودعا لنفسه وجّه إليه المأمون أخاه الرضى ليردّه إلى الطاعة، فسار إليه وقال له: ويلك يا زيد، فعلت بالمسلمين ما فعلت وتزعم أنّك ابن فاطمة؟! ينبغي لمن أخذ برسول الله أن يعطي به. وحمد له المأمون موقفه وتأثر به كثيراً [وفيات الأعيان 3/ 217؛ شذرات الذهب 3/ 14].

وكان المأمون ـ كما يُروى ـ قد نظر في بني العباس وبني علي فلم يجد أحداً أفضل من الرضى ولا أعلم ولا أورع، فعهد إليه بولاية العهد ليكون خليفة بعده، وسمّاه «الرضى من آل محمد» وأمر بطرح السواد ولبس الثياب والشارات الخضر، وذلك في مطلع رمضان سنة 201هـ، وكتب من مقره في مرو بخراسان إلى قائده الحسن بن سهل والي ولاته عامة بأخذ البيعة له، كما ضرب اسمه على النقود [وفيات الأعيان 3/ 269؛ البداية والنهاية 10/ 270؛ الكامل 6/ 326].

ويروى أن الإمام الرضى أبى قبول ذلك فتهدّده المأمون قائلاً: إنّ عمر جعل الشورى في ستة آخرهم جدّك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بدّ من قبول ذلك. فقبل، وبايع له المأمون والعباس بن المأمون. ثم دعاه المأمون للخطبة فأوجز [الإمام جعفر الصادق 99] وكأنه كان يعلم دنوّ أجله.

وكأن الرضى يستلهم سيرة آبائه وأجداده في عزوفهم عن طلب السلطة متمثلاً بقول أبيه موسى الكاظم لهشام بن الحكم (179هـ) وهو من كبار أتباعهم في الكوفة: «يا هشام كما تركوا لكم الحكمة اتركوا لهم الدنيا». وبقول جدّه جعفر الصادق: «الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتّهموهم» [حلية الأولياء 3/ 194؛ تهذيب الكمال 1/ 473].

وقد أثار قرار المأمون السخط في البيت العبّاسي ببغداد واندلعت حالة من التمرّد على الخليفة وعلى قراره، فخُلع وبويع لعمّه إبراهيم بن المهدي الذي أعلن نفسه خليفة في عاصمة الدولة، وبقي على ذلك أكثر من عامين انتهت بعودة المأمون من خراسان ودخوله بغداد وفرار إبراهيم متخفّياً، وذلك عام 204هـ.

حين عزم المأمون على العودة إلى بغداد أواخر عام 203هـ سار إلى طوس وأقام عند قبر أبيه الرشيد أياماً ، ومعه الرضى، لكن المنيّة ما لبثت أن عاجلت الإمام فجأة في رمضان وقيل في آخر صفر، وهو بعيدٌ، لأن صفر أوائل العام لا آخره، وكان المأمون قد عزم على التوجه إلى بغداد أواخر عام 203هـ ودخلها أوائل عام 204هـ آخر صفر. ويذكر أن

سبب موته أنه أكل عنباً وأكثر منه. ويتحدث الناس عن أنّ السمَّ قد دُسَّ له في هذا العنب، أو أنه قد أسقي ماء الرمّان مسموماً. [الأنساب 6/ 134؛ وفيات الأعيان 3/ 270؛ سير أعلام النبلاء 9/ 393؛ تهذيب التهذيب 7/ 387].

وصلى عليه المأمون ودفن في طوس بجوار قبر الرشيد، ومشهده فيها اليوم مقصد للزائرين. وذكر في وفاته تواريخ أخرى ليست راجحة.

الإمام علي الرضى هو الإمام الثامن عند الشيعة الاثني عشرية وتعتبره الزيدية، من أعلامها الأجلاء [أعلام المؤلفين الزيدية 723] وكانت له منزلة عالية في نفوس معاصريه وأولهم الخليفة المأمون الذي عهد إليه بولاية العهد، وكان يروي عنه، كما روى عنه أحمد بن حنبل، ومحمد بن رافع، ونصر بن علي الجهضمي، وخالد بن أحمد الذهلي. يقول الذهبي: «وقد كان علي الرضى كبير الشأن أهلاً للخلافة. وهو بريء من عهدة تلك النسخ الموضوعة عليه، فهذه أحاديث وأباطيل من وضع الضلال». [سير أعلام النبلاء 9/ 392] والذهبي يشير إلى أحاديث نسبت إليه مرفوعة إلى النبي ﷺ وهي من مخيّلة أصحاب الأهواء.

ويروون أن أحد أصحاب الشاعر أبي نواس عاتبه في سكوته مدح الرضى مع نظمه في كل معنى، فقال: «والله ما تركت ذلك إلا إعظاماً له، وليس قدر مثلي أن يقول في مثله». ثم أنشد أبياتاً في مدحه [وفيات الأعيان 3/ 270]، ووفد عليه دعبل الخزاعي في خراسان وأنشده «التائية» المعروفة، فأثابه الرضى بستمئة دينار وجبّة خزّ. وقد بذل له الناس في الجبّة ألف دينار فأبى أن يبيعها، وقال: لا والله ولا خرقة منها بألف دينار، ثم خرج من قم فأتبعوه وقطعوا عليه وأخذوا الجبة، فرجع إلى قم فكلمهم، فقالوا: ليس إليها سبيل، ولكن هذه ألف دينار، قال: وخرقة منها، فأعطوه ألف دينار، وخرقة من الجبة [تهذيب الكمال 5/ 305].

وسئل الإمام: أيكلّف الله العباد ما لا يطيقون؟ قال: هم أعجز من ذلك [م.س 5/ 305].

قيل: قال المأمون للرضى: ما يقول بنو أبيك في جدّنا العباس؟ قال: ما يقولون في رجل فرض الله طاعة بنيه على خلقه، وفرض طاعته على بنيه. قال الذهبي: وهذا يوهم في البديهة أن الضمير في «طاعته» للعباس، وإنما هو لله [سير أعلام النبلاء 9/ 391] وقال الحاكم النيسابوري في «تاريخ نيسابور»: وسمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا، وهم إذ ذاك متوافرون، إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضى بطوس، ومشهده بها معروف يزار، قال: فرأيت من تعظيمه، يعني ابن خزيمة، لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا منه [تهذيب التهذيب 7/ 388].

ويروى عنه قوله: كلّ شيء بقدر، حتى العجز والكيس، وهو توضيح لمقالته السابقة التي رواها عنه أبو عثمان المازني النحوي [تهذيب التهذيب 7/ 387].

ويروى أنه قال: من قال القرآن مخلوق فهو

كافر. وهو بهذا يردّد مقالة جدّه الصادق: القرآن لا خالق ولا مخلوق بل هو كلام الله.

له إخوة من الذكور عددهم ثمانية عشر، ومن الإناث ثلاث وعشرون، أدرج الزبير بن بكار (250هـ) أسماءهم في كتابه «نسب قريش» منهم إبراهيم، وعباس، والقاسم، وإسماعيل، وجعفر، وهارون، وحسن، وأحمد، ومحمد، وزيد، وله من الأولاد محمد الجواد، وهو عند الإمامية الإمام التاسع، والحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسين، وعائشة [تهذيب الكمال 5/ 304؛ سير أعلام النبلاء 9/ 393].

آثاره

ينسب له المؤرخون جملة من المصنّفات منها:

1 ـ صحيفة علي بن موسى الرضى في الحديث والفقه. طبعت مع مسند الإمام زيد بن علي. وهي موضع شكّ في نسبة ما جاء فيها إليه، لأن راويها عنه أبو الصلت عبد السلام الهروي ضعيف؛ 2 ـ جواب مسائل علل الأحكام. ذكره العاملي في أعيان الشيعة 2/ 12؛ 3 ـ الرسالة الذهبية في الطبّ. تح. د. محمد بن علي البار؛ 4 ـ فقه الرضى. [أعيان الشيعة 2/ 12؛ أعلام المؤلفين الزيدية 724].

المصادر والمراجع

● الوجيه، عبد السلام، أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان؛ ● العاملي، محسن الأمين، أعيان الشيعة؛ ● الجندي، عبد الحليم، الإمام جعفر الصادق، دار المعارف، القاهرة، د.ت؛ ● السمعاني، الأنساب، ط1، مطبعة محمد هاشم الكتبي، بيروت، 1396هـ/ 1976م؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1417هـ/ 1997م؛ ● الطبري، تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، (مصورة)؛ ● العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ط. حيدر آباد، 1325هـ؛ ● المزّي، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/ 1998م؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت؛ ● الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1408هـ/ 1985م؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

د. صاحب جعفر أبو جناح
جامعة صنعاء ـ اليمن

جعفر الصادق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر

(80هـ/699م ـ 148هـ/765م)

جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، القرشي. أبو عبد الله الملقّب بالصادق. ويتصل نسبه من جهة أمّه بأبي بكر الصديق ﷺ؛ فأمّه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمّها أسماء بنت عبد الرحمٰن بن أبي بكر. ولذلك كان جعفر يقول: ولدني أبو بكر مرّتين.

إمام أهل البيت النبوي في عصره، المجتهد، الراوية للأحاديث والآثار.

ولد ونشأ بالمدينة المنوّرة في كنف آل البيت النبوي ورعايتهم، بزعامة جدّه علي زين العابدين، ثمّ أبيه محمّد الباقر، اللذين أشرفا على تربيته وتعليمه وتلقينه علوم الدّين وحكمه العالية ونبل الأخلاق وشرف المحتد. وقد دامت صحبته لجدّه (ت 94هـ/ 713م) 14 سنة، ولأبيه (ت 144هـ/ 733م) 34سنة. وهذه الصحبة الطويلة لهذين الإمامين مكّنته من أن يغترف من علمهما وحكمتهما، ما أهله لأن يصبح عميد آل البيت النبوي في عصره بعدهما.

على أنّ واقع الحركة العلمية في المدينة المنوّرة في ذلك العصر كان يشهد زخما كبيرا، إذ كانت المدينة في نهاية القرن الهجري الأوّل، أي مدّة التحصيل العلمي لجعفر الصادق، تحتلّ موقعا رياديا في الإشعاع العلمي ونشر الثقافة الإسلامية، وتستقطب الزائرين وطلّاب المعرفة الدينية من كلّ أصقاع البلاد الإسلامية، بحكم مكانتها الروحية في نفوس المسلمين؛ وكان من أبرز عناصرها توفّر عدد هائل من علماء التابعين، الذين تتلمذوا على الصحابة، ونقلوا عنهم ما تعلّموه وحفظوه من رسول الله ﷺ؛ يضاف إلى هذا العنصر أنّ علوم الدين كانت تقوم على الرواية وتناقل الأخبار، وكان العلماء يحرصون على طرق الروايات الموثوق بها، لتلقّي ما هو صحيح النسبة إلى رسول الله ﷺ. فهذا الواقع يفرض أن يكون لطلّاب المعرفة اتصال بعلماء عصرهم؛ ليفيدوا ويستفيدوا.

وهكذا كان شأن علماء آل البيت؛ فما كانوا منكفئين على أنفسهم، ولا منغلقين على ما لديهم ممّا ورثوه عن آبائهم؛ بل كانوا منفتحين على من حولهم، يبثّونهم ما عندهم ويأخذون عنهم معارفهم؛ وهو الشأن اللّائق بهم، قياما بواجب العلم والنصيحة للدين؛ فلم يكن علمهم منقطعا عن علم التابعين، ولا علم التابعين منقطعا عن علمهم. وبناء على هذا؛ فإنّ أوّل من يطالعنا في محيط جعفر الصادق، والذي لا يخالج الشكّ أحدا في أنّه كان من معلّميه؛ هو جدّه لأمّه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق، المعروف بأنّه أحد الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علم الصحابة والتابعين في المدينة المنوّرة، والذين

كانت تدور عليهم الفتوى بها في عصرهم، وعن طريقهم آل هذا العلم إلى من جاء بعدهم من الفقهاء والمحدّثين.

والقاسم هذا، تربّى في حجر عمّته السيّدة عائشة ﷺ؛ فروى عنها وتفقّه بها. ولا شكّ أنّه اقتبس من علم عليّ ﷺ الشيء الكثير، وذلك عن طريق أبيه محمّد بن أبي بكر، إذ كان عليّ يعتبره كابنه، فقد احتضنه بعد أن تزوّج أرملة أبي بكر الصدّيق. والثّابت أيضا أنّ القاسم أخذ عن عبد الله بن عباس ﷺ. وقد مات القاسم سنة 108هـ/ 726م، وكان جعفر في الثامنة والعشرين من عمره. وتدلّ طول هذه الصحبة والمعايشة على عمق وثراء استفادة جعفر من جدّه لأمّه.

ومن التابعين الذين ذكروا أيضا في مشائخ جعفر مع أبيه وجدّيه؛ عطاء بن أبي رباح، وعروة بن الزبير، ونافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري، وعكرمة، ومحمد بن المنكدر، وعبيد الله بن أبي رافع، وابن أبي مريم.

وبذلك يكون الصادق ﷺ قد جمع في تحصيله لعلوم الشريعة وفهمها بين مسلكين: الأول أئمّة أهل البيت، والثاني علماء المدينة المنوّرة من التابعين، والمسلكان نبعهما واحد، وهو النبي ﷺ.

وفي هذه البيئة ترقّى جعفر الصادق في مدارج العلم والمعرفة، حتّى بلغ فيهما مرتبة الامامة، وتحدّث علماء المسلمين بعلمه وفضله، وأصبح مقصد طالبي العلم من كلّ الآفاق، وسارت إليه لذلك الركبان. وقد أخذ عنه وتفقّه به وروى عنه نخبة من أكابر علماء المسلمين في عصره؛ منهم من طبقة التابعين، يحيى بن سعيد الأنصاري وهو من أقرانه، وأيوب السختياني، وأبان بن تغلب، وأبو عمر بن العلاء، ويزيد بن عبد الله الهادي وقد مات قبله. ومن الطبقة التالية لهم:

- الإمام أبو حنيفة. وقد ذكر مؤرخو الامامية أنّه صحبه عامين. وتوجد رواياته عن الإمام الصادق في كتب أبي يوسف ومحمد بن الحسن.

- الإمام مالك بن أنس. وقد اختلف إليه في مجلسه وانتفع من فقهه ورواياته، ورواياته عنه مذكورة في موطئه.

- الأئمّة شعبة بن القاسم، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والقاضي سليمان بن بلال، وابناه إسماعيل بن جعفر وموسى الكاظم، وخلق كثير ممن كانوا بالمدينة، ومن الوافدين عليها، ومن الذين التقى بهم في العراق لمّا دعي إليها مرّات من قبل الخليفة العباسي.

لقد عرف الصادق بغزارة العلم وإمامته في مختلف فنونه التي كانت منتشرة في عصره؛ فهو إمام في علم الحديث، وقد كان علماء الحديث في عصره ومن جاء بعدهم يذكرونه بكلّ احترام وتقدير، ويشهدون بثقته وأمانته وحفظه وصدقه واستقامة رواياته، وكان الإمام مالك ربما قال: «حدّثني الثقة بعينه جعفر الصادق». وقال أبو حاتم: «لا يسأل عن مثله» [تهذيب التهذيب 2/ 104؛ ميزان الاعتدال 1/ 414]. وقد أخرج له الإمام مسلم في صحيحه، كما أخرج له أصحاب

السنن، أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارقطني. ويمكن القول إن روايات الإمام جعفر ﷺ للسنّة النبوية ولآثار أئمّة آل البيت، التي رويت عنه من غير طريق أهل السنّة، إن صحّت طرق النقل عنه، تعتبر توثيقا هاما لما كان المحدّثون من أهل السنّة يتشدّدون في روايتها خشية الدسّ والوضع على هؤلاء الأئمّة الأطهار وعلى النبي من طريقهم، في فترة كان الولاء السياسي والعاطفي أحد أسباب الوضع على الرسول. ولذا، فإنّ ما قيل حول تجنّب الإمام البخاري الرواية، لا يمكن أن يفسر إلّا بأنّه توقف في الرواة الذين يوصلون إليه الروايات، وليس توقّفا في جعفر ﷺ [الإمام الصادق، ص 258].

وفي علم الفقه، كان الصادق ﷺ في الذروة بين فقهاء عصره، وكان معنيا كلّ العناية بمعرفة آراء الفقهاء على شتّى مناهجهم واختلاف مشاربهم، وفيه قال أبو حنيفة إثر مناظرة جرت بينهما بحضور الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور: «إنّ أعلم النّاس أعلمهم باختلاف الناس». فقد كان على علم كامل بما انتهت إليه المدارس الفقهية في عصره، والتي كان قطباها مدرسة المدينة المنورة ومدرسة العراق؛ وكان له من بين ذلك أقوال وآراء واختيارات، موافقة لاحداهما تارة ومخالفة لهما تارة أخرى. وقد ساهم جهد الإمام الفقهي في إثراء مجال التشريع في حياة الأمّة، بتتبّع ما يطرأ عليها من مشاكل بالحلول الشرعية التي تجعل المسلمين يحيون في كنف الشريعة.

ولمّا كان النظر الفقهي في بداية القرن الثاني هجري قد أخذ ينتقل من طور النظر الجزئي للمسائل الذي كان سائدا في عصر التابعين، إلى النظر الكلّي المحكوم بمنهج تتنزّل في إطاره المسائل، والذي أصبحت قواعده واضحة في أذهان الفقهاء الذين آلت إليهم مهمّة الإفتاء في عصر ما بعد التابعين، وأقاموا بحثهم الفقهي على منهج يتميّز به كلّ إمام عن غيره؛ عرف فيما بعد بعلم أصول الفقه، فإنّ الإمام الصادق يعتبر من أئمّة هذا العصر الذين تأسس على أيديهم هذا العلم ونضج واكتمل، وإن لم يفكّروا في تدوينه، ولكن دلّت عليه آراؤهم واجتهاداتهم في فروع المسائل المعروضة عليهم، وإشاراتهم، في دروسهم لتلامذتهم، إلى مستنداتهم وأصولهم فيما يأخذون به ويتوصّلون إليه. وبذلك يكون الإمام الصادق قد أرسى دعائم مذهب متكامل الأركان، يقوم على فتاوى منبثقة عن منهج واضح المعالم، وقد تلقاه عنه أتباعه ومريدوه، وتناقلوه في عصره وبعد عصره. وبعد مرحلة التأسيس والتلقّي عن الإمام، مرّ هذا المذهب بمرحلة تالية، تناوله فيها الأتباع بالدرس والفهم، وكشفوا عن دقائق منهج الإمام في أصوله، وصنّفوا فيه المصنّفات. وأصبح هذا المذهب ينسب إلى من له الفضل في تأسيسه ووضع قواعده، ويعرف بالمذهب الجعفري.

وفي مجال العقيدة، فإنّ مقالاته المنسوبة إليه في مباحث القدر وأفعال الإنسان ومرتكب الكبيرة وصفات الله تعالى ومسألة خلق القرآن وغير ذلك من موضوعات العقيدة، تدلّ على اطلاعه ومتابعته لما كان يستجدّ في عصره من آراء ونظريات في هذا المجال، وعلى

استقلال نظره فيه. وقد وجّه جهده لتجلية عقيدة الإسلام، ودفع الشبهات عنها، خاصّة تلك التي كان الزنادقة يثيرونها، وكان له معهم في ذلك مناظرات. ويدّعي المعتزلة أنّ أئمّة آل البيت كانوا رؤوس الاعتزال في عصورهم. وربما يكون التوافق الموجود بين آراء مذهبي الامامية والزيدية وآراء المعتزلة في قضايا من علم العقائد، وثبوت الاتصال بين الإمام زيد عمّ الإمام الصادق وواصل بن عطاء، وكذلك الاتصال بين الإمام الصادق ورجال الاعتزال، يزكّي القول بتأثّر المعتزلة بآراء أئمّة آل البيت، ومنهم الإمام جعفر الصادق، ويثبت مدى تأثير هذه الشخصية في إثراء الفكر الإسلامي خصوصا، والفكر الإنساني عموما، وإن كان يوجد عند التدقيق والمقارنة بين فكر المعتزلة وما ينسب للإمام الصادق فوارق، ولا يوجد توافق تامّ.

ويفترض في إمام الفقه والعقيدة ومعرفة السنن، أن يكون على دراية عميقة بالقرآن وعلومه، لأنّه مصدر الإسلام الأوّل، وحجّته الباقية، ومنبع معارفه. وكذلك كان الإمام الصادق، عالما بالتفسير وما يتوقّف عليه من معرفة بناسخ القرآن ومنسوخه، وعامّه وخاصّه، ومحكمه ومتشابهه، ومكّيه ومدنيّه، ورخصه وعزائمه، وأسباب نزوله، ونحو ذلك ممّا قرر هو نفسه وجوب معرفته على كلّ من يتصدّى لتفسير القرآن والاستنباط منه.

وقد كان فهم الصادق للقرآن الكريم عميقا، ما ارتفع به إلى مصافّ حكماء الأمّة، وعلماء الأخلاق والفضيلة في الإنسانية، بما كان يصدر عنه من فيض الحكم والوصايا، التي كان يفيضها على أبنائه ومريديه. وهي تكشف عن دراية عميقة بأغوار النفس البشرية وطبائعها.

وكان سلوك الإمام الصادق مظهرا من مظاهر القيم الأخلاقية والفضائل النفسية التي كان يعلّمها. فقد ذكر المتحدّثون عنه أنّه كان مخلصا، نافذ البصيرة، قوي الإدراك، حاضر البديهة، حصيف الرأي، جلدا، صابرا، سخيا، حليما، سمحا، شجاعا، قوي الفراسة، ذا هيبة وجلال، ورعا، تقيا، كثير العبادة والذكر لله تعالى، متواضعا مع الخلق، مستجاب الدعوة، وقد لقّب بالصادق لصدقه في مقالته ومواقفه.

حكى عنه الإمام مالك بعض خصاله فقال: «كنت آتي جعفر بن محمّد، وكان كثير التبسّم، فإذا ذكر عنده النبي اخضرّ واصفرّ. ولقد اختلفت إليه زمانا، فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال: إمّا مصلّيا، وإمّا صائما، وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدّث عن رسول الله إلّا على طهارة، ولا يتكلّم فيما لا يعنيه. وكان من العبّاد الزّهّاد الذين يخشون الله. وما رأيته إلّا يخرج الوسادة من تحته ويجعلها تحتي».

وممّا يضاف إلى علوم الإمام الصادق، معرفته بما يعتبر نتيجة لتعمّقه في دراسة القرآن الكريم وتفهّمه، وهو علم الكونيات، امتثالا للأمر الإلهي بالنظر والتأمّل في خلق السماوات والأرض. وقد جعل علمه بذلك، كما تدلّ عليه رسائله المنسوبة إليه عن طريق تلميذه جابر بن حيان، لإثبات وحدانية الله تعالى وحكمته في خلقه. لكن ما يزال الشكّ متطرّقا في صحّة نسبة رسائل ابن حيان في الكيمياء إلى الإمام جعفر الصادق، فالشيخ صلاح

الدين الصفدي ينزّهه عن ذلك، ويرى نسبة ابن حيان ذلك إليه لتتلقى النفوس هذا العلم بالقبول [فوات الوفيات، 1/ 275]، بينما لا يرى الإمام محمّد أبو زهرة ما يوجب ردّ نسبة هذه الرسائل إليه، طالما لا يوجد دليل قطعي لردّها [الإمام الصادق، ص 32].

هذه المعطيات التي قدّمناها عن الإمام الصادق تمثّل الجانب المتفق عليه بين أهل السنّة والشيعة، في التعريف به. ويختلف الفريقان، فيما يتصل بعلمه، في أمرين: في نسبة علم الجفر إليه، وفي مصدر علومه.

وعلم الجفر عبارة عن كتاب يتضمّن العلم بما كان، وبما يكون، سواء أكان بالحروف والرموز، أم كان بالأخبار والروايات. ويدّعي الشيعة الامامية أنّ النبي دفعه إلى علي ﷺ، وأنّ عليا دفعه إلى ابنه الحسن، الذي دفعه بدوره إلى أخيه الحسين، وظلّ ينتقل بالوصاية من إمام إلى إمام، بحسب ترتيبهم على مذهب الامامية، إلى أن انتهى إلى جعفر الصادق. وهذا ما ينفيه أهل السنّة بشدّة، وينزّهون الإمام الصادق عن ادّعائه لنفسه أو لأحد من آبائه، لأنّه من علم الغيب الذي ينفرد الله تعالى بعلمه، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه، إلّا من ارتضى من رسله. وقد تواترت آيات القرآن الكريم على التأكيد على ذلك. على أنّ الأستاذ أحمد جواد مغنية، وهو من أبرز علماء المذهب الجعفري في العصر الحديث، يذكر ما يفيد أنّه متوقّف في هذه المسألة، وينسب لعلمائهم السابقين عدم وقوفهم فيها على حقيقة يطمئنّون إليها [«جعفر الصادق» ص 208، نقلا عن «الإمام الصادق» لأبي زهرة، ص 36]. وأمّا مصدر علومه، فإنّ الشيعة يقولون إنّ علمه إلهاميّ غير كسبي، وهو ما يخالفهم فيه أيضا أهل السنّة، لأنّه لا عصمة لأحد بعد النبي، وإنّ الإمام الصادق حاز مرتبة العلماء المبرّزين، وحصّل معارفه، بجدّه واجتهاده وتفرّغه للعلم وسعيه فيه، فعلمه بذلك كسبي لا إلهامي. فهو في نظرهم أحد أئمّة الاجتهاد الموفّقين الذين راضوا أنفسهم على الإخلاص في طلب العلم، فبلغوا أعلى درجاته. وإنّ النظر إليه بهذه الصفة لا ينقص من قدره العلمي ولا من شرف نسبه ولا يبخسه حقّه في التوفيق الذي كان يصاحبه في قوله وعمله.

وفي مجال السياسة، فالمتفق عليه أنّه لم يكن له نشاط سياسي، ولا كان له شغل بالسياسة، وكان سائرا في ذلك على نهج أبيه الباقر وجدّه زين العابدين. ولعلّ الفجيعة التي حصلت للأمّة بمقتل الحسين عليه السلام، والتنكيل بآل بيت النبي في موقعة كربلاء، في عهد بني أميّة، كان لها أكبر الأثر في صرف اهتمامهم عن المجال السياسي والتفكير في الخلافة. وجعفر الصادق، مع ما ورث من أسى وحسرة على ما حدث، فقد كان شاهدا أيضا لما وقع لعمّه الإمام زيد الذي خرج ناقما على الحكم الأموي في عهد هشام بن عبد الملك، وما انتهى أمره إليه، بأن قتل قتلة فاجرة ونبش قبره وصلب جثمانه الطاهر، كما كان شاهدا لما حدث لثورة أبناء عمومته، محمّد النفس الزكية وأخيه إبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، وما آل إليه خروجهما من فجيعة تشبه فجيعة الإمام زيد، ثم رأى كيف تتابع القتل في أبناء عمّه زيد، وكيف سلّط الاضطهاد على كبير أهل البيت عبد الله بن

الحسن؛ وكلّ ذلك وقع في عهد المنصور، أوّل قيام الدولة العباسية، وهو كاف لأن يبرّر انصرافه عن السياسة، وعدم استجابته لجمهور الشيعة الذين يرونه أهلا لقيادة المسلمين وتولّي أمورهم، ويطلبون منه تحرّكا من أجل ذلك، إذ قد تكوّن له رأي، أنّ مثل هذه التحرّكات لا تفيد شيئا أمام استبداد الحكام، ومنعهم الناس من التعبير عن آرائهم في مجال السياسة وشؤون الحكم، وأخذهم رعاياهم بالتهمة، واستباحتهم القتل السياسي، وأمام تخاذل الأنصار الذين كانوا يغرّون ولا ينصرون، ويتكلّمون ولا يفعلون، ويبايعون وعند الشدّة يفرّون، و«إنّ المغرور من يخدع بهم» كما قال الإمام علي كرّم الله وجهه.

ومع ذلك، لم يسلم الإمام جعفر الصادق من تظنّن الحكام، فقد كان أبو جعفر المنصور العباسي يتصوّر أنّه ناقم على حكم العبّاسيين، ولذلك كان يتوجّس منه خيفة كلّما رأى الناس ملتفّين حوله، يقدّرونه ويقتدون به، وكلّما رأى شيعته يراسلونه ويتصلون به ويقطعون المسافات لزيارته. وجعل عليه عيونا تتجسس عليه وتحصي عليه تحركاته، ودعاه مرّات إلى مركز حكمه بالعراق، بعضها لمساءلته واستجوابه، وبعضها للتودّد إليه. ولم يكن يخفى على الإمام الصادق ما تتضمّن هذه الدعوات من تلويح بالتهديد والوعيد، ولكنه سار على النهج الذي رسمه لنفسه، لم تغرّه دعوات الأنصار، ولم يستفزّه التلويح بالتهديد.

على أنه لا يمكن أن يفسّر موقفه هذا بأنّه كان ينظر إلى حكم الأمويين والعباسيين بعين الرضا، إذ يكفي انحراف الحكم في هذين العهدين عن هدي النبي وهدي الخلفاء الراشدين بعده، ليكون موضوع انتقاد العلماء المخلصين وتطلّعهم للإصلاح ومساندتهم للمصلحين، كما كان شأن التابعي سعيد بن جبير في مساندته لثورة ابن الأشعث، والإمام أبي حنيفة في مساندته لثورة الإمام زيد، والإمام مالك في مساندته لثورة محمد النفس الزكية. وهذا من غير النظر في أهلية حكام هذين العهدين لتولّي منصب النيابة عن الرسول في حراسة الدّين وسياسة الدنيا به، وإلّا فإنّ لأئمّة آل البيت، ومنهم جعفر الصادق، ولغيرهم من أئمّة المسلمين، الحق في أن يروا أنفسهم أكفأ من حكام الأمويين والعباسيين لحكم المسلمين. فموقف الإمام الصادق إذن، كان لا يخلو من تفسير قد يختلف في تحديده دارسو سيرته. لكن في التاريخ جعل أنصاره والمتشيّعين للحكم العلوي يحملون هذا الموقف على التقية [القرامطة، ص 38؛ الإمام الصادق، ص 40].

وفي ظلّ هذا التفسير تكونت حول شخصية جعفر الصادق أفكار تقوم على اعتبار إمامته إمامة حكم وسياسة، وعلى استحقاقه لها ولو لم يخرج داعيا لنفسه، وأنّه ورثها بوصية من أبيه، وهو معدود عند من يقول بذلك سادس الأئمّة، بعد علي والحسن والحسين، وعلي زين العابدين، ومحمد الباقر ﷺ، كلّ واحد أوصى بها لمن بعده. وعلى هذا التسلسل، يعتبر الشخصية التي يلتقي على الاعتراف بإمامتها مذهب الإسماعيلية ومذهب الامامية الاثني عشرية وبعض الفرق الشيعية الأخرى، ويختلفون بعده لمن أوصى بها جعفر من

أبنائه. ويخالفهم الشيعة الزيدية في ذلك، إذ يسوقون الإمامة، لزيد عمّ جعفر الصادق، ثمّ لابنه يحيى بن زيد، ويرون أنّ استحقاق آل البيت للإمامة يكون لمن خرج مطالبا بها، داعيا لنفسه، وهو ما لم يفعله جعفر ﷺ. وأهل السنّة يخالفون الجميع، ويرون أنّ إمامتهم إمامة علم وهدى وتقوى وصلاح، وأنّ ذلك لا يحطّ من قيمتهم ولا ينقص من قدرهم. وفي غياب الدليل القاطع على صحّة ما ينسب للإمام الصادق أو لأحد من أئمّة آل البيت من القول بوجود الوصاية بالإمامة، فقد ظهرت من بعض الباحثين المعاصرين من علماء المذهب الجعفري، كأحمد جواد مغنية، مراجعات حول هذه القضية وميل إلى نفيها [«الإمام جعفر الصادق» ص 206، نقلا عن «الإمام الصادق» ص 198 لأبي زهرة].

كما تكوّنت حول شخصية هذا الإمام عديد الأفكار التي نسبت إليه في غير مجال الحكم، وبعضها يمسّ من جوهر الدين وأصوله، كالقول بالجفر وبوجود نقص في القرآن والطعن في الصحابة وخاصّة أبي بكر وعمر ﷺ وحتّى القول بإلهية جعفر واستحلال المحارم، وقد قام على ترويجها ونسبتها إليه في عصره أبو الخطاب الأسدي، أحد تلامذة الإمام جعفر المعروفين بالزندقة. وقد ثبت تبرّؤه منه وتحذير الناس من أقواله ومما ينسبه لآل البيت.

وقد دعا الإمام محمد أبو زهرة، مؤيدا لمحمد يحيى الهاشمي أحد الباحثين من علماء المذهب الإمامي الاثني عشري، إلى تمحيص كتاب «الكافي» للكليني(ت 329هـ)، لتضمّنه بعض هذه الأقوال ونسبتها للإمام الصادق، دون التعقيب عليها وردّها؛ على اعتبار أنّ هذا الكتاب هو أقدم المصنّفات التي دوّنت أقوال الصادق، لكنّه ألّف بعد وفاة الإمام جعفر بما يقرب عن مائتي سنة، ولا يوجد فيه الحرص على ذكر أسانيد الروايات التي توصلها بالإمام ﷺ، بحيث يمكن معرفة أحوال رجالها ونقدهم وتمييز الثقة من غيره.

أنجب الإمام جعفر الصادق عشرة أبناء، سبعة من الذكور وثلاث بنات. ومن أبنائه إسماعيل، وهو الأكبر، وقد توفي في حياة أبيه. وتعتبره فرقة الإسماعيلية الموصى له بالإمامة من طرف أبيه، ولكنه لما توفّي قبله فقد ساقوا الإمامة لابنه محمد بن إسماعيل.

ومن أبنائه موسى الكاظم، الذي يعدّه مذهب الإمامية الاثني عشرية وصيّ أبيه بالإمامة بعده، حين توفّي إسماعيل. كما تفرّعت فرقتان أخريان، تنسب إحداهما لابنه محمد، والأخرى لابنه عبد الله، وكلّ فرقة تدّعي لزعيمها أنّه وصي أبيه بالإمامة.

عاش الإمام جعفر الصادق متفرّغا للعلم، مجاهدا في سبيل نشره وردّ الشبهات عن الدين، باذلا ما في وسعه للمحافظة على قيم الإسلام ومبادئه حية في النفوس والعقول والواقع، فجزاه الله عن الإسلام خيرا، ورضي الله عنه وعن آل بيت النبي.

وقد توفي بالمدينة المنوّرة، في شهر شوّال على بعض الأقوال، سنة 148هـ/ 765م. وقيل في سبب وفاته أنّه دسّ له السمّ في طعامه، من قبل أبي جعفر المنصور، وهو أمر ليس مؤكّدا. وقد دفن بالبقيع في قبر فيه أبوه

محمد الباقر وجدّه علي زين العابدين وعمّ جدّه الحسن السبط ابن علي، رضوان الله عليهم أجمعين.

المصادر والمراجع

● الأصبهاني، أبو نعيم أحمد، حلية الأولياء، القاهرة، 1351هـ/ 1932م، 3/ 192 ـ 206؛ ● البستاني، بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، 6/ 478؛ ● تامر، عارف، القرامطة، دار الكتاب العربي، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ص 38، 49 ـ 51؛ ● ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان، صفة الصفوة، حيدر آباد الدكن، 1359هـ، 2/ 168 ـ 174؛ ● ابن حجر العسقلاني، أحمد، تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن، 1325هـ، 2/ 103 ـ 105؛ ● ابن خلكان، أبو العباس أحمد، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1/ 327 ـ 328؛ ● الذهبي، محمد، ميزان الاعتدال، تح. علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، سنة 1382هـ/ 1963م، 1/ 414؛ ● الذهبي، محمد، العبر في خبر من غبر، تح. صلاح الدين المنجد ومن معه، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، 1960م، 1/ 208 ـ 209؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، 1999، ط 14، م1/ 126؛ ● أبو زهرة، محمد، الإمام الصادق، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة؛ ● ابن شاكر الكتبي، محمد، فوات الوفيات، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1/ 275؛ ● شترشتين ZETTERSTEEN. V.K.، نقلها إلى العربية أحمد الشنتناوي ومن معه؛ ● ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، شذرات الذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1/ 220؛ ● ابن قنفذ القسنطيني، أحمد، الوفيات، تح. عادل نويهض، ط 1، 1971م، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ص 127؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مطبعة الترقي، دمشق، 1380هـ/ 1960م، م3/ 145؛ ● هوتسما، م. ت، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط 1، 1418هـ/ 1998م، ج10/ 3010 ـ 3013؛ ● اليافعي، ابو عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط 2، 1390هـ/ 1970م، ج1/ 304 ـ 305.

أ. الحبيب بن طاهر
وزارة الشؤون الدينية ـ تونس

ابن جعفر، أبو الفرج قدامة

(275هـ/888م ـ 337هـ/948م)

قدامة بن جعفر الكاتب الناقد «أبو الفرج أو أبو عمرو» (ت 328هـ/940م أو 337هـ/ 948م). كان جده نصرانيا اعتنق الإسلام [الفهرست، 144، تح. رضا تجدد، طهران 1971]. أما أبوه فكان كاتبا في بعض الدواوين، وإن كان ياقوت يرى أنه كان ممّن لا يفكّر فيه ولا علم عنده [معجم الأدباء، 5/ 2235، تح. إحسان عباس، بيروت، 1993].

ويميل عدد من الدارسين المحدثين من المستشرقين والمتأثرين بهم إلى عدّ قدامة الحفيد نصرانيا اعتمادا على وهم من ياقوت الذي ينقل عن الفهرست، كما أن كتابه في الخراج يؤكّد عمق ثقافته الإسلامية إلى جانب الثقافة اليونانية. وقد ولد وعاش في بغداد في عصر ضمّ عددًا من أكابر العلماء مثل المبرّد، وابن قتيبة، والسيرافي، وثعلب، وكان على صلة بالأخير منهم [مصورة «الخراج»، ص391]، ونسب إليه أنه درس على المبرّد، ولكنّ هذا غير مؤكّد. ولهذا لا نعرف شيوخه في الثقافتين الإسلامية واليونانية، ويكتفي ياقوت بقوله: «قرأ واجتهد وبرع في صناعتي البلاغة والحساب» [نفسه، ص2236]، وقرأ قدرا صالحا من المنطق، حتّى عدّه معاصروه منطقيا فيلسوفًا، وأهّلته ثقافته للعمل في دواوين الدولة العباسية كديوان الإنشاء وديوان المال. وكان في بعض المراحل (سنة 297هـ/ 910م) صاحب مجلس الإمام (في ديوان الأعمال) مقرّبا من وزراء الدولة العباسية وبخاصّة الفضل بن جعفر بن الفرات، وعلي بن عيسى (الوزير الصالح)، وقد قدم كتابه «نقد الشعر» للثاني منهما، فاختبر الكتاب فوجده قد أحسن وتفرّد، لكنه وجده «هجين اللفظ ركيك البلاغة وكأنّ ما يصفه ليس ما يعرفه»، ولفظة «ركيك» غير دقيقة، لأنّ أسلوب قدامة أسلوب علمي وليس له طلاوة الأسلوب الأدبي الذي كان يعجب الوزير.

وقد حضر قدامة سنة 320هـ أو 326هـ مجلسا بحضرة الوزير ابن الفرات للمناظرة بين أبي سعيد السيرافي، ومتّى بن يونس مترجم كتاب الشعر لأرسطاطاليس للمفاضلة بين النحو والمنطق [التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، 1/ 108، تح. أحمد أمين ورفيقه، القاهرة 1953؛ ياقوت، ص 2235]. وكان في الحاضرين عدد من علماء بغداد، ممّا يؤكّد المكانة العلمية التي كان أحرزها قدامة.

آثاره

عدّ له ياقوت، اعتمادا على ابن النديم، اثني عشر كتابا، لم يصلنا منها إلّا: 1 ـ نقد الشعر؛ 2 ـ جواهر الألفاظ؛ 3 ـ النصف الثاني من كتاب الخراج، وهو في أصله يضمّ

ثماني منازل أضاف إليها منزلة تاسعة، فما وصلنا يشمل المنازل (5 ـ 8)، وقد وصف التوحيدي المنزلة الثالثة بقوله: «وما رأيت أحدا تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر».

وقد نال كتاب الخراج الاهتمام في العصر الحديث لأهميته البالغة في نُظُم الدولة والجغرافيا والأخبار والفكر السياسي، فنشرت قطعة منه مع كتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبة [ليدن، 1889، تح. دي خويه]. وحقق المنازل الباقية منه محمد حسن الزبيدي [بغداد، 1979]، واستخرج منه مصطفى الحياري ما يتعلّق بالدواوين والسياسة [عمان، 1981، 1988]، ونشر المنزلة الخامسة طلال جميل رفاعي [مكة، 1987]، ونشر ابن شمس المنزلة وترجمها إلى الإنجليزية. وقام الأستاذ فؤاد سزكين بتصوير مخطوطة كوبرللي منه [رقم 1076] ونشرها [فرانكفورت، 1986].

كذلك نال كتابه نقد الشعر اهتماما مقاربا، فطبع عدة مرات في مصر، ثم نشره الأستاذ بونيباكر [ليدن، 1956] محققا على ثلاث نسخ. ومما يلفت النظر أنّ قدامة سمى كتابه «نقد الشعر» فأوجد للنقد علما مستقلا عن البلاغة مع أنه وضع فيه عددا كبيرا من المصطلحات البلاغية. وقد انتقل قدامة بنقد الشعر نقلة جريئة وبخاصة حين نقارنه بمعاصريه ابن قتيبة وثعلب، إذ ربط إلى عجلة الثقافة اليونانية، فاعتمد المنطق في التقسيم، ونظرية الفضائل الأفلاطونية الأربع الكبرى (العقل، والشجاعة، والعدل، والعفة) بسيطة كانت أو مركبة، فهي القاعدة التي يعتمد عليها المدح، وعلى أضدادها يعتمد الهجاء.

أما الرثاء، أو التأبين، فيتم بتحويل الفعل إلى صيغة الماضي [إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، 184، عمان، 1993]. وربما كان هذا الربط خطأ، ولكن الذي ظلّل قدامة وغيره أن التراجيديا عند أرسطاطاليس أصبحت تقابل «المدح» عند العرب وأن «الكوميديا» (القوموذيا) أصبحت هي الهجاء.

ومع أنّ قدامة ربط الشعر بالفضائل وأضدادها فإنه كان يؤكد الغلوّ في الشعر، ذهابا مع من يقولون: «أعذب الشعر أكذبه»، والكذب هنا ليس أخلاقيا وإنّما هو يقابل عملية التخيّل أو المحاكاة التي دار كتاب الشعر لأرسطاطاليس حولها.

أمّا مؤلفاته الأخرى فمنها ثلاثة كتب تكاد تكون كتابا واحدا، هي «صابون الغم»، و«صرف الهم»، و«جلاء الحزن»، وكلها ذات صلة برسالة في دفع الهم للكندي يعقوب بن إسحاق فيلسوف العرب، وله في النقد كتاب آخر هو «الرد على ابن المعتز» في مآخذه على أبي تمام، وكتاب ثان يؤكد تضلّعه في الثقافة اليونانية وهو «في صناعة الجدل». ولكن هذه الكتب ومعها عدد آخر لم تصلنا.

المصادر والمراجع

● ابن الجوزي، المنتظم، تح. محمد عبد القادر عطا وأخيه، بيروت، 1992، 14/ 173؛ ● الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تح. الدكتور الحياري والبخيت، شتوتغارت، 1993، 24/ 205 ـ 206؛ ● ابن تغري بردي، النجوم

الزاهرة، القاهرة، 3/ 297 ـ 298؛ ● الزركلي، الأعلام، ط 2، 1955، 6/ 31؛ ● Brockelmann; GAL. I, p. 228. Supp. I, pp. 406-407; ● Bone Bakkar in EI 2 vol. V, pp. 318-320.

د. إحسان عباس
الجامعة الأمريكية - بيروت - لبنان

أبو جعفر، القارئ يزيد بن القعقاع

(40هـ/660م ـ 130هـ/747م)

هو قارىء المدينة المنوّرة، وأحد القرّاء العشرة المشهورين واسمه يزيد بن القعقاع، وكان مولى لأحد أعلام القراءة بالمدينة المنوّرة وهو عبد الله بن عياش المخزومي (ت 87هـ/ 705م)، وكان أقرأ أهل المدينة، ثمّ خلفه أبو جعفر في رئاسة الإقراء بها فهو مدني مولدًا، ومخزومي ولاءً؛ وقد أخذ القراءة عن سادات التّابعين، وعن جلّة الصّحابة، وكنيته المشهورة «أبو جعفر»؛ وكان يلقّب بـ«القاري» أو «القارئ» بالهمز وتسهيله، أمّا تسميته بـ«فيروز» أو «جندب بن فيروز» فغير مؤكّد.

وقد أدرك أبو جعفر أمّ المؤمنين أمّ سلمة وجيء به إليها وهو صغير، فمسحت على رأسه، ودعت له بالبركة.

كما التقى أبو جعفر بعدد من الصّحابة وأخذ القراءة عنهم، ومن بينهم حبر الأمة عبد الله بن عباس (ت 68هـ/ 987م) الّذي قضى بالمدينة ما يقرب من خمسة وعشرين عامًا، بعد مفارقته للعراق قبل مقتل علي بن أبي طالب، وثبت لقاء أبي جعفر به وتلقّيه عنه للقراءة، روى عنه الحديث.

كما التقى أبو جعفر بـ «أبي هريرة»، وأخذ عنه القراءة والحديث، وكان أبو جعفر يحاكي طريقة أبي هريرة في القراءة حيث كان يُخزّنها شبهَ الرّثاء.

ومن المعلوم أنّ ابن عباس وأبا هريرة تلقّيا القراءة على يد الصّحابيّين الجليلين أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، أي أنّ قراءة أبي جعفر في نهاية الأمر تصل إلى هذين الصّحابيّين عن طريق ابن عباس وأبي هريرة، كما تصل كذلك إلى أبيّ بن كعب عن طريق عبد الله بن عياش شيخ أبي جعفر.

والتقى أبو جعفر بـ «عبد الله بن عمر» (ت 74هـ/ 693م) وروى عنه، وسمع منه، وقدّمه ابن عمر ليؤمّ النّاس بالكعبة، وصلّى وراءه عبد الله بن عمر، ولكن لم يأخذ عنه القراءة، بل كان يمثّل له شيخ الفقه.

ومن شيوخه من التّابعين عبد الله بن عياش، زيد بن أسلم لا سواه (ت 136هـ/ 753م)

وهو من أقران أبي جعفر ولم يرو عنه القراءة بل كان مصدرًا للحديث النبوي.

كما روى الحديث النبوي عن مروان بن الحكم، الذي التقى به، وسمع منه الأحاديث، وقد تصدّر أبو جعفر للقراءة والإقراء بالمسجد النبوي قبل سنة ثلاث وستين هجريّة أي في العشرينات من عمره، وواصل أداء رسالة الإقراء دهرًا طويلاً يزيد على سبعين عامًا كاملة، وقد أهّلته هذه الخبرة الطّويلة أن يكون علَم الإقراء بالمدينة، وبلغ من تقدّمه في القراءة والإقراء، وعلوّ كعبه في ذلك، أنهم كانوا يقدّمونه على القارئ الكبير عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وهو علَم كبير من أعلام القراءة بالمدينة.

وكان أبو جعفر معروفًا بالأمانة في الرّواية، والضّبط في الأداء، والالتزام بما سمع، وما نقل عن سابقيه من الصّحابة والتّابعين، حتّى قالوا عنه: «لم يكن أحد أقرأ للسنّة من أبي جعفر».

كما أدّته قوّة حفظه، وتقدير النّاس لمكانته، أن جعلوه ملقنًا للقرّاء، فيصلّي خلفهم في رمضان، يلقّنهم، يؤمر بذلك لقوّة حفظه، وعلوّ منزلته في القراءة.

ولقد كان أبو جعفر عدلا على ثقة، فقد وثقه يحيى بن معين، والنّسائي، وابن سعد، وذكره ابن حبان في الثّقات.

كما أشار الإمام مالك بن أنس، أنه كان رجلا صالحا، يقرئ ويفتي النّاس بالمدينة.

وقال عنه ابن مجاهد: «إنّه كان لا يتقدّمه أحد في عصره». وقال عنه الذهبي: «مدني مشهور رفيع الذّكر». وقال عنه محمد بن القاسم المالكي: «وكان من أفضل النّاس».

وكان أبو جعفر يأخذ نفسه بالعبادة، فكان مواظبا على قيام ليله والتّهجّد فيه، فإذا أصبح جلس يقرئ النّاس.

كما شغل نفسه بالصّيام فترة من الزّمن، حتّى عرف عنه ذلك، وكلّمه فيه بعض أصحابه، فذكر أنّ ذلك لترويض نفسه لعبادة اللّه تعالى، كما عرف بالجود والكرم والتّصدّق في سبيل اللّه.

ومن دلائل فضله، أنّه زوج ابنته من القارئ الكبير شيبة بن نصاح، برغم قلّة ما لديه، وقد كان يرغب فيها «سروات الموالي»، وقال أبو جعفر: «إن كان شيبة مقلا فسيملأ بيتها قرآنا»، وقد كان شيبة بحقّ إماما جليلا من أئمّة القراء بالمدينة، قاضيا بها وقد وثقه العلماء كالنّسائي، وأبو حيان، والواقدي، وتلقّى القراءة على يد عبد اللّه بن عياش وأبي هريرة، وخلف أبا جعفر في تولّي رياسة الإقراء بالمدينة.

وقد امتدّ أثر صلاح أبي جعفر إلى ابنته فكانت تروي القراءة عن أبيها ثمّ أنجبت من شيبة ولدين، هما: أحمد وثابت، وقد رويا القراءة عن أمّهما ميمونة بنت أبي جعفر.

وقد رزق أبو جعفر بثلاثة من الأبناء: إسماعيل، ويعقوب، وميمونة زوج شيبة بن نصاح، وكلّهم أخذوا القراءة عنه ونقلوها بالرّواية.

وقد أحسن اللّه خاتمة أبي جعفر، إذ حضر وفاته كبار التّابعين، ورأوا دارة بيضاء على صدره، ثمّ صار البياض غرّة بين عينيه، وما شكّ الّذين حضروه أنّه نور القرآن.

ورآه أصحابه بعد مماته في المنام على

صورة حسنة، فقال أبو جعفر للّذي رآه: «بشّر أصحابي وكلّ من قرأ قراءتي أنّ اللّه قد غفر لهم وأجاب فيهم دعوتي، ومُرْهُمْ أن يصلّوا هذه الرّكعات في جوف اللّيل كيف استطاعوا».

وقد نقل القراءة عن أبي جعفر تلاميذُ كثيرون، كان لهم شأنهم في القراءة والإقراء. ومن أهمّهم نافع بن أبي نعيم علَم القراءة في المدينة بعد أبي جعفر، وأوّل القرّاء السّبعة، فنافع من دلائل أستاذيّة أبي جعفر، ومنقبة له حيث قرأ نافع بقراءة أبي جعفر، وأقرأ بها، ورواها عن نافع جماعة، منهم قالون تلميذ نافع، كما تتلمذ على يد أبي جعفر القارىء اللّغوي، رأس المدرسة البصريّة، وأحد القرّاء السّبعة أبو عمرو بن العلاء العربي الصّريح، وهذا ممّا يكشف عمّا كان يتمتّع به أبو جعفر في نفوس معاصريه، وما كانوا يستشعرونه تجاه قراءاته.

ومن تلاميذ أبي جعفر كذلك، سليمان بن مسلم بن جَمَّاز الّذي يعدّ من أشهر الرّواة عن أبي جعفر.

ومنهم عيسى بن وردان الحذّاء، وهو من أشهر رواة أبي جعفر.

هذا ومن تلاميذه أيضا عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم العدوي، وعبد العزيز محمد بن عبيد بن أبي عبيد بن الداروردي، ومالك بن أنس فقيه دار الهجرة.

ولأبي جعفر تلاميذ نقلوا عنه الحديث، منهم مالك بن أنس، وعبد العزيز بن أبي حازم، وأبو حازم سلمة بن دينار.

أمّا عن مكانة قراءة أبي جعفر بين القراءات، فأوّل ما يذهب إليه الذّهن أنّ كتاب السبّعة لابن مجاهد، وهو أوّل من اقتصر على سبع قراءات، قد خلا من قراءة أبي جعفر، وذكر من قراءة المدينة نافعًا وجعله أوّل السّبعة، وما ذلك إلّا لإيثار ابن مجاهد الشّهرة والإجماع على القراءة، فقدّم نافعًا لكثرة من روى عنه، وأخذ وقرأ وتابع هذا القارىء العظيم.

فإذا كان نافع قد نال حظّا واسعًا من الشّهرة، ونصيبًا وافرًا من ذيوع الصّيت وكثرة الأتباع، فإنّ ذلك لا يقدح في صحّة قراءة أبي جعفر، فابن مجاهد حين اختار نافعًا وحده من المدينة، كان قد اشترط الأشهر مع صحّة قراءة كثير من القرّاء غير السّبعة، فلم يكن مراد ابن مجاهد الغضّ من شأن ما عدا السّبعة، أو الطّعن في صحّة قراءتهم، ودليل ذلك كثرة من قرأ لأبي جعفر من معاصري ابن مجاهد، وهذا يدلّ على أنّ معاصري ابن مجاهد لم يجدوا أيّ حرج في ألّا يتقيّدوا بتلك القراءات السّبع الّتي جمعها.

ثمّ توالت المصنّفات في القراءات، حيث أخذت قراءة أبي جعفر، تتبوّأ مكانها في مصنّفات القراءات العشر، منذ القرن الرّابع حتّى القرن التّاسع، في مصنّفات ابن الجزري.

وقد عدّد لنا ابن الجزري عددًا هائلاً من العلماء، الّذين كانوا يقرأون بالقراءات الثّلاث المتمّمة للعشر، ومنها قراءة أبي جعفر من لدن ابن مجاهد حتّى عصر ابن الجزري نفسه، حتّى قسّمهم إلى ستّ عشرة طبقة، وهؤلاء الّذي اقتصر عليهم ابن الجزري هم الّذين تحقّق أنّهم قرأوا بها، ويتبيّن من ذلك

أنّ هذه القراءات الثّلاث قد تلقّاها جماعة، يستحيل تواطؤهم على الكذب، وهذا أساس التّواتر.

وربّما وردت عبارات عن بعض العلماء، يوهم ظاهرها بعدم تواتر ما عدا السّبع، كما ورد عن ابن الحاجب، والنّووي، والنيسابوري، وابن خلدون، ولم ينصّوا صراحة على عدم تواتر ما عدا السّبع.

والمحققون من العلماء، وكثير من السّلف على تواتر قراءة أبي جعفر، وأقوالهم صريحة واضحة في النصّ على تواتر القراءات العشر، ومن هؤلاء «البغوي» في مقدّمة تفسيره، و«الهمذاني» الّذي أجرى الثّلاثة الزّائدة عن السّبع مجرى السّبع، وكالحافظ أبي عمرو بن الصلاح في إحدى فتاويه، حيث عدّ القراءات العشر من المتواتر، كما نصّ ابن تيميّة على أنّ كثيرًا من العلماء الأئمّة الّذين أدركوا قراءة سفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل، وبشر بن الحارث يختارون قراءة أبي جعفر بن القعقاع، وشيبة بن نصاح، وقراءة البصريّين كشيوخ يعقوب بن إسحاق، وغيرهم على قراءة حمزة والكسائي، بل نفى ابن تيميّة نفيًا قاطعًا أنّه لم ينكر أحد من العلماء قراءة العشرة.

كما نصّ أبو حيّان أنّه لا يعلم أحدًا من المسلمين، حظر القراءة بالثّلاثة الزّائدة على السّبع، وأنّ أبا جعفر من سادات التّابعين، وأحد القرّاء المشاهير، وأنّه لم يكن ليقرأ إلّا بما روى.

كما نصّ أبو نصرعبد الوهاب السبكي في إجابته لسؤال من ابن الجزري، أنّ القراءات الثّلاث، ومنها قراءة أبي جعفر متواترة، ومن المعلوم من الدين بالضّرورة، وكلّ حرف انفرد به واحد من العشرة، متواتر معلوم من الدّين بالضّرورة.

وبعد حياة حافلة بالعلم والقراءة والإقراء بالمسجد النّبوي، توفّي أبو جعفر عن عمر يناهز التّسعين عامًا، فقد كانت وفاته في سنة 130هـ/ 747م.

المصادر والمراجع

● ابن حجر العسقلاني، تهذيب التّهذيب، مطبعة مجلس دائرة المعارف النّظاميّة، حيدر أباد الدّكن، 1327هـ/ 1909م، ط 1؛ ● ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتّعديل، مجلس المعارف العثمانيّة، حيدر أباد الدّكن، 1372هـ/ 1952م؛ ● الخزرجي، خلاصة تهذيب الكمال، المطبعة الخيريّة، د. ت؛ ● ابن مجاهد، السّبعة في القراءات، تح. د. شوقي ضيف، دار المعارف، 1392هـ/ 1972م؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذّهب، مكتبة القدسي، 1351هـ/ 1932م؛ ● خليفة بن خيّاط، الطّبقات، تح. د. سهيل زكار، إحياء التّراث القديم، وزارة الثّقافة السّوريّة، 1390هـ/ 1970م؛ ● ابن سعد، الطّبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 1379هـ/ 1957م؛ ● ابن الجزري، غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ط 1، نشره برجشتراسر، مطبعة السّعادة، 1352هـ/ 1933م؛ ● ابن النديم، الفهرست، المكتبة التّجاريّة، مطبعة الرّحمانيّة، 1348هـ/ 1929م؛ ● ابن

الأثير، الكامل في التاريخ، مطبعة المنيريّة، مصر، 1356هـ/ 1937م؛ • القسطلاني، لطائف الإشارات في علم القراءات، تح. عامر عثمان، د. عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، 1392هـ/ 1972م؛ • اليافعي، مرآة الجنان، بيروت، 1391هـ/ 1970م؛ • محمد بن حبان البستي، مشاهير علماء الأمصار، تح. فلايشهمر، ط. لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، 1379هـ/ 1959م؛ • ابن قتيبة، المعارف، تح. د. ثروت عكاشة، دار المعارف، 1389هـ/ 1969م؛ • الذهبي، معرفة القرّاء الكبار على الطّبقات والأعصار، تح. محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1389هـ/ 1969م؛ • الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، تح. البجاوي، عيسى الحلبي، القاهرة، 1382هـ/ 1963م، ط1؛ • ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، نشر علي محمد الضباع، المكتبة التّجاريّة، د.ت.، ط1؛ • ابن خلكان، وفيّات الأعيان، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النّهضة المصريّة، مطبعة السّعادة، مصر، 1367هـ/ 1949م؛ • ابن تيميّة، أنزل القرآن على سبعة أحرف، مطبعة الظاهر، مصر، 1324هـ/ 1906م؛ • أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مطبعة السّعادة، القاهرة، 1328هـ/ 1910م، ط1؛ • الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، 1376هـ/ 1957م؛ • النّووي، التّبيان في آداب حملة القرآن، تح. د. جمعيه علي الخولي، مطبعة مختار، 1397هـ/ 1977م؛ • السبكي، جمع الجوامع، ضمن مجموعة من مهمّات المتون، 1304هـ/ 1886م؛ • أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السّعادة، مصر، 1351هـ/ 1933م؛ • النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح. إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى الحلبي، 1381هـ/ 1962م؛ • ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، المطبعة الوهبيّة المصريّة، 1387هـ/ 1967م؛ • القول المحرّر في قراءة أبي جعفر، ط. عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، 1358هـ/ 1939م؛ • ابن الحاجب، مختصر المنتهى الأصولي، مطبعة كردستان العلميّة، بجماليّة، مصر، القاهرة، 1326هـ/ 1908م؛ • البغوي، معالم التّنزيل، ط. صافي الحجر، 1269هـ/ 1852م؛ • ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط 1، 1324هـ/ 1906م؛ • ابن خلدون، المقدّمة، ط 3، بيروت، 1387هـ/ 1967م؛ • ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطّالبين، ط 1، تح. د. عبد الحي الفرماوي، نشر مكتبة جمهوريّة مصر، 1398هـ/ 1977م.

مراجع القراءات العشر المتضمّنة قراءة أبي جعفر (مرتّبة تاريخيًا):

• أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت 381هـ/ 991م)، وقد ألّف «الشّامل»، و«الغاية في القراءات العشر»،

ويعدّ أوّل من ألّف في القراءات العشر: ● محمد بن جعفر الخزاعي (ت 408هـ/ 1017م)، وقد ألّف «المنتهى في القراءات العشر»؛ ● أبو علي الحسن البغدادي المالكي (ت 438هـ/ 1046م)، وألّف «الرّوضة في العشرة»، وأضاف «قراءة الأعمش»؛ ● أبو نصر أحمد بن مسرور البغدادي (ت 442هـ/ 1050م)، وقد ألّف «المفيد في العشر»؛ ● أبو الفتح عبد الواحد بن شيطا البغدادي (ت 445هـ/ 1053م)، وألّف «التّذكار في العشر»؛ ● أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن فارس الخياط البغدادي (ت 450هـ/ 1058م)، وألّف «الجامع في العشر»؛ ● أبو الحسين نصر بن عبد العزيز الفارسي (ت 461هـ/ 1068م)، وقد ألّف «الجامع في العشر»؛ ● أبو نصر منصور بن أحمد العراقي (ت 462هـ/ 1069م)، وقد ألّف «الإشارة في العشر»؛ ● أبو القاسم الهذلي (ت 465هـ/ 1072م)، وألّف «الكامل في العشر»، و«الأربعين الزّائدة عليها»؛ ● أبو الطاهر ابن سوار البغدادي (ت 496هـ/ 1102م)، وألّف «المستنير في العشر»؛ ● أبو منصور محمد بن أحمد بن علي الخياط البغدادي (ت 499هـ/ 1105م)، وقد ألّف «المهذّب في العشر»؛ ● أبو العز القلانسي (ت 521هـ/ 127 1م)، وقد ألّف «الإرشاد في العشر»؛ ● أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون العطار البغدادي (ت 539هـ/ 1144م)، وقد ألّف «الموضح»، و«المفتاح في العشر»؛ ● أبو محمد عبد الله بن علي سبط الخياط (ت 541هـ/ 1164م)، وقد ألّف «إرادة الطّالب»، و«الموضحة في العشر»؛ ● أبو الكرم المبارك بن الحسين بن فتحان الشهرزوري البغدادي (ت 550هـ/ 1155م)، وقد ألّف «المصباح الزّاهي في العشر البواهي»، وهو من أحسن المصنّفات في العشر؛ ● أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمذاني (ت 569هـ/ 1173م)، وقد ألّف «غاية الاختصار في العشر»؛ ● أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه الواسطي (ت 740هـ/ 1339م)، وقد ألّف «الكنز»، و«الكفاية في العشر»؛ ● محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت 833هـ/ 1429م)، وقد ألّف «النّشر في القراءات العشر»، و«تقريب النّشر»، وهو اختصار للنّشر، و«نظم النّشر في القراءات العشر».

د. محمود فراج
جامعة الإسكندرية ـ مصر

جعيط، محمد العزيز بن يوسف

(1303هـ/1886م ـ 1389هـ/1970م)

ولد بمدينة تونس سنة 1303هـ/ 1886م وتلقّى مبادئ تعلمه في منزل والده، ثمّ انتقل إلى الدراسة بجامع الزيتونة المعمور، حيث أخذ على نخبة من الشيوخ من بينهم: إبراهيم المارغني (كان حيّا 1321هـ/ 1903م)، وسالم بوحاجب (ت 1343هـ/ 1925م)، وصالح الشريف (ت 1338هـ/ 1919م)، ومحمد الخضر حسين (ت 1377هـ/ 1958م)، ويوسف جعيط والد المترجَم له (ت 1333هـ/ 1915م)، ومحمد بن حمودة جعيط (ت 1337هـ/ 1918م).

تحصّل الشيخ جعيط على كلّ الشهائد العلميّة التي يمنحها جامع الزيتونة إلى طلبته وهي: التطويع، والتحصيل، والعالمية. وكان من كبار شيوخ الطبقة الأولى، وانتخب أستاذا للتعليم العالي ضمن ثمانية أساتذة في سنة 1353هـ/ 1935م وهم: من الحنفية الشيوخ محمد الطيب بيرم، ومحمد بن الخوجة، ومحمد الصالح بن مراد، والصادق محرزي. ومن المالكية، الشيخ جعيط، وبلحسن النجار، ومحمد البشير النيفر، ومحمد العنابي [ابن عاشور، محمد العزيز جعيط، جامع الزيتونة، المعلم ورجاله، 119] تقلّد الشيخ جعيط عدة مناصب علمية وشرعية وإدارية.

فقد بدأ بالتدريس بجامع الزيتونة منذ سنة 1328هـ/ 1908م، والصادقيّة منذ سنة 1334هـ/ 1914م، ومن بين الكتب العلميّة العليا التي درّسها: مختصر خليل بشرح الزرقاني وحواشيه، والإشراف على مسائل الخلاف للقاضي عبد الوهاب البغدادي، وصحيح مسلم بشرح محيي الدين النووي الشافعي، ومحمد الأبي التونسي، وأحكام القرآن لأبي بكر من العربي، وأسرار التنزيل للبيضاوي، وجمع الجوامع لتاج الدين بن السبكي بشرح المحلّي وحواشيه، وكتاب الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، والتنقيح في الأصول لشهاب الدين القرافي... ثمّ تقلّد الفتوى على مقتضى المذهب المالكي سنة 1337هـ/ 1919م، وشارك وهو مفت في لجنة سهنة العدول الموثّقين سنة 1340هـ/ 1920م [ابن عاشور محمد الفاضل، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، 168].

وكان المترجَم له من بين الشيوخ الذين استفتاهم المصلح الطاهر الحداد حول مكانة المرأة فقها وقضاء سنة 1348هـ/ 1929م. وكان ضمن اللجنة التي قيّمت «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» الذي ألّفه الحداد وقدمت تقريرها إلى النظارة العلميّة المشرفة على جامع الزيتونة يوم 7 جمادى الثانية 1349هـ. وكلّف الشيخ جعيط بخطة شيخ الإسلام المالكي منذ سنة 1364هـ/ 1945م، وترأس في نفس السنة لجنة لتأسيس حي زيتوني يأوي

الطلبة الوافدين من الجهات للدراسة بالزيتونة، وأنجز المشروع وتأسس الحي سنة 1371هـ/ 1952م.

ألّف الشيخ جعيط في أثناء مشيخته عدّة مجلات قانونيّة جرى بها العمل في المحاكم الشرعية. ثمّ عيّن مفتيا للديار التونسية في تاريخ 4 رمضان 1376هـ/ 4 أفريل 1957م، وبقي على هذه الخطة إلي أن أعفي منها في سنة 1379هـ/ 1960م، بعد خلافه مع الرئيس السابق الحبيب بورقيبة حول مسألة الإفطار في رمضان [بوزغيبة، محمد، الشيخ محمد العزيز جعيط، حياته وفقهه، رسالة جامعية مرقونة في جامعة الزيتونة].

وتولّى الشيخ جعيط إدارة شؤون جامع الزيتونة المعمور سنة 1358هـ/ 1939م. وأعفي من هذا الوظيف في نهاية 1362هـ/ 1942م [جعيط، كمال الدين، الشيخ جعيط، حياته وآثاره، مجلة جوهر الإسلام، 1398هـ/ 1977م].

كما تولّى طبع كتاب «الإشراف على مسائل الخلاف» للقاضي عبد الوهاب البغدادي، وأدرجه ضمن قائمة الكتب المبرمجة للتدريس في المرحلة العليا، وألّف كتاب «الطريقة المرضية في الإجراءات الشرعيّة على مذهب المالكية»، وأصبح هذا الكتاب يدرّس في السنوات الثلاث من المرتبة العليا في القسم الشرعي [بسيس، محمد الصادق، ترجمة الشيخ جعيط، جريدة العمل، الملحق الثقافي، 16 جانفي 1970].

وتحمّل الشيخ جعيط أعباء وزارة العدل مع احتفاظه بمشيخة الإسلام يوم 8 رمضان 1369هـ/ 1950م حيث وقع حل وزارة مصطفى الكعاك وأعفي وزراؤه من عملهم [محفوظ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيّين، 2/ 299 ـ 300].

توفي الشيخ جعيط يوم 17 شوال 1389 الموافق 5 جانفي 1970.

آثاره

ترك الشيخ جعيط مجموعة آثار مطبوعة ومخطوطة شملت الكتب والدراسات والفتاوى والمراسلات وهي:

1 ـ كتاب مجالس العرفان ومواهب الرحمٰن، يضم عشرين ختما للحديث النبوي الشريف، طبع الكتاب في مناسبتين: المرة الأولى سنة 1391هـ/ 1972م من طرف الدار التونسية للنشر، والمرة الثانية سنة 1409هـ/ 1989م من طرف الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر؛ 2 ـ كتاب إرشاد الأمة ومنهاج الأئمة، ويحتوي على 106 خطب جمعية، كان قد ألقاها الشيخ جعيط عندما كان إماما خطيبا بجامع الحلق، وتولّى ابنه الشيخ كمال الدين جعيط جمعها، وقامت الشركة التونسية للتوزيع بطبع الكتاب في مناسبتين: الطبعة الأولى سنة 1978م، والثانية سنة 1406هـ/ 1986م؛ 3 ـ كتاب الطريقة المرضية في الإجراءات الشرعية على مذهب المالكية، يحوي هذا الكتاب ما جرى به العمل التونسي في الأوضاع الحكمية والقضايا الفقهية، طبعه صاحبه في مناسبتين، كان الأولى سنة 1939م وطبعة ثانية بمطبعة الإرادة بتونس سنة 1940م؛ 4 ـ مجلة المرافعات الشرعية، وهي مجلة صغيرة الحجم، طبعتها المطبعة الرسمية بتونس سنة 1367هـ/ 1948م، وهي تتعلّق بنظر المحاكم الشرعية في الأحوال الشخصية والنزاعات

العقارية التي تجري لديها، وطرق تنفيذها؛ 5 ـ لائحة مجلة الأحكام الشرعية، طبعت سنة 1367هـ/ 1948م بمطبعة الإرادة بتونس، وهي تشمل 2463 مادة فقهية مقنّنة ومستمدّة من المذهبين السائدين في تونس، وهما المذهب المالكي والمذهب الحنفي. وتنقسم اللاّئحة إلى قسمين: قسم خاص بالأحوال الشخصية ويضمّ الأحكام المختصّة بأحوال تصرّفات الإنسان، وقسم خاص بالأحوال العقارية؛ تناول فيه الشيخ جعيط بالدّرس: الاستحقاق والشهادات والإقرار واليمين، وأحكام الدعوى والقضاء وولاية الأب ووصيّته وتصرّفاته؛ 6 ـ فتاوى الشيخ جعيط، طبعها مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان سنة 1994.

المصادر والمراجع

● بسيس، محمد، ترجمة الشيخ جعيط، جريدة العمل الثقافي، 9 ذو القعدة 1390/ 16 جانفي 1970؛ ● بوزغيبة، محمد، الشيخ محمد العزيز جعيط: حياته وفقهه، رسالة مرقونة بجامعة الزيتونة، 1993م؛ ● تيمور، أحمد، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، دار النصر للطباعة، 1967؛ ● جعيط، كمال الدين، الشيخ جعيط: حياته وآثاره، م. جوهر الإسلام، 1398هـ/ 1977م؛ ● الحجوي، محمد الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ط. النهضة تونس، د. ت، (1 ـ 4)؛ ● الخضر، محمد حسين، تونس وجامعة الزيتونة، تح علي الرضا التونسي، د. ت؛ ● أبو خليل، شوقي، الإسلام وحركات التحرر العربية، دار الفكر، 1975م؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس التراجم، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م؛ ● الزّمرلي، الصادق، أعلام تونسيّون، تح. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1986؛ ● شمام، محمود، أعلام من الزيتونة، ط. المطابع الموحدة تونس، 1990م؛ ● ابن أبي الضياف، أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر، 1990؛ ● ابن عاشور، محمد العزيز، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار السراس للنشر، تونس، 1991؛ ● ابن عاشور، محمد الفاضل، تراجم الأعلام، الدار التونسية للنشر، 1975؛ ● ابن عاشور، محمد الفاضل، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، دار الهناء، تونس 1956؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، د. ت؛ ● المارغني، عبد الواحد، ذيل طالع البشرى على العقيدة السنوسية الصغرى، مطبعة الشريف، تونس، 1956م؛ ● محفوظ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، 1982؛ ● مخلوف، محمد، شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكية، دار الفكر بيروت، د. ت؛ ● النيفر، محمد الشاذلي، ذيل حاشية بغية المريد بجوهرة التوحيد، المطبعة التونسية، 1938.

د. محمد بوزغيبة
جامعة الزيتونة ـ تونس

الجغميني، محمود بن محمد بن عمر

(549هـ/1154م - 618هـ/1220م)

محمود بن محمد بن عمر الجغميني، أحد أعلام التقدم العلمي في آسيا الصغرى في إطار الحضارة الإسلامية. ينسب إلى قرية جَغْمين التي تقع بالقرب من مدينة بخارى. درس في خوارزم، وكانت المدن الحضاريّة الكبرى مثل سمرقند وطشقند وبخارى وفرغانه ومرو وهمدان مراكز علمية مهمّة في العالم الإسلامي. وهذه المدن تقع حاليا في جمهوريات أوزباكستان وقازاخستان وآذرابيجان وتركمانستان وإيران، وإن كانت متقاربة نسبيًا من الناحية الجغرافية في إطار آسيا الوسطى المترامية الأطراف. وفي بعض المدن كانت توجد عشر مدارس علميّة كبيرة، يتعلّم بها طلاب من العرب والفرس، والترس، والترك، والأفغان. كان الاهتمام في هذه المدارس بعدة تخصّصات علميّة، منها: الفلك، والتنجيم، والفيزياء، والرياضيات، والكيمياء، والعلوم البيولوجية، والطب، والجغرافيا. وكان لبعض المتميّزين مشاركة في عدد من هذه التخصّصات. ويُعد الجغميني مثالا متميّزا للجمع بين عدّة تخصّصات.

رغم شهرة الجغميني الواسعة لا نجد عنه معلومات كافية لا في المصادر القديمة ولا في المصادر الحديثة، وقد اختلفت الآراء في تاريخ وفاته، فحسب بروكلمان توفّي الجغميني، عالم الفلك في عام 618هـ/1221م، وهناك جغميني آخر كان طبيبا توفّي في عام 745هـ/1344م [Geschichte, I, 473; Supplementband, 826, 865] وفي مقابل ذلك يرى هنريك سوتار أنّ الجغميني الفلكي والطبيب هو الشخص نفسه ولا يمكن أن يكون قد توفّي قبل عام 745هـ/1344م [Zeitchrift der Deutschen Morgenland-dischen esellshaft. (ZDMG), LIII, 539 - 540; Die Mathematikes, s. 164 - 165] وهو الرأي نفسه الذي يراه جورج سارتون، [Introduction, III,s. 699]، بيد أنّ C. A. Nallino يذهب إلى أنّ الجغميني عاش في أواخر القرن السابع الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وبدايات القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي [ZDMG, XLVIII. 120 - 12].

اهتمّ الجغميني بعلم الفلك والرياضيات. درس جهود بطليموس، وميلانوس من اليونان وما أضافه الخوارزمي، والمرزوقي، وعمر الخيام من علماء آسيا الوسطى، وحاول إكمال هذه الجهود وتقريبها. وكانت كتب الجغميني متداولة أكثر من قرنين، لخصها كثيرون، منهم: ميرشريف (1340 - 1414هـ)، وقاضي زاد الرومي (1360 - 1437هـ). وهذه الجهود كانت عن كتبه في الفلك ودراسة السماء والتنجيم والرياضيات. أما كتبه في الطب فقد اعتمدت على جهود ابقراط، وجالينوس من علماء اليونان وكذلك على إضافات الرازي، وابن سينا،

والإيلاقي، والجرجاني من علماء آسيا الوسطى. وكان للجغميني خبرته العلمية وتجربته الطبّية، وهذا ما جعل لكتبه الطبّيّة أهمّية.

تناول في كتبه أجزاء جسم الإنسان وقواه، وتشريح جسم الإنسان وحالاته وتقبّل الطعام والشراب، والصداع والألم. وأمراض البطن وكان الجغميني امتدادا لفكر ابن سينا وغيره في بيان أثر البيئة في الصحّة وجسم الإنسان وكيف ينشأ المرض ويكون العلاج.

اكتسب الجغميني شهرته في تاريخ العلوم الإسلامية من خلال مؤلّفه «الملخّص في الهيئة»، وهذا الكتاب هو عبارة عن مواصلة لمؤلّف ابن الهيثم المسمّى «مقالة في هيئة العالم»، ومؤلّف ناصر الدين الطوسي المسمّى «التذكرة في علم الهيئة»، ويتضمّن الكتاب مقدّمة ومقالتين: فالمقالة الأولى خصّصت للأفلاك من حيث هيئتها وحركاتها وبيان الدوائر والفسيء وما يعرض للكواكب في حركاتها، وتناول في المقالة الثانية هيئة الأرض والمعمور منها وعرضه وطوله وأقاليمه وخواص خط الاستواء والمواضع التي لها عرض...

اكتسب كتاب الجغميني هذا شهرة واسعة في العالم الإسلامي ودُرّس لفترة طويلة في المدارس العثمانية، كما وضعت له شروح وحواش كثيرة. ولعلّ القائمة الطويلة التي وضعها كاتب جلبي للشروح والحواشي التي كتبت حول الكتاب تبيّن الأهمّية التي نالها الكتاب في العالم الإسلامي [كشف الظنون، II، 1819، 1820؛ Brockelmann, Geschichte, I 624, Supplementband, I, 865].

ومن بين أهمّ شرحين للكتاب نجد الشرح الذي كتبه قاضي زاده الرومي، وأما الشرح الآخر فقد كتبه سيد شريف الجرجاني [مكتبة السليمانيّة قسم آيا صوفيا، رقم 2645 ـ 2655؛ قسم الفاتح رقم 3408]. وكتب قاضي زاده شرحه عام 814هـ/ 1411م تحت عنوان «شرح الملخّص» وقدّمه إلى أولوغ بك [مكتبة السليمانية، قسم، آيا صوفيا، رقم 2662، استنسخت من نسخة المؤلّف]. وهذا الشرح يعتبر أهمّ عمل لقاضي زاده في المجال النظري لعلم الفلك.

وهذا الكتاب دُرّس في المستوى المتوسّط بالمدارس العثمانية ووصلت إلينا منه أكثر من 300 نسخة كما طبع طبعات مختلفة [الهند 1271؛ لكنهو 1290؛ دلهي 1292، 1316، 1313؛ استانبول، 1296]، وقد عارض قاضي زاده في مقدمة كتابه الجغميني فيما يتعلّق بمباحث علم الفلك، واعتبر أنّ موضوع علم الفلك هو البحث في أجرام الأجسام السماوية، وبالتالي فإنّ الوجود الفيزيائي والطبيعي لا يدخل ضمن مقالات هذا العلم. وقد كتب كل من سنان باشا، وفتح الله الشرواني، ومحيي الدين النكصاري، والملّا أخوين، وعبدلالي بن محمد البرجندي، وعبد الرحمٰن بن حسن الجبرتي، وفخري زاده الموصلي حواشي لهذا الشرح.

وقد نالت الحاشية التي كتبها البرجندي تقديرا كبيرًا حتّى أنّها درّست في المدارس العثمانية [استانبول، 1286 ـ 1290]. وبأمر من

السلطان محمد الفاتح قام حمزة بن حاجي بن سليمان بترجمة شرح قاضي زاده إلى اللغة الفارسية [مكتبة السليمانية، قسم آياصوفيا، رقم 1/ 2572] وقد كتب فتح الله الشرواني، تلميذ قاضي زاده الرومي، حاشيته «الفرائد والفوائد في توضيح شرح الملخّص» [تعليقات، حاشية على شرح الجغميني] معتمدًا الشروح السابقة وبصفة خاصة شرح «قاضي زاده» كما ضمّنه آراءه الخاصّة.
بدأ تأليف كتابه هذا في سمرقند وأنهاه في عام 878هـ/ 1473م في الأناضول بعد مجيئه إليه، وأهداه إلى السلطان محمد الفاتح. وتوجد نسخة من المؤلّف في مكتبة متحف طوب قابي سراي [قسم أحمد الثالث، رقم 3294].
وقد كتب إمام الدين بن لطف الله، أحد علماء الهند، حاشية على شرح قاضي زاده، ومن المعروف أنّ هذه الحاشية تركت أثرًا بالغًا على الدراسات العلميّة في الهند [زبيد أحمد، I، 175] وتوجد من الملخّص نسخ عديدة في المكتبات العالمية وقد نقله إلى الألمانية G. Rodolf و A. Hochheim ونشر بعنوان:

Astronomie de Mahmoud Ibn Muhamed Ibn Omar Al-Gagmini
[ZDMG, XL VII, 1893, S.213-275].

وقد أجرى G. Vajda دراسة نقدية على الترجمة العبريّة للمؤلّف بعنوان:

Une Version Hébraïque du Mulahhas Fi'l-Hay'A de Mahmud B.Mohammed B. Umar Al-Cagmini [Journal Asiatique, 247, 1959, S. 471-478].

ويمثّل كتاب «الملخّص في الهيئة» أنموذجا متميّزا من لغة العلم في العربيّة، ولغة الجغميني، في الفلك، لغة ميسّرة، واضحة المعنى، سهلة المبنى، حريّة أن تكون في العصر الحاضر مثالا يحتذى، ونمطا يقتدى به للتعبير على المفاهيم العلميّة المستحدثة.

■ آثاره

1 - الملخّص في الهيئة: هذا كتاب جامع في علم الفلك، كان متداولا على مدى عدّة قرون، طبع حسب محمد العربي الخطابي بالهند عام 1292 هـ مع شرح قاضي زاده ويحيل على معجم سركيس ص 720 و1488؛ 2 - كتاب قانونجه أو القانون وهو عبارة عن مختصر لكتاب ابن سينا «القانون في الطب»، وقد ترجم إلى اللغة الفارسية بأمر من شاهروه بن تيمور وخليفته (1405 - 1447). وطبعت نسخته العربية طبعات كثيرة في لاكناف (1909، 1886)، ولاهور (1908) ودلهي (1908). أما نسخته الفارسية فطبعت عام 1792 في كالكوتا [سارتون، 3/ 1، ص 700]. وظلّ هذا الكتاب متداولا في تدريس الطب في طشقند، وخجند، وسمرقند، وبخاري، والهند، وإيران، وأفغانستان حتّى بدايات القرن العشرين. وعنه كتب محمد أكبر الهندي سنة 1813م. وله ترجمة إلى الأزبكية سنة 1843م، ويشكّك بروكلمان في نسبة كتاب القانون إلى الجغميني عالم الفلك، ولم يتطرّق إلى كتاب الجغميني «قوى الكواكب وضعفها»؛ 3 - رسالة في حساب التسع، وصل مخطوطا؛ 4 - كتاب الفرائد، وصل مع شرح له في مخطوط، وتوجد مخطوطات من كتبه في مكتبات متعدّدة، منها مكتبة معهد الاستشراق بأكاديمية العلوم في جمهورية أوزباكستان.

وتوجد نسخة من مختصر كتاب «تلخيص كتاب الأصول» الذي كتبه الجغميني حول مبادىء إقليدس في علم الجبر في مكتبة سريزدي في مدينة يزد بإيران [قرباني، ص 219؛ سزكين، ب، ص115].

المصادر والمراجع

● خليفة، حاجي، كشف الظنون، II، 1819 - 1820؛ ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، I، ص702؛ ● زبيد أحمد، الآداب العربية في شبه القارة الهندية، ترجمة عبد المقصود محمد، I، ص175؛

● Suter, die Mathematiker und astronomen der Araber und Ihre Werke, Leipzig 1900, s.164-165; ● Suter, Zur Frage ber die lebenzeit des verfassers des mukhkhas fi al-haäh, Mahmud Ibn Muhammed Ibn Omer al-Jaghmini, ZDMG, L III 1899, s. 539-540; ● Suter, Al-Djahmini, Encyclopaedia of Islam, Leiden 1954, II, 378-379; ● Carl Brockelmann, Geschichte der Arabi Schenlitteratur, I, 473, 624-625, Supplementband, I, 826-865; ● Fuat Sezgin, Geschichte der Arabischen Seriftums, Leiden 1967-1984, V, 115, Abül Kasim Kurbani, Zindeginame-I Riyazidanan-I Devre-i İslami, Tahran 1986, s.219-220; ● George Sarton, Introduction to the History of Science, New York 1975, III/1, s. 699-700; ● Nallino, Zur Gagminis Astronomie, ZDMG, XLVIII, 1894, s. 120-122; ● Sadettin Ökten, Cagmini, Türkiye Dianet Vakfi İslam Ansiklopedisi, İstambul 1993, VII, 182-183.

د. أحمد أوزال
مركز الدراسات الاسلامية - تركيا
ترجمة: مصطفى بن الطاهر الستيتي
د. شمس الدين كريم - د. محمود فهمي حجازي
جامعة نور مبارك - قازاخستان
د. محمد السويسي
الجامعة التونسية

الجكني، أحمد محمود بن أحمد

(1312هـ/1894م - 1362هـ/1943م)

هو أحمد محمود الملقب ممو (بميم مفتوحة بعدها ميم مضمومة مشددة) ابن أحمد بن عبد الحميد، ينتهي نسبه إلى ألفغ محم الجكني، ولد في منطقة الترارزة جنوب مدينة أبي تلميت عند بئر تسمى «ملك لمراير» ومعناها بالفصحى «ملتقى الطرق». أما أمه

فهي خديجة بنت المختار بن أحمد بن بلعمش. ترعرع في كنف والده المتضلع من علوم الشرع فحذا حذوه فنشأ متعطشا إلى المعرفة فحفظ القرآن في سن مبكرة على بعض أشياخ قبيلته وسمع منهم مبادئ اللغة والفقه. وفي الثامنة عشرة من عمره رحل طلبا للعلم فقاده الظمأ المعرفي إلى العالم اللغوي الشيخ عبد الله بن حمين الحسني (ت 1350هـ) فدرس ديوان الشعراء الستة الجاهليين ولامية الأفعال ثم واصل ترحاله إلى أن انتهى به المطاف إلى محظرة يحظيه بن عبد الودود (ت 1358هـ) التي تلبَّث بساحتها غير يسير فسمع بساحتها النحو والفقه والسيرة، وعلم الكلام، وعلمي المنطق والبيان. وآخذ عن شيخ هذه المحظرة الطريقة الشاذلية في التصوف، فكانت إقامته بهذه المحظرة عشرين سنة توجت بأخذ إجازة من شيخها.

أما أخلاقه وشمائله فيقول عنه الشفيع بن المحبوب: «إنه كان ذا ضبط وجد وإتقان يداوم القراءة ويمعن النظر في الآثار المختلفة متشبعا من علوم اللغة والفقه». وكانت له صلات وثيقة بمعاصريه فقد تبادل الأشعار مع العالم محمد حبيب الله بن مايابي الجكني (ت 1364هـ)، وقد كانت له صلة وثيقة بالعالم الرحالة محمد يحيى ولد أبوه اليعقوبي الموسوي (ت 349 1هـ) إذ خاطبه بأبيات أشار ضمنها إلى منزلته ومقامه المعرفي المتميز، فقد سهل العلوم وبلغ مرتبة يقصر دونها كل محاول، يقول:

يا مَجاري الفتى محمَّد يحيا
لا ترمْ شأوه البعيدَ فتعيا

ربَّ تيه من العلوم فراها
بجِراز عضب من الفهم فريا

وإذا المجد أعرضَ الناسُ عنه
طلبَ المجدَ لا اثاثًا ورئيا

وإذا دنت داره فأهلا وسهلا
أو نأتْ داره فسقيا ورعيا

ومن معاصريه الذين بادلهم الصداقة الشيخ أحمد بن الشيخ محمدو التندغي. وقد خاض مساجلة مع أحمد بن عبد الله الملقب بـ «الذيب» (ت 1364هـ).

وبعد أن تضلع الرجل من المعارف جلس للتدريس مؤسسا حوله محظرة متميزة تخرج من ساحتها الكثير من العلماء الأجلاء. فمن تلامذته العالم الإمام بداه بن البوصيري التندغي، وقد كانت له صلات وثيقة بعلماء عصره وأمرائه وأعيانه. فقد تبادل الأشعار مع العلامة محمد حبيب الله بن مايابي الجكني (ت 1364هـ). ولا ننسى كذلك مساجلاته الشعرية مع أحمد بن عبد الله الحسني الملقب الذيب.

وأكثر من ذلك كان على صلة وثيقة بالسلطة السياسية في إمارة الترارزة، فقد مدح الأمير أحمد بن الديد (ت 1361هـ)، والأمير أحمد سالم بن إبراهيم السالم. كما كانت له علاقات طيبة بمعاصريه من الطلبة والأساتذة، فقد امتدح محمد بن عبد الله الجكني، ومحمد عال بن نعمة المجلسي، ومحمد عبد الله بن ذي الخلال اليعقوبي، وأفاه بن الشيخ المهدي التنواجيوي (1339هـ) وغيرهم.

توفي رحمه الله عن عمر يناهز الخمسين سنة وقبره بموضع يعرف بـ «بوسدره» مشهور يُزار.

آثاره

بعد أن تأسست معارفه وأصبح شيخ محظرة وإماما في اللغة والنحو جلس للتدريس والتأليف وقد خلف آثارا عدة نذكر منها:

1 ـ ديوان شعر، تناول فيه مختلف الأغراض يقدر بـ 1354 بيتا حقق منه حتى الآن غرض المدح والمديح الذي بلغ مجموعه 429 بيتا منها 175 بيتا في مديح النبي ، والآخر في مدح مجموعة من الأعلام والأشياخ والأمراء؛ 2 ـ نظم مقابل الأصح في طرة ابن بونه على ألفية ابن مالك وهي المعروفة بـ «الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من الحشو والخصاصة»؛ 3 ـ طرة على إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، في علم الكلام والفكر الأشعري خاصة؛ 4 ـ مسرة النظار على قرة الأبصار، وهي شرح لمنظومة اللمطي في سيرة النبي وأخلاقه؛ 5 ـ طرة على ديوان الشعراء الستة الجاهليين المعروف عند الموريتانيين قديما بـ «الستي»؛ 6 ـ طرة على المقصور والممدود لمحمد بن مالك؛ 7 ـ نظم لسيرة شيخه يحظيه بن عبد الودود الجكني نسبا، القناني موطنا ومنشأ (ت 1358)؛ 8 ـ شروح وحواشي على مختصر خليل في الفقه تركز على بابي العبادات والأنكحة.

هذا بالإضافة إلى مجموعة من الأنظام الفقهية واللغوية والتقييدات المفيدة. وتوجد نسخ من هذه المؤلفات في مكتبات آل يحظيه بن عبد الودود وآل الما، وأهل محمد سالم ولد المحبوب.

المصادر والمراجع

- ابن يحظيه، محمد بن اتاه، تح. غرض المدح من ديوان مم بن عبد الحميد، المدرسة العليا للأساتذة انواكشوط 1987، ص 7 ـ 11.
- ولد سيد أحمد، محمد يحيى، تح. نظم مم في سيرة يحظيه ولد عبد الودود، مجلة الوسيط، العدد 5، 1996، انواكشوط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي ص 44 وما بعدها.

د. محمذن بن المحبوب

جامعة أنواكشوط ـ موريتانيا

الجكني، محمد الحسن بن محمذن

(1292هـ/1875م ـ 1373هـ/1954م)

هو محمد الحسن الملقب «بيدرا» بن محمذن بن الإمام الجكني، عالم سلفي، ومفسر شاعر، وعارف بالتجويد والقراءات، ولد في الجنوب الغربي من منطقة تكانت وبالتحديد في بلدة تسمى «كلاكة»، نشأ يتيما وتربى في أحضان خاله أحمد بن محمد بن خيار، وبدأ تعليمه الابتدائي بقراءة القرآن حيث حفظه وتمكن من علومه ضبطا

ورسما وتجويدا، كل ذلك بمحظرة أستاذه عبد الله بن البنباري الجكني القيلال (ت القرن 14هـ)، وإثر ذلك طفق يتفقه في الدين جالسا إلى دروس خاله محمد الحسن بن إبراهيم، والفقيه محمد محمود بن أحمد بن أعمر، كما سمع من يني مايابي محمد العاقب ومحمد الخضر بعض المعارف والعلوم. وأكثر من ذلك كان يختلف إلى دروس علماء حيه والذين يلُونهم من أهل قبيلته، فتشكلت بذلك معارفه. وقد توج هذه الجهود الدراسية بإجازة حصل عليها من محمد الأمين بن محمود بن لحبيب.

وبعد مرحلة الأخذ والتحصيل بدأ في البث والعطاء فجلس للتأليف والتدريس فالتأمت من حوله محظرة تخرج منها عدد من العلماء الأجلاء، نذكر منهم على سبيل المثال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي المعروف بـ «آب بن أخطور» (ت 1395هـ/ 1973م)، ويكفي «بيدرا» أن هذا الشيخ حسنة من حسناته، ومن تلامذته أيضا محمد بن سيد محمد الجكني (ت 1391هـ/ 1971م) واعمر بن محم بوب وغيرهم.

وقد عُرف الشيخ بيدرا بمناهضته للنصارى وبغضه لسلطات الاحتلال الأجنبي، وله في هذا الجانب مواقف مشهورة فكان لا يقبل مجالستهم ولا يرضى بالنظر إلى وجوههم، فيروى أن بعض شيوخ قومه اقترحه لمنصب القضاء في مقاطعة «امبود» بالجنوب الشرقي من البلاد الموريتانية أيام الاحتلال فأعرض عن ذلك ونأى ساعيا إلى محو اسمه من سجل الاقتراح.

وكان محمد الحسن عارفا بالله متعبدا على نهج السلف الصالح دون أن يتخذ لنفسه وردا محددا فلم يؤثر عنه أنه اعتنق أي مذهب صوفي، بل إن نصوصه المتوفرة تؤكد نزعته السلفية التي تنافي فكرة الأخذ بطريقة معينة في التربية والسلوك، بل إننا أكثر من ذلك نراه أحيانا يقف بالمرصاد لأصحاب الطرق والتصوف. فقد انتقد الطرق الصوفية الثلاثة الشائعة بالبلاد الموريتانية في أيامه نعني التيجانية، والقادرية، والشاذلية وذلك عبر منظومته «كشف القناع عن بنات الابتداع».

■ آثاره

خلف الرجل آثارا نذكر منها:

1 ـ الغريب من ألفاظ القرآن، وهو تفسير في جزئين، وقد نظمه تلميذه محمد بن سيدي محمد نظما يقع في (722 بيتا) وقد حقق في جامعة انواكشوط عام 1985، وفي معهد بن عباس والمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة 1988؛ 2 ـ عجالة المجود، وهو في الرسم وعلوم القرآن وقد حقق بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية عام 1997، وهو نظم في غاية الاختصار، يخاطب الناشئين والمبتدئين رغبة في أن يستوعبوا هذا العلم ويدركوا معانيه وينضح ذلك جليا من تسميته بـ «العجالة». وقد تناول فيه أحكام التجويد وبعض أحكام المقرئ وفقا لرواية ورش عن نافع من طريق الأزرق.

وقد بدأ بمقدمة حمد فيها الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى وسلم على النبي ومن اهتدى بهديه، ثم بين الغرض من تأليف الكتاب وهو تعليم التجويد لقارئ كتاب الله تعالى، لأن معرفة أحكام التجويد تلزم كل قارئ، ويأثم

الإنسان بتركه، وقد استدل المؤلف على ذلك بأقوال العلماء وبيَّن في البيت الأخير من المقدمة اسم الكتاب، يقول:

الحمدُ لله الذي قد أرشدا
إلى تعلُّم الكتاب الرُّشدا
ثم الصَّلاةُ والسلام سرمَدا
على نبِيِّنا ومن به اقتدَى
وبعدُ فالقصدُ بذَا كشفُ العمى
عن قارئ بغير تجويد رمَى
لأن من تلاَ بلا تجْويد
قد باء بالإثم وبالوَعيد

3 ـ ديوان شعري، وقد تناول معظم الأغراض الشعرية من مدح ووصف وغزل وزهد وحكمة وتوسل، وهذا الديوان لم يجمع ولم يحقق بعد. وقد وصف بعض الدارسين أسلوب الرجل «بالجودة والوضوح وحسن العبارة وروعة التصوير»؛ 4 ـ نظم في نوازل عليش في الفقه المالكي ويقع في 2000 بيت؛ 5 ـ نظم في التوسل بأسماء الله الحسنى، ونظم في تصريف الأفعال وآخر في رسم القرآن؛ 6 ـ العروة الوثقى، وهي تفسير للقرآن يقع في جزئين كبيرين، وقد توفي الرجل قبل إتمامه وأتمه بعده ابناه محمد العاقب ومحمد الأمين وكان يقتصر فيه على الراجح والمشهور عند المفسرين.

المصادر والمراجع

- محمد بن مولود، تحقيق عجالة المجود، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية 1997، ص 14 ـ 22.

د. محمذن بن المحيوب
جامعة انواكشوط ـ موريتانيا

الجكني، المختار بن محمد سعيد

(1100هـ/1688م ـ 1220هـ/1805م)

هو المختار بن محمد سعيد المعروف بـ (بُونَا) الجكني يقال إنه عمّر كثيرا وتختلف الروايات في تحديد عمره، فيذكر بعض الباحثين أنه عاش 140 سنة، ويرى بعضهم أنه عاش 120 سنة، وقد أخذنا بهذا الرأي الأخير. وقد ولد بمكان يسمى «اكفليت» جنوب مدينة أبي تلميت بمنطقة الترارزة وأمه تسمى ميرم بنت بو خير من أولاد موساني الجكنية. وهو شيخ محظرة وإمام في الفكر الأشعري، وعالم مدرس، ونحوي مؤلف يعتبر أبا النحو والبلاغة وعلم الكلام بالبلاد الموريتانية. نشأ في بيت أبيه ولم يشتغل بالقراءة والدرس إلا بعد أن بلغ أشده، وقد تلقى الشتائم والتجريح بالجهل، ففر من بيت أبويه يطلب العلم. وإلى صعوبة تعلمه في البداية وتفتح عبقريته واتساع معارفه بعد

ذلك، يشير الشيخ محمد المامي مجانسا بين كلمة «حجر» التي بمعنى الحجارة والصخور، وبين كلمة «حجر» نسبة إلى حجر والد صاحب فتح الباري المشهور بموسوعيته وتمكنه من العلم وناصية الحديث يقول:

فصار في الحفظ منسوبًا إلى حجر
كان ابنُ بونا ببادِي أمره حجرا

ويختلف الباحثون حول كيفية دراسته والظروف التي حصّل فيها معارفه، فمنهم من يميل إلى القول بالفتح والإلهام مؤكدا أنه لم يقرأ أي كتاب وإنما قذف الله في صدره علوما لدنية. ومنهم من يرى أنه درس على بعض الشيوخ وأعانه مع ذلك فَهْمٌ ثاقب وفتح مبين. فالراجح أن للرجل أساتذة محددين حفظ لنا التاريخ ذكر أسماء بعضهم. فمنهم محمد بن بو حمد المجلسي (ق 11هـ)، وغديجة بنت محمد العاقل الأبهمية التي قرأ عليها المنطق، والمختار بن أبي الجكني، والمختار بن ألمين الملقب انجبنان الحيبلاوي (ق 12هـ) الذي أخذ عنه النحو، ويقال إن ابن بونا فتح عليه أيام إقامته بحضرة هذا الشيخ ومحظرته. وذلك ما أكده محمد محمود بن التلاميد التركزي (ت 1322هـ).

ولما تضلع من العلوم ونبغ في النحو وعلم الكلام تسابق الطلبة إلى دروسه فنال شهرة وسيرورة بين الناس ووضع بذلك أسس مدرسة موسوعية عرفت بالمدرسة البونية ما تزال آثارها باقية إلى اليوم في برامج المحاظر ومقرراتها. وكان إشعاع مدرسته قويا. وقد جرت بينه وبين بعض علماء عصره خلافات حادة ومن أشدها ما وقع بينه وبين كمال الدين المجيدري اليعقوبي (ت 1204هـ) الذي كان تلميذه وأصبح فيما بعد ندّه، فقد اختلفا على مستوى العقيدة والفقه، ففي الوقت الذي كان المختار أشعريا فروعيا كان المجيدري سلفيا أصوليا.

كما اختلف صاحب الترجمة أيضا مع الشيخ سيد المختار الكنتي (ت 1226هـ) في شأن الولاية والأولياء. وقد أشاد العلماء بتمكن الرجل من العلوم، فذكر تلميذه حرمه بن عبد الجليل العلوي (ت 1243هـ) جهوده العلمية مؤكدا أنه سهل «تسهيل» ابن مالك في النحو، وذلل «تلخيص» القزويني في البلاغة، ويسّر مباحث السنوسي في العقيدة.

ويذهب أحمد بن الأمين صاحب الوسيط (ت 1331هـ) إلى أن ابن بونا: «تاج العلماء الذي طوق بحلي علمه كل عاطل ووردت هيم الرجال زلاله فصدر عنه كلهم وهو ناهل»، فكانت له صلات وثيقة بعلماء عصره خاصة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (ت 1233هـ).

وقد انتسب إلى مدرسة ابن بونا عدد من نبهاء الطلبة الذين كانوا خير عون للرجل على مشروعه النحوي الذي اكتمل بظهور الجامع، فقد درس على ابن بونا جمع غفير كان المتصدرون منهم يعدون بالعشرات فقد أحصى محقق ديوانه واحدا وعشرين شيخا من بينهم: كمال الدين المجيدري بن حب الله اليعقوبي (ت 1204هـ)، وسيدي عبد الله بن الفاضل المبارك (ت 1209هـ)، وعبد الله بن الحاج حمى الله القلاوي، ومحمذن بن عبدو الجكني، والمأمون بن محمذن الصوفي (ت 1232هـ)، وبلا بن الفاضل الشقروي (ت 1274هـ)، واديجه الكمليلي (ت 1274هـ)، وسيد عبد الله بن أحمد دام

الحسني (ت 1286هـ) والمختار بن سيد الهادي التمدكي، والهاشمي بن الأمين اليدمسي، وفحف بن المختار المسومي الذي خاطبه المختار مداعبا وملاطفا بقوله:

لقد فاق هذا العصر كلهم «فحفُ»
وزاد على ذَا أنه لم يكن يحفُو

حلفتُ برب الراقصاتِ إلى مِنى
لقد فاقهم علمًا ودينا درايه

ومن المشايخ الذين درسوا على ابن بونا، سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، وعبد الله بن سيد محمود الحاجي، وسيد محمد بن لحبيب، وعبد المالك بن عمر العلوي، ومحمد ابات، ومحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني وغيرهم.

آثاره

1 ـ الجامع بين التسهيل والخلاصة والمانع من الحشو والخصاصة، وهو شرح وتكملة لألفية ابن مالك ويسمى عند الموريتانيين «بالطرة والاحمرار»، وهو ينقسم إلى قسمين: أولهما توشيح وتذييل للألفية وهو عبارة عن منظومة تتخلل أبواب الألفية وتعمل على استكمال مواضيعها شرحا واستدراكا وتعليقا وتخريجا.

وثانيهما هو المعروف بـ «الطرة» وهي عبارة عن مجموعة من الحواشي وضعت في جمل مختصرة تتكرر في مصطلحات تشير إلى مواضع الإطلاق والتقييد ومحال الوفاق والخلاف وقد عززتها جملة من الأنظام المحاذية.

وقد استطاع ابن بونا بمهارته أن يمزج منظومه بمنظوم ابن مالك فأصبحا سبيكة واحدة عجيبة النظم مختلفة الألوان. فقد درج الطلاب في المحاظر الموريتانية على كتابة نص الخلاصة بالحبر الأسود وتسطير توشيح ابن بونا بالحبر الأحمر. وقد بين صاحب الوسيط قيمة هذا التأليف قائلا: «ويكفيه ـ يعني صاحب الترجمة ـ أنه نشر النحو بعد دفنه وكفى الناس مشقات مؤنه فكانوا لا يتجاوزون قبله ما في الألفية وشروحها، ونظم لهم ما تخلف عن الألفية مما تضمنه التسهيل وألصق كل شذرة بما يناسبها وضم إلى ذلك طرته المفيدة»؛ 2 ـ وسيلة السعادة في نشر ما تضمنته كلمة الشهادة، وهي منظومة في الفكر الأشعري وتزيد على ألف بيت. وقد استودعها تآليف السنوسي في علم الكلام، وعالج فيها المسائل العقدية المتداولة في الفكر الأشعري وأولى فيها اهتماما خاصا لمباحث الصفات، وقد شرحت عدة شروح من أبرزها: «الفوائد الكفيلة بمعرفة الوسيلة» للشيخ محمد الحسن ولد أحمد الخديم، وهذا الشرح مطبوع؛ 3 ـ سلم الطالبين إلى نحو قواعد النحويين، وهو منظومة في النحو وقد كملها بنظم في إعراب الجمل؛ 4 ـ تبصرة الأذهان في نكت المعاني والبديع والبيان، وهو نظم شامل في البلاغة وضعه على غرار كتاب التلخيص للقزويني، وقد ذاع صيته وشرحه ما يقارب العشرة من العلماء الموريتانيين؛ 5 ـ ديوان شعري، معظمه في التوسل والاستسقاء، وأهم نصوصه رائية مطولة تقع في 101 بيت، وهي متداولة عند الموريتانيين مطلعها يقول:

فصلٌ على من جاءه الفتحُ والنصر
لك الحمد يا الله يا الواحد البَرُّ

6 ـ تحفة المحقق في حل مشكلات المنطق، وهو نظم يقرب من ثلاثمائة بيت توجد منه نسخة في المعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم 713؛ 7 ـ مبلغ المأمول في قواعد الأصول، وهو نظم يقع فيما يقارب 1600 بيت، عقد به جمع الجوامع لابن السبكي، حقق بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية عام 1988؛ 8 ـ إرشاد الصغار وهو مؤلف نثري جد قصير لا يتعدى بضع صفحات، توجد منه نسخة في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. هذا بالإضافة إلى مجموعة من الأنظام والفتاوى أهمها نظمه للنسب الجعفري و«عنديات ابن بونا» وهي مجموعة من النوازل الفقهية أوضح فيها الرجل رأيه وموقفه وهي مفقودة.

المصادر والمراجع

● ابن محمد الأمين، محمد محمود، تح. ديوان المختار بن بونا، جامعة انواكشوط 1993؛ ● ابن أباه، محمد المختار، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، المغرب، 1996، ص 452؛ ● ابن المختار، إبراهيم، تح. وتعليق على كتاب درر الأصول للمختار بن بونا، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية 1997.

د. محمذن بن المحبوب
جامعة انواكشوط ـ موريتانيا

ابن الجلّاء، أبو عبد الله، أحمد بن يحيى

(ت 306هـ/918م)

أبو عبد الله بن الجلاء أحمد بن يحيى، صوفي كبير، بغدادي الأصل، أقام بالرملة ودمشق.

وعلى غير العادة اتّفقت عدّة مصادر تاريخية على تحديد تاريخ وفاته بدقّة، وهو يوم السبت، 21 رجب سنة 306هـ/ 18 ديسمبر 918م [الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، ج2/ 637؛ بغية الطلب في تاريخ حلب، ج3/ 1239؛ صفوة الصفوة، ج2/ 444].

سمّي بابن الجلاء نسبة لأبيه المسمّى الجلاء، ومن معاني هذا الاسم في اللغة: «الشحاذة» أو صناعة صقل المرايا والسيوف، لكن أبا عبد الله بن الجلاء نفى أن يكون اسم والده لهذا السبب حتّى أنه لما «قيل له أكان أبوك يجلو المرايا والسيوف فسمي الجلاء؟ قال لا ولكن كان إذا تكلّم على قلوب المؤمنين جلاها». وفي موضع آخر قال: «ما جلا أبي شيئا قط وما كان له صنعة قط ولكنه كان يعظ فيقع كلامه في القلوب فسمي جلاء القلوب». ولعلّ

أهمّ قلب صقله يحيى الجلاء وأراد أن يجعله كالمرآة المجلوة، قلب ولده أبي عبد الله، فكان له أول أستاذ علمه وأنشأه على حياة الزهد والنسك [بغية الطلب في تاريخ حلب، ج3/ 1234؛ تاريخ بغداد، ج14/ 204].

لقد تتلمذ ابن الجلاء إذن على والده الإمام الزاهد والراوية وصاحب النكت اللطيفة، وعلى جهابذة التصوّف مثل: أبي تراب النخشبي، وذو النون المصري، وأبي عبيد البسري، وحكى عنهم جميعا. كما عدّهم أفضل أربعة متصوّفة من بين المئات ممّن التقى بهم، حيث قال: «لقيت ستّمائة شيخ ما رأيت مثل أربعة: ذو النون المصري، وأبي، وأبي تراب النخشبي، وأبي عبيد البسري» [تاريخ بغداد، ج5/ 266؛ الرسالة القشيرية، ص20].

يروي أبو عبد الله بن الجلاء قصّة غريبة في علاقته بوالديه، مفادها أنه طلب منهما أن يهباه لله، فحقّقا له هذا الطلب وغادرهما، ولما أراد الرجوع إليهما ذكراه بأنه هبتهما لله، ومن شيم العرب أن لا يستردوا ما وهبوه. يقول ابن الجلاء في وصفه لما حدث له مع والديه: «قلت لأبي وأمي: أحب أن تهباني لله ﷻ فقالا: قد وهبناك لله ﷻ فغبت عنهما مدة، فلما رجعت ليلة مطيرة فدققت الباب، فقال لي أبي: من ذا؟ فقلت: ولدك أحمد، فأجاب والدي: كان لنا ولد فوهبناه لله تعالى، ونحن العرب لا نسترجع ما وهبناه. ولم يفتح لي الباب» [سير أعلام النبلاء، ج14/ 252 ؛ صفوة الصفوة، ج2/ 433].

ومن الأمور الغريبة التي يقصها أبو عبد الله عن والده، ويجعلها من الكرامات التي لازمته لصفاء قلبه ونقاء سريرته، أنه لما مات أشكل على الناس غسله واحتاروا في مظاهر الحياة البادية عليه، ويصف ابن الجلاء هذه الواقعة المتعلّقة بموت والده وأستاذه فيقول: «مات أبي فلما وضع على المغتسل رأيناه يضحك فالتبس على الناس، فجاؤوا بطبيب وغطوا وجهه، فأخذ مجسه فقال: هذا ميت، فكشفوا عن وجهه الثوب فرأوه يضحك، فقال الطبيب: ما أدري حي هو أو ميّت. وكان إذا جاء إنسان ليغسله لبسته منه هيبة لا يقدر على غسله، حتّى جاء رجل من إخوانه فغسله وكفنه وصلوا عليه ودفن» [صفوة الصفوة، ج2/ 411؛ تاريخ بغداد، ج14/ 204].

لقد صار أبو عبد الله بن الجلاء بفضل اجتهاده وورعه وأخذه علم السلوك عن هؤلاء الأساتذة وعلى رأسهم والده، من كبار الصوفية ومن أكابر مشايخ الشام حتّى أضحى معروفا بعدّة ألقاب منها: شيخ الصوفية، وشيخ الشام، والقدوة العارف، وتروى عنه كرامات وأحوال ظاهرة وخرق للعوائد. وإذا كان ابن الجلاء قد فضل أساتذته على كل من لقي من المتصوّفة، فلقد عُدّ بدوره من أفضل المتصوّفة على الإطلاق، وفي هذا الصدد يقول الصوفي إسماعيل بن نجيد: «يقال إنّ في الدنيا ثلاثة من أئمّة الصوفية لا رابع لهم: أبو عثمان بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام». وقال عنه صوفي آخر، محمد بن داود: «ما رأتْ عيناي بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بالجبل مثل أبي عبد الله بن الجلاء» [بغية الطلب في تاريخ حلب، ج3/ 1235؛ شذرات الذهب، ج1/ 230].

لقد كوّن ابن الجلاء بدوره عددا كبيرا من التلاميذ بالإضافة إلى الكم الهائل من

الشخصيات التي روت أقواله وروت عنه ما روى هو عن غيره، ومن أبرز تلامذته: أبو بكر الدقي (ت 360هـ/ 971م) القائل عن أستاذه: «ما رأيت شيخا أهيب من ابن الجلاء مع أني لقيت ثلاث مائة شيخ» [سير أعلام النبلاء، ج14/ 252؛ المنتظم، من 257هـ، ج7/ 56]، ومنهم أيضًا محمد بن سليمان اللباد، ومحمد بن الحسن اليقطيني، وأبو الخير التيناتي (ت 347هـ/ 958م)، وأبو عبد الله الحكيم الترمذي. ومن الذين حكوا عنه بالإضافة إلى هؤلاء التلاميذ: محمد بن عبد الله بن الجلندي، وأبو العباس الدمشقي الوراق، وإبراهيم بن المولد الرقي، وغيرهم [حلية الأولياء، ج10/ 233؛ الطبقات الكبرى، ج1/ 75].

يقوم العرفان عند ابن الجلاء على ثلاثة أركان رئيسية هي بمثابة المراحل التي يمر بها العارف للوصول إلى الحق، وهي: الزهد، والتعبّد، والتوكّل. أما الزهد فقوامه الفقر والاستغناء عن الغير سوى الحق، ولا يكترث المريد بالغير، فلا يغرّنه مدحهم له ولا يجزعنّه ذمّهم له. وحقيقة الفقر عنده أن لا يملك الإنسان شيئا، ولا يتملكه أي شيء. ولقد سئل ابن الجلاء يوما عن الفقر وكان بحوزته بعض الدراهم، فلم يجب إلّا بعد أن تخلّص منها، وذلك استحياء من الله على حدّ قوله [بغية الطلب في تاريخ حلب، ج3/ 1238].

ثم إلى جانب الفقر يجب أن يكون المرء محافظا على العبادات والفرائض منها على وجه الخصوص، وتركيز ابن الجلاء على الفرائض لافت للنظر، إلى درجة أنه بالرغم من تتلمذه على محدّثين ورواة، وبالرغم من روايته لأقوال ومواقف كبار المتصوّفة كذي النون المصري، والنخشبي وغيرهما، إلّا أنه لم يهتمّ برواية الحديث النبوي حتّى قال عنه أحد المصنّفين: «لا نعلم أن ابن الجلاء أسند شيئا» [صفوة الصفوة، ج2/ 444]، وقد يرجع ذلك لاعتقاده بأنّ الفرائض أولى من السنن، من جهة، ولشعوره بالعجز والتقصير تجاه ما فرضه الله عليه، من جهة أخرى. لهذا عندما سئل كعارف وكزاهد في الدنيا عن المحبّة التي اشتهر بها أقرانه من المتصوّفة، أجاب بقوله: «ما لي وللمحبّة أنا أريد أن أتعلّم التوبة» [سير أعلام النبلاء، ج14/ 252].

ولهذا كان يشعر بأنّ جهده في العبادة، والزهد والتوكّل وتعليم تلاميذه ما هو إلّا تأدية للفرائض، وأنه لم يتجاوز بعد إلى السنن والمستحبات، ولهذا وضع نفسه في خانة المهتمّين بالفرائض وصنف غيره، خاصّة من المحدّثين، بالمهتمّين بالسنة، ويمكن الاستدلال على هذا التصنيف بقول لأحد تلامذته وهو علي بن بندار جاء فيه: «دخلت بدمشق على أبي عبد الله بن الجلاء فقال: متى دخلت دمشق؟ قلت: منذ ثلاثة أيام. فقال لي: ما لك لم تجئني؟ قلت: ذهبت إلى ابن جوصاء وكتبت عنه الحديث، فقال لي: شغلتك السنة عن الفريضة» [طبقات الصوفية، ص374].

أما الركن الثالث وهو المرحلة الثالثة والغاية من الزهد والعبادة فهو التوحيد، والذي لا يعني مجرّد الاعتقاد بأنّ الله واحد، بل الاعتقاد أيضًا بأنّ الأفعال كلّها من الله، ومن ثمّة العمل على الشعور بفناء الذات العارفة والأشياء المحيطة بها، فيصبح لا يرى إلّا

الحق الواحد، وهنا إشارة واضحة من ابن الجلاء إلى رتبة ومقام الفناء، يقول ابن الجلاء مجملا الحديث عن الأركان الثلاثة للعرفان: «من استوى عند المدح والذم فهو زاهد، ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله ﷻ فهو موحد لا يرى إلا واحدا» [الرسالة القشيرية، ص20].

يعتقد ابن الجلاء أن الوصول إلى هذه الرتبة ليس بالأمر الهيّن وليس بالمستحيل في الآن نفسه، ذلك لأنّ شرف الحق وعزته وعلو شأنه أرفع بكثير من أن يدرك السبيل الموصلة إليه كل من هبّ ودبّ، وفي الوقت نفسه عنايته وقدرته ورحمته ممكنة لكل نفس تواقة بزهدها وبعبادتها وبإرادتها إلى الوصول إليه. فالمسلك ليس سهلا ولكنه ليس بالمستحيل، يحتاج إلى جهود مضنية وعزائم صادقة وهمم كبيرة تكون قادرة على مواجهة الحيرات التي تعتري قلب المريد واللايقين الذي تسببه المعرفة الظنية، ومن يركن إلى ظنّه فلن يصل إلى الحق، لأنه عين اليقين، أما من يعمل على تجاوز الظنون والقضاء على التحير بتسليم وتفويض الأمر إلى صاحب الشأن فهذا قد تصيبه العناية الإلهية فتوصله إلى الغاية القصوى. يقول ابن الجلاء في هذا الشأن: «من غيرة الحق أن لم يجعل لأحد إليه طريقا، ولم يؤيس أحدا من الوصول إليه، وترك الخلق في مفاوز التحير يركضون وفي بحار الظن يغرقون، فمن ظنّ أنه واصل فاصله، ومن ظن أنه فاصل مناه فلا وصول إليه ولا مهرب عنه ولا بد منه» [طبقات الصوفية، ص146؛ الشعراني؛ الطبقات الكبرى، ص75]، لهذا كلّه يحتاج المريد في الوصول إلى أعلى الرتب والدرجات العرفانية إلى مرشد وإلى العناية الإلهية خاصّة، ومن يرم الوصول بنفسه فسيفشل أو يبلغ درجة من العرفان ولكن سرعان ما يتدحرج منها، وهذا ما يكون قد قصده ابن الجلاء عندما قال: «من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها ومن بلغ به ثبت عليها» [طبقات الصوفية، ص145؛ صفوة الصفوة، ج2/ 444].

ومن أهمّ ما اشترطه بن الجلاء على المريد لكي يجد العناية الربانية تقوده إلى الحق: الصبر على المحن والامتحانات وعلو الهمّة. فأمّا الصبر على المحن فلأنّ الذي يريد بلوغ الحق إنّما يريد الاقتداء ببعض الأنبياء والأولياء فيبلغ درجة الاتصال بالله فيكون كمن كلمه أو أخذه خليلا، يقول ابن الجلاء في هذا الشرط: «الحق استصحب أقواما للكلام وأقواما للخلة، فمن استصحبه الحق لمعنى ابتلاه بأنواع المحن فليحذر أحدكم طلب رتبة الأكابر» [طبقات الصوفية، ص145]، وأما شرط الهمّة فمعلوم أنها عند الصوفية تعني عقد العزم بكل جد وإخلاص لبلوغ المراد، وفيها مراتب كلّما علت وارتقى فيها المريد اقترب من الهدف، وعن واحدة من هذه المراتب يقول ابن الجلاء: «من علت همّته على الأكوان وصل إلى مكونها، ومن وقف نفسه على شيء سوى الخلق تعالى فإنه الحق لأنه أعزّ من أن يرضى معه شريكا» [الطبقات الكبرى، ج1/ 75].

إن مثل هذا التوحيد لا يصل إليه المريد حسب ابن الجلاء بمجرّد الزهد والاستغناء عما لدى الخلق، بل على المريد تجاه الخلق بسلوكات وأخلاق تليق بمقام من يريد بلوغ

الحق، وعن كيفيّة صحبة الخلق أجاب ابن الجلاء أحد تلامذته قائلا: «إن لم تُبرَّهم فلا تؤذهم، وإن لم تسرَّهم فلا تسؤهم» [طبقات الصوفية، ص 145]. والتصوّف في نهاية المطاف ما هو إلّا خلق كما أجمع على ذلك أهل التصوّف.

■ المصادر والمراجع

● ابن أبي جرادة، كمال الدين، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1988، ج3/ 1233 ـ 1239؛ ● ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، من 257هـ، دار صادر، بيروت، 1358هـ، ج7/ 56؛ ● ابن الجوزي، صفوة الصفوة، تح. محمود فاخوري، ومحمد رواس، دار المعرفة، بيروت، 1399هـ/ 1979م، ط 2، ج2/ 411؛ ● ابن عماد، شذرات الذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1/ 230؛ ● الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ط4، ج10/ 233؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج5/ 213، 266، ج14/ 204؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرناؤوط والعرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ/ 1993م، ط4، ج14/ 172، 251 ـ 252، ج16/ 22؛ ● الربعي محمد بن زبر، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تح. عبد الله أحمد سليمان، دار العاصمة، الرياض، 1410هـ، ج2/ 637؛ ● السلمي، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبّدات، تح. مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص145، 344 ـ 347، 374؛ ● الشعراني، الطبقات الكبرى، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ج1/ 75؛ ● القشيري، الرسالة القشيرية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص20.

د. ساعد الخميسي
جامعة منوري ـ قسنطينة ـ الجزائر

■ الجلاب، أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق

(442هـ/1050م ـ 510هـ/1116م)

الشافعي أبو الحسن، الشيخ الإمام، الفقيه العلامة، المحدّث الثبت الصالح. مولده في سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة للهجرة، وكان تاجرا جوّالا. تفقّه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي الشافعي. ورحل في طلب الحديث وسمع أبا بكر الخطيب فأكثر، وأبا جعفر بن المسلمة، وعبد الصمد بن المأمون، وأبا الحسين بن

المهتدي بالله، وابن النقور وطبقتهم. وسمع بدمشق أبا نصر بن طلاب، وبالبصرة محمد بن علي السيرافي، وأبا علي التستري، وبإصبهان أبا المنصور بن شكرويه، وطائفة. وسمع بمصر من صالح بن إبراهيم بن رشدين، وكتب الكثير، وحرر، وقيد وجمع وصنّف.

حدث عنه: يوسف بن مكي، وأبو طاهر بن الحصني، وهبة الله بن الحسن الصائن، وأبو طاهر السلفي، وعبد الحق اليوسفي، وأخوه عبد الرحيم، ويحيى بن بدش، وآخرون.

مات في بغداد في صفر سنة عشر وخمس مائة للهجرة، ودفن بالوردية.

وذكره ابن الأثير في [الكامل في التاريخ، 10/ 625] في وفيات سنة 518هـ خلافًا لبقية مؤرّخيه.

وفيما يخص مكانته العلمية: قال ابن الجوزي: سمع بالبصرة، وخوزستان، وأصبهان، والشام، ومصر وكان سماعه صحيحًا، وكان ثقة له فَهْمٌ جيد، وكتب تصانيف الخطيب وسمعها منه.

وقال عنه الذهبي: وكان متقنا ضابطًا يفهم ويذاكر.

آثاره

1 ـ تحرير أحكام الصيام، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون [العمود 355]، وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين [2/ 84]؛ 2 ـ الضحايا، ذكره إسماعيل البغدادي في هدية العارفين [2/ 84]؛ 3 ـ مناسك الحج، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون [العمود 1831]، وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين [العمود 84].

المصادر والمراجع

● ابن الجوزي، المنتظم، الهند، طبعة حيدر آباد، ج9/ 249؛ ● السبكي، طبقات الشافعية، القاهرة، ج6/ 400 ـ 401؛ ● الذهبي، العبر، تح. صلاح الدين المنجد، الكويت، ج4/ 41؛ ● الذهبي، تذكرة الحفاظ، دائرة المعارف العثمانية، ج4/ 1265 ـ 1266؛ ● ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نشرة تورنبرغ، 1864، ج10/ 625؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، ج4/ 57؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج19/ 471؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، 1960، ج12/ 13؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، طهران، العمود 3255 والعمود 1831؛ ● البغدادي، هدية العارفين، طهران، ج2، العمود 84.

أ. هــلال نــاجـي
باحث في التراث العربي
بغداد ـ العراق

ابن الجلّاب، أبو القاسم عبيد الله بن الحسين

(ت 378هـ/988م)

أبو القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلّاب البصري المالكي هكذا في شذرات الذهب، وفي اسمه أقوال [ابن العماد الحنبلي، 3/ 93]. أمّا فؤاد سزكين فإنّه قال: واسمه غير متّفق عليه [تاريخ التراث العربي، 2/ 153]. أما بالنسبة لكنيته، فإنّ القاضي عياض ذكر أنّه يقال له: أبو الحسين [ترتيب المدارك، 4/ 605] في حين أجمع بقيّة المترجمين له أنّ كنيته أبو القاسم، أمّا اسمه فهو عبيد الله عند أغلب المترجمين له، وشذّ الشيرازي فسمّاه عبد الرحمٰن بن عبيد الله [طبقات الفقهاء، 168؛ كحالة، 6/ 238]، وسمّاه ابن العماد الحنبلي: القاسم [شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 3/ 93] واشتهر بابن الجلّاب.

وقال محمد العنّابي في تعليقه على كتاب التّفريع: «الجلّاب أبو القاسم عبيد الله بن الحسن الشهير بابن الجلاب من أهل العراق أحد أيمة الفقه والأصول الحافظ... والجلّاب بفتح الجيم وتشديد اللام وفي آخرها الباء الموحّدة اسم لمن يجلب الرقيق والدواب واشتهر به جماعة» [تحقيق فهرست الرصّاع، 84]. وأصله من مدينة البصرة إلا أنّ صاحب إيضاح المكنون نسبه إلى بغداد وسماه البغدادي [هديّة العارفين، 447]. قال محقّق كتاب التّفريع: «ولعلّه نشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد لتلقّي العلم على كبار علمائها» [الدهماني، مقدمة كتاب التفريع، 1/ 103]. وأضاف المحقّق وهو يتحدّث عن مولده: «لم نقف على تاريخ ميلاده، وهو بلا شكّ أصغر من شيخه أبي بكر الأبهري (289هـ ـ 375هـ)، واعتمادا على قول النّفراوي في مقدمة شرحه على الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، بأنّها أوّل مختصر ظهر في المذهب بعد تفريع ابن الجلّاب، فمن المحتمل أن يكون تأليف التفريع سابقا للرسالة التي ألّفها صاحبها سنة 327هـ وهو ابن سبعة عشر عاما، وبذلك يرجّح مولد ابن الجلّاب في مطلع القرن الرابع الهجري بمدينة البصرة» [مقدمة كتاب التفريع، 1/ 104 ـ 105].

يعتبر ابن الجلاب من علماء القرن الرابع الهجري الذين ساهموا في ازدهار النّهضة العلميّة في ذلك العصر، وكان في ميدان العلوم الشرعيّة أحد أعلام مالكيّة القيروان وأحد المجتهدين الذين بلغوا درجة الترجيح والاختيار خارج مشهور المذهب، له أيضا يد بيضاء في نشر المذهب المالكي وتنميته وإثرائه بضبط أحكامه وتفريع فروعه وتقعيد قواعده، [محقّق التفريع، 105].

قال فيه ابن الأثير في الكامل: «هو إمام جليل» [الكامل في التّاريخ، 7/ 137]، وذكره القاضي عياض من بين الأئمّة الذين

تفقّهوا على أبي بكر الأبهري فقال: «وتفقّه على أبي بكر الأبهري عدد كثير وخرج له بجملة الأئمة بأقطار الأرض من العراق وخراسان والحجاز ومصر وإفريقية كأبي جعفر الأبهري وأبي سعيد القزويني وأبي القاسم الجلّاب وأبي الحسن بن القصّار» [المدارك، 4/ 470]. وحلّاه صاحب الشجرة بالإمام الفقيه الأصولي العالم الحافظ [مخلوف، شجرة النور الزّكية، 92]. ووصفه المترجمون له بأنّه فقيه أصولي وأنّه أحفظ أصحاب الأبهري وأنبلهم [الذهبي، سير أعلام النّبلاء، 16/ 383؛ ابن فرحون، الديباج، ط 2، 2/ 411] قال محقّق فهرست الرّصاع: «أخذ الفقه عن الأبهري وكان أنبل أصحابه وأحفظهم، وعليه تخرّج القاضي عبد الوهاب» [فهرست الرّصاع، 84].

ويعتبر ابن الجلاب من المدرسة المالكيّة البغداديّة التي كانت أنظارها متّجهة أكثر إلى تأصيل الأصول وتقعيد القواعد، وقد برز هذا الاهتمام جليّا بداية من القاضي إسماعيل، مرورا بالشيخ الأبهري، وابن القصّار، وابن الجلّاب وانتهاء بالقاضي عبد الوهاب.

فابن الجلّاب ألّف كتابا عنونه بـ: «مسائل الخلاف»، ويندرج كتابه هذا ضمن كتب الأصول التي امتاز بها مالكيّة العراق.

أجمع المترجمون له أنّه كان من كبار أصحاب الأبهري الذي لازمه زمنا طويلا [ابن فرحون، الدّيباج المذهب، 1/ 461؛ مخلوف، شجرة النور الزكيّة، 92].

ولقد استفاد من مجالسات معاصريه مثل أبي الحسن علي بن عمر بن القصّار (ت 398هـ) الفقيه الأصولي النظّار [تاريخ بغداد، 12/ 41؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، 168]. كما استفاد أيضا من مدرسة بغداد المالكيّة التي كانت تمتاز بالتّرجيح وإعمال الرأي مثل إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت 284هـ) الذي كان إماما في سائر الفنون والمعارف حتى عُدّ من أهل الاجتهاد [ترتيب المدارك، 4/ 282].

ومن أبرز تلاميذ ابن الجلّاب: القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي إمام المالكية بالعراق وصاحب التآليف الشهيرة (ت 422هـ)، وأبو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن إسحاق الطافي البصري [المدارك، 4/ 695] وابن أخته المسدّد بن أحمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن محمد بن أيّوب بن محمد بن عبد الله بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري البصري شارح كتاب التفريع [محقّق التفريع، 1/ 104]، وغالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عطية المحاربي من أهل غرناطة [فهرس ابن عطية، 52]، والقاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلّاني (ت 403هـ) الملقّب بشيخ السنّة ولسان الأمّة [وفيات الأعيان، 4/ 769؛ شذرات الذّهب، 3/ 168] وابن الجلّاب كان من بين الفقهاء الأربعة الذين كوّنوا شخصيّة القاضي عبد الوهاب العلميّة. قال هذا الأخير: «صحبت الأبهري وتفقّهت مع أبي الحسن بن القصّار وأبي القاسم بن الجلّاب، والذي فتح أفواهنا وجعلنا نتكلّم أبو بكر بن الطيّب». يقصد به الباقلّاني [ابن فرحون، الديباج، 159]. فكلام عبد الوهاب يثبت أنّ الباقلّاني وابن

الجلّاب درّساه، وبما أنّ الباقلّاني أصغر من ابن الجلّاب، فالغالب أنّه تتلمذ له أو جالسه واستفاد منه، والحال أنّ ابن الجلّاب امتاز بالاختيار خارج مشهور المذهب، والباقلاني امتاز بالجدل، فلا بدّ أنّ الأصغر تأثّر بالأكبر.

توفّي أبو القاسم عبيد الله بن الجلّاب عند منصرفه من الحجّ في شهر صفر سنة 378هـ/ 988م [الديباج، 2/ 26؛ مخلوف، 92؛ كحالة، معجم المؤلفين، 6/ 239؛ البغدادي، هديّة العارفين، 1/ 447؛ إيضاح المكنون، 1/ 301؛ الزركلي، الأعلام، 4/ 193؛ الحجوي، الفكر السامي، 3/ 114].

آثاره

ترك ابن الجلّاب تآليف عدّة وصفها المترجمون بأنّها قيّمة معتمدة في المذهب [محقّق فهرست الرّصاع، 84] منها:

1 ـ شرح المدوّنة، يوجد منه مخطوط نسخ عام 680هـ بجامعة القرويين تحت رقم 799، وبالرباط تحت رقم 1447 [محقق التفريع، 1/ 105]؛ 2 ـ كتاب في مسائل الخلاف، ذكره كلّ من ترجم له؛ 3 ـ كتاب التفريع وهو أشهر كتب ابن الجلاب، توجد منه عدّة نسخ مخطوطة كما تمّ تحقيقه؛ وفي ما يلي أرقام بعض المخطوطات: ـ نسخة خطّية بدار الكتب الوطنية بتونس: رقم 15130؛ ـ نسخ خطية أخرى بتونس أرقامها: 3499 ـ 9880 ـ 2828 ـ 17468؛ ـ نسخة خاصة بمكتبة آل النيفر بتونس؛ ـ نسخة خطية بدار الكتب المصريّة تحت رقم 17464؛ ـ قطعة من مخطوط الإسكندرية تحت رقم 1210/ 3 [موراني، مصادر الفقه المالكي، 32]؛ ـ نسخ في خزانة القرويين بفاس تحت الأرقام التالية: 337 ـ 121 ـ 1122 ـ 804 ـ 900؛ ـ نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم عمومية 36 مجموع 10؛ ـ نسخة مكتبة الجلاوي بالرباط تحت رقم 27؛ ـ نسخة في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 2418؛ ـ نسخة في دار الكتب الوطنية بالجزائر تحت رقم 1036؛ ـ نسخ بالمكتبة الوطنية بمدريد أرقامها: 1/ 2 ـ 74 ـ 102 ـ 5/ 135؛ ـ نسخة في المتحف البريطاني تحت رقم 228 [سزكين، تاريخ التراث العربي، 2/ 153؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 3/ 285]؛ ـ نسخ في المملكة العربية السعوديّة، جامعة محمد بن سعود رقم ف 1019 ـ 8151، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رقم 1751 ـ 1752 [محقّق التفريع، 1/ 177 ـ 178]؛ ويعتبر كتاب التفريع مثالا رائدا لنوع جديد من المؤلّفات الفقهيّة، وهي المختصرات الجامعة التي تتناول عددا ضخما من المسائل المندرجة تحت أبواب الفقه كلّها بصورة شاملة وبصيغة موجزة، ويعتبر أيضا مثالا فريدا في منهجه وأسلوبه وطريقة عرضه للمسائل [محقّق التفريع، 1/ 107].

ولقد أجمع المترجمون له أنّ كتاب التّفريع ينسب إلى مؤلّفه عبيد الله بن الحسين بن الجلّاب حتى سمّي المضاف غالبا باسم المضاف إليه، فيقال الجلّاب ويراد به كتاب التفريع. لقد سمّاه بعضهم «كتاب التّفريع في الفروع» [كشف الظنون، 427؛ البستاني، دائرة المعارف، 2/ 411] وسمّاه البغدادي «التفريع في الفروع المالكيّة» [هديّة العارفين،

1/ 447]. وسمّاه سزكين «كتاب تفريع الفقه المالكي» [تاريخ التراث العربي، 2/ 153] وسمّاه أحمد بابا «مختصر الجلاب» [التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 122] وانفرد كنّون بتسميته: «التفريع لابن الجلاب وهو المسمّى بالتقييد والتقسيم» [الجراب الجامع، 180].

ونظرا لمكانة التفريع، فلقد اعتنى بشرحه الكثير من الفقهاء، ومن بينهم: ابن أخته المسدّد البصري، والتّتائي، وقاسم بن ناجي القيرواني [شرح ابن ناجي مخطوط بدار الكتب الوطنية (في نسختين الأولى رقم 5808 والثانية رقم 7098)]. ولعلّ شرح ابن ناجي هو أبرز الشروح.

كما شرحه محمد بن عبد السلام الهواري في كتاب سمّاه: «السّهل البديع في اختصار التّفريع». واعتنى به محمد بن راشد القفصي الذي ألّف كتاب «النّظم البديع في اختصار التفريع» وشرحه أيضا أحمد بن علوان التونسي في كتابه «اللباب اللّباب على الجلاّب».

ولقد اعتمد المالكية من عصر المؤلف إلى عصرنا على التّفريع، وجعلوا منه مصدرا ومرجعا لمؤلّفاتهم الفقهيّة، معوّلين على أقواله ومستشهدين بآرائه رواية ودراية. ومن ذلك ما جاء في كتاب الطريقة المرضية لشيخ الإسلام المالكي قول الشيخ جعيط: «وإذا كان الغرض المنشود من هذا الكتاب إفادة روّاد العلم ما لا غنى لهم عنه، فسقت جملا من النصوص الفقهية... وآثرت كثيرا مما جاء في الكتب المعتمدة كشرح ابن ناجي القيرواني للتّهذيب وشرحه الجلاّب» [مقدّمة كتاب الطريقة المرضية، 3]. وكان من الكتب التي تدرّس في جامع الزيتونة المعمور [فهرست الرصّاع، 56، 84، 154، 161، 215].

ويحتوي كتاب التّفريع على أبواب الفقه من العبادات والمعاملات على المذهب المالكي، صيغت في واحد وثلاثين بابا، وينقسم كل كتاب إلى عدد من الأبواب، وكل باب على عدد من الفصول، ويمثّل الفصل وحدة موضوعيّة قد تشتمل على عدد من المسائل باعتبار المسألة أصغر أجزاء تلك الوحدة أو وجها من وجوهها الذي يمكن إفراده بحكم خاص به.

ولقد أحصى العلماء مسائل التّفريع ووجدوا أنّها بلغت ثمانية عشر ألف مسألة، وتولّى حسين سالم الدّهماني تحقيق كتاب التّفريع وطبعته دار الغرب الإسلامي في جزءين سنة 1408هـ - 1987م.

المصادر والمراجع

● ابن الأثير، أبو الحسن علي، الكامل في التاريخ، دار الفكر بيروت، 1978م؛ ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النّجار، دار المعارف مصر 1962؛ ● البستاني، فؤاد، دائرة المعارف؛ ● البغدادي، أبو بكر أحمد، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظّنون، منشورات مكتبة المثنّى، بغداد؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هديّة العارفين في أسماء المؤلفين

وآثار المصنّفين، وكالة المعارف، استانبول، 1955؛ ● التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مطبعة السعادة، مصر، 1329هـ؛ ● جعيط، محمد العزيز، الطريقة المرضية في الإجراءات الشرعيّة على مذهب المالكية، ط. الإرادة تونس، د.ت؛ ● الحجوي، محمد الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار التراث، القاهرة؛ ● ابن خلّكان، أبو العباس أحمد، وفيات الأعيان وأنباء الزّمان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت؛ ● خليفة، حاجي، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنّى، بغداد؛ ● الدّهماني، حسين بن سالم، التّفريع، دراسة وتحقيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408 هـ؛ ● الذّهبي، شمس الدين محمد، سير أعلام النّبلاء، تح. شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1404 هـ؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام (قاموس تراجم) دار العلم للملايين، بيروت؛ ● سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، نشر الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1978؛ ● الشيرازي، أبو إسحاق، طبقات الفقهاء، تح. إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، 1970؛ ● ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، فهرس ابن عطية، تح. محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، 1980؛ ● ابن العماد الحنبلي، عبد الحيّ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت؛ ● العنّابي، محمد، تح. فهرست الرّصاع، المكتبة العتيقة، تونس، 1967؛ ● عياض، القاضي عياض اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ط. بيروت، 1967 ـ ط. المغرب 1983؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت؛ ● كنّون، عبد الصّمد بن التهامي، الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب، ط. المغرب؛ ● ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط. السعادة، مصر، ط. دار التراث للطبع والنشر، القاهرة؛ ● مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكيّة، دار الفكر، بيروت، د.ت؛ ● ميكلوش موراني، دراسات في مصادر الفقه المالكي، دار الغرب الإسلامي، 1988م.

د. محمد بوزغيبة
جامعة الزيتونة ـ تونس

ابن الجُلاح، أبو عمر أحيحة

(158ق.هـ/464م ـ نحو 221ق.هـ/نحو 401م)

أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة بن عوف، ينتهي نسبه إلى الأوس. كنيته: أبو عمر. سيّد قومه، ذو ثراء، حسن التدبير، شاعر جاهلي، لم يدرك الإسلام ولم تكن له صحبة كما زعم البعض.

ولد أحيحة سنة 464م حسب تقدير المستشرق كوسّان دو برسيفال، ونشأ في مدينة يثرب، التي عرفت مع الإسلام بالمدينة المنورة. وهي مدينة زراعية يشكّل التّمر عماد نتاجها. وكان فيها لأحيحة أملاك ومزارع، منها الغابة والزوراء وحنذ، وحقول يستثمرها ويُعْنَى بها، يغرسها نخيلاً ويزرعها فومًا (حنطة)، يقول في ذلك:

قَدْ كُنْتُ أغْنى النَّاسِ شَخْصًا واحدًا
وَرَدَ المدينَةَ عن زِراعةِ فومِ

وذكر المؤرخون أنه كان لأحيحة تسعة وتسعون بعيراً ينقل عليها الماء إلى مزارعه وحقوله.

كانت مدينة يثرب، يومذاك، مكشوفة، أي غير مسوّرة وغير حصينة. لذلك اضطر أهلها، الأسياد والميسورون منهم على الأخص، إلى بناء الآطام، وهي بنايات من حجر، يتحصّنون فيها عند الضرورة. ولم يشذّ أحيحة عن هذا التقليد، فكان له أُطمان، أحدهما في المدينة واسمه المستظل، والآخر في مزرعة الغابة ويعرف بالضحيان. قال لمّا بناه:

بَنَيْتُ بعدَ مُسْتَظَلٍّ ضاحِيا
بَنَيْتُهُ بِعُصْبَةٍ من ماليا
والسرُّ مِمَّا يَتْبَعُ القواصيا
أَخْشى رُكَيْبًا أو رُجَيْلاً عادِيا

ويُروى أنّ أحيحة اعتاد الجلوس، إذا أمسى، بحذاء الضحيان، ويرسل حواليه كلابًا تنبح حين يأتيه ممّن لا يعرف، مخافة أن يأتيه عدوّ يصيب منه غرّة.

وصف أحيحة بأنّه رجل صنيع للمال، شحيح عليه أي حريص مقتصد، يتبع بيع الرّبا، حتى كاد يحيط بأموال أهل المدينة، على ما قيل. هذا الحرص على المال والجهد في تنميته وتكثيره، والوعي في كيفية التصرف به، ربّما كانت ناجمة عن خوفه من تبدل الأيام، واعتقاده بأنّ لا شيء يدوم على حاله:

وما يدري الفقيرُ متى غِناهُ
وما يدري الغنيُّ متى يُعيلُ

وبأنّ النّاس لا تحترم ولا تكرّم إلّا صاحبَ المال: «...إنَّ الكريمَ على الإخوانِ ذو المالِ»

يشهد خالد بن جعفر أنَّ أحيحة لم يكن يغلق جارًا، أو يخذل خائفًا، أو يردّ جائعًا، يقول خالد:

رأيتُ أبا عمروٍ أحيحة جارُهُ
يبيتُ قريرَ العَيْنِ غيرَ مُرَوَّعِ
ومَنْ يأْتِهِ مِنْ خائفٍ يَنْسَ خَوْفَهُ
ومَنْ يأْتِهِ مِنْ جائعِ البَطْنِ يَشْبَعِ

هذا الكلام يؤكد أنّ الشّح عند شاعرنا لم يكن يعني البخل، ولكن يعني الحرص على جمع المال ومعرفة وجوه إنفاقه عند الحاجة إليه. هذا مع الإشارة إلى أنّ الجاحظ لم يذكر أحيحة مع بخلائه.

ولم يكن أحيحة غنيًا، وسيّد قومه وحسب، إنّما كان أيضاً رجل حرب ودهاء، سديد الرأي، فما قال شيئًا إلّا أصاب، ولا أعطى رأيًا ينذر به إلّا حصل كما قال، حتى زعموا أنّ له تابعاً من الجنّ يوحي إليه ويعلمه بالأمور. والأخبار المروية عنه، تثبت ذلك.

أبرز ما وصل إلينا من أخباره خبر ما جرى له مع تبّع الحميري، أسعد أبي كرب، وعاصم بن عمرو من بني النجّار. قصد تبّع المذكور مدينة يثرب للانتقام من أهلها الذين اغتالوا ابنه، فطلب إليه عددًا من أشرافها ممّن عرفوا بالأزياد ومعهم أحيحة. أنذرهم أحيحة بأن تبّعاً لم يستدعهم إلّا ليقتلهم، فلم يصغوا إليه. أمّا هو فعمد إلى الحيلة للإفلات من تبّع واللجوء إلى أطمه الضحيان، الحصن المنيع حيث استطاع الصمود وقتال الكتيبة التي أرسلها تبّع مدة ثلاثة أيام عادت بعدها خائبة. كان أحيحة يرميها نهارًا بالنخيل والحجارة، وليلاً بالتمر والزّاد. وهكذا اضطر تبّع إلى ترك أحيحة والمدينة مكتفياً بحرق نخله، وقتل الأزياد.

ولمّا وقعت الحرب بين بني جحجبى من الأوس، وبني مازن بن النجار من الخزرج بسبب مقتل أخي عاصم بن عمرو، استعدّ أحيحة سرًّا لمفاجأة بني النجار والفتك بهم، وكان عاصم قد قتل أخًا له، فاحتالت عليه زوجته سلمى بنت عمرو الخزرجية، فتدلت بواسطة حبل من الحصن، وأحيحة نائم، وقصدت قومها بني النجار وأخبرتهم بنية زوجها وما يبيّته لهم من شرّ. عندما هاجمهم أحيحة وجدهم مستعدين له، فجرى بين الطرفين قتال قليل. عرف أحيحة أن زوجته هي التي أخبرتهم، فطلّقها، إذ كان الطلاق معروفاً في الجاهلية. وكانت سلمى امرأة شريفة لا تنكح الرجل إلّا وأمرها بيدها، إذا كرهت من رجل شيئاً تركته. بعد أحيحة تزوّجها هشام بن عبد مناف، فولدت له عبد المطلب جدّ النبيّ محمد ﷺ. بعد تدليها من الحصن عرفت بالمتدلية.

كان أحيحة شاعراً مجيداً، ذكره أبو زيد القرشي مع أصحاب المذهبات من الأوس والخزرج، منهم: حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، ومالك بن العجلان، وقيس بن الخطيم. وما وصل إلينا من شعره، وشكل ديوانه قليل [شعر أحيحة بن الجُلاح، تح. حسن باجودة، الطائف، نادي الطائف الأزدي]، كأخباره، وموضوعاته تقليدية كالوصف، والغزل، والرثاء، لاسيما رثاء ابنه، والحكمة، كما يتناول وقائعه، وسعيه، وعمله في أرضه، والمال وأهميته وشرفه:

إنّي أقيمُ على الزّوراءِ أعمُرُها
إنَّ الحبيبَ إلى الإخوانِ ذو المالِ
بها ثلاثُ بناءٍ في جوانبِها
فكلُّها عُقَبٌ تُسقى بإقبالِ

كلُّ النّداءِ إذا ناديتُ يخذلني
إلّا ندائي إذا ناديتُ يا مالي ...

ومن رائع غزله قوله:

يشتاقُ قلبي إلى مُلَيكَةَ او
امستْ قريباً ممَّنْ يطالِبُها

ما احسنَ الجيدَ مِنْ مُلَيْكَةَ
واللَّباتِ إذْ زانها ترائبُها

يا ليتني ليلةً إذا هَجَعَ
النّاسُ ونامَ الكِلابُ صاحبُها

في ليلةٍ لا يُرى بها احدٌ
يسعى علينا إلاّ كواكبُها

ويتخلّل شعر أحيحة الكثير من الحكمة البسيطة التي ولّدتها الخبرة وتجارب الأيام، مثل قوله في واجب الموت وعدم معرفته المصير:

فهل من كاهنٍ أو ذي إلاهٍ
إذا ما حانَ منْ ربٍّ أفولُ ؟..

وما تدري وإنْ أجمعتَ أمراً
بأيِّ الارضِ يُدرِكُكَ المقيلُ !..

أو مثل قوله في الصمت والكلام:

والصمتُ خيرٌ للفتى
ما لم يكنْ عِيٌّ يَشينُهْ

والقولُ ذو خَطَلٍ إذا
ما لم يكنْ لُبٌّ يُعينُهْ

ومما يستجاد له في الوصف وصف النخل:

هي الظلُّ في الحَرِّ حقُّ الظليـ
ـلِ والمنظرُ الأحسنُ الاجملُ

يتميّز شعر أحيحة، رغم قدمه، بسهولة مستساغة، وصدقٍ في التعبير، ودقة في الوصف، وكان يُغنّى به.

المصادر والمراجع

● المغربي، عبد القادر، أحيحة بن الجلاح، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، السنة الثانية 1340هـ/ 1922م، ج1/ 8 ـ 17؛ ● العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تح. علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/ 1992م، ط 1، 1/ 35 ـ 36؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ط15، 1/ 277؛ ● الأصبهاني، الأغاني، تح. عبد السلام محمد هارون، وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ج15/ 37 ـ 55؛ ● الجاحظ، البخلاء، تح. طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، 1990م، ط7، ص182 ـ 390؛ ● القرشي، أبو العرب، جمهرة أشعار العرب، دار صادر ودار بيروت، 1383هـ/ 1963م، ص 231 ـ 233؛ ● البغدادي، خزانة الأدب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989، ط3، ج3/ 256 ـ 357، 359؛ ● البستاني، المعلم بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة بيروت، ج2/ 611 ـ 613؛ ● ابن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1/ 240؛ ● ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1398هـ/ 1978م، ج1/ 402 ـ 405؛

● ياقوت الحموي، معجم البلدان، (مادة: أيلة، تضارع، الجمّاء، حنذ، زوراء)؛ ● الأيوبي، ياسين، معجم شعراء لسان العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م، ط2، ص 49 ـ 50؛ ● فوّال، د. عزيزة، معجم الشعراء الجاهليين، جرّوس برس، طرابلس، لبنان، 1998م، ص 10 ـ 12؛ ● علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م، ط2، ج9/ 721 ـ 723، راجع أيضًا الفهارس.

د. أنطوان القوال
الجامعة اللبنانية

جلال، الشيخ محمد سعاد

(1328هـ/1910م ـ 1403هـ/1983م)

من علماء الأزهر بمصر، ولد في الصعيد، والتحق بكلية الشريعة الإسلامية بالقاهرة، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر في الفقه والأصول عام 1947م.

عمل خطيبا بوزارة الأوقاف المصرية من عام 1947م إلى عام 1967م، حيث فُصل لمعارضته لهزيمة 1967م، إذ حمّل السلطة مسؤولية هذه الهزيمة، كما فُصل من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي التي كان عضوا بها.

اشتغل بالتدريس في المعاهد الأزهرية، ثمّ كان مدرسا فأستاذا بكلّية الشريعة الإسلامية بالأزهر. عمل أستاذا زائرا بجامعة دمشق عام 1958م، ثمّ أستاذا بجامعة أم درمان الإسلاميّة بالسودان في الستّينات، ثمّ مرة أخرى من عام 1978م إلى عام 1981م.

عُرف بعموده اليومي (قرآن وسنة) في جريدة الجمهورية القاهرية، وظلّ يكتب بها مقالا يوميّا مفسّرا للقرآن الكريم وموضّحا للسنة النبويّة، ومجيبا عن أسئلة القراء أكثر من عشرين عاما متواصلة من عام 1961م إلى عام 1983م.

كان يكتب مقالا شهريا في مجلّة «منبر الإسلام» بانتظام لمدّة تزيد عن ثلاث عشرة سنة، كما كان يكتب في العديد من الصحف والمجلّات، مثل مجلّة «الأزهر»، ومجلّة الهلال، والكاتب، والمصوّر، وآخر ساعة، والحرس الوطني، وروز اليوسف، والرسالة، والعروة الوثقى.

كان عضوا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والمجلس الأعلى للثقافة، وعضوا بمجلس السلام العالمي المصري، وعضوا بالاتحاد الأفروآسيوي، وعضوا بنقابة الصحفيين، وعضوا بالاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ومستشارا له، وأسهم في تأسيس

معهد الاقتصاد الإسلامي بقبرص، ويعد من طليعة من أسهموا في البرامج الدينية في التلفزيون المصري منذ افتتاحه في بداية الستّينات.

شارك في الحياة السياسية والاجتماعية بمصر، وكان يتطوّع بإلقاء الدروس والمحاضرات والندوات الدينية وعُرف عنه الميل إلى الموازنة بين قانون الشريعة والقوانين الوضعية. توفّي في يونيو سنة 1983م.

آثاره

1 ـ السنة وعملها في إثبات الأحكام الشرعية، شركة الطباعة الفنّية، 1967م؛ 2 ـ مقدّمة في أصول الفقه، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، 1980م؛ 3 ـ المفاهيم الإسلامية بين الاجتهاد والتقليد، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، 1981م؛ 4 ـ خلود الشريعة الإسلامية ووجوب تطبيقها على المجتمعات الإسلامية، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك، 1981م؛ 5 ـ الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، دار ثابت، 1982م؛ 6 ـ النسخ في الشريعة الإسلامية، مطبعة الأزهر، مطبوعات الإدارة العامّة للثقافة الإسلامة بالأزهر؛ 7 ـ وحدة الحق وتعدّده في أحكام الشريعة الإسلامية، جامعة أمّ درمان، 1969م؛ 8 ـ البيان والنسخ في أصول الفقه، مطبعة مخيمر، 1970م.

المصادر والمراجع

- أباظة، د. نزار أباظة، ومحمد رياض المالح، إتمام الأعلام، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1999م؛
- خفاجي، محمد عبد المنعم، الأزهر في ألف عام، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ط 2، 1408هـ/ 1988م.

د. فتح الله أحمد سليمان
جامعة القاهرة ـ مصر

الجلال اليمني، الحسن بن أحمد بن محمد

(1014هـ/1605م ـ 1084هـ/1673م)

عالم مجتهد، مال إلى العمل بالسُّنّة، وفقيه عارف بالتفسير والعربية والمنطق [الأكوع، المدارس الاسلامية في اليمن، ص 425؛ الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 182]، وُلد ونشأ في هجرة دُغافة (بين الحجاز وصعدة)، قال الحجري في مجموع بلدان اليمن: قرية مشهورة من بلاد جُماعة وأعمال صعدة. وتنقّل صاحب الترجمة في بلاد اليمن واستوطن «الجراف»، وبقي فيها طوال حياته [الزركلي، الأعلام، ج 2، ص

182؛ الأكوع، المدخل إلى هجر العلم، ومعاقله في اليمن، ص 87؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، المجلد الأوّل، ج1، ص182 وج 2، ص 369].

وهو أخو الهادي بن أحمد فقيه له «نور السراج»، وله «شرح الأسماء الحسنى»، توفّي سنة 1079هـ/ 1668م [الزركلي، الأعلام، ج 8، ص 58].

وكانت الجراف المحطّة الأخيرة لصاحب الترجمة، وهي بلدة من بني الحارث قُرب صنعاء في شمالي صنعاء على بُعد ساعة، وفيها توفّي وقُبر [الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، المجلد الأوّل، ج 1، ص 182].

وقيل إن بيت الجلال من بيوت العلم الكبيرة في اليمن، منه صاحب الترجمة وآخرون، ونسبتهم إلى «الجلال» المتوفّى سنة 784هـ/ 1382م وهو ابن صلاح بن محمد بن الحسن بن أحمد المهدي من نسل الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم المتوفّى سنة 298هـ/ 910م [الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 183؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 12، ص 127].

آثاره

1 ـ تكملة الكشف على الكشاف؛ 2 ـ شرح الفصول، في أصول الدين؛ 3 ـ شرح التهذيب، في المنطق؛ 4 ـ عصام المتورّعين، في أصول الدين؛ 5 ـ شرح الكافية، في النحو؛ 6 ـ بديعية وشرحها؛ 7 ـ عروس الأفراح في كشف معاني تلخيص المفتاح، مخطوط [الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 182].

وذكر الأكوع أنّ أبرز مؤلفاته هي: 8 ـ ضوء النهار على متن الأزهار، أو ضوء النهار المشرق على صفحات الأزهار، وهو مخطوط في مجلّدين موجود في خزانة عبيكان بالطائف، على المجلّد الأوّل منها: خطوط محمد بن إسحاق المهدي وأحمد بن محمد قاطن وآخرون، ورد فيها تعريفه بالجلالي، مكان «الجلال» [الأكوع، المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله، ص 87؛ الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 183؛ كحالة، معجم المؤلّفين، ج 12، ص 127].

المصادر والمراجع

● الأكوع، اسماعيل بن علي، المدارس الاسلامية في اليمن، الطبعة الثانية، مؤسّسة الرسالة، بيروت، دار الجيل، صنعاء، 1406هـ/ 1986م؛ ● الأكوع، إسماعيل بن علي الأكوع، المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله في اليمن، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، 1415هـ/ 1995م؛ ● الحجري، محمد بن أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تح. ومراجعة اسماعيل الأكوع، الطبعة الثانية، دار الحكمة اليمانية، صنعاء 1416هـ/ 1996م؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ط 7؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين، مطبعة الترقي، دمشق، 1380هـ/ 1960م؛ ● سيد، أيمن فؤاد، مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1974م.

محمد عبد الله بن هاوي باوزير
جامعة عدن ـ اليمن

جلبي، علاء الدين علي صالح

(ت 950م/1543م)

اسم والده صالح، ولهذا السبب يمر ذكره في بعض المصادر القديمة على شكل صالح زاده الرومي. وهناك احتمال كبير يقول إنه ولد في «فلبّه» في عهد السلطان محمد الفاتح. وبعد أن تلقى تحصيلا علميا جيدا واصل تأهله على يد عبد الواصي بن خير الدين خضر أحد علماء أدرنه المشهورين ووصل إلى درجة التدريس. وبسبب انتسابه إلى أستاذه هذا اشتهر بـ «واصي عليسي». وفي هذه الأثناء تعلم فن الخط من شيش قلم شكر الله خليفة، صهر الخطاط المشهور الشيخ حمد الله.

بدأ علاء الدين علي جلبي ممارسة مهنة التدريس في المدرسة السراجية في أدرنه. وقبل عام 909هـ/ 1503م عمل مدرسا في بورصة في ثلاث مدارس هي بالترتيب على النحو التالي: مدرسة بايزيد باشا، ومدرسة فرهادية، ومدرسة خُداوندكار (قابلجه). وبعد فترة زمنية طويلة قضاها في بورصة، عين في عام 944هـ/ 1537م مدرسا في المدرسة الحلبية في أدرنه، وبعد فترة زمنية قصيرة عين في مدرسة عتيق (ساعاتلي). ولفت علاء الدين علي الاهتمام بعلمه الغزير، وعندما أكمل هناك عاما تم منحه في عام 945هـ/ 1538 - 1539م درجة تدريس الصحن في استانبول، وعين مدرسا في مدرسة باش قرشنلي، وهي واحدة من مدارس الفاتح. وبعد مجيئه إلى الصحن بعام عين مرة أخرى في مدرسة بايزيد الثاني في أدرنه بدرجة ألتمشلي (ستّيني). وفي عام 949هـ/ 1542م رفع إلى منصب قضاء بورصة.

حسب ما يروى فإن علاء الدين علي مكث سنوات طوال في تأليف مؤلفه «همايون نامه»، وأكمله أثناء فترة التدريس الأخيرة التي قضاها في أدرنه. وقام علاء الدين جلبي بتقديم هذا الكتاب إلى السلطان سليمان القانوني الذي أعجب به إعجابا كبيرا وكافأه بتعيينه على قضاء بورصة. وفي هذه الأثناء ـ وبعد أن بلغ عمرا متقدما ـ لم يحظ علاء الدين بنيل المناصب الرفيعة. ولم يمكث طويلا وتوفي في بورصة.

لم يكن علاء الدين جلبي صاحب مهارة كبيرة في الشعر إلى درجة الحديث عنه، ويعود أصل شهرته التي امتدت عبر العصور إلى مؤلفه «همايون نامه» الذي تَرجم فيه كليلة ودمنة. وقد حظي بتقدير كبير من مؤلفي التذاكر وتراجم الحال (كتّاب السير) ابتداء من لطفي إلى نهاية القرن السادس عشر وذلك بصفة خاصة بسبب مؤلفه «همايون نامه». وقام حسين واعظي كاشفي (ت 910هـ/ 1505م) بترجمة كليلة ودمنة إلى اللغة الفارسية تحت عنوان «أنوار سهيلي». وتعتبر ترجمة «همايون نامه» من حيث القيمة الأدبية والمحتوى أرفع درجة من أصلها الفارسي. ويذكر علاء الدين

علي أن أسلوب كتاب «أنوار سهيلي» كان معقدا ولذلك شرع في كتابته من جديد. وأضاف إليه عددا من الآيات والأحاديث التي لم تكن موجودة في أصله وأثراه كذلك بمقطوعات من شعره وشعر بعض الأدباء الأتراك. وعلى هذا الشكل يكون الكتاب قد حافظ على صورة الثقافة العثمانية التركية واستفاد من عناصر الحياة المحلية.

ذكر جميع مؤلفي التذاكر الذين تناولوا علاء الدين علي أنه لا يوجد مثيل لـ «همايون نامه» في مجال النثر التركي حتى ذلك الزمن، وبينوا أنه لم يصل أحد المؤلفات إلى مستوى «همايون نامه». وحافظ هذا المؤلف على شهرته وقيمته في ظل وجود علماء كبار في النثر مثل تاجي زاده جعفر جلبي، ولامي، وكمال باشا زاده، وفي ظل وجود علماء أضافوا إضافات جديدة في هذا المجال مثل نرجسي وويسي، واستمرت هذه الشهرة كذلك في الفترات اللاحقة.

لم يقتصر التقدير الذي حظي به مؤلف علاء الدين جلبي على المؤلفين الأتراك فقط، وإنما امتد كذلك إلى المؤلفين الأجانب. وضمّن Arthur Lumley Davids مؤلفه الذي كتبه حول اللغة التركية أجزاء متنوعة من «همايون نامه»، وذكر أن علاء الدين علي بمؤلفه هذا يكون قد أعطى أجمل نموذج للنثر في الأدب التركي. وبالإضافة إلى ذلك بين أنه أسس نظاما أخلاقيا في القصص والأساطير التي تناولها بأسلوب جميل وفكر رفيع. ومن جانبه امتدح هامر هذا المؤلف بقوله: «إنه مؤلف لا يفنى». وهو مؤلف يرشد إلى التربية الأخلاقية والاجتماعية والسياسية في الأدب التركي، وهو كذلك كتاب يتناول الأسطورة بشيء من النصيحة والفكر، وقد قبل عدد كبير من الأوروبيين كتاب «همايون نامه» على أساس أنه مثال نموذجي لسياست نامه أعدت من أجل تربية الشباب المرشح لإدارة الدولة.

بدأ العمل في ترجمة كتاب «همايون نامه» ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي إلى مختلف اللغات، وفي هذه الترجمات ترجم الكتاب إما كاملا أو أجزاءً منه. وتمثلت أول ترجمة في تلك التي قام بها Brattuti في الأعوام (1654 ـ 1659) في مجلدين إلى اللغة الأسبانية، وعقب ذلك قام عالم الشرقيات المشهور Galland بترجمة المؤلف إلى اللغة الفرنسية، باريس 1724. وفي عام 1778 تم توسيع هذه الترجمة في ثلاثة مجلدات. وبسبب الحاجة إليه طبعت طباعة جديدة في الأعوام 1785 و1786 و1833. وترجم «همايون نامه» إلى اللغات الألمانية، والسويدية، والمجرية، والهولندية، كما تمت ترجمته إلى لغتي الملايو 1866 وجاوا 1879 من ترجمة Galland. وقبل أن ينتصف القرن التاسع عشر كان عدد ترجمات «همايون نامه» في مختلف اللغات قد بلغ الخمسين ترجمة. واستمر هذا النشاط في ترجمة الكتاب والتعريف به في الفترات اللاحقة أيضا. وفي عامي 1876 و1904 تمت ترجمته إلى اللغة الروسية. وفي بداية القرن التاسع عشر قام E. Von Diez بتأليف كتاب يهدف إلى القيام بتعريف شامل لـ «همايون نامه» في الأدب الغربي:

[Ueber Inhalt und Vortrag, Entstehung und Schiksale des königlishen Buchs,

eines Werks von Regierungskunst, als Ankündigung einer Uebersetzung nebst Probe aus dem Türkisch-Persisch-Arabischen des Waassi Aly Dschelebi, Berlin 1811].

كان مؤلف «همايون نامه» يخاطب الأفراد ذوي الثقافة العالية وذلك بسبب لغته الرفيعة، ولهذا السبب فقد أعدت له خلاصات وتنقيحات من أجل القراء ذوي المستوى المتوسط.

وفي القرن السابع عشر قام شيخ الإسلام يحيى أفندي بتبسيط الكتاب ثم جاء عثمان زاده تائب في القرن الثامن عشر وبسطه بعنوان «ثمار الأثمار» (زبدة الأزهار)، وبعد فترة قام أحمد مدحت أفندي بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني بتبسيط لغته وشرحه «خلاصة همايون نامه، 1304». وقام رمضان زاده عبد النافع عفت بنظم خلاصة عثمان زاده تحت عنوان «نافع الآثار نوباوه ثمار الأثمار»، استانبول 1268. وذكر محمد طاهر البورصوي أن شاعر القرن السادس عشر هلالي قام بنظم المؤلف، وفي بدايات القرن التاسع عشر تم تبسيطه من قبل شريف إبراهيم ماهر. وتوجد من مؤلف «همايون نامه» مخطوطات كثيرة جدا، وقد طبع طبعات مختلفة في الفترة من عام 1835 إلى عام 1876.

لم يقتصر مؤلف «همايون نامه» على ما أحدثه من صدى في المجال الأدبي فحسب، بل فعل الشيء نفسه في مجال المنمنمات الصغيرة. وفي مقابل تقليد هذه المنمنمات التي تشكلت في كليلة ودمنة الفارسيتين، أسس «همايون نامه» أساسا متينا وجديدا لمنمنمات مرتبطة بالأسلوب العثماني. وضمن الأعمال التي تتناول هذا الموضوع يذكر بعضها أنه في عام 964هـ/ 1557م، أي بعد خمسة عشر عاما من تأليف الكتاب ظهرت نسخة تحتوي على 88 منمنمة [مكتبة متحف سراي طوب قابي، قسم روان، رقم 843]. وفي عام 974هـ/ 1567م وجدت نسخة أخرى شملت ثلاثين منمنمة [مكتبة متحف سراي طوب قابي، قسم الخزينة، رقم 359]. وفي عام 977هـ/ 1569م زيّن المؤلف بـ 165 منمنمة وخرجت هذه النسخة في ثوب بهي ورائع [المتحف البريطاني، add، 15، 153]. وباستثناء هذه النسخ توجد منه نسخ أخرى مختلفة.

المصادر والمراجع

● لطيفي، التذكرة، استانبول 1314، ص 248 ـ 249؛ ● طاش كوبري زاده، الشقائق النعمانية، نشر أحمد صبحي فرات، استانبول 1985، ص 492 ـ 493؛ ● قنالي زاده، حسن جلبي، تذكرة الشعراء، نشر إبراهيم كتلك، أنقره 1978 ـ 1981، II، 692 ـ 694؛ ● محمد، مجيدي، ترجمة الشقائق، استانبول 1269، ص 12، 486 ـ 487؛ ● مصطفى علي، نصحة السلاطين، نشر أ. تيتزه، فيينا 1982، II، 202 ـ 203؛ ● كاتب جلبي، كشف الظنون، II، 1509؛ ● أولياء جلبي، سياحت نامه، استانبول 1314 ـ 1318، II، 54؛ ● بشوي، التاريخ، استانبول 1281 ـ 1283، I، 59 ـ 61؛

● Ismail Beliğ, Güldeste-i Riyâz-ı İrfân, Bursa 1302, p. 297-299; ● Süleyman Sadeddin Müstakim-

zâde, Tuhfe-i Hattâtîn, Istanbul 1928, p. 316-317; • J. Von Hammer-Purgstall, Geschichte des osmanischen Reiches, Pesth 1834-1835, II, 197-198; • a.mlf., Geschichte der osmanicher Dichtung, Pesth 1836-1838, II, 229-234; • P. Charles Rieu, Catalogue of the Turkish Manuscripts in the British Museum, London 1888, p. 227-228; • Semseddin Sami, Kamûsü'l-a'lâm, Istanbul 1306-1316, IV, 3171, 3192; • Mehmed Süreyya, Sicill-i Osmânî, Istanbul 1308-1315, III, 497 ; • K. Basmadjian, Essai sur l'histoire de la littérature ottomane, Istanbul 1910, p. 48 ; • Bursali Mehmed Tâhir, Ahlâk Kitablarimiz, Istanbul 1325, p. 11-12; • Bursali Mehmed Tâhir, Osmanli Müellifleri, Istanbul 133-1342, II, 304-305; • Edgar Blochet, Catalogue des manuscrits turcs - Bibliothèque Nationale, Paris 1932-1933, II, 54-55; • Sadettin Nüzhet Ergun, Türk Sairleri, Istanbul 1936-1945, I, 422-424; • Vasfi Mahir Kocatürk, Büyük Türk Edebiyati Tarihi, Ankara 1970, p. 419-420 ; • Ernst J. Grube, «Some Observations Concerning the Ottoman Illustrated Manuscripts of the Kalilah wa Dimnah: Ali Çelebi's Humayunname», 9. Milletlearasi Türk Sanatlari Kongresi: Bildiriler, Ankara 1995, II, 195-206; • Ömer Faruk Akün, «Vâsi' Alîsi», Islam Ansiklopedisi (Milli Eg˘itim Bakanlig˘i), XIII, 226-230; Ömer Faruk Akün, Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, II, 315-318; • Kathleen R. F. Burril, «Wâsi Alîsi», Encyclopaedia of Islam (new edition), XI, 162.

د. أحمد أوزال
هيئة الموسوعة الإسلامية - استانبول - تركيا
ترجمة: أنعم محمد عثمان الكباشي - السودان

الجلبي، محمد الطيب المهتدي

(1190هـ/1776م - 1263هـ/1846م)

من أعلام الطب والصيدلة في العراق في القرن التاسع عشر. كان اسمه القس عبد الأحد الطبيب ابن القس حنا الطبيب ابن عبد الأحد الصباغ. أسلم قبل 1236هـ/1820م وسمي باسم محمد، وقد ذيل بعضا من تآليفه باسم «محمد الطيب المهتدي» [أحمد، مخطوطات أوقاف الموصل، 6، 169 - 170]. وهو من عائلة سريانية موصلية

امتهن أفرادها الطب واللاهوت. درس على والده الطب والصيدلة، واللاهوت، واللغتين السريانية واليونانية. وتعلّم التركية وشيئًا من الفارسية، وتعمّق في دراسة اللّغة العربية على كبر علي أحد شيوخ الموصل الأعلام من آل الفيضي [دبدوب، محمد جلبي، 99]، وتفقه أيضًا في العلوم الإسلامية على كبار علماء الموصل وألّف فيها [الصائغ، تاريخ، 222 - 223] توفي بالموصل.

برع محمد الجلبي في مهنة الطب والصيدلة، وانصرف إلى التأليف والترجمة فيهما. وكان أسلوبه في تآليفه الطبية أشبه بأساليب من تقدمه من علماء الطب العرب والمسلمين، مع ميل إلى السهولة والوضوح. وقد جمعت تآليفه تلك بين علم الأوائل من الأطباء العرب والمسلمين، وتجاربه الخاصة، مع إضافات مما استجد في علم الطب في زمانه. ومن تآليفه كتاب «الطب المختار» وصف فيه بإيجاز الأمراض وأسبابها، وأعراضها وعلاجها، وشرح فيه كيفية أخذ لقاح الجدري، بعد أن كان جينر قد أذاع اكتشافه لذلك اللقاح عام 1798 [الجلبي، مخطوطات الموصل، 207]. وترجم عن اللاتينية كتاب «الطب الجديد الكيماوي» لبراكلسوس (ت 1541) و«صناعة الطب الكيماوي» لفروليوس عن اللاتينية، واستفاد منهما في إثراء معلوماته المستمدة من تجاربه الشخصية وكتب الطب التقليدية [رؤوف، الموصل، 396]. وله تآليف أخرى في الطب والفلك والفقه، كما استنسخ عددًا من الكتب الطبية.

آثاره

ترك محمد الجلبي تآليف وتصانيف عديدة كانت محفوظة في مكتبة الدكتور داود الجلبي، وهي محفوظة الآن ضمن مجموعة داود الجلبي في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، وهي كما يلي:

1 ـ أقراباذين الطب المختار في علم الأدوية وفن المداواة، نسخة منه بخط المؤلف برقم 1/ 6 في 71 ورقة؛ 2 ـ الطب المختار نسخة منه بخط المؤلف تاريخها 1241هـ/ 1825 ـ 1826م، برقم 18/ 6 في 194 ورقة؛ 3 ـ مفردات الطب المختار، وهو في علم الأدوية نسخة منه بخط المؤلف تاريخها 1246هـ/ 1830 ـ 1831م، برقم 39/ 6 في 470 ورقة؛ 4 ـ حفظ الصحة برقم 7/ 6 في 46 ورقة؛ 5 ـ رسالة في النبض برقم 10/ 6 في 43 ورقة؛ 6 ـ شرح أرجوزة للشيخ الرئيس ابن سينا، نسخة بخط المؤلف تاريخها 1241هـ/ 1825 ـ 1826م، برقم 14/ 6 في 212 ورقة؛ 7 ـ ترجمة كتابي براكلسوس وفروليوس اللذين سبقت الإشارة إليهما، نسخة بخط محمد الجلبي تاريخها 1236هـ/ 1821م، برقم 1/ 9 في 75 ورقة؛ 8 ـ تقويم البلدان للملك المؤيد صاحب حماه زاده محمد الجلبي فوائد، نسخة بخطه تاريخها 1249هـ/ 1833 ـ 1834م، برقم 5/ 7 في 212 ورقة؛ 9 ـ الروض العاطر في تلخيص زيج ابن الشاطر، اختصار محمد بن علي بن زريق الخيري (ت 803هـ/ 1400 ـ 1401م) المؤقت بالجامع الأموي في دمشق. نقله الجلبي من طول دمشق إلى طول الموصل ورتبه على السنين الشمسية بعد أن كان مرتبًا على السنين القمرية، برقم 19/ 8 في 59 ورقة؛ 10 ـ العطايا في شرح الوقاية في الفقه

الحنفي ذكره دبدوب [ص 103]؛ 11 ـ مجموعة بالخط الكرشوني، وهو نوع من الخطوط السريانية، وهي بخط محمد الجلبي تاريخها 1231هـ/ 1816م، برقم 53/ 6 في 96 ورقة تتضمن أرجوزة للشيخ الرئيس ابن سينا نظم فيها القضايا الخمس والعشرين لبقراط في الدلالة على الموت؛ 12 ـ رسالة دعوة الأطباء، التي صنفها المختار بن الحسن بن عبدون (ت 458هـ/ 1065م)؛ 13 ـ الإيضاح في أسرار النكاح لعبد الرحمٰن بن نصر الشيرازي (ت 774هـ/ 1372 ـ 1373م).

المصادر والمراجع

• الصائغ، سليمان، تاريخ الموصل، 2/ 222 ـ 223؛ • محفوظ، حسين علي، «ترجمة الدكتور داود الجلبي الموصلي»، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، كانون الثاني 1961، مجلد 36، ج 1، 158 ـ 159؛ • دبدوب، فيصل، «محمد جلبي الطبيب الموصلي»، مجلة الأقلام (بغداد)، عدد آب 1966، ص 98 ـ 104؛ • رؤوف، عماد عبد السلام، الموصل في العهد العثماني، ص 396 ـ 397؛ • موسوعة الموصل الحضارية، الموصل 1992، ج 4، ص 304.

د. خليل علي مراد

جامعة الموصل ـ العراق

الجلبي الموصلي، داود بن محمد سليم

(1297هـ/1879م ـ 1379هـ/1960م)

الدكتور داود بن محمد سليم بن أحمد بن محمد الجلبي الموصلي. طبيب له اهتمامات باللغة والمصطلح العلمي، والتاريخ والتراث العربي الإسلامي. ولد بالموصل في أسرة عريقة في ممارسة الطب. درس في مدارس الموصل ودخل الكلية الطبية العسكرية في إسطنبول عام 1899 وتخرج منها عام 1909. خدم طبيبًا في الجيش العثماني، ثم في الجيش العراقي وتدرج في الخدمة حتى صار مديرًا للأمور الطبية في ذلك الجيش عام 1930 ثم أحيل على التقاعد عام 1933. كان له دور في الحياة السياسية، فقد اختير عضوا في المجلس التأسيسي العراقي عام 1924، كما اختير عضوًا في مجلس الأعيان العراقي بين عامي 1937 ـ 1941. كان يتقن التركية والفرنسية، ويقرأ الفارسية والألمانية، وله وقوف على الارامية والعبرية. توفي في الموصل في 29 أيار/مايو 1960.

كان داود الجلبي ذا اهتمامات علمية وثقافية متنوعة. فقد كانت له تآليف في مجال تخصصه العلمي وهو الطب، خاصةً

مصطلحاته العلمية والدعوة إلى تعريبها، وإلى استعمال اللغة العربية في تدريس الطب في الجامعات العربية. وقد ألف معجماً باللغتين العربية والفرنسية عن مصطلحات أمراض الجلد. وله مصطلحات عربية في الطب في بعض كتب الطب في جامعة دمشق، ومجلة كلية الطب فيها، وفي مجلات أخرى مثل «المقتطف» و«لسان العرب». وتملكه في العقدين الأخيرين من عمره هاجس تعريب العلوم وصياغة المصطلحات العربية الكفيلة بتحقيق ذلك [الجومرد، داود الجلبي، ص13]. أما في مجال التاريخ والتراث العربي الإسلامي فقد كان داود الجلبي أول من وضع فهرسًا عن المخطوطات في مكتبات الموصل ونشره عام 1927. كما كتب عن تاريخ الموصل، واهتم باستنساخ وتلخيص العديد من المخطوطات [أحمد، فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف، ج 6، ص 146 ـ 272]. وله أكثر من كتاب عن المفردات الأجنبية في لهجة الموصل العامية، وأبحاث عديدة عن اللغة والتراث العربي نشرها في مجلات «لغة العرب» البغدادية، ومجلة «مجمع اللغة العربية» في دمشق، و«مجلة المجمع العلمي العراقي»، ومجلة «سومر» التي تصدرها مديرية الآثار العامة في العراق.

حظي داود الجلبي بمكانة علمية مرموقة، فقد كان عضوا في مجمع اللغة العربية في دمشق (المجمع العلمي العربي سابقا)، وعضوا مراسلا في مجمع فؤاد الأول للغة العربية في مصر، وعضوا مراسلا في المجمع العلمي العراقي. ومنذ عام 1950 كان له مجلس علمي يعقد كل يوم خميس يرتاده الكثير من علماء الموصل ومثقفيها.

آثاره

أ ـ المطبوعة:

1 ـ «اصلاح حروفه داير مجلس مبعوثانه لايحه»، إستانبول 1909م، بالتركية وترجمته «تقرير إلي مجلس النواب العثماني بخصوص إصلاح الحروف»، وقد دعا فيه الجلبي حينذاك إلى كتابة التركية العثمانية بالحروف اللاتينية؛ 2 ـ مخطوطات الموصل، بغداد 1927؛ 3 ـ الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية، الموصل 1935؛ 4 ـ اقتراح في تيسير القراءة والكتابة في العربية، الموصل 1944؛ 5 ـ محمد بن زكريا الرازي، الطبيب الكيميائي الفيلسوف، الموصل 1948؛ 6 ـ الموصل، أربع محاضرات تاريخية، الموصل 1949؛ 7 ـ الفنديداد، أهم الكتب التي تتألف منها الأبستا وهي مجموع كتب المجوس الزرادشتيين، بغداد 1952، ترجمه عن الفرنسية؛ 8 ـ كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل وفي أنحاء العراق، تليها كلمات كردية وهندية، بغداد 1960؛ 9 ـ تحقيق «كتاب الطبيخ» لمحمد بن الحسن الكاتب البغدادي، الموصل 1934.

ب ـ المخطوطة:

ترك داود الجلبي آثارا خطية عديدة ما بين تأليف وترجمة وتلخيص، وهي محفوظة حاليًا في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، وبعضها مفقود مثل «أتابكة الموصل» و«أتابكة أربل»، ومن آثاره الخطية الموجودة: 1 ـ مصطلحات أمراض الجلد (عربي ـ فرنسي) برقم 35/ 6 وفي 27 ورقة؛ 2 ـ مصطلحات طبية وعقاقيرية (عربي ـ تركي

ـ فارسي ـ فرنسي) برقم 37/ 6 وفي 36 ورقة؛ 3 ـ «وصف لحصار نادر شاه للموصل»، ترجمة عن التركية برقم 15/ 7 وفي 11 ورقة؛ 4 ـ زبدة الآثار الجلية، استخلصه من كتاب المؤرخ الموصلي ياسين العمري (ت بعد 1232هـ/ 1817م) الموسوم «الآثار الجلية في الحوادث الأرضية». وقد استخلص الجلبي ما يخص تاريخ الموصل منه منذ عام 628 هـ/ 1231م حتى عام 1209هـ/ 1794م، وقد حققه ونشره الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، النجف، 1974. كما انتقى الجلبي من الكتاب نفسه ما يخص تاريخ البلاد العربية منذ عهد السلطان العثماني سليم الأول 1512 ـ 1520، نسخة برقم 13/ 7 في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل؛ 5 ـ ترجمات لما يخص الموصل من مذكرات المبشر دومنيكو لانزا، والرحالة الفرنسي أوليفييه برقم 8/ 7 و65/ 9.

المصادر والمراجع

● محفوظ، حسين علي، ترجمة الدكتور داود الجلبي، مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق، م 36، ج 1، كانون الثاني/ يناير 1961، ص 158 ـ 161؛ ● دبدوب، فيصل، «من أعلام العرب، الدكتور داود الجلبي»، مجلة العلوم، بيروت، السنة 9، 7 تموز/ يوليو 1964، ص 77 ـ 79؛ ● بصري، مير، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث، بغداد، د. ت، ج 1، ص 160 ـ 162؛ ● سالم، عبد الرزاق أحمد، فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، ج 6، ص 141 ـ 143؛ ● موسوعة الموصل الحضارية، الموصل 1992، ج 5، ص 342 ـ 343؛ ● الجومرد، جزيل عبد الجبار، داود الجلبي تراثيا ومؤرخا، مركز دراسات الموصل، 1998، ص 1 ـ 23؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، ج 13، ص 358؛ ● موسوعة أعلام العرب، بغداد، مؤسسة بيت الحكمة، 2000، ص171 ـ 172.

د. خليل علي مراد
جامعة الموصل ـ العراق

ابن جلجل، أبو أيوب سليمان بن حسّان

(332هـ/ 944م ـ بعيد 399هـ/ 1009م)

أبو أيوب [المراكشي، 62؛ وعند ابن أبي أصيبعة: أبو داود، 2/ 46]، سليمان بن حسان، عالم بالنباتات الطبّيّة، وصيدلاني، وطبيب، ومؤلف في تاريخ الطب.

ولد بقرطبة عام 332هـ/ 944م [المراكشي، 62] وتوفي بها بعيد عام 399هـ/ 1009م، [صاعد، طبقات الأمم، 192].

درس الحديث في قرطبة عام 343هـ/ 954م؛

ثم عني بدراسة الطبّ حينما كان في الرابعة عشرة من عمره عام 346هـ، والعربية عام 358هـ ؛ وصار، عام 356هـ وهو في الرابعة والعشرين من عمره، طبيبًا مرموقًا، حتى إنه أصبح الطبيب الخاصّ للخليفة المؤيّد بالله هشام الثاني (تولى الحكم بين 366 - 399هـ).

وحوالي عام 350هـ وفي أيام حكم المستنصر (تولّى الخلافة بين 350هـ ـ 366هـ) كان تعرّف على نقولا الراهب [ابن كثير: . . وأدركت نقولا الراهب في حكم المستنصر] ومجموعة من العلماء الأندلسيين الذين قاموا بمراجعة ترجمة كتاب ديوسقوريدوس. وكان منهم حسداي بن بشروط، وابن الهيثم عبد الرحمن بن اسحاق. واستمرت علاقته بهذا الفريق العلمي بعد وفاة نقولا الراهب حتى بُعَيْد 350هـ. والظاهر أن صحبته لهذا الفريق من العلماء لعبت دورًا رئيسا في تحصيله الطبّي.

لقد عرفنا سيرة ابن جلجل من ترجمة كتبها له ابن الأبّار (ت 658هـ) في التكملة لكتاب الصلة [ص 297 ـ 298]، وأخرى كتبها ابن عبد الملك (ت 703هـ)، في الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة [ص 4/ 62]. ويرجّح أنهما اعتمدا على السيرة الذاتية المفقودة في عصرنا الحاضر التي كتبها ابن جلجل لنفسه [ابن جلجل، طبقات. . . 16].

وكان ابن حزم (ت 456هـ) قد ذكر ابن جلجل في رسالته «في فضل الأندلس وذكر رجالها»، [2/ 184]. وعن ابن حزم أخذ الحميدي (ت 488هـ) [جذوة المقتبس، 225].

كما أن القاضي صاعد الأندلسي (ت 462هـ) جاء على ذكر ابن جلجل في «طبقات الأمم» [ص 192]، وكذلك فعل الضبي [بغية الملتمس، 285]، والمقّري [نفح الطيب، 4/ 167].

وقد ترجم له فيما بعد القفطي (ت 646هـ)، [أخبار العلماء، 130] وابن أبي أصيبعة (ت 668هـ)، [عيون الأنباء، 2/ 47]، وكذلك ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار، والصفدي في الوافي بالوفيات.

وحينما كان ابن جلجل في العاشرة من عمره أي سنة 343هـ أخذ الحديث بمسجد أبي علاقة، وجامع قرطبة [ابن الأبّار، التكملة، 297؛ ابن عبد الملك، الذيل، 62]، والزهراء عن عدة علماء منهم:

1 ـ أبو بكر أحمد بن الفضل بن العباس الدينوري الخفاف (ت 349هـ)

2 ـ أبو الحزم وهب بن مرّة بن مفرّج التميمي الحجاري (ت 346هـ)، وغيرهما.

3 ـ أخوه محمد بن حسان الذي صحبه في ذلك الوقت [ابن عبد الملك، 6/ 158].

ولما ترعرع سمع من:

1 ـ أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي المنتجيلي (ت 350هـ).

2 ـ أبي إبراهيم اسحق بن إبراهيم (ت 352هـ)، ومن غيرهما من العلماء.

وقد أخذ ابن جلجل العربية عام 358هـ عن محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي المعروف بالرباحي، وقد قرأ عليه

كتاب سيبويه [ابن الفرضي، 2/ 69؛ ابن عبد الملك، 62].

ومن أصحاب ابن جلجل:

1 - أبو أيوب سليمان الفقيه [ابن عبد الملك، 26].

2 - أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (ت 364هـ) [م.س.].

ومن تلامذة ابن جلجل نعرف الطبيب الصيدلاني أبا عثمان سعيد بن محمد الطليطلي ابن البغونش(ت 444هـ) [صاعد، طبقات الأمم، 193 - 195].

وعلى الرغم من أن شهرة ابن جلجل في مجال تاريخ الطبّ تأتي من كتابه «طبقات الأطباء والحكماء» الذي اهتم به المستشرقون كثيرًا، فإن مساهمة ابن جلجل في تاريخ الصيدلة والنباتات الطبية مساهمة رائدة؛ ذلك أنه كان من أوائل العلماء الذين قاموا بشرح كتاب ديوسقريدوس، كما أنه تجرأ على كتابة رسالة «في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديوسقريدوس».

وفي الحقيقة فإن صحبة ابن جلجل للفريق العلمي الذي رافق نقولا الراهب أتاحت له المقدرة على التأليف لعدة عوامل هي التالية:

1 - معرفة أسماء العقاقير الواردة في كتاب ديوسقوريدوس معرفة صحيحة، والقدرة على النطق بها دون تصحيف.

2 - معرفة الاسم العربي المقابل لهذه الأسماء اليونانية الواردة في الكتب.

3 - تعيين أشخاص النباتات الطبية الواردة في كتاب ديوسقوريدوس.

آثاره

إن أهم ما كتبه ابن جلجل في علم الأدوية النباتية كتابان ذكرهما ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء» [2/ 48]. وهما:

1 - كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتب ديوسقوريدوس. ويعود تأليفه إلى سنة 372هـ/ 982م؛

2 - مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديوسقوريدوس في كتابه.

وكتب أيضا:

3 - رسالة التبيين في ما غلط فيه بعض المتطببين، [ابن أبي أصيبعة، 2/ 48]، ولا نعرف عنها شيئا، لذلك لا يمكن أن نصنّفها أهي رسالة في علم الطب أم في علم الأدوية؟

وله أيضا كتاب في تاريخ الطب والأطباء والفلاسفة بعنوان:

4 - طبقات الأطباء والحكماء، كتبه سنة 377هـ/ 987م في أيام الخليفة المؤيد بالله [م. س.].

وينسب إليه أيضا:

5 - مقالة في أدوية الترياق، ولا نعرف عنها شيئا حتى الآن.

وفي ما يلي تعريف بكتبه الثلاثة المعروفة لدينا، وهي:

1 - تفسير كتاب ديوسقوريدوس:

لا يمكننا - منذ البداية - أن نعطي حكمًا «قاطعا» على أهمية هذا الكتاب ومكانته في تاريخ الطب العربي، ذلك أنه دُرس دراسة أولية، حين لم تكن مخطوطاته قد عُرفت كلّها.

لقد وصل إلينا حتى الآن، وصار موضع دراسة من قبل إبراهيم بن مراد، عددٌ من مفردات هذا الكتاب وصل إلى 323 دواء. أما المخطوطات التي يقال الآن إنها مكتشفات جديدة لهذا النّص فلم تصبح بعدُ موضعَ دراسة.

وقد تبين لابن مراد عددٌ من الحقائق التالية:

أ ـ أن كثيرًا من المصطلحات اليونانية التي استعصت على اصطفن وحنين في الترجمة البغدادية، ولم يُوفّقا إلى نقلها إلى العربية، ظلت «مستعصية على ابن جلجل أيضًا»، وقد اعترف ابن جلجل بأنه «لم يجد لها ما يعرّفها». وعدد هذه المصطلحات التي ظلّت «غُفلاً من التعريف» يصل إلى أربعة عشر (14) مصطلحًا.

ب ـ أنّ بقيّة المصطلحات لم تعرّب كلها، «ذلك أنّ عددًا كبيرًا» منها إنما نقل إلى اللاتينية التي كانت شائعة يومئذ في الأندلس. «فقد عامل ابن جلجل في كتابه المصطلحات اللاتينية معاملة اصطفن بن باسيل وحنين بن اسحق من قبلُ المصطلحات الفارسية التي «عرّبا» بها المصطلحات اليونانية».

ج ـ أن المصطلحات الأخرى: إمّا أنها فُسّرت «بترجمة معانيها ترجمة حرفية»، وإما أنها فُسّرت «بمقابلات معرّبة قديمة من اللغة الفارسيّة، وبعض اللغات السامية وخاصّة السُّريانية»، وإمّا أنها فُسّرت «بمقابلات عربية صريحة».

ويعتبر ابن مراد هذه المحاولة التي قام بها ابن جلجل «أوّل محاولة جادّة لتذليل المشاكل المصطلحية» التي يثيرها نصّ كتاب ديوسقوريدوس، آخذًا بعين الاعتبار «المحاولة الشهيرة التي قام بها نقولا الراهب وزملاؤه»، وهو ما يسمّيه بعض الباحثين «المراجعة الأندلسية». ويأخذ ابن مراد محاولة ابن جلجل مأخذ الجد، ذلك أنها محاولة يقوم بها عالم بمفرده.

ويشير ابن مراد أيضا إلى نقائص «عمل المؤلف»، ذلك أنه يترك مصطلحات كثيرة غُفلاً دون ترجمة، ويترجم مصطلحات أخرى إلى اللاتينية، هذه اللغة غير المستعملة خارج بلاد الأندلس والمغرب.

ويقرّ ابن مراد بحقّ [ص 52 ـ 55] ، أن هذه «النقائص» في عمل ابن جلجل قد دفعت أبا العباس أحمد بن الرومية النباتي (ت 637هـ/ 1239م) إلى القيام بمحاولة جديدة في كتابه «شرح أدوية ديوسقوريدوس وجالينوس والتنبيه على أوهام مترجميها»، لكن لم يكتب لها النجاح [أولمان، الطب الإسلامي، 218 س 7 الهامش]، لذلك سعى ابن البيطار، بدون الاضطلاع بمحاولة جديدة أخرى، إلى تفسير هذا الكتاب.

ويمكن التدليل على اهتمام ابن البيطار بتفسير ابن جلجل بالحقيقة التالية: وهي أن ابن البيطار ذكر ثماني وأربعين (48) مرة أسماء المؤلفين الذين اعتمدهم في تفسيره لكتاب ديوسقوريدوس، من هذه المرات ذكر ابن جلجل عشرين مرة [ابن مراد، دراسات، ص251].

ومن الضروري القول بأن الغافقي (ت بعد 560هـ) نقل أيضا عن تفسير ابن جلجل [سيد فؤاد، ص يط].

ومهما يكن من شيء فإن ابن جلجل في تفسيره هذا فتح بابا في التأليف المعجمي لم يسبقه إليه أحد في العربية، وهو تأليف المعاجم الدوائية ثنائية اللغة [ابن مراد، م. س، ص251].

وتأتي المراجع المعتمدة على ذكر مخطوطة مدريد من كتاب الـ «تفسير. . .» [بروكلمان، ط 1/ 272، الملحق: 1/ 422]، إلّا أنّ بعض الباحثين حديثًا يلفتون النظر إلى اكتشاف مخطوطات أخرى في طهران «مجلس شوراي ملّي»، وفي غيرها من الحواضر الإسلامية، لكنها لم تصبح موضع دراسة بعد [فهرس المخطوطات المصورة، القاهرة، 2/ 62].

2 ـ مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديوسقوريدوس في كتابه:

في هذه المقالة تظهر مقدرة أحد المؤلفين العرب على القيام بمحاولة لتجاوز كتاب ديوسقوريدوس، مشيرا إلى الأدوية المعروفة على امتداد الخلافة الإسلامية أو في بعض أقطارها، مما لا يوجد له أثر في كتاب ديوسقوريدوس.

وقد كانت هذه المقالة موضع تقدير من بعض أساتذة الطب، فقام أبو محمد عبد الله بن صالح الكتامي الحريري الشجّار عام 583هـ بتدريسها في مراكش لأحد طلابه [ديتريش، Medicinalia، 183 ـ 184]، وذلك بعد أن درّسه كتاب ديوسقوريدوس أولاً، ثم تفسير ابن جلجل لهذا الكتاب [ديتريش، م. س، 187].

وقد وصلت من هذه المخطوطة نسخة موجودة في المكتبة البودلية في المجموع 573 [ديتريش، دائرة المعارف الإسلامية، 756؛ فيرنت، معجم التراجم العلمية DSB، 7/ 187]، درسها سامي حمارنة[الظاهرية، ص 144 ـ 145] وأعطى كشفا بأسماء هذه الأدوية التي ذكرها ابن جلجل. ولعل المخطوطة التي أشار إليها ديتريش [رقم: تيمور 771/ 12، الورقة 78]، والمحفوظة في دار الكتب المصرية هي نسخة أخرى لهذه المقالة. كما وصلنا مختصر هذه المقالة من إعداد تلميذ أبي عبد الله صالح الكتامي مجهول الاسم، وهو محفوظ باستانبول في نور عثمانية برقم 3589 [ديتريش، Medicinalia، 183 ـ 184، 186].

ومن الأدوية التي جاء ذكرها في هذه المقالة: الأهليلج الأصفر، والأسود، والخيار شنبر، والتمرهندي، والبليلج، والأملج، والخولنجان، والجوز بوا، والكبابة، والقرنفل، والدرونج، والبهمن الأبيض، والأحمر، والطباشير، والفوفل، والامبرباريس، والمحلب، والفليفلة، وجوز الهند، والنارنج، والليمون، والبلاذر، والياسمين، والكافور، والمسك، والعنبر، ودهن الترنج، والشيبان (دم الأخوين)، والصندل، والموز، والخيار، والقاقُلّة الكبيرة، والبُوزيدان، والريباس، والاسفاناخ، والطرخون، والكركم، والورس، والبازهر، وحجر الخلّ.

ولا يخرج ابن جلجل عن تقاليد المؤلفين العرب الذين كانوا دومًا يبحثون عن أعذار للأخطاء التي وقع فيها أساتذتهم الإغريق أو للهنات في مؤلفاتهم، فهو يقول مبرّرًا

لديوسقوريدوس عدم ذكر هذه الأدوية: «إن ديوسقوريدوس أغفل ذلك إمّا لأنه لم يره ولم يشاهده عيانًا، وإمّا لأنّ ذلك كان غير مستعمل في دهره وأبناء جنسه» [ابن أبي أصيبعة، 2/ 48].

3 ـ طبقات الأطباء والحكماء:

يُعتبر هذا الكتاب «وثيقة هامّة في تاريخ العلوم»، و«نصًا قديمًا له خطره» ذلك «أنّ مؤلفه يعتمد فيما رجع إليه من مصادر على تراجم عربية لأصول لاتينية تاريخية». فمن المعروف أنّ العرب في عصر الترجمة نادرا ما نقلوا عن اللاتينية، ولعل هذا الكتاب هو أقدم الأعمال العربية التي استفادت من التراث المترجم عن اللاتينية. ويُعتقد أنّ هذه المصادر اللاتينية تُرجمت إلى العربية في عصر المؤلف، أو قبيل ذلك بقليل [فؤاد سيد، مقدمة تحقيق الكتاب، ص: أ ـ ط = 7 ـ 9].

وممّا يلفت النظر في هذا الكتاب التباين الشديد في تراجم الأقدمين الذين اشترك في الترجمة لهم ابن جلجل وابن النديم، بسبب اختلاف المصادر ومن المعروف أن كتابي ابن النديم وابن جلجل ظهرا في العام نفسه. ومن المؤكّد أن ابن جلجل لم يطّلع على كتابي يحيى النحوي واسحق بن حنين في «تاريخ الأطباء والحكماء» [فؤاد سيد، ص: كط ـ لج = 29 ـ 33].

وأهم المصادر اللاتينية لهذا الكتاب هي:

أ ـ كتاب باولوس أوروسيوس (Paulus Orosius) الذي يسمّيه ابن جلجل (هروشيوش) [فؤاد سيد، كط ـ لج = 29 ـ 39]. وقد عاش في اسبانيا بين القرنين الرابع والخامس. وكانت ترجمة هذا الكتاب إلى العربية أيام الحكم المستنصر، ترجمه قاسم بن إصبع و(قاضي) النصارى وترجمانهم بقرطبة [فؤاد سيد، ص: كط = 29].

ب ـ كتاب القدّيس إيرونيموس ironimos، ويسمّيه ابن جلجل «يرونيم» [فؤاد سيد؛ ص: لج ـ له = 29 - 35]. وهو نصّ لاتيني موسّع جدًا لكتاب «كرونيكا» المسمى في العربية خرونيقون أو قراونيقه Chronica: ليوسبيوس القيسراني [فؤاد، سيد، لج = 29].

ج ـ كتاب ايسيدوروس أسقف اشبيلية (Isidorus Sevillensis). ويسمّيه ابن جلجل «إشيذر» الإشبيلي المطران (570 ـ 636م)، ونحن لا نعرف المترجم له من اللاتينية إلى العربية [فؤاد سيد، له = 35].

لكن ابن جلجل نقل كذلك عن كتاب عربي هامّ في التاريخ هو كتاب «الألوف» للفلكي المشهور أبي معشر البلخي (ت 272 هـ). ويذكر البيروني هذا الكتاب باسم «كتاب الألوف في بيوت العبادات» [فؤاد سيد. ص: كز = 27]. ويسميه الجزي في «منتخب صوان الحكمة» باسم «أخبار الأمم السالفة... الخ.»، ويعتبر الآن مفقودا.

وفضلاً عن هذه المصادر الأربعة الرئيسة للكتاب فقد استفاد ابن جلجل من كتب أخرى أخذ عنها معلومات في كتابه. منها رسالة الكندي «في أغراض كتب إقليدس»، وترجمات عديدة عن كتب طبية لأبقراط مثل «عهد أبقراط»، وجالينوس مثل «الأمراض العشرة»، و«قاطاجانس»، و«في أن الطبيب الفاضل فيلسوف»؛ و«في الأدوية الطبية»،

وترجمتين في الفلسفة: إحداهما «كتاب النواميس» لأفلاطون، والأخرى ترجمة يوحنا بن البطريق لكتاب «السياسة» لأفلاطون [فؤاد سيد، ص: لو= 36].

ولم يقتصر ابن جلجل على المصادر المكتوبة فقد أخذ أخبارًا من بعض معاصريه الذين زاروا الشرق أو إفريقيا من أمثال أحمد بن يونس الحرّاني الذي زار العراق للدراسة، وأبي حفص عمر بن بريق الذي زار القيروان، وأبي زكرياء يحيى بن مالك بن عايد بن كيسان المعروف بالعايدي وقد زار مصر والعراق (بغداد والبصرة والأهواز)، ومحمد بن عبدون الجبلي العددي الذي زار البصرة والفسطاط. كما أخذ عن اثنين من شيوخه: سليمان بن أيوب الفقيه (ت 377هـ)، وابن القوطية أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت 367هـ). وكل ذلك مشافهة [فؤاد سيد، ص 62 هامش 8].

وعلى الرغم ن أن كتاب ابن جلجل لم يترجم إلّا لثمانية وخمسين (58) حكيما أو طبيبا فإنه كان من المصادر الهامّة التي اعتمدها ابن أبي أصيبعة الذي ربما يكون قد تأثر بأسلوب ابن جلجل في تصنيف طبقات الحكماء.

ففي الأولى وهي «الطبقة العالية الأولية ممن تكلّم في الحكمة الطبية والفلسفة العلوية» يترجم المؤلف للهرامسة الثلاثة ولأسقلابيوس وأبولون.

وفي الثانية وهي طبقة «من تكلم في الطبّ والفلسفة وبرع في ذلك» من الحكماء «الرومية اليونانية» يصنّف ابن جلجل بقراط، وديوسقوريدوس، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطوطاليس، وديموقراطيس.

وتقتصر الطبقة الثالثة، وهي «من حكماء اليونانية الذين كانوا في دولتهم بعد الفرس ممن شهروا في الطب والفلسفة»، عند ابن جلجل على ثلاثة هم: بطليموس وقطون وإقليدس.

أما الطبقة الرابعة فمخصصة لـ «حكماء اليونانية ممن تكلّم في الدولة القيصرية بعد بنيان روما»، وتقتصر على ترجمة جالينوس، لأنه في زمانه كان ثمة فلاسفة «مات ذكرهم عند ذكره».

وكذلك يقتصر المؤلف في الطبقة الخامسة «الحكماء الاسكندرانيون» على ذكر انقيلاوس، فهو «رئيس الاسكندرانيين».

ويترجم ابن جلجل في الطبقة السادسة لأربعة من الأطباء الذين كانوا في أيام رسول الله ﷺ ممن لم يكن في أصله روميا ولا سريانيا ولا فارسيا. وهؤلاء الأربعة هم: الحارث بن كلدة، وابن أبي رمثة، وابن أبجر، وماسرجويه.

والطبقة السابعة تحتوي على أحد عشر ترجمة لـ «حكماء الإسلام ممن برع في الطب والفلسفة». ويلاحظ المؤلف في عنوان الفصل أنّ «منهم مسلمون ومسيحيون». وفي الحقيقة فإن ثلاثة ممن ترجم لهم هنا هم من الصابئة. ويستنّ ابن جلجل هنا سنة لأصحاب كتب «تراجم الحكماء»، ذلك أنهم صاروا لا يفرّقون في حكماء الإسلام بين المسلم والمسيحي والصابئ. وهؤلاء الحكماء هم: بختيشوع، وجبريل، وابن ماسويه، وابن البطريق، والكندي، وثابت بن قرة، وقسطا بن لوقا، والرازي، وثابت بن سنان، وابن وصيف الصابئ، ونسطاس.

أما الطبقة الثامنة فهي لحكماء الإسلام ممن سكن المغرب. وهم: اسحق بن عمران، وأحمد بن سليمان الإسرائيلي، وابن الجزار.

والطبقة التاسعة والأخيرة في الكتاب هي طبقة الأندلسيين، ويزيد عدد التراجم فيها على ثلث ما جاء في الكتاب من تراجم، أي (23 من 58). والمترجم لهم هم: حمدين بن أبان، وجواد، والحرّاني، وخالد بن يزيد بن رومان، وابن ملوكة، واسحق، وعمران، ومحمد بن فتح، ويحيى بن اسحق، وأبو بكر سليمان بن تاج، وابن أم البنين، وسعيد بن عبد ربّه، وعمر بن بريق، وأصبغ بن يحيى، ومحمد بن تمليخ، وأبو الوليد محمد بن حسين (الكتاني)، وأحمد بن حكيم بن حفصون، وأحمد بن جابر، وأبوعبد الله عبد الملك الثقفي، وأبو هارون بن موسى الأشبوني، وأحمد وعمر ابنا يونس الحرّاني، ومحمد بن عبدون الجبلي العذري.

وهذا الكتاب - مثل كلّ كتب التراجم - لا يخلو من هنات تاريخية، بعضها نقلها القفطي وابن أبي أصيبعة. ومن الأمثلة عليها: الزعم بأن حنين بن اسحق قرأ على الخليل بن أحمد مع أنه توفي قبل ولادة حنين، أو أن الكندي بصريّ في حين أنه كوفي، أو أن ابن ماسويه عاصر الخليفة هارون الرشيد في حين أنه عرف في بغداد بعد وفاة هذا الخليفة العباسي.

وعلى كل حال فإن كتاب ابن جلجل هذا كان مصدرا هامّا للقفطي، وابن أبي أصيبعة، وابن العبري فيما يتعلق بالأعلام الأندلسيين.

لكن أهم ما يلفت النظر في هذا الكتاب هو الرواية التي انفرد بذكرها ابن جلجل [فؤاد سيد، ص: لـط = 39، م = 40] والتي تتحدث عن الترجمة التي قام بها ماسرجويه البصري من السريانية إلى العربية لكناش أهرن القسّ الاسكندراني؛ ذلك أنها تعود بالتأريخ للترجمة الطبية إلى العصر الأموي مصحّحة الزعم السائد الذي يعود بالتأريخ للترجمات الطبية إلى عصر المأمون.

المصادر والمراجع

● ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تح. فؤاد سيد؛ ● صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح. حياة بوعلوان، بيروت 1985، دار الطليعة؛ ● ابن حزم، في فضل الأندلس، وذكر رجالها، في مجموعة «رسائل ابن حزم الأندلسي»، تح. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981؛ ● الحميدي، محمد بن أبي نصر، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط 2، بيروت 1983؛ ● القفطي، إخبار (تأريخ) العلماء، ط. مكتبة المثنّى، بغداد عن ط. مصر، سنة 1326هـ/1908م؛ ● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، تح. مولر؛ ● ابن الأبار. التكملة لكتاب الصلة؛ ● المراكشي، محمد بن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1964؛ ● المقري. نفح الطيب؛ ● الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس؛ ● ابن فضل الله

العمري، مسالك الأبصار؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات؛ ● بروكلمان، تاريخ (GAL)، ط. 2، 1/ 272، والملحق 1/ 422؛ ● فهرس المخطوطات المصورة، القاهرة، ج. 2/ 62؛ ● ديتريش. Medicinalia: في دائرة المعارف الإسلامية، ط. 2/ 756؛ ● أولمان، الطب الإسلامي؛ ● فيرنت، معجم التراجم العلمية؛ ● سامي حمارنة، الظاهرية؛ ● فؤاد، سيد، مقدمة تحقيق طبقات الأطباء والحكماء؛ ● ابن مراد، إبراهيم، دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1987.

د. نشأت حمارنة
طبيب باحث في التراث العلمي
دمشق - سوريا

الجلدكي، عز الدين أيدمير بن علي

(ت 743هـ/ 1342م)

عز الدين أيدمير بن علي بن أيدمير الجلدكي عالم كيميائي.

يختلف مؤرّخو التراجم في اسم الجلدكي واسم أبيه، كما يجهلون تاريخ حياته، فمن قائل اسمه علي، ومن قائل إنه عز الدين أيدمير بن علي الجلدكي. أما صاحب الأعلام فيسمّيه علي بن محمد بن أيدمير، نسبته إلى «جلدك» من قرى خراسان، ولا توجد معلومات كافية فيما يتعلّق بحياته. وقد أمضى أكثر من سبعة عشر عاما في التنقل طلبا للعلم، فزار كلاً من العراق، والأناضول، والمغرب، واليمن، والحجاز، وسوريا، واستقرّ أخيرا بمصر، ولا نعرف من أساتذته إلا أبا عبد الله موسى بن حسين الملي، وأبا الفضل إسماعيل بن جريم البلخي في بغداد [مسلم الزيبق، ص 85].

ويروي الجلدكي في شرح المكتسب بعد أن بيّن انتسابه إلى جابر، أنه أراد أن يتعلّم الكيمياء على جابر (بالطبع غير جابر بن حيّان)، فأخذ هذا يصرفه ويراوغه، ولمّا ألحّ عليه الجلدكي في الطلب، قال جابر: «... إنّما أردت أن أختبرك، وأعلم حقيقة مكان الإدراك منك، ولتكن من أهل هذا العلم على حذر ممن يأخذه عنك، واعلم أنّ من المفترض علينا (أي على رجال الكيمياء) كتمان هذا العلم وتحريم إذاعته لغير المستحقّ من بني نوعنا، وألّا نكتمه عن أهله، لأنّ وضع الأشياء في محالّها من الأمور الواجبه المطلوبة، ولأنّ في إذاعته خراب العالم وفساد الاجتماع، وفي كتمانه عن أهله تضييعا لهم»، واختلفت الروايات بشأن تاريخ وفاته، فتوجد رواية تقول إنّه ت 743هـ/ 1342 -

1343م في القاهرة، بينما تذكر رواية أخرى أنه ت 762هـ/ 1360 ـ 1361م في نفس المدينة. وتذكر بعض المصادر أنّ الرواية الأخيرة قد خلطت تاريخ وفاته بتاريخ وفاة أحد أمراء طبل خانة بدمشق وهو الأمير علي بن آيدمير والذي توفي في العام نفسه 762هـ/ 1360م [ابن حجر، المجلّد الثالث، ص 30].

ويعتبر الجلدكي من أهمّ علماء الكيمياء «السيمياء» الذين نالوا شهرة واسعة بعد خالد بن يزيد، وجابر بن حيان، وأبي بكر الرازي، وابن سينا، وأبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي، وحسين بن علي الطغرائي، وأبي القاسم فخر الدين العراقي. وحسب ما يذكر هو نفسه فقد جمع ما يربو على الألف كتاب في مجال الكيمياء. وفيما يتعلّق بالمواد والتفاعلات الكيميائية كانت بعض آرائه تمثّل قاعدة للنسب الثابتة في الوحدات الكيميائية، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك استعماله للأقنعة الواقية من الغازات أثناء إجراء التجارب وتطويره كذلك لصناعة الصابون، واهتمّ الجلدكي بصناعة الطب والدواء وعلم الحيوان وعلم النجوم والميكانيكا (علم الحيل) وبخواص المادة.

كان ينقل عمّن تقدمه من الأعلام من أمثال جابر بن حيّان، وأبي بكر الرازي، وابن أرفع رأس، وأبي القاسم العراقي وغيرهم. كان ينقل عنهم فقرات كاملة، وبهذا الفعل أدى لتاريخ الكيمياء في الإسلام خدمة جليلة، إذ دوّن في مصنّفاته كثيرًا ممّا اندثر، وضاع من كتب سابقيه. وقد ثبت أنّ نقوله كانت حقًا لا ادعاءً، إذ عثر مؤخرا على بعض الكتب، التي نقل عنها، وكان يظنّ أنّها ضاعت، ووجد التطابق بين ما ذكره الجلدكي نقلاً عنها، وما تتضمّنه هذه الكتب. ومع أنّ شروح الجلدكي لا تزيد عبارات الكتب التي شرحها، إيضاحًا، إلّا أنّها ذات قيمة تاريخيّة لما اشتملت على أقوال من سبق من الكيميائيين، وبخاصة المسلمين منهم، ذات قيمة تاريخيّة بالذات عند أولئك الذين تصدّوا لتدوين تاريخ الكيمياء بعامّة والكيمياء الإسلامية بخاصّة.

آثاره

ينسب إلى الجلدكي أكثر من ثلاثين مؤلفا ومنها:

1 ـ البدر المنير في خواصّ (أسرار) الإكسير، بومباي 1881، وهو شرح لقصيدة شذور الذهب الموجودة في ديوان الشذور لعلي بن موسى الأنصاري الأندلسي المشهور بـ «أرفع رأس»، وكتب على المؤلّف نفسه شرحا آخر أسماه «غاية السرور» [مكتبة جمعة الماجد، رقم 2987]، ويبدو من خلال التقديم أنّ الجانب الفلسفي يطغى عليه. وقد أنجزت دراسات حول هذا الكتاب من قبل أبو المحاسن البهنسي بعنوان «الدرّ المنثور في توضيح غاية السرور»، وابن النصر محمد بن حسين اللجمي بعنوان «حاشية على شرح الغاية»؛ 2 ـ الدرّ المنثور في شرح الشذور، وهو شرح آخر للكتاب السابق ألف بالقاهرة عام 742هـ/ 1341 ـ 1342م؛ 3 ـ كشف الستور في شرح ديوان الشذور؛ 4 ـ المصباح في أسرار علم المفتاح، القاهرة 1302م وبومباي، قدّم المؤلّف في بداية هذا الكتاب نبذة تاريخية عن «علم المفتاح» (السيمياء عند

العرب)، وبعد أن قدم شرحه أحصى سبعة من رجال هذا العلم، وهم الأمير خالد بن يزيد، وجابر بن حيان، ومحمد بن أميل التميمي، ومسلمة بن أحمد المجريطي، وحسين بن علي الطغرائي، وعلي بن موسى بن أرفع رأس، وأبو القاسم العراقي؛ 5 ـ نهاية الطلب في شرح المكتسب، بومباي 1890م، وهو شرح مستفيض لمؤلف أبي القاسم العراقي المسمى «كتاب العلم المكتسب في زراعة الذهب»، وهو من أهمّ الشروح التي وضعت لواحد من أهمّ كتب الكيمياء عند العرب، ذلك أنّ الجلدكي شرح بشكل مفصّل نظرياته في الكيمياء، وممّا زاد من أهمّية هذا الكتاب أيضًا اقتباسه من كتب السابقين وتعريفه بالهرميطيقا والكيمياء عند المسلمين.

وإلى جانب أنّه كان يرجع إلى روّاد الكيمياء عند المسلمين أمثال جابر بن حيّان، وإلى غير المسلمين مثل هرمس، وزوسيموس، وجماسيف، وديموكريتوس، وجالينوس، وماريتوس، فقد كان يعرض نظرياته وأبحاثه الخاصة به، ومثال ذلك ما نقله هو نفسه عن بعض المؤلفات المنسوبة إلى جابر بن حيان وما نقله عن غيره من أنّه ينبغي استعمال حامض النتريك لاستخلاص الفضة المخلوطة بالذهب، وقد أعدّ Manucher Taslimi حول هذا الكتاب رسالة دكتوراه في جامعة لندن عام 1954 بعنوان:

«Examination of the Nihyat al-Talab and the Determination of its place and Value in the History of Islamic Chemistry»

6 ـ البرهان في أسرار علم الميزان، [مركز جمعة الماجد، رقم 1730]، وهو يتكوّن من أربعة أبواب، ولم يهتمّ الجلدكي في هذا الكتاب بالكيمياء فحسب بل تناول كذلك تاريخ الطبيعة، والفيزياء، والميتافيزيقا. كما أشار في كتاب بلينوس المسمّى تيانالي أبولونيوس المتعلّق بالكواكب السبعة، وأشار إلى نظريّة الميزان الموجودة في كتب جابر بن حيان؛ 7 ـ شرح قصيدة أبي الإصبع، وتعرف أيضًا بكشف الأسرار، وهو شرح لقصيدة في الكيمياء لعبد العزيز بن الشمّام العراقي المكنّى بأبي الإصبع والتي كتبها في سلوان في القرن العاشر؛ 8 ـ شرح الشمس الأكبر لبالينوس؛ 9 ـ التقريب في أسرار الكيمياء، في أسرار التركيب؛ 10 ـ الدر المكنون في شرح قصيدة ذي النون، وهو شرح لكتاب المصريّ الصوفيّ ذي النون في طبيعة المستيك في الكيمياء وقد كتب في القاهرة عام 743هـ/ 1342 ـ 1343م؛ 11 ـ بغية الخبير في قانون طلب الإكسير، كتب في الشام عام 740هـ/ 1339 ـ 1340م؛ 12 ـ كنز الاختصاص ودرة الغواص معرفة أسرار علم الحواس، نشر هذا المؤلّف في اثنى عشر بابا مرتّبة، بومباي 1309م؛ 13 ـ الدرّة المضيئة في شرح مخمّس الماء الورقي والأرض النجميّة، وهو مختصر لكتاب محمد بن أميل التميمي، ألّفه في دمشق عام 741هـ/ 1341م، وقد طبع الكتاب في القاهرة عام 1303هـ، وطبع في بومباي في طبعة بدون تاريخ [للاطلاع على مؤلفات الجلدكي والنسخ الخطّية انظر: Brockelmann, Supplementband, II,171-172 ; Sarton, III/ I, S. 758-760؛ فاضل خليل إبراهيم، ص 619 ـ 625؛ محمود رستم، ص 68 ـ 72].

ولتقييم مؤلفات الجلدكي وفهمها فهما جيّدا ينبغي معرفة المصادر التي استفاد منها ورجع إليها الجلدكي في علم الكيمياء، وقد بدأ في هذه الدراسات كل من روسكا، وستابلتون، وهوكويارد، وتلامذته، غير أنه لم تجر حول مؤلفاته سوى دراسات نقديّة قليلة.

المصادر والمراجع

• ابن حجر، الدّرر الكامنة، ج3/ 30؛

• سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، ج1/ 703 ـ 704؛ • كحالة، عمر رضا، العلوم البحتة في العصور الإسلامية، دمشق 1392هـ/ 1972م، ص 268 ـ 269؛

• الدقّاع، علي عبد الله، إسهام علماء العرب والمسلمين في الكيمياء، بيروت 1405هـ/ 1985م، ص 280 ـ 295؛

• الشكيل، علي جمعان، الكيمياء في الحضارة الإسلامية، صنعاء، ts، مكتبة الجيل الجديد، ص 90 ـ 92؛

• إبراهيم، فاضل خليل، عز الدين آيدمير الجلدكي، مكانته العلمية ومؤلفاته في الكيمياء، مجلّة المخطوطات العربية، الكويت، 2/ 19، 1985، ص 613 ـ 629؛ • الزركلي، الأعلام، مج 5، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، بيروت، لبنان 1984؛ • القفطي، تاريخ الحكماء، تح. أوغست مولر، إخراج يوليوس ليبرت، طبعته مكتبة المثنى ببغداد على الأوفست، لايبتسغ، 1903م؛

• حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، 1410هـ/ 1990م؛ • عبد الغني، الدكتور مصطفى لبيب، علم الكيمياء في الحضارة الإسلامية، الناشر دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة؛ • الطائي، الدكتور فاضل أحمد، علماء العرب واكتشافاتهم، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، 1989؛ • فياض، محمد محمد، جابر بن حيّان وخلفاؤه، اقرأ 91، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية؛

• فيدمان، مجموعة مقالات (باللغة الألمانية)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربيّة والإسلاميّة، يصدرها فؤاد سزكين، مج2، ص 975، 1404هـ/ 1984م؛

• Holmyard, E.J., Chemistry to the Time of Dalton, Printed in England at the Oxford University Press, 1925; • Holmyard, E.J., Makers of Chemistry, Oxford at the Clarendon Press, reprinted, 1946; • Die nature - und Geheimwissenschaften in Islam, Von M. Ullmann, Leiden, E.J. Brill, 1972; • Aufsätze zur Arabischen wissenschaftgeschichte, Von Eilhard Wiedemann, I, 692, Hildesheim, 1970; • Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, Leiden 1943-1919, II, 173-174, Supplementband, II, 171-172; • Manfred Ullmann, Die Meidizinim Islam, Leiden 1970, S. 198, 341, • Die Natur und Geheimwissenschaften in Islam, Leiden 1972, S. 785-760; • S. Mahdi Hassan, Jildaki's expo-

sition of alchemy, dr. Taslimi's examination of Jaldaki's Nahayat al-Talab, Hamdard medicus, XXXIII/1, Karachi 1990, s. 5-30; • G. Strohmaier, al-Djildaki, Encyclopaedia of Islam, Supplement, Leiden 1980, S. 270; • Sadettin Ökten «Cildeki», Türkiye Dianet Vakfi, Islam Ansiklopedisi, Istambul 1993, VII, 550-551.

د. أحمد أوزال
مركز الدراسات الإسلامية ـ تركيا
د. عبد الله حجازي
جامعة الملك سعود ـ الرياض ـ السعودية

الجلودي، أبو أحمد بن عبد العزيز بن يحيى

(ت 332هـ/943م)

أبو أحمد بن عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي الأزدي البصري وسمّي بالجلودي نسبة إلى جلود قرية بإفريقية، أو قرية معروفة بالشام [ياقوت، 2/ 156].

أما السمعاني فيرى أنها قرية من قرى إفريقية ينسب إليها جماعة من العلماء [الأنساب، 2/ 76]. ويقول النجاشي، إن جلود قرية في البحر، ويقول أيضًا إن جلود بطن من الأزد، ولا يعرف النسابون ذلك [الرجال، 180].

لم تذكر مصادر ترجمته معلومات عن سيرته ولا شيوخه وتلاميذه سوى أنّها أشارت إلى أنّه فقيه وإخباري إمامي المذهب، وأنه من أهل البصرة.

قال عنه ابن النديم: من أهل البصرة إخباري صاحب سير وروايات [الفهرست، 163].

ذكره النجاشي، فقال: أبو أحمد شيخ البصرة وإخباريها.

آثاره

اهتمّت مصادر ترجمته بمؤلفاته وهي كثيرة جدًا، فقد ذكر له النجاشي 189 كتابا، في حين ذكر «هدية العارفين» 185 كتابا، وقد تناولت هذه الكتب جوانب مختلفة من التواريخ والسير وقضايا تخصّ الفقه، وقد فصل النجاشي في ذكر هذه الكتب واستفاد من قائمة النجاشي من ترجم للجلودي.

أ ـ الكتب المتعلّقة بالإمام علي بن أبي طالب ﷺ:

1 ـ كتاب مسند أمير المؤمنين علي؛ 2 ـ كتاب الجمل؛ 3 ـ كتاب صفين؛ 4 ـ كتاب الحكمين؛ 5 ـ كتاب الغارات؛ 6 ـ كتاب الخوارج؛ 7 ـ كتاب بني ناجية؛ 8 ـ كتاب حروب علي؛ 9 ـ كتاب ما نزل في الخمسة أصحاب الكسا؛ 10 ـ كتاب الفضائل؛ 11 ـ كتاب نسب النبي ﷺ؛

12 ـ كتاب تزويج فاطمة؛ 13 ـ كتاب ذكر علي في حروب النبي ﷺ؛ 14 ـ كتاب محب علي رضي الله عنه ومن ذكره بخير؛ 15 ـ كتاب من أحبَّ عليًا وأبغضه؛ 16 ـ كتاب ضغاين في صدور قوم؛ 17 ـ كتاب من سبه (يعني علياً) من الخلفاء؛ 18 ـ كتاب الكتابة على سبّ علي؛ 19 ـ كتاب التفسير عن علي؛ 20 ـ القراءات؛ 21 ـ كتاب ما نزل فيه من القرآن؛ 22 ـ خطبه رضي الله عنه؛ 23 ـ شعره رضي الله عنه؛ 24 ـ خلافته رضي الله عنه؛ 25 ـ عماله وولاته؛ 26 ـ قوله في الشورى؛ 27 ـ ما كان بين علي وعثمان من الكلام؛ 28 ـ المرء مع من أحب؛ 29 ـ ذكر الشيعة ومن ذكرهم هو أو من أحب من الصحابة؛ 30 ـ من روى عنه من الصحابة؛ 31 ـ ما قيل فيه من شعر ومن مدح.

ب ـ كتب أخرى في مواضيع متفرقة تخصّ السير والتاريخ:

1 ـ كتاب خطب النبي ﷺ؛ 2 ـ أبي بكر رضي الله عنه؛ 3 ـ كتاب خطب عمر؛ 4 ـ خطب عثمان؛ 5 ـ كتب النبي ﷺ؛ 6 ـ رسائل أبي بكر رضي الله عنه؛ 7 ـ رسائل عمر رضي الله عنه؛ 8 ـ رسائل عثمان رضي الله عنه؛ 9 ـ كتاب الوفود على النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم؛ 10 ـ كتاب قطائع النبي ﷺ؛ 11 ـ كتاب قطائع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم؛ 12 ـ مقتل محمد بن أبي بكر؛ 13 ـ أخبار حمزة بن عبد المطّلب؛ 14 ـ أخبار عقيل بن أبي طالب؛ 15 ـ طبقات العرب والشعراء؛ 16 ـ السحاب والرعد والبرق؛ 17 ـ أخبار عمرو بن معدي كرب؛ 18 ـ كتاب أخبار أكثم بن صيفي؛ 19 ـ كتاب أخبار عبد الرحمٰن بن حسان؛ 20 ـ كتاب أخبار خالد بن صفوان؛ 21 ـ كتاب أخبار العجاج؛ 22 ـ كتاب أخبار دغفل النسّابة؛ 23 ـ صعصعة بن صوحان؛ 24 ـ كتاب أخبار الفرزدق؛ 25 ـ كتاب أخبار هدبة بن خشرم؛ 26 ـ كتاب أخبار إياس بن معاوية؛ 27 ـ كتاب أخبار أبي الطفيل؛ 28 ـ كتاب أخبار أبو الأسود الدؤلي؛ 29 ـ كتاب أخبار الأحنف بن قيس؛ 30 ـ زياد بن أبي سفيان؛ 31 ـ رؤبة بن العجاج؛ 32 ـ كتاب شعر عباد بن بشار؛ 33 ـ كتاب من أوصى بشعر جمصة؛ 34 ـ كتاب من قال شعرا في وصيته؛ 35 ـ كتاب حديث يعقوب بن جعفر بن سليمان؛ 36 ـ التمثيل بالشعر؛ 37 ـ كتاب أخبار قنبر؛ 38 ـ كتاب خالد بن صفوان؛ 39 ـ من عشق من الشعراء؛ 40 ـ أخبار بني مروان بن محمد؛ 41 ـ أخبار العرب والفرس؛ 42 ـ كتاب أخبار التراجم؛ 43 ـ كتاب أخبار المحدثين؛ 44 ـ كتاب مرج الفقهاء؛ 45 ـ كتاب النحو؛ 46 ـ كتاب في الحيوانات؛ 47 ـ كتاب الأطعمة؛ 48 ـ الأشربة؛ 49 ـ كتاب اللباس؛ 50 ـ كتاب ما جاء في الحمام؛ 51 ـ كتاب الطب؛ 52 ـ الرياحين، 53 ـ كتاب الحباب؛ 54 ـ كتاب الدنانير والدراهم؛ 55 ـ كتاب السخاء والكرم؛ 56 ـ كتاب الإقضاء؛ 57 ـ كتاب البخل والشح؛ 58 ـ كتاب الألوية والرايات؛ 59 ـ كتاب رايات الأزد؛ 60 ـ كتاب الزهد؛ 61 ـ كتاب الدعاء؛ 62 ـ القصاص؛ 63 ـ كتاب الذكر؛ 64 ـ كتاب المواعظ؛ 65 ـ كتاب المتعة وما جاء في تحليلها؛ 66 ـ المرشد والمسترشد ويسمّيه ابن شهراشوب الرشيد والمسترشد

[معالم العلماء، 80]؛ 67 ـ كتاب في الإخباريين والنسابين [الفهرست لابن النديم، 173]؛ 68 ـ أخبار جعفر بن محمد (الصادق)؛ 69 ـ أخبار موسى بن جعفر (الكاظم)؛ 70 ـ مناظرات علي بن موسى بن جعفر (الرضا)؛ 71 ـ كتاب أخبار السودان.

هذه القائمة ذكرها النجاشي في [الرجال، 180 ـ 184] وقال: «هذه جملة كتب أبي أحمد الجلودي أجاز جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه (ت 367هـ/ 977م) برواية كتبه كلها».

ويلاحظ من هذه القائمة الطويلة أن الجلودي مشارك في عدد من العلوم كالفقه، والحديث، والأخبار.

كما أن هذه الكتب ليست جميعها كتبا بالمعنى المألوف لدينا، وقد تكون فصولا صغيرة أو عددا محدودا من الأوراق، وسمّيت كتبا لأنها تختصّ بموضوع واحد وهو أمر مألوف عند القدماء.

ويظهر من عناوينها أن هناك تشابها بين العناوين، وأن بعض العناوين تكرّرت مما يدلّ على أنّ الكثير منها تخصّ موضوعًا واحدًا لو جمعت، لكنّنا لا نستطيع الجزم بذلك لأنها لم تصلنا.

المصادر والمراجع

● ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، مصر، طبعة الاستقامة؛ ● الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، الفهرست، المطبعة الحيدرية، النجف 1937؛ ● النجاشي، أحمد بن علي بن العباس، الرجال، طبعة إيران، 180 ـ 184؛ ● ابن شهراشوب، محمد بن علي، معالم العلماء، دار الجنان، النجف 1961؛ ● السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، الأنساب، بيروت 1988، 2/ 76؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هداية العارفين، 5/ 576 ـ 577؛ ● المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال، طبعة حجرية، 2/ 156 ـ 157؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء التراث، 5/ 363؛ ● الصدر، السيد حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، بغداد، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، 244 ـ 247.

د. نبيلة عبد المنعم داود
مركز إحياء التراث العلمي
العربي ـ جامعة بغداد

الجلولي، أبو علي حسن بن علي بن محمد

(ت قبل 450هـ/1057م)

حسن بن علي بن محمد بن حمدون، أبو علي الجلولي،

هذه النسبة إلى «جلولاء» موضع قرب القيروان، له ذكر في أخبار الفتوح ويعرف اليوم بـ «عين جلولة».

فقيه مالكي، مشارك في عدّة فنون أغلبها علم القراءات وعلوم العربية.

أخذ القراءات عن محمد بن سفيان (ت 415هـ/ 1024م) أشهر علمائها بالمغرب، وتلقى علوم العربية عن محمد بن إبراهيم بن السمين، أحد شيوخ ابن رشيق القيرواني.

وتصدّر ـ بعد تخرجه ـ لتدريس علوم القراءات والعربية وما يتصل بها في القيروان، وأقبل عليه طلبتها، ومن خارجها، ينهلون من موارده، وتخرج عليه جماعة من شيوخ القراءات والعربية أبرزهم الحسن بن خلف بن عبد الله بن بليمة القيرواني (427 ـ 514هـ/ 1036 ـ 1120م) صاحب كتاب «تلخيص العبارات بلطيف الإشارات» وعالم صقلية ولغويّها: عمر بن خلف بن مكي المازري (ت 501هـ/ 1107م) مؤلف كتاب «تثقيف اللسان، وتلقيح الجنان»، وهو يسند عنه في كتابه السالف الذكر آراء مهمّة في اللغة، وعبارته: «وسألتُ أبا علي الجلولي ـ رحمه الله ـ عن الصلاة خلف من يظهر النون الخفيفة عند الياء والواو، فقال...».

ويكفي للتدليل على مكانته في العربية أنه أقدم على وضع شرح على كتاب «الإيضاح» في النحو لأبي علي حسن بن أحمد الفارسي المتوفى سنة 377هـ/ 987م سمّاه «النكت على الإيضاح»، ووقف عليه أبو حيان أثير الدين محمد يوسف بن حيّان الغرناطي (ت 745هـ/ 1344م) واعتمده في تأليفه الشهير «إرتشاف الضرب، من لسان العرب». لم نقف على تاريخ وفاته بالضبط إلا أنه يمكننا القول إنه توفي خلال العشرة الأخيرة من النصف الأوّل من القرن الخامس للهجرة قبل (450هـ/ 1057م).

المصادر والمراجع

● معالم الإيمان في معرف أهل القيروان 3/ 186؛ ● ابن الجزري، طبقات القراء، 1/ 21، 226؛ ● أبو حيّان الغرناطي، إرتشاف الضرب، من لسان العرب 2/ 133؛ ● المازري، تثقيف اللسان، وتلقيح الجنان، ص 243، 247؛ ● خليفة، كشف الظنون، ص 213؛ ● القراءات بإفريقية، ص 360 ـ 395.

أ. البشير البكوش
أمين مكتبة مجلس النواب ـ تونس

الجليس النّحوي، أبو عبد الله، الحسين بن موسى

(ت 490هـ/1097م)

هو الحسين بن موسى بن هبة الله الدّينوري، أبو عبد الله، المعروف بالجليس. نحويّ، لغويّ.

لم تذكر كتب التراجم شيئا عن نشأته ولا شيوخه، واختلفت في تحديد سنة وفاته اختلافا بيّنا، ولكنّها تجمع على أنّ أبا حيان الأندلسي (ت 745هـ/ 1344م) أكثر الأخذ عنه في كتابه «التذكرة في العربيّة»، وكتاب التذكرة هذا من الكتب المفقودة وهو كتاب كبير حسب ما ذكره أبو حيان نفسه في كتابه البحر المحيط [خديجة، الحديثي، أبو حيّان النحوي، ص 168] وكلّ ما نعرفه من كلام الجليس النحوي تصنيفه في كتابه ثمار الصناعات حديثه عن العلل وقد نقله السيوطي في كتاب [الاقتراح، ص115] وكتاب [بغية الوعاة، 1/ 541]؛ فقد صنّف الجليس العلل إلى: «علّة تطرد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم وعلّة تظهر حكمتهم وتكشف عن صحّة أغراضهم ومقاصدهم»، وهذا تصنيف مقتبس من كتاب الأصول في النحو لابن السّراج؛ لكن ما قد يكون من صنع الجليس هو تقسيمه للصنف الأوّل أو المشهور منه إلى أربعة وعشرين قسما بدون أن يحدّد مفهومها على ما يبدو، وذلك ما دعا التاج بن مكتوم إلى شرحها في تذكرته حسب ما قاله السيوطي، على أنّ ابن مكتوم استعصى عليه شرح إحداها رغم تفكيره فيها أيّاما.

آثاره

1 ـ ثمار الصناعة، في النحو وأصوله؛ كتاب في التعليل النّحوي، إذ بحث في الحكمة أو الغرض من التعليل، ثمّ أنواع العلل النحويّة التي وصلت عنده إلى أربعة وعشرين نوعا، مثل: علّة سماع، وعلّة تشبيه، وعلّة استثقال... مخطوطة الكتاب في المتحف البريطاني برقم (st Browne، 147 ـ 79)؛

2 ـ الحروف السبعة من الكلام. انفرد بذكره إسماعيل البغدادي صاحب هدية العارفين، دون أية إشارة إلى مضمونه.

المصادر والمراجع

• الفيروز آبادي، مجد الدين، البلغة في تراجم أئمّة النحو واللغة، تح. محمد المصري مركز المخطوطات والتراث، 1407هـ/ 1987م، ط 1، ص 91؛

• السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة. تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1384هـ/ 1964م، ط 1، ج 1، ص 541؛ • كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، تح. د. احمد محمد قاسم، القاهرة 1396هـ/ 1976م؛

• البغدادي، اسماعيل باشا، هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين؛

• حاجي خليفة، كشف الظّنون عن

أسامي الكتب والفنون، دار العلوم الحديثة، بيروت، د.ت ج 1، ص 523؛ ● الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الدار الإسلاميّة، بيروت 1990، ط 1، ج 3، ص 173 ـ 174؛ ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي نقله إلى العربيّة د. عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، د. ت، ج 3، ص 242؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين، مؤسسة الرسالة، 1414هـ/ 1993م، ط 1، ج 1، ص 646.

د. ممدوح خسارة
جامعة دمشق ـ سوريا

الجلياني، أبو الفضل عبد المنعم بن عمر

(531هـ/1137م ـ 602هـ/1205م)

عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان، أبو الفضل حكيم الزمان الجلياني الغساني الأندلسي [الكتبي، محمد شاكر، فوات الوفيات، تح. د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974، مج2، ص407].

ينسب إلى جليانه من أعمال الوادي آشي قرب مالقة في الأندلس [الكتبي، فوات الوفيات، ص407] ويقول عنه المقري: «ولد في قرية جليانة من أعمال غرناطة سابع المحرم سنة 531هـ وقدم إلى القاهرة، وسار إلى دمشق فسكنها مدة، ثم سافر إلى بغداد فدخلها سنة 601هـ ونزل بالمدرسة النظامية وكتب الناس عنه كثيرًا. وكان مليح السمت، حسن الأخلاق، لطيفًا حاضر الجواب، ومات بدمشق سنة 602هـ» [المقري، نفح الطيب، مج2، ص614].

وروى عنه محب الدين بن النجار، «وتوفي بدمشق سنة 602هـ/ 1205م وخلف ولده عبد المؤمن بن عبد المنعم وكان كحالاً ويشعر أيضًا ويعمل مديحات وخدم بصناعة الكحل الملك الأشرف أبا الفتح موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب» [عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج3/ 259].

لم تذكر لنا كتب السير والأعلام عن دراسته شيئا، ومن البديهي أن دراسته الأولى كانت في الأندلس في البلد الذي ولد فيه. ولما شبّ وترعرع عرف عنه أنه أديب وشاعر وطبيب. وأجمع المترجمون له بأنه كان شاعرًا مبدعًا في فنون الشعر. يقول المقري: «المؤلف، الرحالة المتجوّل ببلاد الشرق سائحًا؛ كان أديبًا فاضلاً، له شعر مليح المعاني أكثره في الحكم والإلهيات وآداب النفوس.. وكتب الناس عنه كثيرًا من نظمه».

وذكره العماد في «الخريدة» وقال: هو

صاحب البديع والتوشيح والترشيح، والترصيع والتصريع، والتجنيس والتطبيق، والتوفيق والتلفيق، والتقريب والتفريس، والتعريق والتعريب» [المقري، نفح الطيب، مج2، ص635، 637].

وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب يرى له ويحترمه، وله فيه مدائح كثيرة، وصنّف له كتبًا.

آثاره

1 - كتاب منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ 2 - كتاب جامع أنماط السائل في العروض والخطب والرسائل؛ 3 - ديوان الحكم وميدان الكلم، يشتمل على الإشارة إلى غامض المدرك من العلم، وإلى كل صادق المنسك من العمل وإلى كل واضح المسلك من الفضيلة وهو نظم؛ 4 - ديوان المشوقات إلى الملأ الأعلى وهو نظم؛ 5 - ديوان أدب السلوك وهو كرم مطلق يشتمل على مشارع كلمات الحكمة المبصرات؛ 6 - كتاب نوادر الوحي وهو يشتمل على كلام حكم مطلق في غريب معان من القرآن الكريم، ومن حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم؛ 7 - كتاب تحرير النظر وهو يشتمل على كلمات حكمة مفردات في البسائط والمركبات والقوى والحركات؛ 8 - كتاب سر البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب؛ 9 - ديوان المبشرات والقدسيات وهو نظم وتدبيج وكلام مطلق، يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب فاتح مدينة بيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة؛ 10 - ديوان الغزل والتشبيب والموشّحات والدوبيتي وما يتّصل به منظوما؛ 11 - ديوان تشبيهات وألغاز ورموز وأحاج وأوصاف ورجزيات وأغراض شتى منظوما؛ 12 - ديوان ترسل ومخاطبات في معان كثيرة وأصناف من الخطب والصدور والأدعية [ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج3/ 264-265].

اتفق جميع من كتب عن عبد المنعم أنه طبيب وكحال ماهر، قال عنه المقري «الحكيم الطبيب، كان طبيبا حاذقًا» [المقري، نفح الطيب، ج 2/ 635]. وقال عنه ابن أبي أصيبعة: «كان علامة زمانه بصناعة الطب والكحل وأعمالهما.. وكانت له دكان في اللبادين لصناعة الطب.. وكان يُعنى أيضا بصناعة الكيمياء» [ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج3/ 259].

وعلى الرغم من ذلك فلم يذكر أحد عمن درس الطب ومن هم تلامذته، ويبدو أنه اتّخذ الطب وسيلة للرزق وللترفع عن السؤال حيث يقول في إحدى قصائده:

بـذلـتُ وقـتًـا لـلـطـب كـي لا
ألـقـى بـنـي الـمـلـك بـالـسـؤال

[الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات والذيل عليها، دار صادر، بيروت، 1974، ج 2/ 409].

ولم يذكر له مؤلفات مهمة في الطب سوى تعاليق في وصفات أدوية مركبة.

د. محمود الحاج قاسم محمد
طبيب - الموصل - العراق

الجليلي، قاسم بن خليل بن عبد الجليل

(1108هـ/1696م - 1164هـ/1750م)

الحاج قاسم آغا الرونقي، شاعر، مستشار سياسي. ولد بالموصل في أسرة ثريّة سيحكم رجالها الموصل لحقبة، تزيد على القرن (1139 - 1249هـ/1726 - 1834م) تعلّم على أفاضل شيوخ الموصل وحجّ سنة 1142 واجتمع بالأدباء والمثقّفين العرب في البلاد التي مرّ بها.

كان أحد فرسان الموصل الذين تصدوا لغزو نادر خان (نادر شاه فيما بعد) سنة 1145هـ/1732م وقتلوا قائده «نركز خان».

لم يتولّ الرونقي منصبا سياسيا، غير أنّه عمل في معية ابن عمه الوالي المزمن حسين بن إسماعيل باشا الجليلي (ت 1171هـ)، ولازمه طيلة حياته ورافقه في أسفاره، وشاركه معاركه. فقد كان مشهورا بالفروسيّة، خبيرا بشؤون الحرب، بعيد النظر في السياسة، فلم يستغن ابن عمه عن مشورته. واستصحبه معه عند توليه محافظة بغداد 1148هـ وحين ولي البصرة 1148 - 1149هـ.

وفي سنة 1153 عمل على تحسين العلاقات المتوترة بين ابن عمه حسين باشا الجليلي والي الموصل، وبين أحمد باشا والي بغداد. وقد حدثت بين الرجلين الجليليين قطيعة، غادر الرونقي إثرها بلده. إلّا أنّه تجاوز ذلك وراسل ابن عمه أثناء معركة الدفاع الموصليّة ضدّ نادر شاه 1156هـ/1743م وعاد إلى الموصل. وأرسله حسين الجليلي، بعد فك الحصار، ليسلم هدايا الموصل من الخيول العتاق إلى نادر الشاه الذي كان يتأهب للانسحاب.

كان الرونقي صديقا حميما للشاعر الموصلي حسن بن عبد الباقي المعروف بعبد الجمال (ت 1157هـ)، وكانت بينهما إخوانيات ومداعبات. وحين غضب الوالي الجليلي على الشاعر حسن، تشفع الرونقي فيه فعفا الجليلي عنه.

كان الرونقي ذكيا ذا ظُرف. نظم شعرا لطيفا رقيقا، في بعضه دعابة. وله أبيات وتشطيرات في المجون والغزل. وله هجاء قاس. مدح خدنه حسين الجليلي.

توفي قاسم الرونقي بالموصل. ودفن في مقبرة الجليليين.

قال يمدح ابن عمه الوزير الجليلي في قصيدة بدأها بأبيات خمريّة ثمّ خلص إلى المدح:

بأيام مولانا الوزير الذي له
من العزّ دسْت والسّعود نمَارق

حسين إذا كنيته كنّه أبا
مراد تجد بحرًا عطاه يدافق

أبا حسن عند الوداد وحفظه
أمينًا سليم القلب في القول صادق

رؤوف بـذي الأرحـام بـرّ مـواصـل
ولـكـنـه لـلـمـنـكـرات مـفـارق

وقال مفتخرا:

وإنّي لصـقْـر لـيس يـنـقضّ هـاويًا
علـى عقْـعق إلاّ علـى أعظم الـنسر

أمـوتُ ولا أبـغـي الـحـيـاة بـذلّـةٍ
واصـبر لـلـبلوى وازهدُ في عـمـري

واقـضـيَ تـحـبـى غـيـرةً وتـعـفّـفـا
وأهـلـك ظـمـآنـا عـلـى شـاطـئ الـنـهـر

وقال متغزلا:

إلـيـك إشـارتـي وأنـت مـرادي
وأنـت بـلـبّـي والـحـشـا وفـؤادي

وفـيـك هُـيـامـي لا بـدعْـدٍ وزيـنـب
وإيـاك أعـنـي عـنـد ذكـر سُـعـادي

أهـيـم اكـتـآبـا ثـمّ أطـرب صـابـيـا
إذا مـا حَـدا حـادٍ ورنّـم شـادي

يقول الغلامي (ت 1186هـ) في شمامة العنبر «عرضت على مجموعة... حسين باشا تضمنت أشعارا من مدحه من أهل العصر، فرأيت لصاحب الترجمة ـ الرونقي ـ مطولات من الشعر أرتنيه لسائر الناظرين المذكورين في تلك المجموعة أستاذا».

قال الدكتور داود الجلبي (ت 1960م): «له أبيات تهكمية هجومية باللسان العامي». وقال القس الصائغ (ت 1961م): «له... أبيات وتشطيرات في المجون والغزل. ووجدت له في «الموصليات» هجوا هجا به أحد مواطنيه الأدباء باللغة العامة على طريق الرجل».

■ آثاره

يبدو أنّ الرونقي كان مقلا، أو أنّ شعره ضاع. يؤكد هذا إشارة الغلامي للمجموعة الشعريّة. ويقول الصائغ: «ويظهر أنّه جمع تلك المجموعة هو بنفسه وملأ قسما كبيرا بقصائد المديح التي أنشدها لابن عمه... وضمّ إليها قصائد غيره من الشعراء... ما عثرنا على هذه المجموعة ولا على شيء كثير من نظم الشاعر الجليلي...».

هذا وقد حفظ لنا كل من «الروض النضر»، و«شمامة العنبر» بعضا من شعر الرونقي.

في مكتبة الأوقاف في الموصل قصيدة للرونقي ضمن مجموعة برقم د. داود الجلبي 22/ 9/ 19.

■ المصادر والمراجع

● الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، الموصل 2001، 2/ 51، 65، 67، 71؛ ● الصائغ، القس سليمان، تاريخ الموصل، بيروت 1928، 2/ 166 ـ 168؛ ● ديوان حسن عبد الباقي الموصلي، 1100 - 1157، تح محمد صديق الجليلي، الموصل 1966، ملحق رقم 2، بقلم المحقق ص 127 ـ 130؛ ● العمري، عصام الدين عثمان بن علي بن مراد، الروض النضر، تح. د. سليم النعيمي، بغداد 1974، 1/ 579 ـ 584؛ ● العمري، ياسين بن خير الله، زبدة الآثار الجلّية في الحوادث الأرضيّة، اختار زبدته، د. داود الجلبي، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، النجف الأشرف

1974، ص 103 وهـ 2؛ ● المرادي، سلك الدرر، أوفست مكتبة المثنى، بغداد عن ط. بولاق 1301هـ، 4/ 8 ـ 9؛ ● الغلامي، محمد بن مصطفى، شمّامة العنبر، تحقيق د. سليم النعيمي، بغداد 1977، ص 134 ـ 139؛ ● الغلامي، محمد رؤوف، العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي، الموصل 1942، ص 11، 173، 270؛ ● العمري، الشيخ ياسين بن خير الله الخطيب، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد 1968، ص 336 ـ 338؛ ● العمري، محمد أمين بن خير الله الخطيب، منهل الأولياء، تح. سعيد الديوه جي، الموصل 1967، 1/ 137، 161، 259 ـ 261؛ ● رؤوف، عماد عبد السلام، الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، النجف الأشرف 1975، ص 378، 530؛ ● الدر المكنون، في أحداث سنة 1164، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة الآداب، جامعة الموصل 2002، ص 29 ـ 30؛ ● الجلبي، بسام إدريس، موسوعة أعلام الموصل، ط. على الكمبيوتر، معجم المؤلفين الموصليين، خط.

بسام إدريس الجلبي
العراق ـ الموصل

الجليلي، محمد صديق

(1321هـ/1903م ـ 1399هـ/1980م)

ولد محمد صديق الجليلي في مدينة الموصل في 20 تشرين الأول سنة 1903 من أسرة عربيّة عرفت بمكانتها العلميّة والإداريّة والاقتصاديّة والسياسيّة ليس في الموصل حسب، بل في العراق وأقطار الوطن العربي والإسلامي. دخل المدارس الابتدائية والثانويّة في مدينته، وأكمل دراسته الثانويّة عام 1922. ثم التحق بقسم البحث والتنقيب، كليّة بيبلس بمدينة كنساس بالولايات المتحدة الأمريكيّة، وهناك أكمل دراسته الجامعيّة وحصل على البكالوريوس والماجستير في العلوم والدكتوراه فلسفة العلوم، ثم عاد إلى وطنه ومدينته وآثر الأعمال الحرّة وعدم الدخول في سلك العمل الوظيفي الحكومي. فانصرف إلى إدارة أملاك عائلته والمساهمة في النشاط الثقافي والاجتماعي الذي تزخر به الموصل.

ولمكانته ووجاهته في المجتمع الموصلي عيّن عضوا في المجلس البلدي لمدينة الموصل في سنة 1931. ورئيسا لجمعيّة التراث العربي في مدينة الموصل منذ تأسيسها عام 1937 إلى 1977 وأصبح عضوا في اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين، وله علاقات علميّة وثقافيّة مع عدد من الباحثين والعلماء العرب

والمسلمين والمستشرقين، وله في ذلك رسائل كثيرة.

شارك الجليلي في عدد من المؤتمرات والندوات داخل العراق وخارجه، وله دوره المميز في حلقات النقاش والحوار. وقد عُدَّ الجليلي موسوعة ثقافيّة بفضل مساهماته كمؤرّخ، وكاتب وأديب ومحقق وموسيقي.

ترك الجليلي عددا كبيرا من المقالات والبحوث في التاريخ والفلك والتراث الموسيقي، ونشر معظمها في مجلات عراقية وعربيّة.

كما قام بتصنيع عدد من المزاول لا تزال قائمة في بعض ميادين الموصل، كما ساهم في حل رموز مزاول أخرى اكتشفت في سامراء والقيروان ودمشق. ومن بين الأعمال الجليلة التي أنجزها الدكتور الجليلي هو تنظيم جداول بحساب السنين الماليّة الروميّة من 1256 مالية رومية (1840م) إلى 1391 مالية رومية (1975م)، وما يقابلها من التواريخ في التقويمين الهجري والميلادي [مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد 23 لسنة 1973، ص 227 - 239].

ويرى أحد الباحثين أنّ أهميّة هذا العمل تبرز إذا ما علمنا بأنّ التقويم المالي الرومي العثماني كان لا يستعمل في الأمور المالية وحسب وإنّما استعمل في سائر شؤون الدولة العثمانيّة، وأرخت بموجبه سائر المكاتيات الرسميّة والوثائق، والقيود، وسجلات النفوس، والحوادث التاريخيّة والسالنامات [الكتاب السنوي] التي كانت تصدر في الولايات العثمانيّة، منها سالنامات الموصل، وبغداد، والبصرة وغيرها، وبهذا العمل أسدى الجليلي خدمات عظيمة للباحثين والمختصين في التاريخ العثماني.

وامتلك الجليلي مكتبة كبيرة زاخرة بأمهات المؤلفات التراثية والتاريخيّة والثقافيّة والعلميّة وباللغات العربيّة، والتركية، والفارسيّة، والانجليزيّة آلت بعد وفاته إلى المكتبة الوطنيّة ببغداد. وكان الجليلي لا يبخل على أحد من الباحثين وكليات الدراسات العليا بما يتوفر لديه من مصادر ووثائق ومخطوطات وصحف يوميّة. كرس الجليلي جهوده في تأليف كتاب عن تاريخ العائلة الجليليّة وحكمها للموصل بين سنتي 1139هـ/ 1726م - 1250هـ/ 1834م إلّا أنّ الكتاب لم ير النور، فاتجه إلى تحقيق ونشر كتاب «غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر» لمؤلفه ياسين العمري، ويتناول هذا الكتاب تاريخ الموصل خلال العهد العثماني بين سنتي 1200هـ/ 1785م - 1225هـ/ 1810م.

تميّز الجليلي في فنّ السير والتراجم، ويبدو ذلك واضحا من خلال ترجمته لعدد من المؤرخين والأدباء والمفكّرين من أبناء مدينته، ويقوم منهجه في التأليف على الربط بين حياة صاحب الترجمة ونتاجه من جهة وأحداث الموصل السياسيّة والتغيرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي جرت بها، وانعكاساتها على صاحب الترجمة بشكل أو بآخر. ويتابع ما كتب عن صاحب الترجمة ويحلل تلك الكتابات ويوظفها في رسم الصورة الحقيقيّة لمن يكتب عنه. وتعدّ دراسته التي ألحقها بكتاب ديوان حسن عبد الباقي الموصلي من أدقّ وأفضل الدراسات التي عرضت سيرة وحياة الحاج حسين باشا الجليلي ت 1176هـ/ 1762م قائد المقاومة

الموصليّة عند محاولة الغزو الفارسي لمدينة الموصل سنة 1156هـ/ 1743م. فقد برزت إمكانية الجليلي في البحث التاريخي الدقيق والمنهج العلمي الاستنتاجي الصحيح. الذي وظفه في عرض سيرة هذا القائد المجاهد، فقد بدأ بالإشارة إلى أصل الأسرة الجليليّة وسبب توليها إدارة الموصل، وآثارها العمرانيّة والعلميّة وأسلوب تعاملها مع العلماء والوجهاء وأعيان المدينة وقادة الجيش وعلاقاتها بالولاة في بغداد وحلب وتسلمها الحكم في ولايات عثمانيّة أخرى مثل بغداد، وطرابلس، والشام، وديار بكر وغيرها.
كما تناول وقائع الحروب التي خاضها القادة الجليليون إلى جانب الحكومة العثمانيّة، والصراعات بين آغوات فرق الانكشاريّة وانعكاساتها على أهل الموصل. وتطرقت هذه الدراسة القيمة إلى عادات الموصليين وتقاليدهم والصراع بين القوى المحليّة والانكشاريّة. وحوت معلومات قيّمة وفريدة عن الجيش الانكشاري في الموصل، والكوارث الطبيعيّة التي وقعت في الموصل خلال العهد العثماني، وتأثير ذلك على المجتمع الموصلي بالإضافة إلى أخبار عامة عن تجارة الموصل وإدارتها. وأهمّ ما في الدراسة الصورة التاريخيّة الحيّة التي رسمها الجليلي لحصار الموصل الشهير 1156هـ/ 1743م والذي ابتدأ في 21 رجب 1156هـ/ 10 أيلول 1743م حيث ظهرت طلائع الجيش الفارسي بقيادة نادر شاه إلى قرية يارمجة شرق دجلة على بعد خمسة كيلومترات جنوب مدينة الموصل، وفي 4 رمضان 1156هـ/ 22 تشرين الأول 1743م اضطرّ نادر شاه للانسحاب بقواته بعد حصار للموصل دام أكثر من أربعين يوما، تعرضت خلاله الموصل إلى التخريب بشكل ليس له نظير على يد القوات الإيرانيّة، ثمّ عادت الحياة إلى مجاريها الطبيعيّة واحتفل الناس بيوم النصر.

آثاره

انصرف الدكتور الجليلي إلى البحث والتأليف والتحقيق، فألف في اللغة والتاريخ، والفلك، والعلوم، والاجتماع. وحرص في كل عمل قام به على إبراز شخصيّة الموصل ومكانتها الحضاريّة ودورها الفاعل عبر التاريخ. ويتجلّى ذلك في تصانيفه ومؤلفاته المتعددة منها:

1 ـ الحجة على من زاد على ابن حجة، تأليف عثمان الجبائي، وهو كتاب في علم البديع، حققه ونشره في الموصل سنة 1937م؛ 2 ـ غرائب الأثر في حوادث القرن الثالث عشر، وهو كتاب في تاريخ الموصل خلال العهد العثماني، وقد عنى بطبعه ونشره في الموصل 1940م؛ 3 ـ كتاب المقامات الموسيقيّة في الموصل، طبع في مطبعة أم الربيعين الموصل 1360هـ/ 1941م، وهو عبارة عن كراس في 39 صفحة الحجم الاعتيادي تناول فيه البحث عن جميع أنواع المقامات الموسيقيّة التي يتغنى بها أهل الموصل؛ 4 ـ التراث الموسيقي في الموصل، طبع لأول مرّة في الموصل عام 1941، وأعيد طبعه في مطبعة الجمهوريّة عام 1961 وهو عبارة عن كراس في 19 صفحة من الحجم المتوسط، تطرق فيه إلى أهميّة الموقع الجغرافي لمدينة الموصل وأثره في التقاء أبناء العراق الأقوام المختلفة التي جلبت معها تراثها الموسيقي فأخذه أبناء المدينة وطوروا فيه وأصبح من سمات الموسيقى الموصليّة.

ولعلّ من أبرزها الموشحات الدينيّة «التنزيلات» وهي من المصطلحات الصوفيّة، وللشيخ محيي الدين بن عربي كتاب عنوان «التنزيلات الموصلية» في التصوّف، والتنزيلات مقطوعات على أسلوب الموشحات في المديح النبوي الشريف. . . ؛ 5 ـ الاصطياف في حمام العليل، الموصل 1965؛ 6 ـ محمد فهمي الموصلي، بغداد 1969؛ 7 ـ تحقيق ونشر كتاب حسن عبد الباقي الموصلي 1100 ـ 1157هـ/ 1688 ـ 1744م طبع في مطبعة الجمهوريّة في الموصل سنة 1386هـ/ 1966م. وقد تصدر الكتاب ترجمة لحياة المؤلف، والكتاب يحوي عددا من القصائد الشعريّة تناولت فنون الشعر المختلفة، فضلا عن الرسائل التي وجهها المؤلف إلى عدد من السادة العلماء والأكابر. ومن مآثره أنّه أنشأ في عام 1932م مكتبة في الموصل ضمت عدّة آلاف من الكتب وعشرات المخطوطات في اللغات العربيّة، والانكليزيّة، والتركيّة، وتدور مواضيعها على التاريخ والأدب والعلوم الطبيعيّة والرياضة والفلك والفلسفة.

■ المصادر والمراجع

● درويش، محمود فهمي وآخرين، دليل الجمهوريّة العراقيّة لسنة 1960، بغداد، دار مطبعة التمدن 1380هـ/ 1961م؛ ● العلاف، ابراهيم خليل، محمد صديق الجليل، موسوعة الموصل الحضاريّة، الموصل، جامعة الموصل، 1412هـ/ 1992م، ج 5؛ ● عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين، بغداد، مطبعة الارشاد، 1969، ج 3؛ ● المرزوك، صباح نوري، معجم المؤلّفين والكتاب العراقيين، بغداد، بيت الحكمة 2002، ج 7؛ ● المطبعي، حميد، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، 1996، ج 3؛ ● وزارة الداخليّة العراقيّة، الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936، 1355هـ/ 1936م.

د. بهجة كامل عبد اللّطيف

جامعة بغداد ـ العراق

■ جماع، إدريس محمد

(1341هـ/ 1922م ـ 1388هـ/ 1968م) ■ ■ ■

إدريس محمد جماع ينتمي إلى أسرة جماع من أبناء عجيب المانجلك بن عبد الله زعيم العبدلاب الذين تحالفوا مع الفونج لإقامة مملكة سنار في بداية القرن السادس عشر الميلادي. وكانت عاصمتهم حلفاية الملوك التي ولد فيها شاعرنا إدريس جماع.

تلقى تعليمه الأساسي في خلوة القرآن عام

1930، وفي عام 1934 التحق بمدرسة أم درمان الوسطى ثم تركها ليلتحق بمعهد بخت الرضا عام 1936، وبعد تخرّجه معلّما عُيّن مدرّسًا بمدرسة تنقسي الجزيرة عام 1941 ثم الخرطوم الأولية عام 1943 ثم إلى حلفاية الملوك عام 1944م. استقال وهاجر إلى مصر على نفقته عام 1947 حيث التحق بمعهد المعلمين بالزيتون، والتحق في نفس العام بكلية دار العلوم وتخرّج فيها عام 1955 نقل إلى مدرسة السنتين ببخت الرضا وتردد على عدد من المدارس. وفي هذه الفترة من حياته تعرّض لظروف نفسية قاهرة عزلته عن الناس حتّى وفاته. وكان كريم النفس، رقيق المشاعر، شاعرًا بالغ الحساسية. لم يقف شعره عند وصف مشاعره نحو الطبيعة التي أجاد وصفها، بل امتدّ لقضايا الوطن والأمة على النطاقين العربي والإسلامي.

آثاره

اشتهر إدريس جماع بشعره الرقيق الذي كان ينساب دون تكلفة وكثيرًا ما كان يقوله عفو الخاطر دون الاستعانة بالورق والقلم ولذلك ضاع معظم شعره وما بقي منه وهو كثير اشتمل عليه ديوانه الذي سماه «لحظات باقية» وطبع ثلاث مرات آخرها عام 1998 ويقع في مائة وست وثلاثين صفحة وضم ستًا وستين قصيدة تناول فيها مختلف الموضوعات مثل وصف الطبيعة، ووصف حنايا النفس الإنسانية، وتحدث كثيرًا عمّا ألمّ به في قصيدة لعلّها آخر ما نظم بعنوان «صوت من وراء القضبان»، وتناول قضايا الوطن والأمّة العربية في قصائد عديدة مثل «نشيد قومي»، «نسمة الحرية»، «نشيد العلم السوداني»، «نضال لا ينتهي»، «نشيد لجامعة الخرطوم»، «السودان»، «روح السودان»، «صوت الجزائر»، «لحن الفداء»، «لقاء القاهرة»، «عناق قطرين».

يمتاز شعره بجزالة اللفظ في غير تقعر وهو من رواد مدرسة الشعر الحديث في العالم العربي، وهو وإن لم نجد في شعره ما عرف بالشعر الحر أو شعر التفعيلة، غير أنه يمتاز بالرقة والصور البديعة، وقد كتب عنه محمد حجاز مدثر كتابًا سماه «جماع: قيثارة الإنسانية»، وكتب عنه الدكتور عبد القادر الشيخ إدريس رسالة عن شعره نال بها درجة الدكتوراه من جامعة الخرطوم.

المصادر والمراجع

● الشيخ إدريس، الدكتور عبد القادر، جماع شاعرًا، القاهرة، د.ت؛ ● مدثر، محمد حجاز، جماع قيثارة الإنسانية، القاهرة، د.ت؛ ● بدوي، عبده، الشعر الحديث في السودان، المجلس الأعلى لرعاية الفنون، القاهرة، 1964م؛ ● مؤسسة البابطين، مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين، الكويت، 2001م؛ ● قاسم، عون الشريف، موسوعة القبائل والأنساب في السودان، الخرطوم، 1996م؛ ● قاسم، عون الشريف، من صورة التمازج القومي في السودان، أم درمان، 1995م.

د. عون الشريف قاسم
جامعة الخرطوم ـ السودان

ابن جماعة، بدر الدين محمد

(639هـ/1241م ـ 733هـ/1332م)

بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة ابو عبد الله، فقيه شافعي محدث نحوي، من أسرة علم برزت واشتهرت في العصر المملوكي بالشام ومصر وتعاقبت أجيال أعلامها على خطة القضاء بالقدس ودمشق ومصر إلى بداية القرن العاشر الهجري والسادس عشر ميلادي.

ولد بدر الدين بن جماعة بمدينة حماة وبها قضى طفولته، وقد أخذ عن أبيه برهان الدين إبراهيم الفقه والحديث خاصة، كما سمع الحديث في هذه المدينة سنة 650هـ/ 1252م من شيخ الشيوخ الأنصاري [اليافعي، مرآة الجنان، ج 4، ص 287]، ثمّ قدم إلى دمشق، وكانت في عصره محجّ العلماء وطلبة العلم، فسمع من ابن أبي اليسر، وابن عبد، وابن الأزرق، والنجيب، وابن علاق، والمعين الدمشقي. وارتحل إلى مصر، وأخذ علومه بالقاهرة عن القاضي تقيّ الدين بن رزين، وقرأ النحو على الشيخ جمال الدين بن مالك [العسقلاني، الدرر الكامنة، ج 3، ص 369]، وسمع من الرضي بن البرهان، والرشيد العطار، والتاج القسطلاني، والمجد بن دقيق العيد [الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6، ص 105]، كما سمع من أصحاب البوصيري. وأجازه ابن مسلمة وغيره، كما أجازه مكي بن علان، وإسماعيل العراقي، والمصفى، والبرازعي وغيرهم [السبكي، طبقات الشافعيّة، ج 5، ص 46].

لقد تفقّه واشتغل بالعلم ومهر في فنون متعدّدة وساد أقرانه. حدث بالشاطبية عن ابن عبد الوارث صاحب الشاطبي، وفي رمضان من عام 687هـ/ 1288م ولي قضاء القدس الشريف، كما ولي الخطابة والإمامة بالمسجد الأقصى. وفي سنة 690هـ/ 1291م نقل إلى مصر حيث عُيِّن قاضيا على الديار المصرية، وجمع له بين القضاء ومشيخة الشيوخ. وبعد وفاة الملك الأشرف بدر الدين بيسري بنحو سنة نقل إلى دمشق حيث جمع له بين القضاء ومشيخة الشيوخ والخطابة في الجامع الأموي، وصرف عنها سنة 693هـ/ 1293م بالقاضي إمام الدين القزويني، واستمرّ بالخطابة والتدريس بالقيمرية بأمر السلطان الملك المنصور تقديرًا له وإكراما. ثمّ أعيد إلى قضاء دمشق ومشيخة الشيوخ سنة 694هـ/ 1294م إضافة إلى ما بيده من الخطابة والتدريس، ودرس كذلك بالعادلية وغيرها من مدارس دمشق. وفي سنة 701هـ/ 1301م جلس قاضي القضاة ابن جماعة بالخانقاه حيث أصبح بها شيخ الشيوخ بطلب الصوفية له في ذلك ورغبتهم فيه [قضاة دمشق لابن طولون، ص 80 ـ 81]. وفي سنة 702هـ/ 1302م توفّي قاضي القضاة بمصر تقي الدين بن دقيق العيد، فولاّه السلطان بدله

قاضي قضاة مصر. وعند سفره من دمشق إلى مصر خرج في توديعه نائب السلطان، وأعيان الناس. ولما عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك عزل القاضي ابن جماعة بالقاضي جمال الدين الزرعي سنة 710هـ/ 1310م لامتناعه يوم عقد المجلس لسلطنة الملك المظفر. وبعد سنة أعيد إلى القضاء وجعل الزرعي قاضي العسكر. واستمرّ ابن جماعة على القضاء ودرّس في جامع ابن طولون وأغلب مدارس القاهرة كالصالحيّة والناصريّة والكامليّة والزاوية المنسوبة إلى الإمام الشافعي. ثمّ استعفى من القضاء بعد أن شاخ وضعف بصره وثقل سمعه، فصرف عن القضاء سنة 727هـ/ 1327م.

لقد كان ابن جماعة الحموي كما وصفه المؤرخون ذكيّا، فطنا، مناظرا، تام الشكل، وافر العقل، حسن الهدي، متين الديانة ذا تعبّد وأوراد، وحمد في القضاء، وتنزّه عن معلومه، قويّ المشاركة في الحديث، فقيها، أصوليا، مفسّرا، أديبًا، ناثرًا، مشاركا في غير ذلك من العلوم.

وممّا يلفت الانتباه بصفة خاصّة في مصنّفات ابن جماعة تلك التي وضعها في فنون ليس التأليف فيها شائعا كالتربية والفنون العسكرية، فقد خصّص للفنّ الأوّل كتابه «تذكرة السامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم». وقد أدرك ابن جماعة أهمّية المعلّم ودوره في نجاح العمليّة التربويّة، وهو يرى أنّ تحقيق أهداف التعليم منوط بحسن اختيار المعلم وامتلاكه للصفات الحميدة.

ولكي يستطيع المتعلّم بلوغ مراده وتحقيق أهدافه، عليه أن يحسن اختيار معلّميه، بحيث «يعتمد في كلّ فنّ من هو أحسن تعليما له، وأكثر تحقيقا فيه وتحصيلا منه... وذلك بعد مراعاة الصفات المقدّمة من الدين والصلاح والشفقة وغيرها» [تذكرة السامع، ص 114 ـ 115]. وليس كلّ أحد يصلح للتعليم عند ابن جماعة، إنّما يصلح له من تأهّل تأهيلا جيّدا، وأعدّ إعدادا طيّبا، ومن الخطأ أن يتصدّر إنسان للتدريس قبل أن تكتمل أهليّته للتعليم: «من تصدّر قبل أوانه فقد تصدّى لهوانه» [تذكرة السامع، ص 45].

ويهيب ابن جماعة بالمعلّم أن لا يعلّم علوما، أو يدرّس فنونا، إلّا إذا تحقّق له «تمام الاطّلاع وكثرة بحث وطول باع» [تذكرة السامع، ص 87]. وعلى المعلّم أن لا ينقطع عن التعليم والتعلّم، وأن يداوم على البحث والدراسة، ويلزمه «دوام الحرص على الازدياد بملازمة الجدّ والاجتهاد... والاشتغال والأشغال قراءة وإقراء ومطالعة، وفكرا وتعليقا وحفظا، وتصنيفا وبحثا، ولا يضيّع شيئا من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل إلّا بقدر الضرورة» [ص 26 ـ 27].

ولم يكتف الشيخ بن جماعة بتوجيه المعلّم إلى ضرورة مواصلة التعلّم للوصول إلى تقديم تعليم ناجح وفعّال، بل راح يبيّن له وسائل التعلّم، ويرشده إلى أكثرها فعاليّة من وجهة نظره، فيدعوه إلى «القراءة والمطالعة والتعليق والحفظ والبحث»، وإلى «الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف»، لأنّ التأليف والتصنيف في رأي ابن جماعة يزيد من حصيلة المعلّم في العلوم والمعارف والخبرات، لأنّ المعلم إذا اشتغل بالتأليف اضطرّ إلى أن «يطّلع على

حقائق الفنون، ودقائق العلوم، للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتنقيب». ولكنّه في الوقت ذاته يضع ضوابط للتأليف، فيقول: «والأولى أن يعتني (في التأليف) بما يعمّم نفعه، وتكثر الحاجة إليه، وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه متحرّيا إيضاح العبارة في تأليفه: معرضا عن التطويل المملّ والإيجاز المخلّ، مع إعطاء كلّ مصنّف ما يليق به، ولا يخرج تصنيفه من بين يديه قبل تهذيبه وتكرير النظر فيه وترتيبه».

كما يطالب ابن جماعة المعلّم أن يكون ذا ثقافة عامّة إلى جانب إلمامه التام بتخصّصه، ذلك لأنّ التعليم في رأيه ليس مجرّد نقل المعلومات من المعلّم إلى التلميذ فحسب، وإنّما هو أشمل وأوسع، فهو بالإضافة إلى ذلك يتّسع ليشمل تنمية عقل التلميذ وتعليمه وتفهيمه ببذل جهده، وتقريب المعنى له. ويرى ابن جماعة أنّ على المعلّم أن يلمّ بمعارف كثيرة غير مادّة التخصّص، وألّا يدع علما من العلوم إلّا ونظر فيه، فإنّ ساعده القدر وطول العمر على التبحّر فيه فذاك، وإلّا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم، ويعتني من كلّ علم بالأهمّ فالأهمّ.

ويرى ابن جماعة أنّ نجاح المعلّم في عمله يتطلّب أيضًا معرفته بأحوال تلاميذه وخصائصهم، وبقدرات كلّ فرد منهم واستعداداته، فالمتعلّمون يتشابهون في بعض الوجوه، ويختلفون في وجوه أخرى، من هنا كان على المعلم أن لا يبدأ في تعليم أحد تلاميذه «حتّى يجرّب ذهنه ويعلم حاله» [المصدر السابق، ص 56] فإن توصّل إلى معرفة مدى قدراته واستعداداته، كان من الطبيعي أن «لا يلقي إليه ما لم يتأهّل له، لأنّ ذلك يبدّد ذهنه، ويفرّق فهمه».

وعلى المعلّم أن يتحلّى بكريم الخصال وحسن الأدب والخلق إذا أراد أن يقدّم تعليما ناجحا، ذلك أنّ التلميذ سريع التأثّر بمعلّمه، الذي يحبّه، ويرى فيه القدوة الحسنة، فهو «يسلك في السمت والهدى مسلكه، ويراعي في العلم والدين عاداته وعباداته، ويتأدّب بآدابه، ولا يدع الاقتداء به». أما فنون الحرب فقد وضع فيها ابن جماعة كتابه «مستند الاجناد في آيات الجهاد» وهو في ثلاثين بابا بدأه بذكر السلاطين وأمراء الجيوش ومكانتهم وما عليهم وخدمتهم والبذل لهم وفضلهم ومنزلة الشهداء عند الله تعالى وما ورد فيهم من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة. ثمّ تكلّم عن السلاح وأنواعه وصفاته والخيل وأنواعها وما ورد فيها وما يستحب منها ورباطها، وكيفيّة الخروج للجهاد ونزول الجند وتقسيم الجيوش وتنظيمها على وحدات قتالية، والتعبئة للقتال والبيات والغارات.

لقد نهج المؤلّف أسلوبا خاصًا في ترتيب كتابه فبعد أن استقصى المعلومات وجمعها وصنفها حسب ارتباط المعلومات بعضها ببعض كأصول من فروع، نسقها في نصوص كثيرة من هذا الكتاب خصوصًا في الأبواب المتعلّقة بالأسلحة وأنواعها وأوصافها واستخدامها كالسيوف، والرماح، والقسي، والسهام، والنبل، والكنائن، والدروع، والبيضة، والمغفر، والمنجنيق.

ثم تناول الألوية والرايات التي ترفع أثناء القتال، وقد ذكر رايات القبائل العربيّة

وعرضها بأسلوب مبسط، سهل التناول، واضح المعنى، غنيّ الإفادة، مع احتفاظه بالعمق والشمول والإحاطة الكافية بكل جوانب المادّة التي تضمنها كتابه.

كما أنه أورد آراء الفقهاء المختلفة بالأحكام الشرعيّة المتعلّقة بالجهاد ونتائجه والتي يمكن أن نسمّيها بأحكام الحرب فلم يقتصر على مذهب واحد من المذاهب رغم انتمائه إلى المذهب الشافعي، وبذلك حقق دراسة مقارنة في بعض الأحكام وبعضها الآخر، وضعها كما وردت حسب إجماع الفقهاء.

وما تميّز به منهجه العلمي في هذا الكتاب أنه ذكر المصادر الرئيسية التي اعتمدها في ديباجة كتابه، والمصادر الأخرى أشار إليها في تضاعيف الكتاب، عند انتقاء النصوص منها.

ومن المصادر المهمّة التي اعتمدها المؤلّف، كتاب مفقود لم تصل إلينا منه نسخة خطّيّة، ولم تذكره معظم المصادر والمراجع، وهو: «كتاب الصوائف» لمحمد بن عائذ بن أحمد القرشي الدمشقي (ت 233هـ/ 847م) [معجم المؤلفين، 10/ 117] وقد نقل مع ذكر أشكال ورموز، وحجم راية كل قبيلة، والعذبات التي تتدلى منها. وبهذا فقد أفادنا المؤلف في أنّه أوصل إلينا نصوصًا مهمة من هذا السفر الضائع.

كما نقل المؤلف الكثير من النصوص من كتاب الخراج لأبي يوسف (ت 182هـ/ 798م)، والأحكام السلطانية لعلي بن محمد البصري الماوردي (ت 450هـ/ 1058م)، والأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد البغدادي (ت 458هـ/ 1066م)، وسراج الملوك للطرطوشي (ت 520هـ/ 1126م)، وكتب أخرى في الفقه والتفسير.

وقد تتلمذ عليه طيلة عشرات السنين التي قضاها في التدريس بدمشق والقاهرة خاصّة عدد كبير من الطلبة من أشهرهم صلاح الدين الصفدي (696 ـ 764هـ/ 1296 ـ 1362م) صاحب الوافي بالوفيات، وبهاء الدين السبكي (719 ـ 773هـ/ 1319 ـ 1371م) صاحب شرح تلخيص المفتاح، وتاج الدين التبريزي (677 ـ 746هـ/ 1278 ـ 1345م)، ومنهم أيضا محمد بن عبد الوهاب الأسنائي (678 ـ 739هـ/ 1279 ـ 1338م)، ومحمد عز الدين بن الكويك (715 ـ 790هـ/ 1315 ـ 1388م)، وشمس الدين بن ناظر الجيش، وصلاح الدين البلبيسي (705 ـ 792هـ/ 1305 ـ 1389م)...

ومن الجدير بالذكر أن أسرة بني جماعة أسرة علم وقضاء ويعتبر بدر الدين هذا أوّل من اشتهر منها بعلمه وخطط القضاء الشافعي التي وليها بدمشق والقدس والقاهرة، وسيضطلع بهذه الخطة أعضاء الأسرة إلى القرن العاشر الهجري، وقد تفرّعت الأسرة فرعين فرع في القاهرة ورأسه بدر الدين وفرع القدس ورأسه أخوه عبد الرحمٰن (ت 741هـ/ 1340م)، ومن أشهر أحفاد بدر الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة وهو حسب السيوطي متكلم جدلي نحوي لغوي بياني جامع لأشتات العلوم له مئات المؤلفات [بغية، 1، 63 ـ 64].

آثاره

وضع بدر الدين بن جماعة مصنفات متنوّعة المواضيع من حديث وقرآن وكلام ونحو ومنها:

1 ـ شرح الكافية، تح. د. محمد عبد النبي

عبد المجيد، مطبعة دار البيان بمصر 1408هـ/ 1987م؛ هذا الكتاب هو في الواقع مختصر يجمع قواعد النحو العربي الأساسية اعتمادا على كافية ابن الحاجب مع تنبيه على ما «حذفه اختصارا للمقدمة الحاجبية» على حدّ تعبير المؤلف، ص 5؛ 2 ـ تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام، وقد نشره H. Kofler في Islamica، الاعداد 6 و7 . . . تح. د. فؤاد عبد المنعم، دار الثقافة بالدوحة؛ 3 ـ مختصر هذا الكتاب ومنه مخطوط برلين رقم 5613؛ 4 ـ تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تح الأمير شمس الدين، دار إقرأ، بيروت 1986؛ وقد نشره محمد هاشم الندوي في حيدر آباد سنة 1353؛ 5 ـ كشف المعاني عن متشابه المثاني، تح. عبد الغفار بدرس لرسالة الماجستير بالمدينة المنوّرة سنة 1401هـ؛ 6 ـ المنهل الروي في الحديث النبوي، تح. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 21؛ 7 ـ مستند الأجناد في آلات الجهاد، تح. أسامة ناصر النقشبندي، وزارة الثقافة والاعلام بالعراق 1983م؛ 8 ـ الأحاديث الأربعون التساعيات الإسناد، مخطوط ببرلين رقم 622؛ 9 ـ مختصر في مناسبة تراجم البخاري لأحاديث الأبواب، مخطوط بالقاهرة أول 7/ 260؛ 10 ـ مختصر في سيرة النبي، مخطوط بالقاهرة ثان 5/ 335؛ 11 ـ الفوائد اللاحقة من معاني الفاتحة، مخطوط بليدن رقم 1636؛ 12 ـ تنقيح المناظرة في تصريح المخابرة، مخطوط في الأسكوريال رقم ثان 2/ 1598، والقاهرة ثان 1/ 507؛ 13 ـ عزة التبيان في تفسير القرآن، مخطوط في الأسكوريال ثان 3/ 1598؛ 14 ـ التنزيه في أبطال حجج التشبيه؛ 15 ـ الطاعة في فضيلة الجماعة؛ 16 ـ كتاب النحو السهيلي؛ 17 ـ كتاب التعريف بالإعلام. . .

المصادر والمراجع

● السبكي، طبقات الشافعية، المطبعة الحسينية ج 5، ص 230؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، دار النشر فرانز شتاينر، فسبادن 1394هـ/ 1974م، ج 2، ص 18 ـ 20؛ ● م. ن، نكت الهميان في نكت العميان، المطبعة الجمالية بمصر 1329هـ/ 1911م، ص 235؛ ● ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات؛ ● اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 2، 1390هـ/ 1970م بيروت؛ ● ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حيدر آباد الدكن 1348 ـ 1350هـ، ج 3، ص 2، ص 48؛ ● السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 2، 1968، ج 1، ص 425، ج 2، ص 168 ـ 171؛ ● العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، القاهرة 1283هـ، ج 2، ص 481؛ ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، القاهرة 1350 ـ 1351هـ، ج 6 ـ 121؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، مكتبة المثنى؛ ● اسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون على كشف الظنون، مكتبة المثنى، بغداد؛ ● رضا كحالة، معجم

المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي ورمضان عبد التواب، دار المعارف بمصر 1995، القسم السادس، ص 285 ـ 287؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، ط. جديدة، المجلد 3؛ ● العسلي، كامل جميل، من عائلات العلماء في القدس، بنو جماعة الكنانيون القضاة والعلماء، مجلة البيادر، السنة 3، العدد 11 ـ 12، ص 74 ـ 93.

د. جبرائيل بشارة
جامعة دمشق ـ سوريا
د. عبد القادر المهيري
الجامعة التونسية
د. أسامة ناصر النقشبندي
دار المخطوطات ـ بغداد ـ العراق

جماعة غار مَجْماج

(...هـ/...م ـ ...هـ/...م)

مجماج بفتح فسكون ففتح ومدّ، تنطق الجيم حاليًا حسب اللّهجة المصريّة، ويطلق الاسم على جهة من جهات جزيرة جربة بالجمهوريّة التونسيّة غربيّ الحارة الصّغيرة. (الرّياض حاليًا).

ولسنا ندري هل أنّ الجماعة نسبوا إلى الجهة أو نسبت الجهة إليهم، إلّا أنّنا نرجح الرّأي الثّاني، ذلك أنّ هذه اللّفظة بربريّة مفادها جماعة مختلطون كأنّهم شخص واحد، ويبدو أنّ أوّل من اختلط هناك هم السّبعة المذكورون في كتب السّير.

ومفردها في اللّهجة الميزابيّة اتمجموج وتجمع على اتمجموجن.

ولا يزال الغار معروفا إلى الآن وقد بني على خمسة أمتار، جنوبه مسجد يسمّى جامع الغار أو جامع ابن بيان لأنّ هذه الأسرة تكفّلت به في العهد الأخير.

هذا غار مجماج فمن هم السّبعة الّذين اجتمعوا فيه؟ ومتى كان اجتماعهم؟ وما هي صلتهم بالعزّابة؟

تتّفق المصادر على أنّهم سبعة وهم: أبو عمران موسى بن زكريّاء المزاتي الدّمري، أبو محمّد عبد الله بن مانوح اللّمائيّ الهواري، أبو عمرو النّميلي الزّواغي، أبو يحيى زكريّاء بن جرناز النّفوسيّ، جابر بن سدرمام بفتح وشدّ فسكون، كباب بن مصلح المزاتي، أبو مجبر توزين المزاتي.

1 ـ أبو عمران موسى بن زكريّاء المزاتي الدّمريّ (حوالي 360 ـ 430هـ/ 971 ـ 1039م) مزاتيّ الأصل، ومزاته قبيلة بربريّة ترجع إلى اللّواتيين تعيش في الجنوب التّونسي [ر. لترنو Le Tourneau ترجمة كتاب السّيرة. المجلّة الإفريقيّة R.A 1960 تعليق 107] ولذلك قيل إنّه دمّريّ. ودمّر تقابل

منطقة بني خداش بالبلاد التّونسيّة (2002م) وقد كانت عامرة بالإباضيّة من أواسط القرن الثّاني هـ/ 8م. الرّاجح أنّه ولد بتيجديت وهي حسب الشّماخي موضع معلوم بقبلة أريغ يعني جنوب أريغ [سير، 488] وهي تقابل جهة تقرت ببلاد الجزائر حاليّا.

وقد كانت هي الأخرى مركزا إباضيّا مهمّا بعد سقوط الدّولة الرّستميّة (296هـ ـ 908م)، وقد كان لشيوخها دور فعّال في توجيه أبي عبد الله محمّد بن بكر (ت 440هـ ـ 1049م) لتأسيس وادي مزاب في جبال بني مصعب. وبعد أن نال نصيبه من العلوم ببلاد أريغ رحل إلى قسطيليّة بلاد الجريد حاليّا بالبلاد التّونسيّة. فتتلمذ على الشّيخ أبي القاسم الحامّي (ت 358هـ ـ 967م)، و قد كان أشهر أهل عصره وأعلمهم ولقد كانت له صولة إلى حدّ أنّ المعزّ لدين الله الفاطميّ أمر عامله على الحامّة بقتله ونتجت عن ذلك ثورة أبي خزر يغلا بن زلتاف [الشّماخي، سير تونس، 310 ـ 323].

كما رحل إلى جزيرة جربة فنزل بمدرسة الجامع الكبير وأخذ عن أبرز شيوخها أبي زكريّاء فصيل بن أبي مسور [سير، تونس، 340] وقد ذكر صاحب كتاب السّيرة شهادته التّالية في شيخه: «لو كانت إمامة المسلمين في هذا الزّمان لاستحقّها أبو زكريّاء». [السّير، تونس، 242]، وأبي صالح بكر بن قاسم [الشّمّاخي: تونس 335]، كما يذكر ذلك ولده أبو محمّد ويسلان [سير، تونس، 347] «أنّه ندم على ثلاثة أشياء. من بينها أنّه فوّت مجالس أبي عمران لأنّه أخذ عن والده أبي صالح» [السّيرة، تونس، 352]. وإن سكتت المصادر عن ذكر بقيّة شيوخ مدرسة الجامع الكبير آنذاك فإنّنا نرجح أنّه أخذ عنهم وأبرزهم آنذاك إلى جانب الشّيخ فصيل والشّيخ أبي صالح، أبو موسى عيسى بن السّمح الزّباني وأبو محمّد كموس وغيرهما. هكذا نتبيّن صدق عبارة الدّرجيني: «أدرك المشائخ وروى عنهم» [طبقات، 2/ 409].

وتثبت المصادر أنّ أبا عمران كان كثير التّنقل شغوفا بطلب العلم ومحاورة العلماء [سير، ت، 375، 381] وإزاء تمكّنه من العلوم الشّرعيّة كان يولي قيمة كبيرة لتعلّم اللّغة العربيّة وعلم الفروع وحمل الكتب ونقلها، [سير، ت، 381] . بهذا نتبيّن أنّه بلغ درجة عالية في العلم فشهد له أقرانه بأنّه أعلمهم .

وهذا ما حدا بأبي عبد الله محمّد بن بكر وهو يرغب في استكمال علم الفروع أن يمّم شطر أبي عمران وقد كان يرجّح أنّه كان بقسطيليّة وهذا سنة 408هـ ـ 1018م، وهنالك التقى الوفد الجّربيّ فانطلق بعد إلحاح في تأسيس نظام العزّابة دون أن تذكر المصادر أنّه أخذ عنه. ولكن هذه المصادر تذكر أنّ أبا عمران راسل أبا عبد الله في مسألة من مسائل الولاية والبراءة [السّيرة، ت، 344 ـ 345]، والرّاجح أنّ هذه المراسلة كانت بعد أن استقام نظام العزّابة: «ثمّ كان ذات ليلة، جاز أبو عمران على العزّابة» [السّيرة، ت، 344].

والملاحظ أن كتب السّير والطّبقات تثبت عديدا من الفتاوى تبيّن قدرة أبي عمران العلميّة. ممّا جعل الدّرجيني يقول: «سادت تلامذته» [طبقات، 2/ 409]، وممّا سبق يثبت أنّه كان له مجلس علم بجربة ممّا جعل

أبا محمّد ويسلان يأسف على عدم إدراكه هذه الحلقة ممّا يجعلنا نرجح أنّ أقران أبي محمّد قد أخذوا عنه ومنهم زكريّاء ويونس ابنا فصيل، وبكر ابن أخته، وغيرهم من أبناء مدرسة الجامع الكبير الّذين تأسّس معهم وبهم نظام العزّابة. كما كان له مجلس علم بقسطيلية وهو الّذي توجّه إليه أبو عبد الله محمّد بن بكر ولم ينهل منه. ونرجّح أنّه كان يتردّد عليه خلق كثير لعلّ من بينهم أبا الرّبيع سليمان بن يخلف.

والرّاجح أنّ أبا عمران كان السّبب في تأليف ديوان غار أمجماج. قال الدّرجيني: «وسبب نسبتهم إلى غار أمجماج أنّهم اجتمعوا به، وصنّفوا تصنيفا في الفقه مشهورا. في اثني عشر جزءا، فتولّى نسخه أبو عمران لجودة الخطّ، فنسب إليه التّصنيف، وليس له ما عليهم فضل سوى فضل البنان، وإلّا فهو كأحدهم في فضل البنيان، شريك في ما أودعوه شركة عنان، ذكروا أنّ أبا عمران رأى في منامه أنّ يده صارت مصباحا فقصّ رؤياه على معبّر الرّؤيا. فقال له: «هذا رجل يحيي دين الله بيده، فلم يبعد». [طبقات، 2/ 409].

وبهذا يتبيّن لنا أنّ إقامة أبي عمران كانت بجربة قبل سنة 408هـ/ 1017م حيث درس على أبي صالح، ثمّ جلس لتدريس الفروع. وآنذاك تمّ تأليف الدّيوان وائتلاف جماعة غار مجماج على رأس القرن 4هـ/ 10م.

2 ـ أبو محمّد عبد الله بن مانوح اللّمائيّ الهواري (حوالي 330 ـ430هـ/ 942 ـ 1039م)، ولد في البادية المتاخمة للجهة الغربيّة من جزيرة جربة في نهاية العقد الثّالث من القرن الرّابع للهجرة (10م) وتتّفق المصادر على أنّ نشأته كانت بعيدة عن العلم والعلماء، وتقدّمت سنّه وهو يرعى الأغنام في البادية مع الرّعاة، إلى أن شاء القدر أن يحوّل مجرى حياته فكان الأمر كما يلي: «وذكر أنّ (أبا محمّد) ممّن تاب بعد الكبر، وكان السّبب أن لقيه رجل من لماية يرعى غنما، فقال: نِعْمَ الغنمُ الّتي ترعاها لحية، وبئس اللّحية الّتي ترعى الغنم. فوقعت التّوبة في نفسه فأتى المشائخ: أبا مسور (يسجا بن يوجين اليهراسني)، وأبا صالح (البهراسني)، ورجع إلى أهله، فلقيه الشّيخ الّذي ذكرها أوّلا. فقال: جميع الإبل تبرك للحمل، ولكن التّفاضل في التّبليغ. فرجع، فمكث ما شاء الله، ثمّ رجع إلى أهله، فلقيه، فقال: جميع الأواني تصلح لأخذ المائعات والتّفاضل في ما يبقى فيه الماء. فرجع فبقي عندهم حتّى تفقّه، وصار إماما ومشارا إليه». [سير تونس، 374؛ السّيرة، تونس، 283؛ طبقات، 2/ 400].

إنّه حدث طريف يدلّ على أنّ الشّيخ اللّمائيّ توسّم في عبد الله بن مانوح ملامح النّبوغ رغم تقدّم سنّه، فأثار فيه حمية طلب العلم وعيّره بأن مثل وقاره لم يخلق لرعي الغنم وإنّما خلق لأمر آخر ألا وهو طلب العلم.

وفعلا لقد صادف عبد الله بن محمّد مدرسة الجامع الكبير في أوج عطائها مع مؤسّسها أبي مسور، وهو مرسي أسس المذهب الإباضيّ على المسلك الوهبيّ بجربة [سير تونس، 308]، ورفيقه أبي صالح [ن. م، 335]، وأبي موسى عيسى بن السّمح الزّباني [ن. م، 344] كما نرجّح أنّه أخذ أيضا عن أبي زكريّاء فصيل ولد أبي مسور إذ يقول فيه:

«لو كان الوحي ينزل في هذا الزّمان على أحد لاستحقّ أبو زكريّاء أن ينزل عليه» [السّير، ت، 242].

وتلحّ كتب السّير على سعة فقهه وخاصّة على ورعه. من ذلك أنّه يقول: «ما استسلفت قطّ دينارا غير دينار واحد، وقد رددته بعينه» [سيرة، 285]. كما أنّه كان متفائلا يحسن الظّن بأهل زمانه وقد ردّ على تشاؤم عمروس الزّواغي بقوله: «علامَ تقول ذلك؟ أليس قد قالوا: من (يصلّي) الصّلوات الخمس قد ملأ ما بين السّماوات والأرض عبادة» [سيرة، 288]. كما أنّه كان يحرص كلّ من له علم أن ينشره في غيره [سيرة، 288].

وقد أثبتنا في كتابنا عن العزّابة أنّه عايش نشأة هذا النّظام بجربة، وليس مستبعدا أن تكون قد التفت حوله حلقة. «وعن عبد الله (بن مانوح) قال لمن حوله من العزاب يحثهم على النّوافل» [نظام، 172 ـ 173] .

وتذكر المصادر أنّ لأبي محمّد أولادا كان يحذّرهم عن الرّجوع عن الإسلام، ومنهم ولده داود الّذي خاض غمار فتنة ثمّ تاب ورجع بعد ذلك إلى الخير [سير، ت، 285 ـ 286].

وتثبت المصادر أنّه تقدّمت سنّه حتّى تخلّى عن الفتوى [سير، 376] لكنّها لم تحدد تاريخ وفاته، لكن نرجح أنّها قبل نهاية العقد الثّالث من القرن الخامس للهجرة.

3 ـ أبو عمرو النّميلي الزّواغي (311 ـ431هـ/ 923 ـ 1039م)، ولد بجربة سنة احتلال الشّيعة لها ، وقتل بها شهيدا سنة هجوم المعزّ بن باديس عليها مع العلماء الّذين تصدّوا لجيشه [طبقات، 2/ 365].

الرّاجح أنّه نشأ في محيط مدرسة الجامع الكبير وبها تعلّم وعلّم مع علمائها ومع الوافدين عليها في هذه الفترة الحرجة من حياة الإباضيّة بشمال إفريقيا وخاصّة بجربة .

يذكر الدّرجيني خبرا يثبت اعتراف علماء مدرسة الجامع الكبير له بطول الباع في العلم «فلمّا وصل (أبو محمّد عبد الله بن زورستن) جربة قصد أبا صالح إلى المسجد، قال: وحان وقت صلاة الظّهر وحلّقت الجماعة، وناولني كتابا، فكنت أقرأ وأفسر حتّى جاء أبو صالح وأمسكت عن التّفسير، فقالوا له: فسّر، فجعلت أقرأ الكتاب، فقال لي بعض من في المجلس: فسرّ لنا، وكان في المجلس أبو عمرو النّميلي ولم أعرفه قبل ذلك، قال: فطفقت أقرأ، فقالوا له: فسّر لنا يا شيخ، فأحال أبو صالح على أبي عمرو النّميلي، فكنت أقرأ ويفسّر، فأصابني خجل لما فرط منّي إذ تكلّفت التّفسير بمحضر منه ولم أعرف مكانه» [طبقات، 2/ 396].

كما يقول في ترجمته منوّها بغزارة علمه: «ومنهم أبو عمرو النّميلي رحمه الله، الرّاسخ القدم. الّذي كان الورع خدينه، والعلم من كلّ جهة قرينه، وهو أحد أقطاب الجزيرة، تحرّى فيها الفرض والسّنة والسّيرة» [طبقات، 2/ 364؛ الشّماخي، سير تونس 342 ـ 343].

وتتّفق المصادر على شغفه بمطالعة المسائل حتّى في آخر عمره وقد تقدّمت سنّه، ويعلّق الدّرجيني على ذلك بقوله: «فهكذا كانت أحوال السّلف وأخلاقهم. لا يضيّعون

الوقت، ولا يفوّتون الغائب» [طبقات، 2/ 365].

واتّفق على أنّه عاش مائة وعشرين عاما، ومات شهيدا قتله بنو واتراتن من زويلة [سير تونس، 343] وكان ذلك سنة 431هـ/ 1039م. فيستنتج من ذلك ثباته على الحقّ وإقدامه على المعركة رغم تقدّم سنّه، وقبره معروف شمال الجامع الكبير بجزيرة جربة.

إنّ الترجمة لهذا الثلاثي من جماعة غار مجماج مكّنتنا في كتابنا نظام العزّابة من أن نرجّح أنّ الدّيوان ألف قبيل سنة 400هـ/ 1009م لعدّة قرائن [نظام، 170، 173، 176].

وأقصى ما يمكن أن نقرّره هو أنّ التّوجه لمثل هذا النشاط العلميّ جعل علماء الإباضيّة يفكّرون في الابتعاد عن النّشاط السّياسيّ ودخول مرحلة الكتمان والتّفرغ لخدمة مصالحهم والاعتناء بنظامهم الدّاخليّ. وفعلا في هذه العشريّة الأولى من القرن الخامس تمّ تأسيس نظام الحلقة.

أمّا بالنّسبة إلى البقيّة فإنّ المصادر لم ترو من أخبارهم إلّا القليل الّذي يدلّ على قدرتهم العلميّة، وغاية ما يقال عنهم إنّهم اجتهدوا مع إخوانهم في تأليف ديوان العزّابة [نظام، 176].

وتوجد نسخة من الدّيوان مختلطة بديوان أريغ بالبارونيّة بجربة.

د. فرحات الجعبيري
جامعة تونس

جمال الخلوتي، أبو الفيوضات محمد بن حميد الدين

(ت 899هـ/ 1494م)

اسمه الكامل أبو الفيوضات محمد بن حميد الدين بن محمود بن محمد بن جمال الدين الأق سرايي، واشتهر بخليفة چلبي لأن والده كان قاضي عسكر [يوسف بن يعقوب، ص 17]. وهو ينتمي إلى عائلة جمال الأق سرايي وهو من العلماء الذين نشأوا في العهود الأولى للدولة العثمانية. وعرفت هذه العائلة بنسبة "جمالي"، و"جمالي زاده لر". وخلطت بعض المصادر المعلومات التي تتعلق به وبين تلك التي تعود إلى جمال اسحق القرماني [توفي في عام 933هـ/ 1527م] المعروف بجمال خليفة، وهو ينتمي إلى العائلة نفسها.

ذكر كل من م. صادق وجداني، ومحمد طاهر البورصوي أن جمال الخلوتي ولد في أماسيا [طومار طرق عليه، ص 55؛ المؤلفون العثمانيون، ص 51]، بينما بقية المصادر الأخرى متفقة على أنه ولد في أق سراي. وبعد أن أكمل تحصيله العلمي الأول في مسقط رأسه ذهب إلى استانبول. وأثناء

اشتغاله بالعلوم المدرسية قرّر الانضمام إلى طريق التصوف. وانتسب أولا إلى أحد شيوخ الطريقة الزينية وهو عبد الله أفندي القسطموني المعروف بحاجي خليفة، وتمت إجازته بعد أن أكمل «سير السلوك». غير أن جمال أفندي لم يكن مقتنعا بذلك، لذا قرر الذهاب إلى قرمان وانتسب إلى عبد الله القرماني، أحد خلفاء شيخ الطريقة الخلوتية علاء الدين الرومي. وبعد وفاة شيخه هذا، دخل في خدمة أحد مشايخ الخلوتية الآخرين في طوقاط وهو طاهر أوغلي.

تشير المصادر (حريري زاده، I، 246 ب) إلى أنه كان خليفة لبير إلياس الأماسي [Osmanlilarda Tasavvuf, p. 28 Öngören] الذي أسس فرعا من الطريقة الخلوتية. وتذكر المصادر أنه عاش زاهداً في طوقاط. وبعد فترة لاحقة من الزمن، وعند وفاة شيخه هذا، سافر إلى باكو من أجل الدخول في خدمة بير الخلوتية الثاني سيد يحيى الشرواني. وفي أرزنجان التقى ببير محمد الأرزنجاني وهو من كبار خلفاء يحيى الشرواني. وعند وصول خبر وفاة يحيى الشرواني إليه بعد يومين من مغادرته، عاد جمال الخلوتي مرة أخرى ودخل في خدمة بير محمد. وبدأ في ممارسة نشاط الإرشاد في ولاية الروم (الولاية التي مركزها أماسيا وسيواس) وذلك بواسطة الإجازة التي منحها له بير محمد.

استقبل جمال الخلوتي في أماسيا استقبالا حافلا من قبل أمير لوائها الشهزاده بايزيد (السلطان بايزيد الثاني). ومكث ضيفا في تكة خواجه سلطان التي بنيت في عام 880هـ/1475م من قبل شمس الدين أحمد چلبي، معلّم الشهزاده [تاريخ أماسيا، I، 230 ـ 231]. ويقال إنّ بايزيد انتسب هناك إلى جمال الخلوتي .

وتؤكد المصادر التاريخية بأن بايزيد قام باستشارة جمال الخلوتي لكسب تأييده المعنوي عند وصول الأنباء إليه بأن الصدر الأعظم محمد باشا القرماني قد لزم صفّ أخيه الأمير جَمْ. وقام بإيغار صدر أبيه السلطان محمد الفاتح عليه حتى كاد يتسبّب في إهدار دمه.

وفي نهاية هذه الأحداث توفي السلطان محمد الفاتح. وعقب وفاته تم إعدام الصدر الأعظم محمد باشا من قبل الإنكشارية دون محاكمة. ويذكر عالم التركيات الألماني هانس جواشيم كسلنغ أن جمال الخلوتي كان له دور في هذه الأحداث، وأن هذه الأمور كانت نتيجة للمؤامرة التي أعدّها أتباع الطريقة الخلوتية [«Halveti Tarikati II», p. 30-32; Hans J. Kissling, «Einiges über den Zejnice-Orden...», p. 177] غير أن رشاد أونغرن بيّن أن هذا ليس صحيحا.

[«Fatih Sultan Mehmed'in Ölümü Üizerine Iddialar», p. 28-33]

بعد أن اعتلى بايزيد العرش في استانبول دعا شيخه إلى العاصمة. وشدّ جمال الخلوتي الرحال إلى استانبول ونزل أولا ضيفا في سراي قابي جي باشي مصطفى أغا الموجود في «بلاط» التي توجد في منطقة الفاتح. ومارس نشاط الإرشاد في جامع كول، ثم بعد ذلك قام أحد مريديه وهو الصدر الأعظم قوجه مصطفى باشا بإعمار إحدى الكنائس

الخربة وحولها إلى تكة، فانتقل إليها الخلوتي. وعُرفت هذه التكة باسم مؤسسها قوجه مصطفى باشا. وبعد فترة من نشاطه في هذه التكة، طلب السلطان من جمال الخلوتي الذهاب إلى الكعبة مع أربعين من مريديه من أجل الدعاء وذلك بسبب الوباء الذي اجتاح استانبول، غير أن الخلوتي توفي بالقرب من تبُوك.

يعتبر فرع الجمالية الذي أسّسه جمال الخلوتي في الطريقة الخلوتية من شُعَب هذه الطريقة الأساسية. وتفرعت منه شُعَبٌ متعددة فيما بعدُ. وهي تحمل الآداب والأركان نفسها الموجودة في الطريقة الخلوتية. والمعلومات التي ذكرها حسين وصفي فيما يتعلق بأن جمال الخلوتي هو أول خلوتي عُيّن في استانبول ليست صحيحة [السفينة، III، 229]. ويعرف كذلك أن علي الخلوتي وهو أحد خلفاء يحيى الشرواني قد مارس نشاطه في استانبول في عهد الفاتح، وله عدد كبير من المريدين من كبار رجال الدولة [النفحات، ص 576 ـ 577؛ الشقائق، ص 264 ـ يمرّ اسمه في الشقائق تحت اسم علاء الخلوتي].

كان جمال الخلوتي ـ عندما سافر إلى الكعبة ـ قد ترك خليفته سنبل سنان وكيلا له في تكة قوجه مصطفى باشا. ويوجد له كذلك خلفاء آخرون مارسوا نشاطاتهم في أماكن مختلفة. ونجد من هؤلاء ابنه بدر الدين محمود چلبي في تكة قوجه سلطان، وقاسم چلبي في تكة قره باش الموجودة في طوب خانه باستانبول، ثم بعد ذلك في التكة التي أنشأها الصدر الأعظم عتيق علي باشا في شنبر لي طاش، ونجد من تلاميذه أيضا أويس دده الذي عمل أولا في تكة أبي الفتح غازي التي تعتبر من أقدم تكايا استانبول ثم عمل بعد ذلك في قرمان والشام، وأخيرا عمل في التكة المعروفة باسم «إرده بلي» أو «سنان إرده بلي» التي أنشأها سنان الدين يوسف إرده بلي بالقرب من جامع آيا صوفيا، وسلمان خليفة في بورصه وخير الدين الطوقاطي أولا في تكة محمود چلبي في أماسيا. ثم بعد ذلك واصل نشاطه في بولو ونواحيها. وتذكر المصادر وجود خلفاء آخرين لجمال الخلواتي غير هؤلاء الذين تم ذكر أسمائهم.

■ آثاره

معظم مؤلفات جمال الخلوتي عبارة عن تفسير للسّور والآيات والأحاديث تفسيرا صوفيا، وجميع هذه المؤلفات كُتبَ باللغة العربية.

1 ـ تفسير الفاتحة والضّحى؛ 2 ـ رسالة الهوية المطلقة؛ 3 ـ تأويل حبّ الدنيا رأس كل خطيئة [توجد المؤلفات الثلاثة هذه في مكتبة السليمانية، الشهيد علي باشا، رقم 1352 ضمن مجموعة]؛ 4 ـ كتاب النورية: تفسير آية الكرسي [مكتبة السليمانية، لا له إسماعيل، رقم 686 توجد ضمن مجموعة]؛ 5 ـ تفسير خلق الله آدم على صورته [مكتبة السليمانية، جار الله أفندي، رقم 1084]؛ 6 ـ سراج القلوب: بحث فيه المصطلحات الصوفية في واحد وأربعين بابا [مكتبة السليمانية، جار الله أفندي، رقم 1084]؛ 7 ـ فصل في آداب الذّكر [مكتبة السليمانية، خالد أفندي، رقم 805]؛ 8 ـ رسالة في الاسمين الأعظمين: الله والرحمن [مكتبة السليمانية، طاهر أغا، رقم 142]؛

9 ـ الديوانجه [مكتبة السليمانية، أسعد أفندي، رقم 2709].

المصادر والمراجع

● لامع، محمود چلبي، ترجمة نفحات الأنس من حضرة القدس، استانبول 1980، ص 579 ـ 581؛ ● طاش كوبري زاده، عصام الدين أحمد، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، نشر أحمد صبحي فرات، استانبول 1985، 267 ـ 269، 373، 538، 543؛ ● نشانجي، محمد أفندي، تاريخ نشانجي، استانبول 1290، ص 181؛ ● الكفوري، محمود، كتاب عالم الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار، مكتبة السليمانية، خالد أفندي، رقم 630، ورق 496ب ـ 497أ ؛ ● يوسف سنان بن يعقوب، مناقب شريف وطريقة نامه بيران ومشايخ طريقة عليه خلوتية، استانبول 1290، ص 16 ـ 20 ؛ ● خواجه سعد الدين أفندي، تاج التواريخ، استانبول 1280، II، 542 ـ 543؛ ● عالي، مصطفى أفندي، كنه الأخبار، مكتبة جامعة استانبول، المخطوطات التركية، رقم 5959، ورق 131أ ـ ب؛ ● نوعي زاده عطائي، حدائق الحقائق في تكملة الشقائق، نشر عبد القادر أوزجان، II، استانبول 1989، ص 62؛ ● منيري البلغرادي، سلسلة المقربين ومناقب المتقين، مكتبة السليمانية، الشهيد علي باشا، رقم 2819/ 3، ورق 123أ ـ ب؛ ● الخلوي، محمود جمال الدين، اللمزات الخلوية واللمعات العلوية، المكتبة الوطنية، علي أميري ـ الشرعية، رقم 1100، ورق 152ب ـ 177ب؛ ● صاري عبد الله أفندي، ثمرات الفؤاد في المبدإ والمعاد، استانبول 1288، ص 143؛ ● أولياء جلبي، سياحت نامه، استانبول 1314، I، 320؛ ● سرايي، حسين أيوان، وفيات السلاطين ومشاهير الرجال، نشر فخري ج. دربن، استانبول 1978، ورق 3أ-ب؛ ● المؤلف نفسه، حديقة الجوامع، استانبول 1281، I، 8، 150؛ ● مستقيم زادة، سليمان سعد الدين مستقيم زاده، مجلة النصاب، مكتبة السليمانية، خالد أفندي، رقم 628، ورق 459ب؛ ● المؤلف نفسه، مشايخ نامه إسلام، مكتبة السليمانية، أسعد أفندي، رقم 1716/ 1، ورق 3ب؛ ● حريري، كمال الدين حريري زاده، تبيان وسائل الحقائق في بيان سلاسل الطرائق، مكتبة السليمانية، الفاتح، رقم 430، I، 245 ب ـ 254 ب؛ ● ثريا محمد، سجل عثماني، استانبول 1308 ـ 1315، Heppenheim، Bergstrasse، 1971، IV، 105؛ ● وجداني، م. صادق، سلسلة نامه الخلوتية من طومار طرق عليه، استانبول 1338 ـ 1341، ص 55، 57 ؛ ● البورصوي، محمد طاهر، المؤلفون العثمانيون، استانبول 1333، I، 51 ـ 52، 211؛ ● وصاف، حسين، سفينة الأولياء الأبرار، مكتبة السليمانية، الهدايا

المخطوطة، رقم 2308، III، 228 ـ 233، 384؛ • عبدي زاده، حسين حسام الدين، تاريخ أماسيا، استانبول 1330 ـ 1332، I، 230 ـ 231، 244؛

• Tahsin Yazici, « Fetihten Sonra Istanbul'da Ilk Halvetî Seyhleri: Çelebi Muhammed Cemâleddin, Sünbül Sinan ve Merkez Efendi», Istanbul Enstitüsü Dergisi, sayi 2, Istanbul 1956, p. 93; • Hans Joachim Kissling, «Einiges über den Zejnîje Orden im Osmanischen Reiche», Der Islam, sayi: XXXIX (1964), p. 143-179 ; • Hans Joachim Kissling, «Halvetî Tarîkati II» (mütercim: M. Serhan Taysî), Bilim ve Sanat Vakfi Bülteni, sayi: XXXIII, Istanbul 1994, p. 30-32; • Mehmed Serhan Taysî, «Cemâl-i Halvetî», Türkiye Diyanet Vakfi Islâm Ansiklopedisi, Istanbul 1993, VII, 302-303 ; • Mehmed Serhan Taysî, «Cemâliyye», Türkiye Diyanet Vakfi Islâm Ansiklopedisi, Istanbul 1993, VII, 318 ; • Resat Öngören, «Fâtih Sultan Mehmed'in Ölümü Üzerine Bâzi Iddialar», Kubbealti Akademi Mecmûasi, sayi. II, Istanbul 1997, p. 28-33. • Resat Öngören, Osmanlilar'da Tasavvuf: Anadolu'da Sûfîler, Devlet ve Ulemâ (XVI. Yuzyil), Istanbul 2000, 28, 42-45, 50-52, 54, 81.

د. رشاد أونغرن
جامعة استانبول ـ كلية الإلهيات ـ تركيا
ترجمة: أنعم محمد عثمان الكباشي ـ السودان

جمال الدين، مصطفى جعفر

(1346هـ/1927م ـ 1417هـ/1996م)

مصطفى جعفر جمال الدين، عالم دينيّ ولغويّ وشاعر.

وُلد في قرية المؤمنين في سوق الشيوخ جنوب العراق عام 1927م، من أسرة دينيّة وعلميّة مرموقة، أمضى في النجف قرابة أربعة عشر عامًا للدراسة في حوزتها العلميّة، وتتلمذ على شيوخ أجلّاء منهم: علي زين العابدين، ومحمد رضا العامري، وعبد الكريم شمس الدين، ومحمد علي الصندوق، ومحمد أمين زين الدين، وسلمان الخاقاني.

أسّس بعض الحلقات الأدبية والمنتديات الثقافية والاجتماعية، من أشهرها: أسرة الأدب اليقظ، في النجف، بمعيّة عدد من أقرانه الذين جمعت بينهم الصداقة

والاهتمامات الأدبية والتطلّع إلى جديد العلم والمعرفة [الديوان، المقدّمة، ص 29، 30، 42، 45].

تعيّن معيدًا في كلّية الفقه في النجف عام 1962م، ثمّ حاز على الماجستير بتقدير جيّد جدًا، وبإشراف السيد محمد تقي الحكيم، فتمّ تعيينه مدرّسا في كلّية الآداب، جامعة بغداد.

نعزّزت مكانته الشعرية في الستينات، عراقيّا وعربيّا، وبخاصّة بعد اشتراكه بمؤتمر الأدباء العرب الذي عُقد في بغداد عام 1965م، وقُبل في الدكتوراه في قسم اللغة العربية، جامعة بغداد عام 1974م، وأنجز أطروحته «البحث النحويّ عند الأصوليين» بتقدير ممتاز وبإشراف د.مهدي المخزومي.

ومنذ العام 1981م عاش الغربة لأسباب سياسيّة وتنقّل بين عدد من البلدان، منها: الكويت، ولندن، وإيران. ثمّ استقرّ في سوريا حتّى وفاته عام 1996م [سيد النخيل المقفى، ص 72 ـ 93].

ظلّ يعدّ نفسه، إلى آخر حياته، شاعرًا مقلاّ لشواغل متنوّعة حالت دون انصرافه التام إلى كتابة الشعر، أجمل بعضها في قوله: «وربّما كان من أسباب ذلك ظروف الدراسة سواء ما كان منها في نمطها الحوزوي القديم أو في النمط الجامعي الحديث.. يُضاف إلى ذلك أنّي كنت وما زلت بطيئًا جدًا في أي عمل يتطلّب منّي جهدا فكريًا سواء أكان منظوما أم منثورًا وأجد نفسي متهيبًا أمام سلطة المجتمع الديني الذي أعتبر نفسي جزءا منه، ليس ذلك لإحساسي برجعية تدلّ الشواهد الكثيرة على ترفّعي عنها.. بل لأنّ الشعر الإخواني ـ مثلا ـ وهو من أعزّ ما كتبت في حياتي، أرى في بعض ظُرفه ودعابته ما قد يجرح طبع إنسان أجلّه وأحترمه أو يخدش هيبة مجتمع بذلت جهدي ـ طيلة عمري ـ في أن تظلّ مرتفعة في ضمائر من يكنّون له التبجيل.. ومثل ذلك ولأسباب مشابهة تركت بعض شعري الوجداني أو الذاتي المغرق في ذاتيته.. أو بعض شعري السياسيّ أو الاجتماعيّ الذي قدّرت أنّه قد يُساء فهمه لدى كثير من القرّاء البعيدين عن ظروفه». [الديوان، المقدّمة، ص95 ـ 98].

ولذلك لم ينشر إلّا ديوانين وترك الباقي مخطوطا، ديوانه الأوّل: «عيناك واللحن القديم» وهو صغير الحجم يضمّ اثنتي عشرة قصيدة، وصدر عام 1972م، بينما صدر الثاني عام 1995م، وضمّ بالإضافة إلى الديوان الأوّل مجموعة «ألحان الغربة» التي كتبها في مغتربه بين 1980 ـ 1994، وأشعاره الأخرى من أوائل الخمسينات إلى أواخر السبعينات مرتّبة زمنيّا.

والدراسات قليلة جدًا عن شعره فعلى أهمّيته، ولعلّ من أبرزها: «مواقع الرؤيا في شعر مصطفى جمال الدين» للدكتور عادل اليازجي، و«مصطفى جمال الدين: منابعه الشعريّة وشاعريّته السياسيّة» للدكتور فاضل الأنصاري، «مفاتيح النص الشعري في ديوان مصطفى جمال الدين» للدكتور نعيم اليافي [سيّد النخيل المقفّى، ص378 ـ 483].

لقد وقف الدكتور اليافي على أهمّ العناصر الأساسية والمضمونية في شعره، وربطها بشخصيته وثقافته وبيئته، وأرجعها إلى خمسة مفاتيح: المرجعيّة، والاحتفالية، والتناصّية، والإبلاغية، والبنية المقيّدة. وميّز أربعة أنماط

مرجعيّة في شعره، هي: الجذر التراثي، الحفل الديني بمعناه الخاص والعام، الواقع المعيشي، ميدان الاختصاص: النحو العربي، ورصد أثر الإخوانية والمناسباتيّة في طبع شعره بالطابع الجماهيري والأخلاقي والخطابي، وفي هيمنة بعض الخصائص الفنّية والأسلوبية عليه، ومنها المباشرة والمعنى المحدّد واللغة الدالّة، وذهب إلى أنّ عشوائية العلاقة أو اعتباطيتها بين المحمول والوسيلة، الدال والمدلول، لا تجد إلى نصوصه طريقًا. وإذا كان الانزياح... لا يبدو في شعره إلّا في حدوده الدنيا، فإنّ مفهوم اللغة عنده لا يتحرّك بعيدًا عن الإطار التراثي، إذ لم يخرج في تراكيبه وصوره على الأشكال البلاغية الموروثة، ومن النادر وجود علاقات... مُلبسة أو غامضة غير منطقية في صوره الشعريّة [سيد النخيل، 386 ـ 389].

وبالإضافة إلى شعره كان له جهد نقدي مرموق، فقد عالج في تضاعيف كتبه جانبًا من المفاهيم والمواقف النقديّة المطروحة على الساحة الثقافية العربية، ومنها خاصّية منظوره الدقيق لقضية الالتزام في الشعر، فهو يطلّ عليهما من أفق رحب يعي خصوصية الالتزام في الإبداع، فهو ليس تحجيرًا بأن يقصر المبدع كلّ نتاجه على ما تبنّى من فكر سياسي أو اجتماعي، ولا يحقّ له أن يكتب شيئا ذاتيا أو وجدانيا خارج ذلك، فمثل هذا الإلزام يقتل روح الإبداع الوثّابة، ولن يحقق للأدب أيّ تطوّر، ولذلك تحفّظ على هيمنة السياسي على الإبداعي، وعلّل ذلك بالقول: «إنّ موقفي هذا ينطلق من كوني شاعرًا يؤمن بحرّيته في اختيار مواقفه من القضايا العامّة التي تحيط به، وفي طريقة تناوله لهذا الموقف، والانتماء السياسي ـ أو هكذا عوّدتنا صرامة الانتماء في وطننا العربي ـ لا يترك مجالاً لأيّ شاعر يريد أن يعبّر عن مشاعره وأحاسيسه في قضيّة ما بالشكل الذي يمليه عليه وجدانه.. إنّ الشاعر العربي إمّا أن يكون شاعرًا أو سياسيًا» [الديوان، المقدّمة، 870]. وكانت له أحكام محافظة ومآخذ على تجارب الشعراء الجدد والحداثيين، إذ نعي عليهم: «ضعف الموسيقى الشعرية في تفعيلاتهم، فإنّهم أثقلوا تجاربهم هذه بمدارس غريبة على حسّنا وفهمنا الأدبي للشعر... والعلاقات اللغوية الغريبة في تركيب الجملة الشعرية... ثمّ ما يُسمّى بـ «قصيدة النثر» وأمثالها من صراعات» [الديوان، المقدّمة، ص 63].

■ آثاره

1 ـ القياس، حقيقته وحجيّته، درس فيه دراسة مقارنة بين المذاهب الإسلامية في تعاملها مع القياس معتمدًا المنهج التاريخي في القسم الأوّل من الكتاب حيث أرّخ للمصطلح وتطوّر دلالاته، ثمّ أفاد من المنهج التفسيري والتعليلي في مجالي المقارنة والتقييم؛ 2 ـ البحث النحوي عند الأصوليين، تناول فيه المسائل النحوية التي لها علاقة بالبحث الأصولي، وهي تقسيم الكلمة، أصل الاشتقاق، الفرق بين اسم المصدر والمصدر المشتق، دلالة الفعل على الزمان، لواحق الفعل، المعنى الحرفيّ، أقسام الجملة ومداليلها، ثمّ سجّل بعض الاعتراضات على طبيعة منهجهم [دار الرشيد للنشر، بغداد، 1400هـ/ 1980م]؛ 3 ـ الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى

التفعيلة، طرح فيه آراء مهمّة عن الأوزان الخليليّة، وتصوّرات دقيقة عن بعض المجالات التجديديّة العروضيّة ولا سيّما البند وشعر التفعيلة، وعالج بحسّ نقدي موضوعي أوّليّة الشعر الحرّ، وقدّم تقييمات دقيقة لتجارب الروّاد الناضجة كالسيّاب، ونازك الملائكة، وبلند الحيدري ثم أدونيس [مطبعة النعمان، النجف، 1394هـ/ 1974م، ط2]؛ 4 ـ حرية الإرادة بين الفلسفة والعقيدة، قدّم فيه عرضًا واسعًا لآراء الفلاسفة وأصحاب المقالات والمذاهب والمفكّرين وبعض علماء النفس في قضيّة الإرادة الإنسانية، وناقش أفكارهم وردّ على نظرياتهم المتنوّعة في ذلك نُشر في «مجلّة النجف»، العدد الأوّل، السنة الخامسة، 1962م، وأُعيد نشره في سيد النخيل، 97 ـ 124؛ 5 ـ رأي في أصول النحو وصلته بأصول الفقه، درس فيه أثر منهج البحث الأصولي في منهج البحث النحوي من جانبين: الأوّل تشخيص الأدلّة، وهي النصّ والقياس، والثاني: أوجه دلالة الأدلّة ومنها طرق حمل النصّ وثقة النقلة والرواة... الخ، نُشر في «مجلّة تراثنا»، العدد الثاني، السنة الرابعة، 1409هـ/ 1988م، وأعيد نشره في سيد النخيل، 125 ـ 183؛ 6 ـ رأي في تقسيم الكلمة، عرض فيه أسس التقسيم الثلاثي للكلمة عند النحاة القدامى، وتقسيمات المحدثين الرباعية والسباعيّة، وانتهى إلى تثبيت مقترحه الخاص بتقسيم خماسي لها نُشر في «مجلّة تراثنا»، العدد الأوّل، السنة الثانية، 1407هـ/ 1987م، وأعيد نشره في سيد النخيل، 184 ـ 211؛ 7 ـ عيناك واللحن القديم، ديوانه الشعري الأوّل، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1972م؛ 8 ـ الديوان، دار المؤرّخ العربي، بيروت، 1415هـ/ 1995م، ط1.

المصادر والمراجع

● الأسدي، فرات، سيد النخيل المقفى، مصطفى جمال الدين في ذكراه السنويّة الأولى، المكتبة الأدبية المختصّة، 1418هـ/ 1997م، ط1، وهو أشمل مرجع في سيرته ونتاجه، عرّف بأسرته ومراحل حياته المختلفة، وببحوثه العلميّة والأدبية، وأورد بعض أشعاره التي لم يحوها ديوانه، وما كتب عن مؤلّفاته وشعره، وما قيل في تأبينه من كلمات وقصائد؛ ● جمال الدين، مصطفى، الديوان، دار المؤرّخ العربي، بيروت، 1415هـ/ 1995م، ط1، وضع له مقدّمة طويلة في إحدى وثمانين صفحة بعنوان «ملامح في السيرة والتجربة الشعريّة»، ضمّت خطوطا رئيسيّة عن نشأته وبيئته وأعماله؛ ● د. عبد الرضا علي، نازك الملائكة، دراسة ومختارات، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، 1987م.

د. نادية غازي العزاوي
الجامعة المستنصرية ـ بغداد

جمال القرشي، أبو الفضل جمال الدين محمد بن عمر

(628هـ/1230 ـ 1231م ـ 702هـ/1303م)

ولد في عام (1230 ـ 1231م) في «ألمالغ»، والده من حفظة بلاساكون، وأمه من مدينة مرو. تلقى تعليمه الأول على يد ذخير الدين أشرف بن نجيب الكاساني. وفي عامي (1248 ـ 1249م)، دخل في خدمة بدر الدين محمد الفرخي. ثم تم تعيينه معلما لـ «إلبوتر بن صوغ ناك تغن» وبولكان بكي، أميرة المغول وابنة جوجي. وخدم في الديوان، وبدأ يعرف بلقب «القرشي». وفي عامي (1263 ـ 1264م) تم نفيه إلى كاشخار، وهناك تعرف على الصدر كمال الدين ونال تقديره. وتجول في مدن آسيا الوسطى المشهورة، وتعرّف على عدد كبير من علماء تلك المنطقة وشيوخها. واستخدم المعلومات التي حصل عليها من خلال هذه الأسفار في كتابه «الملحقات».

في عام 1273م انتقل جمال القرشي من الشاش (طشقند) إلى عشائر سيحون السفلى، وزار مدن «بارجكند» و«جند». وفي بارجكند تعرف على حسام الدين حامد بن عاصم البارجكندي، وتمكن من دراسة كتبه التي هي في مجالي الفقه والتفسير. وذكر في مؤلفه «الملحقات» معلومات عن حامد عاصم، وأشعاره التي كتبها باللغات العربية، والفارسية، والتركية، وبيّن كذلك أنّ له مؤلفات بهذه اللغات أيضا. لا يعرف تاريخ وفاة جمال القرشي، غير أنه يرجح أنه لم يعش طويلا بعد عام 1303م.

آثاره

1 ـ الصّراح من الصحاح، تمت كتابته في عام 1282م. وهو اختصار للقاموس العربي «الصحاح» للجوهري. وفيه قدّم مقابل كل كلمة باللغة الفارسية. وتوجد منه نسخ عديدة، كما تمت طباعته طبعات كثيرة [مع «نور الصباح في أغلاط الصّراح» والحاشية الفارسية لـ«الكراخ بتكمّل الصحاح»: I-II، كالكوتا 1260؛ كانبور 1344؛ لكنو 1289، مع «الكَراخ بتكمّل الصحاح»؛ بولاق 1287، 1301، 1305؛ طهران 1286، 1304]؛

2 ـ ملحقة الصُّراح، هو ذيل طويل لمؤلف «الصراح من الصحاح» الذي تمت كتابته باللغة العربية. ونشر ملخصه ضمن المجلد الأول الذي احتوى على النصوص من مؤلف «Turkestan epoxuv Mongol' skogo nasestviya» لصاحبه V. V. Barthold. وتمت كتابة المؤلف بطلب من رئيس العلماء المحليين باستقلالية كاملة عن سراي المغول. ويحتوي على معلومات قيمة فيما يتعلق بالدول التي تم تأسيسها في تركستان، وبصفة خاصة القراخانيون وخانية جاغاطاي. وأعطى معلومات عن إرغين خاتون، والدة مبارك

شاه، وهو أحد خاقانات جاغاطاي. وقد أخبر في مؤلفه عن عدالة كايدو خان وسخائه وحبه للمسلمين في سنوات قيام السلطنة وزوالها.

حصل جمال الدين القرشي من كايدو على «تلطيف نامه». وتضمن كتابه كذلك ذكر للعلماء الذين نشأوا في مدن مثل بلاساكون وألمالك، وكاشقار، وهوتن، وهجوند، وطشقند، وبارجكند، وجند. وبالإضافة إلى ذلك ذكر بعض المعلومات عن الشيوخ المشهورين. ومع أن معظم المعلومات المعطاة من قبيل الأسطورة، إلّا أننا نجد معلومات أخرى تاريخية والبعض الآخر ذو تسلسل زمني. وبصفة خاصة تعتبر المعلومات التي قدمها الكتاب والتي تتلخص في الروايات التي سردها المؤلف عن الشيوخ والعلماء الذين عاصرهم، مهمة للغاية من جهة الحياة الفكرية في تلك الفترة.

حسب بَرْتُولد، فإن الكتاب لفت انتباهه من حيث إنه يعتبر من أوائل نماذج المقارنة التي نصادف فيها أحيانا مقارنات في اللغات العربية، والفارسية، والتركية، وذلك وفقا للمعلومات التي تم الحصول عليها حتى اليوم. ويرى م. فؤاد كوبرلي أن الكتاب دليل مهمّ على تطور العلوم الإسلامية والأدبية في تركستان الشرقية في عهد القرخانيين. ومن جانب آخر يقدم القرشي في مؤلفه هذا معلومات عن جغرافية المناطق التي زارها، والبنية العرقية لسكان تلك المناطق. ووصف كذلك بعض المدن الموجودة داخل «صغناك» بأنها تركمانية. وأوضح بصفة خاصة أن بارجكند هي عبارة عن موطن تركماني. وبيّن «فاروق سومر» أنه وبالاعتماد على المعلومات التي قدمها بشأن منطقة سيحون السفلى، فإنه يكون قد تمت المحافظة على آثار التركمان التي تتعلق بالسلاجقة في المنطقة. وتم العثور على النسخة الوحيدة المعروفة من الكتاب في نهايات القرن الماضي في آسيا الوسطى من قبل م.س.أندرو، وقد تم إرسالها عن طريق ف. ب. ناليفكين V. P. Nalivkin إلى متحف آسيا الموجود في بتروغراد.

المصادر والمراجع

- خان بابا مشار، فهرس كتاب حي جابي فارسي، طهران 1352 هجري - شمسي، III، 3386 ـ 3387؛
- Köprülüzade Mehmed Fuad, Türk Edebiyati Tarihi, Istanbul 1926, p. 156, 233, 279; • Fuat Sezgin, Geschichte des Arabischen Schrifttums, Leiden 1982, VIII, 220-221; • Vassiliy Viladimiroviç Barthold, Moğol Istilasina Kadar Türkistan (haz. Hakki Dursun Yildlz), Ankara 1990, p. 54; • Vassiliy Viladimiroviç Barthold, Orta Asya Türk Tarihi Hakkinda Dersler (haz. K. Yasar Kopraman-Ismail Aka), Ankara 1975, p. 200, 269-270, 345; • Faruk Sümer, Oğuzlar: Türkmenler, Istanbul 1980, p. 112, 571-573; • Zeki Veli-

di Toğan, Bugünkü Türkili Türkistan ve Yakin Tarihi, Istanbul 1981, p. 109-110; • P. Jackson, «Djamal Karshi», The Encyclopaedia of Islam (new edition), Supplement, Leiden, p. 240; • Mustafa Budak, «Cemal-i Karsi», Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1993, VII, p. 304-305.

د. مصطفى بيرول أولكر
جامعة استانبول ـ تركيا
ترجمة: أنعم محمد عثمان الكباشي ـ السودان

جمائيلي، أبو محمد تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد

(541هـ/1146م ـ 600هـ/1203م)

ولد في شهر ربيع الأول من عام 541هـ الموافق لشهر أغسطس من عام 1146م في قرية جمائيل التي تقع بالقرب من نابلس في فلسطين. وهناك روايات تذكر عام 543هـ أو عام 544هـ تاريخا لميلاده. ويعرف بنسبة «الدمشقي» وكذلك «صالحي». وفي تلك الفترة هاجر مع عائلته وأقربائه من جمائيل إلى دمشق وذلك بسبب وقوع فلسطين تحت أيدي الصليبيين. واستقروا في المحلة ـ التي عرفت فيما بعد باسم «صالحية» ـ التي أسسوها في سفوح جبل قاسيون الواقع خارج مدينة دمشق وذلك بسبب انتمائهم إلى المذهب الحنبلي وعدم وجود أتباع لهذا المذهب في دمشق.

تلقى جمائيلي دروسه الأولى على يد أحمد بن محمد بن محمد بن قدامة، خطيب جمائيل وابن خالته ووالد ابن قدامة المقدسي الذي يصغره بأربعة أشهر. وفي فترة لاحقة بدأ التنقل في المراكز العلمية الأخرى برفقة ابن قدامة.

وفي عام 561هـ/ 1165م ذهب إلى بغداد، واستقر في مدرسة عبد القادر الجيلاني، ودرس على يديه الفقه والحديث. وإثر وفاة عبد القادر الجيلاني بعد خمسين يوما واصل جمائيلي تحصيل مختلف العلوم من علماء بغداد الآخرين وذلك لمدة أربعة أعوام. وقادته ذاكرته القوية إلى علم الحديث. ثم توجه بعد ذلك إلى دمشق والقاهرة والإسكندرية ومكث في الإسكندرية ثلاثة أعوام، ويُروى أنه كتب قرابة 1000 حديث عن أبي طاهر السلفي. وبعد أن استفاد من علماء تلك المنطقة، عاد مرة أخرى إلى دمشق وبغداد، ومن هناك ذهب إلى أصفهان. وهناك استفاد استفادة كبيرة جدا من أبي موسى المديني. وقام بتمحيص مؤلف «معرفة الصحابة» لأبي نعيم الأصفهاني وذلك عندما رآه لأول مرة، غير

أنه أغضب بعض الناس وذلك عندما قال إن الكتاب يحتوي على قرابة 190 خطأ. وعندما أدرك أن نية هؤلاء كانت قتله ترك أصفهان خفية. وذكر آراءه هذه في فترة لاحقة في مؤلفه «تبين الإصابة لأوهام حصلت لأبي نعيم في معرفة الصحابة».

وذكر أبو موسى المديني (ت 581هـ/ 1185م) أن جمائيلي يعتبر من علماء الحديث المتميزين جدا الذين جاؤوا إلى أصفهان، وبيّن أنه كان محقا في انتقاداته. وعندما قدم جمائيلي إلى الموصل استفاد من علماء مثل ابن الخشاب. وهناك قام بتدريس كتاب «الجرح والتعديل» لصاحبه العقيلي، وفي هذا المؤلف أفرد الكاتب حيزا كبيرا لروايات ضد الإمام أبي حنيفة، فأغضب هذا الأحناف وبسبب ذلك سجن الجمائيلي [أبو شامه، تراجم رجال القرن السادس والسابع، ص 46]. وتم الإفراج عنه بعد أن قام أحد محبيه باستخراج القسم المتعلق بأبي حنيفة من الكتاب وإخفائه. وعند عودته إلى دمشق قام بتدريس الحديث للحنابلة في جامع دمشق. وبسبب رقة قلبه كان يبكي أثناء تدريسه الحديث ويبكي الناس كذلك.

وفي عام 596هـ/ 1199 ـ 1200م شكاه بعض الشافعية الذين رأوا أن هناك إقبالا كبيرا على دروسه إلى والي دمشق، وخصوصا قاضي دمشق ابن الزكي محيي الدين محمد بن علي، وخطيب دمشق ضياء الدين عبد الملك بن زيد الدفلاي اللذين كان يحظيان بتقدير صلاح الدين الأيوبي. وادعيا أن جمائيلي -الذي كان على رأي السلفية- قد ذكر أنه من الخطأ تشبيه صفات الله. وذكرا عنه كذلك أنه كان محبا لأحمد بن حنبل وكان على قناعة بأن القرآن الكريم غير مخلوق، غير أنه كان يخفي آراءه الحقيقية ويقول عكسها. وتم تناول هذه المواضيع في حضرة الوالي، وكان جمائيلي يدافع عن عقيدة السلف، فتم منعه من تقديم الوعظ وتدريس الحديث في الجامع وحكم عليه بمغادرة المدينة في أقصر مدة. وبناء على ذلك غادر جمائيلي أولا الى بعلبك ثم ذهب بعد ذلك إلى مصر. وهناك ذكر بعض فقهاء الشافعية أنه كان من أنصار التجسيم وأنه أضر بإيمان الناس، وأصدروا لهذا السبب فتوى بقتله، وقرروا نفيه إلى المغرب. غير أنه وقبل أن يبلغ بهذا الأمر توفي في يوم 23 ربيع الأول من عام 600هـ الموافق ليوم 30 نوفمبر من عام 1203م، وتم دفنه في الكرافة.

يقول الذهبي الذي يحظى عنده جمائيلي بتقدير كبير إن الذين أصدروا فتوى بخروجه عن الدين ـ وهم الأشعرية (المتكلمون) ـ قد اختلفوا معه في موضوع المنهج الذي ينبغي أن يعتمد في بيان أسس العقائد. وعند الحديث عن تشبيه الله بالإنسان يذكر جمائيلي صفات لله مثل «النزول» و «الصعود» وغيرهما من الصفات، وقد أخذ عليه المتكلمة هذا الرأي وهذا هو سبب الخلاف. وفي الحقيقة فإن هذا الرأي يتفق فيه مع بعض المحدثين من الحنابلة.

نجد من بين الذين تلقوا علم الحديث عن جمائيلي، أبناءه عز الدين أبا الفتح محمد، وجمال الدين أبا موسى عبد الله، وكلاهما من حفظة الحديث، وابنه محيي الدين أبا سليمان عبد الرحمن الذي كان فقيها، بالإضافة إلى أبي محمد عبد القادر بن عبد

الله الرخاوي، وعبد اللطيف البغدادي المعروف بـ «موفق الدين»، وضياء الدين المقدسي المحدث المشهور وغيرهم من العلماء. ويذكر عالم اللغة العربية والقراءات والمحدث أبو اليمن الكندي أنه لم يظهر حافظ حديث مثل جمائيلي بعد الدارقطني، ويعترف ضياء الدين المقدسي أن أحدا لم يكن يضاهي جمائيلي في تلك الفترة في علم الحديث.

آثاره

1 - الكمال في أسماء الرجال، يعرف هذا المؤلف كذلك باسم «الكمال في معرفة الرجال». ويمثل هذا الكتاب أول دراسة تحتوي على الصحابة والتابعين والرواة الآخرين الذين مرّ ذكرهم في الكتب الستة. وقام المؤلف أولا بتلخيص حياة النبي، ﷺ، التي وردت في «سيرة ابن هاشم»، ثم عقب ذلك ذكر آراء علماء الحديث المشهورين فيما يتعلق بالرواة ودعم ذلك بأسانيدهم. وبدأ أثره بالرواة من الصحابة وذكر أولا العشرة المبشرين بالجنة، ثم ذكر الرواة الذين يبدأ اسمهم بـ «محمد»، وبعد ذلك تطرق إلى بقية الرواة الآخرين حسب التسلسل الألفبائي، وأخيرا عرف بالرواة من النساء.

ومع أن جمائيلي عمل على تقديم معلومات كافية عن الرواة، إلا أنه اختصر بعض الأسانيد والمعلومات، وذلك بهدف عدم تضخيم الكتاب. وأجريت دراسات مختلفة حول «الكمال» من ذيول وإكمال. وفي هذا الخصوص أكمل يوسف بن عبد الرحمٰن المزي في عام 712هـ/ 1312 - 1313م مؤلفه «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» بعد عمل لمدة ثمانية أعوام، وقام بتصحيح «الكمال» وذلك بالاستفادة من مؤلف «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم، وأضاف معلومات جديدة لسير التراجم الموجودة.

ومن أجل تسهيل البحث عن تراجم الصحابة، قام بوضع هذه التراجم بين التراجم الأخرى، وقدم سير التراجم هذه بمنهج يطبق لأول مرة، وأعطى بشكل ألفبائي سيرة كل شخص مرفوقة بأسماء أساتذته وطلابه. وبالإضافة إلى ذلك أضاف إلى كتابه بجانب مؤلفي الكتب الستة سيرة تراجم أكثر من 1700 راوٍ مرّ ذكرهم في قسم من المؤلفات الأخرى. وفي بداية هذه السير وضع رموزا يمكن عن طريقها معرفة الكتب التي مر فيها ذكر هؤلاء الرواة، وبهذا الشكل وسع «الكمال» إلى ثلاثة أمثاله وذلك بعد أن عرض سيرة 8045 راويا. وتوجد معظم النسخ المخطوطة من «تهذيب الكمال» في مكتبات تركيا، كما توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية، وطبعت هذه النسخة صورة طبق الأصل (III، دمشق 1402) بتقديم من عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف دكاك، وقام بشار عواد معروف بنشر الكتاب كاملا، XXXV - I، بيروت 1403 - 1413هـ/ 1983 - 1992م. وقام طلاب المزي وهم من المحدثين المشهورين بإجراء دراسات حول «تهذيب الكمال» تتمثل في الإكمال والاختصار والتهذيب. وأول هؤلاء الطلاب هو الذهبي وحملت دراسته عنوان «تذهيب التهذيب». وتوجد نسخة مصححة لهذا المؤلف بخط الذهبي في مكتبة متحف سراي طوب قابي [أحمد الثالث، رقم 6314

ـ 6316؛ وللإطلاع على نسخه الأخرى انظر: بروكلمان، III، 560].

وتم اختصار «تذهيب التهذيب» من قبل صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي (ت 923هـ/ 1517م) وذلك بعنوان «خلاصة تذهيب التهذيب» [بولاق 1301، القاهرة 1323، 1399هـ/ 1979م؛ نشر محمود عبد الوهاب فايد، I-III، القاهرة 1392]. وقام الذهبي في فترة لاحقة باختصار «تهذيب الكمال» بعنوان «الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة»، ودوّن فيه فقط رواة الكتب الستة، واختصره بنسبة العشر بالمقارنة مع «تهذيب الكمال» [I-III، بيروت 1403هـ/ 1983م؛ I-II، جده 1992].

واكتسب «الكاشف» اهتمام العلماء، فكتب له ابن العراقي ذيلا، بينما كتب له سبط بن الأعجمي حاشية. وتتمثل الدراسة الثالثة للذهبي في الموضوع نفسه في مؤلفه «المجرد من تهذيب الكمال (في أسماء رجال الكتب الستة)»، ورتب كل واحد منها في شكل عشر طبقات بشكل ألفبائي [مكتبة السليمانية، الشهيد علي باشا، رقم 523]، وأسمى دراسته الرابعة «المقتضب من تهذيب الكمال». واختصر أحد طلاب المزي الآخرين وهو أبو المحاسن الحسيني «تهذيب الكمال» وذلك بإخراج سير الرواة غير الموجودين في الكتب الستة، وفي فترة لاحقة أضاف رجال «موطأ» الإمام مالك و«مسند» أحمد بن حنبل، و«مسند» الشافعي، و«مسند أبي حنيفة» لأبي عبد الله حسين بن محمد بن خسرو البلخي، وبذلك أخرج مؤلفه «التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة (التذكرة في رجال العشرة)» [مكتبة كوبريلي، رقم 263، بخط المؤلف]. وبقصد إكمال مؤلف المزي قام مغول طاي بن قلج بإجراء تغيير في جميع سير التراجم وألف كتابه «إكمال تهذيب الكمال» في أربعة عشر مجلدا. وتوجد نسخة الأثر بخط المؤلف في المكتبة الوطنية [فيض الله أفندي، رقم 1478 ـ 1479].

أما أكثر الدراسات تفصيلا حول «تهذيب الكمال» فهي الدراسة التي قام بها ابن حجر العسقلاني، وفي عام (808هـ/ 1405م) أكمل مؤلفه وأسماه «تهذيب التهذيب». واختصر ابن حجر مؤلفه بمقدار الثلث وذلك بالاكتفاء بالمعلومات التي تفيده في الجرح والتعديل بالنسبة للرواة. وبجانب ذلك أخذ سير التراجم التي أخرجها المزي من جديد وأضاف إلى نسبة كتابه حوالي الثلث. وفي فترة لاحقة قام ابن حجر باختصار مؤلفه المشهور هذا وذلك بالاقتصار على اسم الراوي ودرجة الثقة والطبقة التي ينتمي إليها، وأسمى هذه الدراسة «تقريب التهذيب» [نشر عبد الوهاب عبد اللطيف، I-II، بيروت 1395هـ/ 1975م، الطبعة الثانية]، [نشر محمد عوامه، بيروت 1398هـ/ 1978م، الطبعة الثانية]. وأنجزت كذلك دراسات أخرى حول «الكمال»، حيث قام تقي الدين بن فهد في مؤلفه «نهاية التقريب وتكملة التهذيب بالتذهيب» بالجمع بين مؤلف الذهبي «تذهيب التهذيب»، ومؤلف ابن حجر «تهذيب التهذيب»، وأخرج هذا العمل في اثني عشر مجلدا؛ 2 ـ عمدة الأحكام، يعرف هذا المؤلف كذلك باسم «العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام»، وفيه رتّب ـ حسب المواضع ـ حوالي 420 حديثا تتعلق

بالأحكام في صحيح البخاري وصحيح مسلم [نشر مصطفى عبد القادر عطا، بيروت 1406هـ/ 1986م أو 500 حديثا نشر أحمد محمد شاكر]. وحظي هذا الأثر بإقبال كبير في العالم الإسلامي، وتم شرحه من قبل عدد كبير من العلماء. ومن بين هؤلاء العلماء نجد ابن دقيق العيد الذي ألف «إحكام الأحكام» [نشر محمد حامد الفقي وأحمد محمد شاكر، القاهرة 1374هـ/ 1955م، بيروت 1407هـ/ 1987م؛ نشر طه سعد، ومصطفى الهواري، القاهرة 1396هـ/ 1976م]، وأبي حفص تاج الدين عمر بن علي بن سالم المعروف بالفاكهاني (ت 731هـ/ 1331م) الذي كتب مؤلف «رياض الأفهام» [للإطلاع على النسخ المخطوطة انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، III، 558]. وأبي حفص عمر بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الملقن (ت 804هـ/ 1401م) الذي ألف «الإعلام بفوائد عمدة الأحكام»، [نشر عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيكه، I-X، الرياض 1417 ـ 1421هـ/ 1997 ـ 2000م]؛ 3 ـ المحنة عن إمام أهل السنة وقائدهم إلى الجنة، مؤلف يدور حول الأذى الذي لحق بأحمد بن حنبل بسبب مسألة خلق القرآن القاهرة 1932. وتم نشر هذا الأثر في القاهرة 1987 من قبل عبد الله بن عبد المحسن التركي بعنوان «محنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل»؛ 4 ـ النصيحة في الأدعية الصحيحة، يحتوي على حوالي 114 دعاء للنبي ﷺ في مختلف المواضيع، ودون هذه الأدعية من الكتب الستة و«المسند» لأحمد بن حنبل، و«المعجم» للطبراني [نشر رضوان محمد رضوان، القاهرة 1953؛ عبد الله الصديق، القاهرة، بدون تاريخ، مطبعة دار التأليف؛ عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، بيروت 1981، 1985]؛ 5 ـ سيرة النبي وأصحابه العشرة، يُعرف هذا المؤلف باسم «الدرة المضية في السيرة النبوية»، وتناول فيه باقتضاب أبناء النبي ﷺ وزوجاته وأقربائه وخدمه والرسل الذين أرسلهم وحجه وعمرته وغزواته وصفاته وأخلاقه والعشرة المبشرين وغير ذلك من المواضيع. وتم نشره من قبل السيدة هديان أديب الدناوي بيروت 1407هـ/ 1986م، 1410هـ/ 1990م. وشرحه قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبي بعنوان «المورد العذب الهني في الكلام على سيرة عبد الغني»؛ 6 ـ الترغيب والدعاء، يحتوي هذا المؤلف على 137 حديثا في ستة عشر موضوعا مثل فضائل الدعاء والأوقات الأكثر قبولا للدعاء وعدم الاستعجال في الدعاء وماهية الأدعية المناسبة ومتى يُدعى بها، ونشر من قبل فواز أحمد زميرلي بحاشية غنية، بيروت 1416هـ/ 1995م؛ 7 ـ الاقتصاد في الاعتقاد، أثبت جمائيلي في هذا الكتاب أسس الاستواء والعلو الوجه والنزول والرؤية والكلام والقضاء والقدر والإسراء والمعراج والشفاعة والحوض والإيمان وغيرها من المواضيع، وذلك بالاعتماد على القرآن والسنة وآراء علماء السلف، وفنّد في الوقت نفسه الآراء المناقضة. نشر المؤلف من قبل أحمد بن عطية بن علي الغامدي، المدينة المنورة 1414هـ/ 1993م؛ 8 ـ ذكر الجنة والنار، اعتمد في هذا المؤلف كذلك على الآيات والأحاديث وتناول حساب الإنسان يوم

القيامة، وتناول مواضيع مثل السور وجهنم، ونشره محمد الغزاوي بيروت 1415هـ/ 1994م؛ 9 ـ حادث الإفك، يحتوي على روايات الحديث التي تدور حول الافتراء الذي وجه إلى السيدة عائشة ﵂، وفي فترة لاحقة أضاف له كل من ابن القيم الجوزية، وابن العراقي، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم من العلماء شروحات مهمة، وتم نشره من قبل أبي إسماعيل هشام بن إسماعيل السقا، الرياض 1405هـ/ 1985م؛ 10 ـ أحاديث الشعر، مؤلف يتناول أحاديث النبي ﷺ في مدح الشعر وذمه، ونشره خير الله الشريف دمشق 1413؛ 11 ـ المصباح في عيون الأحاديث الصحاح، عبارة عن مؤلف ضمن فيه أحاديث الصحيحين التي وصلت إليه بأسانيدها، ويوجد منه قسم بخط المؤلف في المكتبة الظاهرية [المجموعة، رقم 30، ورق 217أ ـ 244ب]؛ 12 ـ نهاية المراد من كلام خير العباد، أثر عبارة عن مسودة، ويحتوي على 200 جزء حول السنن. وتوجد مجلدات المؤلف الثلاثة في [المكتبة العمرية في دمشق رقم 3844]؛ 13 ـ أخبار الحسن البصري، توجد منه نسخة بخط المؤلف في المكتبة الظاهرية [المجموعة، رقم 55، ورق 165أ ـ 170أ]، كما توجد نسخة أخرى في المكتبة العمرية في دمشق [رقم 3791]؛ 14 ـ الجواهر، يوجد منه جزء في المكتبة العمرية في دمشق [رقم 3825]؛ 15 ـ تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين، يوجد قسم من المؤلف في المكتبة العمرية في دمشق [رقم 3831]؛ 16 ـ فضل شرح رمضان، توجد منه نسختان بخط المؤلف في المكتبة العمرية في دمشق [رقم النسخة الأولى 3807، رقم النسخة الثانية 3791]؛ 17 ـ الأحاديث والأخبار والحكايات، مؤلف يتكون من 100 جزء، ويذكر أنه قرأ هذا الكتاب على الناس [المكتبة العمرية بدمشق، رقم 4541]؛ 18 ـ مناقب النساء الصحابيات [المكتبة العمرية بدمشق، رقم 3754]؛ 19 ـ المنتقى من كتاب الطبقات لأبي عروبة [المكتبة العمرية بدمشق، رقم 4553]؛ 20 ـ جواب عن سؤال في الأئمة الأربعة [المكتبة العمرية بدمشق، رقم 3814]؛ 21 ـ أخبار الصلاة [المكتبة العمرية بدمشق، رقم 3757]؛ 22 ـ تحريم القتل وتعظيمه [المكتبة العمرية بدمشق، رقم 3844]؛ 23 ـ كتاب التوحيد لله ﷻ [المكتبة العمرية بدمشق، رقم 3844]. ويعتقد أن الكتاب الذي يعرف باسم «عقيدة» هو هذا المؤلف نفسه [بروكلمان، III، 592].

توجد نسخة من مؤلفات جمائيلي التالية في المكتبة الظاهرية [بروكلمان، III، 562] وكذلك في المكتبة العمرية بدمشق: 24 ـ «صلاة النبي في الأنبياء ليلة الإسراء» [المكتبة العمرية بدمشق، رقم 3807]؛ 25 ـ «فضائل عمر بن الخطاب» [المكتبة العمرية بدمشق، رقم 3767]؛ 26 ـ «تلخيص كتاب الكنى للحاكم» [المكتبة العمرية بدمشق، رقم 3825]؛ ويوجد مؤلفاه 27 و28 ـ «أبو العاص بن ربيع»، و«مناقب الصحابة» في المكتبة الظاهرية [بروكلمان، III، 592].

باستثناء هذه المؤلفات تذكر له المصادر مؤلفات أخرى هي على النحو التالي: 29 ـ «غُنية الحفاظ في تحقيق مشكل

الألفاظ». وهو مؤلف يتكون من مجلدين؛ 30 ـ «الأربعون» وهو في أربع دراسات مستقلة وهي: «اليواقيت الفاخرة» و«الآثار المرضية في خير فضائل خير البرية» و«الروضة».

وله مؤلفات تتكون من جزء أو أكثر وهي «التهجد»، و«الفرج»، و«الصلاة من الأحياء إلى الأموات»، و«الصفات»، و«ذم الرياء»، و«ذم الغيبة»، و«فضائل مكة»، و«الأمر بالمعروف»، و«فضائل رمضان»، و«فضائل الصدقة»، و«فضائل عشرة ذي الحجة»، و«فضائل الحج»، و«فضائل رجب»، و«وفاة النبي»، و«الأقسام التي أقسم بها النبي»، و«اعتقاد الشافعي»، و«ذكر القبور»، و«درر الأثر»، و«تبيين الإصابة لأوهام حصلت لأبي نعيم في معرفة الصحابة» و«أشراط الساعة».

المصادر والمراجع

● جمائيلي، أحاديث الشعر، نشر خير الله الشريف، دمشق 1413، مقدمة الناشر، ص 17 ـ 32؛ ● المنذري، التكملة لوفيات النقلة، نشر بشار عواد معروف، بيروت 1401هـ/ 1981م، II، 17 ـ 19؛ ● أبو شامة، تراجم رجال القرن السادس والسابع، نشر عزت العطار، بيروت 1974، ص 46 ـ 47؛ ● الملك الأشرف الرسولي، الأسجد المسبوق، نشر شاكر محمود عبد المنعم، بغداد 1395هـ/ 1975م، ص 289 ـ 290؛ ● الذهبي، أعلام النبلاء، XXI، 443 ـ 471؛ XXII، 42 ـ 43، 317 ـ 319؛ ● الذهبي، تذكرة الحفاظ، IV، 1372 ـ 1381؛ ● الذهبي، العبر في خبر من غبر، نشر أبو هاجر محمد سعيد، بيروت 1405هـ/ 1985م، III، 129؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت 1966، XIII، 38 ـ 39؛ ● ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، القاهرة 1372هـ/ 1953م، II، 5 ـ 34؛ ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة 1956، VI، 185؛ ● السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، نشر محمد أبو الفضل، القاهرة 1387هـ/ 1967م، I، 354، 480؛ ● كاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، نشر معلم رفعت الكليسي، شرف الدين يلت كايا، استانبول 1360 ـ 1362هـ/ 1941 ـ 1943م، II، 1013، 1059، 1164، 2053؛ ● إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، نشر معلم رفعت الكليسي، شرف الدين يالت كايا، استانبول 1945 ـ 1947، II، 69، 148، 196، 296، 308، 318، 329، 493؛ ● ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة 1350 ـ 1351، IV، 345 ـ 346؛ ● القطاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة، نشر محمد المنتصر، دمشق 1383هـ/ 1964م، ص 12، 49، 112، 113، 180، 182، 208؛ ● بروكلمان، تاريخ

الأدب العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، القاهرة 1993، III، 556 ـ 562؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دمشق 1376 ـ 1381هـ/1957 ـ 1961م، V، 275 ـ 276؛ ● الموسوعة الفلسطينية، دمشق 1984، III، 167؛

● Fuat Sezgin, Geschichte des arabischen Schrifttums, Leiden 1967-84, I, 132, 140, 143, 503-504, 592.

د. م. يشار قاندرمير
استانبول ـ تركيا
ترجمة: أنعم محمد عثمان الكباشي ـ السودان

الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلاّم

(139هـ/756م ـ 232هـ/846م)

محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي البصري الإخباري المحدّث، أبو عبد الله مولى قدامة بن مظعون الجمحي الصحابيّ البدريّ (ت 36هـ).

ولد ابن سلام بمدينة البصرة وتوفّي ببغداد، إمّا عام 231هـ أو 232 والأرجح الثاني. وكان فاضلاً محدّثًا أديبًا، قدم بغداد سنة 222هـ فأصابته علّة وقد ناهز الثمانين، فاهتمّ به أصحابه لمكانته، وأهدى إليه علية القوم أطبّاءهم، وكان فيمن استدعى لعلاجه يوحنّا بن ماسويه (ت 243هـ) الطبيب المشهور، فجسّ نبضه ثم قال له: ما أرى بك من العلّة مثل ما أرى بك من الجزع، فقال له: والله ما ذاك لحرص على الدنيا مع اثنين وثمانين سنة، ولكنّ الإنسان في غفلة حتّى يوقظ بعلّة، ولو وقفت بعرفات، وزرت قبر الرسول ﷺ زورة وقضيت أشياء في نفسي لسهل عليّ ما اشتدّ من هذا. فقال ابن ماسويه: لا تجزع فقد رأيت في عروقك من الحرارة الغزيرة قوّة ما إن سلّمك الله من العوارض بلغك عشر سنين أخرى. وقدّر لابن سلّام حسب هذا الخبر أن يعيش عشر سنين بعدها.

لا نملك أي معلومات عن حياة ابن سلام ونشأته سوى أنّ لحيته ورأسه قد ابيضّا وهو ابن سبع وعشرين سنة، وأنه كان من أهل بيت لهم في العلم باع. روى ابن سلام عن كثير من شيوخ العلم والحديث والأدب واللغة وسمع منهم، وكثر عدد شيوخه لعلوّ سنه ومثابرته على تتبّع العلم، وسنذكر فيما يلي أسماء عدد من شيوخه الذين استخرجهم محقق طبقات فحول الشعراء من الكتاب: أبان بن عثمان البجلي الكوفي وهو أبان الأعرج (ت 200هـ)؛ وإبراهيم بن حبيب ابن الشهيد، والأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت 216هـ)؛ وبشار بن

برد العقيليّ الشاعر (ت 167هـ)، وأبو بكر محمد بن واسع السلميّ (ت 123هـ)؛ وأبو بكر الهذيلي المدنيّ؛ ويونس بن حبيب الضبي (ت 182هـ)، وعدّتهم تسعة وسبعون شيخًا روى عنهم ابن سلّام في كتاب الطبقات منهم الأعلام الكبار كسيبويه، وبشار، ويونس بن حبيب. ومنهم المجهول لدينا.

وإضافة إلى هؤلاء فقد ذكر الخطيب البغدادي (ت463هـ) وأبو حاتم الرازي أنّ محمد بن سلّام حدّث عن: حماد بن سلمة (ت 167هـ)، ومبارك بن فضالة (164هـ أو 166هـ)، وزائدة بن أبي الرقّاد، وأبي عوانة، وخالد الواسطي، وعمر بن علي بن مورّم.

وروى عن ابن سلّام عدد من علماء الحديث وشيوخ الأدب والرواية نذكر منهم: أحمد بن يحيى ثعلب (ت 291هـ)، وأبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد (ت 284هـ)، والرياشي، العباس بن الفرج (ت 257هـ)، والمازني، بكر بن محمد (ت 249هـ)، والزيادي، إبراهيم بن سفيان (ت 249هـ)، وأحمد بن حنبل (ت 241هـ)، ويحيى بن معين (ت 233هـ)، وأبو بكر بن أبي خيثمة (ت 279هـ)، وأبو خليفة الجمحي (ت 305هـ).

كان ابن سلام من العلماء الأثبات المدقّقين، وقد ظهر هذا في مقدمته لكتابه طبقات فحول الشعراء التي تعدّ اليوم مصدرًا لكلّ من يتصدى لتأريخ النقد العربيّ القديم او لبحث القضايا النقدية.

روى الكتاب عن ابن سلام تلميذه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحيّ، وهو الذي كتب لأبي الفرج الأصبهاني وأجازه برواية الكتاب، ولذلك كثرت مرويات أبي الفرج عن كتاب ابن سلّام.

أثار ابن سلّام في مقدمته قضية نحل الشعر، أي افتعاله ونسبته إلى الشعراء الجاهليين، وقال: «وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجّة في عربيّته، ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتابي لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء، وليس لأحد إذا أجمع العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروي عن صحفيّ».

وذكر ابن سلّام أنّ الشعر فنّ له أهله ونقاده، وليس لكلّ أحد أن يقول فيه، فالشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات. لذلك رأى أنّ محمد بن إسحاق بن يسار كان ممّن أفسد الشعر وهجّنه وحمل كلّ غثاء منه، فقد كان من أهل السير والأخبار فروى الكثير ونسبه إلى أقوام لم يرد عنهم شعر قطّ، بل عنه نسب شعرا لعاد وثمود وليس ما أتى به شعرًا بل «إنه كلام مؤلّف معقود بقواف»، وهذه إشارة قيّمة إلى أنّ للشعر مقومات داخلية خاصّة تجعل منه شعرًا، وليس مقتصرا على الأوزان والقوافي.

وساق ابن سلام أخبارا عن شيوخه عن أولويّة العربية وأشار إلى الفرق بين العربية (عربية القرآن) وبين عربية حمير وأقاصي اليمن. كما وقف ابن سلام موقفا علميا مضادًا لاسترسال النسّابين في النسب حتّى أنّهم يصلون به إلى

آدم، فقال: «فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان ولا نجد لأوّلية العرب المعروفين شعرًا». ثم أورد أخبارا هامّة عن نشأة علوم العربية بالبصرة وعن أولية وضعها وعن العلماء الأوائل الذين بدؤوا وضع علوم العربية والذين نمت على أيديهم كأبي الأسود الدؤلي، ويحيى بن يعمر، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والخليل بن أحمد، وخلف الأحمر، والأصمعيّ، وأبي عبيد، والمفضّل الضبيّ.

كما أشار إلى ذهاب كثير من الشعر القديم بعد الإسلام، وإلى وجود ديوان كتبت فيه أشعار الفحول وما مدح به النعمان ابن المنذر وأهل بيته.

تدلّ المقدّمة على أنّ الكتابين الموسومين باسم طبقات شعراء الجاهليين وطبقات شعراء الإسلاميين إنّما هما كتاب واحد قسم إلى كتابين قسمة داخلية. قال ابن سلّام: «ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام فنزّلناهم منازلهم... فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرًا، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كلّ طبقة متكافئين معتدلين»، فكتابه جامع لفحول الجاهلية والإسلام. ثم تحدّث ابن سلام عن أوّليات الشعر العربي بحسب ما انتهى إليه علمه، وذكر أبياتا رويت على أنها من قديم الشعر، وذكر أوّل من طوّل الشعر وجعله قصيدًا وأوّل من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها.

كما ذكر ابن سلام عشر طبقات لفحول الشعر في الجاهلية، في كلّ طبقة أربعة شعراء، فذكر أربعين. كان يذكر اسم الشاعر ونسبه وبعض شعره وبعض أخباره وأقوال العلماء النقاد فيه... وضمن هؤلاء الجاهليين ذكر بعض الشعراء الذين أدركوا الإسلام وأسلموا كالنابغة الجعدي، ولبيد، وذؤيب الهذلي وغيرهم وعلّة ذلك أن التكوين الفني والشعر المعوّل عليه لهؤلاء الشعراء كان قد نضج في الجاهلية.

ثم ألحق ابن سلام بطبقات الجاهليين ثلاث طبقات لكلّ واحدة خصوصيتها إما من حيث الموضوع وإمّا من حيث المكان، وإما من حيث الدين، فكان لدينا: طبقة أصحاب المراثي، وطبقة شعراء القرى العربية (شعراء المدينة ـ شعراء مكة ـ شعراء الطائف ـ شعراء البحرين)، وطبقة شعراء اليهود. فذكر في هذه الطبقات الثلاث أربعة وثلاثين شاعرا. ثم ذكر فحول الإسلام في عشر طبقات كل طبقة أربعة شعراء. وبذلك يكون مجموع من ذكرهم أربعة عشر ومائة شاعر.

إن كتاب طبقات فحول الشعراء هو جماع علم ابن سلّام الذي وصل إلينا، ويعدّ مصدرًا أساسيا من مصادر النقد العربي القديم ومصادر تأريخ العربية ومصادر الشك في الشعر الجاهلي واقتراح مقاييس التوثيق اللازمة.

آثاره

وردت أسماء كتبه بعضها مصحّف محرّف، وسأذكرها هنا على الوجه المقبول بعد مقارنة المصادر بعضها ببعض والاستفادة ممّا وجّه

إليه العلّامة محمود شاكر (ت 1997م).

1 ـ كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين؛
2 ـ كتاب طبقات الشعراء الجاهليين؛
3 ـ الفاضل في ملح الأخبار والأشعار؛
4 ـ بيوتات العرب، (في الوافي الصفدي، نسب قريش وبيوتات العرب)؛ 5 ـ كتاب الحلاب وإجراء الخيل؛ 6 ـ كتاب غريب القرآن.

ولم يصلنا من هذه الكتب سوى كتابي الطبقات، وقد طبعا في كتاب واحد استقرّت تسميته بـ: «طبقات فحول الشعراء».

ثار جدل حول هذا العنوان الذي تصدّر طبعة هذا الكتاب بتحقيق محمود محمد شاكر عام 1952، غير أنّ ما أورده المحقّق من أدلّة استقاها من مخطوط الكتاب ومن مضمونه وممّن نقل عنه وأذاعها في مقدّمته لطبعة الكتاب عام 1974 قد أقفل باب الجدل أو هو بإقفاله جدير، واستقرّ اسم الكتاب «طبقات فحول الشعراء» وهو جامع لكتابي طبقات الشعراء الجاهليين، وطبقات الشعراء الإسلاميين.

طبعات الكتاب:

أ ـ طبعة يوسف هِلْ باسم «طبقات الشعراء» مط. بريل، ليدن 1913 ـ 1916.

ب ـ طبعة عجام الحديث، مط. السعادة، القاهرة 1920، باسم «طبقات الشعراء»، وهي مأخوذة من طبعة يوسف هل.

ج ـ طبعة محمود محمد شاكر باسم «طبقات فحول الشعراء»، دار المعارف بمصر، سنة 1952، في مجلّد واحد كبير.

د ـ طبعة محمود شاكر باسم «طبقات فحول الشعراء»، مط. المدني بالقاهرة سنة 1974، في مجلّدين كبيرين.

المصادر والمراجع

● الجمحي، ابن سلّام، طبقات فحول الشعراء، ط. المدني، القاهرة، 1974؛ ● أبو الطيب النحوي، مراتب النحويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. نهضة مصر، 1955م؛ ● ابن النديم، الفهرست، تح. رضا تجدّد، طهران، 1971م؛ ● الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصوّر عن ط. القاهرة، بيروت؛ ● ابن الأنباري، كمال الدين، نزهة الألباء، تح. د.إبراهيم السامرائي، بغداد؛ ● السمعاني، الأنساب، بيروت، 1980؛ ● القفطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القهارة، دار الكتب المصرية، 1952؛ ● ياقوت، معجم الأدباء، بعناية أحمد فريد الرفاعي، القاهرة، 1936؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، تح. س. ديدرينغ، ط. فرانز شتاينر، شتوتغارت، 1411هـ/1991م؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1976م؛ ● سلطان، منير، ابن سلّام وطبقات الشعراء، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1977م.

د. عبد الإله نبهان
جامعة اليرموك ـ إربد ـ الأردن

الجمحي، أبو محمد عمرو بن دينار

(46هـ/666م ـ 126هـ/743م)

هو عمرو بن دينار أبو محمد الجمحي، مولاهم المكي الأثرم، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه، ولد بصنعاء سنة 46هـ/ 666م في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وتوفي بمكة سنة 126هـ/ 743م، الأمر الذي يشير إلى أنه قد عاش العصر الأموي بكامله تقريباً، وشهد ما حفل به من تطورات وتبدل في أحوال الناس، والتغير الذي طرأ في الدولة وأساليب تداول السلطة، والتحولات على كافة المستويات العقيدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

سمع ابن عمر، وابن عباس، وجابراً، وابن الزبير، وأبا سعيد، والبراء بن عازب، وعبد الله بن عمرو، وأبا هريرة «وروايته عن أبي هريرة في كتاب ابن ماجة»، وزيد بن أرقم، وأنساً، والمستور بن مخرمة، وأبا الطفيل.

ويضيف الذهبي إلى شيوخه فيقول: «قلت وسمع بجالة بن عبدة، وعبيد بن عمير الليثي، وعبد الرحمٰن بن مطعم، وأبا الشعثاء جابر بن زيد، وأبا سلمة بن عبد الرحمن، وطاووساً، وسعيد بن جبير وعدة، وينزل إلى أبي جعفر الباقر ونحوه، وكان من أوعية العلم وأئمة الإجتهاد».

حدّث عنه ابن أبي مليكة وهو أكبر منه، وقتادة بن دعامة، والزهري، وأيوب السختياني، وعبد الله بن أبي نجيح، وجعفر الصادق، وعبد الملك بن ميسرة، وابن جريج، وشعبة، وسفيان الثوري، والحمادان، وورقاء بن عمر، ومحمد بن مسلم الطائفي، وداؤود بن عبد الرحمٰن العطار، وإبراهيم بن طهمان، وروح بن القاسم، وزمعة بن صالح، وسليمان بن كثير، وعمرو بن الحارث، ومعقل بن عبيد الله، وهشيم، وأبو عوانة، وأبو الربيع السمان، وسفيان بن عيينة، وخلق كثير، وقيل: إن نافعاً مولى ابن عمر يروي عنه، كما قيل: إن أبا حنيفة النعمان بن ثابت قد روى عنه، وإن الإمام مالك بن أنس قد روى عنه حديثاً وحكاية.

كان أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه، وقد عدّ من كبار أوساط التابعين في الفضل والجلالة، وكان من الحفّاظ المقدمين، أفتى بمكة ثلاثين سنة، وأصله فارسي من الأبناء، والأبناء بمكة وباليمن من أولاد الفرس.

اتهمه أهل المدينة بالتشيع والتحامل على ابن الزبير، ونفى الذهبي هذا الاتهام عنه.

قال علي بن المديني: له أربعمائة حديث، ورأى الذهبي غير ذلك، إذ قال: «قد مرّ أن ابن عيينة وحده، سمع منه تسع مئة وخمسين حديثاً، فلعل علياً عنى المسند فقط».

قال سفيان بن عيينة: «قلت لمسعر: مَنْ أثبت مَنْ أدركت؟ قال: ما رأيت أثبت من عمرو بن دينار والقاسم بن عبد الرحمن».

وقال أيضا: «كان ثقة، ثقة، ثقة، وحديثاً أسمعه من عمرو أحبّ إليّ من عشرين من غيره»، وكان يعدّه أعلم أهل مكة في زمنه، وورد عن يحيى بن سعيد القطان قوله: «عمرو بن دينار أثبت عندي من قتادة» لا بل أن أحمد بن حنبل قد قال مثل هذا، وعدّه أثبت الناس في عطاء بن أبي رباح.

قال شعبة: «ما رأيت في الحديث أثبت من عمرو بن دينار».

وقال طاووس: «قال لي أبي إذا قدمت مكة فجالس عمرو ين دينار فإن أذنيه كانتا قمعاً للعلماء».

وقال أحمد بن حنبل: «وكان شعبة لا يقدّم على عمرو بن دينار أحداً، لا الحكم ولا غيره في الثبت، وقال: وكان عمرو مولى هؤلاء، ولكن الله شرّفه بالعلم».

وجاء عن النسائي رأيه الذي قال فيه: «عمرو ثقة ثبت».

وكان عمرو بن دينار لا يدع إتيان المسجد، كان يحمل على حمار ما ركبه إلّا وهو مقعد، وكان يقول: «أحرّج على من يكتب عني فما كتبت عن أحد شيئاً، كنت أتحفظ، وكان يحدث بالمعنى».

وثمة أكثر من خبر يؤكد أنه كان قد جزّأ الليل ثلاثة أجزاء، ثلثاً ينام، وثلثاً يدّرس حديثه، وثلثاً يصلي.

ويظهر أن الرجل قد حظي بتقدير واحترام الفقهاء والعلماء، إذ قال سفيان: «رأيت مالكاً وعبيد الله بن عمر جاءا إلى عمرو بن دينار، فقال لعبيد الله: ما فعل مولاكم ثابت؟ يعني الأعرج؟ فقال: هو حيّ، قال: فذكر قصة طلاق المكره».

وقد سئل إياس بن معاوية: «أيّ أهل مكة رأيت أفقه؟ قال: أسوؤهم خلقا عمرو بن دينار الذي كنت إذا سألته عن حديث يقلع عينه».

ولقد كان عمرو بن دينار إذا بدأ بالحديث جاء به صحيحاً مستقيماً، وإذا سئل عن حديث، استلقى وقال: «بطني، بطني!».

وهنالك أكثر من رواية تشير إلى مكانة هذا الفقيه المحدث الثقة والثبت، فقد جاء عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قوله: «إنه ليزيدني في الحج رغبة، لقاء عمرو بن دينار، فإنه يحبنا ويفيدنا».

وجاء عن عطاء أنه قد أمر تلاميذه بعمرو بن دينار، الأمر الذي يبيّن تقدير علماء وفقهاء عصره له.

ولقد عبّر الزهري عن شيء من هذا التقدير للرجل إذ مرض عمرو بن دينار، فعاده الزهري، ولما قام من عنده، قال: «ما رأيت شيخاً أنص للحديث الجيّد من هذا الشيخ»، وقد روى عمرو عن الزهري، وروى الزهري عنه.. ويبدو أن هذا الفقيه الجليل، كان صاحب موقف وله طريقته ومنهجه في الحديث إذ عرف عنه أنه إذا جاءه رجل يريد أن يتعلم منه لم يحدثه، وإذا جاء إليه الرجل، مازحه وحدّثه، وألقى إليه الشيء انبسط إليه وحدّثه.

وقد سأل رجل عمرو بن دينار عن مسألة فلم يجبه، فقيل له في ذلك، فقال: أدعه على الرجل أحبّ إليّ من أن أجيبه.

ويظهر أن عمرو بن دينار، كان حريصاً، دقيقاً، محترزاً في رواية الحديث، فقد جاء عن شعبة قوله: «جلست إلى عمرو بن دينار خمس مئة مجلس، فما حفظت عنه سوى مئة حديث في كل خمسة مجالس حديثاً».
وورد عن سفيان قوله: «قال لي عمرو بن دينار: مثلك حفظت الحديث، وكنت صغيراً. وقال: وبلغه أني أكتب فشقّ ذلك عليه».
وقد وصف أبو نعيم في الحلية ابن دينار، بالفقيه المتشدد والمتعبد المتهجد، وقد قال: «لمّا مات عطاء، قال هشام لعمرو بن دينار: إجلِسْ وأفْتِ الناس، وأجري عليك رزقاً. قال: لست أريد أن أفتي الناس ولا أن تجري عليّ رزقاً».

ويتضح أن الرجل كان رفيع الخلق، فقد قال سفيان: «جلست إلى عمرو بن دينار سنين فما قال لي كلمة تسوؤني قط».

ويبدو من أحاديثه التي رواها عن الرسول محمد ﷺ اهتمامه بشمولية الحديث النبوي الشريف لشتى مناحي الحياة، فهو يركّز على الأحاديث التي تحبذ الجهاد، ويوضح أمور العقيدة وشؤون الناس الاقتصادية والمعاملات اليومية. ولا غرو في هذا ولا عجب، فالرجل كان يفتي بمكة لسنوات طويلة، ولا بد أن يضيء فتواه بنور الحديث النبوي الشريف الذي يجد فيه الأصول والتأسيس للفكر الإسلامي الذي يتجسد في ضوء آيات القرآن الكريم وما تمثله من أمور العقيدة وأحكام الشريعة، أي لا بد أن تأخذ الجوانب الاقتصادية والأحوال المالية وطبيعة مشاكل الحياة اليومية لمجتمعه حينذاك، حيزاً في فكره الذي ينبغي أن يقترن بالتطبيق العملي والإجراءات الواقعية، أضف أنه استعان بالأحاديث التي تبحث في الحلال والحرام، وأخذ بنظر الاعتبار طبيعة الحرم المكي الذي يفتي فيه، سيما في ظهور حالات جديدة تستوجب مرونة من الفقيه واستجابة للتحولات والمشاكل التي جاءت عن التطور التاريخي.

ومما يشير إلى اهتمام عمرو بن دينار بشؤون المعاملات المالية والعناية بالجوانب الاقتصادية وبما يسلط الضوء على وقائع تاريخية معينة، روايته التي تقول: «بينما النبي يقسم غنيمة بالجعرانة إذ قال أعرابي: اعدل، فقال له النبي: «لقد شقيت إن لم أعدل» وروايته حديث: «نعم السحور للمؤمن التمر» وروايته: «من أهديت له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها».

بيد أن المقاصد الدينية له وطبيعة الرؤية التاريخية والحياة العقلية في عصره، وتكوينه الفكري العقيدي، كانت تدفع به أحياناً إلى إيراد روايات نادرة منها ما يتعلق بالنبي موسى وألواحه وصيامه، ومنها ما يقوله الملك في القبر للميت، إلّا أنه عموماً متزن ودقيق وعملي ومفصح عن موقف سليم حين يورد عن ابن عباس روايته للحديث النبوي الشريف: «ما ولي أحد ولاية إلّا بسطت له العافية، فإن قبلها تمّت له، وإن خفر عنها فتح له ما لا طاقة له به». قلت لابن عباس، ﷺ، ما خفر عنها؟ قال: يطلب العثرات والعورات.

وتتجلى مقاصده الدينية أيضاً في إيراد أحاديث عن التوبة وقبول استغفار العبد لربه، وعن فضائل صحابة النبي محمد وعن النهي عن بعض الكبائر.

لقد كان هذا الرجل الذي عاش ثمانين سنة، قد أمضى حياته الحافلة في تلقي وبث العلم وحب المعرفة النبيلة المجردة عن الأغراض والمنافع العابرة، الأمر الذي جعله ينال تقدير وإجلال معاصريه من الفقهاء والعلماء، كما جعله موضع ثناء واحتفاء من جاء من العلماء والفقهاء في العصور الإسلامية التالية، وذلك هو استحقاق وشأن كل رجل علم حقيقي آمن بشرف العلم والمعرفة.

المصادر والمراجع

● أبو نعيم، حلية الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ج 3، ص 347 ـ 354؛ ● الرازي، كتاب الجرح والتعديل، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن 1360 هـ، ط 1، ج 3، ص 231؛ ● شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1406هـ/1986م، ط 4، ج 5، ص 300 ـ 307؛ ● الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات 121 ـ 140 هـ، تح. د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988 م، ط 1؛ ● الزركلي، الأعلام، ط 3، ج5، ص245.

د. نجمان ياسين
جامعة الموصل ـ العراق

ابن أبي جمرة، أبو محمد عبد الله بن سعد

(ت 699 هـ/1300م)

أبو محمد، عبد الله بن سعد بن أبي جمرة الأزدي.

محدث، راوية، مقرئ، ولي صالح، زاهد، صاحب كرامات، ذو تمسك بالأثر، واعتناء بالعلم.

تلقى العلم بالأندلس، ولم نعرف الكثير عن طفولته وصباه وتلقيه للعلم، وقد عرفنا من شيوخه الإمام أبا الحسن سهل بن محمد الأزدي الغرناطي، وأبا علي حسن الزبيدي، وأبا محمد المرجاني، وأبا الحسن علياً الزيات، وأبا علي السماط، وأبا محمد الزواوي، وعبد الرحمٰن الصقلي، وأحمد بن عثمان القيسي، وكلهم من أهل العلم والسلوك.

وتحول من الأندلس إلى المغرب، وبقي فيه مدة، ثم تحول إلى أفريقية ـ تونس ـ وطلبه السلطان للقضاء، وأجبره عليه، فطلب أن يجعلوا له عدداً من الأعوان ليقوموا بتبليغ الحقوق، وتكون كفايتهم من بيت المال، فاستكثروا ذلك، فاستعفى فأعفوه، ثم أكمل

الرحلة إلى الحج، وعاد واستقر بمصر، واختار زاوية بالمقطم للتدريس والتصنيف منعزلاً عن الناس إلى أن توفي، ودفن بالقرافة، وكان قبره معروفاً يزار وقد اضطرب المؤرخون في تاريخ وفاته فمنهم من قال: 675هـ ومنهم من قال 695هـ، ومنهم من قال 699هـ، وقيل غير ذلك، وقد عمِّر. وكان أمّاراً بالمعروف نهاءً عن المنكر.

ولم يذكر له كثير من التلاميذ، وأجلّ من روى عنه، ابن الحاج محمد بن محمد العبدري المتوفى 737هـ بالقاهرة، وقد لازمه طويلاً، وتأثر به كثيراً في العلم والعمل.

وقد قال عنه في صدر كتابه مدخل الشرع الشريف المعروف باسم المدخل: كثيراً ما كنت أسمع سيدي الشيخ العمدة العالم العامل المحقق القدوة أبا محمد عبد الله بن أبي جمرة يقول: وددت لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد إلى التدريس في أعمال النيات ليس إلا... وهذا يبين التوجه الصوفي عند ابن أبي جمرة، وقد دخل الخلوة مدة وصبر على الجوع، وأخذ نفسه بالرياضات والأحوال والمجاهدة، حتى أثر المنهج الصوفي ومصطلحه في كتابته وسيرته، ولكنه كان ملتزماً بظاهر الشرع في الفرائض والسنن والآداب بدقة شديدة، مترسماً لسيرة السلف الصالح في غاية الورع، ولهذا كانت طريقته هي التوفيق بين الحقيقة والشريعة، وكان يؤكد على أهل الشريعة عدم الإنكار على أهل الحقيقة، الذين كان يدعمهم بأدلة من القرآن والسنة وآثار السلف، وكان يخالف بعض شيوخه في التصوف، وله آراء متميزة في هذا المسلك، وبهذا كانت له مكانة في عصره، إذ نال الثناء من بعض شيوخه وممن جاؤوا بعده، وقد ذكر تلميذه ابن الحاج في المدخل كثيراً من ورعه وسيرته، وأحواله في نفسه وأهله ومن حوله.

آثاره

1 ـ جمع النهاية في بدء الخير وغايته: اختصر فيه الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى 256هـ، مع حذف الأسانيد والاقتصار على اسم الصحابي الراوي للحديث، وعدة ما في المطبوع مائتان وسبعة وتسعون حديثاً. وقال في مقدمته: هي ثلاثمائة حديث غير بضع، وقد كان اختياره لها اختيار عالم راسخ، فهي من الكليات والأحاديث الجامعة، والأصول الشرعية الواضحة.

وقد اشتهر هذا الكتاب بمختصر ابن أبي جمرة، وله مخطوطات عديدة في عدد من المكتبات، [ذكر بعضها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي 3/ 175؛ وسزكين في تاريخ التراث العربي 3/ 244 ـ 245]، وقد طبع مراراً منفردًا، ومع شرحه الآتي لابن أبي جمرة؛ 2 ـ رسالة عنوانها: مقتضى وصفة جمع النهاية ـ المتقدم ـ قال سزكين [1/ 1/ 245] هي في المتحف البريطاني 461، الإضافات 9681، من القرن العاشر الهجري، الأوراق 9 ـ 12؛ 3 ـ بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، وهو شرح على جمع النهاية في بدء الخير والغاية، وهو شرح جليل لقي القبول عند كبار العلماء لما أودعه فيه من استنباطات وآراء مسدّدة، دلت على رسوخه في علم الشريعة

بكافة فروعها، ومن أبرز ما فيه أنه جمع بين الحقيقة والشريعة بأفق واسع وذهن وقاد، وورع تام، قال في مقدمته: «يحتوي على جمل من درر فرائض الشريعة وسننها ورغائبها، وآدابها وأحكامها، والإشارة إلى الحقيقة بحقيقتها، والإشارة إلى كيفية الجمع بين الحقيقة والشريعة. . .، وربما استدللت على بعض الوجوه التي ظهرت من الحديث بآي وبأحاديث، تناسبها وتقويها، فمنها باللفظ ومنها بالمعنى، وأتبعت ذلك بحكايات ليشحذ الفهم بها، وليتبين بها المعنى». . .

وقد سار فيه على منهج صارم، وتفصيل دقيق للحديث الذي يشرحه ولم يشذ فيه عن ذلك من أول الكتاب إلى آخره إذ يقول: في هذا الحديث كذا، والكلام عليه من وجوه، ثم يفصلها واحداً بعد آخر إلى أن ينتهي، ويطيل أحياناً، وفي استنباطاته لفتات ذكية ولمحات قوية تستند إلى علم اللغة وآي القرآن ونصوص السنة وقواعد الأصول والفقه بأسلوب قوي وعبارة جزلة.

ويولي التوفيق بين النصوص الحديثية التي ظاهرها التعارض العناية فينبه على دلالة كل نص وموضع استعماله، والكتاب مليء بالعلم والمعرفة في العقائد، التي كان فيها ظاهر الأشعرية في التأويل، وفقه السنة، دون التعريج على الفقه المذهبي إلا قليلاً، والآداب الشرعية وتدقيقات الورع، وضوابط التربية والتزكية، والتنويه بأحوال أرباب القلوب والإشارات، جاهداً إظهار أدلة أهل التصوف وبيان منزعهم الشرعي على ما يذهبون إليه، مع عدم انجرافه إلى الغلو بل كان يرد على الغلاة وينقض مذاهبهم.

ومن خصائص هذا الشرح أنه لا ينقل بالنص عن أحد من المصنفين إلا نادراً، بل يعتمد على ما يستنبطه ويبديه، ولا يخلو من أحاديث ضعيفة وواهية. وبالجملة فهو كتاب جليل أثر فيمن جاء بعده من المؤلفين والعلماء وخاصة في شراح الحديث وشراح صحيح البخاري على وجه أخص وقد اقتبس منه كثيراً أكبر شارح للبخاري الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، مع تنويهه به.

ولهذا الكتاب مخطوطات عديدة، [ذكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي 3/ 175؛ سزكين في تاريخ التراث 1/ 1/ 245] في عدد من المكتبات، وقد طبع الكتاب مراراً ومنها بالقاهرة سنة 1349هـ/ 1930م وبدار الجيل ببيروت 1972م في أربعة أجزاء في مجلدين، في كل جزء من الأجزاء الثلاثة الأولى مئتان وأربعون صفحة وفي الأخير مئتان وست وتسعون صفحة؛ 4 ـ المرائي الحسان؛ وهي سبعون رؤيا رأى فيها ابن أبي جمرة رسول الله في نومه، أو رآه بعض من يثق به ابن أبي جمرة، وهو ينوه بكتابه المتقدم بهجة النفوس. قال في مقدمته: «جمعت فيه كل ما رئي من المرائي الدالة على فضل شرح مختصر البخاري الذي سميته بهجة النفوس وتحليها، وما لمن قرأه وعمل به واقتناه من الأجر العظيم. . . ولم أذكر منها إلا ما رأيته أنا أو من لا أشك في دينه وصدقه أو من أخبرني عنه سيدنا محمد ﷺ في نومي أنه صادق فيما نقله لي من نومه».

وله مخطوطات عديدة ذكرها بروكلمان، وسزكين وطبع بالقاهرة 1936هـ مع بهجة النفوس، وأعيد طبعه معه بدار الجيل ببيروت

سنة 1972م، في إحدى وخمسين صفحة؛ 5 ـ كرامات؛ قال التنبكتي: له كرامات عديدة رأيتها مجموعة في كراريس، مع أخباره عن أكابر أرباب القلوب؛ 6 ـ مختصر صوان الحكمة؛ اختصر فيه طبقات الحكماء المسمى بصوان الحكمة لابن صاعد.

المصادر والمراجع

● ابن كثير، البداية والنهاية، ط. دار الفكر ببيروت 1398هـ/ 1978م، 13/ 346؛ ● السيوطي، حسن المحاضرة تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار إحياء الكتب العربية 1387هـ/ 1967م، 1/ 523؛ ● التنبكتي، نيل الابتهاج، بإشراف عبد الحميد هرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ليبيا 1989م، ص 216؛ ● ابن الملقن، طبقات الأولياء، تح. وخرجه نور الدين شريبة نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة 1393هـ/ 1973م، ص 439 ـ 440؛ ● مخلوف، شجرة النور، ط. دار الفكر، د. ت، ص 199؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين ببيروت، ط. الرابعة، 1979م، 4/ 89؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ط. دار المعارف بمصر، ط. الرابعة، د. ت، 3/ 175 ـ 177؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، منشورات مكتبة المثنى ببغداد، د. ت، 1/ 599، 2/ 1989، 1097؛ ● سزكين، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، بالرياض 1403هـ/ 1983م، 1، 1/ 244 ـ 245.

د. فاروق حمادة

جامعة محمد الخامس ـ الرباط ـ المغرب

جمعة، محمد لطفي

(1303هـ/ 1886م ـ 1372هـ/ 1953م)

ولد الكاتب والمترجم والروائي والمسرحي والباحث الفلسفي محمد لطفي جمعة في 12 ربيع الثاني 1303هـ/ الثامن عشر من يناير 1886م بحي كوم الدكة بالاسكندرية. وتلقى تعليمه الأول في سن الخامسة بالكتّاب لحفظ القرآن الكريم. ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة طنطا حيث التحق بمدرسة الأقباط الابتدائية، وفي العاشرة بالمدرسة الأميرية التي نال منها شهادة الدراسة الابتدائية سنة 1900. وبعدها انتقل إلى المدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة حيث درس على كل من: طنطاوي جوهري العربية، ومستر فوستر سميث الانجليزية، ومستر هيل التاريخ، وإدوارد فانديك الترجمة.

وفي 1903 سافر إلى لبنان ليلتحق بكلية بيروت في عهد رئيسها هوارد بليس بناء على نصيحة الشيخ محمد عبده. ثم عاد إلى القاهرة والتحق بمدرسة المعلمين بدرب الجماميز، وبعد أن نال إجازتها عين مدرسا للترجمة في مدرسة الغربية ثم مدرسة حلوان. وهناك التقى محمد كرد علي، وعبد القادر المغربي واشتركوا في تحرير الجريدة 1905. وفي عام 1906 سافر إلى أوربا لحضور مؤتمر الصحافة المنعقد بميلانو، وفي مدينة لوزان بسويسرا التقى مصطفى كامل، ومحمد فريد، وحين عودته إلى مصر انتقل للعمل معهما في جريدة اللواء، وأسند إليه مصطفى كامل تحرير جريدة «إيجيبشيان ستاندارد». ولما حصل على الباكالوريا في1907، التحق بمدرسة الحقوق الخديوية، ثم مدرسة الحقوق الفرنسية. وفي سنة 1908 سافر إلى ليون للالتحاق بكلية الحقوق فتلمذ على يدي إدوار لامبير، واشترك في مؤتمر الطلاب في ليون ولوزان، وشارك في مؤتمر الحزب الوطني 1909 في جنيف، ثم سافر إلى لندن للمشاركة في المؤتمر الثاني للحزب في بروكسل 1910 ونال شهادة الحقوق ثم الدكتوراه عن «دستور المدينة في عهد النبي» 1911.

وأصدر أثناء وجوده بأوربا جريدتين: «صوت الشعب» بالعربية في جينيف، وجريدة «مصر» بالانجليزية التي استكمل إصدارها فيما بعد المستر بلنت وإدوارد براون 1912 ثم حزب الوفد المصري بعد ذلك. وفي 1912 اشتغل بالمحاماة، ثم انتدب لإلقاء دروس في القانون الجنائي في كلية الحقوق بالجامعة الأهلية. وفي عام 1931 انتخب عضوا مراسلا بالمجمع العلمي العربي بدمشق.

شارك بالكتابة في عدة صحف هي: اللواء، المؤيد، المنبر والبلاغ اليومي، العلم، المقطم، الأهرام، الدستور، منبر الشرق، روز اليوسف، المقتطف، الهلال، اللطائف، الرسالة، المعرفة، الرابطة العربية، العلم الإسلامي، الحديث في حلب، البلاد في بغداد، الثقافة الإسلامية في حيدر آباد، النضال في لبنان، وغيرها.

وظل في نفس الوقت يعمل بالمحاماة حتى طلب إحالته على المعاش في مارس 1948 بعد أن بلغ الثانية والستين في مارس 1948. وظل يدوّن مذكراته ويكمل مؤلفاته مثل تفسيره للقرآن تفسيرا علميا حديثا في كتابه «نظرات عصرية في القرآن الكريم». كما اشتغل بترجمة رواية «يوليسوس» لجيمس جويس مع مقدمة مستفيضة عن الكاتب وأعماله، إلا أنه لم يكمل سوى ثلث العمل. وتوفي في 2 شوال 1372هـ/ 15 يونيه 1953. وصدرت بعض أعماله بعد وفاته بعناية ابنه رابح لطفي جمعة. منها كتاب «شاهد على العصر» مذكرات محمد لطفي ويشمل الفترة منذ ميلاده حتى ديسمبر 1937 وهي تصور عصرا بأكمله من زواياه الاجتماعية والفكرية والسياسية من شاهد مثقف سياسي ينتمي إلى الحزب الوطني القديم عرض لنا فيه، بعد الحديث عن الطفولة والمولد والعائلة، والتكوين العقلي والعلمي والرحلة إلى فرنسا لطلب العلم وخدمة الوطن، والتكوين الروحي والفلسفي،

وأهم الأحداث التي عاصرها. وللكتاب جزءان لم يصدرا بعد.

ونتوقف أمام كتابيه الفلسفيين «مائدة أفلاطون»، و«تاريخ فلاسفة الإسلام» اللذين يوضّحان الجانب الفلسفي في عمله. ترجم الأول مع دراسة مستفيضة عن الفلسفة اليونانية تناول فيها: أصول الفلسفة اليونانية ومدنيّة اليونان، وقد قسّم في بقية الكتاب الفلسفة اليونانية إلى ثلاثة أقسام: بيان عن الفلسفة السابقة لسقراط، آراء الفلاسفة الأوائل السفسطائيين وأصول فلسفتهم، وأثرهم في تكوين فلسفة سقراط والفلسفة السقراطية، ما كتبه العرب عن سقراط، تلاميذ سقراط. أفلاطون حياته ومؤلفاته وفلسفته. أرسطاليس وما كتبه العرب عنه، الفلسفة بعد أرسطو، الرواقية، المتشككون، الأبيقورية أو فلسفة الملاذ، ثم الأفلاطونية المحدثة، وخاتمة وخلاصة.

أما الكتاب الثاني «تاريخ فلاسفة الإسلام» فألفه في فترة مبكرة من أوائل القرن العشرين بهدف التدليل على فضل فلاسفة العرب المسلمين وتعيين مكانتهم بين فلاسفة العالم للبرهنة على أن المدنية العظيمة التي ظهرت مع الإسلام لم تكن مدنية حرب وطعن ومادة، بل كانت مدنيّة عقل وعلم وفكر عميق، وأن عقيدة هؤلاء الفلاسفة لم تمنعهم من الدرس والبحث والتنقيب عن الحقيقة. ولذا فهو لا يتناول الإسلام في العنوان باعتباره دينا أو عقيدة بل يستخدمه بمعنى حضاري، وعلى هذا يكون الفلاسفة من الأديان الأخرى ممن نشؤوا في ظل المدنيّة الإسلامية حكماء إسلاميين بالمعنى الحضاري، ويرجع ذلك إلى اهتمام الحكام المسلمين بالفكر والعلم والأدب، ويرجع ازدهار هذا الفن إلى قوة الدين، لذا ازدهرت المباحث العقلية، وحين ضعفت العقيدة ضعفت المباحث العقلية فالإسلام كان يغذي الفلسفة ويقويها [ص: ع].

ويقدم لنا رأيا متقدما حين يضع ابن عربي بين الفلاسفة وهو عنده أحق من الغزالي الذي يضعونه بين الفلاسفة لكونه وضع كتابا في الفلسفة بغض الطرف عن الغاية التي يقصد إليها، وابن عربي عنده أحق بوصف الفيلسوف من الغزالي [ص: و]. وقد تناول بعد المقدمة الكندي ثم الفارابي وابن سينا والغزالي، وينتقل إلى المغرب فيعرض لابن باجة، وابن طفيل، وابن خلدون، ثم إخوان الصفا والحسن بن الهيثم، ومحيي الدين بن عربي، ثم مسكويه.

آثاره

1 ـ في بيوت الناس، مجموعة قصص قصيرة؛ 2 ـ في وادي الهجوم، رواية؛ 3 ـ ليالي الروح الحائر، رواية؛ 4 ـ حكم نابليون؛ 5 ـ تاريخ فلاسفة الإسلام. قدم فيه دراسة شاملة عن حياتهم وأعمالهم ونقدًا تحليليا لآرائهم الفلسفية ظهر لأول مرة سنة 1345هـ/ 1927م، وطبع مرات أخرى منها طبعة عالم الكتب، القاهرة 1999؛ 6 ـ الحكمة المشرقية، ويضم ثلاثة كتب هي: حكم فتاح حوتب، وروضة الورد للشيرازي، والتعليم الراقي للمرأة اليابانية، 1912؛ 7 ـ محاضرات في التاريخ والاقتصاد؛ 8 ـ الأمير لمكيافلي، وهو تاريخ الإمارات

الغربية في العصور الوسطى، ترجمة ودراسة، نشر مكتبة التأليف، القاهرة 1912؛ 9 ـ مقدمة قانون العقوبات ومبادئ العلوم الجنائية، القاهرة 1917؛ 10 ـ مائدة أفلاطون (كلام في الحب) منقول عن الحكيم اليوناني، وقدم له بدراسة طويلة في الفلسفة اليونانية القديمة والفلسفة الأوربية الحديثة؛ 11 ـ رسائل في علم الاجتماع؛ 12 ـ الشهاب الراصد، رد به على طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي»، صدر عام 1926؛ 13 ـ حياة الشرق، دولة ماضية وحاضرة 1934؛ 14 ـ بين النمر الإيطالي والأسد الإفريقي، عن الحرب بين إيطاليا والحبشة؛ 15 ـ ثورة الإسلام وبطل الأنبياء أبو القاسم محمد بن عبد الله سنة 1939، وصدر بجميع أجزائه سنة 1958؛ 16 ـ نظرات عصرية في القرآن الكريم؛ 17 ـ سجل أشهر القضايا العالمية، مطبعة حجازي، القاهرة 1934؛ 18 ـ سلسلة مسامرات الشعب، وهي روايات مترجمة مثل: الساحر الخالد، الانتقام الهائل، الكنز الدفين، الجسد والروح؛ 19 ـ في الأدب والنقد، إعداد ومراجعة رابح لطفي جمعة مع مقدمة للدكتور إبراهيم عوض، عالم الكتب 2000، وبه عدة دراسات فلسفية مثل: أثر الشعر الفلسفي في الفكر الإنساني آراء فون كرامر ومرجليوث في شعر أبي العلاء، وجمهورية أفلاطون؛ 20 ـ شاهد على العصر، مذكرات محمد لطفي جمعة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 2000؛ كما جاء في البيبليوغرافيا التي قدمها أحمد حسين الطماوي في كتابه «محمد لطفي جمعة في موكب الحياة والأدب» بيان لعدد كبير من الدراسات الفلسفية مثل «محاولة تفسير العالم»، و«الإله في نظر أرسطو»، و«ترجمة فلسفية لحياته»، وبحث في «فلسفة التاريخ»؛ كما كتب محمد لطفي جمعة «رسائل فلسفية النزعة للشيخ محمد عبده»، و«مقالات عن بايكون»، و«الرد على منصور فهمي في حالة المرأة المسلمة»، و«لالاند أستاذ الفلسفة تعليقا على زكي مبارك»، و«الطرطوشي أستاذ ميكيافللي»، وغيرها.

المصادر والمراجع

● الفكر الفلسفي في مائة سنة، هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأمريكية بيروت 1962، ص 251 ـ 252، 348؛ ● جمعة، رابح لطفي، محمد لطفي جمعة سلسلة أعلام العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1986، ط 7، 7/15 ـ 16؛ ● جمعة، رابح لطفي، محمد لطفي جمعة وهؤلاء الأعلام، دار الوزان، القاهرة 1991؛ ● الطماوي، أحمد حسين، محمد لطفي جمعة في موكب الحياة والأدب، دار عالم الكتب، القاهرة 1993؛ ● إسماعيل، سيد علي، دراسات حول مسرح محمد لطفي جمعة، مع نشرة نقدية لبعض أعماله المسرحية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة 1997؛
● عوض، د. ابراهيم، كاتب من جيل العمالقة، محمد لطفي جمعة قراءة في فكره الإسلامي، دار عالم الكتب، القاهرة 1997؛ ● جاب الله، أحمد عبده،

جهود محمد لطفي جمعة في الدفاع عن الإسلام واللغة العربية وآدابها، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإسلامية 1999؛ ● غنيم، لطفي سعد أحمد، النقد الأدبي عند محمد لطفي جمعة، رسالة ماجستير بقسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر (قيد الإعداد)؛ ● إمام، مجدي، الفن القصصي عند محمد لطفي جمعة، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس.

د. أحمد عبد الحليم عطية

جامعة القاهرة ـ مصر

■ الجمل، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد

(ت 1107هـ/1696م) ■ ■ ■

إبراهيم بن محمد الجمل، أبو إسحاق، مولده ومنشؤه بصفاقس، وكان ضريرا. حفظ القرآن ومبادئ العلوم ببلده ثم انتقل إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة حيث تفرّغ لدراسة علوم القراءات وما يتصل بها من علوم العربية، وكانت له عناية بعلم الحديث.

أخذ علوم القراءات عن الشيخ ساسي الجبالي المقرئ وتلا عليه بالسبع والعشر.

وبعد تخرجه انتصب لتدريس هذه الفنون بجامع الزيتونة وبعض المساجد القريبة منه، واستفاد منه جماعة كبيرة من طلبة العلم، منهم: الوزير السراج، ومحمد زيتونة، ومحمد الخضراوي وكان له حظ من العبادة والزهد.

وصفه تلميذه السراج بقوله: «وله بالقرآن العظيم أشدّ شغف حتى امتزج بلحمه ودمه، وربما تسأله عن السورة الفلانية كم فيها من آية، فيخبر أن فيها مائتين مثلا، فتسأله سرد رؤوس الآي مجرّدة، فيسردها بسرعة من غير توقف ولا تثبت، وتسأله كم من وقف فيها ؟ فيخبر حالا ويسردها كالذي يقرأ الفاتحة، وهذا شأنه بالقرآن كلّه».

وكانت وفاته بتونس سنة 1107هـ/1696م، ويفهم من عبارة مقديش «إن الشيخ الجمل أسرعته منيّته» أنه مات صغيرا.

■ آثاره

ترك الشيخ الجمل مؤلفات هامة في القراءات إلا أنها لم تصلنا. نذكر منها: 1 ـ جامعة الشتات، في عدّ الفواصل والآيات، في نحو من 1300 بيت؛ 2 ـ كتاب في الوقف؛ 3 ـ جواب عن لفظ «كلّا» وكيفية الوقوف عليها؛ 4 ـ نظم وتلخيص كتاب «النشر في القراءات العشر لابن الجزري» ولم يتمّه، بلغ فيه نحو ثلاثة آلاف بيت؛ 5 ـ رسالة في عاد

الأولى؛ 6 ـ تخاميس ـ وعدّتها خمسة ـ على قصيدة «البردة للبوصيري» وله تشمين عليها أيضا.

المصادر والمراجع

• ذيل بشائر أهل الإيمان، ص 190 ـ 191؛ • الحلل السندسية 2، 582 ـ 588؛ • نزهة الأنظار 2، 370؛ • كتاب العمر 1، 177 ـ 178.

أ. البشير البكوش
أمين مكتبة مجلس النواب ـ تونس

جمل الليل، باحسن، عبد الله بن محمد

(1278هـ/1861م ـ 1347هـ/1928م)

هو الفقيه القاضي، المؤرّخ والأديب والشاعر والملحّن عبد الله بن محمد بن عبد الله باحسن، وهو من آل جمل الليل العلويّين، وهم آل محمد الشهير بـ«جمل الليل» ابن حسن (المعلم)، وسبب اللقب «جمل الليل» أنّ جدّه كان يتّخذ الليل كلّه صلاة وعبادة فلقّب بذلك، أي أنّه يتخذ الليل جملا يركبه حتّى الفجر. وهو من أهالي مدينة الشحر بحضرموت، ولد بها عام 1278هـ/1861م، ونشأ، وبدأ قراءة القرآن في إحدى زوايا الشحر «معلامه أو كتّاب»، كما أتقن الخط كتابة وعلما [السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميّين، ج5، ص 60 ـ 61؛ المحضار، بكائيّات، ص 27؛ عبد الله الحبشي، ص 361؛ عبد الله حداد، باحسن بلبل الشحر الصدّاح، ص 4؛ الملّاحي، نظرات في مسرح المحضار الغنائي، ص 6].

أخذ العلم من علماء ومعلمي وقته، ولازمهم حتّى برع في أنواع شتّى من العلوم، ونذكر من أساتذته : العلّامة عبد الله بن سالم عبيد وكان شيخه الدائم (ت 1888م)، وعليه تخرّج في أنواع شتّى من العلوم، فقها وحديثا، وتفسيرا، ونحوا وغيرها، وذكر صاحب الترجمة عددا من معلميه منهم، والده محمد بن عبد الله باحسن، ومحمد بن أحمد الشاطري، وصف صاحب الترجمة بالعلّامة، وناصر بن صالح بن الشيخ علي، وقد قال عنه قاضي الشحر، ومحمد بن سالم باطويح ووصفه بالعلامة النحوي، والعلامة علوي بن عبد الرحمٰن المشهور (ت 1922م) وقرأ عليه ديوان بن معتوق، وشرح المحلي على المنهاج، والقاضي عبد الله بن محسن السقاف وهو من أهل سيئون (ت 1896م) استفاد منه في مجال القضاء، وتلقى الفقه والتصوّف على يد العالم سالم بن محمد باوزير، وهو من غيل باوزير، كما استفاد كثيرا من مؤسس الرباط في سيئون في عام 1878م العالم الصوفي الشاعر علي بن محمد الحبشي وغيرهم [السقاف، المرجع

المذكور، ص 62 ـ 70؛ الحداد، المرجع المذكور، ص 4 ـ 5؛ عبد الله الحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص 361].

هكذا كان صاحب الترجمة أديبا واسع الاطّلاع، ومؤرّخا وفقيها، أيضا ولا ننسى بأنّه كان عاشقا للفنّ، شاعرا وملحّنا، فكان له نشاط فنّي زاخر، بل شكّل ذلك مدرسة فنّية كبيرة لها أثرها الكبير على الساحة الفنّية في حضرموت، وقد غنّى له عديد من الفنّانين اليمنيّين منهم: عمر محفوظ غابّه، ومحمد جمعة خان، وعبد الله حاج بن طرش، ومحمد سالم بن شامخ، وعبد الرب إدريس، وأبو بكر سالم بلفقيه، وكرامة مرسال، وبدوي الزبير، ومحمد سعد عبد الله، وابراهيم الماس، وأحمد بن أحمد قاسم، ومن الكويت غنّى له يوس البكر، وعوض دوخي، وغيرهما، ومن البحرين محمد بن فارس، وضاحي الوليد، ومن عمان راشد سالم الصوري... وقد انتشرت أغنيات صاحب الترجمة في اليمن وفي كثير من البلدان خصوصا لدى الجاليات اليمنيّة في مدن الهند وشرق آسيا، وشرق افريقيا، وكذا في كلّ مدن دول الخليج العربي [عبد الله حداد، المرجع المذكور، ص 6، 9 ـ 15؛ سعيد عوض باوزير، الفكر والثقافة في حضرموت، ص 185؛ بامطرف، مقدّمة ديوان ابتسامات العشّاق].

وبذلك فإنّنا نجد صاحب الترجمة مشجعا ومحبّا، بل عاشقا للفنّ ـ الموسيقى والغناء ـ ضاربا بالعقليات المتحجرة في مجتمعه آنذاك عرض الحائط، مناضلا في أن يعلو بشأن الفنّ في بلدته، وبالفعل كان علما ورمزا بارزا في حضرموت بل في خارجه، هكذا نجده يؤمن برسالة الفن ويكرس جلّ نشاطه في سبيله، لأجل ذلك اكتسب شجاعة نادرة لم تثنه عنها غضبة كبير ولا اعتراضة أمير.

توفي بالشحر ودفن بها [بامطرف، الرائد والفنان، ص9؛ عبد الله حداد، المرجع المذكور، ص 4، 8].

■ آثاره

1 ـ النفحات المسكية في تاريخ الشحر المحميّة، (مخ)، يقع في جزأين، يوجد في مكتبة الأحقاف بتريم تح رقم (2201 ـ 2202)، ذكر فيه أوليا مدينة الشحر، ومساجدها، ومدارسها، وذكر حكّام الشحر ومنهم السلطان أبو طويرق بدر بن عبد الله الكثيري (تولّى الحكم 1521م) وهو السلطان الذي تصدّى للغزو البرتغالي على الشحر، وذكر في كتابه هذا تواريخ أخرى [المحضار، بكائيّات، ص 27؛ فهرست الكتب المخطوطة بمكتبة الأحقاف بتريم، ص 67؛ عبد الله حداد، المرجع المذكور، ص 8]؛ 2 ـ عدد من المقامات الأدبيّة وُجد منها: أ ـ إطلاع الأحياء على امتحان الدنيا، وتسمّى كذلك «تقريع الآذان في عجايب الزمان» كتبها في 25 صفر 1342هـ/ 16 أكتوبر 1923م (مخ)؛ ب ـ المقامات الشحريّة الشهيرة في الجهة الحضرميّة، كتبها في 8 شعبان سنة 1343هـ/ 3مارس 1925م (خ)؛ ج ـ نقل الأخبار القادمة فيما جرى بين المعاملة (مخ)؛ د ـ متاعب الأسفار في رحلتي إلى جزيرة زنجبار، ويبدو بأنّها المشهورة بالمقامة

السواحليّة (مخ) (لأنه هاجر إلى شرق إفريقيا وعاد إلى بلده)؛ هـ ـ تنبيه العقلاء بشرح ما جرى على أبناء الفضلاء، كتبها في 3 ذو القعدة 1330هـ/ 13أكتوبر 1912م، (مخ) بمكتبة الأحقاف بتريم برقم (2914) [المقامات نقلا عن: السقاف، تاريخ الشعراء، ج5، 63؛ عبد الله حداد، المرجع المذكور، ص 8؛ الحبشي، مصادر الفكر العربي، ص 361]؛ 3 ـ ديوان شعر، اشتمل على قصائد متنوّعة، قيلت في مناسبات مختلفة، ومنها مدائح ومراثٍ وإخوانيات، ومنها نصائح، وشكوى الزمان وأهله، وقصائد غزليّة وغيرها، ونُشر بعض منه في كتيب بعنوان «باحسن الرائد والفنان»، وهناك جهود مبذولة في محافظة حضرموت لدراسة وتحقيق ونشر نتاجاته الأدبيّة والتاريخيّة [المحضار، المرجع المذكور، ص 27؛ عبد الله حداد، المرجع المذكور، ص 8؛ عبد الله الحبشي، مصادر الفكر العربي، ص 361].

المصادر والمراجع

● السقاف، عبد الله محمد، تاريخ الشعراء الحضرميين، مطبعة حجازي، القاهرة، 1353هـ؛ ● وزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في حضرموت، المطبعة السلفيّة، القاهرة، بدون تاريخ؛ ● المحضار، حسين أبو بكر، بكائيات، جمعها عبد الله فرج بازرقان، الطبعة الأولى، صنعاء، 2001م؛ ● بامطرف، محمد عبد القادر، باحسن الرائد والفنان، دار الهمداني، عدن؛ ● بامطرف، محمد عبد القادر، مقدّمة ديوان ابتسامات العشّاق للشاعر حسين المحضار، المكتبة الشعبيّة، بيروت، بدون تاريخ؛ ● الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمنيّة، صنعاء، بدون تاريخ؛ ● حداد، عبد الله صالح، باحسن بلبل الشحر الصدّاح (ص 2 ـ 15)، شبام الثقافة، العدد 23، أكتوبر 2003م، تصدر في محافظة حضرموت، المكلا؛ ● اطلاحي، عبد الرحمٰن عبد الكريم، نظرات في مسرح المحضار الغنائي، صحيفة شبام، العدد 244، 29 أكتوبر 2003، حضرموت، المكلا؛ ● فهرست الكتب المخطوطة بمكتبة الأحقاف بتريم للمؤلفين اليمنيين، مركز الأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف سيؤون، 1988م.

د. محمد عبد الله بن خاوي باوزير

جامعة عدن ـ اليمن

ابن جُمَيع الصَّيْداويّ، أبو الحسين محمد بن أحمد

(305هـ/917م ـ 402هـ/1011م)

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُمَيْع الصَّيْداوي، الحافظ، المُسند، وأشهر المحدّثين الّذين أخرجتهم مدينة صيدا في كلّ تاريخها على الإطلاق. اشتهرت أسرته برواية الحديث، ويرجع في نسبه إلى «غسّان» وهي القبيلة العربيّة الّتي كانت في بلاد الشام قبل ظهور الإسلام.

ولد في مدينة صيدا بساحل الشام سنة 305هـ وقيل 306هـ. ونشأ فيها وتلقّى علومه وهو صغير على شيوخها، فسمع من أبيه، وكان يخرج معه في رحلاته للتّجارة، فأفاد من ذلك، فكان يلتقي بالشّيوخ والحفّاظ فيأخذ عنهم الحديث والفوائد والآثار الأدبيّة. وطوّف في بلاد الشام، والعراق، وديار مصر، وبلاد فارس، وكُوَر الأهواز، والحجاز، وأحصى شيوخه في «المعجم» الّذي جمع فيه سماعاته عنهم، فبلغ عددهم «387 شيخًا» بين محدّث وأديب وشاعر، توزّعوا في «55 مدينة وبلدة ومكان» نذكرها مرتّبة على الحروف:

الأُبُلّة، الأثارب، أَذَنة، أصبهان، أنطاكية، الأهواز، بالِس، البصرة، بغداد، بلد، بيّاس، بيت المقدس، بيروت، تنّيس، جبّل، جبلة، حلب، حمص، دمشق، دمياط، دير العاقول، الرافقة، الرامَهُرمُز، الرُّصافة، الرقّة، الرملة، الرُّها، سيراف، شيراز، الصّرفند، صنحا الشام، صور، صيدا، طرابلس الشام، طرسوس، عِرقة، عسكر مصر، عين زربة، فرغانة، الفُسطاط، قرقيسيا، القُلْزُم، كفربيّا، الكوفة، مَرعش، مصر، المصيصة، مكّة، منْبِج، الموصل، نصيبين، نهر الملك، همدان، واسط، يافا.

وتأتي بغداد في طليعة البلدان من حيث عدد الشّيوخ الّذي لقيهم بها وأخذ عنهم، فبلغوا ـ مع الرصافة ـ 85 شيخًا، تليها مصر 28 شيخًا، ثمّ البصرة 27 شيخًا، فبلده صيدا 21 شيخًا، ما يعني أنّه أطال المقام في بغداد والبصرة ومصر. ومن غير المعروف كم استغرقت رحلته من الوقت، ولعلّه خرج من صيدا على دفعات وهو صغير، فأخذ على أحد الشّيوخ ولم يكن قد تجاوز الخامسة من سِنِّ عُمره.

وعندما استقرّ به المقام في بلده جلس لرواية الحديث في المسجد الجامع بصيدا، فقصده عشرات الطّلبة ليسمعوه ويستجيزوه في الرّواية عنه، فحدّث بمعجم شيوخه الّذي جمعه في رحلته، واشتهر كتابه هذا، فكان بين أكثر كتب الحديث رواية في المساجد ببلاد الشام وغيرها، وبه تخرّج الكثير من العلماء والحفّاظ والمسندين. وكان ابن حجر العسقلاني يحدّث به في القرن التّاسع الهجري.

والأسلوب المتّبع في تأليف «المعجم» سهل وبسيط، حيث رتّب أسماء الشّيوخ على ترتيب الحروف ولكنّه بدأ بمن اسمه «محمد» تيمّنا باسم النّبيّ ﷺ، كما لم يراع في التّرتيب اسم الأب أو اسم الجدّ، فذكر من اسمه «عُبيد الله» قبل «عبد الرحمٰن»، وهكذا، وبعد ذكر اسم شيخه، يذكر السّند بتمامه، ثمّ نصّ الحديث النّبوي، أو الفائدة، أو الأثر الأدبيّ من شِعرٍ، أو حكمة، أو موعظة، أو قول مأثور، دون أيّ تعليق.

وأهمّ ما يسترعي الباحث المؤرّخ أنّ «ابن جُمَيع» يُهمل تمامًا تأريخ سماعاته على الشّيوخ، وهذا يجعلنا نجهل تمامًا تاريخ مسار رحلته الطّويلة الّتي قطعها من بلد إلى بلد، فضلاً عن أنّه لا يؤرّخ لوفاة أيّ من شيوخه إلّا في مواضع ثلاثة فقط، ولا يُترجم لهم مطلقًا، بل هو لا يذكر اسم البلد الّذي سمع فيه في بعض الأحيان. وقد شذّ مرّة واحدة ـ إن جاز التّعبير ـ عن منهجيّته، فذكر مولد أحد شيوخه.

وبما أنّ «ابن جُمَيع» التزم بإثبات حديث واحدٍ أو فائدة واحدة عن كلّ شيخ من شيوخه في «المعجم»، فإنّ هناك عدّة روايات أخرى لم يذكرها فيه، ويمكن الوقوف عليها والتقاطها من كتب الحديث والفوائد.

آثاره

1 ـ معجم الشّيوخ؛ 2 ـ المنتقى من معجم الشّيوخ؛ 3 ـ معجم تلاميذ ابن جُمَيع (أو سماعاتهم).

المصادر والمراجع

- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص1678؛
- الزركلي، الأعلام، 6/ 205؛
- كحالة، معجم المؤلفين، 8/ 315؛
- سزكين، المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، المستدرك على الجزء الثاني، ص 33؛ ● ابن جُمَيع الصّيداوي، بتحقيقنا، طبعة ثانية، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، دار الإيمان، طرابلس، 1987م.

د. عمر عبد السلام تدمري
الجامعة اللّبنانية ـ طرابلس ـ لبنان

ابن جميع، أبو العشائر هبة الله بن زين

(525هـ/1131م ـ 594هـ/1198م)

ولد «الشيخ الموفق شمس الرياسة أبو العشائر» هبة الله بن زين بن حسن بن أفرائيم بن يعقوب بن إسماعيل بن جميع الإسرائيلي في مدينة الفسطاط (مصر القديمة حاليًا). ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته. ولكنه كان تلميذًا للطبيب عدنان بن نصر

المعروف بابن العين زربي (المتوفى سنة 548هـ). فإذا قدّرنا أنه تتلمذ عليه سنة 545هـ، وأنه كان في العشرين من عمره حينذاك، فتكون ولادته حوالي سنة 525 هـ. أمّا تاريخ وفاته فقد أجمعت المصادر على أنه سنة 594 هـ. وكانت مدينة الفسطاط مجاورة للقاهرة الفاطميّة. وقد أطلق علي بن رضوان (ت 460هـ/ 1067م) اسم المدينة الكبرى بمصر على ما نطلق عليه اليوم «القاهرة الكبرى». وكانت تشمل في أيامه الفسطاط والقرافة والجزيرة (جزيرة الروضة التي تسمى اليوم حي المنيل) والقاهرة المعزية أو الفاطمية والجيزة. وقد عرفت القاهرة الفاطميّة بكثرة العلماء الوافدين إليها والمقيمين بها. فكان من شيوخ صاحب الترجمة الطبيب ابن العين زربي كما ذكرنا. ومنهم كذلك علي بن سليمان المعروف بابن البواب، أحد أطباء البلاط الفاطمي. وقد عرف علي هذا وابنه بلقب «الشيخ السديد». ومن نبغ في هذا العصر في القاهرة الفاطميّة أيضا الطبيبان سلامة بن رحمون، وأبو الصلت أمية بن عبد العزيز.

وقد أدرك ابن جميع الأحداث السياسيّة التي أدت إلى سقوط الدولة الفاطميّة وتأسيس الدولة الأيوبيّة على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. وصار أحد أطباء بلاطه (أي خلال الفترة من 567هـ/ 1171م وهي تاريخ نهاية الدولة الفاطميّة إلى سنة 587هـ/ 1191م التي توفي فيها صلاح الدين). حيث كان بلاطه يضم مشاهير الأطباء العرب من يهود ومسيحيين ومسلمين، مثل موسى بن ميمون، وابن المطران، والشيخ السديد عبد الله بن علي بن سليمان السابق ذكره وغيرهم.

وعمل ابن جميع في البيمارستان الناصري الذي أسسه صلاح الدين. وإضافة إلى عمله كان له مجلس عام يلقي فيه دروسا في الطب على العديد من تلاميذه. ومن هؤلاء أبو الفضل داود بن أبي البيان سليمان، ويوسف بن هبة الله بن مسلم. وكان ابن أبي البيان من الأطباء البارزين في عصره، حسب شهادة معاصره مؤرخ الطب ابن أبي أصيبعة.

اشتهر ابن جميع ببراعته في الطب. وتروى عنه حكاية مشهورة عن إنقاذ مريض تعرض لنوبة إغماء تخشبي cataleptic fit، فظن أهله أنه مات، وحملوه على النعش ليدفنوه. فتنبّه ابن جميع إلى أن قدميه منتصبتان، بخلاف الأموات الذين تكون أقدامهم مسترخية. فصاح بأهله بأنّ صاحبهم حي. وعمل على إفاقته وإنعاشه من الإغماءة. وتدل المواضيع المبتكرة لأغلب مؤلفاته على براعته.

من تلاميذه كما ذكرنا أبو الفضل سديد الدين داود بن أبي البيان سليمان الإسرائيلي (556هـ/ 1161م - 636هـ/ 1241م) المعروف بالسديد ابن أبي البيان. وهو مؤلف «الدستور البياني في الطب» حول الأدوية المركّبة وكيفية إعدادها. وقد وضعه مؤلفه ليكون كتاب إرشادات للبيمارستان الناصري الذي عمل فيه هو وأستاذه ابن جميع. وقد نشر في مجلة Der Islam سنة 1910م، كما نشره بولس سباط في مجلة المعهد المصري سنة 1933م.

وابن البيطار (المتوفّى سنة 646هـ/ 1248م)

اعتمد في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» على رسالتي ابن جميع في كل من الليمون والراوند، ونقل عنهما أكثر محتوياتهما. فنجد بعد ذلك مادة «الليمون» تنشر على حدة، ثم تترجم إلى اللاتينيّة، منسوبة إلى ابن البيطار، لأنها استخرجت من كتابه. بينما هي مقتبسة بأكملها من ابن جميع، كما صرّح بذلك ابن البيطار نفسه. ومازال بعض الباحثين المحدثين يقع في هذا الخطأ، كما بيّن إبراهيم بن مراد في بحثه المذكور ضمن المراجع.

وفي عام 658هـ/ 1260م ألّف الطبيب اليهودي أبو المنى داود بن أبي نصر المعروف بكوهين العطار كتاب «منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان»، وفيه نقل صراحة عن كتاب «الإرشاد» السابق ذكره في أكثر من ثمانين (80) موضعا. كما ينقل كذلك من رسالة ابن جميع في السقنقور.

وفي سنة 681هـ/ 1282م سافر الفلكي الطبيب قطب الدين الشيرازي إلى مصر ضمن رحلات متعدّدة قام بها لطلب العلم. فاطّلع هناك على مراجع قيّمة في الطب، عدّد منها «تنقيح القانون» لابن جميع.

آثاره

1 ـ رسالة في منافع الليمون، طبعت بتحقيق الباحثة هيا الدوسري سنة 1988؛ 2 ـ الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد، منه سبع (7) نسخ في تركيا، وست (6) نسخ في بريطانيا، وأربع (4) في سوريا، ونسختان (2) في كل من ألمانيا والفاتيكان والهند، ونسخة واحدة في كل من القاهرة وباريس. المجموع خمس وعشرون (25) نسخة؛ 3 ـ التصريح بالمكنون في تنقيح القانون: منه نسخة واحدة في كل من دمشق وأكسفورد وبرنستون وإستنبول وأرجين. فهذه خمس (5) نسخ حول العالم.

ويدلّ العدد الكبير من مخطوطات هذا الكتاب حول العالم على رواجه بين أطباء العصور السالفة. وهو في أربع مقالات:

الأولى تبحث في القوانين الكلية من صناعة الطب والأخلاط والأمزجة والأعضاء وتشريحها من الرأس إلى القدم وواجبات الطبيب وحفظ الصحة.

والثانية في الأدوية المفردة والأغذية مرتبة على الأحرف الأبجدية باختصار. والمقالة الثالثة في قوانين حفظ الصحة للأبدان ومداواة الأمراض، ومن ذلك الحجامة والاستحمام. والأخيرة في الأدوية المركّبة، وتقع في 22 فصلا. ويبيّن فيها أسباب الحاجة إلى إعداد أدوية مركّبة. ثمّ يذكر أصناف تلك الأدوية من ترياقات (الدواء المضاد للسم) ومعاجين وإيارجات (الدواء المسهل، أي المشير للإسهال) وحبوب ومربّيات وسعوطات (الدواء الذي يستنشق ليثير العطاس).

ألّف هذا الكتاب من أجل عبد الرحمٰن بن علي البيساني وزير صلاح الدين، وتوفّي ابن جُميع قبل إتمامه، فأتمه ابنه أبو طاهر إسماعيل؛ 4 ـ رسالته «طبع الإسكندريّة» (أي طبيعتها) بتحقيق مريزن عسيري، يذكر ابن جميع أنه ألّفها استجابة لطلب صديق. وهو يخاطبه في بداية الرسالة قائلا: «فهمت ما

ذكرته أيها الأخ أيدك الله من تشوقك إلى معرفة طبع الإسكندريّة وحال هوائها ومائها ونحو ذلك من أحوالها وأحوال أهلها». وتتكون هذه الرسالة من الأبواب والفصول التالية:

الباب الأوّل: فيما ينبغي أن يوطأ للقول على طبع الإسكندريّة، وهو القول في «صفتها». وهنا يعطي المؤلف معلومات مفصّلة عن جغرافيتها وأزقتها وميادينها وأحيائها ومزارعها وحدودها، وما يجاورها مما لا يدخل فيها من الجزر والمستنقعات والرمال. ويخبرنا أنّ المباني منخفضة الارتفاع، وأنّ المدينة منبسطة. وهذا يسهّل حركة الرياح بها وانكشافها لأكبر قدر من أشعة الشمس، الأمر الذي يؤدي إلى تعقيم الهواء بها وتطهيره.

الباب الثاني: في الدلالة على طبعها الأصلي ومزاجها بقول «كلي». وهنا يتحدث عن موقع الإسكندريّة، وأنّها محاطة بالبحر من الغرب والشمال، وأنّ هذا يجعل جوها رطبا مع حرارة معتدلة.

الباب الثالث: في تمام القول على حال هوائها ورياحها البلدية. يتحدّث المؤلف عن جو المدينة الحار الرطب، وأنه يؤثر على لون السكان ومزاجهم العصبي. والرطوبة تؤثر على حالة العسل والصموغ، فتجعلها مذابة كمن خلطها بالماء. وهي ترطّب الأشياء الجافة مثل ورق الكتابة والأقمشة التي يضاف لها النشا والغراء من أجل جعلها منبسطة، إلّا أنّ الرطوبة تفسد ذلك التدبير. ويسبب هذا الجو أمراضا وأعراضا تحدّث عنها المؤلف بالتفصيل.

الباب الرابع: في حال مياهها المشروبة. هنا يدرس المؤلف أنواع مياه الشرب في الإسكندريّة وكيفية تخزينها. وينتقد حالة صهاريج التخزين بشرح مفصّل لعيوبها. ويبيّن أيضا عيوب آبار البلدة ومصادر تلوّثها. ويذكر الأمراض الناتجة عن شرب الماء الملوّث.

الباب الخامس: في ذكر الأغذية والأشربة بها. يتحدث المؤلف عن أنواع الغذاء الذي يستهلكه الأهالي، وفوائدها أو مضارها على الصحة. فيتحدّث عن أنواع الحنطة والمواشي والأسماك البحريّة والنهريّة والخضروات والفواكه وأنواع الأشربة.

الباب السادس: في تدبير أهلها. أي عاداتهم فيما يتصل بالأغذية والأشربة والحركة والسكون والنوم واليقظة والأعراض النفسيّة. وهذا من المباحث المتطوّرة حتّى بمقاييس عصرنا. والمؤلّف يدرس السلبيات الموجودة عند سكان الإسكندريّة من هذه النواحي.

الباب السابع: في حال فصول السنة بها. وهو يصف حالة الجو والهواء واتجاهات الرياح حسب أشهر السنة القبطية (وهي أشهر شمسية مثل الأشهر الميلاديّة المعروفة).

الباب الثامن: في ذكر أمراضها البلدية. وهنا يصف الأمراض الشائعة عند سكان الإسكندريّة، مسبباتها من ناحية الجو والمياه والعادات الغذائيّة والاجتماعيّة، أي المسببات التي ذكرها المؤلف في الفصول السابقة.

الباب التاسع: في الاحتراس من حدوث هذه الأمراض. ويوزّع سبل الوقاية التي يقترحها على ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: في إصلاح الهواء ودفع ضرره

ومن ضمن النصائح التي يقدمها في هذا الفصل: التهوية، وتعريض المنزل لأشعة الشمس، والبعد في السكنى عن أماكن التلوث مثل المزارع والمصانع والمداخن وأماكن رمي الزبالة، وتبخير المنزل على الدوام.

الفصل الثاني: في إصلاح مياهها ودفع ضررها وهنا ينصح بتجنّب مياه الآبار والنيل، لأنها ملوثة في زمانه. ويوصي بتجميع مياه الأمطار في صهاريج يتم تنظيفها وصيانتها قبل موسم الأمطار. ويصف تنقية الماء بالغلي والترسيب والرشح، ومزجه بالكحول أو الخل.

الفصل الثالث: في إصلاح التدبير ودفع ضرره، وهنا يحذّر المؤلف من أنواع معيّنة من الأطعمة الصعبة الهضم، المليئة بالشحوم، ويوصي بأغذية خفيفة مغذّية، بالإضافة إلى وصايا صحية أخرى.

الباب العاشر: فيما ينبغي للطبيب اعتماده في معالجات أمراض أهلها. وفيه وصايا طبية للأطباء. يذكر من ضمنها حالة مريض تناوب عليه طبيبان يعالجانه بالفصد والإسهال، حتى كاد أن يهلك بالجفاف.

الباب الحادي عشر: في إكمال ما تقدم بيانه، وخاتمة الرسالة.

قام بتحقيق هذه الرسالة مع تحليل شامل لمحتوياتها أستاذان من جامعة أم القرى بمكة المكرمة. ونشر كاتب هذه الأسطر مراجعة نقديّة لهذه الطبعة، مذكورة في المراجع؛

5 ـ رسالته «المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية». وقد قام ميرهوف بطباعتها وترجم أقساما منها إلى اللغة الأنكليزيّة سنة 1945، ثمّ نشر فاندريش النص العربي كاملا سنة 1983 مترجما كذلك إلى اللغة الأنكليزيّة. يذكر المؤلف أنّه كتب هذه الرسالة بناء على حوار دار بينه وبين الملك صلاح الدين حول موضوع تدهور صناعة الطب وتفشي الجهل بين الأطباء في زمانهما. والرسالة مقسّمة إلى ثلاثة أبواب: الأول مقدمات تمهيدية في فصلين، الفصل الأول في الإبانة عن شرف الطب وعظم منافعه وشدّة الإفتقار إلى الأطبّاء. والفصل الثاني في الدلالة على صعوبته والإشارة إلى أسباب تعذر حصول الكمال فيه وندرة وجود الفضلاء من أهله وغلبة الجهل على المنتسبين إلى هذه المهنة. والباب الثاني في ذكر أسباب اندثار حرفة الطب وانقراضها وزوال محاسنها. والباب الثالث: في الإشارة إلى إحياء صناعة الطب ونشورها، وتجديدها بعد دثورها.

فيقول في تلك الرسالة عن أدعياء الأطباء الذين يظنون أنّ طول معاشرة المرضى والأطباء في البيمارستانات أو المستشفيات يجعلهم يكتسبون خبرة تغنيهم عن تعلم القواعد العلميّة والممارسة المبنيّة على المنهج العلمي: «إنما تحصل تلك القدرة بطول الارتياض والتمرن والتخرّج في مباشرة أعمال الطب، وكثرة المزاولة لجزئياته، بعد حصول المعارف التي تشتمل عليها أولا معلومة عند المباشر (أي الممارس لمهنة الطب)، ولا سيما عند الأساتذة الحذاق.

وإنّما اشترطت أن تكون المباشرة بعد حصول المعارف معلومة عند المباشر، لأنّ كثيرا من الناس ـ بل ممن يدّعي العلم والمعرفة ـ

يظنون أنّ من طالت معاناته للمرضى، من غير أن يتقدّم فيحصّل أوّلا تلك المعارف ويقتني علمها وتصير راسخة في ذهنه حاضرة لذكره، معدود من الأطباء، وأنّ طول معاناته المذكورة - أعني التي لم يتقدّمها حصول تلك المعارف - يفيده دراية وحسن تأتّ في أعمال الطب، ويسمونه طبيبا عمّالا، حتى لقد كاد ذلك أن يصير من الأمور المشهورة عند الجمهور.

وليس الأمر كما يظنون. وذلك أنّ من هو بهذه المثابة كالخابط في عشواء: فهو إن اتفق أن أصاب لم يدر أنه أصاب، ولا من أين ولا كيف أصاب. وإن أخطأ لم يشعر أنّه أخطأ، ولا من أين ولا كيف أخطأ؛ 6 - المهذب من المجرّب، منه مخطوطتان في تركيا؛ 7 - مقالة في أصناف الراوند، مخطوطة واحدة في تركيا؛ 8 - رسالة إلى القاضي المكين أبي القاسم علي بن الحسين فيما يعتمده حيث لا يجد طبيبا، مخطوطة واحدة في تركيا؛ 9 - مقالة في الدوار، مخطوطة واحدة في تركيا؛ 10 - مقالة في الاستبصار في زوال الفقار (عن أسباب الحدبة)، مخطوطة واحدة في تركيا؛ 11 - مقالة في ماهية السقنقور (وهو حيوان يشبه الورل)، مخطوطة واحدة في تركيا؛ 12 - الرسالة السيفية في الأدوية الملوكيّة، مخطوطة واحدة في تركيا؛ 13 - صفة معجون ملوكي، مخطوطة واحدة في تركيا.

وقد ورد في فهرس سومر المذكور في المراجع اسم «كتاب هبة الله في الطب». فظن سومر أنه من تأليف هبة الله بن جميع. ولكن فيما بعد أثبتت الباحثة إملي سفاج - سمث Emilie Savage - Smith التي أعدت فهرس مخطوطات مكتبة الطب الوطنية في نسخة إلكترونيّة على الإنترنت أنّ هذا الكتاب ليس إلّا نسخة من كتاب «غاية البيان فيما يستعمله الإنسان» لصالح بن نصر الله بن سلوم الحلبي، من أهل القرن الحادي عشر الهجري أو السابع عشر الميلادي.

■ المصادر والمراجع

● ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح. عامر النجار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، 4 أجزاء، ج 3، ص 443 - 449؛ ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، تعريب محمود فهمي حجازي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القسم الخامس، ج 9، 1995، ص 58 و261؛ ● ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، القاهرة، المطبعة الأميريّة ببولاق، 1291هـ/ 1875م، وأعيدت هذه الطبعة بالتصوير مرارا؛ ● ابن جميع، طبع بالإسكندريّة، تح. مريزن عسيري وسعد البشري، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1997م؛ ● فريد سامي حداد وهانس هينرش بيترفيلد، فهرس المخطوطات الطبية في مكتبة الدكتور سامي إبراهيم حداد، حلب، معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، 1984، ص 73؛ ● حمارنة، سامي خلف، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، إربد، جامعة اليرموك، 1986م، ص 304 - 307؛ ● حمارنة، سامي خلف، فهرس

مخطوطات دار الكتب الظاهرية: الطب والصيدلة، دمشق، مجمع اللغة العربيّة، 1969، ص 306 ـ 307؛ • حميدان، زهير، أعلام الحضارة العربية الإسلاميّة في العلوم الأساسيّة والتطبيقيّة، دمشق، وزارة الثقافة، 1995، ج 4، ص 463 ـ 466؛ • الخيمي، صلاح، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريّة: الطب والصيدلة، الجزء الثاني دمشق، مجمع اللغة العربي، 1981، ص 290 ـ 293، 344، 355؛ • الدوسري، هيا، فهرس المخطوطات الطبية المصورة بقسم التراث العربي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1984، انظر الفهرس الأبجدي حول هبة اللّه بن جميع؛ • الدوسري، هيا، تحقيق مخطوطة في خواص الليمون وما يركّب منه لابن جميع، الندوة العالميّة الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب 1983، ج 3، إسهامات العرب في علم الفلاحة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988، ص 617 ـ 644؛ • شبوح، إبراهيم، فهرس المخطوطات المصورة، الجزء الثالث، العلوم، القسم الثاني، الطب، القاهرة، معهد المخطوطات العربيـة، 1959، ص 11 و81؛ • صالحية، محمد عيسى، المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، القاهرة، معهد المخطوطات العربيّة، 1993، ج 1، ص 222؛ • قاري، لطف اللّه، المؤلّفات البيئية في تراثنا العلمي، مجلة المنهل، جدة، الإصدار السنوي الخاص، العدد 583، شوال 1423هـ/ ديسمبر 2002م، ص 230 ـ 243؛ • قاري، لطف اللّه، ملاحظات حول كتاب طبع الإسكندريّة، مجلة تاريخ العلوم العربيّة، حلب، المجلد 12، 2001، ص 153 ـ 159؛ • قسم الفهرسة والتصنيف، فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي، حلب، معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، 1980، ص 23 ـ 24؛ • قطاية، سلمان، مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبات العامة بحلب، حلب، معهد التراث العلمي العربي، 1976، ص 389 (الفهرس الأبجدي حول ابن جميع)؛ • كوهين العطار، أبو المنى داود بن أبي نصر، منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان، تح. حسن عاصي، بيروت، دار المناهل، 1992؛ • ابن مراد، ابراهيم، مقدمة تحقيقه لكتاب «تفسير كتاب دياسقوريدس في الأدوية المفردة» لابن البيطار، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1989، ص 40 ـ 41؛ • منلا، مصطفى عمار، تراثنا المخطوط في العلوم التطبيقيّة والبحتة، المدينة المنورة، النادي الأدبي، 1992، ص 214ـ 217.

• Fahndrich, Hemut (editor): Treatise to Salah ad-Din on the Revival of the Art of Medicine; Wiesbaden: Deutsche Morgenlandische Gesellschaft, 1983. • Leclerc, Lucian, Histoire de la Médecine Arabe, réédité (de 1976 édition) par Ministère des Habous et des Affaires Islamiques du

Maroc, Rabat, 1980, II: 53-55. • Meyerhof, Max; «Sultan Saladinís Physician on the Transmission of Greek Medicine to the Arabs», Bulletin of the History of Medicine (Baltimore, Maryland), vol. 18 (1945) pp. 169-178. Reprinted in: Studies in Medieval Islamic Medicine, (collected papers by Meyerhof), London: Variorum Reprints, 1984, nº III. • Meyerhof, Max; «Medieval Jewish Physicians in the Near East, from Arabic Sources», Isis (Cambridge, Mass), vol. 28 (1938) pp.432-460. Reprinted in «Studies... etc» (op. cit) nº VII. • Meyerhof, Max; «La surveillance des professions médicales et paramédicales chez les Arabes», Bulletin de l'nstitut d'Egypte, vol. 26 (1944) pp.119-134. Reprinted in «Studies... etc» (op. cit.) nº XI. • NLM «The U.S. National Library of Medicine» on-line catalogue, on their internet site. • F . E. Sommer and D. M. Schullian: A Catalogue of Incunabula and Manuscripts in the Army Medical Library, New York, 1950, pp. 304-307. • Vernet, Juan, «Ibn Djami», in Encyclopaedia of Islam (EI2), vol. 3 (1971), pp. 749-750.

وهذه الترجمة مليئة بالأخطاء، ينقل فيها ما كتبه لكلير، ولكن مع تحريف كلامه. علما بأنّ معلومات لكلير قديمة أصلا.

د. لطف الله قاري
مهندس ـ السعودية

الجُميح، منقذ بن طماح الأسدي

(ت 53ق.هـ/ 571م)

اختلف في اسمه وفي سلسلة نسبه، لجهة اسم آبائه. قال القالي إن اسمه «الجُميح» بن «منقذ» [الأمالي، 2/ 259]؛ وجاراه في ذلك ابن منظور [مادة: جنب]، لكن ابن منظور عاد في [مادة: هيأ] فسمّاه «الجميح» بن «الطّمّاح»، وجاراه في ذلك ياقوت [مادة: مُليل]. لكن ياقوت [مادة: مكران] عاد فسماه «الجميح منقذ» بن «طريف» حيث يبدو «الجميح لقباً» والاسم: «منقذ». وعلى هذه التسمية اتفق البغدادي [خزانة، 10/ 249]، والمرزباني [معجم الشعراء، 329]، والبكري [سمط اللآلي، 1/ 30]، والتبريزي [شرح اختيارات المفضل، 1/ 151].. كما اتفق هؤلاء على أنه ابن الطماح بن قيس بن طريف بن عمرو (وأضاف البغدادي) بن قُعين.. بن أسد بن خزيمة بن مدركة.

الجميح تصغير الجَمْح، وهو مصدر جَمَحَ؛ من جَمَحَ الفرسُ بصاحبه إذا ذهب به وجرى جرياً عالياً.

يصعب تحديد سنة ولادته، شأنه شأن معظم شعراء الجاهلية، إنما هناك إجماع على أنه قُتل في معركة شِعب جَبَلة، وهي أعظم أيام العرب.. بين عامر وعبس، وبين تميم وغطفان وأسد مدعومين من الجون الكلبي ملك هجر، والنعمان بن المنذر ملك الحيرة. وكانت قبل الإسلام بأربعين سنة، العام الذي وُلد فيه النبي محمد ﷺ. وكان النصر فيها لعامر وعبس [العقد الفريد، 5/ 141].

والده هو الطمّاح بن قيس بن طريف. بعثته بنو أسد إلى قيصر «ليمحل» بامرئ القيس، فدخل معه إلى بلد الروم على أنه صديق، وعندما صار الملك للشاعر كما يحب وشى به الطماح، فتنكر قيصر لامرئ القيس حتى سُمّ. قال الكميت في ذلك:

ونحن طمحنا لامرئ القيس بعدما
رجا الملكَ، بالطَّمّاحِ نكباً على نكبِ

وقال فيه امرؤ القيس:

لقد طَمَحَ الطمّاحُ من بُعدِ أرضِه
ليلبسني، من دائهِ، ما تلبَّسا

[خزانة الأدب، 10/ 249]

امرأته: اسمها أمامة، ذكرها في إحدى قصائده المفضلية الثلاث. وهي تنتمي إلى قبيلة معادية لبني أسد، من أهل خرّوب، وكانت «نزيعه» (غريبة) في القبيلة، لا محبة لها ولا احترام. ولم تكن علاقتها بالشاعر قائمة على الود والمحبة. فحين التقت أحد بني قومها، راكباً جملاً من جمالهم الموسومة في لهزمتها، شدّت به إزرها، وكأنه أوصاها بإيذاء الجميح، فقاطعته وصامت عن الكلام معه، وذلك اعتقده عذاباً له وجنوناً منها. يقول في ذلك:

امست أمامةُ صمتاً ما تُكلِّمُنا
مجنونةٌ، أم احسَّت أهلَ خرّوبِ ؟
مرّتْ براكبِ ملهوزٍ فقال لها:
ضُرّي الجُميحَ ومَسّيهِ بتعذيبِ

وحديثه عنها كثير الشجون، فهي تغضب فتغدو كاللبوءة ذات الجراء، وتعمد إلى تهديده لكنه يرفض الخضوع للابتزاز. وعندما جفّ اللبن في ضروع نوقه، وتتابعت عليها السنون العجاف، وسطت عليها يد النحر للحقوق والقِرى، ولم يبق منها إلا مجموعة صغيرة أشبه بالحُمُر منها بالنوقِ، حينها انقلبت عليه امرأته، وقد خاطبها مخيِّراً:

فإن تَقَرّي بنا عيناً وتختفضي
فينا وتنتظري كسري وتقريبي
فاقْنَي لعَلّكِ أن تحْظي وتحتلِبي
في سَحْبَلٍ من مُسوكِ الضانِ منجوبِ

أخباره نادرة جداً، إذ لم نلتقط سوى خبرين عنه، أولهما ألمح إليه السيوطي ومفاده أنه شارك، في شبابه، من أغاروا على إبل المنذر بن ماء السماء [شرح شواهد المغني، 368].

وثانيهما أنه شارك في معركة شِعب جَبَلة وقُتل فيها [سمط اللآلي، 1/ 30].

وصلنا من شعر الجميح ثلاث قصائد نقلها المفضل الضبّي، وأبيات قليلة متفرقة، متناثرة في المعاجم وكتب الأدب.

أولى القصائد الثلاث هي البائية ذات البيت المشهور:

لما رأت إبلي قلَّتْ حلوبتُها
وكلُّ عامٍ عليها عامُ تجنيب

وتدور أبياتها كلها حول محور واحد: أمامة امرأته وقد انقلبت عليه وجافته محاولة الضغط عليه لأمرٍ في نفسها، فرفض الخضوع للابتزاز، ويؤكد فضل قومه على قومها:

يأبى الذكاءُ ويأبى أن شيخَكُمُ
لن يُعطيَ عن ضربٍ وتأديبِ (؟)

فإن يكن أهلُها حلُّوا على قِضةٍ
فإن أهلي الأُلى حلُّوا بملْحوبِ

والقصيدة الثانية هجائية تندّد بالغدر وتعيب على الغادرين سوء منبتهم. والغادرون هم بنو جعفر بن كلاب، أما المغدور فهو خالد بن نضلة الأسدي. ففي يوم ذي علق، بين عامر وبني أسد، كان ربيعة بن مالك، من فرسان عامر، في أتم السلاح حين قُتل، قتله خالد بن نضلة. فجاء أبو براء، في جماعة من عامر ففجأ خالداً ومعه الحارث بن خالد بن المضلل فأسروهما وأخذوا سلاحهما، ودرع الحارث «ذات المواسي»، لكن بني أسد تدخلوا وردوهم. ثم إن خالد بن نضلة جاور في بني جعفر بن كلاب. فتنكر هؤلاء لحق الجار وقتلوه طمعاً في ماله، لكنهم لم يحصلوا إلا «على غدرٍ منهم دون ما طمعوا فيه من الغنيمة». [شرح اختيارات المفضل، 1/ 197].

كل هذه الأحداث سجلها الجُمَيْح في ميميته، كما سجل تنديده بالغدر لأن خالداً كان بإمكانه، لو خاف بني جعفر، أن ينجو على فرسه الضامرة السريعة، مع الحارث، إلى معتصم آمن بين جماعته. فالذي قتله هو اطمئنانه إلى جاره وثقته فيه. وحمل الشاعر على بني عامر فهجاهم هجاء غريباً في إقذاعه: أتاهم من ناحية أمهم التي يسترخي فرجها فتخرج رحمها منه عند الولادة، فيسرعون إلى الثياب يسدون بها ليمسكوا الرحم. والجميح يحمد الله أن ثيابه لم تدنس باستخدام كهذا لأمه، مما قاله:

فدًى لسلمى ثوباي إذ دنس القو
مُ وإذ يدسمون ما دَسَموا

أنتم بنو المرأة التي زعم النا
سُ عليها في الغيِّ ما زعموا

يمرُجُ جارُ استِها إذا وَلَدت
يهدُرُ من كل جانبٍ خُصُمُ

[المفضليات، رقم 7]

والقصيدة الثالثة تندد أيضاً بالغدر والطمع والجبن الذي يجعل أفخاذ بني عبس تجتمع، من كل فخذ رجُل، يحمل الجميعُ قناةً واحدة ويطعنون بها طعنة رجل واحد، ليضيع الحق. والمطعون هو نضلة بن الأشتر، جارُ العبسيين، حامي الجار، ذو النجدة والضيافة ومُنجد صاحب الغُرم:

منتظمين جوارَ نضلة يا
شاهَ الوجوه لذلك النظمِ

ويحث المجير على المطالبة بثأر جاره:

يا جارَ نضلةَ قد أنى لك أن
تسعى بجارك في بني هِدْمِ

ويتجاوز اللوم إلى التهديد بقيادة جيش جبار

يغص الفضاء بفرسانه، في عدتهم الكاملة، وهم يسعون للثأر لنضلة:

حتى أجازي بالذي اجترمت
عبس بأسوأ تلك الجرم

[المفضليات، رقم 109]

لا يمكن الحكم على شعر شاعر من قراءة ثلاث قصائد مجتزأة مدرجة في مجموعة مختارات. وفضلاً عن كون شعر الجميح لم يجمع، فالمؤسف أن أحداً من النقاد المعروفين لم تبدر عنه أقوال في تقدير شعره، شأن الأصمعي مثلاً، وقدامة بن جعفر، وأبي علي القالي مع الشعراء الآخرين. لكن الشواهد، وإن كانت قليلة، في لسان العرب، ومعجم البلدان، تثبت أن ما أورده الضبي ليس جميع الشعر المعروف للجميح. وليست موضوعات القصائد الثلاث هي الموضوعات الوحيدة التي طرقها في شعره.

في هذه الشواهد نجد وصف الفلاة الثكول، ووصف الندامى على الشراب ينتشون، والشكوى من مصائب الدهر، والتضجر من كبر السن:

يا هيء، ما لي؟ من يُعَمَّرْ يُفنِه
مرُّ الزمانِ عليه والتقليبُ

[لسان، هيأ]

لم نصادف له قصيدة مكتملة تسمح لنا بتقدير نهجه ومدى التزامه الهيكلية الجاهلية، لكن ما بين أيدينا من شعره يؤكد تمكّن الشاعر من فنون النظم مع سهولة في التعبير عن خطرات النفس، ولغة بدوية فصيحة، في صور فريدة وصيغ مميزة كان لها، لو اتسعت، أن تلحقه بالفحول، ونختم بهذه الأبيات يخاطب فيها عامر بن الطفيل:

أعامرُ إنّا، لو نشاءُ، لغُرْتُمُ
كما غارَ من شمسِ النهار نجومُها

إلى أيما الحيين تُرِكُوا فإنكم
ثِفالُ الرحى، من تحتها، لا يُريمها

وإنّ بأطراف المَليل لِنسوةً
ذلولاً، بأردافٍ ثقالٍ، رسيمُها

آثاره

ليس له ديوان مطبوع، ولم يأت ذكر لديوان له في أي من المصادر.

المصادر والمراجع

● الأصمعي، الأصمعيات، تح. أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، 218؛ ● البغدادي، خزانة الأدب، تح. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، 1403هـ/ 1982م، 10/ 247 ـ 249؛ ● البكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تح. عبد العزيز الميمني، دار الحديث، بيروت، ط2، 1404هـ/ 1984م، 1/ 30، 2/ 895؛ ● التبريزي، شرح اختيارات المفضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ/ 1987م، 151، 153، 159، 197، 220، 1506؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1968م، 2/ 136؛ ● السيوطي، شرح شواهد المغني، دار مكتبة الحياة، بيروت، 368؛ ● الضبي، المفضليات، تح. د. قصي الحسين، دار ومكتبة

الهلال، ط1، 1998، رقم 4 ، 7، 109؛ • العَدوي الشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار، تح. د.سيد محمد يوسف. 1397هـ/ 1977م، مطبعة حكومة الكويت، 1/ 69؛ • القالي، كتاب الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1/ 7، 2/ 59، ت/ 127؛ • ابن قتيبة، الشعر والشعراء. تح. أحمد شاكر، ط3، 1977م، 280.

د. سعدي عبد اللطيف ضناوي
الجامعة اللبنانية ـ بيروت ـ لبنان

ابن جميل التونسي، شمس الدين محمد بن أبي قاسم

(639هـ/ 1241م ـ 715هـ/ 1315م)

محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام، يعرف بابن جميل الرّبعي، التونسي، شمس الدّين. فقيه مالكي، عارف بالتفسير وأصول الفقه، مولده بتونس سنة 639هـ/ 1241م وبها تعلم، ثم انتقل إلى مصر سنة 673هـ وجالس شيوخها وروى عنهم.

تولى التدريس والإمامة والفتوى في عدّة مدارس ومقامات بالديار المصرية، وشهد له بالفصاحة والجودة في دروسه، وولي قضاء الإسكندرية ثم عزل. وكانت وفاته في صفر سنة 715 هـ/ 1315م.

آثاره

ترك عدّة مؤلفات تدلّ على مشاركة حسنة في عدّة فروع من الثقافة الإسلامية، من ذلك:
1 ـ اختصر التفسير الكبير لفخر الدّين الرازي في أكثر من سبعة مجلدات كبار تحتفظ المكتبة الوطنية في باريس بستة مجلدات منه، أرقامها من 614 إلى 619؛ 2 ـ اختصر الفروق للقرافي في مجلد تحتفظ دار الكتب الوطنية بتونس بنسخة منه؛ 3 ـ اختصر التفريع لابن الجلّاب، وهو من الأصول المشهورة لدى المالكية، منه نسخة في خزانة جامع القرويين بفاس.

المصادر والمراجع

• الديباج المذهب 2، 317؛ • الدرر الكامنة 4، 206 ـ 207؛ • كتاب العمر 1، 156 ـ 157.

أ. البشير البكوش
أمين مكتبة مجلس النواب ـ تونس

جميل، حسين

(1326هـ/1908م ـ 1422هـ/2001م)

سياسي وقانوني ومؤرخ عراقي معروف، فالأستاذ حسين جميل هو واحد من أبرز الذين أسهموا في تكوين الحياة السياسية والحزبية والنيابية والتشريعية في العراق المعاصر. ولد في محلة قنبر علي في بغداد سنة 1908، وعاش في بيت جده القاضي أحمد جميل الذي كان يضم كذلك كلًا من ابنه عبد المجيد جميل وهو قاضٍ في المحاكم المدنية، وعمه عبد الجبار جميل وهو قاضٍ كذلك. وقد ورد في بعض أوراقه التي أجاب بها على أسئلة الدكتور فؤاد الوكيل وضمها كتابه الموسوم: «جماعة الأهالي في بغداد»، ونشر في بغداد سنة 1979، أنه بعد أن أمضى مرحلة طفولته في الكتاتيب، أُدخل المدرسة الابتدائية في بغداد سنة 1917، حيث قضى فيها السنتين الأولى والثانية. أما السنوات الأربع الأخيرة، فقد قضاها في مدرسة ابتدائية في العمارة ملتحقاً بأبيه الذي كان يعمل قاضياً في محكمتها. ويروي حسين جميل كيف أن أخاه الكبير مكي الجميل وابن عمه عبد العزيز، كانا يحبان المطالعة فيكثران من جلب الكتب، وأكثرها مما يصدر في مصر والشام. وقد أفاد من ذلك وتأثر منذ شبابه بالثورة العربية الكبرى سنة 1916 وبثورة 1919 في مصر وبثورة العراق الكبرى سنة 1920.

قرأ حسين جميل ما كان يكتبه مجايله القاص العراقي محمود أحمد السيد، وأعجب بهذه الكتابات لما كانت تنطوي عليه من أفكار تقدمية، وقد أسهمت في تكوينه الفكري كتابات الصحيفة (العراقية) ومجلة العصور (المصرية)، ويقول إن تلك الكتابات كانت تعارض ما كان سائداً آنذاك من أفكار ومفاهيم مختلفة. ومما يذكر أن حسين جميل وهو طالب في الثانوية المركزية في بغداد قام مع عدد من زملائه سنة 1926، بالإضراب على سلوك مدرس انكليزي تعمد توجيه بعض الكلمات النابية بحق أبناء العراق . كما أسهم في الدفاع عن (حرية الفكر) سنة 1927 حين أقدمت الحكومة في العراق على منع توزيع أحد الكتب، وحينما جاء ممثل الحركة الصهيونية (الفرد موند) إلى بغداد سنة 1928 تظاهر حسين جميل مع عدد من أصحابه ضد هذه الزيارة وانتصروا في مظاهراتهم تلك لفلسطين وحق أبنائها في إقامة كيانهم المستقل على ترابها.

عشق حسين جميل الصحافة، فمنذ أن كان طالباً في مدرسة العمارة الابتدائية حرر بعض المقالات ونشرها في مجلة «التلميذ العراقي» التي صدرت في شباط سنة 1929، وبسبب مواقفه وكتاباته تلك طرد حسين جميل من كلية الحقوق ولم يكن قد اجتاز الصف الأول، فاضطر إلى السفر باتجاه سورية ودخل كلية الحقوق هناك وتخرج فيها وعاد

إلى بغداد ليمارس المحاماة، وحين التقى بمحمد حديد وعبد الفتاح إبراهيم تبلورت فكرة إصدار جريدة «الأهالي». وقد صدر العدد الأول في الثاني من كانون الثاني سنة 1932، ثم تطورت الفكرة إلى تأليف «جماعة الأهالي»، خاصة بعد انضمام طليعة من المثقفين والسياسيين أمثال عبد الفتاح إبراهيم، وعلي حيدر سليمان، وجعفر أبي التمن، وكامل الجادرجي.

وارتكزت جماعة الأهالي على السعي للعمل باتجاه «رفاه الأهلين وتقدمهم اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً»، وراح حسين جميل وصحبه يسعون إلى كسب الشباب ودعوتهم إلى تنظيم أنفسهم في جمعيات ونوادٍ يتم فيها تبادل الرأي ومهاجمة القوى الرجعية المتخلفة، وقد أسسوا «جمعية السعي لمكافحة الأمية» و«نادي بغداد» و«جمعية الشبيبة» ورفعوا شعار «الشعبية» كأيدلوجية ترمي إلى إصلاح المجتمع وحل مشاكله.

كان حسين جميل من مؤسسي الحزب الوطني الديموقراطي في سنة 1946، وقد أسهم في الحياة النيابية إبان العهد الملكي، فانتخب نائباً في مجالس 1947 و1948 و1954، كما عمل وزيراً للعدل سنة 1949 ونقيباً للمحامين (1953 ـ 1957)، ومشرفاً على «مجلة القضاء». بعد ثورة 14 من تموز 1958 اشترك في وضع «الدستور الموقت»، وبين سنتي 1956 ـ 1958 صار أميناً عاماً لاتحاد المحامين العرب. وفي السنوات الأخيرة من حياته قدّم للباحثين ولطلبة الدراسات العليا الكثير من الاستشارات والمصادر. هذا فضلاً عن انكبابه على التأليف، فالرجل اهتم منذ زمن بعيد بتتبع التراث النيابي في العراق وكتب سلسلة مقالات في مجلة «الهلال» المصرية خلال السنتين 1966 و1967 بعنوان: «صفحات من التراث الديموقراطي العراقي 1919 ـ 1922».

آمن حسين جميل بالوطنية العراقية وبالقومية العربية، وكان تقدمياً في أفكاره ومبادئه ومنذ أن بدأ يعي الحياة آمن بفكرة استقلال العرب وتحقيق وحدة الأمة العربية، وأكد في كتاباته حق العراقيين في الاستقلال وفي بناء دولتهم القومية الديموقراطية، وقد اقترنت أفكاره القومية بحس تقدمي اجتماعي تحرري. كان يقول إن العرب أمة ذات حضارة، وقد أفاد الغرب من حضارتهم ومن روح هذه الحضارة التي تؤمن بالعلم والتسامح والعدل.

دافع عن قضية فلسطين ونقم على الصهيونية والاستعمار، وقد حرص على أن لا يغير مساره الفكري باتجاه التطرف أو الغلو وظلّ كما يقول معتدلاً في اتجاهاته «اليسارية»، إلّا أنه بقي تقدمياً في نزعته الفكرية ونأى بنفسه بعيداً عن الشيوعية، وحين عيّنه عبد الكريم قاسم وزيراً للثقافة والإعلام سنة 1959 أقدم على تعطيل جريدة «اتحاد الشعب» الناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي لخروجها عن ثوابت الوزارة، لكن قاسم أعادها، وفي اليوم الثاني قدّم حسين جميل استقالته احتجاجاً على تدخل رئيس الوزراء في شؤون وزارته وبذلك لم يبق سوى يوم واحد في الوزارة.

كان حسين جميل تقدمياً آمن بالوحدة العربية وكانت الفكرة القومية تشغل حيزاً من تفكيره، كما أنَّ صلته بالحركة العربية الاستقلالية ورجالها وشبابها كانت كبيرة: لذلك ظلَّ

حسين جميل يحتفظ بمحبة الجميع واحترامهم.

في يوم 7 من كانون الثاني سنة 2001 رحل حسين جميل رحمه الله وجزاه خيراً على ما قدمه وفعله تجاه وطنه وأمته والإنسانية جمعاء.

آثاره

ومن مؤلفاته المنشورة:

1 ـ انكلترا في جزيرة العرب 1930؛ 2 ـ الأحكام العرفية 1953؛ 3 ـ تكييف القانون لحق النقد 1958؛ 4 ـ العراق الجديد 1958؛ 5 ـ فكرة توحيد القانون الجنائي للبلاد العربية ووسائل تحقيقها 1948؛ 6 ـ الحياة النيابية في العراق 1948؛ 7 ـ نشأة الأحزاب السياسية 1984.

وبالمناسبة فإن حسين جميل يعد أول من ألّف كتاباً عن ثورة 14 تموز 1958 في العراق، فبعد بضعة أشهر من اندلاع الثورة نشر كتابه «العراق الجديد» أيلول 1958، والكتاب بالأصل محاضرة ألقاها باللغة الإنكليزية في نيودلهي بالهند، حيث كان يعمل سفيراً للعراق هناك.

المصادر والمراجع

● أحمد، إبراهيم خليل، حسين جميل والوطنية القومية التقدمية، جريدة الثورة، بغداد، 20 شباط 2002؛ ● المطبعي، حميد، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، بغداد، 1995، ج1، 55 ـ 56؛ ● البلداوي، عادل تقي عبد، الحزب الوطني التقدمي في العراق في العهد الجمهوري الأول، بغداد، 2000، 28 ـ 29؛ ● الحربي، علاء جاسم، وجميل، حسين، في: مؤسسة بيت الحكمة، موسوعة أعلام العرب، بغداد، 2000، ج1، 147.

د. إبراهيم خليل أحمد
جامعة الموصل ـ العراق

الجميل، علي

(1307هـ/1889م ـ 1347هـ/1928م)

ولد في الموصل، ونشأ في بيت معروف بنزعته الدينيّة والعربية، تعلم منذ صغره على يد شقيقته «أسماء» في البيت مبادئ القراءة والكتابة، وجعلته يتقن الخط العربي. بعدها انخرط في سلك طلاب المدارس الأهلية، حيث درس القرآن الكريم، وكان جدّ ولوع بالدرس على صغر سنّه، حتى قيل إنّه طفق يكتب وهو ابن خمس سنين فقط.

وبعد التعليم الابتدائي انصرف إلى طلب العلم في المدرسة الرشدية فقرأ «الآجروميّة»، و«شرح القطر» على السيد محمد الفخري،

كما قرأ عليه «ألفية ابن مالك»، و«شرح السيوطي»، و«شرح كافية الجامي» وكتبًا مختلفة في المنطق، والبيان والبديع، وتتلمذ مدّة على سليمان بن مراد بك الجليلي، وطلب الآداب والشعر على أحمد محمود الفخري، وكان يبرُّه كثيرا ويحفظ شعره، وقد نشر طائفة منه في صحيفته «صدى الجمهور»، ومن أساتذته في البحث والمناظرة الشيخ عثمان الديوه جي.

وقد اهتمّ والده الذي كان تاجرًا موسرا بتنويع ثقافته وتطويرها، فخصص له مدرِّسين خاصين يعلمونه اللغات الفارسيّة، والتركيّة، والفرنسيّة، فأجاد العمل والتحدث بها: وبعد الانقلاب الدستوري العثماني سنة 1908 غادر الجميل الموصل إلى استانبول عن طريق بيروت وانخرط هناك في المدرسة الشاهانيّة الملكيّة العليا لدراسة الآداب الشرقيّة، وشارك في استانبول رفقة أحمد عزة الأعظمي بتأسيس «المنتدى الأدبي» وهي الجمعيّة العربيّة الفكريّة الشهيرة التي ترأسها عبد الكريم الخليل، وقد حرر الجميل في مجلّتيْها «لسان العرب» و«المنتدى الأدبي». وبعد رجوعه إلى العراق سنة 1911 أصبح مندوبا للمنتدى الأدبي يتلقى مناشيره ومطبوعاته ليبثّها وينشرها بين معارفه، وكان للجميل مواقف في مجابهة سياسة الاتحاديين المنحازة عن مبادئ «الحرية، والإخاء، والمساواة» وضد العرب، ومن تلك المواقف كانت رسالته الجريئة «على رسلكم يا زعماء الاتحاد والترقي» التي وجهها إليهم، والتي اضطُهِدَ من جرائها وهرب إلى بادية الجزيرة مدّة من الزمن. وعلى أثر احتلال القوات البريطانيّة الموصل سنة 1918 سعى الجميل مع الآخرين في تأسيس «النادي العلمي» وأوكلت إليه رئاسة تحرير مجلة «النادي» وهي «مجلّة علميّة فنية أدبيّة نصف شهريّة» صدر جزؤها الأول في 15 كانون الثاني سنة 1919 وبعد صدور جزئها الثاني أقدمت سلطات الاحتلال على إغلاق النادي بعد أن شعرت باهتمامه بالقضايا السياسيّة ومناهضته للاحتلال البريطاني.

تنقل الجميل بين العديد من الوظائف الحكوميّة ودواوينها، فقد عين كاتبا للضبط في المحكمة الشرعيّة بالموصل، ثمّ كاتبا في دائرة الأوقاف. ومنها انتقل إلى تحرير القسم العربي في صحيفة «الموصل» الرسميّة، والترجمة في مطبعة الولاية، ورئيسا لمكتب دائرة الأوقاف، ثمّ رئيسا فخريا في المكتب الوطني... وعلى أثر إصابته بمرض سافر إلى حلب الاستشفاء، ثمّ عاد إلى الموصل ليتولى أشغال والده التجارية بعد وفاته واختارته غرفة تجارة الموصل رئيسا لكتابتها.

وقد أولع الجميل بالصحافة لإبراز مواهبه الثقافيّة وتبيان آراءه ونشر أفكاره القوميّة على صفحات صحف ومجلات عراقيّة وعربيّة، فكان يكتب في صحيفة «النجاح» التي كان يصدرها خير الدين العمري نائب الموصل ورئيس بلديتها الأسبق التي نشر فيها مقالات عدّة في التاريخ واللغة العربيّة تحت اسم مستعار هو «عربي»، ونشر بعض آثاره الأدبيّة في مجلّة «لسان العرب» و«المنتدى الأدبي»، وراسل صحيفة «المصباح» التي كان يصدرها عبد الحسين الأزدي الشاعر المعروف في

بغداد، وكذلك صحيفة «العراق» في بغداد أيضا، كما ألّف الجميل بعد رجوعه من استانبول وبناء على رغبة القادة السنوسيين كتابه «التحفة السنية في المشايخ السنوسية» على أثر الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب سنة 1911، وقد طبعه على نفقته الخاصة خفية في الموصل، ولكن السلطة العثمانيّة صادرت الكتاب وأحرقته.

وفي سنة 1927 دفعه شغفه بالصحافة أن يصدر على حسابه الخاص صحيفة «صدى الجمهور» وأوكل إدارتها للمحامي عبد الله فائق، وسخّرها للقضايا القوميّة والمشكلات الاجتماعيّة، وبقي الجميل يترأسها حتّى وفاته في حلب في اليوم الأول من تشرين الثاني 1928.

لقد شغف الجميل بالنظم منذ حداثة سنّه، فنظم بعض مقاطع وقصائد شعريّة تدل على عمق إحساسه وشعوره المرهف وأذنه الموسيقية فكان شاعرا مجيدا نظّم كثيرا من القصائد القوميّة التي نشرها في صحف ومجلّات عربيّة، إذ نقرأ لعلي الجميل قصيدة «نحيب الأقلام» لنجد الشعور القومي العربي يتبلور لديه منطلقا من الحزن لما أصاب العرب في محاولة لاستنهاض الهمم وبعث أمجاد العروبة واستعادة الأمّة وضعها الطبيعي فيقول:

فما ذرفتْ عينَاي إلّا لنكبة
ألمّتْ بمَجْد العرب أمّتِي التعْسا

همُ العُرب آل للرقي ذوو العلا بنُو
المجد من عاداهُمو هلك النفسا

لهُم هِمَمٌ لو أن معشّر عشرها
بنا اليوم لم نبك الحجازَ ولا القدسا

وللجميل قطع في الغزل تدور في معاني الوجد، والفراق، والمواعيد، والوصال، مدار أوصاف الحبيب منها حسّي معبر عنه بصورة تقليديّة، ولعلّ أصدقها عاطفة وأرقّها مقطوعة «أنا والنسيم»، لكنه في قصائده ومقطوعاته الأخرى ومعظم ما له في أشعار ما كان منها مستقلا بموضوعه أو موظفا في مطالع قصائد المديح والتهاني لا يخرج في لغته ومعانيه وصوره عن آفاق شعر الغزل والنسيب التقليديين، ومنها مقطوعته التي مطلعها:

افدي حبيبا قد غدوتُ بحبه
صبًّا محبًّا لا أفيق ولا أعي

ولغة الجميل في القصيدة تستخدم الألفاظ التي أصبحت مشاعا بين الصوفيّة وأهل الغزل التقليدي «النقا، العذيب، حاجر، الورقاء، الآرام والغزلان، العقيق، عالج... الخ»، وقد يكون عذر شعره وشعراء هذه الفترة أنّهم أبناء عصرهم وبيئاتهم وأنّ رياح التجديد لم تكن قد وصلتهم بعد.

■ آثاره

لقد ترك الجميل العديد من التآليف والكتب المنشورة وغير المنشورة في الأدب والنقد الاجتماعي والسياسي والتاريخ منها:

1 - التحفة السنية في المشايخ السنوسية 1912؛ 2 - ديوان شعره ورسائله؛ 3 - حديث الليل (رواية)؛ 4 - دموع وشهقات؛ 5 - نوابغنا في الميزان؛ 6 - همسات في الآذان.

المصادر والمراجع

● عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين، 1800 ـ 1969، المجلد الثاني، بغداد مطبعة الإرشاد، 1969، ص 413؛ ● المختار، أحمد محمد، تاريخ علماء الموصل، الجزء الأول والثاني، الموصل، ط2، 1984، ص 63 ـ 65؛ ● الأطرقجي، ذنون يونس، الشعر في موسوعة الموصل الحضاريّة، الجزء الخامس، جامعة الموصل 1992، ص 367، 375؛ ● الجميل، سيار كوكب، رواد الحركة العربيّة القوميّة في الموصل، في موسوعة الموصل الحضاريّة، الجزء الرابع، جامعة الموصل 1992، ص 151 ـ 152؛ ● بطي، روفائيل، علي الجميل، مجلّة «لغة العرب»، السنة 7، 2 شباط 1929، ص 132؛ ● مقدّمة ديوان علي الجميل، بقلم ولده كوكب علي الجميل، مخطوط محفوظ بحوزة حفيده الدكتور سيار كوكب الجميل.

د. نهلة شهاب أحمد
جامعة الموصل ـ كلّية التربية ـ العراق

الجنابذي، أبو محمد عبد العزيز بن محمود

(524هـ/1129م ـ 611هـ/1214م)

أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن محمود بن الأخضر الجنابذي البغدادي، البزار، الإمام الحافظ المحدث المسند، محدث العراق، ولد يوم الخميس ثامن عشر من رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة ببغداد، جنابذي الأصل (جنابذ أو كنابذ، قرية من قرى نيسابور المعروفة بعلمائها المشهورين) بغدادي المدار والمولد، توفي عن عمر يناهز السابعة والثمانين، يوم السادس من شوال سنة 611هـ/1214م [المنذري، التكملة، 4/ 136؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، 2/ 89؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 165].

سكن الجنابذي درب العيار من محال المعلى في الجانب الشرقي من بغداد، درس الحديث على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ/ 855م) حفظ القرآن، وهو إمام مشهور، محدث العراق في زمانه.

أول سماعه كان سنة ثلاثين وخمسمائة، فسمع بإفادة أبيه وأستاذه ابن بكروس من القاضي أبي بكر بن عبد الباقي، وأبي القاسم اسماعيل بن أحمد السمرقندي (ت 536هـ/ 1141م)، وأبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطي (ت 538هـ/ 1143م)، وأبي الحسن علي بن هبة اللّه عبد السلام (ت 539هـ/ 1144م)،

وأبي محمد يحيى بن علي الطراح (ت 536هـ/ 1141م)، وأبي منصور محمد بن عبد الله بن خيرون وأبي سعد البغدادي الحافظ والإمام المحدث (ت 540هـ/ 1145م)، وسعد الخير بن محمد الأنصاري (ت 541 هـ/ 1146 م) وسمع بنفسه من أبي الفضل الأرموي، محمد بن عمر بن يوسف الفقيه الشافعي (ت 547هـ/ 1152م)، وأبي بكر بن الزاغوني، محمد بن عبد الله البغدادي (ت 552هـ/ 1157م)، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي (ت 553هـ/ 1158م) وغيرهم [المنذري، التكملة، 4/ 136؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، 5/ 46 ـ 47].

بالغ الجنابذي في طلب الحديث، وقرأ بنفسه، وكتب الكثير بخطه وحصَّل الأصول وغالى في شرائها، ولازم أبا الحسن بن بكروس وأبا الفضل بن ناصر، محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي الشافعي (ت 550هـ/ 1155م) وانتفع بهما، وعن الأخير أخذ الحديث، وكتب بخطه الحديث المليح المتقن لنفسه، وتوريقا للناس في شبابه.

حدث الجنابذي مدة ستين سنة في بغداد، وكان له حلقة بجامع القصر، يقرأ فيها الحديث، ويقرأ عليه، وكانت قراءته في كل جمعة بعد صلاة العصر، وهي حلقة ابن ناصر (ت 550هـ/ 1155م) أخذها بعده ابن شافع، ولا يزال يسمع ويقرأ على الشيوخ إلى آخر عمره [أبو شامة، الذيل على الروضتين، 88].

وكان للجنابذي دكان بزقاق الرياحين خلف دار السكة، وهو دكان للخبز بخان الخليفة، قرأ عليه ناس كثر منهم ابن النجار. وقد قال عنه ابن النجار (ت 643هـ/ 1245م): لم يكن أحد من أقرانه أكثر سماعا منه ولا أحسن أصولا، كان كالشمس وضوحا وعليها أنوار الصدق، حدث بجميع مروياته. ويضيف ابن النجار، أنه صحبه مدة طويلة وقرأ عليه في حلقته بجامع القصر وفي دكانه الكثير من الكتب الكبار والأجزاء، واكثر ما جمعه وخرجه، علقت عليه واستفدت منه كثيرا [ابن رجب، ذيل على طبقات الحنابلة، 79 ـ 80؛ ابن العماد، شذرات، 5/ 47].

وكان الجنابذي أكثر دقة وسماعا من شيوخ بغداد الذين عاصروه وهو ذو ثقة وأمان، وصدق ومعرفة، وكان فاضلا صالحا، ديّنا عفيفا لطيفا.

قال عنه ابن الدبيثي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الواسطي (ت 637هـ/ 1239م) إنه جمع في الحديث وبوب، وخرّج، كان ثقة صدوقا له معرفة بهذا الشأن، ولم أر شيوخنا أوغر شيوخا منه ولا أغر سماعا، مع معرفة بحديثه وشيوخه، ومنهم ما يرويه وسمعنا منه وقرأنا وانتفعنا به، ونعم الشيخ كان [الذهبي، تذكرة الحفاظ، 3/ 134].

وقال عنه ابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي (ت 629هـ/ 1231م): كان ثقة ثبتا مأمونا، كثير السماع، واسع الرواية، صحيح الأصول، منه تعلمنا واستفدنا، ما رأينا مثله [الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1384].

وكان المنذري زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت 656هـ/ 1258م) قد قال عنه، إنه صنف تصانيف مسندة، وكان حافظ العراق في وقته الثانية [المنذري، التكملة، 4/ 138].

أما ياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1229م) فقد قال عنه إنه أجازه ونعم الشيخ [ياقوت، معجم البلدان، 2/ 165].

حدث عن الجنابذي، ابن الدبيثي، وابن نقطة، وابن النجار، والضياء، والمقدسي (ت 643هـ/ 1245م)، والبرزالي (ت 636هـ/ 1238م)، وابن خليل، والزين خلف النابلسي، وأحمد بن محمد بن بنيان الهمداني، ومحمد نصر الجيلي وغيرهم من أكابر الحفاظ، وابن الجوزي، وابن الجنابذي علي بن عبد العزيز الأخضر، وأخوه عبد العزيز، ويحيى الصيرفي الفقيه، والمقداد، والقيسي بن هبة الله [ابن رجب، الذيل، 2/ 81].

سمع من ابن الأخضر، خلق كثير من الأئمة والحفاظ المتقدمين، أشهرهم أبو المحاسن القرشي، وعمر بن محمد العليمي الدمشقيان (ت 574هـ/ 1178م)، والحافظ عبد الغني المقدسي (ت 600هـ/ 1203م) [ابن رجب، الذيل، 2/ 81].

توفي الجنابذي ليلة السبت في سادس شوال سنة إحدى عشر وستمائة وفتح له جامع القصر، وحضره خلق كثير من العلماء والأعيان، ودفن في مقبرة باب حرب عند قبر أبي بكر المرزوقي [ابن العماد، شذرات، 5/ 47].

آثاره

صنف الجنابذي، مصنفات كثيرة في علم الحديث وهي مفيدة، تدل على معرفته وحفظه وسعة مروياته، وكان حافظ العراق في وقته، ومن أهم مصنفاته:

1 ـ المقصد الأرشد في ذكر من روى عن الإمام أحمد، في مجلدين وهو أجزاء عديدة؛ 2 ـ كتاب تنبيه اللبيب، وتلقيح فهم المريب في تحقيق أوهام الخطيب وتخليص وصف الأسماء في اختصار الرسم والترتيب، وهو أجزاء كثيرة، رأى المنذري منها الجزء العشرين، وقد تتبع فيه الأوهام التي ذكرها الخطيب للأئمة الحفاظ وأجاب عنها، وفي بعض أجوبته تصنيف شديد، وبعضها لا يوافق عليه البتة، ولا يحتمله اللفظ بحال، وفي بعضها فوائد حسنة، وذكر في هذا الجزء أوهامًا لابن السمعاني صاحب الذيل؛ وفي كلامه سجع كثير وتكلف شديد [المنذري، التكملة، 4/ 137؛ ابن رجب، الذيل، 2/ 81؛ ابن العماد، شذرات، 5/ 47]. قال عنه القطيعي: أبان فيه عن علم غزير وحفظ كثير؛ 3 ـ فضائل شعبان، «وطرق جزء الحسن بن عرفة» جزء كبير.

المصادر والمراجع

• المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار معروف، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، 1971، 4/ 136 ـ 138؛

• ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة الفقه المحمدية، 1953، 2/ 79 ـ 84؛ • ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1966، 2/ 165؛ • ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 5/ 46 ـ 247؛ • أبو شامة، الذيل على

الروضتين، بيروت، دار الجيل، 1974، 88؛ ● الذهبي، تذكرة الحفاظ، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية 4/ 1383 ـ 1385؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة 1986، 3/ 134.

د. طه خضر عبيد

جامعة الموصل ـ العراق

جنابي مصطفى أفندي، أمير حسن بن يوسف

(ت 999هـ/1590م)

هو الابن الأكبر لأمير حسن بن يوسف الأماسي النيقصارلي (توفي في عام 975هـ/ 1568م)، والذي عمل قاضيا في مناطق مختلفة. وينحدر جنابي أفندي من نسل السادة. وعرف بـ «فخر المدرسين»، و«أمير زاده». وتخرج من عائلته علماء كثيرون. تلقى تحصيله في مدارس مختلفة في استانبول. كما دخل في خدمة أبي السعود أفندي شيخ الإسلام والمفسر المشهور في فترته، وتلقى منه الدروس فترة من الزمن. وعمل جنابي مدرّسا في مدارس مختلفة لا تعرف أسماؤها وذلك حتى عام 1573. وبعد هذا التاريخ عمل مدرسا في استانبول في مدرسة داود باشا لمدة ثلاثة أعوام من عام 1573إلى عام 1576، ومدرسا في مدرسة قرية لمدة أحد عشر شهراً، ومدرسا في المدرسة السلطانية ببورصة لمدة ثلاثة أعوام وذلك من عام 1577 إلى عام 1580. وفي عام 1580 تم تعيينه في مدرسة صحن ـ ثمان في استانبول في مكان رمزي زاده، وذلك لمدة عامين ونصف. وفي شهر أغسطس من عام 1582 عيّن في مدرسة السليمانية لمدة أربعة أعوام في مكان نوالي أفندي. وفي شهر سبتمبر من عام 1586 تم تعيينه في مدرسة السليمية في أدرنة لمدة عام في مكان رمزي زاده.

اتجه جنابي مصطفى أفندي إلى العمل في القضاء بعد أن عمل فترة من الزمن في التدريس. وفي شهر يونيو من عام 1587 تم تعيينه في وظيفة قضاء حلب في مكان رمزي زاده قاضي القدس. وفي عام 1588 عزل من منصبه وحلّ أخوه سعودي محمد أفندي في مكانه. وتوفي جنابي أفندي في عام 1590 في حلب، وتوفي أخوه الأصغر الشاعر سعودي محمد أفندي في عام 1591.

لا توجد معلومات قطعية عن مكان مولد جنابي أفندي وتاريخ ذلك. وهناك نقاش حول اسم جنابي، وهل هو مستعار؟ وهل هو جنابي أم جنّابي؟ كما تمت مناقشة تاريخ ومكان وفاته في مختلف المصادر.

عاصر جنابي مصطفى أفندي، قنالي زاده حسن جلبي وتتلمذ عليه. وكان رجلا مجتهدا

ومستقيما، وكان ميالا لعلم التاريخ والمحاضرات واللغة العربية التي لها ارتباط بالوزراء والأمراء. ويصفه البياني في معرض حديثه عن شخصيته، بأنه جمع جميع الفضائل والمحاسن، وكل كلمة منه تكون لأجل الله ﷻ. أما عطائي فيذكر ـ بعد أن بيّن أنه ينحدر من نسل النبي ﷺ ـ أنه نجح في توحيد العلم الظاهري مع العلم الباطني، وأنه شخص تزيّن بصفات الكمال.

استعمل جنابي أفندي في أشعاره اسما مستعارا وهو «جناني»، ولهذا السبب يحدث أحيانا خلط بينه وبين مصطفى جناني البورصوي (ت 1595). وقد عرف بصفة خاصة من خلال مؤلفاته التي كتبها في الأدب العربي ومواضيع التاريخ. ويفهم أنه أسّس في الفترة من عام 1560 إلى عام 1563 مدرسة في استانبول تحمل اسمه بمرتَّب يومي قدره عشرين أقجة، ثم رفعت هذه المدرسة إلى مرتبة المدارس ذات الثلاثين أقجة وعيّن فيها عدد من المدرسين. أما الجامع الذي يحمل اسم «فضيلة» فهو حسب علمنا يعتقد من تأسيسه، وهو مسجد صغير. غير أن مصير المدرسة والمسجد ظلّ مجهولا. ونعرف من أساتذة جنابي أبا السعود أفندي شيخ الإسلام، ومن المقربين له نجد الشيخ يحيى أفندي البشكطاشي، ويازجي زاده محمد. ومن تلاميذه عمر البيكلي (المولى عمر المنتشه لي، توفي عام 1014هـ)، وعبد السلام بن عبد الغفار القلجي.

آثاره

1 ـ العيلم الظاهر في أحوال الأوائل والأواخر، يعتبر أشهر مؤلفات جنابي أفندي، وهو كتاب يدور حول التاريخ العام. واستغرق تأليفه أكثر من خمسة وعشرين عاماً. ويعرف بأسماء مثل «الحافل الواسط والعيلم الظاهر المحيط»، و «البحر الظهار والعيلم الطيار»، و«البحر» و«تاريخ جنابي». غير أنه اشتهر أكثر بـ «تاريخ جنابي». ويعتبر جنابي أفندي أول مؤرخ تركي كتب في التاريخ العام. وتناول في هذا الكتاب جميع الدول الإسلامية كل واحدة على حدة. وهو مؤلف في تاريخ الإسلام تمت كتابته باللغة العربية. ويحتوي على المعلومات التي توجد في كثير من المصادر التي لم تصل إلينا.

يتكون المؤلف بعد المقدمة من اثنين وثمانين قسما (بابا)، حيث يتضمن كل قسم دولة واحدة، وعندما نضيف عهد النبي ﷺ تصبح الأقسام ستة وثمانين قسما. وتشتمل الأقسام الرئيسية من «العيلم الظاهر» على تاريخ الأنبياء والدول والأقوام التي كانت قبل الإسلام وفترة النبي ﷺ وفترة الخلفاء الراشدين والأمويين في الشام والأندلس والعباسيين والإدريسيين والأغالبة والموحدين وأبناء طولون والفاطميين والأيوبيين. ويعتبر الكتاب مهمّا من حيث إعطاء حيّز لنقد المصادر التي تم الرجوع إليها. وبين المصادر والمواضع التي استخدمها فيها وتطبيق مناهج التاريخ مثل النقد والتحليل، وبيان مفهوم التاريخ.

وفرغ جنابي أفندي من إكمال هذا المؤلف في عام 1587، وتم إهداؤه إلى السلطان مراد الثالث. ويمثل القسم الذي تناول فترة التاريخ العثماني حتى عام 1588 ـ 1589 خُمسَ الكتاب. وعقب فترة كل سلطان، يتناول الذين

عاشوا في تلك الفترة من العلماء وشيوخ الطرق والأطباء وتراجم الشخصيات المهمة ومؤلفاتهم وخدماتهم وتواريخ وفاتهم.

يحتوي الكتاب كذلك على معلومات جغرافية، وتتخلّله بعض الأشعار. ومن الأمور التي تلفت الانتباه عند النظر في ترتيب الكتاب وجود فصل منظم للأقسام وتسلسل زمني. ويبين كاتب چلبي أنه تمت ترجمة الكتاب كاملا من قبل مؤلفه إلى اللغة التركية وترجم مختصره الذي ألفه باللغة العربية والمسمى «نهاية المرام» إلى اللغة التركية بعنواني «الدر المكنون»، و«كلشان تواريخ»، وأصبح «العيلم الظاهر» مصدرا لكثير من المؤلفات التي كتبت بعده في علم التاريخ، كما أصبح نموذجا يحتذى. ونجد من الذين استفادوا من كتاب جنابي هذا وألفوا كتبا جديدة كاتب چلبي وعالي مصطفى أفندي ومنجّم باشي، وحزارفن حسين آفندي. ويعتبر كتاب «أخبار الدول» لصاحبه أبي العباس أحمد بن يوسف القرماني، ملخصا لهذا الكتاب.

لم يتم نشر كتاب «العيلم الظاهر» حتى الآن. وتوجد حوالي عشرين نسخة منه في مكتبات استانبول فقط [المخطوطات العربية للكتاب: مكتبة السليمانية، قسم يني جامع، رقم 831، 832، آياصوفيا، رقم 3033، حميدية، رقم 896، الترجمة المختصرة باللغة التركية، مكتبة متحف سراي طوب قابي، قسم روان، رقم 1136، قسم الخزينة 1607]. وقام Edmond Fagnan بترجمة ملخص الأقسام التي تتعلق بجغرافية المغرب وأسبانيا من الكتاب إلى اللغة الأنجليزية. وأعد محمد جناطار رسالة دكتوراه بعنوان «المؤرخ جنابي مصطفى أفندي وتاريخ جنابي» [معهد العلوم الاجتماعية ـ جامعة أنقرة، أنقرة 1993]، كما أعدّ محرّم كسيك رسالة ماجستير بعنوان «Anadolu Sclçuklari ile ilgili Kisminin tenkidli metin nesri» [معهد العلوم الاجتماعية ـ جامعة استانبول، استانبول 1994]. كما قام Ctirad Heeren-Sarka بإعداد رسالة حول أقسام الكتاب التي تعود إلى فترة السلطان بايزيد الثاني، ثم قام بنشرها فيما بعد بعنوان [Sultan Bayezid II.1481-1512 in der Chronik des Mustafa Genabi, Münhen 1980]

استخدم جنابي أفندي اسماً مستعارا في الشعر وهو جناني. وله ديوان شعر بعنوان «قصائد بليغة» وهو يشتمل على أشعار وقصائد عربية. ومن أشعاره التي جمعها في غير هذا الديوان، نجد أشعاره في كتابه «تاريخ جنابي» في نسخته العربية، وفي مختصر النسخة التركية، وقسما في الترجمة، وقسما في مؤلفه «جواهر الغرائب». وباستثناء هذه المؤلفات التي ذكرتها المصادر نجد له كذلك «رسالة في بناء آياصوفيا وقلعة قسطنطينية» و«السبع السيار» و«نهاية المرام وبحر جواهر الكلام».

المصادر والمراجع

• Mehmed Süreyya, Sicill-i Osmani, Istanbul 1308-1315, II, 88; • Bursali Mehmed Tahir, Osmanli Müellifleri, 1333-1342, III, 39-41; • Franz Babinger, Osmanli Tarih Yazarleri ve Eserleri (trans. Çoskun Üçok), Ankara 1982, p. 120-

122; • Mehmed Canatar, «Cenabi Mustfa Efendi: Hayati, Eseri ve Tarihi Görüsü», Akademik Arastirmalar Dergisi, Istanbul 2000, vol. 4-5, p. 259-289; • «Cennabi», Islam Ansiklopedisi, III, 100; • Franz Rosenthal, «al-Djannabi», The Encyclopaedia of Islam (new edition), Leiden 1960, II, 452; • Memed Canatar, «Cenabi Mustafa Efendi», Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1993, VII, p. 352-353.

د. مصطفى بيرول أولكر
جامعة مرمرة - تركيا
ترجمة: أنعم محمد عثمان الكباشي - السودان

ابن جناح، أبو الوليد مروان

(380هـ/990م - 442هـ/1050م)

ابن جناح أبو الوليد مروان عالم يهودي متبحر في فقه اللغة والعهد القديم ولغة المشنا والآرامية، ملمّ بالعلوم القرائية والحديث.

يشير ابن جناح إلى نفسه بالعديد من الأسماء الى اسمه الكامل [اللمع، ص19]، بأبي الوليد [المرجع نفسه، ص169، 284] وبمروان [ديرينبورج، 1880]، وبابن جناح [اللمع، ص21]. وقد أشار الذين كتبوا بالعربية إليه بهذه الأسماء المتعدّدة، أمّا الذين كتبوا بالعبريّة فقد خلعوا عليه اسم رابي يونا (أي حمامة انطلاقا من الجناح)، أو رابي مارينوس (من مروان).

ولد مروان بن جناح، الذي يدعوه اليهود يونه بن جناح، على أشهر الأقوال، بين سنتي 990 و995م في قرطبة. وانتقل في صباه إلى اليوسيانة، وكانت مدينة العلم عند اليهود، فتتلمذ فيها على أعلام من علمائها، مثل إسحاق بن شؤول، وإسحاق بن جقطيلة، وأبي الوليد بن حسداي. ودرس بها اللغة العبريّة وعلوم التوراة، وشغل نفسه بتعلّم الآراميّة لغة المشنا والتلمود. وانكبّ في قرطبة على اللغة العربيّة ليتعمّق قواعدها ولهجاتها، وكأنّه كان يعدّ نفسه ليتمثّل ثقافة عصره العربيّة ويحرّر بها مؤلفاته التي بقي لنا جلّها.

ومن خلال مؤلفاته هذه، نستشف إلمامه بالعلوم القرآنيّة، والأحاديث النبويّة، والأقوال المأثورة العربيّة، والشعر. وهذه علوم ما كان له أن يحصل عليها بالطريقة التي فعل لو لم يتتلمذ فيها على كبار العلماء المسلمين، في معاهد الدرس بقرطبة التي تعلّم فيها الطبّ كذلك واشتهر به، وله فيه تأليف لم يصل إلينا، ولعلّه هو الذي ذكره ابن أبي أصيبعة وسمّاه «كتاب التلخيص»، وقال ملخصا

معارفه: «... وله عناية بصناعة المنطق والتوسّع في علم لسان العرب واليهود، ومعرفة جيّدة لصناعة الطبّ. وله من الكتب كتاب التلخيص، وقد ضمّنه ترجمة الأدوية المفردة وتحديد المقادير المستعملة في صناعة الطبّ من الأوزان والمكاييل» [عيون الأنباء، ص 498]، واهتمّ ابن جناح أيضًا بالفلسفة، كما يتّضح من كتبه التي رصّعها بذكر الفلاسفة وأقوالهم وتعاريفهم، وكان مفتونا إلى جانب ذلك باللغات ولهجاتها.

استقرّ أبو الوليد مروان بن جناح بقرطبة وأحبّها وافتتن بمجالسها العلميّة التي لم يترك فرصة تواتيه في مؤلفاته إلّا وتحدّث عنها، وظلّ بها إلى أن اشتعلت ثورة البربر فغادرها سنة 1012م. وأشار إلى هذه المحنة في مقدّمة كتابه «اللمع» وكذا «المُسْتَلحق». واستقر به المقام في سرقسطة بعد تطواف طويل وضيق شديد، وتوفّي فيها بين سنتي 1050 و1055م.

في سرقسطة ألّف أوّل كتبه، وهو كتاب «المستلحق». وظهر هذا الكتاب في وقت كان الجدل حول اللغة والنحو على أشدّه في الأندلس. وقد أذكى جذوة هذا الجدل كتاب مناحم بن شروق «الكناشة»، وكتاب دوناش بن لبراط «الأجوبة»، فكتابا يهودا حيوج «حروف اللين»، و«الأفعال ذوات المثلين». وكان المقصود بمستلحق ابن جناح تدارك ما أغفله حيوج، فلم ترض جماعة من المتعلّمين بسرقسطة عن المستلحق، فأخرجت مؤلّفا غفلا لنقده، وأسمته «الاستيفاء»، فردّه ابن جناح برسالة «التنبيه»، فـ«كتاب التقريب والتسهيل» وقد أشار عليه بوضع هذا الكتاب أيضًا علماء من أعلام اليهود ومشهوريهم، وهو شموئل اللاوي النكيد، حاجب ملوك غرناطة، الذي تحزّب لحيوج، فأجابه ابن جناح بكتاب أسماه «التسوية». وظلّ الخصام بين الرجلين على أشدّه، وضاع الكثير من الكتابات التي كانت نتاجا لهذا الصراع، وخصوصا أجوبة النكيد وتلامذته.

وما إن عادت الطمأنينة إلى ابن جناح حتّى رجع إلى حلم كان دائما يعنيه، وهو تأليف كتاب كبير في النحو، وكان ذاك هو كتاب «التنقيح».

وقد اقتفى ابن جناح في منهجه في النحو أثر النحاة العرب، كما استقى معرفته من المؤلفات العربيّة. فقد اقتبس من العرب الأوزان الاسمية وأصول اشتقاقاتها، كما حاكاهم في الأوزان الفعليّة وتقسيم الأفعال إلى ثلاثي وغير ثلاثي وسالم ومعتلّ واتّبع تقسيمهم الخاص بمخارج الحروف. فهو لم يكتف بتقسيم القدماء مخارج الحروف إلى خمسة (ا ح هـ ع)، (ن و م ف)، (ح ى ك ق)، (ز س ص ر ش)، (و ط ل م ف) بل قرّر أنّ الحروف المختلفة للمخرج الواحد يخرج من مواضع مختلفة من المخرج نفسه ممثّلا في مجموعة (ا ح هـ ع) يكون مخرج الألف والهاء هو في وضع أقصى في الحلق من مخرج الحاء والعين (بلعومي). وقد أدرك أنّ الراء تنتمي إلى مجموعة اللام والنون (حروف الذلاقة) فيما بين مخرجيهما (في العربيّة المنطوقة يهتزّ طرف اللسان عند نطق الراء مرّتين لا أكثر).

وقد أفاد ابن جناح من أسلوب العرب في وضع المعاجم خاصّة معجم العين (الخليل بن أحمد) الذي سار على نهجه في تحليله للمواد وفي اهتمامه بالناحية الصوتيّة وبمخارج الحروف.

وقد ترك ابن جناح بصمة عميقة في مجال فقه اللغة العبريّة. فقد اقتبس منه مؤلفون في القرن الحادي عشر ومؤلّفون في القرن الثاني عشر.

واستمرّ تأثيره على المؤلفين من القرن الثالث عشر وما يليه، وبعضهم عرف كتاباته في أصلها العربي والبعض الآخر في ترجمتها العبريّة. ومنذ القرن الثاني عشر لم تعرف أعماله في مجال فقه اللغة فقط، بل في مجال التفاسير الربانية والقرائية أيضًا سواء بالعربيّة أو بالعبريّة.

آثاره

أولى ابن جناح الناحية النحويّة واللغويّة اهتماما بالغا لكي يتمكّن من تفسير التوراة فسجّل بذلك دوره في تاريخ النحو العبري. فمن مؤلفاته:

1 ـ كتاب المستلحق، بالعبريّة سفر هاساجاه: كتاب النقد، ويقوم على أساس نظام أبي زكريا يحيى بن حيوج الخاص بالجذر الثلاثي، معالجا الأفعال ذوات الحروف اللينة والمضاعفة والأفعال الرباعيّة، مؤكّدا على أهمّية القضايا التي أثارها بن حيوج مبيّنا قيمتها، مضيفا إليها أو ناقدا لها.

فقد تناول ابن جناح ـ حسب شهادته هو نفسه ـ [ديرنبورج، 1880، ص 245] أكثر من خمسين جذرا لم يذكرها بن حيوج مع خمسين معنى للجذور أغفلها وأكثر من مائة صيغة فعليّة (تصريفات، أزمنة)، علاوة على تضمين خمسين تفسيرا وأربعين موضوعا نظريّا في فقه اللغة؛ 2 ـ رسالة التنبيه، ترجمها بن تيبون بكتاب ـ بدلا من رسالة ـ ههعاراه: التذكير، وهي رسالة تفند وتدحض آراء «كتاب الاستيفاء» (سفر ههشلاماه) الذي ينتقد «كتاب المستلحق» وإخفاقه في أن يضمّ نقدا آخر لكتابات بن حيوج؛ 3 ـ كتاب التقريب والتسهيل، وفيه يشرح للمبتدئين بعض الموضوعات العويصة في مقدّمات كتابات بن حيوج، غير أنه يتجاوز هذا الأمر إلى معالجة موضوعات نحويّة جوهريّة معالجة تبين وجهة نظره؛ 4 ـ كتاب التسوية، ترجمه يهودا بن تيبون إلى سفر ههشقآه: المساواة أو سفر هتوخاحاه: التوبيخ والتعنيف، ويتضمّن ردّا على النقد الذي وجهه شموئيل هناجيد وأصدقاؤه إلى كتاب المستلحق، وبعد سرد ألوان النقد قام ابن جناح بتنفيذها وتدحيضها؛ 5 ـ كتاب التشوير، بالعبرية سفر ههخلماه أي كتاب الخجل والحياء، وهو ردّ على نقد شموئيل هناجيد الذي ضمّنه في كتابه «رسائل الرفاق»؛ 6 ـ كتاب اللمع، وهو تصنيف من عمل متكامل بعنوان كتاب التنقيح، أي كتاب البحث الدقيق وقد ترجمه يهودا بن تيبون إلى سفر هدقون أي كتاب القواعد، والقسم الثاني من هذا العمل هو كتاب الأصول.

ألّف ابن جناح كتاب «اللمع» باللغة العربية وكتبه بحروف عبرية. ودافع ابن جناح إلى تأليفه هو ما رآه من عناية علماء المسلمين الأندلسيين بلغتهم والتأليف فيها، في حين أنّ بني جلدته أهملوا لغتهم وقواعدها: «فلهم في اللغة مناكر يرغب عنها، وأقاويل يزهد فيها».

ويوجّه ابن جناح خطابه إلى أهل الفقه، فهم الذين يزدرون علم اللغة، في حين أنّهم هم اللحّانون الجهّال، بل أكثر أهل زمان ابن جناح لحانا، كما يقول. ويثير أبو الوليد مسألة الجذر، فينتقد من سبقه من الذين

أوقفوه على حرف واحد، إذ ظنوا أنّ الحروف المدغمة والساقطة في تصاريف الكلام زائدة أصلا. وقد كان هذا الموضوع مثار جدل النحاة اليهود الأوائل، وكان السبب في كثير من صراعاتهم العقديّة، بل كان مدعاة للخصومات السياسيّة لدى طوائف الأندلس.

ووقف ابن جناح أيضًا عند قضيّة جواز الاستشهاد باللغات الأخرى، وخصوصا اللغة العربيّة، ورد فيها آراء الأحبار والفقهاء، مستشهدا بعمل علماء التلمود وعلماء اليهود المشارقة، مثل سعدية كؤون الفيومي وبعض أحبار العراق. وفي المقدّمة بيّن المؤلّف غرضه الأساس من الكتاب الذي هو وضع كتاب يشتمل على أكثر علم اللغة واستعمالها ومجازاتها وأنحائها، وكلّ الأصول الواردة في التوراة، ليشرح غريبها في كلّ صيغها الصرفيّة، مستشهدا بما جاء في المشنه والتلمود واللغة السريانيّة، جريا على سنن علماء اليهود الذين سبقوه، بل مستشهدا بما جاء في اللسان العربي، على الرغم من اعتراض من ضعف علمه من فقهاء عصره وصقعه. ذلك أنّ العلماء السابقين كانوا يفسّرون التوراة من «اللسان اليوناني والفارسي والعربي والإفريقي (الأمازيغي)، وغيرها من الألسن».

وذكر بأنّ اللسان العربي هو أقرب الألسن إلى اللغة العبرانيّة بعد اللغة السريانيّة الآراميّة. بل اللغة العربية في اعتلالها وتصريفها ومجازاتها واستعمالاتها، عند ابن جناح، هي أقرب للعبريّة حتّى من اللسان السرياني، (الآرامي)، «يعلم ذلك من العبرانيين الراسخين» (الراسخون في علم لسان العرب).

كان متكأ ابن جناح في كتابه اللمع، التراث النحوي العربي، وخصوصا كتاب سيبويه، وإن لم يشر إلى مصادره التي أخذ منها، وبنية كتاب اللمع ومصطلحاته تدلّ على ذلك. بل ذكر ابن جناح سيبويه بالاسم في حديثه عن الجذر يقول: «وقد يحذفون أكثر من هذا حتّى أنّهم لقد يستجزون في الكلمة بذكر أوّل شبهة منها، حكى ذلك عنهم سيبويه».

يشتمل كتاب «اللمع» على خمسة وأربعين فصلا؛ يكوّن الفصل الأوّل مسحا شاملا لأقسام الكلام، وتعالج الفصول من الثاني إلى السادس الصوامت ونبرها ووظيفتها في كلمة سواء كأصل (جذر) الكلمة أو كلاحقة أو بادئة وإبدالها وقلبها.

ويعالج الفصل السابع نقل الصوائت من مكان إلى آخر. ويعالج الفصل الثامن تغيرات البدل. ويعالج الفصل التاسع وحتّى الثالث عشر الاشتقاق وبنية وتصريف الكلمات.

ويعالج الفصل الرابع عشر تغييرات الصوائت الناشئة عن حروف الحلق.

ويعالج الفصل الخامس عشر وظيفة الفعل. ويعالج الفصل السادس عشر الضمائر، والسابع عشر واو العطف، والثامن عشر حالة الإضافة، والتاسع عشر صيغ العطف وصيغ الطباق، والعشرون صيغ الترخيم، والثالث والعشرون الجمع والمثنى. من الفصل الرابع والعشرين حتّى الثالث والثلاثين يتناول المؤلّف اللاقياسيّة اللغويّة، الحذف، الحشو، التكرار، الترتيب المعكوس. . الخ.

ويعالج الفصلان الرابع والثلاثون والخامس والثلاثون الاستفهام وتشكيل أداة الاستفهام،

ويتناول الفصل السادس والثلاثون أدوات التعريف والتنكير، ومن الفصل السابع والثلاثين حتّى الثاني والأربعين يعالج المؤلف الجنس، ومن الثالث والأربعين حتّى الخامس والأربعين يعالج العدد؛ 7 ـ كتاب الأصول، ألّف ابن جناح كتاب الأصول، باللغة العربيّة وكتبه بحروف عبريّة، وهو علاوة على كونه معجما «شاملا» لعبريّة العهد القديم يشمل أيضًا شروحا تفسيريّة على موضوعات العهد القديم العويصة. وحدته المعجميّة هيّ الأصل (الجذر) الذي يشير ابن جناح إلى حروف باللغة العربيّة مثل الألف ـ الباء ـ اللام. وينقسم إلى اثنين وعشرين فصلا مرتّبة أبجديّا «وفقا» للحرف الأوّل من الأصل، وفي إطار كلّ فصل ترتّب الأصول حسب الترتيب الأبجدي لحروفه الثانية والثالثة. ويكون الاستثناء فقط في الأصول ذوات الحروف المضاعفة في البداية كمثل باء، باء قبل باء، ألف، لام أو باء، دال، دال قبل باء، دال، ألف وهكذا.

ويناقش ابن جناح أحيانا الصلة بين صيغ المادّة المشتقّة من نفس أصل ترجمتها العربية وبين الكلمة العبريّة. ولشرح وتوضيح قضاياه النحويّة كان يحيل القارىء إلى «كتاب اللمع» وإلى أعماله الأخرى وأيضًا أعمال ابن حيوج.

المصادر والمراجع

- أ. أشتور، تاريخ يهود الأندلس الإسلاميّة، باللغة العبريّة حول تاريخ النحو، القسم الأوّل، ص 159 ـ 172، قريت سفر، القدس 1960م؛ ● حاييم تصبي لرنر، تاريخ النحو (العبري) (بالعربية)، فيينا 1876م، ص 14 ـ 15؛ ● أ. س. فريديريك، تاريخ يهود الأندلس (بالعبريّة)، القسم الأوّل، وارسو 1893، ص 32 ـ 33؛ ● يهوشوع بلاو، المختار من النصوص باللغة العبرية اليهوديّة (باللغة العبريّة والحرف العبري)، دار ماغنس للنشر، الجامعة العبرية، القدس 1970م، ص 97 ـ 150؛ مقدّمات نشرت مؤلفات ابن جناح المذكورة أسفله:
- S. Munk, Notice, Journal Asiatique, 1850, TI et II; 1851, TI, pp 85- SS.
- W. Bacher, Leben und werke des Abulwalid Marwin ibn gunah R Judah und die quellen seiner Schrifterklarung, Wien 1885.
- Encyclopaedia Judaica, Vol. (8), Jerusalem, 1969.
- Waxman, Meyer, A History of Jewish Literature from the close of the Bible to our own days, New York 1930.

د. نازك ابراهيم عبد الفتاح
جامعة عين شمس ـ القاهرة
د. أحمد شحلان
جامعة محمد الخامس ـ المغرب

الجناوني، يحيى بن أبي الخير

(ق 5هـ/11م)

هو يحيى بن أبي الخير الجناوني نسبة إلى «جناون»، بجبل نفوسة غرب ليبيا.

ولد في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، في مدينة «جناون»، من عائلة معروفة بالعلم والتعلم، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته. بدأ رحلته مع العلم في مدينته، حفظ على يد جده القرآن، وأخذ عنه مبادئ العقيدة والفقه واللغة. ولم تكن جناون مدينة العلم، ولذلك ارتحل عنها واستقر في مدينة للعلم والعلماء «إينابن»، فأخذ فيها العلم عن أبي الربيع سليمان بن أبي هارون الباروني.

وبعد أن أكمل دراسته رجع إلى مدينته فأخذ عنه كثيرون منهم: أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، وأبو زكرياء يحيى بن أبي بكر صاحب السيرة، وأبو سليمان داود بن هارون. وكان في هذه الأثناء مهتمًا بتأليف الكتب، فترك مجموعة من النفائس، أصبحت معتمدة من أهل نفوسة في الإفتاء والعبادات والأحكام.

قال الشماخي عنه: «وهو ممن جازت عليه نسبة الدين في المذهب الأباضي» [السير، 132] أي أنه حلقة نسب الدين، وتعد هذه الشهادة نوعا خاصا من الإجازات لدى علماء الاباضية.

آثاره

1 ـ كتاب الأحكام مذيلا بحاشية أبي يعقوب يوسف بن محمد المصعبي، الذي وسع حاشية أبي عبد الله محمد بن عمر بن أبي ستة، ويليه ترتيب كتاب القضاء والشهادات والدعوات للمؤلف، تحقيق وتعليق أحمد كروم وأحمد بازين، راجعه وقدم له أحمد سعود السيابي وإبراهيم بحاز، غرداية، 1999، 309 ص.

يتناول الكتاب في مجمله تجربة الاباضية في القضاء، تناول في البداية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تعرض لآداب القضاء باختصار وتوسع في مسألة الشهادة، ثم تناول المعاملات والمواريث وكثيرا من القضايا المختلفة في مجالات الحياة الاقتصاية والاجتماعية. والكتاب في الواقع مجموع يحتوي على أربعة عناوين هي: كتاب الأحكام للمؤلف ص 1 إلى ص 242، وترتيب كتاب القضاء والشهادات والدعوات للمؤلف ص 243 إلى ص 291، وحاشية أبي عبد الله محمد بن عمر بن أبي ستة على كتاب الأحكام لأبي زكرياء يحيى الجناوني، ثمّ حاشية أبي يعقوب يوسف بن محمد المصعبي على كتاب الأحكام لأبي زكرياء يحيى الجناوني؛ 2 ـ كتاب الصوم، تح. سليمان الجناوني وعلي علوش، ط 2، القاهرة،

1973، 95 ص. والكتاب موسوعة صغيرة في الصيام وأحكامه وفضائله، يقع في ثلاثة عشر بابا هي: باب الصوم، باب في صوم المسافر، باب في رؤية الهلال، باب في الغسل من الجنابة، باب في السجود، باب في صوم القضاء، باب في صوم النذور، باب في فضل رمضان، باب في صوم التطوع، باب في الاعتكاف، باب في صلاة القيام، باب زكاة الفطر، باب في صلاة العيدين؛ 3 ـ كتاب عقيدة التوحيد وهي التي يسمونها عقيدة نفوسة، ط. حجرية، القاهرة، 1907، 56 ص. يتناول الكتاب أسس الإيمان، وفصل القول في الولاية والبراءة، ثم قضية التوحيد والإيمان في الدين الإسلامي من عدة زوايا: أوجهه وقواعده وأركانه ومسالكه، حسب المذهب الأباضي؛ 4 ـ النكاح، كتاب أعده للنشر سليمان أحمد عون الله، ومحمد سامي زغدود، تقديم وتعليق علي يحيى معمر، القاهرة، 1976، 328 ص. إنه في الفقه الأباضي يعد مرجعا في أحكام الزواج بل هو موسوعة، يضم أبوابا عديدة تناولت مواضيع متفرقة، كالخطوبة، والصداق، والعقد، وشروطه، والنفقة، والعدالة بين النساء، والرضاعة، والظِّهار، ومسائل الطلاق والعدة؛ 5 ـ كتاب الوضع، مختصر في الأصول والفقه، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، القاهرة، 254 ص. وتتوزع مادة الكتاب على ثلاثة أبواب هي:

ـ كتاب التوحيد، وجاء فيه: التوحيد ركن من أركان الدين، صفات الله الذاتية، الأصول التي اختلفت فيها الأمة، الأمر والنهي والوعد والوعيد، قوائم الدين وأركانه، الولاية والبراءة وأقسامها، وكتاب الطهارة، ومما جاء فيه: الوضوء وأحكامه وشروطه، ضروب الاغتسال وأحكامها وكيفياتها، وكتاب الصلاة وكتاب الصيام وكتاب الزكاة وكتاب الحج وختم الباب بكتاب الإيمان وفيه: يمين اللغو، واليمين في قسمين، والكفارات.

المصادر والمراجع

● كتاب الأحكام المؤلف؛ ● معجم أعلام الأباضية، قسم المغرب الإسلامي، 2000، ج 2، ص 256.

د. محمد عيسى موسى
مجمع اللغة العربية ـ الجزائر

جنتا، الشيخ صالح بن محمد

(ت 1236هـ/1820م)

الشيخ صالح بن محمد بن جنتا من علماء الفولانيين ببلاد اليوربا (شعب في نيجيريا يُرجعون أصلهم إلى الجزيرة العربية). اشتهر بلقب «عالم»، وهو الذي أطلقه عليه الشيخ عثمان بن فودي (ت 1232هـ/ 1817م) [الألوري، الإسلام

في نيجيريا والشيخ عثمان فودي الفلاني، 132]. وتنتمي عائلة جنتا إلى علماء الفولانيين الذين هاجروا من فوتا تورو واستقروا ببلاد الهوسا، منذ القرن الخامس عشر الميلادي، وأخذوا في تكوين أقليات إسلامية في وسط الوثنيين [الماحي، عبد الرحمٰن، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، 127].

لم نعثر على تاريخ ولادة الشيخ وبالتالي يصعب علينا تحديد مكان ولادته بالضبط. ذلك أنّ بلاد الهوسا كانت متكوّنة من سبع إمارات، فلا ندري في أيّها استقرّت عائلة جنتا.

وحسب المعلومات التي تحصلنا عليها، فإنّ لعائلة الشيخ علاقة بعائلة عثمان بن فودي، التي استقرّت بإمارة غوبر Gobir الواقعة في ولاية سوكوتو Sokoto من جمهورية نيجيريا حاليا. وذهب مهدي رزق الله إلى أنّ الشيخ جنتا استقدم أهله من سوكوتو للإقامة معه، عندما طاب له المقام في إلورن ببلاد اليوربا. وأنّه كان صديقا لعثمان بن فودي [أحمد مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية، 553]. ويقول آدم الألوري: «وكان من جملة أصدقاء الشيخ ابن فودي رجل فلاني من جهات سوكوتو (...) من أهل الصلاح والتقوى يدعى صالح محمد بن جنتا، ولكنه اشتهر بلقب عالم الذي كان يطلقه عليه ابن فودي دائما» [الألوري، ن. م. السابق، 132].

وعلى هذا يمكن القول إنّ الرجل من مواليد سوكوتو، لا سيما أنّ عثمان بن فودي هو الذي عيّنه رسولا له في بلاد اليوربا، عندما بدأت حركته الجهادية التي امتدّت بين سنتي 1785 ـ 1810م [الماحي، ن. م. السابق، 136 ـ 137].

بدأ تاريخ جنتا يظهر بوضوح بعد أن استقرّ بإلورن حوالي سنة 1230هـ/ 1814م، غير أنّ المنيّة داهمته بعد ستّ سنوات من نزوله بها سنة 1236هـ/ 1820م [أحمد، ن. م. السابق، 554].

نشأ صالح جنتا في أسرة متديّنة بالإسلام. ترتبط ثقافتها بالثقافة الإسلامية منذ القرن الخامس عشر الميلادي، وقد هاجرت أسرته من فوتا تورو إلى بلاد الهوسا هروبا من الصراع المحتدم حول السلطة بين الفولانيين. وتمكّنت هذه الأسرة من تكوين إمارات إسلامية، لا تزال لها آثارها في شمال نيجيريا [الماحي، ن. م. السابق، 127].

ولم تقدم لنا الدراسات مراحل تكوين صالح التعليمية ولا أساتذته الذين تتلمذ عليهم. ويبدو أنه حفظ القرآن الكريم على بعض أفراد عائلته، ثمّ تحوّل من بعد ذلك إلى عدد من أعلام الشيوخ الذين تتلمذ على يدهم صديقُه عثمانُ بْنُ فودي، مثل الشيخ عبد الرحمٰن بن حمد، وشيخ الشيوخ جبريل بن عمر، لمواصلة تحصيله في مختلف العلوم الإسلامية التي كانت منتشرة في إفريقيا الغربية في عصره. مع الملاحظ أنّه لم يكن هناك تخصص دقيق بمفهوم عصرنا الحاضر، ولكن قد نجد ميلا من بعض العلماء إلى تدريس فنّ من الفنون الإسلامية، أو كتاب من الكتب التعليميّة. وبتضلّع صالح جنتا في العلوم الإسلامية لقب بـ«عالم» وكان لقب العالم يطلق على كل من تزيّا بزيّ علماء الدين [أحمد، ن. م. السابق، 514].

ولما كان جنتا من العلماء المتضلّعين في العلوم الإسلامية في عصره فقد رأى فيه الشيخ ابن فودي الرجل المناسب للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية جنوب نهر النيجر. ولم يتردّد عندما اقترح عليه تلك المهمة النبيلة والصعبة، فخرج إلى بلاد اليوربا، نزل بعاصمتها «أيولي» ليبدأ مغامراته التعليمية والدعويّة التي استمرّت ستّ سنوات. يقول آدم الألوري: «وكان من جملة أصدقاء الشيخ ابن فودي رجل فلاني من جهات سوكوتو (...) من أهل الصلاح والتقوى يدعى صالح محمد بن جنتا، ولكنّه اشتهر بلقب عالم الذي كان يطلقه عليه ابن فودي دائما، ولمّا تفرّس أنّ له مستقبلا (...) ونجما لامعا في الدعوة إلى الله جنوب نهر النيجر أشار له بالتوجه إلى تلك الناحية، فعمل بالإشارة فاجتاز النهر حتّى أتى بلاد برغو فنزل ضيفا على ملك بوسا» [الألوري، ن. م. السابق، 132].

وما إن قوي عود الشيخ صالح واستطاب المقام في إلورن حتّى أخذ يمارس التعليم وسط إخوانه الفولانيين الرعاة، والهوسا، والبرناويين، والبربر المسلمين المنتشرين في أحياء صغيرة حول إلورن. وخلال مدّة قصيرة ذاع صيته في المنطقة، وقصده الناسُ من أماكن شتّى، منهم أهل ربوة السنة (اسم لحي كان تسكنه أقلية من المسلمين قبل مجيء جنتا إلى المنطقة، وهم مزيج من اليوربا والبربر) [الألوري، ن. م. السابق، 134]، وتتلمذوا عليه.

وازداد توافد الطلاب على الشيخ عندما فتحت مدينة أيولي بقيادة أفنجا [الألوري، ن. م. السابق، 132]، فانتظمت بها الحضارة الإسلامية، وتضاعف عدد سكان المدينة، وشكل المسلمون الأغلبية الساحقة لسكان تلك المدينة.

وقد طُلب من الشيخ بعد فتح المدينة أن يكون حاكما لها، لكنّه أبى، واكتفى بمهمّة التربية والتعليم. يقول الألوري: «اتجهت أنظار الناس إلى هذا العالم أن يكون حاكما أو رئيسا ولكنّه أبى واكتفى بالمشيخة». ولذا اتفق أتباعه على مبايعة ابنه عبد السلام أميرا وسلطانا على تلك المدينة، تقديرا لدور أبيه في تطوّر المدينة، وحفظ الأمن والسلام فيها. توسّع نطاق هجرة المسلمين إلى إلورن من المناطق المجاورة للعيش في ظلّ سلطان إمارة جديدة، ومبايعة أول إمام و (أمير للمؤمنين) في بلاد اليوربا [الألوري، ن. م. السابق، 135].

ومن هنا نلاحظ تأثر صالح جنتا بفكر صديقه الشيخ عثمان بن فودي، الذي قسّم دولته قسمين، قسما شرقيا تحت نفوذ ابنه محمّد بلّوغ وقسما غربيا سمّى أخاه عبد الله عليه، ثمّ اكتفى بالقيادة الروحيّة والعكوف على التدريس والتعليم [الماحي، ن. م. السابق، 144].

رغم أنّ الدراسات سكتت عن تسجيل إنتاج علمي لهذا الرجل فإنّ ما سجلته له من دور علمي يعتبر مجهودا كبيرا لا يستهان به. فقد استطاع أن يكوّن مجموعة كبيرة من العلماء اهتموا بالثقافة الإسلامية العربية في تلك الربوع، وقد تمكّن تلاميذه من بعده من تأسيس معاهد عليا لدراسة الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها. تخرّجَ بفضلها علماء على مختلف المستويات والاختصاصات.

يقول الألوري: «.. فأصبحت البلدة حصنا منيعا لصوت القرآن ومعقلا أمينا لدعاة الإسلام فظهرت بها منارة عالية يشع منها ضوء الإيمان إلى كافة الأنحاء والأرجاء، وبالتالي تمركزت بها الثقافة العربية الإسلامية حيث استقدم إليها أمراؤها العلماء والفقهاء من بلاد هوسا ونوفى وغيرها، وأسسوا بها الكليات العالية لجميع فنون الفقه والأدب واللغة العربية والشريعة وتخرج منها فحول وجهابذة نشروا الثقافة الإسلامية في بلاد يوربا وكافحوا فيها الأمية والجهالة .[الألوري، ن. م. السابق، 135]، ولم يكن للثقافة الإسلامية أن تستوطن في هذه المنطقة إلّا بعد معارك شديدة كان النصر في النهاية حليف الشيخ صالح وأتباعه.

يقول أحد تلاميذ الشيخ وهو محمد ثاني بن أبي بكر (بوني)، في أحد انتصاراتهم ضدّ الوثنيين:

لما تحزب اهلُ الكفر كلُّهمِ
وأهل بابِن قد باؤوا على اسمِهمِ

واهلُ أوفا وقد باؤوا بنقضهم
عهدَ الامانة في فعلٍ وفي كلم

قال الامير فإنّ الحول ليس لنا
إلا إليك إلهي انتَ ذو كرم

اعني الاميرَ وذاك هو مقصدنا
لانه بيديه فتحُ مضرهم

قد أنجز الله وعدًا كان واعدنا
تفرقوا ثمّ خلوا جلّ مالهم

نساؤُهم مع أولادِ صغارهم
صاروا أرقاءَ في مُلك وفي خدم

[الألوري، ن. م. السابق، 136-137]، وكذلك [أحمد مهدي، ن. م. السابق، 556].

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الشيخ وأتباعه لنشر الإسلام بين شعب اليوربا، فإنّه ما يزال كثير منهم على الوثنية .[حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، 126].

المصادر والمراجع

● الألوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، الطبعة الثانية، د.ت؛ ● رزق الله، أحمد مهدي، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى 1419هـ/ 1998م؛ ● الماحي، عبد الرحمان، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، الواقع والمستقبل، ديوان المركزية، بن عكنون، الجزائر، د.ت؛ ● حسن، إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، القاهرة 1964، الطبعة الثانية.

أ. سعيد زونغو
جمهورية بوركينا فاصو

الجنداري، أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن

(1279هـ/1862م - 1337هـ/1918م)

هو أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محسن القحيط المعروف بالجنداري (معناها الجند السامي، أو النظامي) وقد جاءه هذا اللّقب من خاله العلّامة الضرير الشيخ محمد بن يحيى الجنداري.

هو عالم مبرز في علوم كثيرة ولا سيما الفقه والتفسير والحديث مع معرفة جيّدة بالطبّ، وهو كذلك مؤرّخ وشاعر.

اشتغل في بداية أمره بالتجارة، فكان له حانوت في سوق المعطار في صنعاء لبيع التوابل والعطورات والعقاقير الطبية، مع اشتغاله بالعلم، ولكنّه تفرّغ لاحقا للعلم فحسب، فأهّله نبوغه إلى أن يبرّز في فنون كثيرة؛ وقد كان في بداية أمره ملتزما التزاما كاملا بالمذهب الزيدي الهادوي، فكان لا يحضر صلاة الجمعة لعدم وجود إمام في صنعاء، لأنّها كانت بيد الدولة العثمانيّة، إلّا أنّه فيما بعد، عدل عن موقفه هذا، فأخذ بالانقطاع إلى علوم السنّة، فحقّق ودقّق، واجتهد ورجّح، وقدّر وانتقد، وألّف وعمل بما صحّ لديه من أدلّتها، وترك التعويل على المذهب وأقوال الرجال. وانتهت إليه في آخر أعوامه الرئاسة في علوم السنّة، ومعرفة علل الحديث ورجاله، وأحوال رواته في الاعتقاد والصدق والأمانة والجرح والتعديل ومعرفة الوفيّات [هجر العلم، ج 3، ص 1476 - 1477].

كان كثير التنقّل داخل موطنه، حيث انتقل من صنعاء إلى القفله سنة 1309هـ، حيث يوجد بها الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، ثمّ انتقل سنة 1310 هـ إلى هجره علمان، فعكف على الدرس والتدريس، ثمّ انتقل سنة 1315هـ إلى العنسق، فسكنها، وقد تصدّر للتدريس والتأليف فيها [هجر العلم، ج 3، ص 1480 - 1481].

وقد انتفع به عدد كثير ممّن وفقهم اللّه إلى سلوك هذه المحجّة الواضحة، وكان من أبرز من سلك مسلكه سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي الملقّب بأبي نيب، والإمام يحيى بن محمد حميد الدين، وإن لم يجاهر بذلك حرصا على منصب الإمامة الذي آل إليه بعد وفاة والده حتّى لا تهتزّ عقيدة أتباعه فيه، وممّن أخذ عنه أيضا العلّامة أحمد بن يحيى عامر، والعلّامة أحمد بن عبد اللّه الكبسي، والعلّامة عبد الرحمن الشامي وأخوه علي بن حسين، وكان أكثر طلّابه انتفاعا به في علم السنّة والتمسّك بها قولا وعملا إمام السنّة يحيى بن محمد بن لطف بن محمد شاكر [هجر العلم، ج3، ص 1477 - 1478].
وله قصيدة سمّاها «علم النجاة» ضمّنها الحثّ على العمل بكتاب اللّه وسنّة رسوله، وترك التقليد، وهي في 36 بيتًا مطلعها:

أيّها الطّالبو النجاة هلمّوا
إنّ «علم النجاة» علم أهمّ

آثاره

ألّف الجنداري عددا من التآليف قبل أن يتحوّل إلى علم السنّة؛ ومن أبرز كتاباته:

1 ـ إبانة الشفاعة في النهي عن تفريق صلاة الجماعة؛ 2 ـ الأبحاث السديدة، شرح الأبيات الفريدة للحسن بن عبد اللّه الضحياني؛ 3 ـ إظهار اللّفاق من أهل النّصب والشقاق؛ 4 ـ انتقاد القريحة من ينابيع النصيحة؛ 5 ـ البرق اللّموع في الجمع بين أحاديث (الأماليّين) والمجموع (أمالي أبي طالب، وأمالي المؤيّد باللّه الهارونيّين)؛ 6 ـ تحفة الإخوان بنظم تاريخ قرّاء القرآن؛ 7 ـ الجامع الوجيز الوافي بوفيّات العلماء ذوي التبريز، بدأ فيه بالهجرة النبويّة إلى سنة 1335هـ؛ 8 ـ حاشية على أمالي المرشد باللّه؛ 9 ـ حاشية على أمالي أبي طالب؛ 10 ـ حاشية على العقد الثمين في معرفة ربّ العالمين؛ 11 ـ رحيق الأنهار في تراجم رجال شرح الأزهار؛ 12 ـ روض الفؤاد في مثالب ابن آكلة الأكباد (المقصود معاوية بن أبي سفيان)؛ 13 ـ سمط الجمان، شرح الرسالة الناصحة للإخوان، وهي منظومة للإمام عبد اللّه بن حمزة؛ 14 ـ شرح نكت الفوائد؛ 15 ـ غاية القبض في ذكر أمان أهل الأرض؛ 16 ـ مبيد الأحزان لأهل الإيمان بذكر أولياء الرحمن، في مجلّد كبير؛ 17 ـ نور الصباح على كتاب الإيضاح، في مجلّد كبير؛ 18 ـ شرح على قصيدة للصاحب بن عبّاد.

المصادر والمراجع

- زبارة، محمد بن محمد، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، تح. مركز الدراسات، صنعاء، ج 1، ط 1979؛
- الحوالي، الأكوع، هجر العلم، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، 1995.

د. صلاح علي بن مدشل
جامعة حضرموت ـ اليمن

ابن جندل، أبو مالك سلامة الطائي

(ت 23ق. هـ/600م)

هو أبو مالك سلامة بن جندل الطائي. شاعر جاهلي، عده ابن سلام الجمحي من شعراء الطبقة السابعة من الجاهليين. ورأى بعضهم أنّه عاصر عمرو بن كلثوم. كان سلامة من فرسان أهل الحجاز المعدودين، ومن وُصّاف الخيل المشهورين، وأجود شعره قصيدته التي أولها:

أودى الشبابُ حميدًا ذو التعاجيبِ
ولّى، وذلك شأوٌ غير مطلوبِ

أودى الشبابُ الذي مجد عواقبه
فيه نلذُّ ولا لذّاتَ للشّيبِ

ولّى حثيثا وهذا الشيبُ يتبعه
لو كان يدركهُ، ركضُ اليعاقيبِ

كان يخشى الهرم، وينعي الشباب ويرثيه، وهو يشعر بدبيب الموت، غير أنّه كان يلهّي نفسه بالغزو بغية أن ينسى، وهو القائل:

تقول ابنتي إن انطلاقكَ واحدا
إلى الرَّوع يوما تاركي لا أباليا

ذَريني من الإشفاقِ أو قدّمي لنا
من الحدثانِ والمنيةِ واقيا

ستتلف نفسي أو سأجمع هجمة
ترى ساقتيها يألمان التراقيا

لم يبق من شعر سلامة إلّا قصائد قليلة. وقد ذاع صيته في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، ذلك أنّ أبرز ما دون من سيرته يتناول أخاه أحمر، الذي أسره شيخ بني تغلب، عمرو بن كلثوم، في الغارة التي شنها في الجنوب، ولكن أخاه سلامة تشفع له، فأطلق عمرو سراحه من غير أن يتقاضى فدية لقاء ذلك [ديوان عمرو بن كلثوم، مقدّمة القصيدة رقم 2؛ الأغاني، ج9، / 183، س 18]. ولكن، بحسب طبعة الأب لويس شيخو، ورد في ديوان سلامة، في التعليقات على القصيدة رقم 8 أنّ هذا الحادث وقع لأحمر مع رجل يقال له صعصعة بن محمود ابن مرثد. ولعلّ صعصعة هذا كان من عشيرة عمرو بن كلثوم القيسيّة.

وصلت إلينا قصائد سلامة مجموعة في مخطوطين قديمين، طبعهما الأب شيخو سنة 1920، ولا يحتوي الديوان إلّا على تسع قصائد، أو قطع منها، ومجموعها 135 بيتا من الشعر، أضاف إليها الأب شيخو 36 بيتا جمعها من مصادر شتى. وقد لا يكون هناك سبب يدعو إلى الشك في صحة معظم هذه الأشعار، التي يتحدث فيها الشاعر عن شبابه الذي ولى، ويأسف لأنّه لم يكن هاديا له في كبره. وأمّا عن ذكره اللّه في قصائده، فقد يكون نتيجة التوحيد الذي شاع في بلاد العرب، قبيل مجيء النبي محمد، ﷺ، بفضل النصرانيّة واليهوديّة.

ويتضح من شعره أنّه لم يكن قديما، وعاش في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، بدليل ذكره النعمان أبا قابوس، الذي قتل بأمر من كسرى، تحت أرجل الفيلة، في قوله:

هو المدخل النعمان بيتًا سماؤه
نحورُ فيول بعد بيتٍ مُسَردق

وعلى الرغم من قلّة الأخبار عنه، فإنّ أشعاره تدلّ على مآثره ومحامد أفعاله. ومن المحتمل أن يكون هو الذي ذكره «ابن دريد» [الاشتقاق، ص 149] باسم سلمى بن جندل، حينما روى من أقوال الشعراء في تعظيمه كأحد مشاهير الأمراء، كقول أحدهم:

مات أبي والمنذران كلاهما
وفارسُ يوم العين سلْمى بن جندل

وقول آخر:

وقبْلي مات الخالدان كلاهما
عميدُ بني جحوان وابنُ المضلل

وقيسُ بن مسعود وقيسُ بن خالد
وفارسُ يوم العين سلمَى بن جندل

تجمع الروايات على أنّه كان أحد فرسان بني تميم المعدودين، وكانت القبائل تحترمه

لشجاعته وبأسه وأنفته. وإكراما له، اطلق عمرو بن كلثوم أخاه أحمر بعد أن أسره. وربما اعتبره بعضهم أميرا في قومه، فرثوه بعد مماته وبكوه، ولا سيما لأنّه كان يعشق الحياة على طريقة الوجوديين اليوم. ويقول كارل بروكلمان [ص 59]، نقلا عن المفضليات [ص 22]: لقد استعاض سلامة بن جندل، في مطلع قصائده، عن النسيب ببكاء الشباب، فعكس ترتيب الشعر العادي، وأجاد، وإن لم يترك صدى فيمن بعده. وكان لسان قبيلته والمدافع عنها، يذيع مآثرها ويمجد بطولاتها. وقد ورد في العقد الفريد [دار الكتاب العربي، ج5، ص 270]:

قالت بنو تميم لسلامة بن جندل: مجّدنا بشعرك، قال: افعلوا حتّى أقول. وهذا يشير إلى رزانته وصدقه ومكانته فيهم. ومن الأبيات الدالة على فروسيته، وعلى افتخاره ببطولات قومه، قوله:

وكرت خيلنا أدراجها رجعا
كس السنابك من بدء وتعقيب

والعاديات أسابيّ الدماء بها
كأن أعناقها أنصابُ ترجيب

من كل حت إذا ما ابتل ملبده
صافي السبيبِ أسيل الخد يَعبوب

ثمّ الدسيع إلى هادٍ له بِتَع
في جؤجؤ كمداك الطيب مخضوب

همت معد بناهما، فنهنهها
عنا طعان، وضرب غير تذبيب

بالمشرفيّ، ومصقولٌ أسنتها
صمُّ العوامل، صدقاتُ الأنابيب

يجلو أسنتها فتيانُ عادية لا
مقرفين، ولا سودٌ جعَابيب

إلى تميم، حماةِ الثغر، نسبتهم
وكلُّ ذي حسب في الناسِ منسوب

آثاره

لسلامة بن جندل ديوان مطبوع يتضمن، إلى جانب أشعاره الصحيحة، أشعارا منسوبة إليه، لم تثبتها أصول ديوانه المخطوطة. ويبلغ عدد الأبيات المنسوبة إليه ثمانين بيتا [انظر: ديوان سلامة بن جندل، صنعة محمد بن الحسن الأحول، تقديم راجي الأسمر، دار الكتاب العربي 1994م]. أمّا عدد الأبيات الأصلية بحسب الديوان عينه، فيبلغ مائة وخمسين بيتا.

واستعمل سلامة في نظمه من البحور، الطويل، والبسيط، والمتقارب، والوافر، والكامل، ومجزوء الكامل.

وتراوحت موضوعات شعره بين الفخر، والحماسة، ووصف المعارك والأيّام، والهجاء، ووصف الخيل، وبكاء الشباب، والمديح، والخمر، والنسيب. ويتألف هذا الشعر من مقطوعات متفاوتة الطول، وهناك أبيات كثيرة منفردة، قد تكون متبقية من قصائد ومقطوعات ضاعت، ولم تحفظها ذاكرة الرواة.

وشعر جندل غارق في البداوة، وألفاظه شديدة الغرابة والخشونة. يقول واصفا أعمامه الفرسان الأشداء، أبناء جده المقاعس، يمتطون الخيول الطوال التي يترجع لونها بين الدُّهمة والخضرة:

علـيـهـن أولادُ الـمـقـاعـس قـرحـا
عـنـاجـيـج فـي حـولـهـن صـهـيـل

أو يصف مجد قومه العظيم كبحر تتلاعب أمواجه بالسفن، فيغرق المسافرون والبحارة.

يـقـمّـص بـالـبـوصِـيِّ فـيـه غـوارب
متى ما يخُضْها ماهرُ اللج يغرق

ولكن الذي يدعو إلى الغرابة والتساؤل بعض الأبيات السهلة، فيشك القارئ في نسبتها إليه، كمثل قوله:

جـاريـةٌ مـن سـاكـنِـي الـعـراق
لـبَّـاسـة لـلـحُـلـل الـرِّقـاق
تـفـتـر عـن ذي أشـر بـرَّاق
أبـغـضُ ثـوبـيـهـا إلـيـهـا الـبـاقـي
تـنـفـق مـن كـسْـب امـرئ وراق
قـد أيـقـنـت، إن مـاتَ، بـالـنـفـاق
فـهـو عـلـيـهـا هـيـن الـفِـراق

وشعر جندل، على خشونته، محكم العبارة، فيه جرس وإيقاع موسيقى، وصوره مستقاة في معظمها من بيئته ومحيطه.

المصادر والمراجع

● ديوانه، تح. لويس شيخو، بيروت 1910؛ ـ هوارت، باريس، 1910؛ ـ تح. فخر الدين قباوة، حلب، المكتبة العربيّة 1968، ودار الكتب العلميّة بيروت 1987؛ ـ شرح راجي الأسمر، بيروت، دار الكتاب العربي، 1993م. ● ابن دريد، الاشتقاق، تح. عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر 1958م، ص 74؛ ● الأصمعي، الأصمعيات، تح. أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ص 132؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط. جديدة 1980، 3/ 106؛ ● الجاحظ، البيان والتبيين، تح. عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1968م، 3/ 44، 84، 318؛ ● جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربيّة، مصر، دار الهلال، بمراجعة شوقي ضيف، 1957م، 1/ 146؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، 1959م، 1/ 119؛ ● الجاحظ، الحيوان، تح. عبد السلام هارون، القاهرة، 3/ 449؛ ● ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح. أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1967م، ص 262، 263، 273، 278؛ ● ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1965م، ص 3، 974؛ ● حاوي، خليل، موسوعة الشعر العربي، مكتبة خياط، بيروت، 1974م، 1/ 167؛ ● قباوة، فخر الدين، سلامة بن جندل حياته وشعره، ماجستير، القاهرة، 1964؛ ● قباوة، فخر الدين، سلامة بن جندل الشاعر الفارس، المكتبة العربيّة، حلب، 1968م، وطبعة ثانية، دار الفكر، دمشق، 1992م.

د. أنطونيوس بطرس
الجامعة اللبنانية ـ بيروت

الجندي، أبو الضياء خليل بن إسحاق بن موسى

(ت 767هـ/1365م)

أبو الضياء خليل بن إسحاق بن موسى المالكي، كان يسمّى محمّدا، ويلقّب بضياء الدين، ويعرف بالجندي، فقد كان يرتزق على الجنديّة لأنّ سلفه منهم [بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 113]. لقد كان من جملة أجناد الحلقة المنصورة، ويلبس زيّ الجند المتقشّفين، المنقبضين عن أهل الدنيا.

لم يذكر من انشغل بترجمة تاريخ ميلاده، لكنّ الظاهر أنّه كان في أوائل المائة الثامنة بالقاهرة التي يعدّ خليل صدرا في علمائها.
سمع من أبي عبد الهادي، وقرأ على الرشيدي في العربيّة والأصول وعلى الشيخ عبد الله المنوفي (ت 849 هـ) في فقه المالكيّة، ثمّ درّس بالشيخونيّة وأفتى وأفاد [م. ن].
كان أبوه حنفيّا، أمّا هو فكان يلازم أبا عبد الله بن الحاج صاحب «المدخل» فكان بسببه مالكيّا [ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج 2، ص 86].
وقال أبو البركات الدردير في مكانة والد خليل وعلمه، وكيف استقلّ ابنه عنه في المذهب الفقهي: «كان حنفيّا وشغل ولده بمذهب مالك لصحبته في شيخه سيدي عبد الله المنوفي، وسيّدي أبي عبد الله بن الحاج صاحب المدخل، وكان إسحاق والد المصنّف من أولياء الله، ومن أهل الكشف، نص عليه المصنّف في مناقب سيدي عبد الله المنوفي، ونصّه: «وكان الوالد رحمه الله تعالى من الأولياء الأخيار، وكان قد صحب جماعة من الأخيار مثل سيدي الشيخ عبد الله المنوفي، وسيدي الشيخ الصالح العارف بالله تعالى أبي عبد الله بن الحاج، وكان سيدي الشيخ أي المنوفي يأتي إليه ويزوره» [الدردير، الشرح الكبير، ج 1، ص 9، المطبعة الأزهرية 1345هـ/ 1927م].
أخذ عن خليل أئمّة مثل بهرام والأقفهسي، وخلف النحريري ويوسف البساطي، والتاج الإسحاقي، وشمس الدين محمد الغماري المالكي (ت 872هـ) [مخلوف، شجرة النور الزكيّة، ص 223].
كان مجمعا على فضله وديانته، أستاذا متمتعا من أهل التحقيق، ثاقب الذهن، أصيل البحث، مشاركا في فنون من العربية والحديث والفرائض، فاضلا في مذهب مالك، صحيح النقل، جمع بين العلم والعمل، وأقبل على نشر العلم، فنفع الله به المسلمين [ابن فرحون، الديباج المذهّب، ص 115].

آثاره

1 ـ التوضيح، شرح خليل على جامع الأمّهات لابن الحاجب، قال فيه غير واحد من العلماء إنّه شرح حسن، وضع الله عليه القبول، وعكف الناس على تحصيله، قال مخلوف: «لخليل تآليف مفيدة دالّة على فضل وسعة اطّلاع، منها شرح مختصر ابن الحاجب

الأصلي والفرعي المسمّى بالتوضيح" [مخلوف، شجرة النور الزكيّة، ص 223]. وقال ابن فرحون: "ومن تصانيفه شرح على ابن الحاجب في ستّة مجلّدات" [ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 116]. وقال ابن حجر عن كتاب التوضيح: "شرح مختصر ابن الحاجب في ستّة مجلّدات انتقاه من شرح ابن عبد السلام، وزاد فيه عزو الأقوال، وإيضاح ما فيه من الإشكال" [ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2، ص 86]؛ 2 ـ المختصر، وهو مختصر في الفقه المالكي نسج فيه على منوال الحاوي، تداوله الجميع حتّى عامّة الناس وسمّي سيدي الخليل. وقد طبع المختصر سنة 1393هـ/ 1974م بمطبعة دار الكتب العربيّة الكبرى بمصر على نفقة أصحابها مصطفى البابي الحلبي وأخويه؛ 3 ـ من مصنّفاته أيضًا ما جاء في نيل الابتهاج نقلا عن ابن مرزوق: "ورأيت من شرح ألفيّة ابن مالك قيل إنّه من موضوعاته" ويضيف: "وله شرح على المدوّنة ولم يكمل، وصل فيه إلى كتاب الحجّ" [بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 114].

المصادر والمراجع

● ابن فرحون، برهان الدين، الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ت، وبهامشه نيل الابتهاج لبابا التنبكتي، ص 112؛ ● العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج 2، ص 86؛ ● السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، الطبعة الأولى 1387هـ/ 1967م، ج 1، ص460؛ ● الدردير، أبو البركات، شرح متن خليل بحاشية الدسوقي وتقريرات عليش، الترجمة صدر الكتاب، المطبعة الأزهرية، مصر 1345هـ/ 1927م، ج 1، ص ج؛ ● مخلوف، محمد، شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة، دار الفكر، د. ت.

د. أبو بكر الأخزوري
مركز الدراسات الإسلامية
القيروان ـ تونس

الجندي، أبو عبد الله بهاء الدّين محمّد بن يوسف

(ت 733هـ/ 1332م)

محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي، أبو عبد اللّه، بهاء الدين: عالمٌ محقّقٌ في الفقه، حنبلي المذهب، له مشاركةٌ قويّة في بعض علوم العربيّة، مؤرّخ ثقة، تولّى القضاء في موزع، كما تولّى الحسبة في زبيد سنة 715هـ. وكذلك في عدن، كما تولّى التّدريس في مدرسة "حصْن الظُفْر" في مخلاف حُمَر، وفي مدرسة الشّيخ عبد اللّه بن

العباس، وفي مدرسة الشّيخ ميكائيل بن أبي بكر الموصلي، وكلتاهما في مدينة الجَنَد.

مولده في الجند، كما بيّن في ترجمته لأحمد بن موسى بن عجيل، ولكنّه لم يذكر سنة ولادته. أمّا تاريخ وفاته فقد اختلف فيه، فالخزرجي يقول في ترجمة له في «العقد الفاخر الحسن»: «والّذي يظهر لي أنّ وفاته كانت سنة 730هـ/ 1330م، فإنّه ساق أخبار الدّولة المجاهديّة عامًا عامًا، وشهرًا شهرًا إلى أثناء ربيع الآخر من السّنة المذكورة، ثمّ انقطع هنالك كلامُه من غير إشعار بالفراغ ممّا قصده، والغالب أنّه بغته أجلهُ فانقضت حياته، وحضرت حينئذ وفاته».

بينما ذكر الأهدل في «تحفة الزّمن» أنّ وفاته كانت سنة 732هـ/ 1331م، وقد اعتمد على هذا التّاريخ كلٌ من الزركلي في كتابه «الأعلام»، وكحالة في كتابه «معجم المؤلّفين»، وفؤاد سيد عمارة في مقدّمته لـ«طبقات فقهاء اليمن».

ولكنّي اكتشفت أنّ تاريخ وفاته كانت متأخّرة عن هذا التّاريخ، وأنّه كان حيًا سنة 734هـ، وذلك من كلام الجندي نفسه في ترجمته لأحمد بن علي بن سحيم، فقد ذكر أنّ العوادر قتلته ظلمًا سنة 734هـ/ 1333م [السّلوك، 2/ 279].

آثاره

لم تثن المناصب الّتي تقلّدها الجندي عن اهتمامه بتدوين تراجم علماء الشّافعيّة في اليمن الّتي جمعها في كتابه الشّهير «السّلوك في طبقات العلماء والملوك»، وحقّقه وعلّق عليه ونشره القاضي محمد بن علي الأكوع، وهو كما وصفه الخزرجي: «يدلّ على علم واسع، ومعرفة بالرّجال قديمًا وحديثًا، ولم يستوعب أحدٌ ممّن قصد ذلك، وتصدّى له كاستيعابه». وهو في عمله هذا يدين بالفضل لمن تقدّمه بالعمل في هذا المضمار، فذكر بأنه استفاد من كتاب «طبقات فقهاء اليمن» للمؤرّخ عمر بن علي بن سَمرة الجعْدي (547هـ/ 1151م - بعد 586هـ/ 1190م) الّذي يعدّ من أقدم كتب الطّبقات لعلماء الشّافعيّة، إن لم يكن أقدمها، فقد اعتبره الجندي أساس كتابه، إذ قال عنه: «وهو شيخي في جمع هذا الكتاب، ولولا كتابه لم أهتد إلى تأليف ما ألّفت، ولقد أبقى للفقهاء من أهل اليمن ذكرًا، وشرح لذوي الأفكار صدرا» [السّلوك، 1/ 538]، كما استفاد أيضا ممّا كتبه الفقيه عثمان من محمد الشّرعبي (ت سنة 718هـ)، حيث جاء في ترجمته له ما يلي: «وعنه أخذت غالب أخبار فقهاء تعزّ ونعوتهم وكان قد جمع من أخبارهم عدّة كراريس، فلمّا أخبرته بما جمعت أعجبه ذلك وأعطاني الكراريس الّتي جمعها» [السّلوك، 2/ 116].

لكنّ الجندي تفرّد عمن سبقه بأنّه رحل إلى كثير من قرى ومدن علماء الشّافعيّة المتفرّقة في الجبال والسّهول وبطون الأودية في مخاليف تهامة واليمن الأسفل للتّأكّد من أقوال من ترجم لهم من أعقابهم أو ممّن له صلة بهم، والاستفسار منهم عن تواريخهم وإجازاتهم، وما لهم من مسموعات، وكان يزور أحيانا قبورهم للتّبرّك بهم - كما ذكر ذلك في تراجمهم - ومعرفة ما لهم من مؤلّفات أو

بحوث، وكان أيضا يترجم للمعاصرين له ويتحرّى كثيرًا في معرفة أخبارهم.
وشمل كتابه كذلك تراجم كثيرة لعلماء الأحناف، كما تعرّض استطرادًا لذكر بعض علماء الزّيديّة لضرورة اقتضت ذلك.
ومع أنّه قسّم كتابه إلى طبقات ابتداءً من القرن الأوّل للهجرة حتّى عصره فإنّه كان يخصّ كلّ مخلاف من مخاليف اليمن الّتي يدين أهلها بالمذهب الشّافعي بذكر من فيه من العلماء فلا ينتقل عنه إلى المخلاف الآخر إلّا بعد أن يستكمل ذكر من فيه.

المصادر والمراجع

- الخزرجي، علي بن حسن، العقد الفاخر الحسن، طراز أعلام الزّمن؛
- الأهدل، حسن بن عبد الرحمٰن، تحفة الزّمن في تاريخ سادات اليمن؛
- الأكوع، إسماعيل بن علي، المدارس الإسلاميّة في اليمن، ص 36.

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع

صنعاء - اليمن

الجندي، أبو عبد الله مؤيد الدين بن محمود بن صاعد

(ت 691هـ/1292م)

ولد بالجند من مدن تركستان قريب من نهر سيحون. لا يعلم تاريخ ولادته كما ليس بأيدينا معلومات متعلقة بعائلته ونشأته. يمكن التقاط بعض المعلومات حول انتسابه إلى الطريقة من كتابه «نفحة الروح». وعلى ما ذكر نفسه في هذا الكتاب أنه عندما أراد السلوك إلى التصوف خالفه أساتذته ومن بينهم أبوه. ولما قرر الانتساب الى الطريقة بعد الاستخارة وهب الى أبيه الميراث الذى انتقل إليه من أمه ودفع إلى امرأته ألوفا من الذهب مهرًا لها. ترك الدنيا واتجه الى الحق وسافر بنية الحج. وعند وصوله إلى مدينة قونية انتسب الى صدر الدين القونوي خليفة محيي الدين بن العربي والذى يصفه الجندي بالإنسان الكامل وقطب الأقطاب وخدم شيخه عشرة سنين وأتم سلوكه عنده. ولما توفي شيخه القونوي في 673هـ/1274م ذهب الجندي الى بغداد وبدأ بإرشاد الناس كخليفة لصدر الدين القونوي وشرح كتاب «مواقع النجوم» لمحيي الدين بن العربي. وبعد مدة ترك بغداد وذهب الى مدينة سينوب في شمال تركيا على شاطىء البحرالاسود والتي كانت تحت حكم بروانه أوغللري (بني مرواحة؛ كلمة بروانة الفارسية تعنى نائب السلطان فى عهد السلاجقة وفي التركية اليوم بمعنى المرواحة). وكتب كتابه «نفحة الروح» بناء على طلب امرأة ذات اعتبار تعلّم الفارسية وتميل الى التصوف.
لا يعلم تاريخ وفاة الجندي يقينًا، ولكن إسماعيل باشا البغدادي يذكر سنة 691هـ

1292م وآغا برزك طهراني، وعلي أكبر دهخدا سنة 700هـ، ونجيب مايل هروي محقق كتاب «نفحة الروح» يشير الى العشر الأخيرة من القرن السابع الهجري.

مؤيد الدين الجندي كان من أبرز مريدي صدر الدين القونوي ومن خلفائه، وكان من مريدي محيي الدين بن العربي، وقد شرح «فصوص الحكم» لابن العربي بناءً على طلب شيخه.

آثاره

1 ـ شرح فصوص الحكم، هذا الكتاب أول شرح كامل لفصوص الحكم. لأن ما كتبه إسماعيل بن سودكين تلميذ ابن العربي على الفصوص هو شرح «فص إدريس» فقط. وكتاب الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص لصدر الدين القونوي هو عمل يعين على فهم الفصوص ويوضح خلفيته. وشرح فصوص الحكم لعفيف الدين التلمساني من تلامذة ابن العربي أيضا هو في الحقيقة حاشية على بعض مشكلات الكتاب. ولأجل ذلك يمتاز شرح الجندي بأنه أول شرح كامل على الفصوص، واهتمام المؤلف بآراء ابن العربي المتعلقة بالوجود وبما بعد الطبيعة أكثر من اهتمامه بلغة المتن. ولهذا الشرح مخطوطات كثيرة في مكتبات تركيا [مثلا: مكتبة السليمانية، قسم نافذ باشا، رقم 538؛ قسم شهيد علي باشا، رقم 1240، 1241؛ قسم لاله لي، رقم 1417]. طبع بتحقيق السيد جلال الدين اشتياني معتمدا على مخطوطتين، مشهد 1982.

تعتمد الشروح المتاخرة للفصوص على هذا الشرح؛ وتأثيراته على نصوص الخصوص في ترجمة الفصوص لركن الدين مسعود بن عبد الله الشيرازي، وعلى نقد النصوص في شرح نقش الفصوص لعبد الرحمٰن الجامي بارزة واضحة. وكتب يازيجي أوغلي محمد من خلفاء الشيخ حاجي بيرام الولي تعليقا على شرح الجندي بعنوان المنتهى على الفصوص [مكتبة السليمانية، قسم برتو باشا، رقم 293]؛ وكتب عبد الله البوسنوي رسالة على بحث «التعين الأول» من مقدمة هذا الشرح [مكتبة السليمانية، قسم جار الله أفندي، رقم 2129، ورقة 158 ـ 159]؛ 2 ـ نفحة الروح وتحفة الفتوح. يحتوي على ديباجة ومقدمة، وقسمين. ويبحث المؤلف في القسم الأول موضوع معرفة الله و شرح بعض أسماء من أسماء الله تعالى وصفاته وموضوع الإنسان الكامل، وفي القسم الثاني يوضح أحوال الصوفية. طبع الكتاب بتحقيق نجيب مايل هروي، طهران 1362 هش. ترجم خير الدين يبلماز نفحة الروح الى التركية باسم وصلت يولو (أي طريق الوصلة) وطبع باسطنبول سنة 1996؛ 3 ـ الدرر الغاليات في شرح الحروف الساليات/ العاليات [مكتبة السليمانية، قسم شهيد علي باشا، رقم 1362]. قصيدة لامية أنشأها مخاطبا نفسه؛ 4 ـ مختصر في لزوم التجريد الكُلي ظاهرًا وباطنًا عن ما سوى الله [مكتبة السليمانية، قسم شهيد علي باشا، رقم 2/ 1439]؛ 5 ـ القصيدة الغيبية [انظر لمخطوطاته: بروكلمان، ملحق، 1/ 810].

آثاره المذكورة في كتبه وفي المصادر الأخرى:

6 ـ شرح مواقع النجوم لمحيي الدين بن العربي؛ 7 ـ خلاصة الإرشاد وإرشاد

الخلاصة؛ 8 ـ اكسير الكمالات؛ 9 ـ أذواق ختمتين؛ 10 ـ كتاب الأسماء؛ 11 ـ رسالة علوم أحدي ومعارف أحمدي؛ 12 ـ رسالة في القضاء والقدر. وصلت إلينا بعض أشعاره أو أبيات منها في كتابه نفحة الروح ولمعات لفخر الدين العراقي، ونفحات الأنس للجامي.

■ المصادر والمراجع

● الجندي، مؤيد الدين، نفحة الروح وتحفة الفتوح، تح. نجيب مايل هروي، طهران 1362 هش. مقدمة المحقق ص 9 ـ 24؛ ● الجامي، عبد الرحمن، نفحات الأنس من حضرات القدس، تح. مهدي توحيدي بور، طهران 1336 هش، ص 558 ـ 559؛ ● الحموي، ياقوت، معجم البلدان، تح. فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، د.ت.، 2/ 196؛ ● جلبي، كاتب، كشف الظنون، 2/ 1540، 1264؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، 2/ 484؛ ● معصوم محمد، علي شاه شيرازي، طرائق الحقائق، تح. محمد جعفر محجوب، طهران 1339 ـ 1345 هش، 2/ 318، 341، 357، 359، 362؛ ● آغا بزرك طهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، نجف ـ طهران 1355 ـ 1398، ج 17/ 150، 24/ 253؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 1/ 588، ملحق، 1/ 810؛

(=Brockelmann, GAL, I,588, Suppl.,I,810)

● دهخدا، علي أكبر، لغات نامه، طهران 1373 هش، 13/ 19309؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت 1414هـ/ 1993م، 3/ 942؛ ● أواوداغ سليمان، «جندي»، الموسوعة الإسلامية التركة لوقف الديانة التركي، اسطنبول 1993، 7/ 361 ـ 362؛

(=Süleyman Uludağ, «Cendî», Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1993, VII, 361-362)

● قيليج، محمود أرول، «فصوص الحكم»، الموسوعة الإسلامية التركة لوقف الديانة التركي، اسطنبول 1996، 13/ 232؛

(=Mahmut Erol Kiliç, «Fusûsü'l-hikem», Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1996, XIII, 232).

د. أحمد أوزل
مركز البحوث الاسلامية
استانبول ـ تركيا

الجندي، علي السيد

(1316هـ/1898م ـ 1393هـ/1973م)

أديب وشاعر وأستاذ للأدب، وعميد لدار العلوم، وعضو في مجمع اللغة العربية، كان من أبرز أبناء جيله، ينتمي شعره لمدرسة دار العلوم وما جمعت بينه من سلفية وعصرية مع عناية فائقة باللغة، وكان في شعره مواكبًا لعصره معنيًا بقضايا وطنه وأمته محافظًا على الديباجة العربية.

ولد في شندويل (سوهاج)، وفي كتاتيبها تلقى تعليمه الأولي، وحفظ القرآن الكريم، ثم انتظم في سلك التعليم المؤهل لوظائف التدريس في المدارس الأولية، فدرس في مدرسة المعلمين الأولية بسوهاج ونال منها شهادة الكفاءة، وانتقل للقاهرة فاستكمل تعليمه في الأزهر والمدارس المدنية ونال من الشهادات ما أهله للالتحاق بدار العلوم وتخرج فيها سنة 1925. وكان بهذا واحدًا من الذين التحقوا بدار العلوم وتخرجوا فيها بعد انتهائهم من مدارس المعلمين الأولية. وقد عمل بعد تخرجه مدرِّسًا في المدارس الابتدائية والثانوية ثم اختير للعمل في هيئة تدريس كلية دار العلوم من غير الحاصلين على الدكتوراه وتدرج في مناصبها حتى أصبح وكيلا وعميدًا للكلية حتى إحالته للتقاعد سنة 1958.

كان له توجُّه إسلامي وشارك في أنشطة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مقررًا للجنة القرآن والسنّة وعضوًا بلجنة التعريف بالإسلام. كما اختير عضوًا في لجنة الشعر في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.

آثاره

تنوع إنتاجه ما بين الشعر والنثر وقد اشتهر بالشعر أكثر من شهرته بالنثر وله في مجال الشعر أربعة دواوين شعرية:

1 ـ أغاريد السحر؛ 2 ـ ألحان الأصيل؛ 3 ـ ترانيم الليل؛ 4 ـ في ظلال القمر، والأخير جمع ونشر بعد وفاته.

وله في أدب الرحلات:

5 ـ خمسة أيام في دمشق الفيحاء.

وله في الدراسات الأدبية:

6 ـ في التشبيه (3 أجزاء للبلاغة والنقد والأدب)؛ 7 ـ فن الأسجاع؛ 8 ـ فن الجناس؛ 9 ـ البلاغة الفنية؛ 10 ـ الشعراء وإنشاد الشعر؛ 11 ـ شعر الحرب؛ 12 ـ أدب الربيع؛ 13 ـ سجع الحمام في حكم الإمام؛ 14 ـ طرائف القصص.

وله في الدراسات والكتابات الإسلامية:

15 ـ قرة العين في رمضان والعيدين (جزآن)؛ 16 ـ سياسة النساء؛ 17 ـ الجن بين الحقائق والأساطير (جزآن)؛ 18 ـ رحلة الإمام

الشافعي إلى الإمام مالك؛ 19 ـ سياسة النساء كما؛ 20 ـ سيف الله خالد؛ 21 ـ ترجم أيضًا للشاعر محمود رمزي نظيم ملقبًا إياه بالشاعر الوطني؛ 22 ـ شارك في موسوعة بعنوان «تطور الثقافة والفكر» صدر منها جزآن؛ 23 ـ أشرف على إصدار «المختار من الشعر الحديث» في سلسلة الألف كتاب؛ 24 ـ اشترك في تأليف بعض الكتب المدرسية ومنها «كتاب المطالعة الوافية» للمدارس الثانوية، و«حديقة الإنشاء»، و«روضة الإنشاء»، و«بستان الإنشاء»؛ 25 ـ ألقى في مجمع اللغة العربية ثلاثة بحوث في المؤتمرات الثلاث التي شهدت عضويته في المجمع وهي: الأدب الذي نريده 1970، الثريا أو عقد ربا في اللغة والأدب 1971، وسروج الشعراء 1972.

د. محمد الجوادي

عضو مجمع اللغة العربية ـ القاهرة

الجندي، علي محمد

(1335هـ/1917م ـ 1420هـ/2000م)

أستاذ أدب تقليدي محافظ، عمل طيلة حياته أستاذًا للأدب في كلية دار العلوم، تخرج في دار العلوم 1942 ثم درس في معهد التربية العالي وحصل على إجازة التدريس 1944 وعيِّن مدرسًا بوزارة المعارف، وابتعث في بعثة كليته إلى بريطانيا 1947 ودرس فيها حتى نال الدكتوراه 1952 وعاد فعمل مدرسًا فأستاذًا مساعدًا 1979 فأستاذًا بقسم الدراسات الأدبية 1967، كما عمل وكيلا للكلية. تركزت دراسته ومحاضراته كذلك في الأدب الجاهلي حتى أطلق عليه مسمًّى «علي الجاهلي» تمييزًا له عن سميِّهِ علي الجندي الشاعر وعميد دار العلوم وعضو مجمع اللغة العربية.

آثاره

1 ـ تاريخ الأدب الجاهلي من ثلاثة أجزاء؛
2 ـ شعر الحرب في العصر الجاهلي؛
3 ـ تح. ديوان طرفة بن العبد، وشرحه؛
4 ـ شرح المفضليات في كتاب «عيون الشعر القديم»، وفي مرحلة مبكرة من حياته الأكاديمية ترجم عن الإنجليزية كتاب «الذوق الأدبي» من تأليف «بنيت».

د. محمد الجوادي

عضو مجمع اللغة العربية ـ القاهرة

الجنوي، أبو النّعيم رضوان بن عبد الله

(912هـ/1505م ـ 991هـ/1583م)

أبو النعيم، وأبو الرضى، رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي، من حفاظ الحديث ورواته، بل أبرز علمائه في عصره ومصره ومن أهل الزهد والورع والتصوف، مع العلم والعمل، واحدُ وقْته في هذا، آخر المحدثين الصالحين بفاس.

جاء أبوه من جنوة ـ مدينة بإيطاليا ـ وحلّ برباط الفتح، وذلك في حدود التسعين وثمانمائة للهجرة، وكان نصرانياً فأسلم، ووجد يهودية أسلمت فتزوجها وحسُن إسلامها، وولد لهما أبو النعيم رضوان بفاس، ونشأ بها، ولقي في صباه بفاس الشيخ أبا محمد الغزواني المراكشي، ثم تحول الغزواني إلى مراكش، فتبعه رضوان وبقي عنده أربعة أشهر، ثم توفي الغزواني فبقي بعده نحو عام بمراكش يطلب العلم ثم عاد إلى فاس فتتلمذ على أبي عبد الله محمد الطالب، وأخذ الحديث والرواية عن محدث المغرب في عصره أبي محمد عبد الرحمٰن سُقَين العاصمي، الذي أخذه بدوره عن زكريا الأنصاري والقلقشندي، والسخاوي، عن خاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلاني، كما أخذ رضوان عن محمد بن علي البرجي، الشهير بالشطيبي في بلاد بني زروال، وأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر، وكانت بينهما مكاتبات في التصوف وغيره .

قال ابن القاضي: أخذ العلم عن رضوان خلق كثير لا يحصى عددهم، قلت: منهم سلطان وقته فمن دونه ،لاسيما بعد أن أصبح شيخ الحديث بعد سُقَيْن. وممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار، ومحمد بن يوسف الترغي، وأبو محمد عبد الواحد الشريف، وأبو العباس المخلوفي، ومحمد بن عثمان المعروف بالدقون، وكثيرون تخرجوا به في الحديث والتصوف، إذ قام رضوان بتهذيب السالكين، وتربية المريدين، وظهرت بركته على كثير ممن صحبه، وكان رضوان شريف الأخلاق، لطيف الصفات، كامل الأدب، جليل القدر، وافر العقل، كثير التواضع، شديد الحياء، متيقظاً في دينه، إمام الزهد والورع في عصره، لا يذكر غائب بحضرته إلا بما اقتضاه العلم، ولايسمح لأحد بتقبيل يده، شديد الاتباع للقرآن والسنّة، مراعياً لأوقاته مقبلاً على الجدّ، مدبراً عن الدنيا وأهلها، زاهداً فيها منزوياً عنها، شديد الخشوع والخشية والبكاء، وكان شيخه سقين يسميه برضوان البكاء. شديد الشكيمة على الظَّلمة.

قال تلميذه أحمد بن موسى المرابي الأندلسي: من القائمين بالليل، الصائمين بالنهار، القائمين بحدود الله، الناظرين للشريعة بنور الله، الذين لا تأخذهم في دين الله لومة لائم، ولقد كان جنيد هذه الأمة.

وقال تلميذه الإمام القصار: الرجل الصالح، لو أدركه أبو نعيم الأصبهاني لجعله صدر حليته، أو قال: مع أويس القرني.

وكان له باع في معرفة الصحيحين، مميزاً لأحاديثهما، وأحاديث كل واحد منهما، وكان خطه في غاية الجودة وحسن الرونق، نسخ الكثير من الكتب، وكان جلّ معاشه من انتساخها، قال عبد الحي الكتاني: وقفت على مجموعة له كانت بخزانة تازا. وقد وضع الناس في مناقبه وكراماته وأحواله، وممن ألف في ذلك: تلميذه الفقيه أبو العباس أحمد بن موسى المرابي الأندلسي المتوفى 1034هـ، وسماه «تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان»، وهو في مجلدين، قال عبد الحي الكتاني: وهو عندي بخطه.

ومنه مجلد في الخزانة العامة بالرباط فيه 468 صفحة فيه أبواب منها الباب الثالث: خوفه وزهده وورعه، والباب الرابع: مكاشفاته، والخامس في سيره وآدابه ومكاتباته، والسادس في كلامه وحكمه وبعض منظومه.

توفي بمنزله في عدوة الأندلس بفاس، ليلة الخميس الثالث عشر، أو الرابع عشر من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وتسعمائة للهجرة، ودفن خارج باب الفتوح - بمطرح الجنة - مجمعاً على علمه وصلاحه، وورعه وزهده ويقينه، ولم يخلف من الدنيا إلا حصيراً كان يصلي عليه، وخيطاً كان يشمر به أكمامه للوضوء، فبيعا بسبعين مثقالاً، ولما دفع المبلغ لابنته الوحيدة التي تركها أبت أن تأخذ ذلك لأنهما لا يساويان هذا المبلغ، فاشتروا به بقعة أرض وبنوا عليها زاوية نسبت إليه.

آثاره

1 - كتاب في الفقه؛ 2 - له نظم كثير، ومنه نظم الحلية لأبي نعيم الأصبهاني، وقد جمعه المرابي في كتاب سماه: المسك المختوم فيما للشيخ أبي النعيم من المنظوم؛ 3 - تقييدات، قال ابن القاضي: له نظم وتقييدات لا يحصى عددها. قلت: وتقييداته وكلامه على منهج الصوفية الأوائل، ومنوان الحكم العطائية مثل قوله: إنما أحبت القلوب غير الله لمرضٍ فيها. وقوله: احذر الاعتراض والاقتراح وتلق الكلام بالارتياح، وقوله: كل من أخذ من الدنيا فوق الكفاية فإنه إما موجب عقاباً أو موجب حجاباً. وقوله: سلطت الغفلة على من سلطت عليه ليعلم الذاكر ما مُنَّ به عليه، فإن القلب يدخله الخلل بقدر ما غفل عنه. وما نقل عنه من كلام وحكم له عذوبة وحلاوة؛ 4 - تخريج أحاديث الشهاب للقضاعي؛ 5 - فهرسة أسانيده؛ 6 - أوراد وأذكار، كان يذكر بها أتباعه من بعده؛ 7 - إجازات حديثية، ومنها إجازة طويلة لعبد الواحد الحسيني السجلماسي في رواية المصنفات الحديثية والفقهية؛ 8 - مكاتباته، وقد ذكر المرابي طرفاً منها فقال: مكاتباته على ضربين، ضرب يكاتب فيه العلماء والصالحين في طلب الدعاء منهم، وحلّ ما أشكل عليه من المسائل التصوفية وغير ذلك. وضرب يكاتب فيه ولاة الأمر في النصيحة لهم، وما يدفع الضرر عن الضعفاء والمساكين. وكان يكتب إلى بعض المحبين في نازلة نزلت به، وذكر طرفاً من أنواع هذه المكاتبات ومما ذكره ما كتب به إلى سلاطين وقته، وإلى قاضي الجماعة بفاس.

المصادر والمراجع

● المرابي، تحفة الإخوان، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 154 ك؛ ● ابن القاضي، درة الحجال، 1/ 274 ـ 275، تح. محمد الأحمدي أبو النور، نشر دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس د. ت؛ ● ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ط. دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط 1973م، 1/ 197؛ ● المنجور، فهرس أحمد المنجور، تح. محمد حجي، ط. دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1396هـ/ 1976م، ص 80؛ ● القادري، نشر المثاني، تح. محمد حجي، وأحمد التوفيق ط. دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1397هـ/ 1977م، 1/ 89؛ ● الحضيكي، طبقات الحضيكي، ترجمة رقم 274، ص 185 ـ 186، رسالة جامعية، تح. أحمد بومزكو بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 1994م؛ ● الناصري، الاستقصاء، تح. ولدي المؤلف جعفر، ومحمد، ط. دار الكتاب بالدار البيضاء 1955م، 5/ 191؛ ● الكتاني، محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس، ط. حجرية بفاس الأولى د. ت، 2/ 257 ـ 262؛ ● الكتاني، عبد الحي، فهرس الفهارس، تح. إحسان عباس ط. دار الغرب الإسلامي ببيروت، الثانية 1402هـ/ 1982م، 1/ 434 ـ 436؛ ● الأزهري، محمد البشير ظافر، اليواقيت الثمينة، ط. مطبعة الملاجئ العباسية 1325هـ، 1/ 151 ـ 152؛ ● مخلوف، محمد، شجرة النور، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د .ت، ص 286؛ ● الحجوي الثعالبي، الفكر السامي، خرّج أحاديثه عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، ط. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة 1397هـ/ 1977م، 2/ 269؛ ● الترغي، عبد الله المرابط، فهارس علماء المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، أطروحات رقم 2، 1420هـ/ 1999م، ص 632؛ ● بروفنسال، ليفي، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1397هـ/ 1977م، ص179؛ ● الزركلي، الأعلام، 3/ 27، دار العلم للملايين ببيروت، 1999م، ط 14.

د. فاروق حمادة
جامعة محمد الخامس ـ الرباط

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان

(ت 392هـ/1001م)

أبو الفتح عثمان بن جنّي، نحويّ لغويّ من أعلام النحو في القرن الرابع الهجريّ، تذكر المصادر أنّ أباه كان مملوكا روميّا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي [نزهة الألبّاء، ص 228]. ولئن أشارت بعض المصادر إلى أنّه كان جنديا من أصل تركيّ [فهرست أبي بكر بن خير، ص 318]، فإنّ ابن جني قال شعرا يفتخر فيه بعلمه فضلا عن نسبه الذي يؤول حسب تعبيره إلى «سادة نجب قياصرة».

ولد ابن جنّي في مدينة الموصل إحدى عاصمتي الإمارة الحمدانيّة، ولا تتوفّر في المصادر معلومات دقيقة تمكّن من تحديد سنة ميلاده، ولئن حدّدت في تاريخ أبي الفداء بسنة 302هـ/ 915م، [ج 4، ص 29] فإنّ ذلك يتعارض مع ما لاحظه أبو علي الفارسي من صغر سنّه عندما رآه سنة 337هـ تصدّر للتدريس بجامع الموصل لأنّه يكون إذّاك، إذا ما صحّ هذا التاريخ، قد بلغ سنّ الخامسة والثلاثين، فلا يستغرب أن يتصدّر للتدريس في مدينة لا يوجد فيها أعلام مرموقون من النحاة. وتتّفق جلّ المصادر على أنّه ولد قبل سنة 330هـ/ 941م. وإذا ما أخذنا استغراب أبي علي الفارسي بعين الاعتبار فإنّه يمكن القول بأنّ ابن جنّي ولد حوالي سنة 320هـ/ 932م فيكون سنّه عند أوّل التقائه بأبي علي ستّ عشرة أو سبع عشرة سنة.

وقد تتلمذ في الموصل على أبي العبّاس أحمد بن محمد الموصلي الملقّب بالأخفش [معجم الأدباء ج 12، ص 114]، وعلى أبي بكر محمد المراغي [إنباه الرواة، جIII، ص 196]، وكان الأوّل نحويّا فقيها وضع كتابا في علل القراءات، أمّا الثاني فهو من تلاميذ الزجاجي له مختصر في النحو وشرح على كتاب سيبويه، وقد ذكره ابن جنّي في بعض مصنّفاته [الخصائص، ج III، ص 299؛ التمام ص 158]. ويمكن أن نعتبر أنّ تتلمذه في بداية حياته على هذين الأستاذين قد ساهم بقسط وافر في توجيه اهتماماته، ولو أنّهما لم يكونا من الأعلام البارزين؛ لكن الذي لا شكّ فيه أنّ التقاءه بأبي علي الفارسي بالموصل سنة 337هـ قد حدّد وجهته تحديدا نهائيا، فأخذ عنه في الموصل أوّلا حيث أقام أبو علي بضع سنوات أو على الأقلّ زارها مرارا عديدة، وعندما انتقل إلى حلب بقي على صلة بتلميذه عن طريق المراسلة [الخصائص، ج 3، ص 38]، قبل أن يلتقيا في هذه المدينة سنة 341هـ/ 952م، ومنذ هذا التاريخ لازمه ابن جنّي، وصاحبه في تنقّله حتّى سنة 377هـ تاريخ وفاة الأستاذ.

واصل ابن جنّي تتلمذه عليه في حلب، كما كان مقامه فيها فرصة للتردّد على مجالس الأدباء والعلماء، وخاصة ما كان ينعقد منها في بلاط سيف الدولة، وفيه شهد النقاش بين

أستاذه وابن خالويه، ولقي المتنبي، فربطت بين الرجلين صداقة تواصلت إلى أن قتل الشاعر سنة 354هـ/ 963م؛ وكانت بينهما مطارحات شعريّة ولغويّة آلت إلى اعتبار المتنبي أنّ ابن جنّي أعرف الناس بشعره، وسيخصّص هذا فعلا أكثر من تصنيف لشرح ديوان الشاعر، أو الردّ على من طعن في شرحه.

ولم ينفصل ابن جنّي عن أبي علي عندما غادر الموصل إلى دمشق [المنصف في شرح تصريف المازني، ج 1، ص 43] فإلى بغداد؛ وفي هذه المدينة واصل تتلمذه على أستاذه، ووجد فرصا عديدة لتوسيع مجال اهتماماته، فأخذ عن عدد من الأعلام من ذوي اختصاصات متنوّعة، ومنهم خاصة أبو بكر بن مقسم، وكان متبحّرا في النحو الكوفي، ملمّا بالقراءات، وضع كتابا في الاحتجاج فيها، وأخذ القراءات كذلك عن أبي إسحاق إبراهيم القرميسيني، فدرس عليه كتاب القراءات لأبي حاتم السجستاني، وقرأ على أبي الفرج الأصفهاني واستفاد من علمه بالشعر والأدب، ولعلّ هذا ما يفسّر وفرة ما يستشهد به من الأبيات وأنصاف الأبيات الشعريّة في مختلف مؤلّفاته. ولا شك أنّه قد أخذ عن بعض أعلام المعتزلة، وأثر ذلك واضح في كتاب الخصائص [انظر مثلا جII، ص 449؛ جIII، ص 251]. كما أنّه تتلمذ على بعض المتكلّمين، فهو يشير إليهم بقوله «أشياخنا من المتكلّمين» [جIII، ص 266]؛ ولا نستبعد أيضا أن يكون حبّ الاطّلاع قد حمله على التشوّف إلى معارف أخرى كالمنطق أو الرياضيات. فممّا يبعث على افتراض هذا ما يوجد في كتبه من مصطلحات هي من مجال هذه المعارف.

وبصفة عامّة تدلّ آثاره على اطّلاع واسع على ثقافة عصره واستيعاب للتراث النحوي واللّغوي خاصّة؛ لكن لا يبدو أنّه ـ رغم أصله الرومي ـ كان يحذق اللّغة اليونانيّة أو أيّة لغة أخرى غير العربيّة ، فلا نجد في آثاره إشارة ولو تلميحا إلى اليونانيّة رغم توفّر الفرص الملائمة لذلك [الخصائص ، ج 1، ص 242 ـ 243]. ففي حديثه عن تفوّق اللّغة العربيّة على سائر اللّغات يستنجد بمن يعرف «العجميّة» ممّن يسمّيهم «مشائخنا» كأبي علي، وبندار، والسجستاني، ليقيم الدليل على أنّه لا مجال للتسوية بين لغتهم ولغة العرب؛ على أنّه لا يستبعد أن يكون قد حمله حبّ الاطّلاع والنظر الحثيث في خصائص العربيّة على الانتباه إلى استعمال بعض أصناف سكّان المدن التي أقام بها لألسنتهم غير العربيّة وخاصّة الفارسيّة قصد المقارنة وتتبّع دقائق النطق [الخصائص، ج 1، ص 90].

وفي بغداد التقى ابن جني مرّة أخرى بالمتنبي، وقد يكون رافقه إلى الكوفة ونظر معه هناك في ديوانه؛ واستفسره عن مواقفه من الأشخاص الذين ورد فيه ذكرهم، وعندما دعي أستاذه أبو علي إلى شيراز من قبل عضد الدولة البويهي التحق به ابن جنّي، وأقام معه في هذه المدينة إلى سنة 368هـ/ 978م، فكان معه بمثابة الرفيق أو الصاحب الذي يحاوره ويتناقش معه في ما يعرض من مسائل لغويّة لتقليبها وتمحيصها والتعمّق فيها. ومكّنه أبو علي من الدخول إلى بلاط البويهيّين والمشاركة في المجالس التي تعقد بها؛ وفي شيراز التقى ابن جنّي بالمتنبّي للمرّة الثالثة بعد

أن هجر الشاعر مصر سنة 350هـ/ 961م وانتقل إلى العراق فإلى فارس، ممّا وفّر للنحويّ فرصة أخرى للتمكّن من شعره.
وعندما استولى عضد الدولة على بغداد، بعد انتصاره على ابن عمّه عزّ الدين بختيار بن معزّ الدولة، انتقل أبو علي الفارسي مع تلميذه إلى هذه المدينة سنة 368هـ/ 978م، واستقرّا بها.
وظلّ ابن جنّي ملازما لأستاذه يحاوره ويناقشه ويعرض عليه ما يضعه من الكتب بدون أن يبدو منه ما من شأنه أن يدلّ على اعتداده بنفسه واستغنائه عنه إلى أن توفّي الأستاذ سنة 377هـ/ 987م؛ إذ ذاك فقط انتصب للتدريس خلفا له؛ وتوطّدت العلاقات بينه وبين الأمراء البويهيّين، فخدم، على حدّ تعبير القفطي، أربعة منهم «عضد الدولة، وولده صمصام الدولة، وولده شرف الدولة، وولده بهاء الدولة»، وإليه أهدى أهمّ مصنّفاته كتاب «الخصائص»؛ فقرّبوه وبوّؤوه مكانة مرموقة في مجلسهم ممّا جعله يفتخر بذلك في قصيدة له [معجم الأدباء، ج 12، ص 112 ـ 113]، كما كان يحضر مجالس كبار القوم من كتّاب الدولة البويهيّة مثل أبي إسحاق الصابي (313هـ/ 926م ـ 384هـ/ 994م)، وارتبط بعرى الصداقة ببعض أعيان الشيعة كالشريف الرضيّ، والشريف المرتضى؛ لكن رغم ما لقيه من حظوة لدى البويهيّين وكبار القوم، بل من أجل ذلك تعرّض لحسد البعض من معاصريه كعلي بن عيسى الربعي وقد تتلمذ مثله على أبي علي الفارسي، وهجاه بعضهم في أبيات يتلاعب فيها بكلمات تتضمّن حرفي العين والرّاء قصد نبزه بعوره؛ على أنّ ابن جنّي قد اعترف له عدد من معاصريه بعلمه وتبحّره كالمتنبّي، ونوّهوا بأخلاقه كالشريف الرضي الذي رثاه إثر وفاته سنة 392هـ/ 1001م.
وقد ذهب بعضهم إلى اعتبار ابن جنّي شيعيا [أعيان الشيعة، ج 39، ص 209] ممّا حمل على البحث في حياته ومصنّفاته عمّا يؤيّد ذلك أو ينفيه، فحظوته لدى البويهيّين وصلته بالشريفين الرضيّ والمرتضى واستعماله لبعض صيغ الدعاء عند ذكره لعلي أو ابنيه، كلّ هذا من شأنه أن يبعث على اعتباره شيعيّا؛ لكن من ناحية أخرى استعمل ابن جنّي صيغ دعاء لعليّ وسائر الصحابة ممّا لا يرد عادة على لسان المتشيّعين، كما أنّه لا يبدو لنا أنّ مكانته لدى البويهيّين وغيرهم كافية لاستنتاج تشيّعه.
أمّا ميله إلى المعتزلة أو على الأقلّ تبنّيه أهمّ مبادئهم فلا شكّ فيه، ففي كتاب الخصائص من المعتقدات الصريحة ما يؤيّد ذلك وخاصّة اعتباره أنّ اللّه «لم يكن منه خلق أفعالنا» [الخصائص، ج 2، ص 449].
ولقد تصدّر ابن جنّي للتدريس خلفا لأستاذه من سنة 377هـ إلى وفاته سنة 392هـ، لكنّه لا يبدو أنّه بلغ في ذلك من الشهرة ما بلغه أستاذه. وليس بين من تتلمذوا عليه أعلام مبرّزون، فليس في ما سجّلته كتب التراجم من أخبارهم ما يدلّ على تفوّقهم في اختصاصهم، من هؤلاء علي بن عثمان بن جنّي، وهو أحد أبنائه الثلاثة، أقام بمدينة صور ودرّس النحو بها، وأبو أحمد عبد السلام البصري، عرف بعمله في القراءات وتولّيه الإشراف على دار الكتب ببغداد، وكان ابن جنّي يثق به إذ كلّفه بالتثبّت من معرفة أحد تلاميذه لمصنّفاته قبل أن يجيزه سنة 384هـ؛ ومنهم أيضا عمر بن ثابت أبو القاسم الثمانيني، وقد شرح كتابي ابن جنّي «اللّمع»

و«التصريف الملوكي»؛ وثابت بن محمد الجرجاني، وكان نحويا عالما بالمنطق استقر بالأندلس بعد أن درس ببغداد، والذاكر النحوي المصري الذي استقرّ بمصر...

ويمكن أن نعتبر أنّ ابن جنّي رجل تأليف أبرز منه رجل تدريس، وأنّ شهرته تقوم على مصنّفاته، وقد نوّه به كلّ من ترجم له وأشاد بتبحّره في الصرف خاصّة، وقدرته على التخريج والبحث عن القدر المشترك بين مختلف الظواهر، كما يتجلّى ذلك في معالجته للاشتقاق الأكبر؛ لكنّ هذا لا يكفي لتبرير مكانته في التراث، ولا يكشف عمّا يمكن أن تتّسم به كتاباته أحيانا من طرافة رغم التزامه بمنهج سلفه وتبنّيه آراء سيبويه خاصّة والعمل على الإقناع بوجاهتها في كلّ الحالات.

آثاره

أوّل ما يسترعي الانتباه في آثار ابن جنّي كتابا الخصائص، وسرّ صناعة الإعراب، فكلاهما فريد من نوعه لم يوضع حسب منوال سابق أو سنّة في التصنيف مألوفة عند النحاة.

الأوّل كتاب نظر في اللّغة العربيّة وإعمال للعقل في قواعدها بحثا عن المبادئ العامّة الكفيلة بالتدليل على تناسق نظامها. كما يمكن اعتباره الكتاب الرائد في أصول النحو، تضمّن المكوّنات الأساسيّة لهذا الفنّ فضلا عن مواضيع لم تتناول في كتب النحو مثل قضيّة أصل اللّغات.

أمّا الثاني فهو أساسا كتاب في علم الأصوات، ولم يسبق للسلف أن خصّوا هذا الجانب من اللّغة بتصانيف مستقلّة، وفيه من الملاحظات والتوضيحات حول جهاز التصويت وحدّ الصوت وعمليّة النطق ومرتبة الحركة ما انفرد به ابن جنّي؛ ويمثّل تناوله لمرتبة الحركة، في هذا الكتاب وكذلك في كتاب الخصائص، نموذجا لعمل توضيحيّ يهدف إلى ضبط حقيقة الأمور بإزالة ما يمكن أن يحدثه ظاهر الأشياء أو خطاب النحاة ومصطلحاتهم من التباس؛ من ذلك أيضا تدقيق مفهوم العمل النحويّ باعتباره من صنع المتكلّم. ومنه تدقيق مفهوم الأصول التي يفترضها النحاة لتعليل التغييرات الصرفيّة باعتبارها مجرّد تصوّرات لم توجد في الاستعمال في أيّ وقت من الأوقات؛ ومنها انتباهه لأنّ اللّفظ أي الصيغة الشفويّة للّغة هي الأصل، وأنّ الخطّ مجرد فرع؛ وبصفة أعمّ تبدو أهميّة مساهمة ابن جنّي من هذه الناحية في التراث اللّغوي في إلقائه أسئلة حول ظواهر ومفاهيم ومصطلحات هي مصدر التباس ووهم، فأجاب موضّحا واضعا الأمور في نصابها.

أمّا قضيّة الاشتقاق الأكبر التي ما انفكّ الناس يعتمدونها للتنويه بابن جنّي فإنّها تبقى محدودة المدى ما لم توضع في إطار أعمّ، هو سعي ابن جنّي الحثيث إلى تعليل كلّ مكوّنات اللّغة العربيّة وبلورة منطقها الداخلي وإقصاء الاعتباط عنها؛ ومن ذلك البحث عن دواعي اختيار أصول الكلمات وأبنيتها وإهمال ما أهمل منها، فالاشتقاق الأكبر لا يمثّل إلّا آلية من آليّات التعليل، وهو نفسه يعترف بأنّه لا ينطبق على كلّ الأصول، ولذا يردفه بآليات أخرى للبحث عن العلاقة بين اللفظ ومعناه، ومنها جرس الأصوات مرّة وتعاقبها في النطق مرّة ثانية ووزن الكلمة مرّة ثالثة...

وبصفة موجزة فلئن لم يخرج ابن جنّي عمّا أقرّه السلف وخاصة سيبويه من وصف للعربيّة

وتقعيدها، فإنّه لم يتناول القواعد لاستعراضها وإنّما لتجاوز جزئياتها ومظاهرها المحدودة ليبحث عن المبادئ العامة، ويعقلن كلّ مكوّنات اللّغة وأبنيتها؛ وهذا السعي يتجلّى في كتاب الخصائص أساسا، ولكن يمكن أن نجد صداه في الكثير من مؤلّفاته الأخرى، وإن كانت لا تتميّز في طريقة تناوله لمواضيعها عن مؤلّفات غيره الشبيهة بها.

ألّف ابن جنّي أكثر من خمسين كتابا مختلفة الحجم والمواضيع من أصول وأصوات وقواعد وشروح لكتب السلف أو دواوين الشعر وقراءات وعروض... وقد احتفظت لنا المصادر بإجازة كتبت سنة 384هـ استعرض فيها الكتب التي حذقها التلميذ المعني بها، وتمثّل هذه الإجازة وثيقة هامة لتضمّنها نسبة العناوين الواردة فيها إلى ابن جنّي؛ ولتضمّنها بعض المعلومات حول موضوع الكتب المعنيّة، أو حجم بعضها، ولو أنّها لم تستوعب كلّ مصنّفاته. وهذه قائمة كتبه:

1 ـ الخصائص، تح. محمد علي النجار، القاهرة 1371هـ/ 1952م ـ 1376هـ/ 1956م؛ 2 ـ اللّمع في النحو، تح. الهادي كشريدة، أبسلا 1976؛ 3 ـ التصريف الملوكي، تح. هوبارق G. Hoberg، بون 1885، محمد نعسان الحموي، القاهرة 1913؛ 4 ـ المقتضب في اسم المفعول المعتلّ العين، تح. بروبستار E. Probster، ليبزيق 1904، فارس الكيلاني، القاهرة 1343هـ/ 1924م، مازن المبارك، بيروت 1408هـ/ 1988م؛ 5 ـ المذكر والمؤنّث، تح. رسشار O. Rascher في مجلة Le Monde Oriental المجلّد الثامن؛ 6 ـ الخاطريّات، تح. علي ذو الفقار شاكر، بيروت 1408هـ/ 1988م؛ 7 ـ الألفاظ المهموزة وعقود الهمز، تح. صلاح الدين المنجد، دمشق 1366هـ/ 1947م؛ 8 ـ المنصف في شرح تصريف المازني، تح. إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة 1373هـ/ 1954م ـ 1379هـ/ 1960م؛ 9 ـ علل التثنية، تح. عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسيّة، عدد 2 لسنة 1965؛ 10 ـ سرّ صناعة الإعراب، الجزء الأوّل، تح. مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة 1374هـ/ 1954م، ـ الجزءان، تح. حسن هنداوي، دمشق 1405هـ/ 1985م؛ 11 ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح. علي المجدي وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة 1386-1389هـ/ 1966 ـ 1969م؛ 12 ـ كتاب العروض، تح. حسن شاذلي فرهود، بيروت 1392هـ/ 1972م؛ 13 ـ المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة، دمشق 1348هـ؛ 14 ـ التمام في تفسير أشعار هذيل ممّا أغفله أبو سعيد السكّري، تح. خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، بغداد 1381هـ/ 1962م؛ 15 ـ تفسير أرجوزة أبي نواس، تح. بهجة الأثري، دمشق 1386هـ/ 1966م؛ 16 ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي، تح. عبد الكريم الدجيلي، بغداد 1954، وتح. محمّد آل ياسين، بغداد 1964؛ 17 ـ ديوان المعرجي، بغداد 1375هـ/ 1956م؛ 18 ـ تفسير ديوان المتنبّي الكبير، تح. د. صفاء خلوصي بعنوان الفسر، بغداد 1390هـ/ 1970م؛ 19 ـ الفتح الوهبي على

مشكلات المتنبّي، تح. د. محسن غياض، بغداد 1973؛ 20 ـ تعليقات وحدود وفوائد، مخطوط بمكتبة الأسكوريال؛ 21 ـ شرح الإيضاح، مخطوط شهيد باشا؛ 22 ـ شواذ القرآن، مخطوط ببرلين؛ 23 ـ شرح مستغلق أبيات الحماسة، مخطوط بمكتبة الطاهر ابن عاشور؛ 24 ـ كتاب من نسب إلى أمّه من الشعراء، مخطوطان بدار الكتب بالقاهرة، وآخر بمكتبة حكمت؛ 25 ـ مسألتان من كتاب الإيمان لمحمّد بن الحسن الشيباني، مخطوط بمكتبة الفاتيكان؛ 26 ـ الشعر، مخطوط ببرلين؛

ولابن جنّي كتب أخرى ضاعت، أو لم يعثر عليها إلى حدّ الآن، ومنها ستّة وردت عناوينها في الإجازة المذكورة وهي:

ـ شرح المقصور والممدود، وشرح المذكر والمؤنّث ليعقوب بن إسحاق السكيت، وتأييد تذكرة أبي علي الفارسي، والنوادر الممتعة في العربيّة، والمحاسن في العربيّة، وتعاقب العربيّة، والبشرى والظفر.

وذكر ابن جنّي في كتبه المعروفة عناوين مصنّفات وضعها وهي: المعرب في شرح الأخفش [المنصف، ج 1، ص 224؛ الخصائص، ج 2، ص 261]، والزجر [الخصائص، ج 2، ص 40 وج 3، ص 231]. وأشار إلى أنّه ينوي شرح كتاب القلب والإبدال لابن السكّيت [الخصائص، ج 2، ص 88]، وكتاب في الهجاء [الخصائص، ج 3، ص 230]. كما تنسب إليه المصادر كتبا أخرى، ومنها: النقض على ابن وكيع، وتفسير العلويّات، والأراجيز، وشرح الفصيح، والدمشقيّات، والبشرى، والظفر.

المصادر والمراجع

● ابن النديم، الفهرست، القاهرة 1348؛ ● الزبيدي، طبقات النحويين واللّغويين، القاهرة 1373هـ/ 1954م؛ ● ابن الأنباري، نزهة الألبّاء، ستوكهولم 1963؛ ● ابن خلّكان، وفيّات الأعيان، مطبعة الوحدة، القاهرة؛ ● القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، دار الكتب، القاهرة 1371هـ/ 1952م؛ ● ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة 1351هـ/ 1932م؛ ● أبو بكر بن خير، فهرس ما رواه عن شيوخه، تح. كوديرا، سرقسطة 1893؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، القاهرة 1384هـ/ 1964م؛ ● السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، بيروت 1956؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، إسطنبول 1941؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، ج 2، مصر 1961؛ ● أسعد طلس، ابن جنّي وأثره في اللّغة العربيّة، مجلّة المجمع العربي بدمشق، المجلّدات 24، 30 ـ 32؛ ● دائرة المعارف الإسلاميّة، ط. ج6 المجلّد 3؛ ● عبد اسماعيل شلبي، أبو علي الفارسي، مصر 1377؛ ● فاضل صالح السامرائي، ابن جنّي النحويّ، بغداد 1389هـ/ 1969م؛ ● حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجيّة والصوتيّة عند ابن جنّي، بغداد

1980؛ ● عبد القادر المهيري، أعلام وآثار من التراث اللغوي، دار الجنوب، تونس 1993؛ ● م. ن. ابن جنّي وبلاغة العربيّة، حوليات الجامعة التونسيّة، ج 40، 1996؛ ● نظريات ابن جنّي النحويّة Les théories grammaticales d'Ibn Jenni A. Mhiri، منشورات الجامعة التونسيّة 1973.

عبد القادر المهيري
الجامعة التونسية ـ تونس

الجنيد، أبو القاسم الجنيد بن محمد

(220هـ/834م ـ 298هـ/910م)

هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد الخزاز القواريري [الاصفهاني، حلية الأولياء، ج10، ص 265؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14 ص 388؛ السبكي، طبقات الشافعيّة، ج2، ص 28؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 374؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 170؛ السلمي، طبقات الصوفية، ص 155؛ القشيري، الرسالة، ج1، ص 105؛ الهجويري، كشف المحجوب، ص 341] أحد كبار الصوفية في القرن الثالث للهجرة، ولد ببغداد سنة 220هـ على الأرجح؛ لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده باستثناء ما ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء [ج14 ص 66] من أنّه ولد سنة نيف وعشرين ومائتين. وتعزى نسبته إلى أنّه كان يبيع الخزّ وكان أبوه يبيع الزجاج. أمّا أصله فمن نهاوند من بلاد فارس. وقد توفي والده وهو بعدُ حدث، فكفله خاله سريّ السقطي الصوفي الشهير. وعندما كبر امتهن التجارة وكان له حانوت في السوق يتردّد عليه كلّ يوم [القشيري، الرسالة، ج1، ص 108؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص 416؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص 245]، وقد اقتدى في ذلك بأبيه الذي كان يبيع القوارير وبخاله السريّ الذي كان تاجرا أيضا. وهو ما يدلّ على أنّ الرجل كان ينتمي إلى الطبقة الاجتماعيّة المتوسطة. أمّا عن حياته الشخصية فلم تذكر المصادر سوى بعض الأخبار القليلة التي يفهم منها أنّها كانت حياة عادية، إذ لم يحجم الرجل عن العمل لكسب عيشه، ولا عن الزواج مثلما عرف ذلك عن بعض الصوفية المعاصرين له. فقد ذكر له الاصفهاني زوجة همّت أن تحتجب عندما دخل عليه صديقه الشبلي [الاصفهاني، حلية الأولياء، ج10، ص 367؛ القشيري، الرسالة، ص 215]، كما ذكر ختنا له يكنّى أبا بكر روى له أبياتا شعريّة [الاصفهاني، حلية الأولياء، ج10، ص 268؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،

ج14، ص 388]. وأورد ابن الجوزي وغيره خبرا عن والده الذي صلّى عليه عند وفاته [ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص 424؛ ابن الملقن. . . طبقات الأولياء، ص 134] ومن الأحداث الهامّة الذي ذكرتها المصادر عن حياته العلميّة والصوفيّة جلوسه ببغداد للافتاء وتدريس الفقه وهو في طور الشباب وبعد وفاة أستاذه أبي نور (ت 240هـ) [القشيري، الرسالة، ج1، ص 105؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص 242؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 169] ثم سلوكه للطريق الصوفي وشهرته بين صوفية عصره وتعرّضه مثلهم لمضايقة السلطة بسبب وشاية غلام الخليل بهم إلى الخليفة ونجاته من المحاكمة بفضل اختياره للتقية وتستّره بالغمّة [القشيري، الرسالة، ج2، ص 503؛ السّراج الطوسي، اللمع، ص 497؛ ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص 173] وقد اختار الجنيد بعد هذه الحادثة نهج التستّر والعزلة حتّى أنّه لزم بيته ولم يعد يجالس إلّا الخاصة من رفاقه ومريديه، واكتفى بتعليم التصوف في السراديب، إلى أن توفي سنة 298هـ. ودفن عند قبر خاله السريّ السقطي في مقبرة الشونيزية ببغداد، وصلى عليه جمع غفير [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 374؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، ص 77].

ثقافته وشيوخه:

تذكر المصادر أنّ الجنيد قد عرف بثقافته الدينيّة الواسعة وإحكامه لعلوم الشريعة، إذ سمع الحديث الكثير عن الشيوخ، وأخذ الفقه عن أبي ثور ابراهيم بن خالد الكلبي المتوفى سنة 240هـ، فبرع في الفقه على يديه حتى أضحى يفتي في حلقته بحضرته وعمره عشرون سنة [ابن النديم، الفهرست، ص 265؛ السلمي، طبقات الصوفية، ص 155؛ الاصفهاني، حلية الأولياء، ج10، ص 255؛ القشيري، الرسالة، ج1 ص 105؛ الهجويري، كشف المحجوب، ص 341؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 373؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص 228] كما أخذ مبادئ التصوّف الأولى منذ طفولته عن خاله السريّ السقطي «إمام البغداديين وشيخهم» وعن شيوخ الصوفيّة الذين كانوا يرتادون مجلسه. وقد مثل خاله بالنسبة إليه القدوة الروحيّة والخلقيّة، إذ أخذ عنه سلوك الورع والزهد ومفهوم التوحيد وأسرار المقامات والأحوال والجمع بين علمي الظاهر والباطن [السراج الطوسي، اللمع، ص 240، 331، 504؛ القشيري، الرسالة، ج1، ص 386؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج7، ص 244؛ المناوي، الكواكب الدرية، ج1 ص 283؛ السلمي، طبقات الصوفية، ص 48؛ الشعراني، الطبقات، ج1، ص 63؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 358]. أمّا شيخه الثاني في التصوّف فهو الحارث بن أسد المحاسبي الذي علّمه محاسبة النفس وتصفية الباطن والتمسك بالعبادة والالتزام بحدود الشريعة في التجربة الصوفيّة. كما أخذ الجنيد عن أبي جعفر القصّاب أسرار التصوّف، وعن أبي جعفر بن الكرنبي الصوفي إذلال النفس وقمع شهواتها، وعن أبي جعفر الحدّاد مقام التوكّل، وعن أبي بكر بن مسلم القنطري التكتم على الأسرار الالهيّة، وعن أبي يعقوب

الزيات الاعتصام بالقرآن، وعن أبي علي المسوحي التمسك بعلم الأصول، وعن أبي حفص النيسابوري معاني الفتوة الصوفيّة.

تجربته وآراؤه الصوفيّة:

كان الجنيد دائم التعبّد كثير الصلاة، يصوم على الدوام حتى جعل من الصلاة والصوم أصلين من أصول التصوف، وكان يرى أنّ «العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك» [الاصفهاني، حلية الأولياء، ج10، ص 257؛ المناوي، الكواكب الدريّة، ج1، ص 259]. وكان حريصا على استكناه الأبعاد الروحيّة في عبادته، فالصلاة في نظره لحظة كشف ومعرفة ويقين يتحقق فيها الاتصال بالمعبود [الكلاباذي، التعرّف، ص 160]، والصوم عنده «نصف الطريقة» [الهجويري، كشف المحجوب، ص 564]، والحج «مجاهدة لكشف المشاهدة»، والإحرام «تجرّد من الصفات البشريّة»، والنّحر «تضحية برغبة النفس الآثمة» [المصدر نفسه، ص 574]. كما كان يعتقد أنّ الصوفي ملزم باتباع الشريعة وبالمواظبة على العبادة، وأنّ التصوّف الحق يتمثل في الجمع بين الحقيقة والشريعة. وقد كان الجنيد ـ فضلا عن تعبّده ـ زاهدا في متاع الدنيا ولم يكن الزهد عنده مجرّد تخلّ عن الأملاك، بل تجاوزه إلى معنى أعمق هو تخلّي القلوب عن الطمع [السّراج الطوسي، اللمع، ص 72]، وقد عُرف أيضا بميله إلى العزلة والتأمل معتبرا الأنس بالخلق وحشة عن اللّه والوحشة من الخلق أنسا باللّه [الاصفهاني، حلية الأولياء، ج9، ص 343]. وممّا دفعه إلى هذه العزلة أيضا طلبه للسلامة ممّا تعرّض له الصوفيّة في زمانه من مضايقات المتهمين والمنكرين. وقد تميّز الجنيد بقدرته على الفراسة حتى اعتبرت إحدى كراماته. ولهذه الميزة صلة بالحديث الوحيد الذي رواه «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه تعالى» [الهجويري، كشف المحجوب، ص 631]. وقد روى عن نفسه أنه كان لا يرى في النوم شيئا إلّا رآه في اليقظة [الاصفهاني، حلية الأولياء، ج10، ص 270]. لكنه كان يخشى مع ذلك الوقوع في الادعاء والغرور والفتنة ويعتبر للكرامة منّة وموهبة ربّانية يمتحن اللّه بها عباده الصالحين، فمن لم يكتمها وتظاهر بها كانت حجابا له دون مشاهدة الحق [السراج الطوسي، اللمع، ص 390، 400]. فقيمة التجربة الصوفيّة لا تكمن في نظره في تلك المواهب والقدرات وإنّما في التسامي إلى كلّ خلق شريف والعدول عن كلّ خلق دنيء [السلمي، طبقات الصوفية، ص 436]، فكان من أبرز صفاته الخلقية التواضع والرفق بمريديه والشفقة على الخلق [السّراج الطوسي، اللمع، ص 303]. أمّا الكمال الصوفي فقد كان عنده متمثّلا في الاعتدال والانتظام ومجانبة كل مظاهر التطرّف في السلوك والاعتقاد، فلم يبالغ في قمع الجسد ولا في العزلة عن الناس ولم يلبس «الخرقة» أو «المرقعة» لأنّ العبرة في نظره بالحرقة لا بالخرقة. وقد كان لجمعه بين العلوم الشرعية والتجربة الصوفيّة، وكذلك لحرصه على الاعتدال في الاعتقاد والسلوك، دورٌ في اعتراف معاصريه له بمكانة بارزة بين صوفية عصره حتى استحق بذلك لقب «سيد الطائفة» [السلمي، طبقات الصوفية، ص 117 ـ 118؛ الهجويري، كشف المحجوب، ص 336].

ومن أهمّ آراء الجنيد تقسيمه للمعرفة الصوفيّة إلى مراتب مختلفة باختلاف مراتب العارفين فأدناها معرفة العامة وأقصاها معرفة الخاصّة [الاصفهاني، حلية الأولياء، ج10، ص 257، 259]. ومهما ترقى العارف في درجات هذه المعرفة فإنّها تبقى محدودة، ولذلك عرف الجنيد أعلى مراتب المعرفة بإدراك العجز عن المعرفة [القشيري، الرسالة، ج2، ص 585؛ الكلاباذي، التعرف، ص 151؛ السراج الطوسي، اللمع، ص 172]. أمّا موضوع هذه المعرفة فهو التوحيد، وقد صنّفه إلى أربع مراتب منها توحيد الغافلين، وتوحيد أهل الظاهر من المحققين، وتوحيد المقربين من المكاشفين، وتوحيد المشاهدين من الصدّيقين، وتمثل هذه المرتبة الرابعة نهاية الطريق وهي الفناء في التوحيد [الجنيد، الرسائل، ص 55 ـ 56] وتعتبر في نظره أعلى المراتب لأنّ فيها وفاء بالميثاق الذي أخذه اللّه على ذرّية آدم في الأزل وفق ما نصّ عليه القرآن في الآية 172 من سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ فالتوحيد عنده إذن هو عودة الموجود إلى أصل الوجود وفاء بالميثاق [المصدر نفسه، ص 56 ـ 57؛ القشيري، الرسالة، ص 582؛ الهجويري، كشف المحجوب، ص 519].

لكنّ عقيدة الفناء في التوحيد لم يخرج بها الجنيد عن دائرة الاعتماد السني إذ لم تُفض به إلى اتحاد أو حلول أو وحدة وجود، بل إنّه ما فتئ يردّد أنّ التوحيد هو «إفراد القديم عن المحدث» [السراج الطوسي، اللمع، ص 50؛ القشيري، الرسالة، ص 24؛ الهجويري، كشف المحجوب، ص 521] متمسكا بعقيدة التنزيه الالهي ومفضّلا البقاء على الفناء والصحو على السكر في تجربته الصوفيّة [الجنيد، الرسائل، ص 21، 23] لأنّهما يجسمان مقام المسؤوليّة والالتزام بنهج الشرع في واقع الحياة الإنسانيّة، فوضع بذلك الأسس لتصوّف إيجابي منسجم مع التفكير السنيّ وملتزم بالرسالة الاجتماعية [الاصفهاني، حلية الأولياء، ج10، ص 284].

آثاره

من أهمّ آثار الجنيد «الرسائل» التي حققها ونشرها علي حسن عبد القادر بعنوان «رسائل الجنيد» [سلسلة جب Gibb التذكاريّة ـ لندن 1962م] وقد ضمت ثماني عشرة رسالة من بينها:

1 ـ رسالته إلى يحيى بن معاذ الرازي؛
2 ـ كتابه إلى عمرو بن عثمان المكي؛
3 ـ كتابه إلى أبي يعقوب يوسف بن حسين الرازي؛ 4 ـ كتاب الغناء؛ 5 ـ كتاب الميثاق؛ 6 ـ كلامه في الألوهية؛ 7 ـ كلامه في الفرق بين الإخلاص والصدق؛ 8 ـ ست رسائل في التوحيد؛ 9 ـ أدب المفتقر إلى اللّه؛ 10 ـ أربع رسائل إلى بعض إخوانه.

وقد ترجم بعض هذه الرسائل إلى اللغة الفرنسيّة كلّ من ماسينيون Massignon (L), Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane, Paris 1954 - p 3, 4; Deladrire (Roger), Junayd, enseignement spirituel traits, lettres, oraisons et sentences, Paris 1983, pp ...

ومن آثاره المنشورة أيضا كتاب «دواء الأرواح» نشره المستشرق آربري A. J. ARBERRY, the book of the cure of souls, in J. A. R. S. April, 1937. PP 219, وأردفه بترجمة انكليزيّة، وكتاب «دواء التفريط» وقد ترجمه دلادريار Deladrire (Roger), Junayd, enseignement spirituel traits, lettres oraisons et sentences Ed. sindbad, Paris 1983. pp 89 - 98. إلى اللغة الفرنسيّة ضمن دراسته عن الجنيد. وللجنيد آثار أخرى منها ما هو مخطوط مثل «شرح شطحات أبي يزيد البسطامي» [بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج4، ص 66] ومنها ما هو مفقود مثل كتاب «أمثال القرآن» الذي ذكره ابن النديم في الفهرست [ص 238] وكتاب «المناجاة» الذي ذكره الطوسي في اللمع [ص 329] وكتاب «تصحيح الإرادة» الذي ذكره الهجويري في كشف المحجوب [ص 584] وكتاب «منتخب الأسرار في صفة الصديقين من الأبرار» الذي ذكره ابن عربي في مواقع النجوم [ص 30] كما نسبت آثار خطأ إلى الجنيد مثل «رسالة في السكر» و«رسالة في الافاقة» و«كتاب القصد إلى الله» و«معالي الهمم» و«السرّ في أنفاس الصوفيّة» و«الحكايات» [بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج II، ص 66].

المصادر والمراجع

1 ـ آثار الجنيد المنشورة

2 ـ المصادر الصوفيّة التالية:

● الطوسي، أبو نصر السرّاج، اللمع في التصوف، تحقيق عبد الحليم عمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد 1960؛ ● الكلاباذي، أبو بكر محمد، التعرّف لمذهب أهل التصوف، تحقيق أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت 1993م؛ ● المكّي، أبو طالب، قوت القلوب في معاملة المحبوب. ط1، المطبعة المصريّة؛ ● السلمي، أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة. ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة 1986؛ ● الإصفهاني، الحافظ أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت 1967؛ ● القشيري، عبد الكريم بن هوازن، الرسالة، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، ط1، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1966؛ ● الهجويري، أبو الحسن علي بن عثمان، كشف المحجوب، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت 1980؛ ● ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص، طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1973م؛ ● الشعراني، عبد الوهاب، الطبقات الكبرى المسمّاة بلوامح الأنوار في طبقات الأخيار، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، د.ت؛ ● المناوي، عبد الرؤوف، الكواكب الدرّية في تراجم السادة الصوفية، مخطوط في جزءين بدار الكتب الوطنيّة بتونس، رقم 18368 و18369.

د. توفيق بن عامر
جامعة تونس

الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس

(ت 331هـ/942م)

أبو عبد الله محمد بن عبدوس، أديب أصله من الكوفة، لعب دورا سياسيا في بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بفضل علاقاته بوزراء عصره. خلف أباه في منصب الحاجب للوزير علي بن عيسى، فكان يرأس حرسه الخاص في سنة 306هـ/ 918م. ونجده بعد حين من بين أنصار ابن مقلة الذي أعانه على توليته منصب وزير والذي أخفاه عنده بعد نقمته عليه. سجن عدّة مرّات، وحكم عليه بدفع غرامات، إمّا من قبل الوزراء أو من قبل الأميرين ابن رائق، وابن بجكم، وتوفّي في سنة 331هـ/ 942م.

آثاره

1 - كتاب الوزراء والكتّاب الذي أرّخ فيه لكتاب الدولة ووزرائها إلى سنة 296هـ/ 908م، ولكنّ القسم الأوّل، الذي ينتهي فيه عند بداية عهد المأمون، هو وحده الذي وصلنا كاملا. وهذا التأليف، الذي يشهد في الوقت نفسه بحبّ الاطّلاع الحقيقي لدى المؤرّخ وبذوق أدبي لا شكّ فيه، يبرز الخصال الفكريّة للأشخاص كما يبرز نشاطهم الإداري والسياسي.

2 - وللجهشياري أيضا تاريخ ضخم عن خلافة المقتدر، يعتقد وجود مقتطفات منه.

3 - وله مجموعة من الأسمار يبدو أنها فُقدت رغم زعم من ينسب إلى الجهشياري كتاب «الحكايات العجيبة» المنشور أخيرا عن مخطوط مجهول المؤلّف [Arabica, IV, 1975, 214].

المصادر والمراجع

● ابن خلكان، وفيات الأعيان، ط. القاهرة 1948، ج 6، ص 23؛ ● بروكلمان، الملحق، ج 1، ص 219 - 220؛ ● النشرة المصوّرة من كتاب الوزراء بعناية هـ. فون مزيك H. Von Mzik ليبزيغ 1926، ويضاف إليها طبعة مصطفى السقا وآخرون، التي صدرت في القاهرة في 1357هـ/ 1938م، والصفحات المخصّصة للعهد الأموي وللبدايات ترجمها إلى الألمانية ج. لاتز؛ ● دومينيك سوردال، La valeur littéraire et documentaire du «Livre des Vizirs» d'al-Gahsiyari, Arabica, II, 1955, 193-210. D. Sourdel؛ ● القطع الباقية من القسم الثاني من الكتاب نشرها ميخائيل عواد في مجلّة المجمع العلمي العربي، دمشق 1943م، 13، ص 318 - 332، وأصدرها في كتاب بعنوان «نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب»، بيروت 1964؛ ● دومينيك سوردال Mélange

L. Massignon, III, 271-299, Damas وحول أخبار المقتدر انظر دومينيك سوردال Mèlange L.Massignon, III, 271، التعليق رقم 2؛ ● تاريخ العباسيين لابن وادران، تح، المنجي الكعبي، تونس 1993؛ ● الفهرس، مقال د. سوردال، تحت الاسم، في دائرة المعارف الإسلاميّة، ط. جديدة 2، 339؛ ● حول ترجمته انظر: كانار، أخبار الراضي بالله، الجزائر 1946، ج1، ص 143، هامش رقم3؛

- J. Latz, Das Bush der Wezire Und, 3 Staatssekretäre von Ibn' Abdul al-Gahsiyari, Anfänge Und Umaiyadenzeit, Waldorf-Hessen, 1958, p. 3 - 9.

د. المنجي الكعبي

جامعة تونس

■ الجهني، أبو عبد الله الحسين بن نصر

(466هـ/1073م - 552هـ/1157م) ■ ■ ■

أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس الموصلي، الجهني، الكعبي المحدث والفقيه الشافعي، الملقب بتاج الإسلام مجد الدين، ولد في العشرين من محرم سنة أربعمائة وست وستون للهجرة. [الاسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 488 - 489؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 194].

والجهني، نسبة إلى جهينة قرية قريبة من الموصل، وتجاور حمام العليل التي فيها العين المعروفة بالفتاوة التي ينتفع الاستحمام بمائها من الفالج والرياح الباردة، وهي مشهورة، ويغلب على الموصل الفقه الحنبلي والشافعي [ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 139؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 194؛ ابن الأثير، اللباب، 1/ 317 - 318].

سمع الجهني، الحديث والفقه بالموصل المشهورة بعلمائها وعلومها، في الحديث والفقه في ظل الإمارة الزنكية، وتلقى علومه في صغره بالموصل على يد أبي نصر بن ودعان، العالم والإمام الورع بالحديث (ت 529هـ/ 1134م) [الذهبي، سير أعلام النبلاء، 20/ 291].

قدم الجهني بغداد وهو حدث، فتفقه على يد أبي حامد الغزالي، محمد بن أحمد (ت 505هـ/ 1111م) وسمع من أبي الفوارس طراد الزينبي، أبي القاسم علي بن طراد بن محمد بن علي الهاشمي البغدادي (ت 538هـ/ 1143م) المحدث المشهور الذي تولى نقابة الهاشميين [الذهبي، سير أعلام، 20/ 149 - 151]، وأبي عبد الله النعالي، ابن الحسين بن طلحة الذي انتهى إلى علو

الإسناد في الحديث (ت 493هـ/ 1099م)، والقاضي محمد بن المظفر الشامي [السبكي، طبقات، 7/ 81؛ ابن الجوزي، المنتظم، 9/ 115؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 20/ 291 ـ 292].

ولي الجهني القضاء برحبة مالك بن طوق (الواقعة على شاطئ الفرات بين الرقة وبغداد) [ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 236]، وكان ذلك المنصب قد حصل بفضل أبناء الشهروزي القاسم بن يحيى بن القاسم (ت 599هـ/ 1202م)، ومحمد بن محمد عبد الله (586هـ/ 1190م) وهما أشهر علماء الموصل والذين أوكلت لهم مهمة القضاء، وقد درسا أبناء الشهروزي على يد الجهني في بغداد والموصل وهما من تلامذته [الاسنوي، طبقات، 1/ 488؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 4/ 162؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 236].

قال عنه أبو سعد السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار المحدث المشهور ت 506هـ/ 1112م، ـ قرأ عليه الحديث ـ هو إمام فاضل، بهي المنظر، حسن الأخلاق كثير المحفوظ [السبكي، طبقات، 7/ 18؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء 20/ 291 ـ 292].

عاد الجهني إلى الموصل وسكن المدينة بعد عودته من بغداد، وكان طلابه في الموصل وبغداد، طلاب كثر، اشتهر منهم أبناء منعة الموصلي، الفقهاء المحدثين ومنهم [ابن خلكان، وفيات، 3/ 364]، يونس بن منعة المعروف برضي الدين (ت 576هـ/ 1180م) وسمع على يد أبي البركات الكثير من كتبه ومسموعاته. وأبناء الطوسي في الموصل ومنهم [وفيات الأعيان، 6/ 254؛ الأسنوي، طبقات، 2/ 573]، عبد المحسن بن عبد الله الطوسي (624هـ/ 1226م)، وأبو طاهر أحمد بن أحمد بن عبد الله الطوسي (ت 602هـ/ 1205م) [المنذري، التكملة، 5/ 210 ـ 211].

وأبناء الشهروزي، المشهورون بالفقه والحديث بالموصل، وهم أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهروزي الملقب بكمال الدين (ت 572هـ/ 1176م) وكان سمع الجهني في بغداد [خلكان وفيات، 1/ 207 ـ 308].

وأبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن شعت السمرقندي الحافظ المسند (ت 557هـ/ 1161م) [السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 46]، والحسن بن علي بن القاسم بن عبد الله الشهروزي (ت 557هـ/ 1161م) وعلي بن الحسين بن علي القاسم الشهروزي (ت 601هـ/ 1204م)، وأبو منصور المظفر بن عبد القادر بن الحسن بن علي بن القاسم الشهروزي الملقب بحجة الدين (ت 623هـ/ 1226م) [المنذري، التكملة، 5/ 274؛ السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 311].

وتفقه على يد الجهني العالم المشهور ابن عصرون التميمي (ت 585هـ/ 1189م) [السبكي طبقات، 7/ 132 ـ 138].

توفي يوم خميس في تاسع ربيع الآخرة سنة 552هـ/ 1157م.

آثاره

لقد أشارت المصادر إلى مصنفاته الكثيرة الواسعة ويأتي في مقدمتها:

1 ـ مناقب الأبرار، تتبع فيه مسموعاته، ومما

جمعه العلماء من أخبار الصالحين، كطبقات السلمي والحلبي، وبهجة الأسرار، والرسالة القشيرية، ومجمع الجميع بحذف الأسانيد، وسماعه مناقب الأبرار، ومحاسن الأخيار في تراجم الصوفية. [اليافعي، مرآة، 3/ 302]. وقد عد البعض هذا الكتاب من كتب التاريخ، وأسماه طبقات الأولياء، وقد اختار منه مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (ت 606هـ/ 1209م) كتاباً أسماه «المختار في مناقب الأخيار». [ابن خلكان، وفيات، 2/ 419؛ 420؛ الذهبي، شذرات، 5/ 22 ـ 37]؛ 2 ـ مناسك الحج؛ 3 ـ أخبار المقامات على أسلوب رسالة القشيري، وجمعت أصنافاً من العقائد والآداب، وفي ذكر المنامات والأحوال وأسمائها، واصطلاحات المشايخ الصوفية في ذلك، وذكر اللوامع والطوالع، والبرادة، واللوائح، والمحبة، والشوق من الأنس، والبهيمة، والسكر، والغيب، والفناء والبقاء وغير ذلك مما لم يذكر في مناقب الأبرار، وإنما يناسب الرسالة مقولة ونهجاً [اليافعي، مرآة، 3/ 302 ـ 303]؛ 4 ـ منهج التوحيد؛ 5 ـ تحريم الغيبة؛ 6 ـ منهج المريد؛ 7 ـ فرح الموضع (الموضح في الفرائض على مذهب الشافعي)؛ 8 ـ لؤلؤ المناسك [الأسنوي، طبقات، 1/ 489؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 20/ 291 ـ 292].

المصادر والمراجع

● الأسنوي، طبقات الشافعية، تح. عبد الله الجبوري، بغداد مطبعة الإرشاد، 1970، 1/ 488 ـ 489؛ ● ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر د.ت، 2/ 194، 4/ 236؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1969، 1/ 207، 308، 2/ 14 ـ 139، 6/ 252؛ ● ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، بغداد، مكتبة المثنى. د.ت، 1/ 317 ـ 318؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة 1986، 20/ 149 ـ 151، 291 ـ 292؛ ● السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح. محمد محمود الطناحي وعبد محمد الحلو، منشورات عيسى البابي الحلبي، 1970، 7/ 81، 132، 146 ـ 138، 8/ 311؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية 1952، 4/ 162، 5/ 22، 37؛ ● المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تح. بشار عواد معروف، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، 1971، 5/ 274؛ ● اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت، مؤسسة الأعلى، 1970، 3/ 302 ـ 303؛ ● ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر أباد الدين، دائرة المعارف العثمانية، 1357هـ، 9/ 115.

د. طه خضر عبيد
جامعة الموصل ـ العراق

الجهني، معبد بن خالد بن عبيد الله

(12هـ/633م - 80هـ/699م)

هو معبد بن خالد بن عبد الله الجهني، متكلم ومحدث، اشتهر باسم معبد القدري لرفضه أن يكون القدر مسيّرًا للإنسان في حياته، وعُدَّ أحد نفاة القدر.

نشأ في البصرة التي كانت ملتقى الثقافات الهندية والفارسية، وتصارع العديد من المذاهب والخليط من النحل، إضافة إلى أنها اشتهرت بدراسة النحو والفقه والاتجاهات العلمية والفلسفية. تأثر معبد بثقافة عصره التي غلب عليها الطابع الديني ما بين تفسير للقرآن، واستنباط لأحكامه، ووضع مقاييس الجرح والتعديل لرواة الحديث، فضلاً عن تلقيه العلم شفاهة في أثناء المناقشات التي كانت تدور في مجلس الحسن البصري (ت 110هـ) حيث كان يلقي دروسه وعظاته [المقريزي، الخطط، 4/ 181].

اختير معبد معلما لأولاد عبد الملك بن مروان (ت 86هـ). وهذا الاختيار ينبئ عن مكانته العلمية والثقافة التي ألمَّ بها ومعظمها يتعلق بتفسير القرآن، وحفظ الأحاديث النبوية ومعرفة قواعد الدين، وتاريخ الأدب العربي وشعره الجاهلي والإسلامي. ومن صفات معبد الخلقية والنفسية، الأمانة في الحديث، والصدق في القول، وحب الحق والعدل والجرأة والشجاعة في الملمات، والصبر عند المصيبة.

ويعدُّ معبد من التابعين البارزين الذين تقابلوا مع بعض صحابة رسول الله ﷺ مثل عمرو بن العاص (51هـ)، فاشتهر بأنه من رواة الحديث، وأن روايته صحيحة وموثوق بها، فضلاً عن حفظه له وفهمه. عاش أواخر عصر الراشدين، وأوائل الدولة الأموية وفترة طويلة من حكمها، وجال في العالم الإسلامي ما بين البصرة والكوفة ودمشق وبلاد الحجاز يدعو إلى مذهبه في حرية الإرادة الإنسانية، والثورة على الأوضاع الاجتماعية، ثم اشترك في ثورة ابن الأشعث، وقتل عام 80هـ/ 699م على أرجح الأقوال. ويتفق أغلبية المؤرخين أن قتله يرجع إلى الأسباب الآتية: مهاجمته لسياسة الدولة الأموية - اعتناق مذهب حرية الإرادة وهو مذهب مخالف لمذهب الجبر الذي تبنته الدولة الأموية وعملت على نشره - اشتراكه اشتراكًا فعالاً ومؤثرًا في ثورة عبد الرحمٰن بن الأشعث [ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ 38]، ومن المؤرخين من يرجع القتل إلى الأسباب الدينية.

ولم يشتهر عن معبد الجهني من آراء إلا قوله بحرية الإرادة في مقابل القول بجبرية الإنسان، ويجمع أغلبية المؤرخين على أنه أول من قال بالقدر في الإسلام. أي أن العلم الإلهي السابق ليس بسالب لحرية الإنسان.

والحقيقة أن قضية البحث في حرية الإنسان قضية قديمة لازمت الوجود الإنساني،

وسيطرت على العقل منذ أن وعى وجوده ثم تفلسف، وتناول المشكلة بالدراسة والتحليل. وتمتد القضية بجذورها في الفكر اليوناني والفارسي، ثم تنمو وتتفرع وتسيطر على كل الفلسفات مسيحية وإسلامية.

ولا شك أن إسناد القول بالحرية لمعبد وأنه أول من قال بذلك، لا يتفق مع طبيعة العقل الإنساني المتحير والمتسائل، ولا مع تطور الحضارة الإسلامية والواقع الاجتماعي والتاريخي لدولة الرسول والخلفاء الراشدين. فالمشكلة موجودة في القرآن بآياته االكثيرة، وأحاديث الرسول التي اشتملت على الأقوال التي يفهم منها حرية الإنسان وتؤكد المسؤولية الفردية.

والتحديد التاريخي في مثل هذه القضايا يتعارض مع تطور الأفكار وظهورها، ويتعارض أيضا مع وقائع التاريخ لأن الأفكار التي تشيع وتنتشر من الصعب الوصول إلى مبدئها على وجه اليقين من غير حدس؛ أضف إلى ذلك، فكل من كانت له صلة بتاريخ ملل الأقوام ونحلها، ومسألة ظهور الأفكار وتطورها يعرف أن تغييرات الأفكار والعقائد وتطوراتها إنما يجري دائما بالتدريج، مثل القوانين الطبيعية دورًا بعد دور.

فالفكرة لم تكن بنت الحاضر، وإنما هي وليدة الظرف التاريخي السياسي الذي وجد فيه معبد، ثم تبلورت مع الظروف الاجتماعية والحقائق السياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية فانتقلت كفكرة مسلّم بها في القرآن إلى أرض الواقع بعد التفسير والتأويل. وعندما واتت الفرصة، وأصبح الظرف التاريخي مهيئا عبّر معبد وزملاؤه عن الفكرة بصراحة كاملة، ولغة واضحة، وتزعّم القول بحرية الإنسان وأنه يملك إرادته ومصيره.

ولكن هل تأثر معبد بالمؤثرات الأجنبية ؟

للجواب عن هذا التساؤل انقسم المؤرخون إلى اتجاهين: الأول يؤيد وجود مؤثرات أجنبية ومن هؤلاء الاسفراييني (ت 481هـ)، وابن كثير (ت 774هـ)، وابن نباته (ت 768هـ) وعدد من الباحثين المعاصرين، وكذلك أغلب المستشرقين، إلا قلة انحازت إلى وجود تأثير قوي من اللاهوت المسيحي في فكر معبد إذ كانت البصرة ودمشق مهبط الآراء والنحل ومحط الكنيسة [سرح العيون، ص 290].

والاتجاه الثاني ينكر أشد الانكار وجود هذه المؤثرات المزعومة، ويؤكد أن أقوال معبد ترجع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وأن تقريراتهما يؤخذ منهما إضافة الخير والشر إلى الإنسان نفسه وإلى أفعاله، وليس إلى الله لأن الله لا يفعل الشر. وأن الاستمداد الأصلي لأصحاب المقالات كان من القرآن، فأصحاب الجبر يستندون إليه، وكذلك أنصار الحرية. ويرى بعض الباحثين أن فكرة القدر «صدرت عن المسلمين أنفسهم وأنها فكرة تحدث حول كل دين تقريبًا». وقد شغلت هذه القضية الفلاسفة ورجال الدين جميعًا في العصور المختلفة [ضحى الإسلام، 1/ 344].

والحقيقة أن مشكلة الحرية يرجع ظهورها إلى الواقع الديني والاجتماعي والسياسي الإسلامي الذي عاشته الدولة العربية الإسلامية، هذه الظروف التاريخية التي مر بها المجتمع الإسلامي كانت تتفاعل مع بعضها بعضا لكي تدفع إلى السطح هذه المشكلة، ثم

تأتي باقي العوامل لكي تبلورها وتهذبها وتحدد اتجاهها. لذلك فمعظم الروايات الأجنبية والعربية التي أرجعت ظهور المشكلة على يد معبد الجهني إلى المؤثرات الأجنبية، مسيحية أو فارسية، هي روايات مغالى فيها، إن لم تكن مرفوضة من الأساس، وفيها غمط للعقلية العربية، وربما يأتي التأثير الأجنبي في مرحلة لاحقة بعد نقل الكتب اليونانية، وظهور المعتزلة على الساحة فيما بعد [عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية، ص 25].

وأما الأسباب الحقيقية لقول معبد بالحرية الإنسانية فهي:

- إن اتجاه معبد الجهني إلى تقرير حرية الإنسان، وقدرته على صنع مستقبله وتحرره من قيود الواقع السياسي لم يأت من فراغ، ولكنه كان رد فعل قويا للقول بالجبرية الذي انتشر بين الناس وسيطر على أذهانهم. يقول ابن قتيبة (ت 276هـ): كان معبد الجهني وعطاء بن يسار (ت 103هـ) يأتيان الحسن البصري ويسألانه ويقولان: يا أبا سعيد، إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون الأموال، ويفعلون ويفعلون، ويقولون: إنما تجري أعمالنا على قدر الله. فقال: كذب أعداء الله. [المعارف، ص 441].

ونحن نستطيع أن نبلور آراء المؤرخين القدامى والمحدثين، وكذلك المستشرقين ونلخصها في سببين:

- استيلاء الحكام على السلطة واستبدادهم بالحكم.

- اقتداء الجماهير بملوكهم ومتابعة أمرائهم في استغراقهم في الحياة الدنيا.

والحقيقة أن معبدا محقّ فيما ذهب إليه، واتجاهه كان عن نظر عقلي، وبحث علمي ووجهته مخاصمة الكسل والتواكل.

نستنتج مما سبق أن معبدا الجهني عبر بوعي اجتماعي عن استياء الفئات المضطهدة في المجتمع الإسلامي، وعن الإيديولوجية المناهضة لإيديولوجية السلطة الظالمة، وقد ظهر التعبير عنها بالفعل في حلقة الحسن البصري العلمية الدينية، ثم أصبح معبد الجهني هو اللسان الشجاع الذي التزم القضية من جانبها السياسي والنظري والديني ووقف جهده لنشر الدعوة لها [النزعات المادية، 1/ 593].

آثاره

لم يترك لنا معبد مؤلفات، ومصدر معرفتنا عنه هو ما كتبه مؤرخو الفرق الإسلامية وعلماء الكلام

المصادر والمراجع

● الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح. عبد السلام هارون، لجنة التأليف، القاهرة، 1950؛ ● ابن قتيبة، المعارف، تح. ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، 1969؛ ● البغدادي. الفرق بين الفرق، تح. محيي الدين عبد الحميد، مط. صبيح، القاهرة، د. ت.؛ ● الاسفرائيني. التبصير في الدين، تح. زاهد الكوثري، مط. عزت الحسيني، القاهرة، 1940؛ ● الشهرستاني، الملل والنحل، تح. فتح الله بدران، الأنجلو المصرية، 1956؛ ● ابن عساكر. تبيين كذب المفتري، تح. زاهد الكوثري، مطبعة التوفيق،

دمشق 1347 هـ؛ ● الذهبي، ميزان الاعتدال، ج 1، مطبعة السعادة، االقاهرة، 1325هـ؛ ● ابن نباتة، سرح العيون، تح. أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، 1964؛ ● ابن كثير. البداية والنهاية، ج 9، دار الفكر، القاهرة، 1933؛ ● المقريزي، الخطط، مطبعة النيل، القاهرة، 1362هـ؛ ● أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ج 1، النهضة المصرية، 1964؛ ● النشار، علي، نشأة الفكر الفلسفي، ج 1، دار المعارف بمصر، 1966؛ ● مدكور، إبراهيم، في الفلسفة الإسلامية، ج 1، دار المعارف بمصر، 1976؛ ● مروة، حسين، النزعات المادية ج 9، دار الفكر، القاهرة، 1933؛ ● بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، ج 1، دار العلم للملايين، بيروت 1983؛ ● عمارة، محمد، المعتزلة ومشكلة الحرية، دار الشروق، القاهرة، 1988؛ ● الزيني، محمد، شهداء الفكر في الإسلام، مطبعة الأمل، صنعاء، 2000.

د. محمد عبد الرحيم الزيني
سلطنة عُمان

جواد، كاظم عفوان العارضيّ

(1347هـ/1928م - 1405هـ/1984م)

كاظم جواد عفوان العارضيّ، شاعر وكاتب ومترجم. وُلد في الناصريّة جنوب العراق عام 1928م، وفيها أكمل دراسته الابتدائية والثانوية، تعيّن في نهاية الأربعينات كاتبًا في معهد الفنون الجميلة في بغداد، وواصل خلال ذلك دراسته في كلّيّة الحقوق. وفي بغداد حيث الحركة الثقافية والسياسيّة في أوج حيويّتها، تفتّحت قابليّاته الشعرية والفكرية، ولقيت قصائده ترحيبًا من الوسط الأدبي. انكبّ منذ بداياته على تثقيف نفسه وتعمّق في قراءة الفكر الغربي وبخاصّة الفكر الاشتراكي متأثّرا بمكسيم غوركي، وناظم حكمت، وتورجنيف، ومايكوفسكي، ولوكاش.. الخ، وحين تفجّر الوضع السياسي خلال العدوان الثلاثيّ على مصر 1965م، انخرط مع زملائه في العمل السياسيّ والإعلاميّ المناهض لكلّ أشكال الاستعمار والتسلّط ممّا تسبّب في فصله عن العمل، فاضطرّ إلى مغادرة العراق والسفر إلى سوريا حيث عمل مدرّسًا في حلب.

شارك في التجمّعات التقدّميّة العلميّة في موسكو وأوروبا الشرقية، وأظهر مواقفه المؤمنة بالعروبة والمنفتحة على الأفق الإنسانيّ والسلام العالمي.

عمل منذ عام 1960م في مديريّة التعاون الثقافي والفنّي في وزارة الإعلام العراقية، وقد برز دوره المتميّز في المحافل الدوليّة

بإعداد وإبرام الاتّفاقيات الثقافية بين العراق والدول العربية والأجنبية. ثمّ تعيّن ملحقًا صحفيًا في الهند عام 1971م، ولمدّة عام واحد، عاد بعدها إلى العراق وتولّى مناصب عدّة في وزارة الثقافة والإعلام: في مديريّة الترجمة، ومديريّة التعاون الثقافي والفنّي، ومديريّة الملحقيات الصحفية، بالإضافة إلى الإشراف على مجلّة «بغداد» الصادرة باللغة الإنكليزية. استقرّ منذ عام 1981م في برلين بعد أن طلب إحالته على التقاعد، وبقي فيها حتّى وفاته عام 1984م [كاظم جواد، 13، 47، 182، 195، 196، 215، 217].

في نهاية الأربعينات باشر بنشر قصائده في الصحف العراقية ثمّ العربيّة، واتّسمت بالغنائية العذبة وخطابيّتها وتدفّقها اللغوي وتبنّيها للقضايا الوطنية والقوميّة، لقد وصفت قصائد هذه المرحلة بأنّها «تفيض رقة وعمقًا... وهو الذي تتلمذ على نسيب عريضة، وإيليا أبي ماضي وغيرهما من شعراء المهجر الذين أدركوا أنّ اللغة وسيلة لا غاية، وأنّ الجمال كلّ الجمال، في صدق التعبير عن أعماق التجربة الوجدانية» [كاظم جواد، 35].

تأثر في الخمسينات بموجة الشعر الحرّ وبالسياب خاصة، فكتب عدّة قصائد من النمط الحرّ ومن العمودي أيضًا، وقد تطوّرت خلال ذلك لغته واكتسبت تقنيات أسلوبية جديدة ورموزًا ومضامين أعمق ممّا كانت عليه في بداياته.

ورصد د. محسن أطميش تبكير كاظم جواد في اعتماد الحكاية المكثّفة المكتنزة في دلالاتها السياسيّة في القصيدة، وعدّ قصيدته «مشهد»: «النموذج المتفرّد والمبكر أيضًا الذي يحاول أن يعتمد الحكاية ويعبّر عنها بشكل متماسك متكامل له بداية ونهاية وأبطال ذوو ملامح واضحة وأفعال مرسومة بدقّة... لقد كان... بارعا في تقديم الحدث/ الحكاية مختصرا الكثير من الجزئيات غير الضرورية مكثّفا لغته إلى أبعد الحدود» [دير الملاك، 21 ـ 22].

بينما عزا الناقد، عبد الجبار عباس الملامح المشتركة بين قصيدة كاظم جواد وقصائد الروّاد، ولا سيّما البياتي، إلى خصوصية المرحلة وما ساد فيها من مؤثّرات بين أصواتهم: «كان المثال الغائب المرجوّ عند كاظم جواد هو العمل الفني الذي يغذّيه النسغ الحي الأصيل لسنديانة الفكر المارد، والذي يتكافأ فيه الشعور بحركة الواقع ووهج الفن... وقد بذل قصارى جهده الإبداعي لكتابة القصيدة الجدليّة «لعنة بغداد سنة 1953»، وهي التي تستثمر الطباق البلاغي لتبني صورًا متضادّة متقابلة وفق ديالكتيك الحياة الحيّ، ووجد فيها شيئًا من النموذج المرتجى. ولكنّ جهده في الشطر الآخر منه راح ينسرب في محاكاة المنهج الواقعي الجديد الذي أرساه البياتي في «سوق القرية». وراح كاظم جواد ينقب عن مثالبه، وتفسير هذه الظاهرة بأنّها منهج راح يحفر في أرض جديدة بمعاول المعجبين به، وسرعان ما تحوّل إلى تيّار» [الحبكة المنغّمة، 132].

ومن الدارسين مَن نسبه إلى التيار الاشتراكي في الشعر العربي الحديث متخذًا مَثَلَه «من شعراء اشتراكيين بلغوا شهرة عالميّة مثل فريديريكو غارسيا لوركا، وناظم حكمت،

ومايكوفسكي، وبابلو نيرودا، وآراغون وغيرهم. ويعدّ من بين من طبّقوا «تلك المفاهيم الاشتراكية على شعرهم» [الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، 621].

احتضنت مجلّة «الآداب» اللبنانية منذ سنواتها الأولى قصائد الشاعر ومقالاته ومساجلاته النقدية مع الأدباء والنقاد مثل: نازك الملائكة، وعبد الوهاب البياتي، ومحمود أمين العالم، وصلاح عبد الصبور...الخ، سواء ما كان منها نقده لقصائد الشعراء، أو ردّا على نقودهم لشعره. لقد وضّح في بعضها رأيه في الشعر الحرّ ـ مثلا ـ مشدّدا على أنّ طريقة الشعر الحرّ ليست «مقصودة لذاتها، إنّها وسيلة لإنقاذ الشعر العربي من غنائيّته المتجسّدة في موسيقيّة القافية الرتيبة، تلك الغنائية التي أفقرت الشعر العربي من أيّ أثر للقصّة والملحمة والدراما... لقد وقف أكثر المتتبّعين لهذه الطريقة عند حدود الشكل من حيث مخالفته لمألوف الشعر العربيّ، ولم يحاولوا النفاذ إلى حقيقة تركيبها الفني وعلاقة القصيدة الحديثة بالأقصوصة الحديثة» [كاظم جواد، 93 ـ 94].

وعن رؤيته للالتزام في الشعر حرص على أن يقدّم تصوّرا حذرا ومتوازنا بين مسؤولية الشاعر السياسيّة والاجتماعية إزاء واقعه، وبين متطلّبات الشعر الفنّية من حيث إنّ «الأدب تعبير، والالتزام اتّجاه... أي يجب أن نسمع لكل شاعر ملتزم صوته الداخليّ الخاص، ينبغي للواقع ـ كما يقول غوته ـ أن يقدّم الباعث نقطة الانطلاق، النواة لا أكثر، ولكنّ الشعر هو الذي يجب أن يشكّل منها كلاّ جميلاً حيًّا» [كاظم جواد، 128].

ألقى كاظم جواد في العديد من المدن الأوروبية محاضرات ثقافية وسياسيّة تعكس جانبًا من اهتمامته ومواقفه السياسية، وعنيت بتحليل الواقع الثقافي العربي وصلاته الحضارية والثقافية بأوروبا، وعرضت لمشكلات بعض دول العالم الثالث، وقضيّة الصراع العربيّ الإسرائيلي بوجه خاص.

■ آثاره

1 ـ من أغاني الحريّة، ديوانه الوحيد، دار العلم للملايين، بيروت 1960م؛ 2 ـ لوركا قيثارة غرناطة، ترجمة بالاشتراك مع سلافة حجاوي. يتألّف من مقدّمة مفيدة عن حياة لوركا وتحليل دقيق لأسلوبه، ثم مقال تحليليّ للكاتب «س. م. بورا» وثان للرسام الأسباني كريكوريو، ثم مسرحية للوركا بعنوان «المأساة المضحكة» ومجموعة مختارة من قصائده، منشورات شركة بغداد للطباعة والنشر، بغداد، 1975م.

■ المصادر والمراجع

● خالص عزمي، كاظم جواد، حياته وآثاره، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، ط1، 1989م، وهو المرجع الشامل لسيرته وآثاره، قدّم فيه المؤلّف معلومات دقيقة ووافية عن حياة الشاعر وثقافته وعلاقاته، وتحليلا وعرضا لمقالاته ومحاضراته، ووقف على آثاره المطبوعة والمخطوطة مستفيدًا من صلته الوثيقة بالشاعر ومتابعاته النقدية المبكرة

لنتاجه الثقافي، وذيّل الكتاب بمراجع مهمّة عن حياته وشعره توزّعت على ثلاثة أقسام: كتب ومجلّات وجرائد؛ ● أطميش، د. مُحسن، دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنّية في الشعر العراقي المعاصر، دار الرشيد للنشر، بغداد 1981؛ ● عباس، عبد الجبار، الحبكة المنغّمة، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد 1994؛ ● الجيوسي، سلمى الخضراء، الاتجاهات والحركات في الشعر العربيّ الحديث، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت 2001م؛ ● عباس، إحسان، السيّاب دراسة في حياته وشعره، بيروت 1978م؛ ● مجلّة الآداب اللبنانية، ومنها: أ ـ العدد الرابع. ب ـ العدد السابع. ج ـ العدد التاسع، 1954م. د ـ العدد العاشر، 1954م. هـ ـ العدد الرابع، 1955م. و ـ العدد السادس، 1955؛ ● الملحق الأسبوعي لجريدة الشعب البغدادية، في 22/ 6/ 1957م؛ ● السياسة الكويتية، 1/ 6/ 1978م؛ ● جريدة الجمهورية، بغداد، في 31/ 12/ 1977م، 31/ 1/ 1979م؛ ● جريدة الثورة، بغداد، في 31/ 6/ 1974.

د. نادية غازي العزّاوي
الجامعة المستنصريّة ـ بغداد

جواد، مصطفى إبراهيم

(1322هـ/1904م ـ 1389هـ/1969م)

ولد في محلة عقد القشل، المأمونية، ببغداد، وتاريخ مولده المدوّن في إضبارته الشخصية عام 1904 وقيل غير ذلك. وهو من عائلة تركمانية الأصل وكان جدّه ينظم الشعر باللغة التركية، وكان أبوه خياطا لا يتكلّم بالتركية إلّا نادرا ولا يكلّمونه بها أصلا. وقد أصابه العمى فترك مهنة الخياطة واشترى أملاكا في الخالص (قضاء قريب من بغداد) فانتقل مع أسرته إليه، وهناك أسلم ولده إلى الكتّاب لقراءة القرآن الكريم، ثم نقله إلى المدرسة الابتدائية، وعندما وصل الانكليز المحتلّون إلى الخالص سنة 1917، ترك مصطفى المدرسة وانصرف إلى رعاية البساتين التي خلفها له أبوه ولأخيه الأكبر كاظم. ولم يطب المقام له هناك لأنّ وارده من الزراعة كان قليلا فانتقل إلى بغداد، ودخل المدرسة الجعفرية الأهلية، ثمّ انتقل إلى مدرسة باب الشيخ، ولم ترق له الدراسة فعاد إلى الخالص ليعنى بشؤون البساتين. وهناك ضاق ذرعا بالعمل الشاق الذي ليس له مردود إلا النزر اليسير، وعاود الدراسة. بعد إكماله السنة الخامسة الابتدائية، التحق سنة 1921 بدار المعلّمين الابتدائية بعد أن نجح في الامتحان الذي أجرى له، وفي الدار وجد

جوّا رحيبا وأساتذة لامعين فتعلّق بالدرس، وشغف حبا باللغة العربية التي كان من المبرزين فيها.

تخرّج في دار المعلّمين سنة 1924، وعيّن معلّما في عدّة مدارس ببغداد وخارجها، واختاره أستاذه يوسف عز الدين الناصري للتحرير في وزارة المعارف (التربية). وفي هذه الأثناء اتّصل بالأب أنستاس ماري الكرملي، وأخذ ينشر المباحث والتحقيقات في مجلّته «لغة العرب» ويدرّس في المتوسّطة الشرقية ببغداد.

وفي عام 1934 التحق بالبعثة العلمية، وسافر إلى القاهرة ليكون مستمعا في كلية الآداب، ويتعلّم مبادىء اللغة الفرنسية، وسافر بعدها إلى باريس وقُبل في جامعة السوربون بمساعدة المستشرق لويس ماسينيون بعد أن ترجم بعض كتاباته إلى الفرنسية، لأنّ الجامعة لم تعترف بشهادة دار المعلّمين التي حصل عليها ببغداد.

عاد بعد ثلاث سنوات إلى بغداد لانتهاء مدّة البعثة، ثم عاد بعد ذلك إلى باريس لإكمال رسالة الدكتوراه «سياسة الدولة في عصر الناصر لدين الله» التي لم يناقشها نظرا لإعلان الحرب العالمية الثانية سنة 1939. فعاد إلى العراق يحمل أطروحته غير المجازة، وعيّن مدرّسا في دار المعلّمين العالية (كلية التربية الآن). وفي سنة 1942 دعي لتعليم الملك فيصل الثاني اللغة العربية إلى جانب عمله في الدار التي ظلّ فيها إلى أن أصبح أستاذا. وفي عام 1963 أصبح عميدا لمعهد الدراسات الإسلامية الذي ندب لتأسيسه، ولكنه عاد إلى الكلية بعد ثورة رمضان سنة 1963م. وعكف بعد إحالته على التقاعد على القراءة والبحث وهو يعاني المرض الذي أحاله إلى شبح حتّى توفّاه الله عشية يوم الأربعاء الثامن من شوال سنة 1389هـ/ السابع عشر من كانون الأوّل سنة 1969م، وشيع تشييعا مهيبا إلى مثواه في النجف الأشرف .[انظر ترجمته بقلمه في كتاب شعراء العراق في القرن العشرين، ج1/ 161 ـ 176].

كان الدكتور مصطفى علما من أعلام الفكر العربي في القرن العشرين، وقد عرف بسعة اطلاعه، وتنوّع ثقافته، وغزارة نتاجه تأليفا وتحقيقا. وكان لإقامته في باريس وحضور مجلس الأب أنستاس ماري الكرملي ومتابعة القراءة، أثر في تفتّح آفاقه المعرفية، وجولاته في ميادين البحث والمناظرة والتأليف.

وتجلّت ثقافته الواسعة في اهتمامه باللغة العربية ومشكلاتها، والمصطلحات العلمية، والمعاجم اللغوية، والدراسات الصرفية والنحوية، وخطط بغداد، وتحقيق النصوص، وأهّلته هذه الثقافة والنتاج الغزير ليتبوّأ منزلة رفيعة: عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق، وعضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي سنة 1949م، ونائبا لرئيس المجمع سنة 1953م، وقد ظلّ في هذا المنصب حتّى وفاته سنة 1969م، ورشح ليكون عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ولكن اختير غيره بعد أن حضر سنة 1967 الجلسة التي دعي فيها أعضاء مجمع بغداد لحضور اجتماعات مجمع القاهرة، وهناك أبدى الدكتور مصطفى نشاطا عظيما وناقش وشارك في بعض اللجان.

قامت شهرة جواد مصطفى على عمله الدؤوب والدقيق الذي بدأه قبل سفره إلى باريس ثم واصله بهمّة ونشاط عاليين وسعة معرفة بعد عودته ومعه، كما قيل، خمسة آلاف نسخة من النصوص النادرة التي استنسخها من مخطوطات المكتبة الوطنية وغيرها من المكتبات العامة والخاصة في باريس. وامتدّ نشاطه ليشمل المحاضرات والأحاديث الهامّة في اللغة والتاريخ والندوات الثقافية التي قدّمت من إذاعة وتلفزيون بغداد. وله دأب غريب على العلم وجلد على المراجعة والتدوين لا يعرف الكلل ولا الملل، وقد أسعفته ذاكرته فلم يقرأ بحثا إلّا حفظه وذكر مرجعه مهما طال الزمن. وطار صيته في الأقطار العربية بفضل ما كان ينشره في المجلّات العراقية والعربية كالعرفان اللبنانية، والعالم العربي، والنهضة البغدادية، وسومر، ولغة العرب، والمقتطف، والرسالة، فضلا عن تزويده الصحف اليومية بمقالات قيّمة في مواضيع متنوّعة تدل على سعة ثقافته واهتماماته.

ولم ينفصل الدكتور جواد عن الحياة الاجتماعية ونشاطاتها فقد أسهم في جانب كبير منها، إذ انتخب رئيسا لنادي المعلّمين عام 1941، ورئيسا لجمعية المعلّمين في العراق وعضوا مؤسسا في جمعية التشرّد. كان ذا معشر لطيف، يأنس بمجلسه محبّوه وطلابه، وكان معروفا في الأوساط الشعبية بأحاديثه في الإذاعة المسموعة ولا سيما «قل ولا تقل»، وندواته في الإذاعة المرئية التي أفادت الناس ولا سيما ما يتّصل منها باللغة العربية والتحقيقات التاريخية وخطط بغداد.

لقد كان عالما كبيرا، وتتّضح جهوده اللغوية والتاريخية والعلمية في البحوث والمقالات التي جمعها في جزأين عبد الحميد العلوجي ومحمد جميل شلش وأصدراها سنة 1975 وسنة 1979 باسم «في التراث العربي»، كما تتّضح أيضًا في المجلّد الذي أصدره الدكتور محمد عبد المطّلب البكاء سنة 1998 بعنوان «في التراث اللغوي».

آثاره

أ ـ مؤلفاته المطبوعة التي تفرّد بها:

1 ـ أبو جعفر، النقيب، بغداد، 1950؛ 2 ـ الأمير خلف وأميرة الصين، (ترجمة) بغداد 1975م؛ 3 ـ أمالي مصطفى جواد في تحقيق النصوص، مجلة المورد، المجلد السادس، العدد الأوّل سنة 1977م، وهي التي ألقاها على طلبة الدراسات العليا؛ 4 ـ بغداد في رحلة نيبور، ترجمة، مجلّة سومر، المجلّد 20، الجزءان 1 و2، سنة 1964م؛ 5 ـ تاج العروس في جواهر القاموس، للسيد مرتضى الزبيدي، تح، صدرت منه تسعة كراريس من الجزء الأوّل؛ 6 ـ الصابوني، جمال الدين، تكملة إكمال الكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، تح، بغداد 1957م؛ 7 ـ تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لكمال الدين المعروف بابن الفوطي، أربعة أجزاء، تح، دمشق 1962 ـ 1967م؛ 8 ـ الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لتاج الدين بن الساعي البغدادي، الجزء التاسع، تح، بغداد 1935م؛ 9 ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة لكمال الدين المعروف بابن الفوطي، تح،

بغداد 1351هـ، 10 ـ دار الخلافة العباسية، تعيين مواضعها وأشهر مبانيها؛ 11 ـ دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم ورد على رؤوف جمال الدين، بغداد 1968؛ 12 ـ رباعيات حسين نخعي، ترجمة لاهاي، هولندة، 1956م؛ 13 ـ رحلة أبي طالب خان إلى العراق سنة 1213هـ/ 1799م، ترجمة، بغداد، 1969م؛ 14 ـ سيدات البلاط العباسي، بيروت، 1950م؛ 15 ـ الذهبي، شمس الدين، العبر في خبر من غبر، نقد؛ 16 ـ عصر الإمام الغزالي؛ 17 ـ قل ولا تقل، بغداد، الطبعة الأولى سنة 1969م، والطبعة الثانية سنة 1988م؛ 18 ـ لقاء ابن خلدون لتيمور لنك؛ 19 ـ المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية، القاهرة، الطبعة الأولى 1955م، وبغداد، الطبعة الثانية 1965؛ 20 ـ ابن الدبيثي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد، بغداد، الجزء الأوّل، سنة 1951م، والثاني 1962م؛ 21 ـ الكازروني، ظهير الدين، مختصر التاريخ، تح؛ 22 ـ ملاحظات على مصور الخط العربي؛ 23 ـ البغدادي، ابن الساعي، نساء الخلفاء المسمّى، جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تح، القاهرة، 1960م.

ب ـ المؤلّفات التي شارك فيها:

1 ـ الأسس في تاريخ الأدب العربي، بغداد، كتاب مدرسي؛ 2 ـ بغداد مدينة السلام، تأليف ريجارد كوك، ترجمة فؤاد جميل وتعليق مصطفى جواد، بغداد، الجزء الأوّل سنة 1962، والجزء الثاني سنة 1967م؛ 3 ـ بغداد، عرض تاريخي مصوّر، نشرته نقابة المهندسين العراقيين، بغداد 1968؛ 4 ـ تاريخ العرب، موجز؛ 5 ـ تاريخ العراق، بغداد، 1960م؛ 6 ـ ابن الأثير، ضياء الدين، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح، مع الدكتور جميل سعيد، بغداد 1956م؛ 7 ـ خارطة بغداد قديما وحديثا، بغداد 1951م؛ 8 ـ دليل خارطة بغداد، مع الدكتور أحمد سوسة، بغداد، 1958م؛ 9 ـ رسائل في النحو واللغة، تح، بغداد، 1969؛ 10 ـ البغدادي الحنبلي، ابن المعمار، الفتوة، تح، بغداد 1958م؛ 11 ـ المصطلحات العلمية التي أخرجها المجمع العلمي العراقي، تسعة كراريس؛ 12 ـ موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي.

ج ـ مؤلفاته المخطوطة:

1 ـ الأدب العراقي في العصر المغولي؛ 2 ـ إشعار النفوس بخلل تاج العروس في طبعة الكويت المحروس؛ 3 ـ أصول التاريخ والأدب؛ 4 ـ أعيان العراق والعالم الإسلامي، مجموعة تراجم؛ 5 ـ ترجمة رباعيات الخيام؛ 6 ـ ترجمة لرحلة قام بها رحالة فرنسي في العراق قبيل الحرب العالمية الأولى؛ 7 ـ ربط بغداد القديمة؛ 8 ـ رياض المعارف العربية الإسلامية؛ 9 ـ سياسة الدولة العباسية في آخر عصورها، رسالة لنيل الدكتوراه، قال عنها المؤلّف: «أكملت رسالة الدكتوراه أو أطروحتها ـ كما يقولون ـ وقبلت، وأعلنت الحرب فلم تتهيّأ لي مناقشتها ولا طبعها، ولا تزال مخطوطة غير مطبوعة ولا مترجمة» [ينظر شعراء العراق في القرن العشرين، ج1/ 168]؛ 10 ـ سيدات البلاط الأموي؛ 11 ـ شعراء العراق في القرن

السادس الهجري؛ 12 ـ الصبح النذير للمصباح المنير؛ 13 ـ الضائع من معجم الأدباء، صدر في بغداد سنة 1410هـ/ 1990م؛ 14 ـ فقه اللغة العربية الحديث؛ 15 ـ كتاب القلب والإبدال؛ 16 ـ مدارس بغداد القديمة؛ 17 ـ المعجم المستدرك على معجمات اللغة العربية، (أعتقد أنه ملاحظات على المعاجم)، لم تنسق أو ترتب كما أخبرني الدكتور مصطفى حينما زرته في مستشفى ابن سينا في حزيران 1967، لأجل طبعه (أ. مطلوب) حينما كنت وزيرا للثقافة والإرشاد؛ 18 ـ معجم خطط بغداد التاريخية؛ 19 ـ معجم البلدان العراقية التاريخية؛ 20 ـ معجم الجمل العربية، بالفرنسية؛ 21 ـ مستدرك أعيان الأطباء؛ 22 ـ المستدرك على أعيان الشيعة، 23 ـ الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، تح؛ 24 ـ نهج السداد في كلام النقاد.

المصادر والمراجع

● الألوسي، سالم، ذكرى مصطفى جواد، بغداد مطبعة الحكومة، 1390هـ/ 1970، «تضمّن الكلمات التأبينية التي ألقيت في الذكرى الأربعين لوفاة الدكتور جواد»؛ ● البكاء، محمد عبد المطلب، الدكتور: مصطفى جواد وجهوده اللغوية، ط2، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامّة، 1987؛ ● وحيد الدين، بهاء الدين، مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية، النجف، مطبعة النعمان، 1970؛ ● الجبوري، عبد الله، المجمع العلمي العراقي نشأته، أعضاؤه، أعماله، بغداد، مطبعة العاني، 1385هـ/ 1965م؛ ● عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1969م، ج3/ 403 ـ 306؛ ● مجموعة باحثين، موسوعة أعلام العرب، بغداد، بيت الحكمة، 2000م، 550 ـ 551؛ ● المرزوك، صباح نوري، معجم المؤلّفين والكتاب العراقيين، بغداد، بيت الحكمة، 2002، 7/ 382 ـ 383؛ ● المطبعي، حميد، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامّة، 1995، ج1/ 202؛ ● مير بصري، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث، بغداد، مطبعة الجمهورية، د.ت.

د. أحمد مطلوب
المجمع العلمي العراقي
د. بهجة كامل عبد اللطيف
جامعة بغداد ـ العراق

الجواري، أحمد عبد الستار

(1341هـ/1922م ـ 1408هـ/1988م)

في كرخ بغداد ولد ليلة الجمعة الدكتور أحمد عبد الستار الجواري في الأوّل من شهر محرم الحرام سنة 1341هـ/ الرابع والعشرين من آب، سنة 1922م، من أسرة دينيّة، وحينما بدأ يدرك ما حوله التحق بأحد كتّاب الكرخ قريبا من البيت الذي تقيم فيه أسرته، وأخذ يحفظ القرآن الكريم كما كان يفعل أترابه في ذلك الزمان. وعندما تجاوز سن السادسة التحق بالتعليم الرسمي، وفي سنة 1939م أكمل مرحلة التعليم العام والتحق بدار المعلّمين العالية (كلية التربية اليوم) وتخرّج في قسم اللّغة العربيّة سنة 1943م. وقد امتلأ قلبه بحب لغة القرآن الكريم الذي تفتحت عيناه على آياته البينات، ووعى ترتيلها بصوت عذب رخيم يوم كان ملازما للشيخ قاسم القيسي، والشيخ حمدي الأعظمي، والشيخ توفيق الناصري.

وتاقت نفسه إلى إكمال دراسته فأرسل في بعثة إلى جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) وقضى فيها سنتين لمعادلة شهادته، وفي سنة 1945 التحق بالدراسات العليا وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا مع مرتبة الشرف سنة 1947 برسالته «الحب العذري، نشأته وتطوّره».

عاد إلى بغداد ليدرّس في دار المعلمين العالية التي تخرّج فيها، وليكون إلى جانب أساتذته الذين كان لهم فضل كبير في توجيهه نحو دراسة لغة الضاد. وأخذ يعد رسالة الدكتوراه، وفي سنة 1953 حصل على دكتوراه من جامعة القاهرة بمرتبة الشرف برسالته «الشعر في بغداد». وتابع التدريس في دار المعلمين العالية، وحاضر في كلية الآداب والعلوم، وكان محلّ إعجاب طلابه لما كان يتمتع به من ثقافة واسعة، وإدراك عميق لدقائق اللغة، وذوق رفيع نمّته قراءة القرآن الكريم، وحفظ الشعر الرائع البديع، وتأمل النصوص والنظر فيها وتحليلها، وفهم مقاصد النحاة واللغويين. وقد عرف طلابه ذلك من تدريسه «كتاب الكامل» للمبرد، و«مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»، لابن هشام الانصاري.

وانخرط في العمل الإداري فأصبح سنة 1956 مديرا للتعليم الثانوي في وزارة المعارف (التربية)، ثم مديرا عاما للتعليم عند انبثاق ثورة الرابع عشر من تموز سنة 1958، ولكن انحراف الثورة عن خطها العربي الإسلامي كان سببا في إبعاد المؤمنين بوطنهم وأمتهم عن المناصب الرفيعة، وكان الدكتور الجواري أحد الذين أصابهم شرر الشعوبية فنقل عميدا لكلية الشريعة سنة 1959، ولم يطل مقامه فيها إذ وجد بعض الحاقدين أنّها أكثر مما يستحق فعاد إلى كليته التي تخرج فيها، وأخذ يعمل في الحقل السياسي، وانتخب نقيبا للمعلمين سنة 1962 عندما

فازت الجبهة التعليمية الموحدة التي كان أحد ممثليها وأعضائها البارزين، ثم انتخب نقيبا للمعلمين سنة 1968، ورئيسا لاتحاد المعلمين العرب.

وقامت ثورة رمضان سنة 1963 وتسلم الوطنيون والقوميون مقاليد الحكم فأصبح وزيرا للتربية، كما تولاها بعد ثورة السابع عشر - الثلاثين من تموز سنة 1968، وظل يتسنم المناصب الوزارية وأصبح سنة 1975 يشغل خطة منصب وزير دولة لشؤون رئاسة الجمهوريّة، فوزير دولة، فوزيرا للأوقاف والشؤون الدينيّة سنة 1979. وكانت هذه الوزارة خاتمة عمله الإداري والسياسي، إذ انصرف بعده إلى البحث والتأليف وأصدر عدّة كتب ونشر عدّة بحوث.

وظلّ كذلك حتى ظهيرة يوم الجمعة الثالث من شهر جمادى الآخرة سنة 1408هـ/ الثاني والعشرين من كانون الثاني سنة 1988م، ففي ذلك اليوم انتقل إلى جوار ربّه عند باب داره، وهو يهم بالذهاب إلى الجامع ليؤدي صلاة الجمعة.

كان موته المفاجئ خسارة للعلم، وقد روّع محبوه وطلابه فهرعوا إلى داره وشيعوه إلى مقبرة الشيخ معروف وفي نفوسهم حسرات، وفي قلوبهم أسى عميق. وأقام المجمع العلمي تأبينا له، تحدّث فيه بعض الأعضاء ومنهم اللواء الركن محمود شيت خطاب الذي قال فيه حكمته: «وقصة رحيل الجواري عن الدنيا تستحق التسجيل، فقد غادر داره صباحا كعادته لزيارة أقربائه وجيرانه وأصدقائه، فزار ثلاثة من أصدقائه، وغادر دار الثالث منهم الساعة الثانية عشرة تماما؛ لأنّ موعد صلاة الجمعة قد قرب، فوصل إلى داره قبل الصلاة بدقائق معدودات. وترجل من سيارته مسرعا، وتوجّه من مرآب السيارة في داره إلى داخل الدار ليغيّر ثيابه على عجل، ويجدّد وضوءه، فقد اعتاد أن يرتاد المسجد القريب من داره في ثيابه العربيّة «الجلباب والعباءة والطاقية»، ولم يكد يخطو خطوتين عن سيارته حتّى هوى على الأرض فاقدا الوعي، فسارع أخوه وأولاده بنقله إلى مستشفى الطوارئ المجاور لداره، ولما فحصه الطبيب قال لأهله: البقاء في حياتكم، فقد فارق الحياة قبل دقائق».

وتحدثتُ في جلسة المجمع نفسها عنه، وعن صلتي به منذ أن كنت تلميذا له في كلية الآداب والعلوم، وانتظاري في الجامع له حيث كنت أؤدي صلاة الجمعة معه في الجامع المجاور لداره، والقريب من داري، وما كنت أدري أنّه لن يجيء لأنّه فارق الحياة، والمؤذن يرفع صوته: «اللّه أكبر...».

وتحدّث آخرون، ورثاه بعض محبيه وعارفي فضله وعلمه، ومنهم الدكتور محمد حسين علي الصغير الذي قال في قصيدته العصماء:

لك في الجوانح جذوةٌ وأوار
أرأيتَ كيف تشبّ هذي النارُ

ارأيت كيف الحزن يفرغ غيظه
وتصّعدُ الزفراتُ وهي حرارُ

إلى أن يقول:

يا راحلا في الخالدين وحوله
الجنّاتُ تجري تحتَها الانهارُ

الرفقةُ الأبرار أبلَجَ ركبُهم
أرأيت كيف الرفقةُ الأبرارُ

مـدّت مـن الأخـرى إلـيـك وشـائـجٌ
من سـابـقـيـن إلـى الـكـرامـةِ صـاروا
أعـزز عـلـيّ وقـد مـضـيـتَ فـلا أرى
لـمـعـانَ حـدك أيّـهـا الـبـتّـارُ
خـلـتِ الـمـحـافـلُ مـن خـلاك وأوحـشـت
مـن بـعـد فـقـدك تـلـكـم الأسـمـارُ
وبكى الجنُوبُ بكَ الشمالَ من الأسى
وتـنـادت الـقـصَـبَـاتُ والأمـصـارُ

كان الدكتور الجواري ملتزما بقضايا أمته ووطنه، عربيا مسلما ملتزما بعقيدته وقوميته، وقد انعكس هذا الخلق والإيمان على حياته، فكان جريئا صريحا، مخلصا في عمله، وفيا كريما، شريفا في تعامله، صلبا في موقفه السياسي الذي جرّ عليه المتاعب في بعض سنوات حياته، ولاسيما عند العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م، إذ أبعد عن التدريس في دار المعلمين العالية إلى دار المعلمين الابتدائيّة، لتضامنه مع الأساتذه الذين شجبوا العدوان وقدموا المذكرات إلى الملك فيصل الثاني ورئيس الوزراء.

لقد عرف بهذه المواقف وبعلمه الغزير، فكان موضع احترام وتقدير من لدن الذين يعرفون الرجال، وكرم أعظم تكريم، وأصبح عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي، سنة 1966، وأمينا عاما لمجلس اتحاد مجامع اللغة العربيّة سنة 1971م. وكان عضوا عاملا في مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، ومراسلا في مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ومؤازرا في مجمع اللغة العربيّة الأردني.

هذه أهمّ ملامح حياته، وهو على الرغم من خدمته القضايا الوطنيّة والقوميّة كان عالمًا جليلا تخرج على يديه آلاف الطلبة من العراق والأقطار العربيّة ولاسيما تونس والجزائر. وقد انصرف في أواخر سنواته إلى الدراسات اللغويّة، إذ شغلته مسألة تيسير النحو الذي نادى به ابن مضاء القرطبي في كتابه «الرد على النحاة» والاستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو». وكانت دراساته النحويّة تتميّز بالإدراك العميق للأساليب العربيّة وما تؤديه التراكيب اللغويّة، وكان لملازمته القرآن الكريم وقراءاته المتنوّعة، وتخصّصه في الأدب العربي أثر في تذوق النصوص وفتح مضايقها وإدراك معانيها وفهم مراميها، فضلا عن أنّه درس اللغة العربيّة وآدابها في العراق ومصر على يد أساتذة كبار مثل: طه الراوي، والدكتور محمد مهدي البصير، والدكتور مصطفى جواد، والدكتور زكي مبارك، والدكتور طه حسين، والدكتور عبد الوهاب عزام، وأمين الخولي، وأحمد الشايب، وأحمد أمين، ومصطفى السقا، وغيرهم من الأساتذة البارزين.

هذا فضلا عن كونه عضوا في اللجنة التي وضعت «المعجم الطبي الموحد» ومحقّقا لكتاب «المقرب» لابن عصفور بالاشترك مع الدكتور عبد الله الجبوري.

وللدكتور الجواري شعر قليل، ومن ذلك قصيدته التي عارض بها قصيدة أبي الحسن الحصري القيرواني، «يا ليل الصب»، ومنها:

الـلـيـل تـطـاول أسـوده
ونـأى عـن ذي كَـلـف غَـدُهُ

مـا قـلـت تـصـرّم أولـه
إلّا وتـلألأ فـرقـدُهُ
مَنْ لـلـمـشـتـاق يـعـلـلـه
مـن لـلـولـهـان يـهـدهِـدُهُ
يـا لـيـل وفـيـكَ شـجًـا سـقـمـي
مـا زال صـداك يـردّدُهُ
فـي فـيـك حـبـيـبٌ مـا فـتـئـت
روحـي الـحـيـرانـةُ تـنـشـدُهُ
أقـسـمـتُ بـطـرفـك أرقـبـه
أنّـى وجـهـت وأرصـدُهُ
وبـثـغـرك تـعـبـثُ بـسـمـتـه
ويـحـاكـي الـدر مـنـضـدُهُ
ويـرف سـنـاه فـيـنـعـشـنـي
ويـلـذ لـقـلـبـي مـوردُهُ

ذكر القصيدة خليل إبراهيم عبد اللطيف في كتابه [أدباء العراق المعاصرين، ج 1، ص 34، نقلًا عن كتاب «ديوان ليل الصب» لمحمد علي حسن].

آثاره

كان الدكتور الجواري باحثا بارعا، وتدل آثاره الأدبيّة واللغويّة على ما كان يتمتع به من ثقافة واسعة، وذوق رفيع، ورأي أصيل. وقد ترك بحوثا وكتبا كثيرة هي:

1 ـ الحب العذري، نشأته وتطوّره، القاهرة، 1948م؛ 2 ـ الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دراسة في الحياة الأدبيّة في العصر العباسي، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1956، وبغداد الطبعة الثانية سنة 1412هـ/ 1991م؛ 3 ـ نحو التيسير، بغداد الطبعة الأولى سنة 1382هـ/ 1962م، وبغداد الطبعة الثانية سنة 1404هـ/ 1984م؛ 4 ـ مصطلحات مقاومة المواد الهندسيّة وهندسة إسالة الماء وأعمال الغزل والنسيج، بغداد، 1967 م؛ 5 ـ رأي في مصادر الأفعال الثلاثيّة، بغداد، 1968م؛ 6 ـ مصطلحات علم الجراحة والتشريح، بغداد، 1968م؛ 7 ـ من دلائل القدم في اللغة العربيّة، بغداد 1968م؛ 8 ـ نحو الفعل، بغداد، 1973م؛ 9 ـ نحو القرآن، بغداد، 1973م؛ 10 ـ نحو المعاني، بغداد، 1987م؛ 11 ـ أسلوب التفضيل في القرآن الكريم، بغداد، 1987م.

المصادر والمراجع

ـ كتبه:

● الورد، باقر أمين، أعلام العراق الحديث، بغداد، 1978 م، ج 1، ص 89؛ ● المطبعي، حميد، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، بغداد، 1995م، ج 1، ص 13؛ ● عبد اللطيف، خليل إبراهيم، أدباء العراق المعاصرون، بغداد، 1976م، ج 1، ص 31؛ ● الأعظمي، صباح ياسين، المجمعيون في العراق، بغداد، 1997م، ص 78؛ ● عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين، بغداد، 1969م، ج 1، ص 89؛ ● علي الصغير، محمد حسين، نحو التجديد في دراسات الدكتور الجواري، بغداد، 1990م.

د. أحمد مطلوب
المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ـ العراق

■ الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد

(465هـ/1073م - 540هـ/1145م) ■ ■ ■

هو أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي نسبة إلى «الجواليق» (وهي كلمة فارسية معناها العدل). لغويّ وأديب بغدادي، ولد ببغداد، وبها نشأ، وتلقّى العلوم صغيرا على مشهوري شيوخها وكبار علمائها، فقد أخذ الحديث على علي بن أحمد البندار، والأدب على العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا صاحب ديوان الإنشاء، وجعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج صاحب كتاب «مصارع العشّاق»، ويعتبر أبو زكريا يحيى بن الخطيب التبريزي، أستاذ الأدب في المدرسة النظامية، أهمّ أساتذته؛ وقد خلفه فباشر مشيخة اللّغة بعده، وقرأ عليه عدد من الأعلام وخاصة أبا البركات الأنباري، وابن الجوزي، وابن الخشاب، والكندي النحوي اللّغوي، وكذلك ابناه اسماعيل بن موهوب واسحاق بن موهوب، كما قرأ عليه المقتفي العباسي، فلمّا ولي الخلافة جعله إمامه يصلّي به الصلوات الخمس.

ومن الكتب التي قرئت عليه غريب الحديث لأبي عبيد، وجمهرة اللّغة لابن دريد، وأمالي الصولي. وكان من أهل السنّة المحامين عنها، ويقال عنه إنّه كان مليح الخطّ.

وقد اقتفى الجواليقي أثر أستاذه التبريزي في محاولة التّصدّي لتدنّي الثقافة العربية في العصر السلجوقي، وتدلّ مؤلّفاته على ذلك، إذ هي تدور حول إحصاء ما دخل العربية من الألفاظ الأعجميّة، ولحن العامة، وأخطاء الخاصة.

ويعدّ الجواليقي من رواد البحث في ما دخل العربية من الألفاظ الأعجمية، وقد اشتهر خاصّة بكتابه «المعرّب من الكلام الأعجمي» على حروف المُعجم، وقد جمع فيه الكلمات التّي دخلت العربية من اللّغات الأخرى، ورتّبها حسب أوائلها وشرحها وبيّن أصلها ويعتبر هذا الكتاب من قبيل المعاجم، وتتجلّى أهمّيته من ناحية أخرى في ما حاول الجواليقي ضبطه من المقاييس التي تمكّن من معرفة الألفاظ الدخيلة، والتّمييز بينها وبين الألفاظ المعتبرة من أصل عربي، كما تضمّن الكتاب الأحكام والاجراءات التّي صاغها اللّغويون قصد التوفيق بين الكلمات الدخيلة وما تقتضيه القواعد والأوزان العربية من تغييرات صوتية مختلفة كالإبدال والإدغام والحذف... وإذا كانت الغاية من هذا التصنيف الذود عن فصاحة العربية وعزل الألفاظ الدخيلة، فإنّه وثيقة هامة تشهد على الوضع اللّغوي في عصره، وتحتفظ بالكلمات التي لم تأخذها المعاجم بعين الاعتبار لأنّها دخيلة، ومن ثمّ غير فصيحة. على أنّ الجواليقي قد استفاد كثيرا من أعمال سلفه ممّن اهتموا بموضوع الدّخيل، وما أثاره من

جدل فيما يتعلّق بوجوده في القرآن، وكذلك ممّا جاء في أمّهات كتب النحو ابتداء من كتاب سيبويه حيث خصّص حديثنا عمّا ألحق من الكلمات الأعجمية بأوزان العرب، وعن الإبدال في التعريب، وعمّا غيّرت حروفه، وما غيّرت حركته، وما ترك على حاله.

آثاره

1 ـ المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح. أحمد محمد شاكر، القاهرة 1361هـ/ 1942م، ط2؛ وتح. د. ف. عبد الرحيم، دمشق، 1990، ط1؛ 2 ـ تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامّة، تح. عزالدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق 1936، وكان قد نشر درنبورغ هذا الكتاب بلبزيغ سنة 1875 تحت عنوان: تكملة في ما يلحن فيه العامّة؛ 3 ـ شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، مكتبة القدسي، القاهرة، 1350هـ؛ 4 ـ المختصر في النحو؛ 5 ـ كتاب العروض؛ 6 ـ شرح مقصورة ابن دريد؛ 7 ـ غلط الضّعفاء من الفقهاء.

المصادر والمراجع

● ابن الأنباري، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تح. عطية عامر، باريس 1957؛ ● ابن خلّكان، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، 1977؛ ● ياقوت، معجم الأدباء، نشر الرفاعي؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، القاهرة، 1965؛ ● القفطي، إنباه الرواة، القاهرة 1374هـ/ 1955م؛ ● السمعاني، الأنساب، لبنان، 1980، ط 2؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، ط. ج. مج. 2.

د. مسعود بوبو
الموسوعة العربية
دمشق ـ سوريا

الجواهري، محمد مهدي عبد الحسين

(1317هـ/1899م ـ 1418هـ/1997م)

ولد الشاعر محمد مهدي عبد الحسين الجواهري في النجف عام 1899 (وترد تواريخ أخرى مقاربة). من أسرة علم وأدب، ولقب بالجواهري نسبة إلى كتاب «جواهر الكلام» الذي ألفه جد أبيه. ساعده ذلك في نشأته الأدبية المبكرة، فضلا عن بيئة النجف العلمية التي عرفت بمكتباتها العريقة، وبيوتها العلمية، ومطابعها، ومدارسها. حفظ الشعر بتوجيه من أبيه، ونظمه في سن مبكرة. قطع دارسته الأولية بسبب الحرب العالمية الأولى، وانصرف للتعلم الذاتي يقرأ التراث الشعري ويحفظه، ويدرس كتب النحو، والصرف، واللغة، والبلاغة، لكنه لم ينشر شعره إلّا عام 1921، ثم جمع قصائده في

ديوان أسماه «حلبة الأدب» صدر عام 1924، وضمّ محاولاته الأولى. انتقل عام 1927، من النجف إلى بغداد، ليبدأ حياة مليئة بالأحداث والتحولات، فعمل في التعليم، وبسبب خلافه مع ساطع الحصري المشرف على التعليم والمعارف آنذاك، استقال في العام نفسه، ثم قابل فيصل الأوّل الذي أمر بتعيينه مسؤولا عن شؤون الصحافة في الديوان الملكي.

عمل الجواهري ثلاثة أعوام في البلاط الهاشمي، أصدر خلالها ديوانه «بين الشعور والعاطفة»، وبرز اسمه في الصحافة والأوساط الأدبية، فجهد أن يرضي الجمهور، ولا يغضب البلاط، لكنه لم يفلح، فاستقال متفرّغا للصحافة، فأصدر عددا من الصحف، كانت غالبًا ما تغلق بعد بضعة أعداد، ومنها «الفرات»، و«الانقلاب»، و«الدستور»، و«الرأي العام» التي استمرّت في الصدور المتقطّع، بسبب مواقفه من الانتداب البريطاني على العراق، وآرائه في الوزارات المتعاقبة، رغم صلاته بالأسرة الهاشمية، ومدحه فيصل الأول والأمير عبد الإله. فاز عام 1947 بعضوية المجلس النيابي، واستقال مع النواب المعارضين، احتجاجا على قمع السلطات لما عرف في العراق بـ «وثبة كانون» ضد معاهدة بورتسموت بين العراق وبريطانيا، وقد استشهد في تظاهرات الوثبة الشقيق الأصغر للجواهري جعفر الذي رثاه بقصيدة ذات شهرة كبيرة، ومطلعها:

أتــعــلــمُ أم أنــتَ لا تــعــلــم
بــأنّ جــراح الــضــحــايــا دمُ

لكنه لم يقطع صلاته بالأسرة الهاشمية المالكة، كما ظلّ في صف المعارضة المطالبة بالتغيير، مما تسبّب مرات في سجنه، وإبعاده خارج بغداد، واضطراره للعمل في التعليم من حين لآخر، في البصرة، والحلة، والعمارة.

توثّقت صلات الجواهري بالأدباء والشعراء العرب، وذاعت شهرته في الأقطار العربية، شاعرا عموديًا مجددا، يعيد بهاء الديباجة الشعرية العباسية، ويعكس آثار النهضة الأدبية الحديثة التي بدأها أحمد شوقي، وقد مثل العراق عام 1944 في مهرجان أبي العلاء المعرّي بدمشق، وألقى قصيدته البائية الشهيرة، ومطلعها:

قف بالمعرّة وامسَح خدّها التّربا
واستوح مَن طوّق الدنيا بما وهبا

وقد حظي بعد إلقائها بلقب «شاعر العرب». وزار فرنسا عام 1948، مسافرا منها لبولندا لحضور مؤتمر المثقّفين العالميين الذي انبثقت عنه حركة السلام العالمي. وحضر عام 1951 مهرجان تأبين عبد الحميد كرامي ببيروت ورثاه بقصيدة تركت آثارًا سياسية وتداعيات كبيرة في الأوساط الثقافية، ومطلعها:

بــاقٍ وأعــمــار الــطــغــاة قــصــارُ
مــن سِــفــر مــجــدك عــاطــرٌ مــغــوارُ

وفي تأبين عدنان المالكي بدمشق عام 1956 ألقى قصيدة، هاجم فيها الحكم الملكي بالعراق، واضطرّ للإقامة عامين في دمشق لاجئا سياسيا، عاد بعدها إلى العراق، منزويًا في مزرعة له في ريف مدينة العمارة جنوبي العراق، وهناك بلغه نبأ ثورة تموز 1958، وقيام الجمهورية في العراق، فعاد إلى بغداد،

وترأس اتّحاد الأدباء العراقيين، وأصبح نقيبًا للصحفيين، بعد أن أعاد إصدار صحيفته «الرأي العام». لكنه غادر العراق عام 1961 بدعوة من اتّحاد الكتاب فيها، وأقام في براغ سبع سنوات، كتب خلالها كثيرًا من شعره في الغربة، وفي الغزل، والسياسة، كما وثقتها قصائد ديوانه «بريد الغربة» الذي صدر في براغ عام 1965م.

عاد الجواهري إلى العراق عقب ثورة 1968، وتميّزت صلاته بقاداتها بالتوتر والتقلب، كتب خلالها دواوينه «بريد العودة»، «أيها الأرق»، «خلجات».

ويسيطر على شعر هذه المرحلة حضور الوجدان وذات الشاعر إزاء الأحداث التي شهدها. هاجر نهائيا العراق عام 1979، واستقرّ في سورية منذ عام 1983 حتّى وفاته يوم 27/ 7/ 1997 حيث دفن في مقبرة السيدة زينب بدمشق، وكتب ذكرياته هناك.

حصل الجواهري عام 1975 على جائزة اللوتس التي يمنحها اتّحاد الكتّاب والأدباء الآسيويين الإفريقيين، وعلى جائزة سلطان العويس للإنجاز العلمي والثقافي عام 1991م.

يأخذ شعر الجواهري أهمّيته من كونه وريث التقاليد الشعرية العربية، ويتمثّل أبرز مزاياها الفنية، وذلك واضح في دواوينه الأولى، حيث تتردد أصداء الشعراء الكبار: البحتري، وأبي تمام، والمتنبي، والشريف الرضي، والمعري، وتتركّز تلك الأصداء في لغة القصائد وصورها وبلاغتها مع لمسة خاصة يضيفها إليها الشاعر تتلخّص في معالجة موضوعات الحياة السياسية والوطنية، فيرى فيها الجمهور قضاياه وهمومه وأحلامه، معبّرا عنها بصياغات جميلة وتراكيب متينة، تجمع الأصالة والمعاصرة.

وإذ يتقدّم العمر بالشاعر، يضفي على شعره سمة المعاصرة من الجوانب الموضوعية والفنية في الأغراض التي طرقها مدحًا وغزلاً ووصفًا، وفي عرض أفكاره السياسية والاجتماعية المتسمة بالانحياز إلى الحرية والاستقلال وكرامة البشر، موسعا إطار التجربة الوجدانية الخاصة، لتلامس الهم العام.

ويمكن القول إن المكانة التي احتلّها شعر الجواهري رغم محافظته على التقاليد الشعرية الموروثة، آتية من أسلوبه الشعري الذي يوازن بين أصالة اللغة ووسائل البلاغة المعروفة، ومعايشته لعصره وتحوّلاته التي شهدها الشاعر خلال عمره الطويل، ويمكن القول إنّ شعر الجواهري يؤلّف في السنوات الأخيرة مدرسة خاصة، فرضت تقاليدها وسط تطوّر الشعر العربي، واتجاهات الحداثة التي سيطرت عليه.

ومنذ منتصف الستينات يمثّل صدور «بريد الغربة»، و«بريد العودة»، و«خلجات» وديوانه بطبعته الجديدة «سبعة مجلّدات» تمثيلاً حقيقيا لغربة الشاعر، وحنينه إلى وطنه، وتأكيدا لنزعته الفنية التي تذكر القارئ بعافية الشعر العربي التقليدي، ومتانته وأصالته التي لقيت هوى في نفوس قرائه ونقاده على السواء.

آثاره

1 ـ حلبة الأدب، النجف، 1924؛ 2 ـ بين الشعور والعاطفة، بغداد، 1928؛ 3 ـ ديوان

الجواهري، بغداد، 1935؛ 4 ـ ديوان الجواهري الجديد، بغداد، 1949؛ 5 ـ بريد الغربة، براغ، 1965؛ 6 ـ بريد العودة، 1969؛ 7 ـ خلجات، بغداد، 1971؛ 8 ـ ديوان الجواهري، بإشراف علي جواد الطاهر وآخرين، 1972 ـ 1980، سبعة مجلّدات؛ 9 ـ ذكريات أيامي، إعداد فاروق البقيلي، بيروت، 1972؛ 10 ـ ذكرياتي، دمشق، 1988 ـ 1991، جزءان.

المصادر والمراجع

● الدبيلي، عبد الكريم، الجواهري، شاعر العربية، النجف، 1972؛ ● التكريتي، سليم طه، محمد مهدي الجواهري، لندن، 1989؛ ● شعبان، عبد الحسين، الجواهري جدل الشعر والحياة، بيروت، 1997؛ ● جبران، سليمان، صِلُّ الفلا، دراسة في سيرة الجواهري وشعره، حيفا، 1997؛ ● العطية، جليل، الجواهري شاعر من القرن العشرين، كولونيا، 1998؛ ● الموسوي، عبد الصاحب، حركة الشعر في النجف وأطواره، بيروت، 1998؛ ● علوان، علي عباس، تطوّر الشعر العربي الحديث في العراق، بغداد، 1975م.

د. حاتم الصكر
جامعة صنعاء ـ اليمن

أبو الجود، محمد بن اللّيث

(ق 4هـ/10م)

هو محمد بن الليث، أبو الجود، أحد كبار الرياضيين الذين عرفهم القرن الرابع هـ/ 10م، ويعتقد أنّه من بلاد فارس، لكنّ حياته ظلّت مجهولة لدى المؤرّخين إذ لا يعرفون عنها سوى أنّ صاحبنا قد عاش في عصر العالم أبي الريحان البيروني (362هـ/ 973م ـ حوالي 440هـ/ 1048م) مستنتجين ذلك من المراسلات التي اكتشفوها بين الرجلين. والمؤرّخون واثقون أيضا بأنّ أبا الجود سبق عمر الخيام (ت 515هـ/ 1121م) في التأليف لأنّ هذا الأخير تناول بعض كتاباته ووصف صاحبها بـ«المهندس الفاضل». وأشار عمر الخيام إلى أنّ أبا الجود حل مسألة جبريّة تؤدي إلى معادلة تكعيبية لم يتمكن من حلها معاصروه.

كان عمر الخيام شاعرا وفلكيا ورياضيا بارزا. ومن بين اكتشافاته في الرياضيات طريقة هندسية لحل معادلات تكعيبية يستخدم فيها تقاطع الدوائر مع ما يعرف في الهندسة بالقطوع المكافئة. وكان جانب من هذه الطريقة قد تمّ وصفه من قبل رياضيين سابقين، نجد من بينهم، بوجه خاص، أبا الجود.

وقد تكرّر ذكر أعمال أبي الجود على لسان عمر الخيام، سيما رسالته في تعداد أصناف المعادلات. ومن المعلوم أنّ عمر الخيام اطلع عليها بطريقة غير مباشرة حيث يقول: «وقد حُكي لي... أنّ لأبي الجود... كلاما...». ويقول عمر الخيام في معرض حديثه عن إحدى المسائل الرياضيّة: «... والمسألة التي أعجزت أبا سهل الكوهي، وأبا الوفاء البوزجاني، وأبا حامد الصاغاني وجماعة من أصحابهم الذين كانوا منقطعين إلى جانب الدولة بمدينة السلام هي... وهؤلاء الأفاضل كانوا متحيرين في هذه المسألة مدّة مديدة استخرجها أبو الجود، وخزنوها في دار كتب الملوك السامانية...» [رشدي راشد، جبّار أحمد، رسائل الخيام الجبريّة، ص 91].

وكشف عمر الخيام عن بعض أخطاء أبي الجود إذ يقول: «... فقد ظهر خطأ أبي الجود في قوله إنّ القطعين لا يتلاقيان وذلك المراد». وفي مكان آخر يلاحظ الخيام: «... وبعد فإن واحدا من أصحابنا اقترح علينا أن نبيّن خطأ أبي الجود محمد بن الليث في الصنف الخامس من الأصناف الستة الثلاثية التي تنحل بالقطوع... قال أبو الجود... ثم زعم أن القطعين يتماسان في نقطة... وأخطأ لأنه يجب أن يكونا متقاطعين» [المرجع السابق، ص 73، 76].

ونجد عمر الخيام يتحدّث عن مسألة تسمى «مسألة أبي الجود بن الليث» فاستهل بالقول: «هذا وقد حكى لي بعض من شدا شيئا نزرا من الهندسة بعد تأليفي هذه الرسالة بخمس سنين أنّ لأبي الجود محمد بن الليث المهندس كلاما في تعديد هذه الأصناف وتحليل أكثرها إلى القطوع المخروطيّة من غير استيفاء جميع أنواعها وتمييز الممكن من المستحيل، بل بحسب ما تؤدّي به النظر في المسائل الجزئيّة إليها فلم أستبعد ذلك لأنّ هذين الصنفين اللذين نسبتهما إلى واحد ممّن تقدّمنا منسوبان إليه وقد شاهدتهما وتصفحتهما في جملة تصنيفات أبي الجود بخط الحازمي الخوارزمي...» [المرجع السابق، ص 72].

ويعترف عمر الخيام ـ بخصوص هذه المسألة ـ بفضل أبي الجود حيث ينوه به قائلا: «... فلعمري إنّه قد أحسن في الوقوف على هذه المسألة بعد ما أعيت جماعة من المهندسين لكن مسألته جزئيّة».

وقد أسهم أبو الجود في مجال الحساب في البحث عن حل للمسألة التي عرفت فيما بعد بمخمنة فيرما Fermat (1601 ـ 1665) (رياضي فرنسي من القرن السابع عشر)، والتي لم تعرف حلّها النهائي إلّا في أواخر القرن العشرين على يد الرياضي الانجليزي اندريو وايلز Wiles عام 1994. ويذكر المؤرّخ الغربي المعاصر لين برغرين Berggren الذي درس بعض أعمال أبي الجود أنّ معظم مؤلفات هذا الرياضي لم تكتشف بعد، معتمدا في الحكم على الإحالات إلى أعماله التي نجدها في الكتابات الأخرى.

ومن جهة أخرى يلاحظ مؤرّخ الرياضيات العربيّة رشدي راشد أنّ اللجوء إلى هندسة القطوع المخروطيّة بهدف دراسة المعادلات التكعيبيّة وتعيين جذورها سرعان ما اتبعه

العلماء العرب والمسلمون، ومن بينهم أبو الجود. وكان هذا الإسهام قد توّج بإسهام عمر الخيام. كما أشار رشدي راشد في هذا السياق إلى أنّ أبا الجود قد درس المثلّثات في رسالة عن المثلّثات القائمة الزاوية، وأنشأ جداول لتسجيل أضلاع المثلّثات الناتجة ومساحاتها، ونسبة هذه المساحات إلى المحيطات، وذلك انطلاقا من ثنائيّات أعداد صحيحة.

ومن المواضيع الهندسيّة الأخرى التي درسها أبو الجود نجد أنماطا من المضلعات المنتظمة (أي تلك الأشكال المضلعة التي تتساوى أضلاعها وزواياها). وقد نجح في إنشاء متّسع منتظم (أي مضلع بتسعة أضلاع وزوايا متساوية). ومن هذا المنظور نستطيع القول إنّ أبا الجود من أولئك الذين أعدّوا الأدوات الضروريّة لعمل عمر الخيام. وذكر مؤرّخ الرياضيات العربيّة الإسلاميّة الهولندي يان هوخندايك Hogendick أنّ أبا الجود اقترح (حوالى سنة 968م) إنشاء المضلع السباعي المنتظم بالمدور والمسطرة، لكنه وقع في خطأ طفيف اكتشفه أبو سعيد السجزي (ت حوالى عام 415هـ/ 1024م) وصوّبه أبو سعد العلاء بن سهل (القرن 10م) بواسطة استخدام الأشكال المخروطيّة.

كما اهتمّ أبو الجود بمسائل إنشاء الأشكال الهندسيّة التي لا يكفي فيها استخدام المستقيم والدائرة، أي تلك التي لا يمكن إنشاؤها بالمسطرة والمدور، فاستخدم فيها القطوع المخروطيّة. وحاول تصنيف المعادلات وفق القطوع المخروطيّة. وعالج مسألة تثليث الزاوية ـ وهي مسألة تعنى بتقسيم الزاوية إلى ثلاث زوايا متساوية ـ فاستعمل فيها تقاطع قطع مكافئ مع قطع زائد متساوي الساقين. ومن المعلوم أنّ الأوروبيين أثبتوا بعد ذلك استحالة حلّها إذا ما اكتفينا باستخدام المدور والمسطرة. وتوصّل أيضا أبو الجود إلى حلّ مسألة أخرى أخفق في حلّها أبو سهل الكوهي (القرن 10م) أدت إلى معادلة تكعيبية.

ويرى المؤرّخ المعاصر فؤاد سزكين أنّ أبا الجود يقف وسطا بين أسلافه الذين حاولوا تحويل مسائل هندسيّة «إلى معادلات جبريّة، وبين عمر الخيام الذي سعى جاهدا إلى أن ينشئ علما عاما في المعادلات التكعيبية». ويذكر سزكين أيضا أنّ أبا الجود حلّ في رسالة (بدون عنوان) المسائل الثلاث التالية:

1 ـ ليكن المثلث أ ب ج، وليكن البعد ز غ معلوما. المطلوب إخراج مستقيم د هـ موازيا لـ ب ج بحيث يكون ب د + هـ أ = ز غ.

2 ـ المطلوب إخراج المستقيم د هـ موازيا لـ ب ج في المثلث أ ب ج عن طريق الضلعين أ ب و أ ج بحيث يكون ب د + هـ ج = ز غ، مع العلم أن ز غ معلوم.

3 ـ المطلوب إخراج الموازي د هـ للضلع ب ج في الثلث أ ب ج بحيث يكون أ د + د هـ + هـ أ = بعدا معلوما، وليكن زغ. [سزكين، تاريخ التراث العربي، الرياضيات، م5، ص 451 ـ 454].

آثاره

ضبط سزكين في تاريخ التراث العربي أعمال أبي الجود على النحو التالي:

1 ـ رسالة إلى أبي محمد عبد الله الحاسب

في طريقتي أبي سهل الكوهي وشيخه أبي حامد الصاغاني في عمل المسبع المساوي الأضلاع في الدائرة. يوجد مخطوط بالقاهرة، رياضة 41م، وفي برلين وباريس 4821، وفي اكسفورد. Bodleian Thurst 3، 3970، وفي اكسفورد Marsh، 713؛ 2 ـ كتاب عمل المسبع في الدائرة أرسله إلى أبي الحسن أحمد بن محمد بن إسحق، مخطوط في القاهرة، رياضة 41م؛ 3 ـ رسالة بلا عنوان، مخطوط القاهرة، رياضة 41، وفي برلين. Inst. F. Gesch تتضمن 3 مسائل مستوية؛ 4 ـ الإجابة على الأسئلة الأربعة التي سأله إيّاها البيروني (كيف تخرج من نقطة مفروضة كنقطة أ خطا مستقيما إلى خط مستقيم كخط...)، مخطوط ليدن 4/ 168 Or؛ 5 ـ الإجابة على سؤال طرحه أبو جعفر الخازن، مخطوط ليدن 4/ 168 Or؛ 6 ـ رسالة في مسألة وضعها أبو سعيد السجزي وأبو سهل الكوهي، مخطوط ليدن، 13/ 168 Or؛ 7 ـ رسالة في مثلث مختلف الأضلاع، مخطوط ليدن 14/ 168 Or؛ كما ينسب له أيضا سزكين: 8 ـ المسائل الرياضيّة الثلاث الموجودة في ليدن 10/ 168 Or؛ 9 ـ المسائل الرياضيّة الموجودة في ليدن 9/ 168 Or.

المصادر والمراجع

● طوقان، قدري حافظ، تراث العرب العلمي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودار الشروق، بيروت، (بدون تاريخ، صدرت الطبعة الأولى عام 1941)؛ ● راشد، رشدي وجبار، أحمد، رسائل الخيام الجبريّة، جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي، حلب، 1981؛ ● راشد، رشدي، الجبر، التحليل التوفيقي، التحليل الديوفنتي ونظريّة الأعداد، ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربيّة، ج 2، تحت إشراف رشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العربيّة ومؤسسة عبد الحميد شومان، 1997؛ ● سعيدان، أحمد سليم، تاريخ علم الجبر في العالم العربي، ج2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986؛ ● الشني، أبو عبد الله، كشف تمويه أبي الجود في أمر ما قدمه من المقدمين لعمل المسبع بزعمه، مخطوط القاهرة، دار، رياضة 41م، وبيروت، القديس يوسف 5/ 223؛ ● سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، الرياضيات، المجلد 5، جامعة الملك سعود، 2002.

● Abdukadirov, A: Works of mathematicians of the Middle Ages from the Near and Middle East on conic sections, Proceedings of the Royal Society. Series A, 378, 1981, pp. 8-20; ● Anbouba A.: Construction de l'héptagone régulier par les Arabes au 4è siècle de l'hégire, journal for the history of arabic science, 2, 1978, pp. 264 - 269; ● Berggren L, A tenth century mathematician: Abu al-Jud, His life and work, Winter 2002 Meeting, Canadian Mathematical Sociiety, Otawa, December 8-10,

2002; • Berggren L., Abu l-Jud's contributions to mathematics. 7è colloque maghrébin sur l'Histoire des Mathématiques arabes, May 30-June 2, 2002, Ecole Normale supérieure de Marrakech; • Djebbar, A., Une histoire de la science arabe, Editions du seuil, Paris, 2001; • Hogendijk J.: Abu'l-Jud's answer to a question of al-Biruni concerning the regular heptagon. In: D. A. King, G. Saliba (eds.) From deferent to equant: a volume of studies in the ancient and medieval near East in honor of E. S Kennedy. New York (Annals of the New York Academy of Sciences, vol. 500), 1987, pp. 175 - 184; • Hogendijk J.: Mathematics in Islam, In Encyclopaedia of the History of Science, Technologie, and Medecine in Non-Western Cultures, Ed. Helaine Selin, Kluwer Academic Publishers, Dordrecht/Boston/London, 1997; • Rashed, R., Géomètrie et dioptrique au 10 ème siècle, Edition «Les Belles Lettres», Paris, 1993; • Schoy C., Drei planimetrische Aufgaben des arabischen mathematikers Abul Jud Muhammed ibn al-Athir, Isis, 7, 1925, pp. 5-8.

د. أبو بكر خالد سعد الله
المدرسة العليا للأساتذة ـ الجزائر

جودت باشا، أحمد بن إسماعيل آغا

(1238هـ/1823م ـ 1312هـ/1895م)

ولد في قصبة لوفجا في بلغاريا. واسمه الأصلي هو أحمد، وأخذ الاسم المستعار جودت في استانبول. وكان والده حاجي إسماعيل آغا من كبار أعيان لوفجا، أما أمه عائشة سمبل فهي من سلالة طوبوز أوغلي في لوفجا.

درس جودت باشا العربية على يد حافظ عمر أفندي وهو لا يزال يافعا. وعقب ذلك تلقى دروسا مختلفة من كل من نائب القاضي حاجي أشرف أفندي، والمفتي حافظ محمد أفندي. وفي بداية عام 1255هـ/ 1839م أرسل إلى استانبول من قبل جده وهناك فرض نفسه في فترة قصيرة في المحيط العلمي. والتحق بدروس علماء تلك الفترة المشهورين مثل حافظ سيد أفندي، ومحمد أفندي الديوراني، ومصطفى أفندي الورني، وقره خليل أفندي، وخوجة شاكر أفندي البركيوي.

وبالإضافة إلى ذلك تلقى دروسا في الجبر، والحساب، والهندسة وما شابه ذلك على يد كل من الميرالايّ نوري بك، ورئيس

المنجّمين عثمان ثابت أفندي. وفي هذه الأثناء دخل في الجمعيات الأدبية والعلمية. ووسع معرفته في قواعد اللغة الفارسية عبر قراءة المثنوية على يد محمد مراد أفندي، شيخ تكية مراد مُلّاغ الموجودة في جارشمبه باستانبول، كما منح إجازة في المثنوي خانية. وبالإضافة إلى ذلك داوم على الذهاب إلى منزل سليمان فهيم أفندي الذي يوجد في قره جمرك ودرس على يديه ديواني «الشوكة» و«العرفي» واشترك في مجالس أنس إبراهيم أفندي الكوش أده لي، وهو من أشهر المتصوّفة في تلك الفترة. وفي السنوات نفسها ولع بتقليد سامي ونفيع واتّخذ كل من ويسي وأوكجو زاده نموذجا له في الشعر. وكان يعرف اللغتين الفرنسية والبلغارية بالقدر الذي يعرف به اللغة الفارسية.

بعد أن أنهى جودت باشا حياته العلمية، دخل في خدمة الدولة إذ بدأ في شهر يناير من عام 1844 العمل قاضيًا في قضاء بريمير التابع لقضاء عسكر الروملي. وفي 14 أغسطس عام 1850 أصبح عضوا في مجلس المعارف العمومية، كما عيّن كذلك مديرًا على دار المعلّمين. وفي عام 1851 انتخب عضوا في أنجمن دانش (هيئة استشارية)، وتمّ تكليفه بكتابة التاريخ العثماني في الفترة من عام 1774 إلى عام 1826م. وفي عام 1854 أكمل أول ثلاثة مجلدات من كتابة هذا التاريخ وقدمها إلى السلطان. ولهذا السبب تمّ منحه درجة «مثلي سليمانية» وفي شهر فبراير من عام 1855 عيّن «وقع وفيسيا» (مؤرّخا). وكان أثناء هذه الوظيفة يواصل كتابة التاريخ من جانب، ومن جانب آخر كان يكتب «تذاكر جودت» التي تتناول الأحداث السياسية في تلك الفترة متمشيا مع التقليد المتبع. واستمرّ جودت باشا في هذا المنصب حتّى عام 1865م.

من جانب آخر تقدم جودت باشا في مدارج العلم، وعيّن في 9 يناير من عام 1856 على قضاء غلطة المصنف في درجة المولوية. وفي 9 ديسمبر من العام نفسه نال درجة قضاء مكة المكرمة، وفي 21 يناير 1861م حصل على درجة قضاء استانبول. وفي 18 مايو من عام 1861 رافق الصدر الأعظم محمد باشا القبرصي في رحلته التفتيشية إلى الروملي، وبعد فترة قصيرة من هذه المرافقة تم تكليفه بالقضاء على العصيان الذي اندلع في إشكودرا (مأمورية فوق العادة). وفي يوم 24 يونيو من عام 1863 وصل إلى درجة قضاء عسكر الأناضول. وفي شهر يونيو عام 1864 أرسل إلى ناحية كوزان، وشكل مع درويش باشا الفرقة الإصلاحية، كما قام بالإصلاحات الضرورية في هذه المنطقة خلال ستة أشهر. وفي 13 يناير من عام 1866 بُدلت درجته من القضاء عسكر إلى الوزارة وذلك برضائه. ويفهم أنه لم يكن يريد الانفصال عن مسلك العلمية رغم ترفيعه وأنّ هذا الأمر قد ضايقه.

عُيّن أحمد جودت باشا بعد ذلك واليا على حلب. وفي عام 1868 تمّ تعيينه رئيسًا على ديوان الأحكام العدلية الذي أسس حديثًا. وفي الأصل فإنّ جودت باشا اكتسب شهرته من خلال الدور الذي لعبه في حركة القوانين في الفترة التي أعقبت التنظيمات. وقد صادف هذه الفترة إعداد مجلة الأحكام العدلية. وابتعد جودت باشا لفترة قصيرة من الزمن عن نظارة ديوان هيئة المجلّة ورئاسة دائرة

تنظيمات شورى الدولة. وإذا كان قد عيّن واليا على مرعش، فإنه بعد 18 يوما أي في 6 أغسطس عام 1872م عاد مرة أخرى إلى استانبول وذلك إثر تعيينه عضوا في ديوان الأحكام العدلية ورئيس هيئة مجلة الأحكام العدلية.

وبعد فترة قصيرة من الزمن أصبح عضوا في شورى الدولة، وعقب ذلك، وبالتحديد في عام 1873م، أصبح ناظرا للأوقاف. وفي نحو أواسط العام نفسه تم تعيينه ناظرا للمعارف. وفي نظارته هذه وضعت برامج للدروس في جميع المستويات من المدارس الأولية إلى المدارس الثانوية. وتم إعداد جزء جديد من الألفبائية وطباعته. ورتبت تشكيلات دار المعلّمين من جديد وصنّفت في ثلاث درجات منفصلة هي الصبيان والرشدية والإعدادية.

في عام 1874م عيّن جودت باشا وكيلا لرئيس مجلس شورى الدولة، وفي 2 نوفمبر عام 1874م تمّ تعيينه واليا على يانيا. وفي عام 1875م عيّن ناظرا على المعارف، وبعد فترة قصيرة أصبح ناظرا للعدلية. وفي هذه الأثناء تمّ تكليفه في عام 1876م بعملية التفتيش في الروملي وذلك بسبب العصيان الذي حدث في بلغاريا. وإذا كان قد تمّ تعيينه واليا على سوريا عند عودته، فإنه عند وصوله إليها وقبل أن يشرع في وظيفته عيّن للمرة الثالثة ناظرا للمعارف. وبعد فترة لاحقة من الزمن تمّ تعيينه من جديد ناظرا للعدلية، وفي عام 1877م وعندما أصبح إبراهيم أدهم صدرا أعظم عيّنه ناظرا للداخلية. وفي العام نفسه نقل ليصبح ناظرا للأوقاف. وفي عام 1878م ذهب إلى الشام واليا على سوريا. وفي هذه الأثناء كلف بالقضاء على العصيان الذي قام به أحمد باشا أوغلي في كوزان. وأثناء عملية القضاء على هذا العصيان تمّ تعيين مدحت باشا واليا على الشام، وبعد أن أنجز جودت باشا مهمته عاد إلى استانبول. وفي الطريق تلقى خبر تعيينه ناظرا للتجارة. وفي شهر يونيو من عام 1879م أصبح مسؤولا عن تسيير أمور الصدارة بالوكالة لمدة عشرة أيام وذلك إثر استقالة خير الدين باشا من منصب الصدر الأعظم، وعندما أصبح سعيد باشا وكيلا عيّن جودت باشا مرة أخرى ناظرا للعدلية. وإثر تولي أحمد وفيق باشا منصب باش وكيل، ترك جودت باشا العمل ناظرا للعدلية في 30 نوفمبر عام 1882م، وابتعد عن الوظائف الرسمية لمدة ثلاثة أعوام ونصف العام. وفي هذه الأثناء أكمل تاريخه، وأكمل كذلك النقص الموجود في القواعد العثمانية.

عيّن جودت باشا ناظرا للعدلية للمرة الخامسة والأخيرة في 11 يونيو من عام 1886م وذلك إثر وفاة سرور باشا، غير أنه اضطرّ لترك هذا المنصب بعد مرور فترة قصيرة من الزمن بسبب الخلاف الذي وقع بينه وبين الصدر الأعظم محمد كامل باشا. وفي 10 مايو عام 1890م عيّنه السلطان عبد الحميد الثاني في المجلس العالي. وخصص جودت باشا الفترة اللاحقة من حياته لدراساته العلمية وأبنائه. وعقب وعكة مرضية قصيرة توفّي في 26 مايو من عام 1895 في شاطئه الموجود في بيبيك، ودفن في مدافن السلطان محمد الفاتح.

يأتي جودت باشا في طليعة شخصيات فترة التنظيمات وهو من الوجوه الممتازة في مجال العلم في المحيطين الإسلامي والتركي في القرن الأخير. وفي الوقت الذي كان فيه أحمد جودت باشا رجل دولة كبير كان بالقدر نفسه

مؤرّخا وقانونيا ومفكرا وأديبا وتربويا وعالما في علم النفس. واكتسب فكره نجاحا في هذه الفترة فيما يتعلّق بموضوع تشكيل مؤسسات الدولة العثمانية وهيئاتها من جديد. وهو شخصية سعت إلى إحداث توليفة بين الثقافة الشرقية الإسلامية التركية التقليدية وبين ثقافة الغرب الحديثة.

أما أهمّ الأعمال التي أنجزها جودت باشا أثناء عمله في المناصب التي عيّن فيها فيكمن في إكمال مشروع المجلّة التي صدرت في ستة عشر مجلّدًا، وإعداد المناهج الدراسية لكافة المراحل.

حاول جودت باشا الجمع بين الثقافة الإسلامية وبين المعطيات الغربية الحديثة. ورأى أنّ نشأة الدول الغربية مختلفة عن نشأة الدولة العثمانية، وأنّ المؤسسات العثمانية مبنية على أسس إسلامية، بخلاف الدول الغربية.. ولذلك فهو يرى أنّ التغريب أمر خاطيء، لاختلاف منشئه عن المنشأ العثماني، في النظرة إلى الحياة وفي المنهج. وبالمقابل فقد قبل بتفوّق الغرب في العلوم البحتة، وفي مجالات التقنية والإدارة، ودافع عن اقتباسها وإصلاح المؤسسات كما هي مدافعا عن ضرورة الحفاظ على التقاليد الإسلامية. كما أنه وقف أمام محاولات اقتباس القوانين الفرنسية بعد ترجمتها إلى اللغة التركية، وهو الأمر الذي أدى به إلى فكرة إعداد مجلّة الأحكام العدلية.

ويرى جودت باشا أنّ الإسلام بالنظر لكونه قد منح الحرية للفرد، لم يشهد العالم الإسلامي كفاحًا لأجل الحرية، كما وقع ذلك في الغرب. ولكن في مقابل ذلك أصبح تحقيق العدل يتصدّر قائمة أولويات الأمور في العالم الإسلامي. ومن هنا فإن منع وقوع الظلم والفتنة والفساد في الدولة، لا يأتي إلا بتطبيق عملي لأسس الإسلام، ومعاملة غير المسلمين أيضًا بما يتّفق مع الشرع الشريف. ولهذا السبب لم تشهد الأراضي العثمانية الصراعات الطبقية أو الظلم والاستغلال الذي شهدته أوروبا على نطاق واسع..

ومفهوم الملة لدى جودت باشا، مبني على أساس وحدة الشعوب الإسلامية تحت راية الخلافة العثمانية، المنافي لمفهوم القومية التي سرت في الشعوب الأوروبية بعد الثورة الفرنسية سريان المرض الوبائي في الجسم. وهو يرى أنّ تأثير الدين في الشعوب الإسلامية أقوى من تأثير القومية، وأنّ عظمة الدولة العثمانية تكمن في جمعها بين الخلافة والسلطنة، والعنصر الأساس الذي جعلها دولة هو تمسّكها بالإسلام. ولذلك فيجب أن يتم إصلاح الدولة العثمانية في إطار الشريعة الإسلامية والتكوين الإسلامي للدولة. والإصلاح مطلب ملح لكل مرافق الدولة، ولكن دون مساس بالجوهر الإسلامي الذي قامت عليه. ومفهوم الإصلاح لدى جودت باشا يشمل العناصر الآتية: النهوض من الداخل ببذل المجهود في كسب الثقافة والعلوم، والاستفادة من التقدّم العلمي في الغرب مع الحفاظ على الأصول، والتطوير لمواكبة حاجيات العصر وليس التغيير، والاقتباس وليس التقليد، والعصبية الدينية وليس القومية، والإصلاح بالعودة إلى الإسلام، والتكامل في إجراء الإصلاحات.. ومن هنا فإنّ رؤيته كانت متكاملة للمشكلات

الإدارية والمالية والعسكرية والعدلية والاجتماعية للدولة العثمانية.

ففيما يخص الجانب الإداري والمالي فقد رأى أنّ فساد النظم والقوانين المستحدثة في فترة التنظيمات (1839 ـ 1856م) وافتقار رجال التنظيمات إلى الخبرة الإدارية، وعدم استقرار النظم المالية، أدّى إلى إخفاق النظم المالية والإدارية الجديدة.. أما الحلول التي اقترحها جودت باشا لإصلاح الإدارة والمالية، فتكمن في تهيئة الاستقرار الأمني وسد الثغرات أمام التدخّل الأجنبي، والعودة إلى تطبيق الإدارة غير المركزية، واستلهام النظم الإسلامية، وربط ولايات الدولة بعضها ببعض ربطا قويا، وإجراء تشكيلات إدارية في الولايات، وعلى ضرورة رفع الكفاءات عن طريق التدريب المستمرّ، واختيار قيادات الجيش من ذوي الخبرة، والاهتمام بالعلوم الحديثة.

وفي مجال إصلاح المؤسسات العدلية، رأى جودت باشا ضرورة نشر العلوم الدينية والمعارف، ورفع مستوى العلماء، ودراسة وتعديل القوانين التي أصدرت في مرحلة التنظيمات، والربط بين الإصلاحات العدلية والإدارية، وتحقيق العدالة في محاكم الدولة، وسرعة الفصل في الأحكام، والاعتماد على الشريعة الإسلامية مصدرًا أساسًا للقوانين.

وقد ذكر أحد الباحثين وهو الأستاذ عبد اللطيف بن محمد الحميد بعد تقصي مجمل الإنتاج الفكري لجودت باشا وتجاربه وخبرته الذاتية: أنه هو الذي كان وراء تطبيق السلطان عبد الحميد الثاني (1876 ـ 1909م) لسياسة الجامعة الإسلامية، التي استمرّ فيها طيلة حكمه البالغ ثلاثًا وثلاثين سنة، وكانت ترمي إلى لمّ شمل المسلمين وتحقيق الوحدة الإسلامية السياسية، للوقوف صفًا واحدًا أمام غطرسة العالم الغربي، وعمله الدؤوب في استعمار البلاد الإسلامية ونهب خيراتها والتدخّل في شؤونها..

ومن الأمور التي انفرد بها جودت باشا من بين المؤرّخين في عهد التنظيمات تقسيمه للحضارة إلى مفهومين: مفهوم تاريخي وآخر اجتماعي. فالحضارة تعني حادثة اجتماعية، وهي تتحقّق في أحسن الأمكنة والأزمنة وتتطوّر، غير أنها جميعا آيلة للسقوط. ومن هنا فقد تبنى جودت باشا آراء ابن خلدون في أطوار الدولة وأقسامها، وفي صعودها وهبوطها. وكما أنّ للإنسان حالتين: صعودًا وهبوطًا، فكذلك للدولة حالة قوة وحالة ضعف، وهي تشبه جسم الإنسان. وقد بيّن تلميذه سليم ثابت أنه كان متأثرا بمن لهم شأن في التطور الفكري العالمي من أمثال ميشلي Michelet وتان Taine ومونتسكيو من الفرنسيين، وبوكلي Buckle ومكولاي Macaulay الإنكليزيين. وامتاز في تاريخه الشهير باسمه بالتدرج في ذكر الأحداث والبحث عن الأسباب والعلل، ورصد أطوار نمو الدولة العثمانية، مستفيدا في تدوينه من وثائق الأرشيف العثماني، ليصبح الأوّل في التاريخ المعاصر في تحليل تلك الوثائق وتقييمها، إلى جانب الاستفادة من المصادر التاريخية المتعدّدة: التركية، والعربية، والأوروبية.

آثاره

1 ـ تاريخ جودت، هو عبارة عن مؤلّف في التاريخ العثماني يتضمّن الفترة الممتدّة من اتفاقية قاينارجه الصغرى في عام 1774 إلى

عام 1826 وهو تاريخ إلغاء فرقة الإنكشارية. ويتألّف من اثني عشر مجلّدا. وتوجد من هذا الكتاب طبعات وترتيب مختلف. وأكمل «تاريخ جودت» في ثلاثين عاما. وأوّل طبع له تم في الأعوام 1270هـ/ 1853م - 1273هـ/ 1857م وشمل المجلدات الثلاثة الأولى. وفي عام 1301هـ/ 1884م طبعت بقية المجلّدات. أما الطبعة الثانية فتمّت في عام 1309هـ/ 1891م في المطبعة العثمانية وذلك بعد أن ضمنه جودت باشا بعض الإضافات، وأطلق على هذه الطبعة اسم «الترتيب الجديد»؛ 2 - التذاكر، يمكن وصف هذا المؤلّف بأنه كتاب مذكّرات، وقد تناول فيه الأحداث التي كان هو أحد عناصرها وبصفة خاصة في الفترة من عام 1855 إلى عام 1865 وذلك عندما كان في موقع «وقع نوفيس». ونشر هذا المؤلّف بالحروف اللاتينية في أربعة مجلّدات من قبل محمد جاود بايسون، أنقرة 1953، 1960، 1963، 1967، ص13 - 20؛ 3 - المعروضات، اختصر فيه الأحداث السياسية والتاريخية الواقعة في الفترة من عام 1255هـ/ 1839م إلى عام 1293هـ/ 1876م. وكتب هذا المؤلّف بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني. وتمّ نشره بالحروف اللاتينية من قبل يوسف هلاج أوغلي، استانبول 1980؛ 4 - قصص الأنبياء وتواريخ الخلفاء، مؤلف كتبه في السنوات الأخيرة من حياته، وتناول فيه قصص الأنبياء من سيدنا آدم عليه السلام حتى سيدنا محمد ﷺ، وظهور الدين الإسلامي وحياة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين والخلفاء العباسيين والدول الإسلامية والتركية الأخرى والتاريخ العثماني في فتراته الأولى حتى عام 1439م. ونشر المؤلف بالحروف اللاتينية، I، استانبول 1976؛ II، 1977، كما تم نشره كذلك ملخصا، إعداد ماهر إز، استانبول 1972؛ 5 - مقدمة ابن خلدون، هو عبارة عن ترجمة الفصل السادس في المجلّد الأوّل من مؤلف «العبر» لابن خلدون، وهو مؤلّف باللغة العربية يدور حول التاريخ العام. وبدأ ترجمة هذا المؤلّف لأول مرة أحد شيوخ الإسلام في عهد السلطان محمود الأوّل وهو بيري زاده محمد صاحب أفندي، وكان قد ترجم منه خمسة فصول، فجاء من بعده جودت باشا وأكمل القسم الأخير وهو النقص الذي تركه بيري زاده. وطبع هذا الكتاب في مجلديه اللذين يعودان إلى بيري زاده، بولاق 1274هـ، استانبول 1275هـ، وكذلك طبع مجلده الذي يعود إلى جودت باشا، استانبول 1277هـ؛ 6 - البلاغة العثمانية، وهو مذكرات للمؤلّف، دوّنها أثناء تدريسه للأدب العثماني في كلّية الحقوق. وقد طبع في استانبول عام 1298هـ؛ 7 - قواعد اللغة العثمانية، ومثله مدخل للقواعد، وكذلك قواعد اللغة التركية. وهذه الكتب الثلاثة في اللغة التركية. وكانت طبعته الأولى 1281هـ، ثم عام 1303هـ، ثم طبعت أكثر من ثلاثين طبعة في مختلف الفترات؛ 8 - تتمة شرح ديوان صائب، وهي تكملة لما قام به سليمان فهمي (ت 1845م) من شرح لديوان صائب التبريزي؛ 9 - معيار السداد، وهو في المنطق كتبه المؤلّف لابنه سداد وطبع في استانبول عام 1293هـ؛ 10 - آداب السداد في علم الآداب، ويعد ملحقًا لكتابه معيار السداد، وقد طبع في استانبول عام 1294هـ؛ 11 - بيان العنوان، وهو يتناول المنهج في

العلوم الإسلامية. وقد طبع في استانبول عام 1273 و1289 و1299هـ؛ 12 ـ تقويم الأدوار، وهو في أسس تحويل التاريخ الهجري، وقد طبع في استانبول عام 1287 و1300هـ؛ 13 ـ مجموعة أحمد جودت، وهو أجوبة لبعض الأسئلة والحوارات الدينية، وهي مخطوطة في مجموعة المعلّم جودت بمكتبة بلدية استانبول؛ 14 ـ خلاصة البيان في تأليف القرآن، وهو يتناول جمع القرآن الكريم، وقد طبع في استانبول عام 1303هـ؛ 15 ـ المجموعة العلية، وهي تضم الموضوعات الفلسفية والفلكية والرياضية وغيرها من المواد التي درّسها لابنته فاطمة عالية، وهو مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة البلدية باستانبول.. وغيرها من الكتب المتنوّعة في مختلف العلوم والمعارف ..

المصادر والمراجع

● صابان، صهيل، الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، 1415هـ/ 1994م؛ ● جودت باشا، أحمد، تاريخ جودت، تعقيب عبد القادر أفندي الدنا، تح. عبد اللطيف بن محمد الحميد، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1420هـ/ 1999؛ ● قطب، وفاء أحمد، فكرة الإصلاح في تذاكر أحمد جودت باشا، القاهرة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة، 1415هـ/ 1995م؛

● Fatma Âliye, Ahmed Cedvet Pasa ve Zamani, Istambul 1332; ● IBTILIMIN Mahmut Kemal Inal, Son Asir Türk Sairleri, I, 236-237, 239; ● Osman Nuri Ergin, Türkiye Maarif Tahiri, Istambul 1942, IV, 1084-1116; ● Saadettin Nüzhet Ergun, Türk Sairleri, Istambul 1936, III, 1034-1043 ; ● M. Sakir Ulkütazir, cedvet Pasa, Hayati, Sahsieyti, Eserlerie, 1822-1895, Ankara 1945 ; ● Ebü'l-Ula Mardin, Medenî Hukuk Cephezinden Ahmet Cevdet Pasa, Istambul 1946, türlü. Yerler; ● Umid Meriç, Cevdet Pasa'nin Cemiyet ve Devlet Görüsü, Istambul 1975; ● M. Cevdet, «Dârü'l-Muallimîn'in Yetmis Birinci Sene-i Dev-riyyesi Vesilesiyle Müessesenin Îlk Müdürü Cevdet Pasa'nin Hayat-i Ilmiyyesi Hakkinda Konferans», Tedrisat Mecmuasi, sayi.39, 1333,p. 429-440; ● Siddik Sami Onar, «Osmanli Imparatolugunda Islam Hukukunun Bir Kisminin Codification'u, Mecelle», Istambul Un. Hukuk Fakültesi Mecmuasi, XX/1-4, Istambul, 1955, p. 57-58; ● M/ Cavid Baysum, «Cevdet PAsa, Sahiyetine ve Ilim Sahasindaki Faaliyetine Dair», Türkiyat Mecmuasi, XI, 1954, p/ 213-230; ● Ahmet Hamdi Tanpinar, Türk Edebiyati Tahiri, Istambul 1956, p. 159-178; ● Ahmet Hamdi Tanpinar, Cevdet Pasa Hakkinda Düsünceler, I-III, Ede-

biyat Üzerine Makaleler, haz. Zeynep Kerman, Istambul 1977, p. 196-206; • Richard L. Chambers, «the Education of a Nineteenth-Century Ottoman Älim Ahmed Cevdet Pasa», IJMES, sy. 4, 1973, p.440-464; • Yusuf Halaçoglu, «Kendi Kaleminden Ahmed Cevdet Pasa», Ahmed Cevdet Pasa Semineri, Istambul 1986, p.1-6; • Ercüment Kuran, «Turk Tefekkür Tarihinde Ahmed Cevdet Pasa'nin yeri» a.e (=ayni eser) p. 7-12. • Serafettin Turan «Cevdet Pasa'nin Kültür Tahirimizdeki Yeri», Ahmed Cevdet Pasa Semineri, Istambul 1986, p. 13-20; • M. Akif Aydin, «Bir Hukukçu Olarak Ahmed Cevdet Pasa», a.e., p. 21-39 ; • Serafettin Turan, «Mecelle'nin Hazirlanini», Osmanli Arastirmalari, XI, 1989, p. 31-50; • Hulusi yavuz, «Mecelle'nin Tedvini ve Cevdet Pasa'nin Hizmetleri», Ahmed Cevdet Pasa Semineri, Istambul 1986, p. 41-101; • S. Hayri Bolay, «Ahmed Cevdet Pasa'nin Dine Bakisi», a.e., p.103-106; • Bekir Kütükoglu, «Tahirçi Cevdet Pasa», a.e., p. 107-114; • Ilber Ortayli, «Cevdet Pasa ve Avrupa Tahiri», a.e., p 163-172; • Äli Ölmezoglu, «Cevdet Pasa», Islam Ansiklopedizi, III, 114-123; • A. Cevad Eren, «Tanzïmât», a.e., XI, 732-735,757-758; • H. Bowen, «Ahmad Djewdet Pasha», Encyclopaedia of Islam, The Second Edition, I, 24-286.

د. عاكف آيدين - د. يوسف صلاح أوغلي
ترجمة: مصطفى بن الطاهر الستيتي ـ تونس
د. سهيل صابان
مكتبة الملك فهد ـ الرياض
المملكة العربية السعودية

جودت، صالح كمال الدين

(1331هـ/1912م ـ 1396هـ/1976م)

ولد صالح كمال الدين جودت في مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية في الثاني عشر من ديسمبر بحكم ظروف اختصاص ولده ووظيفته في الحكومة المصرية.

وعندما ولد شاعرنا كان والده يعاني سكرات الموت في مستشفى الزقازيق، وأرادت والدته أن تسميه «عبد الرحمٰن» تيمّنًا باسم أبيها، فكان لها ما أرادت، وفي اليوم السابع لمولده صنع الأطباء معجزة أنقذت الأب من الموت، وخرج كمال الدين جودت من المستشفى ليثير

معركة كبيرة حول الطفل الصغير الذي اسمه «عبد الرحمٰن» والذي يجب أن يكون اسمه «صالح» تيمّنًا باسم شقيق له كان لامعا في دولة الأدب والقانون يومئذ هو المستشار صالح جودت صاحب المؤلفات الكبيرة في الأدب والقانون [الأعلام للزركلي] وكان له ما أراد، وصدر إعلام شرعي بتغيير الاسم إلى «صالح جودت».

ولقد نشأ والده - كمال الدين - محبا للقراءة والاطّلاع، فقرأ أمهات كتب الأدب العربي القديم مثل مقامات الحريري، والأغاني للأصفهاني، والأمالي لأبي علي القالي، وغيرها من أمهات كتب التراث، ثم تعلّم في مدارس مصر ومعاهدها حتّى تخرّج مهندسًا زراعيا، وفي عام 1908 تزوّج من سيدة فاضلة من أسرة علم ودين، والدها - الشيخ عبد الرحمٰن - من أصل تركي، ووالدتها من أصل مغربي.

وبعد مولد الطفل الصغير - صالح جودت - بالزقازيق انتقلت الأسرة إلى القاهرة، وكان للأسرة بيت أنيق بحي مصر الجديدة الهادئ تلفه حديقة خضراء، وفي طفولة شاعرنا الباكرة كان يسمع أباه، وهو ساهر في الحديقة، وحوله نفر من أصحابه يتلو عليهم شعرًا رقيقًا، فتشرّب الطفل اللماح موسيقى الشعر وأنغامه منذ نعومة أظفاره.

وقد اختلف صالح إلى مدرسة إنجليزية في مصر الجديدة، وكانت هناك حسناء إنجليزية شقراء من موظفات المدرسة، هام بها، ونظم في حبّها عشرات الأبيات من الشعر الغزلي الأفلاطوني يبثّها حبّه وجواه، وعواطفه المشبوبة، وعندما علمت المعلمة بعواطفه الملتهبة نحوها أولته اهتماما وشجّعته.

وقد تحدّث شاعرنا عن ثقافته الأولى التي استقاها فقال: «كانت في بيتنا مكتبة كبيرة، بدأت أقلّب فيها متفرّجا، ثم متصفّحا، ثم قارئًا، حتّى لقد قرأت «مقامات الحريري» وأنا في العاشرة، وبهرتني براعة الصنعة التي في هذا الكتاب، وفتحت عيني على ما في جوهر اللغة العربية من جمال، ثم بدأت أقرأ «الشوقيات» حتّى حفظتها جميعا، وخلبتني موسيقاها حتّى أصبحت - وما زلت حتّى اليوم - أومن بانّ الشعر هو أوّل ما يكون موسيقى، وأنّ على من ينظم الشعر، وهو لا يحسن الموسيقى أن يهجر الشعر إلى النثر» [مقال تجربتي مع القلم، صالح جودت، مجلّة الهلال، مارس 1974م].

ظفر صالح جودت - وهو في العاشرة من عمره - بالشهادة الابتدائية، ولما انتقل إلى المدرسة الثانوية ليلتحق بالصف الأوّل فيها، ووقف لأوّل مرّة في الطابور، تلا ناظر المدرسة الثانوية اسمه، وشفعه بقوله على سبيل التنويه به «إن هذا التلميذ هو أصغر من نال الشهادة الابتدائية في تاريخ هذه الشهادة».

ويعترف صالح أنّ هذه الكلمة «قد أدخلت في نفسه الغرور والزهو، وجعلته يهمل دراسته، ويمضي في سبيل آخر، هو سبيل الفن والأدب».

وفي هذه الأثناء كان «يقضي جلّ وقته في مسارح عماد الدين، ومسارح روض الفرج في أوج تألّقها، وكانت كثيرة، وفي هذا الجو الساحر المليء بألوان الفن والأدب والجمال تشرّب النغم، وتعرّف على عشرات النقاد والمؤلفين، ودفع الثمن فادحا، فقد تعثّر في السنة الأولى من دراسته الثانوية ثلاث سنوات متّصلة».

وما إن رحل عام 1927 حتّى انتقل صالح فيمن انتقل من العائلة إلى مركز عمل والده في مدينة المنصورة، والتحق بمدرستها الثانوية، وهو في الخامسة عشرة من عمره، فاستعاد هناك بعيدا عن أجواء القاهرة ومصر الجديدة سيرته المدرسية في المرحلة الابتدائية، وعاد يحرز المقام الأوّل في ترتيب تلاميذ صفّه.

ويورد لنا صالح ذكرياته الجميلة في مدينة المنصورة أيام الدارسة الثانوية فيقول من مقدّمة ديوانه «ليالي الهرم»: «انتقلنا على عهد المدرسة الثانوية من مصر الجديدة إلى المنصورة، وهناك في المدرسة التقيت بالشاعر محمد عبد المعطي الهمشري، وكان موهوبا مرموقا، وتعرّفنا يومئذ على شاعرين يكبراننا سنا هما: علي محمود طه المهندس، والدكتور إبراهيم ناجي، وتصادقنا نحن الأربعة، وعندما عقدنا حلفا أدبيا لطيفا يضمنا في ندوات يومية على شاطئ النيل بالمنصورة، كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة في الشعر، تقاربت خطوطها في ذلك العهد إلى حد أن اختلط شعرنا على الناس في كثير من الأحيان، فنسب إلى غير صاحبه، وإلى حدّ أن أحدا منا، نحن الأربعة، لم يكن يعرف من التلميذ ومن الأستاذ، فقد أفاد كل منا بصحبة الآخرين، وكان لنا أصحاب ثلاثة من شعراء الشباب في الأدب الإنجليزي، وهم شيلي، وكيتس، وورد زورث، نقرؤهم كثيرًا، ونحس بما بيننا وبينهم من أواصر الشعر ووشائج الشباب، وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم».

ومن المنصورة بدأ صالح جودت ـ هو والشعراء الثلاثة ـ يتّصل بصحف القاهرة ومجلّاتها، وينشر فيها بواكير إنتاجه الشعري، وذات يوم قرأ في مجلّة «الصباح» ـ وكانت من أشهر المجلّات الأدبية والفنّية يومئذ ـ مقالا يتهجّم فيه كاتبه على أم كلثوم، فأمسك صالح بالقلم، وكتب مقالا طويلا محتدًّا يدافع فيه عن أم كلثوم، وبعث به إلى المجلة، التي نشرته «بقلم الأستاذ الكبير صالح جودت». ومن يومها لم ينقطع صالح أسبوعا واحدا عن مراسلة هذه المجلّة تارة شعرا، وطورا نثرا، وينشر هذا وذاك باسم «الأستاذ الكبير» دائما.

ومرّت الأيام، وأنجز صالح دراسته الثانوية، ونزح الشعراء الأربعة إلى القاهرة في عام واحد عام 1931، علي محمود طه إلى وظيفة بوزارة الأشغال، وإبراهيم ناجي إلى وظيفة بالقسم الطبّي بمصلحة السكك الحديدية، والهمشري إلى كلّية الآداب، وصالح إلى كلية التجارة.

وفي هذه الفترة قامت جماعة «أبولو» برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقي، وأمانة الدكتور أحمد زكي أبو شادي، فانضمّ إليها صالح، هو ورفاقه، وهكذا وجد نفسه، وهو دون العشرين، عضوا بمجلس إدارة الجمعية، ممثّلا للشباب يجلس إلى جانب أولئك الكبار من شعراء ذلك العهد، ويكتب معهم في مجلّة واحدة، بعد أن كان لا يراهم إلّا في الأحلام!

ويقول صالح جودت في مقاله «تجربتي مع القلم» [الهلال، مارس 1974]: «وفي أبولو أصدرت أول ديوان لي باسم ديوان صالح جودت وأهديته إلى الصورة الحلوة التي كانت

تستهويني دائما في صدر الشباب وحتّى اليوم إلى العيون الزرق والشَّعْر الذهب».

«وعندما تخرّج صالح في كلّية التجارة عام 1937، قرّر أن يمارس مهنة المحاسبة، فأنشأ مكتبا نجح نجاحا لم يكن يحلم به، ولكنّ نداء الحروف والكلمات والشعر والصحافة كان أقوى من نداء جداول الجمع والطرح والضرب والقسمة، فأغلق مكتب المحاسبة بعد سنة واحدة من إنشائه، وذلك يوم بدأ يشعر أنّ هناك ثعبانا يطلّ من كلّ رقم، وهكذا اعتزل عالم الحسابات وتفرّغ لعالم الكلمات» [صالح جودت الشاعر والإنسان، د.فوزي عطوي، ط. دار الفكر العربي، ط1، 1987، ص34].

وبعد ذلك التحق صالح جودت بقسم الدراسات العليا السياسية، فحصل على الماجستير عام 1949، وكان أوّل الناجحين.

وفي عام 1950، أراد صالح أن يعرف موضوعا لينال به درجة الدكتوراه وكان موضوعه: «الدولة المثالية في القرآن» غير أن الجامعة لم توافق على ذلك الموضوع، فتنازل صالح عنه [اعترافات نصف قرن لصالح جودت، مجلّة الهلال، أغسطس، 1962].

يقول صالح في مقاله «تجربتي مع القلم»: «أحسنت اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية منذ صباي، فتفتّحت لي عوالم واسعة في دنيا القراءة، وروضت عدّة روايات وربحت منها ما أعانني على أن أحيا حياة ترف، وأقتني سيارة، وأجالس من هم أكبر منّي سنا وعلما، وأكثر منّي مالا وجاها، وأحس أنّني ندٌّ لهم، وتفتّحت لي أبواب السفر، فطفت بكلّ الأرض، حتّى بلغت القطب شمالا، واليابان شرقا، وأمريكا غربا، ومن ثمّ أقبلت على ممارسة أدب الأسفار، ومنه كتابي «قلم طائر»، وأحببت العمل إلى حدّ أنّي لم أظفر بإجازة منذ ربع قرن، ولعلّ سجلاّتي في دار الهلال شاهدة على هذه الحقيقة، نعم... قد أسافر إلى مكان بعيد، ولكنّني حينما أسافر لا أترك القلم من يدي أبدا».

امتهن صالح جودت مهنا متعدّدة: مديرا للدعاية ببنك مصر وشركاته؛ ومحررا بجريدة الأهرام؛ ومديرا لتحرير المصوّر؛ ورئيس تحرير لمجلّة الاثنين؛ ورئيس تحرير للمصوّر؛ ونائبًا لرئيس مجلس الإدارة بدار الهلال، ثم رئيسا لها؛ ورئيس تحرير مجلّة الهلال، وكتاب وروايات الهلال.

وفي الإذاعة عمل مديرا للأحاديث، ومراقبا للبرامج الثقافية، ومديرا لإذاعة صوت العرب، ورئيس تحرير لمجلّة الإذاعة.

وقد شغل صالح عضوية كثير من الجمعيات الأدبية والفنّية: نادي القصة، وجمعية الأدباء، ومجلس إدارة الهيئة العامة للكتاب، ومجلس إدارة صندوق معاشات الفنانين والأدباء، ولجنة الرقابة على المصنّفات الفنّية، ولجنة النصوص بالإذاعة، وشغل نائب رئيس مجلس جمعية المؤلّفين والملحّنين مع صديقه محمد عبد الوهاب.

وصالح جودت واحد من أدبائنا الذين يجيدون فنّ الكلمة شعرًا ونثرا، فهو بهذا يجيد الصناعتين: صناعة الشعر وصناعة النثر، وفي نثره له أسلوب بسيط عذب، وفي مؤلفاته النثرية الكثيرة مثل: «م.ع. الهمشري»،

و«ناجي حياته وشعره»، شاهد على ذلك «فالرجل يمتلك من عذب الألفاظ ورائقها ما يتمكّن معه من نقل لأفكاره إليك في سهولة ويسر، وهو مطمئنّ من إفادته لك، واجتذابه لعقلك وعاطفتك» [مدرسة أبولو الشعرية في ضوء النقد الحديث، د.محمد سعد فشوان، ط. دار المعارف 1980، 159].

بدأت رحلة صالح جودت مع المرض ثم الموت منذ يونيو 1974، عندما كان يحضر الأسبوع الثقافي العربي الألماني الذي انعقد في مدينة كوبنجن بألمانيا الغربية.

وعاد صالح من ألمانيا ليدفع ثمن حياة الإفراط، كما وصفها، التي عاشها طوال السنوات العشرين الأخيرة من حياته.

ولقد بدأت عوارض المرض عليه، عندما أصيب بلهاث شديد، قال الأطباء: إنه نوبة حادة تلزمه الفراش ممنوعا من العمل والكلام والحركة، وحتّى من استقبال الأصدقاء لبضعة أسابيع، أو لأكثر من ذلك أيضًا.

«وتسوء حالته الصحّية أكثر، ويسافر إلى لندن للعلاج، وتنتهي الرحلة بعد ثلاثة أشهر، ويعود صالح هزيلا مترنّحا يعالج سكرات الحياة، إلى أن يعود مرّة أخرى إلى لندن، بعد ستة أشهر كما قالوا له، ليراجع الأطباء مسيرة العلاج» [صالح جودت الشاعر والإنسان لفوزي عطوي، 123].

وقد انتقل صالح جودت إلى جوار ربه في 23 يونيو عام 1976م.

ومن الجدير بالذكر أنّ صالح جودت قد هجر الشعر مرّتين:

المرة الأولى: عندما قابل صاحب مجلّة الصباح، ويقص علينا ذلك فيقول في مقاله «تجربتي مع القلم» ذهبت لأقدّم له نفسي لأوّل مرة، وسألني: أين والدك؟ فقلت له: أتعرف والدي؟ قال: طبعا الأستاذ الكبير صالح جودت، قلت: أنا صالح جودت، وتفرّس في وجهي، فرأى أمامه صبيا في السادسة عشرة (والأرجح أن صالح جودت كان اكبر من ذلك عند حصوله على الثانوية العامة، لأنّه قد رسب ثلاث سنوات متتالية في الصف الأوّل الثانوي) فاستصغر شأني، وأدرك الخطأ الكبير الذي وقع فيه خمس سنوات طوالا، وربت على كتفي، ودفعني برفق إلى الباب، وكانت عنده لي قصيدة وظهرت المجلّة بعد ذلك، فإذا بها هذه العبارة في باب رسائل القراء: جاءتنا من الأديب صالح أفندي قصيدة نجتزئ منها هذه الأبيات، وبعد ذلك ثلاثة أبيات أو أربعة من قصيدة طولها ثلاثون بيتا.

وهكذا هبطت ـ والكلام لصالح جودت ـ من الأستاذ الكبير إلى صالح أفندي في غمضة عين، فأقسمت أن أهجر القلم، وكرهت الشعر والنثر، وقرّرت أن ألتحق بكلّية التجارة، بعد أن كانت وجهتي كلية الآداب، ولم تمض أسابيع حتّى تلقّيت من صاحب المجلّة نفسها مكالمة رقيقة يدعوني فيها إلى لقائه فتردّدت قليلا، ثم ذهبت فإذا هو يحسن استقبالي هذه المرّة ويقدّم لي القهوة، ويسألني، ولم أنقطع عن الكتابة في الصحف أسبوعا واحدا حتّى اليوم».

أما المرّة الثانية فكانت بعد نشره ديوانه الأول «ديوان صالح جودت» فقد كان الديوان حافلا

بما يحفل به شعر الشباب من شك في كل شيء، وتمرّد على كل شيء، مما أوقعه أمام حملة ضارية من الشيوخ ولا سيما شيوخ الأزهر، فهجر الشعر حينا، ولكنه غلبه فعاد إليه مرّة أخرى بعد أن ازدادت قراءاته وتعمّق فيما قرأه ولا سيما في أدب التصوّف والمتصوّفين.

إن أوّل ما يلحظه الدارس لشعر صالح جودت ذلك الحيّز الذي تشغله المرأة في شعره، فقد احتلّت مساحة واسعة، لعلنا لا نبالغ إن قلنا إنها تقرب من ثلث نتاج الشاعر.

وعندما نتتبّع أشعار صالح في المرأة، نلمح خيطا رئيسا جاء أغلب شعره فيه، وهو الخيط المادي الحسّي، وان كنّا لا نعدم شواهد من شعره تدلّل على نزوعه الروحي تجاه المرأة، لكنها قليلة على أية حال.

أما الجانب الأكبر في شعره ـ كما ذكرنا ـ فهو الجانب الحسّي، ممّا دعا الدكتور محمد مندور إلى أن يقول عنه: «صالح جودت شاعر غنائي حسّي لعوب» [الشعر المصري بعد شوقي لمحمّد مندور].

ويبدو أن للبحر نصيبا كبيرا في شعر صالح مع المرأة، فقد كان بالنسبة له شركا للحسان، وموئلا للفاتنات، فهناك يرى على شاطئه الجسد العبقري، أو يلتقي على صفحاته بالفاتنات السابحات، وأحيانا يغوص معهنّ إلى الأعماق.

إنّ الشاعر نجح ـ في أغلب الأحيان ـ بشكل طيّب في مزج الحديث عن الحب والشاعر بالطبيعة.

أحبّ شاعرنا مصر أرضا وسماء، وتعلّق بها نيلا ونخيلا، واستقرّت مصر في وجدانه لوحة فاتنة، نلهمه جميل المعاني من نيلها المتدفّق وطبيعتها المعطاءة الخضراء، فأحبّها الشاعر وملكت عليه قلبه، فتراه يقول لها:

يا جنّتي يا كوثري
يا هبة النيل الثّري
يا بهجةٌ نائمةً
على بساطٍ أخضرِ
يا شعلةٌ دائمةً
على طريق الأعْصُرِ

وما أكثر القصائد التي أرسلها صالح، والتي أكد فيها ولاءه لمصر، وحبه لها. ولا تتحدّد الوطنية عند صالح طبقا لارتباطه بوطنه مصر، وإنّما يمتدّ معناها ليشمل عنده الوطن العربي كلّه، والذي ارتبط بمصر بروابط خاصة، فهو يقول:

ما حدودي عندَ أسوانَ ولا الإسكندريه
ما حدودي بالسويداء ولا باللاذقيه
بل منَ البحرين للمغرب أهلي وذويه
وطني في كلّ شبر من بلاد العربيه
كتب الله على الوحدة الكبرى اليه
وحدود الله أبقى من حدود البشريه

ذلك صالح جودت في عروبته ووطنه الكبير: كفاح ضدّ الاستعمار في كل حين، واستنهاض للهمم، وحض على الثورة، وإشادة ببطولات العرب، وتمجيد العمل الفدائي، ودعوة إلى الوحدة والتضامن والإخاء بين العرب جميعا، ونبذ الفرقة والانقسام.

الناظر في دواوين صالح جودت يجدها قد

تضمّنت جميعها شعرا المناسبات اللهم إلّا ديوانه الرابع «حكاية قلب» الذي خلا من هذا النوع من الشعر، فقد جاء شعره فرديا ذاتيا.

ومن مرثياتنا التي نلمح فيها صدق التجربة التي يرثي فيها صديقه الشاعر محمد عبد المعطي الهمشري، والتي جاءت تاريخا لقصة حياتهما منذ أن التقيا في مدينة المنصورة طالبين في المدرسة الثانوية حتّى انتقلا إلى القاهرة.

وعندما نتأمّل مرثيات صالح جودت نجده قد انتهج نهجًا خاصًا في بنائها، حيث يحرص الشاعر على أن يقدم لنا ترجمة شخصية للشخص المرثي، يعرفنا بأبعاد شخصيته، وخصائصها ودورها في الحياة، ومكانته، وعلاقته به، وما إلى ذلك.

والمدح من الأغراض التي شغلت حيزا كبيرًا في شعرنا العربي منذ الجاهلية وحتّى اليوم. ولصالح جودت مدائح كثيرة في مجالات السياسة والفكر والأدب.

ولقد كان لصالح أسلوب سهل سلس، واتّسمت كلماته ببساطتها ودقّتها، وجمال وقعها وتمثّل لغته الشاعرية الأنيقة في بساطتها وعذوبتها لغة الشعب العالية. وهناك مصادر عدّة استمدّ منها شاعرنا ألفاظه، ومن تلك المصادر: الطبيعة، المصدر الديني، الروافد التراثية الشعرية، الروافد الشعبية وما يتبع ذلك من أسماء تراثية وألفاظ تراثية وألفاظ أجنبية وصيغ مبالغة.. الخ.

آثاره

تبلغ مؤلفات صالح نحو الثلاثين في مختلف فنون الأدب:

أ ـ الشعر:

1 ـ ديوان صالح جودت، نشر جماعة أبولو عام 1934م؛ 2 ـ ليالي الهرم، نشر الشركة العربية للطباعة والنشر، 1957؛ 3 ـ أغنيات على النيل، عن مكتبة مصر، 1962؛ 4 ـ حكاية قلب، نشر دار المعارف بالقاهرة، 1965م؛ 5 ـ ألحان مصرية، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، فرع الساحل، 1968م؛ 6 ـ الله والنيل والحب، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م. وثمّة بعض القصائد المتناثرة على صفحات مجلّة أبولو، والهلال، والثقافة، والمصوّر، والزهور، نشرها الشاعر في أخريات حياته، لم يمهله القدر في جمعها ونشرها في ديوان [أنظرها في رسالة عن صالح جودت لعبد الحفيظ مصطفى عبد الهادي، مكتبة كلّية دار العلوم].

ب ـ التراجم الأدبية:

7 ـ ملوك وصعاليك، مكتبة النهضة 1959م؛ 8 ـ ناجي حياته وشعره، المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية 1960م؛ 9 ـ شعر المجون، نشر دار الهلال، عام 1972م؛ 10 ـ أحمد فتحي، شاعر الكرنك حياته وشعره، دار الهلال 1973م؛ 11 ـ بلابل من الشرق، دار المعارف 1973م.

ج ـ التحقيق:

12 ـ ديوان ناجي بالاشتراك مع د.أحمد هيكل وأحمد رامي؛ 13 ـ ديوان الهمشري، نشر الهيئة العامّة للكتاب عام 1974م.

د ـ الرواية:

14 ـ بيت أفنديـنـا، مكتبة النهضة؛

15 ـ عودي إلى البيت، نشر حسن إيراني؛
16 ـ وداعا أيها الليل، مكتبة مصر؛
17 ـ الشباك، دار الهلال.

هـ ـ أدب الرحلات:

18 ـ أساطير وحواديت، مؤسسة التأليف والنشر؛ 19 ـ قلم طائر.

و ـ القصة القصيرة:

20 ـ في فندق الله، الكتاب الفني الفضي؛ 21 ـ كلنا خطايا، مكتبة النهضة عام 1957؛ 22 ـ كلام الناس، دار الهلال عام 1959؛ 23 ـ خائفة من السماء، المكتب التجاري بلبنان؛ 24 ـ أولاد الحلال، كتاب اليوم عام 1972م.

ز ـ الترجمة:

25 ـ الأفق المفقود، تأليف جيمس هيلتون، وقد نشر في جريدة الصباح؛ 26 ـ العوز والأرض، تأليف أرنست هيمنجواي، دار الهلال عام 1973م؛ 27 ـ مصري في إيرلندة للدكتور إبراهيم رشاد، دار الهلال عام 1973م؛ 28 ـ سيدتي الجميلة، تأليف، آلان ليرنر.

وله نحو ثلاثمائة أغنية للإذاعة والتلفزيون والسينما مكتوبة بالفصحى إلّا القليل مما كتبه بالزجل.

المصادر والمراجع

● جودت، صالح، تجربتي مع القلم، مجلّة الهلال، مارس 1974م؛ ● جودت، صالح، اعترافات نصف قرن، مجلّة الهلال، أغسطس، 1962؛ ● عطوي، فوزي، صالح جودت الشاعر والإنسان، طبعة دار الفكر العربي، ط1، 1987؛ ● فشوان، محمد سعد، مدرسة أبولو الشعرية في ضوء النقد الحديث، دار المعارف، 1980؛ ● رضوان، محمد محمود، شاعر النيل والنخيل، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م؛ ● هيكل، أحمد، تطوّر الأدب الحديث في مصر؛ ● عبد الهادي، عبد الحفيظ مصطفى، شعر صالح جودت، دراسة فنّية، رسالة ماجستير، مكتبة دار العلوم، 1994م.

د. محمد أبو الأنوار
دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ مصر

جورجيوس، أميروتزس وابنه محمد

(ت 880هـ/1475م)

ولد في القرن الخامس عشر في طرابزون، وتلقى في المدينة التي ولد فيها دروساً في علم اللغات واللاهوت والفلسفة. ونبغ في الحقلين الأخيرين خلال فترة قصيرة من تلقيه تعليمه فيهما. وذهب إلى إيطاليا وفِرارَا وفلورنسا بصحبة الباليولوج

الثالث والكاردينال بيسايرو خلال الفترة (1438-1439). ولعب هناك دورا كبيرا في مجلس الاتحاد، فقد قام بإلقاء محاضرات متعلقة بموضوعات كانت مثار جدل عن اللاهوت. ودافع في هذه المحاضرات عن آرائه التي اعتمد فيها بالأساس على آراء أرسطو.

وبعد عودته إلى استانبول (1440) ذهب منها إلى طرابزون، وتولى فيها وظيفة الحاجب عند امبراطور بونطس ديفيد كومنيونوس. وشارك في الاجتماع الذي عُقد قبيل فتح استانبول (1452) في كنيسة آياصوفيا لتوحيد الكنائس الأرثوذكسية واللاتينية، ولكنه عاد إلى طرابزون بعد فشل الاجتماع المذكور في تحقيق غايته، ليعود إلى وظيفته السابقة. ووقع أسيرا بيد السلطان محمد الفاتح بعد فتح طرابزون إلى جانب ديفيد كومنينوس، ونجا من الاعدام مع ابنيه بتوسط من قريبه الصدر الأعظم محمود باشا. وقد كان يصف الأتراك بالـ «برابرة»، ولكنه عدل عن رأيه عندما تعرف على سلطان الأتراك. وبدأ يصفه بـ «الرجل الفيلسوف». وبعدها انخرط في مجالس السلطان الفاتح. وأعلن إسلامه بعد لقاءات عديدة مع السلطان الفاتح الذي خاض معه نقاشات حميمة عن الإسلام والمسيحية. ونتيجة لذلك سمي بـ «الخائن» أو «المرتد» من قبل المسيحيين. وأعلن ابنه أيضا إسلامه وغير اسمه إلى «محمد» وكان أميروتزس ضليعا في الرياضيات وخصوصا في الهندسة إلى جانب تمكنه من اللاهوت والجغرافيا. وتوفي في استانبول عام (880هـ/ 1475م) بعد أن ترك مؤلفات عديدة في المجالات التي برع فيها.

وتروي المراجع عن وجود ابنين له أحدهما يدعى فاسيل الذي أعلن إسلامه وسمى نفسه محمدا بعد أن بقي مدة في الأسر. وتعلم العربية وترجم الأنجيل إليها بأمر من السلطان محمد الفاتح. أما الابن الثاني فلا تروي المراجع عنه معلومات واضحة عدا كون اسمه «اسكندر».

وكانت الفترة التي عاش فيها أميروتزس هي الفترة التي شهد فيها المفكرون البيزنطيون انتقال مفاتيح القوة من المسيحية الممثلة في الدولة البيزنطية إلى الإسلام الممثل في الدولة العثمانية التركية. فقد أصبح على رأس أولويات هؤلاء المفكرين كيفية استنباط أنماط سلوكية جديدة لمجابهة هذه القوة التركية الصاعدة، وذلك عبر القيام بتحليلات فلسفية ولاهوتية لهذا التحوّل.

وبصورة عامة وجد هؤلاء المفكرون في استخدام المفاهيم الإنسانية ذات المنبع الشرقي خير وسيلة فلسفية لإيجاد رباط فكري بين الأديان والمعتقدات المختلفة. وقام العديد من المفكرين الفلاسفة بتناول هذا التحوّل التاريخي بالدرس والتحليل وعلى رأسهم جورجيوس جميستوس بليثون (المتوفى 1452)، وجورجيوس أميروتزس (المتوفى 1475)، وجرجيوس الطرابزوني (المتوفى 1473)، وكرتوبولوس الامبروسلي (المتوفى 1470). وحاول هؤلاء إيجاد صيغة ملائمة للتعايش ضمن هذا المزيج الثقافي - الاجتماعي، إلا أن هؤلاء المفكرين وجدوا في النهاية أن مثل هذا التعايش يستحيل تحقيقه بسبب التعارض الموجود دينيا وسياسيا بين الأتراك والمسيحيين. ولكن مفكرا من

هؤلاء وهو بلتون حاول إزالة هذا التعارض عبر التعامل مع الإسلام والمسيحية بالمسافة نفسها، وذلك بواسطة فلسفة جديدة وهي «الأفلاطونية الجديدة».

أما أميروتزس فحاول من جانبه إزالة هذا التعارض ولكن من الناحية السياسية، ولهذا السبب لم تكن علاقته بالإسلام ممثلا بالأتراك علاقة ذات أساس فلسفي كما هو الحال لدى بلتون، بل كانت علاقة على شكل محاولة لإيجاد رباط سياسي له مع القوة العثمانية الصاعدة. وهذا ما يفسر لنا قيامه بتأسيس علاقة شخصية مباشرة مع السلطان محمد الفاتح بعد فتح استانبول. وسعى وراء ذلك إلى إيجاد علاقة تفاهم مشتركة مع هذه القوة السياسية الجديدة وصولا إلى تحقيق أرضية سياسية ملائمة لأبناء جنسه ودينه. ومن هنا تركز جهده في تعريف المسلمين وعلى رأسهم السلطان بالمسيحية، ولتحقيق هذه الغاية أظهر جانب الاعتدال في المسيحية ـ على حد رأيه ـ كي يكون هنالك باب للنقاش ونقل الأفكار إلى الطرف الآخر، وبذلك فقد أصبح من بين المفكرين الذين ذكرناهم سابقا والذين حاولوا إيجاد جسر ثقافي بين الروم الأورثوذكس وبين الأتراك المسلمين.

ونهج المنهج نفسه الذي سار عليه كل من توماس كاتابولينوس، وباترياخ سكولاريوس. وحاول أميروتزس ومعه ابنه أن يعيد إطلاع السلطان محمد الفاتح ومن خلاله سائر المسلمين على الثقافة اليونانية القديمة دون أن ينسى الاحتياجات الفكرية لهؤلاء ومن سبقوهم من المسلمين. لذلك قام بترجمة بعض المؤلفات الفلسفية والجغرافية التي كان يعتبرها يونانية خالصة إلى العربية، بل قام بوضع شروحات عنها وقدمها إلى السلطان. وهكذا استطاع أن يبعث النشاط في مشروع الترجمة القديم الذي تبناه السلطان لترجمة العلوم الفلسفية اليونانية إلى العربية والتركية. ومن جانب آخر وضع حوارا «مكنوبا» يوضح فيه للسلطان الجانب الاعتدالي للمسيحية، وهو الكتاب المسمى بـ «Dialogue» (الحوار). وجعل هذا الكتاب على شكل عرض فلسفي للعقيدة المسيحية. وهدف من ذلك عرض المفاهيم الفلسفية التي تشترك فيها الأديان الثلاثة بأسلوب فلسفي، وبيّن أن الديانة المسيحية هي أكثر الأديان انسجاما مع الاعتدال والتفكير السليم، غير أن هدفه لم يكن دعوة الآخرين إلى الإيمان بالمسيحية، بل كان هدفه جعل القوة السياسية الإسلامية المثقفة بعيدة عن الأفكار ذات الرؤية السلبية تجاه المسيحية. ولهذا السبب بالذات كان أميروتزس لا يتناول النقاشات الدينية بصورة متعمقة، ولكنه من جانب آخر كان يشير في ثنايا كتابه المذكور إلى وجود نوع من التوافق بين الإسلام والمسيحية من الناحية الفلسفية إن لم يكن من الناحية الدينية. وهو بذلك كأنما يذكرنا بمحاولات بلتون في هذا الاتجاه.

آثاره

ترك أميروتزس مؤلفات في مواضيع كثيرة. وكان يكنّ احتراما خاصا للسلطان محمد الفاتح، ولذلك فقد كتب فيه «ثلاث مدحيات». وقد نشرت هذه المدحيات من قبل لامبراس في أثينا بين عامي (1885 و1889) في مجلة «دلتن». وكتب «ديالوج» (الحوار) بيّن فيه الخصائص العقلية للعقيدة المسيحية،

غير أن أصل هذا المؤلف لم يصل إلينا وإنما وصلتنا منه نسخة منقوصة باللغة اللاتينية. وقام أرجيريو أو لا فاريج بنشر هذه النسخة بعنوان: «Georges Amiroutzes et son Dialogue sur la foi au Christ tenu avec le Sultan des Turcs». ومن جانب آخر، فقد كتب رسالة في المثلثات، والمعروف أنه متخصص في الرياضيات. ونشرت هذه الرسالة باللغة اللاتينية بعنوان «De Hisquae Geoprahiae Adessa Debent».

أما ابنه محمد فقد قام بترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية بأمر من محمد الفاتح، بيد أنه لا يوجد في مكتبة القصر (السراي) كتاب بهذا العنوان ضمن الكتب الخاصة لمحمد الفاتح.

ويذكر ج. تودريني أنه عثر بين سنتي (1781 و1786) على هذا الكتاب في مكتبة السراي. ويحتمل أن يكون الكتاب قد فُقِد من المكتبة في فترة لاحقة. أما أهم عمل قام به أميروتزس وابنه في مجال تاريخ العلوم الإسلامية فهو ترجمة كتاب بطليموس في الجغرافيا والمسمى «Geographike Hipehegesis» إلى اللغة العربية بعنوان «كتاب الجغرافيا في المعمورة من الأرض».

ويجدر بالذكر أن السلطان محمد الفاتح كان له اهتمام بالفلسفة اليونانية القديمة وعلوم اليونان. فمكتبة هذا السلطان الخاصة التي وصلت إلينا حتى اليوم تحتوي على 50 مؤلفا حول الثقافة الغربية منها 42 باللغة اليونانية، وثمانية من هذه المؤلفات في التاريخ، وستة في الرياضيات وعلم الفلك، وأكثر من ثلث هذه الكتب في موضوع الجغرافيا. ويعتقد أن محمد الفاتح اختار كتاب «الجغرافيا» لبطليموس لترجمته رغم أنه قد ترجم في العهد العباسي من قبل علماء مثل الكندي، وابن خرداذبه، وثابت بن قرة، ولكن هذا الكتاب لم يصل إلى الفاتح.

وفي الواقع فإن كتاب بطلميوس المذكور موجود في كتاب الخوارزمي «صورة الأرض» وفيه زيادات أخرى، وقد وصلنا هذا المؤلف، وربما لم يكن هذا الكتاب متداولا في استانبول في عهد محمد الفاتح.

وكتاب بطليموس هذا كانت توجد منه نسخ في مكتبة السلطان محمد الفاتح، اثنتان منها باللغة اليونانية وواحدة باللغة اللاتينية، وفي صيف عام (869 ـ 870هـ/ 1465م) تدارسه الفاتح وناقشه مع أميروتزس، ثم أمره بترجمته إلى اللغة العربية مع ابنه.

ومن جانب آخر فقد طلب منهما أن يجمعا الخرائط المتفرقة الموجودة في الكتاب وترتيبها في شكل خريطة واحدة للعالم، وكذلك طلب منهما إضافة معلومات جديدة إلى هذه الخرائط. وللأسف فإن هذه الخريطة العالمية لم تصلنا اليوم، كما قام أميروتزس وابنه بترجمة الخريطة إلى اللغة العربية، وقد وصلتنا من هذه الترجمة نسختان، وهاتان النسختان موجودتان في مكتبة السليمانية، قسم آياصوفيا رقم 2596 و2610. ويذكر في مقدمة النسخة الأولى المرقمة بـ 2596 أن المؤلف قد قام بالترجمة إلى اللغة العربية بأمر من السلطان محمد الفاتح، بيد أن خرائط هذه النسخة ناقصة، وهي مستنسخة في القرن الحادي عشر هجري. أما النسخة المرقمة بـ 2610 فهي نسخة أصلية تم استنساخها في عهد السلطان الفاتح، وخرائطها مرسومة

بطريقة كاملة. وهذه النسخة نشرها الأمير يوسف كمال في المجلد الثاني من كتاب «Monumenta Cartographica Africae et Egypti» [خمسة مجلدات، القاهرة 1926 - 1951]. وقام فؤاد سزكين بنسخها طبقا للأصل [Klaudios Ptolemaios Geoghraphy: Arabic Translation (1465-A.D.) Frankfurt 1987].

المصادر والمراجع

• Adivar, A. Adnan, Osmanli Türklerinde Ilim, Istanbul 1943, p. 20-22, özellikle p. 20'deki dipnot; • Argyriou, A. Lagarrigue, G. (edits), «Georges Amiroutzes et son Dialogue sur la Foi au Christ tenu avec le Sultan des Turcs», Byzanttinische Forschungen 11 (1987), p. 29-222l; • Babinger, Franz, Mehmed the Conqueror and His Time, translated from the German: Ralph Manheim, edit.: William C. Hickman, Princeton 1978, p. 246-248; • Karamustafa, Ahmet T., «Military, Administrative, and Scholarly Maps and Plans», The History of Cartography, Volume II, Book 1, Cartography in the Traditional Islamic and South Asian Societies içerisinde, [edits. J. B. Harley - D. Woodward], Chicago 1992, p. 210; • Kâtip Çelebî, Kesf el-Zunun 'an Esāmi' el-Kutub ve el-Funun, Istanbul 1941-1943, c. I, p. 590; • Kramers, J. H., «Cografya», Milli Egitim Bakanligi Islam Ansiklopedisi, c. III, p. 205-206; • Raby, J., «Mehmed the Conquerors Greek Scriptorium», Dumbarton Oaks Papers 37 (1983), p. 15-34; • Sesen, Ramazan - Bekar, M. Serdar - Gündüz, Gülcan - Furat, A. Hamdi (edit. Ekmeleddin Ihsanoglu), Osmanli Cografya Literatürü Tarihi, Istanbul 2000, c. I, p. 12-13 (nr. 5); • Toderini, G., Letteratura Turshesca, Venitia 1788, c. II, p. 460; • Dünden Bugüne Istanbul Ansiklopedisi, Istanbul 1993, c. I, p. 246-247.

د. إحسان فاضلي أوغلي
جامعة استانبول - تركيا
ترجمة: مصطفى بن الطاهر الستيتي - تونس

الجوزجاني، أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب

(165هـ/781م ـ 259هـ/873م)

أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الأحنفي، السعدي الجوزجاني، البوشنجي [القند، ص 54]. من ولد التابعي المخضرم الأحنف بن قيس السعدي التميمي البصري (ت 72هـ) [القند، ص 91].

كان من حفاظ الحديث ونقاده الكبار، اشتهر بكتابه: أحوال الرجال الذي استمدّت منه أمّهات كتب الجرح والتعديل بعده، تخلو المصادر المعروفة من الحديث عن مولده وعائلته ونشأته وظروف دراسته، وباستثناء تسمية بعض شيوخه وتلاميذه فإن كل ما بلغنا عنه ـ وهو قليل جدًا ـ يتعلّق به كحافظ جوّال يجوب الأقطار مفيدا بعلمه.

اشتهر بنسبته إلى جوزجان في خراسان وهي من نواحي بلخ، تقع بينها وبين مروالروذ [ياقوت، معجم البلدان، 2/ 188]. وتعود صلته بهذه المنطقة إلى أيام جدّه الأحنف الذي فتحت على يديه جوزجان لما استخلفه على إمارة خراسان واليها عبد الله بن عامر بن كريز [القند، ص 91] عندما اعتمر [ابن العماد، الشذرات، 1/ 57].

ذكر الزركلي [الأعلام، 1/ 81] أنه ولد بجوزجان، وذلك اعتمادا على نسبته البلدانية، وهذا أمر غير مؤكّد لأنّ النسفي أورد له نسبة بلدانية ثانية هي البوشنجي [القند، ص54]، وهي النسبة الأحدث عند علماء التراجم في الدلالة على آخر بلد ارتبط به الراوي ولادة أو إقامة [شاكر، الباعث الحثيث، ص 212]. ولا نعرف الآن وجه علاقته ببوشنج.

ويمكن أن نحدّد تقريبيا تاريخ ولادته اعتمادا على وفيات كبار شيوخه. وأقدمهم في ذلك عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي أبو وهب البصري نزيل بغداد الذي مات سنة 188هـ [ابن حجر، تهذيب، 1/ 181]، وإذا راعينا أنّ الرحلة في الطلب ـ خاصة إلى البلاد البعيدة ـ لا تكون غالبا إلّا في حدود سنّ العشرين، نظرا لما تتطلّبه من تهيّؤ واعتماد على النفس أمكننا أن نقدّر تاريخ ميلاده بما بين سنتي 168هـ و170هـ. وعلى هذا يكون الجوزجاني من المعمّرين الذين شارفوا سنّ التسعين.

لا نعلم شيئا عن بدايات دراسته، والثابت أنه أكثر من الترحال والكتابة عن الشيوخ [ابن حجر، تهذيب، 1/ 182] فقد سمع ببغداد قبل وفاة شيخه السهمي سنة 188هـ. ودخل جنوب العراق وأخذ عن مشايخ الكوفة والبصرة من قبل سنة 203هـ تاريخ وفاة أستاذه الحسين بن علي بن الوليد الجعفي، وسمع بواسط من يزيد بن هارون بن زاذان (ت 206هـ). وكان بالمدائن قبل سنة 204 أو 206هـ تاريخ وفاة محدثها شيخه شبابة بن سوار الفزاري، وذكر في كتابه:

«أحوال الرجال» [ص 135] أنه كان ببغداد يوم وفاة محمد بن عمر الواقدي في ذي الحجّة سنة 207 هـ. وارتحل إلى مصر قبل وفاة شيخه بها أبي صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد سنة 223هـ، وذكر الدارقطني أنه أقام بمكّة مدّة وبالبصرة مدة وبالرملة مدّة [ياقوت، معجم البلدان، 2/ 183].

وتفقّه بأحمد بن حنبل [الذهبي، تذكرة، 2/ 549] وخرّج عنه مسائل في جزءين، وكانت له علاقة خاصّة به حيث كان أحمد يكاتبه ويكرمه إكراما شديدا [ابن حجر، تهذيب، 1/ 182] وروى عنه الجوزجاني في كتابه بعض آرائه النقدية [ص40، 43، 49، 51، 116، 121، 126، 135، 165، 177، 194، 202].

وتتلمذ في الحديث للكثير من أهل هذا الفن [مختصر بدران، 2/ 310]. وأغلب شيوخه من أكابر الحفاظ والنقاد والمذكور منهم في الكتب كلهم - تقريبا - من المشهورين في المنطقة العربية ولا نعرف شيوخه الأوائل، ومن الذين سمع منهم من غير من سبقوا - الناقد علي بن المديني أبو الحسن (ت 234هـ). وقد روى عنه في كتابه [ص37، 46، 53، 149]. وإمام الجرح والتعديل أبو زكريا يحيى بن معين (ت 233هـ)، وجعفر بن عون بن جعفر المخزومي (ت 206هـ)، وأبو عاصم النبيل الضحّاك بن مخلد الشيباني (ت 212هـ)، وعفان بن مسلم أبو عثمان الأنصاري مولاهم (ت 220هـ).

بلغ من العلم درجة عالية حتّى أنه لما سكن دمشق العاصمة العلمية للشام قدّم فيها، فولّي خطابتها واعتبر إمامها وعالمها [ابن كثير، البداية، 11/ 31] ومحدثها [الذهبي، تذكرة، 2/ 549] ولا تدري متى أوطنها، والمؤكّد أنّ ذلك كان قبل سنة 241هـ تاريخ وفاة شيخه أحمد بن حنبل الذي كان يراسله فيتقوّى الجوزجاني بذلك ويقرأ كتابه على المنبر [الذهبي، تذكرة، 2/ 549].

وأبرز ظاهرة علمية في حياة المترجم، أنه كان محدثا جوّالا، لا ينقطع عن الرحلة إلى البلدان للإسماع والإفادة بعد أن كان يقصدها أيام التلمذة للطلب والاستفادة، وكانت أسفاره كأستاذ زائر تمتد من مصر إلى ما وراء النهر، ففي سنة 230هـ كان بهمدان وكتب عن بعض شيوخها [أحوال الرجال، ص 205] ودخل سمرقند، ونسف، وروى عنه أهلها، وحدث ببخاري بعد سنة 240هـ [القند، ص 54]، وقال أبو سعيد بن يونس: قدم مصر سنة 245هـ وكتبت عنه [المزي، تهذيب الكمال، 1/ 76].

ومن آثار هذا التجوال الواسع في الأمصار لتقريب العلم للطلبة وإفشائه أنّ شيوخ الحفاظ والنقاد في النصف الأخير من القرن الثاني وبدايات القرن الثالث هم من تلاميذه، ومن مشاهيرهم:

الأربعة ما عدا ابن ماجة، وأبو حاتم الرازي محمد بن إدريس بن المنذر، وأبو زرعة الرازي، وابن جوصا، ومحمد بن جريرالطبري، وأبو بشر الدولابي، ومحمد بن خزيمة.

مات بدمشق، واختلف في تاريخ ذلك، فابن

يونس يرى أنه كان سنة 256هـ [بدران، مختصر تاريخ دمشق، 2/ 310] وبمثله قال النسفي [القند، ص 54]، ولكن أبا الدحداح جزم أنه مات يوم الجمعة مستهل ذي القعدة سنة 259هـ [ابن حجر، تهذيب، 1/ 182] وهذا ما عليه الأكثر من أصحاب كتب التراجم.

برّز في الجرح والتعديل خاصّة، مع أن له تصانيف في الرواية والمسائل أيضًا. كان من الحفاظ المكثرين، له اطّلاع واسع على أحاديث الشيوخ استفاد منه في نقد الرواة [أحوال الرجال، 154، 168]. ومع أنه من المكثرين في الحديث [الذهبي، تذكرة، 2/ 549] ومن الحفاظ المصنّفين [بدران، المختصر، 2/ 311] إلّا أنه لم تصلنا كتبه في الرواية، ولكن تلاميذه أخرجوا بعض حديثه في كتبهم. كما نراه في سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي [ابن حجر، التقريب، ص95] وكتب التاريخ والتفسير وتهذيب الآثار للطبري [ابن حجر، التهذيب، 1/ 103].

ومنهجه في الرواية يقوم على الاكتفاء بحديث الثقات دون سواهم، وهو يعتب على من لا يقتصرعلى ذلك لما ينجرّ عنه من آثار سلبية بسبب التساهل [أحوال الرجال، ص 209 - 210]، وهو بهذا يسلك طريقة مدرسة الشيخين اللذين اختارا التقيّد بتخريج صحيح الحديث دون سواه.

والمترجم من أعيان أئمة الجرح والتعديل [الذهبي، الميزان، 1/ 75] المتشدّدين في النقد وصفه ابن حبّان بأنه كان صلبا في السنة وربّما تجاوز حدّه [ابن حجر، التهذيب، 1/ 182] وعدّه الذهبي في من قبل الناس قولهم في الجرح والتعديل، وجعله من القسم الأوّل من هؤلاء، وهم المتعنّتون في الجرح والمتثبتون في التعديل يغمزون الراوي بالغلطتين والثلاث ويليّنون بذلك حديثه وقال «وابن معين وأبو حاتم والجوزجاني متعنّتون» [ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل، ص 159]. واكتسب بكتابه «أحوال الرجال» شهرة واسعة في تاريخ نقد الحديث لتوسّع العلماء في الاعتماد عليه وأكثر ما يوجد ذلك في كتب «الكامل في الضعفاء» لابن عديّ، و«تهذيب الكمال» للمزي، و«ميزان الاعتدال» للذهبي، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر، ثم «تاريخ بغداد» للخطيب، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي، و«جرح علل الترمذي» لابن رجب.

وهو كثيرا ما يركز نقده للراوي على فكرة البدعة، وهذا كثير في كتابه، وتغلب الحدّة والشدّة على ألفاظه في التجريح [انظر ص48، 51، 56، 59، 62، 64، 67، 68، 71، 128، 151، 154].

يتهمه النقاد بأنه كان شديد الميل إلى أهل دمشق في التحامل على الإمام عليّ وممّن وصفه بذلك الدارقطني [الذهبي، تذكرة 2/ 549]، وابن عدي [ميزان الاعتدال، 1/ 76]، وابن حبان [ابن حجر، تهذيب، 1/ 182].

وقال ابن حجر: وكتابه في الضعفاء يوضح مقالته [تهذيب، 1/ 182] ووصفه في هدي الساري [ص 390] بأنه كان ناصبيّا منحرفا عن علي، فهو ضدّ الشيعة المنحرفة عن عثمان. وقال: والصواب موالاتهما جميعا ولا ينبغي أن يسمع قول مبتدع في مبتدع.

وانتقده في لسان الميزان [1/ 27] بقوله: «وممّا ينبغي أن يتوقّف في قبول قوله في الجرح والتعديل، من كان بينه وبين من جرّحه عداوة سببها الاختلاف في الاعتقاد، فإنّ الحاذق إذا تأمّل ثلب أبي اسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب، وذلك لشدّة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيّع، فتراه يليّن مثل الأعمش، وأبي نعيم، وعبيد الله بن موسى وأساطين الحديث وأركان الرواية».

وكيفما كان الأمر فإن هذه الاعتراضات لا تنقص من قدر الجوزجاني كمحدّث وناقد، فعلاقته الوثيقة بأحمد وإكرام الأخير له، ووصف ابن حبان له بأنه كان حافظا للسنة [ابن حجر، تهذيب، 1/ 182] وتصريح الذهبي بأنه أحد أئمة الجرح والتعديل [ميزان، 1/ 75] وذكره له في «تذكرة الحفاظ» [2/ 549] وكتاب «من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» [ص 159] وكتاب «المعين في طبقات المحدثين» [ص 141] يؤكّد علوّ شأنه بين المحدّثين. ولعلّ شدّته في اتّباع السنة وصلابته فيها تجعله أحيانا قاسيا في حكمه على بعض الرواة الشيعة كما يرى ابن حبان [ابن حجر، تهذيب، 1/ 182].

وقد دافع الشيخ اليماني المعلّمي عنه دفاعا قويا لتبرئته من النصب والتحامل على علي كرّم الله وجهه [انظر التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، 1/ 45، 46، 57، 58، 99، 100]، وإلى مثل هذا أيضًا ذهب سيد صبحي السامرائي في مقدّمة تحقيقه لكتاب «أحوال الرجال» مستندا في ذلك على موقف أحمد بن حنبل الإيجابي من الجوزجاني، وممّا قاله في هذا الصدد: وممّا يؤكّد كون الجوزجاني غير ناصبيّ اتصاله بإمام أهل السنة والجماعة الإمام المبجّل أحمد بن حنبل وسماعه منه وتفقّهه عليه وروايته مسائله ومكاتبته له، والإمام أحمد معروف مذهبه في حبّ أصحاب رسول الله لا سيّما أمير المؤمنين عليّ المعروف بسابقته في الاسلام ومكانته من رسول الله وجهاده معه ونصرته لدينه والذي روى في مسنده الكثير من فضائله، فكيف يقبله أحمد وكيف يسكت عنه وكيف يكاتبه وهذا حاله؟ فهذا الشيء مرفوض لا يقبل أبدا، والجوزجاني لم يكن ناصبيا ولم ينحرف عن عليّ ﷺ [ص 16].

وقام الألباني بمقارنة كلام الجوزجاني في «الرجال» بكلام غيره وتوصّل إلى أنّ تشديد الجوزجاني النكير على الراوي كان من أجل البدعة، إلّا أنّه يصرّح بأنه ضابط وحديثه مقبول، وقد تكلّم في الأعمش وأبي اسحاق السبيعي وغيرهما من جهة إنكار البدعة عليهم بالعبارات الشديدة ولم يصرّح بردّ حديث الراوي الذي نعته بالابتداع بل وثقه [الدرر في مسائل المصطلح والأثر، ص 231 ـ 232].

آثاره

1 ـ وصفه الدارقطني بأنه من الحفاظ المصنّفين والمخرّجين الثقاة [ابن حجر، تهذيب، 1/ 182] وقال عنه ابن كثير: له المصنّفات المشهورة المفيدة منها المترجم فيه علوم غزيرة وفوائد كثيرة [بداية، 11/ 31]. وما وصلنا أو بلغتنا أخباره منها لا يخرج عن الرواية والنقد والفقه، وأكثر النقول عنه وأوسعها وردت في كتب الجرح والتعديل،

ونقل عنه ابن رجب الحنبلي بعض آرائه الفقهية في القطعة التي أنجزها من كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري [شرح علل الترمذي بتحقيق همام سعيد، 1/ 294]؛ 2 ـ أمارات النبوّة، ذكره السمعاني في الأنساب، 1/ 92، وتوجد منه مختارات في مكتبة الظاهرية، مجموع 104/ 162أ ـ 169أ. سنة 591هـ [سزكين، 1/ 263]؛ 3 ـ كتاب أحوال الرجال، حققه سيد صبحي السامرائي وطبع بمؤسسة الرسالة، ط 1، سنة 1405هـ/ 1985م، وسمّي هذا الكتاب قبل طبعه بأسماء عديدة، سماه سزكين: الشجرة في أحوال الرجال، 1/ 263، وقال الذهبي: له كتاب في الضعفاء [التذكرة، 2/ 549] ومثله قال ابن حجر في التهذيب، [1/ 182] وعلّق عليه بأنّ فيه ميلاً عن شيعة الكوفة في النقد. وسمّاه الباباني في هدية العارفين، [5/ 3]، كتاب الجرح والتعديل، وأخطأ الزركلي [الأعلام، 1/ 81] وكحالة [معجم المصنّفين، 1/ 128] لما اعتبرا كتاب الجرح والتعديل كتابا مستقلّا عن كتاب الضعفاء، والواقع أنّ كلا منهما اسم لكتاب أحوال الرجال الذي هو في الجرح والتعديل ومادته تبيّن أنه خاص بالضعفاء؛ 4 ـ كتاب مسائله عن الإمام أحمد بن حنبل، وهو في جزأين [ابن حجر، تهذيب، 1/ 182]؛ 5 ـ وذكر له سزكين كتاب: الأباطيل، [1/ 263]، وقال توجد مختارات منه في الظاهرية أعدّها مجهول، 548هـ، من 97 ب ـ 100 أ، وقد أخطأ سزكين في هذا لأنّ كتاب: الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير هو للحسين بن إبراهيم الجوزقاني الهمداني (ت 543هـ) وليس هو للجوزجاني، وقد حققه عبد الرحمٰن عبد القادر الفريوائي في الهند 1403هـ/ 1983م.

وغلط أيضًا الزركلي، [1/ 81] وكحالة، [1/ 128]، لما ذكرا له كتاب: المترجم، وهو في الحقيقة ليس بكتاب، وإنما وردت هذه الكلمة عند ابن كثير [البداية، 11/ 31] وصفا لبعض كتب الجوزجاني عندما قال: له المصنّفات المشهورة المفيدة منها المترجم فيه علوم غزيرة وفوائد كثيرة.

المصادر والمراجع

● الجوزجاني، ابراهيم بن يعقوب، أحوال الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1405 هـ/ 1985 م، مادّة الكتاب ومقدّمة تحقيقه؛ ● ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، بيروت، 1/ 95 ـ 96؛ ● الذهبي، ميزان الاعتدال، دار المعرفة بيروت، 1/ 75 ـ 76؛ ● ن.م. تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2/ 549؛ ● النسفي، نجم الدين عمر بن محمد، القند في ذكر علماء سمرقند، تح. يوسف الهادي، مركز نشر التراث المخطوط، طهران، إيران، 1420هـ/ 1999م، ط1، ص 54؛ ● بدران، عبد القادر، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، مطبعة روضة الشام، دمشق 1330هـ، 2/ 310 ـ 311؛ ● ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، 2/ 182 ـ 183؛ ● ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الكتاب الاسلامي، بيروت، 1/ 181ـ 183؛ ● سزكين، تاريخ التراث العربي،

نشر جامعة ابن سعود، الرياض، 1403هـ/ 1983م، 1/ 262 ـ 263؛

● الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، دراسات في الجرح والتعديل، بيروت، ط 1، سنة 1415هـ/ 1995م، ص 299 ـ 301.

د. محمد الناصر الزعايري
جامعة الزيتونة ـ تونس

الجوزجاني، أبو سليمان موسى بن سليمان

(ت 200هـ/816م)

الإمام أبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني نسبة إلى جوزجان، وهي مدينة عظيمة بخراسان ممّا يلي بلخ فتحت على يدي الأقرع بن حابس التميمي، انتسب إليها جماعة من أهل العلم منهم أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب السعدي، وأبو أحمد أحمد بن موسى، وأبو مغيرة محمّد بن مالك خادم البراء بن عازب، وأبو عبد الرحمٰن شدّاد بن أحمد، وأبو رجاء محمّد بن أحمد القاضي [ابن النديم، الفهرست، ص 290؛ السمعاني، الأنساب، 2/ 117؛ ياقوت، معجم البلدان، 2/ 211؛ ابن الأثير، اللباب، 1/ 308].

كان فقيها حنفيا بصيرا بالرأي يذهب مذهب أهل السنّة في القرآن، ويكفّر أهل الاعتزال لقولهم بخلقه، سكن بغداد وسمع بها الحديث النبوي الشريف، وتفقّه بكبار شيوخها حتّى برع وأصبح إماما ذائع الصيت، فقصده الطلبة وانتفعوا بغزير علمه، روي أنّه لمّا صار إلى درب أسد اشترى فيه دارا وقال: أنا اليوم صرت بغداديا، لأنّ الرجل ما قام في بلد لم يتخذ فيه منزلا فليس بأهله، ثمّ قال: كان علي بن أبي طالب ﷺ كوفيا، وعبد الله بن مسعود طائفيا لاتخاذهم بها المنازل [ابن النديم، الفهرست، ص 290؛ أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، 8/ 145؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 8/ 479].

كان صالحا ديّنا شديد الورع. قال ابن النديم «قرأت بخطّ الحجازيّ لمّا كان في فتنة الأمين رأى رجلا قد عدا، ورجل يعدو خلفه شاهرا سيفه، فصاح خذوه، فأخذ له الذي يعدو، ولحقه الآخر فقتله، فقال لهم أبو سليمان: أتعرفون الرّجل؟ قالوا: لا نعرف واحدا منهما، قال: فتمسكون رجلا حتى يقتل؟! وحلف لا يساكنهم، وانتقل إلى طاقات العكّي، فهناك سمع منه ابن البلخي الكتب» [الخطيب، تاريخ بغداد، 13/ 36؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص 137؛ القرشي، الجواهر المضيّة، 2/ 186؛ ابن قطلو بغا، تاج التراجم، ص 74 ـ 75].

وعرض عليه القضاء فلم يقبل واعتلّ بأنّه ليس بأهل لذلك فأعفي، ونَبُلَ عند الناس

لامتناعه. ثمّ عرض على المعلّى بن منصور وكان مشاركا له في أخذ الفقه، ورواية الكتب عن الشيخين أبي يوسف ومحمد بن الحسن، فأبى ولم يتقلّده. روى عمر بن إبراهيم المقرئ عن مكرم بن أحمد عن أحمد بن عطية عن إبراهيم بن سعيد قال: أحضر المأمون موسى بن سليمان ومعلّى الرازي، فبدأ بأبي سليمان لسنّه وشهرته بالورع فعرض عليه القضاء، فقال: يا أمير المؤمنين احفظ حقوق الله في القضاء ولا تولّ على أمانتك مثلي، فإني والله غير مأمون الغضب، ولا أرضى نفسي لله أن أحكم في عباده، قال: صدقت وقد أعفيناك، فدعا له بخير. وأقبل على معلّى فقال له مثل ذلك فقال: لا أصلح، قال: ولمَ؟ قال: لأني رجل أداين، فأبيت مطلوبا وطالبا، قال: نأمر بقضاء دينك وتقاضي ديونك، فمن أعطاك قبلناه، ومن لم يعطك عوّضناك ما لك عليه، قال: ففيّ شكوك في الحكم، وفي ذلك تلف أموال الناس، قال: يحضر مجلسك أهل الدين إخوانك، فما شككت فيه سألتهم عنه، وما صحّ عندك أمضيته، قال: أنا أرتاد رجلا أوصى إليه من أربعين سنة ما أجد من أوصي إليه، فمن أين أجد من يعينني على قضاء حقوق الله الواجبة عليك حتى أأتمنه على ذلك؟ فأعفاه.

كان الإمام أبو سليمان الجوزجاني محدّثا ثبتا جليل القدر صادقا، وثّقه أهل الحديث ونوّهوا بمنزلته، قال أبو حاتم الرّازي: كتب عنه أبي حدّثنا عبد الرحمن، قال سئل أبي عنه فقال: «كان صاحب رأي وكان صدوقا»، وقال فيه الحافظ الذهبي: «كان صدوقا محبوبا إلى أهل الحديث» [الجرح والتعديل، 8/ 145؛ السير، 8/ 479].

سمع جماعة منهم عبد الله بن المبارك، وعمرو بن جميع، وأبو يوسف، ومحمّد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة. وروى عنه عبد الله بن الحسن الهاشمي، وأحمد بن محمد بن عيسى البرتي، وبشر بن موسى الأسدي، وأبو حاتم الرازي وآخرون. وبه تفقّه أبو ذرّ بن أبي رجاء أحد أعيان المشايخ بنيسابور [أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، 8/ 145؛ السمعاني، الأنساب، 2/ 117؛ الخطيب، تاريخ بغداد، 13/ 36؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 5/ 469؛ سير أعلام النبلاء، 8/ 479].

توفي بعد المائتين وقيل بعد سنة 280هـ والأوّل هو الصحيح [القرشي، الجواهر المضية، 2/ 186 ـ 187؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص 216؛ البغدادي، إيضاح المكنون، 2/ 681].

آثاره

1 ـ كتاب مسائل الأصول والأمالي، 2 ـ كتاب السّير الصّغير؛ 3 ـ كتاب الصلاة؛ 4 ـ كتاب الرهن؛ 5 ـ كتاب الشروط الكبير؛ 6 ـ نوادر الفتاوى. قال الزركلي في الأعلام: وفي مخطوطات دار الكتب المصرية جزءان من كتاب في فروع الحنفية يظنّ أنّه نوادر الفتاوى، وذكر ابن النديم أنّه لم يكن مصنّفا بل كان راويا لكتب شيخه محمّد بن الحسن، وقد ورد في أصول البزدوي وشرحه كشف الأسرار ما يؤيد ذلك، فقد ذكر فيهما ما يؤذن بنسبة النوادر إلى محمد. وَرَدَ في الأوّل: «وقد قال محمّد رحمه الله في نوادر الصلاة في مسألة الحائض إذا طهرت ...» وفي الثاني: «أراد به النوادر التي رواها أبو سليمان عنه»،

وقد نقل أبو جعفر الطبري في كتابه «اختلاف الفقهاء»، والسرخسي في «المبسوط»، وعبد العزيز البخاري في «كشف الأسرار» بعض رواياته عن محمد بن الحسن الشيباني ممّا يعرب عن أهميتها في المذهب الحنفي [اختلاف الفقهاء، ص41، 45؛ البخاري، كشف الأسرار، 1/ 451].

المصادر والمراجع

● الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ)، اختلاف الفقهاء، تصحيح د. فريدريك كرن الألماني البرليني، ط2، بيروت، لبنان، ص 41، 45؛ ● أبو حاتم الرازي، كتاب الجرح والتعديل، دار الفكر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدّكن ● الهند، ط1، 1373هـ/ 1953م، 8/ 145؛ ● ابن النّديم، الفهرست، دار المعرفة بيروت، لبنان، 1398هـ/ 1978م، ص290؛

● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السّلام، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، 13/ 36 ـ 37؛ ● الشيرازي، طبقات الفقهاء، تح. إحسان عبّاس، ص137؛ ● السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت 490هـ)، المبسوط المحتوي على كتب ظاهر الرواية للإمام محمد بن الحسن الشيباني عن الإمام الأعظم أبي حنيفة، مط. السعادة، ط1، 2/ 73؛ ● السّمعاني، أبو سعيد عبد الكريم التميمي (ت 562هـ)، الأنساب، تح عبد الرّحمٰن بن يحيى المعلمي اليمالي، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/ 1980م، 1/ 124 ـ 125؛

● ياقوت، معجم البلدان، تح. فريد عبد العزيز الجندي دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1 1410هـ/ 1990م، 1/ 106؛

● ابن الأثير، عزّ الدين (ت 630هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1400هـ/ 1980م، 1/ 27؛

● البخاري، كشف الأسرار، تح. محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط1، 1411هـ/ 1991م، 1/ 451؛ ● الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح. د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1424هـ/ 2003م، ج5/ 468 ـ 469؛ ● م. ن. سير أعلام النبلاء، تح. محب الدّين أبي سعيد عمر بن غامة العمروي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1997م، ج 8/ 479؛ ● القرشي، الجواهر المضيّة، ط1، 1392هـ/ 1972م، 2/ 186؛ ● ابن قطلو بغا، تاج التراجم في طبقات الحنفيّة، مطبعة العاني بغداد، 1382هـ/ 1962م، ص 74 ـ 75؛

● اللكنوي، الفوائد البهية في تراجم الحنفيّة، تصحيح وتعليق محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1324هـ/ 1906م، ص 216؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد شرف الدين بالتقايا، وكالة المعارف، 1362هـ/ 1943م، 2/ 1979؛

● البغدادي، إيضاح المكنون، في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، ط. 1402هـ/

1982م، 2/ 681؛ ● هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استنبول، 1955م، 2/ 514؛ ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجّار، دار المعارف بمصر، ط3، 1397هـ/ 1977م، 3/ 257؛ ● سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربيّة د. محمود فهمي حجازي ود. فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط 1397هـ/ 1977م، 3/ 7؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط4، 1399هـ/ 1979م، ج7/ 322؛ ● كحّالة، معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي، 13/ 39.

د. برهان النفّاتي
جامعة الزيتونة ـ تونس

الجوزجاني، أبو عبيد عبد الواحد بن محمد

(ق5هـ/ق12م)

هو من أقرب أصدقاء ابن سينا (980ـ 1037م) ومن تلامذته أيضا. ينسب أبو عبيد إلى منطقة جوزجان التي يسكنها عدد كبير من الأتراك، وهي تقع بين نهري مرغب وعمودرايا في أفغانستان. وهناك احتمال كبير أن يكون ـ شأنه شأن ابن سينا ـ من أصل تركي.

اشترك أبو عبيد في الرحلة التي قام بها ابن سينا في عام 415هـ/ 1024م، فقد خرج ابن سينا من منطقة همدان سرا، عندما كان يحكمها البويهيون، وقد كانت رحلة شاقة. وتعدّ مشاركة الجوزجاني في هذه الرحلة الشاقة من الخدمات الكبيرة التي قدمها للعلم. والجوزجاني هو الذي أتم «كتاب الشفاء» لابن سينا كما أنه هو الذي أتم الترجمة الذاتية لعدد من الفلاسفة والتي كتبها ابن سينا في مقدمة كتابه المذكور. ويلاحظ أنه أضاف مقدمة إلى كتاب الشفاء عرّف فيها بابن سينا وأعطى معلومات موسعة حول حياته وكتبه، وبالإضافة إلى ذلك جمع الملاحظات التي أخذها ودونها عن أستاذه وأتم ما كان ناقصا منها وجعلها في شكل كتاب.

وقد ذكر القفطي، وابن أبي أصيبعة، والبيهقي، والشهرزوري أن المعلومات التي قدموها بشأن ابن سينا إنما أخذوها عن الجوزجاني. وحسب ما بيّن البيهقي في كتابه «تتمة صوان الحكمة» فإن الجوزجاني أضاف كذلك بابين آخرين في نهاية كتابي ابن سينا «النجاة» و«دانشنامه علائي» في موضوع الرياضيات، كما أنه قام بشرح المواطن الصعبة من كتاب ابن سينا المسمى «القانون». ويضيف البيهقي أن الجوزجاني قام بشرح رسالة ابن سينا المسماة «حي بن يقظان»،

وأعد «كتاب الحيوان» باللغة الفارسية، وتوجد نسخة منه في ذلك العصر في المكتبة النظامية بنيسابور.

ويتميز أبو عبيد الجوزجاني بمعرفة عميقة وواسعة بعلوم الفلسفة، وقد خدم ابن سينا لمدة 30 عاما، وكلف بتجهيز الآلات التي كانت مستعملة في مركز الرصد بأصفهان. وكتب ابن سينا رسالة جوابية لأبي عبيد بعنوان "رسالة إلى أبي عبيد الجوزجاني" ردا على رسالته التي كانت بعنوان "الانتفاع عمّا نسب إليه".

تحدث قطب الدين الشيرازي في مؤلفاته عن أبي عبيد الجوزجاني وانتقده انتقادا شديدا وقال إن آراءه لا قيمة لها و"تحمل أخطاء واضحة"، بيد أن للجوزجاني مكانة كبيرة في تاريخ علم الفلك عند المسلمين. وتبيّن الإضافات التي أضافها إلى كتابي "النجاة" و"دانشنامه علائي" في الموسيقى أن لديه معرفة جيدة بهذه العلوم [انظر تاكي بينيش، V، 701 ـ 702].

آثاره

أضاف أبو عبيد أقساما إلى كتابي ابن سينا في الرياضيات، وهذان الكتابان هما:

1 ـ دانشمانة علائي؛ 2 ـ "النجاة"، وتوجد من هذا الكتاب الأخير نسخ كثيرة [انظر مثلا: القاهرة، مجلس، رقم 13/ 863؛ طالات، رياضة، رقم 3/ 118؛ مكتبة متحف سراي طوب قابي، III، أحمد، رقم 3448؛ مكتبة كوبريلي، رقم 904؛ مكتبة نور عثمانية، رقم 2718]، كما أن قسم الرياضيات الذي أضافه إلى كتاب "النجاة" يوجد في نسخة من الكتاب مطبوعة طبق الأصل قام بنشرها محمد تقي دانشبجوه [طهران 1364هجري ـ شمسي/ 1985م]. وقام كل من محمد أشينا، وهنري ماس بترجمة القسم الذي أضافه إلى كتاب دانشنامه علائي إلى اللغة الفرنسية بعنوان "كتاب العلم" [le livre de science II,I، باريس 1955/ 1958]. كما ترجمه إلى اللغة الروسية أ. بوقوتينوفي [ضمن كتاب: Ibni Sina: Izbrannye Provedeniya, ed. Muso Dinorshoev, Dusanbe 1980].

وإلى جانب الإضافات التي قام بها إلى هذين الكتابين يمكن أن نحصي من أعماله أيضا:

3 ـ سيرة الشيخ الرئيس، يدور حول حياة ابن سينا ومؤلفاته، حققه محسن صبا، وقد تمت ترجمته إلى عدة لغات مثل الفارسية [ترجمة عقائي سعيدي نفيسي، بدون تاريخ، بنكميللي الإيراني، يتكون من 42 صفحة منها 18 صفحة باللغة العربية و24 صفحة باللغة الفارسية]، والإنجليزية [The Life of Ibn Sina، ترجمة و.أ.كوهلمان، نيويورك 1974]، والروسية والأوزباكية، والطاجيكية، وكتب حوله م. ألمان نقدا [Der Islam، ص52 (1975)، ص149 ـ 151]. وبالإضافة إلى ذلك توجد له ترجمة أخرى قام بها أ.هـ.حبيبي بعنوان "زندكينامه بوعلي سينا [كابول، 1980، مكتبة مجمع اللغة التركية، رقم 5422].

4 ـ كتاب كيفية الأفكار، يبحث في المسافات بين الكواكب. اتبع فيه منهج معاصره ابن الهيثم، وبحث في النظام الذي اتبعه بطليموس، بيد أنه لم يصل في الموضوع إلى أيّ حلّ. لكنه تجنب الأخطاء التي وقع فيها ابن الهيثم وجعل لنفسه منهجا خاصا في البحث. بيد أنه فشل في

الوصول إلى حل لمسألة «التوازي» (equant) [أوكسفورد، مكتبة بودلين، تورستون، رقم 3، ورق 144a - 146b، هجري 675، مارس رقم 713، ورق3، ورق 288a - 292b هجري 765، ليدن، أوريونتال، رقم 174، ورق 63b - 67a].

وبالإضافة إلى هذا يوجد الكتاب ملخصاً في كتاب «فعلت فلا تلم» لقطب الدين الشيرازي [طهران، مجلس الشورى، رقم 3944 - 63]؛ 5 - خلاص تركيب الأفلاك، [مشهد، رقم 5593، ورق 92 - 106، هجري 867]، ليس تأليفا مستقلا بل هو شرح على «كتاب الجوامع» للفرغاني؛ 6 - رسالة في الأرتمتيقا، وهو عبارة عن تصحيح لقسم الأرتمتيقا من «كتاب الشفا»، [القاهرة، مجلس، رقم 14/ 863، طهران، رقم 10/ 5389، مكتبة الجامعة، رقم 4888، الإلهيات، رقم 1/ 46]؛ 7 - رسالة هندسة، هو عبارة عن تصحيح لقسم الهندسة من كتاب الشفا [Library of The Royal Asiatic Society of Bengal كلكوتا، مجموعة كورزون، رقم 565، حيدرآباد، مكتبة آصافية، رقم 116]؛ 8 - شرح القصيدة العينية، وهو عبارة عن شرح لرسالة ابن سينا المسماة «القصيدة العينية الروحية في النفس»، وهي تتكون من عشرين بيتا، ويدور موضوعها حول اتصال النفس بالبدن وانفصالها عنه، وتوجد منه نسختان في فينا، وبرلين.

المصادر والمراجع

• البيهقي، تتمة صوان الحكمة، نشر محمد شفيع، لاهور 1351، ص 52، 93 - 95؛ • مهدي محققي، شرح الإلهيات من كتاب الشفاء، لملا مهدي نراقي، طهران 1365 هجري - شمسي/ 1986م، مقدمة، ص 14؛

• H. Suter, Die Mathematiker und Astronomen der Araber und Ihre Werke, Leipzig 1900, s. 172-173; • C. A. Storey, Persian Literature, London 1970-1972, II/1, s. 3; • G. Sarton, Introduction to the History of Science, New York 1975, II/2, s. 1008, III,1530; • Fuat Sezgin, Geschichte des arabischen Schrifttums, VI, 276-277, 280-281; • Boris -A. Rosenfeld - Ekmeleddin Ihsanoglu, Mathematicians, Astronomers and Other Scholars of Islamic Civilization and their works (7th-19th c.), Istanbul 2003, p. 128; • Taki Bînis, «Ebû Ubeyd-i Cûzcânî», Dâiretü'l-maârif-i Buzürg-i Islâmî, Tahran 1372, V, 700-703; • George Saliba, «Ibn Sinà and Abù 'Ubayd al-Jùzjàni: The Problem of the Ptolemaic Equant», مجلة تاريخ العلوم العربية, IV/2, Halep 1980, p. 376-403; • Sargon Erdem, «Abdülvâhid el-Cûzcânî», Türkiye Diyanet Vakfi Islâm Ansiklopedisi, Istanbul 1988, I, 277-278; • Ömer Mahir Alper, «Ibn Sînâ: Eserleri», Türkiye Diyanet Vakfi Islâm Ansiklopedisi, Istanbul 1999, XX, 338, 343.

د. قاسم كربييك
جامعة اسطنبول - تركيا
ترجمة: أنعم محمد عثمان الكباشي - السودان

الجَوْزَقِي، أبو بكر محمد بن عبد الله

(306هـ/918م - 388هـ/998م)

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكرياء الشيباني الجوزقي، نسبة إلى «جوزق»، بالجيم المفتوحة والواو الساكنة والزاي المفتوحة وآخرها قاف، وهي قرية بنيسابور.

وُلِد صاحب الترجمة سنة ستّ وثلاثمائة للهجرة (306) بجوزق وبها أنشاه خالُه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المزكّي، محدّث نيسابور، على الشغف بالعلوم والحرص على طلب الحديث وتعلُّم القراءات، فسمّعه ببلده من أبي العبّاس السرّاج أحاديث، ومن أبي نُعَيْم بن عدي، ومن مكّي بن عبدان، وأبي حامد بن الشرقي، ولم يزل حتّى رحل به إلى سَرَخْس فسمع بها من أبي العبّاس الدغولي الكثير، ثمّ ارتحلا إلى بلاد الريّ وبها سمع أبو بكر من أبي حاتم الوِسْقَنْدي، ثمّ انتقل به إلى همذان حيث سمع القاسمَ بنَ عبد الواحد، وفي بغداد سمع أبا عليّ الصفّار، وفي مكّة أخذ عن أبي سعيد بن الأعرابيّ، وطلحة العمري وغيرهما من طبقتهم، فبرع أبو بكر محمد الجوزقي في هذا الشأن وصنّف التصانيف وأصبح إمامَ عصره، الزاهدَ، الورعَ، العالمَ، الحافظ، المجوّدَ، شيخَ نيسابور ومحدّثها، ومُفيدَ جماعتها [الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 13، 316].

روى عنه أبو بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربي، وأبو عثمان سعيد بن أبي سعيد العيّار الصوفي، والحاكم النيسابوري، صاحب المستدرك، وأبو سعد الكنجروذي، وأبو عثمان البحيري، ومحمد بن عليّ الخشّاب، وآخرون [شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 16، ص 493].

ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ في كتاب «تاريخ نيسابور» فقال: أبو بكر بن أبي الحسن، المعدّل - يعني الجوزقي - كثير السماع والكتابة والنفقة في العلم، وكان يقول فيما يُروَى عنه: «أنفقتُ في طلب الحديث مائة ألف درهم، وما كسبتُ به درهما واحدا والحمد لله». كما كان يشهد وهو شابّ والمشائخ أحياء، وقد كنتُ أسمعُه غير مرّة في قديم الأيّام يذكر أوّل سماعه للحديث سنة إحدى وعشرين وعمره إذّاك خمس عشرة سنة، وكنتُ أقول: هذه السنة التي وُلِدْتُ فيها. ولم يزل يسمع إلى سنة خمسين وثلاثمائة، ثمّ تفرّغ إلى التصنيف، فصنّف المسند الصحيح على كتاب مسلم بن الحَجّاج وانتقيتُ له فوائد في نيف وعشرين جزءا سنة إحدى وخمسين، ثمّ إنّه وجد سماعه من أبي العبّاس السرّاج وأبي نعيم الجرجاني، وحدّث عنهما سنة تسع وستّين [محمد بن جعفر الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنّة المشرفة، ص 27].

توفي صاحب الترجمة ليلة السبت العشرين من شوال من سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للهجرة (388)، ودفن بعد عصر السبت وهو ابن اثنين وثمانين سنة (82)، وصلّى عليه الأستاذ أبو الطيّب سهل بن سليمان «حمر كاباد» ودفن في داره [أبو سعيد عبد الكريم السمعاني، الأنساب، ج 2، ص 119].

آثاره

قال ابن ناصر الدين: من مصنّفات أبي بكر الجوزقي:

1 ـ المتفق والمفترق، ويسمّى بالمفترق الكبير، يتكوّن من ثلاثمائة جزء خطير وقد رواه عنه شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني؛

2 ـ المسند الصحيح، المخرَّجُ على كتاب مسلم [أبو الفلاح عبد الحيّ بن العماد، شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، ج 3، ص 129].

المصادر والمراجع

● السمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان بيروت 1408هـ/ 1988م؛ ● الذهبي، الحافظ، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت 1412هـ/ 1992م؛ ● الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، باعتناء رمضان عبد التواب، دار النشر: فرانزشتايز بجيشبادن، المانيا 1399هـ/ 1979م؛ ● الكتّاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة، دار البشائر الإسلامية بيروت (د.ت)؛ ● الأتابكي، يوسف، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت 1390هـ/ 1971م.

د. حسن مزيو
جامعة الزيتونة ـ تونس

الجوزقي، أبو عبد الله الحسين بن ابراهيم

(ت 543هـ/1178م)

هو الحسين بن ابراهيم بن الحسين بن جعفر الهمذاني، كنيته أبو عبد الله، وعرف «بالجوزقي» نسبة إلى «جوزق»، بفتح الجيم والزاي قرية بناحية «همذان»، كما في شذرات الذهب [4/ 136]؛ وإيضاح المكنون [2/ 261]؛ والرسالة المستطرفة [ص 111]؛ وذُكر «بالجوزقاني» بفتح الجيم والزاي وسكون الواو بنفس الاسم الثلاثي والكنية وتاريخ الوفاة، في هديّة العارفين [1/ 313]؛ ومعجم البلدان [2/ 184]؛ وتذكرة الحفاظ [ج4، عدد الترجمة 1085]؛ وسير أعلام النبلاء [20/ 177]، نسبة إلى جبل جوزقان بحلوان ونُعت بالفقيه الحنفي. وضبطه ابن حجر في لسان الميزان [2/ 269 ـ

271] بضمّ الجيم وسكون الواو، بعدها زايٌ ثمّ قافٌ، أمّا ابن الأثير والصفدي، وابن نقطة فقد ترجموا له بـ «الجورقاني»، بالجيم المضمومة والراء المفتوحة بدل الزاي نسبة إلى جورقان، ناحية من همذان، [الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، 20/ 177].

نشأ بهمذان فسمع من أكبر رواتها في عصره وروى عنهم، ثمّ رحل في طلب الحديث فسمع الكثير وكتب وحصّل من عبد الرحمٰن بن حَمَد الدوني وهو أكبر شيخ له وابن طاهر المقدسي، ويحيى بن أحمد الغضائري، وشيرويْه بن شهردار الدَّيلمي، وحَمْد بن نصر، وعبد الملك بن بنجير، ويحيى بن مَنْدة، وأحمد بن عبَّاد البُرْجرْدي، واسماعيل بن أبي صالح (المؤذن)، وطائفة سواهم. ومن صغار شيوخه عبد الخالق بن أحمد اليوسفي؛ وكانت روايته في كتبه عن جميعهم [الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1085].

روى عنه جماعة أشهرهم ابن أخته نجيب بن غانم الطيّان الذي حدّث عنه كتاب «الموضوعات» في سنة 582هـ [الصفدي، الوافي بالوفايات، 12/ 315].

وفيما يتعلق بوفاته، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: وأمّا الجوزقاني صاحب الترجمة، فلا أعلم متى توفي، ثم رأيته في تاريخ ابن النجّار، أنّ ابن مَشّق ضبط وفاته في السادس عشر من رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (543).

وقال ابن شافع: أدركه أجله في السفر، فبلغنا في رجب خبرُه من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

آثاره

صنّف صاحب الترجمة عدّة كتب في علم الحديث منها:

1 ـ كتاب الموضوعات، ذكره له كلّ من الصفدي في الوافي بانوفيات [12/ 315] واسماعيل باشا البغدادي في هديّة العارفين [1/ 313]، وسمّاه: كتاب الموضوعات من الحديث، وابن النجار في «الذيل» وقال: الحسين بن ابراهيم بن الحسين بن جعفر، أبو عبد الله الجوزقاني محدّث فطنٌ، سمع الكثير وكتب وحصّل وصنّف وأجاد تصنيف كتاب «الموضوعات»، حدّثنا عنه عبد الرزاق الجيلي، وذكره شمس الدين الذهبي في السير، [20/ 178] وقال: له مصنّفٌ في «الموضوعات» يسوقها بأسانيده، وعلى كتابه بنى أبو الفرج بن الجوزي كتاب «الموضوعات» له؛ 2 ـ كتاب الأباطيل، ذكره له حاجّي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وقال: كتاب الأباطيل للجوزقاني الحسين بن جعفر (ت 543هـ)، وذكره صاحب تذكرة الحفاظ، [4 عدد 1085] قائلا: الحافظ الإمام أبو عبد الله الحسين بن ابراهيم بن حسين بن جعفر الهمذاني مصنف كتاب «الأباطيل» طالعته واستفدت منه مع أوهام فيه، وهو محتو على أحاديث موضوعة وواهية، وقد بيّن صاحبُه الأحاديث الواهية بمعارضة أحاديث صحاح لها؛ 3 ـ كتاب التكاليف، وهو في الفروع، وقد انفرد بذكره له صاحب هديّة العارفين قائلا: الجوزقاني، أبو عبد الله الحسين بن ابراهيم بن جعفر الجوزقاني (جوزقان جبل بحلوان) الفقيه الحنفي توفي سنة 543هـ، صنّف التكليف في الفروع.

المصادر والمراجع

• الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1377هـ/ 1958م؛ • خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت 1410هـ/ 1990م؛ • الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، سنة 1412هـ/ 1990م؛ • الصفدي، الوافي بالوفيات، دار النشر فرانز شتايز ب فيسبادن، ألمانيا، 1399هـ/ 1979م؛ • البغدادي، اسماعيل باشا، هديّة العارفين، ذيل على كشف الظنون، دار الفكر، بيروت 1410هـ/ 1990م.

د. حسن مزيو
جامعة الزيتونة ـ تونس

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن

(510هـ/ 1116م ـ 597هـ/ 1200م)

عبد الرحمٰن بن علي بن محمد بن علي القرشي التيمي البكري، مفسر ومحدث وفقيه، وواعظ وأديب، يلقّب بجمال الدين، ويكنّى بأبي الفرج أو بأبي الفضل، واشتهر بابن الجوزي. تذكر المصادر أن أصله يرجع إلى أسرة تنتسب إلى الخليفة أبي بكر الصديق، وقد اختلف في تاريخ مولده، فقيل: إنّه ولد ببغداد سنة 508هـ/ 1114م، أو سنة 510هـ/ 1116م، وقيل غير ذلك، وكتب بخطّه: «لا أحقق مولدي، غير أنه مات والدي في سنة 514هـ/ 1120م، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين». فعلى هذا يكون مولده سنة 511هـ/ 1117م. إلّا أنّ أغلب المؤرّخين رجّحوا ولادته سنة 510هـ/ 1116م.

نشأ يتيما إذ توفّي والده وهو في الثالثة من عمره، فتولّت عمّته تربيته، وعهد به إلى خاله ابن ناصر فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وعلوم القرآن [ابن العماد، شذرات الذهب، 33014]، ثمّ برع في الوعظ، حتّى قيل إنّ مجلسه كان يحتشد به الآلاف.

درس الحديث بمسند الإمام أحمد بن حنبل، واستمع في المدينة إلى أحاديث معمر بن عبد الواحد في الروضة النبويّة، وتعرّض بسبب حماسه في مجال الجرح والتعديل في مواجهة وضع الحديث لمعارك أدبيّة، ولم يسلم من نقده أحد حتّى أنّه نقد كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي.

وله جملة وفيرة من المشايخ ذكرهم في كتابه مشيخة «ابن الجوزي» نذكر منهم على سبيل المثال: أبا القاسم بن الحصين، وأبا عبد الله الحسين بن محمد البارع، وعلي بن عبد الواحد الدينوري، وأحمد بن أحمد

المتوكلي، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذّن، والفقيه ابن الزغواني، وأبا منصور الجواليقي.

وتتلمذ عليه جمّ غفير من طلبة العلم نذكر منهم: ولده العلامة محيي الدين يوسف، أستاذ دار المستعصم بالله، وسبطه الواعظ يوسف بن قزأغلي الحنفي صاحب «مرآة الزمان»، والحافظ الكبير عبد الغني المقدسي، والحافظ بن النجار، وغيرهم كثير.

وبالجملة فقد انتهت إليه معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه. وآل إليه الوعظ، ونبغ فيه، إذ تميّز به من سائر العلوم بين علماء عصره حتّى عرف بالواعظ البغدادي منذ زمن مبكر من حياته. وكان يحضر مجالس وعظه الخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء، فضلاً عن العامّة، يقدر عددهم بمائة ألف أو يزيدون. كما كان رأسا في التفسير بلا منازع، علامة في السير والتاريخ، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق.

بدأ التدريس في عصر الخليفة المكتفي (530هـ/ 1136م - 555هـ/ 1160م) يساعد أستاذه عبد الحكيم النهرواني (ت 556هـ/ 1161م)، وخلفه في التدريس بعد موته، كما أصبح واعظا كذلك في عهد هذا الخليفة. وقد سمح له الخليفة المستنجد (555هـ/ 1159م - 566هـ/ 1171م) بالوعظ في مسجد القصر. وقد أصبح مدرسا وخطيبا مرموقا في عصر الخليفة المستضيء (566هـ/ 1171م - 574هـ/ 1179م) وقد بلغ أوج عزّته سنة 574هـ/ 1179م إذ كان مديرا لخمس مدارس. لكن بدأ نجمه يأفل في عصر الخليفة الناصر (575هـ/ 1179م - 622هـ / 1225م)، وقد وضع ابن الجوزي تصنيفًا في نقد سياسة هذا الخليفة، وفي سنة 590هـ/ 1193م ألقي عليه القبض وأبعد إلى واسط، ودام إبعاده خمس سنوات.

لم يفُقْهُ في غزارة إنتاجه إلّا جلال الدين السيوطي فيما بعد. وشمل إنتاجه كل مجالات المعرفة، باستثناء النحو، والعقيدة، والعلوم الدقيقة. أغلب إنتاجه مؤلفات جامعة، أنكر ياقوت الحموي أصالتها. يقول ابن تيمية: «كان الشيخ أبو الفرج متفنّنا، كثير التصانيف، له مصنّفات في أمور كثيرة، حتّى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنّف، ورأيت له بعد ذلك ما لم أره». وقد نقده بعضهم.

وفي سبب تسميته بابن الجوزي أقوال، منها أنّ جدّه التاسع (جعفر بن عبد الله) نسب إلى فرضة - محطّ السفن - بالبصرة، ويقال لها: جوزة . . . ومنها أنّ دار جدّه كانت بها شجرة جوز لم يكن بالبلدة غيرها. فتعرف بالجوزي.

ويتناقل المؤرّخون أنّ ابن الجوزي كان لطيف الصوت، حلو الشمائل، مواظبا على القراءة والكتابة، لا يضيع من زمانه شيئا، يكتب في اليوم أربع كراريس، ويرتفع له في كلّ سنة ما بين خمسين مجلّدا إلى ستّين، وله في كلّ علم مشاركة.

على أنّ كثرة المؤلّفات لابن الجوزي لن تمنع العلماء من نقده، وقد وصفه بعضهم بأنّه: كثير الغلط فيما يصنّفه، وكان يصنّف الكتاب ولا يعتبره [معجم الأطبّاء، تاريخ الإسلام، النجوم الزاهرة].

آثاره

1 ـ أخبار أهل الرسوخ (بمقدار الناسخ والمنسوخ) من الحديث، ط. مع كتاب مراتب المدلسين لابن حجر عام 1322هـ/ 1904م؛ 2 ـ أخبار الحمقى والمغفّلين، ط. دار الكتب العلميّة، بيروت 1985م؛ 3 ـ الأذكياء، ط. مصر، عام 1304هـ/ 1886م، وسنة 1306هـ/ 1888م، وأعاد طبعه المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت د.ت، ثمّ تعدّدت طبعاته؛ 4 ـ أنيس الجليس؛ 5 ـ بحر الدموع؛ 6 ـ البر والصلة؛ 7 ـ بستان الواعظين ورياض السامعين، راجعه وقدم له سيد الجميلي، دار الريان للتراث، مطابع دار المعارف 1988م؛ 8 ـ تاريخ بيت المقدس، تح. محمد زينهم ومحمد غرب، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، مصر 1989م؛ 9 ـ التحقيق في أحاديث الخلاف، تح. مسعد عبد الحميد ومحمد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت 1994م؛ 10 ـ تذكرة الأريب في تفسير الغريب، تح. علي حسن البواب، مكتبة المعارف، الرياض د.ت؛ 11 ـ تقديم اللسان، تح. الدكتور عبد العزيز، دار المعارف، مصر د.ت، ط2؛ 12 ـ تلبيس إبليس، انظر نقد العلم والعلماء؛ 13 ـ تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، طبعت قطعة من هذا الكتاب باعتناء بروكلمان، وهو تاريخ على السنين، ليدن 1892م؛ 14 ـ تنبيه النائم الغمر علّة مواسم العمر، ط. ضمن كتاب «التحفة البهيّة، والطرفة الشهيّة»، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1401هـ/ 1980م؛ 15 ـ الحدائق في علم الحديث والزهديات، تح. مصطفى السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م؛ 16 ـ ذم الهوى، تح. مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، مصر 1962م؛ 17 ـ روح الأرواح، مختصر في المواعظ، المطبعة العلميّة 1309هـ/ 1891م؛ 18 ـ رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير، المطبعة الجمالية 1332هـ/ 1914م؛ 19 ـ زاد السير، 20 ـ زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي ببيروت، صدرت منه 9 أجزاء عام 1964م؛ 21 ـ سلوة الأحزان بما روي عن ذوي العرفان، منشأة المعارف بالإسكندريّة 1970م؛ 22 ـ سيرة عمر بن عبد العزيز، وفيه زيادات على كتاب «مناقب عمر بن عبد العزيز» الآتي، مطبعة المؤيد 1331هـ/ 1912م؛ 23 ـ صفة الصفوة، ط. حيدر أباد عام 1936 ـ 1937م، ثمّ حقّقه محمود فاخوري، دار الوعي، حلب 1969م؛ 24 ـ صيد الخاطر، تح. ناجي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق 1960م، 3 أجزاء؛ 25 ـ الظرفاء، ط. بومباي د.ت، والقاهرة عام 1332هـ/ 1913م؛ 26 ـ كتاب الضعفاء والمتروكين، تح. أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت 1986، ط 2؛ 27 ـ عجائب علوم القرآن، تح. عبد الفتاح عاشور، الزهراء للإعلام العربي 1989م؛ 28 ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تح. الشيخ خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت 1983م، جزءان؛ 29 ـ غريب الحديث، ط.؛ 30 ـ فضائل القدس، تح. جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979م؛ 31 ـ فنون

الأفنان في عيون علوم القرآن، نشر وتقديم أحمد الشرقاوي إقبال، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب 1970، وتح. حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت 1987، وتح. رشيد العبيدي، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1988م؛ 32 ـ القصاص المذكورين، تح. مارلين سوارتز، دار المشرق، بيروت 1971م؛ 33 ـ اللطف في الوعظ، ط.؛ 34 ـ المدهش، المؤسّسة العالميّة، بيروت 1973م؛ 35 ـ مشيخة ابن الجوزي، تح. محمد محفوظ، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1977، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1400هـ/ 1979م، ط 2 . . . الخ؛ 36 ـ المصباح المضيء في خلافة المستضيء، جزآن، تح. ناجية عبد الله إبراهيم، وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة العاني، بغداد 1996م؛ 37 ـ ملتقط الحكايات، ط. بهامش مختصر «رونق المجالس» للشيخ عثمان الميري 1309هـ/ 1891م؛ 38 ـ مناقب الإمام أحمد بن حنبل، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1993م؛ 39 ـ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت 1982، ط 2؛ 40 ـ مناقب عمر بن عبد العزيز، نشر مختصرا مع مقدمة بالألمانية للمستشرق بيكر في ليبزيغ، برلين 1899 ـ 1900م؛ 41 ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح. سالم الكرنكوي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد 1358هـ/ 1939م، ومصورة عن الطبعة الهندية 1357هـ/ 1938م، دار الثقافة، بيروت، 6 أجزاء؛ 42 الموضوعات، تح. عبد الرحمن محمد عثمان، مطبعة المجد مصر 1386هـ/ 1966م؛ 43 ـ مولد النبي، ط. حجر، مصر 1300هـ/ 1882م، ومطبعة جريدة الإقبال، بيروت 1330هـ/ 1911م؛ 44 ـ الناسخ والقرآن، دار الكتب العلمية، بيروت 1985م؛ 45 ـ نقد العلم والعلماء، أو تلبيس إبليس، صحّحه محمد منير الدمشقي، نشر إدارة الطباعة المنيرية د.ت؛ 46 ـ الواهيات، ط.؛ 47 ـ الوفا في فضائل المصطفى، نشر باعتناء بروكلمان، ثمّ تح. مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، مصر 1966م؛ 48 ـ الياقوتة في الوعظ، وفي كشف الظنون «ياقوتة الواعظ والموعوظ»، ط. مع كتاب «رونق المجالس» للشيخ عثمان الميري.

المصادر والمراجع

● الذهبي، تاريخ الإسلام، دار الكتاب العربي 1990م، ص 98؛ ● م. ن. تذكرة الحفاظ، مكتبة الحرم المكي، دار الكتب العلمية، بيروت 1954م، 3/ 45؛ ● م. ن. سير أعلام النبلاء، 21/ 365، تح. شعيب الأرناؤوط مؤسّسة الرسالة، 1990م، ط 7؛ ● م. ن. طبقات الحفاظ، ص 131؛ ● ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمّدية، القاهرة 1952م، 1/ 399؛ ● ابن العماد، شذرات الذهب، المكتب التجاري للطباعة، بيروت د. ت، 4/ 331؛ ● ابن الجزري، غاية النهاية، عني بنشره ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1980م، ص 375؛ ● ابن الدبيثي، المختصر المحتاج إليه، تح. مصطفى جواد، مطابع دار

الزمان، بغداد 1963، 2/ 205 ـ 208؛ • أبو المظفّر يوسف، مرآة الزمان، 8/ 481؛ • ابن الأنجب، مشيخة النعال البغدادي، تح. ناجي معروف، وبشار عواد معروف، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1975م، ص 140؛ • طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت، 1/ 207؛ • ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، دار الكتب المصريّة، 1932م، 1/ 174 ـ 176؛ • إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، مكتبة المثنى، بغداد د. ت، 5/ 520 ـ 523؛ • الكتاني، فهرس الفهارس، دار الغرب الإسلامي، 1982م، 1/ 226، ط 2؛ • بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، قسم 5/ 335، الهيئة المصرية العامّة للكتاب 1995م؛ • دائرة المعارف الإسلامية، 1/ 125...

د. أحمد متفكر
جامعة القاضي عياض
مراكش ـ المغرب
د. يوسف زيدان
جامعة القاهرة ـ مصر

ابن جوصاء، أبو الحسن أحمد بن عمير

(ت 320هـ/932م)

أبو الحسن أحمد بن عمير (وقيل، بن عمر) بن يوسف بن موسى بن جوصاء الدمشقي، مولى بني هاشم، ويقال مولى محمد بن صالح بن بيهس الكلابي [الذهبي، تذكرة الحفاظ، 3/ 795؛ كحالة، معجم المؤلفين، 2/ 37؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 2/ 285؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 498].

محدث بلاد الشام، جمع وصنف، وتبحر في الحديث النبوي الشريف وعلومه، فتكلم في علله ورجاله. قال أبو علي النيسابوري: كان ركنا من أركان الحديث. وقال محمد بن إبراهيم: كان ابن جوصا بالشام كابن عُقدة بالكوفة. وقال الدارقطني: تفرد بأحاديث ولم يكن بالقوي [ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 2/ 285].

توفّي في شهر جمادى الأولى سنة عشرين وثلاثمائة للهجرة الشريفة [كحالة، معجم المؤلفين، 2/ 37؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 2/ 285]، أثنى عليه الدارقطني وقال فيه: أجمع أهل الكوفة أنه لم يُر من زمان ابن مسعود إلى زمان ابن عُقدة أحفظ منه [الذهبي، تذكرة الحفاظ، 3/ 797 ـ 798؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 798]، ووثّقه الطبراني فقال: هو من الثقات، وقال أبو علي الحافظ النيسابوري:

حدثنا ابن جوصاء، وكان ركنا من أركان الحديث [الذهبي، تذكرة الحفاظ، 3/ 796؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 498].

وقال حمزة الكناني: عندي عن ابن جوصاء مائتا جزء ليتها كانت بياضا [الذهبي، تذكرة الحفاظ، 3/ 797].

وقال أبو ذر الهروي: سمعت أبا مسعود الدمشقي يقول: جاء رجل بغدادي يحفظ الى ابن جوصاء، فقال له ابن جوصاء: كلما أغربت عليّ حديثًا من حديث أهل الشام أعطيتك درهما، فلما يزل الرجل يلقي عليه ما شاء الله ولا يغرب عليه، فاغتمّ الرجل لذلك فقال له: لا تجزع، وأعطاه لكل حديث ذَكَره درهما، وكان ذا مال كثير [الذهبي، تذكرة الحفاظ، 3/ 796؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 498 ـ 499].

وقال أبو القاسم في «تاريخ دمشق»: ابن جوصاء شيخ الشام في وقته، رحل، وصنّف، وذاكر، وحدّث [الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 500].

سمع كثير بن عُبيد، وموسى بن عامر المُرِّيّ، ومحمد بن وزير، وعمران بن بكار، ويونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن عبد الله بن ميمون الإسكندراني، ومعاوية بن عمرو الحِمْصي، وصاحب حريز بن عثمان، ومحمد بن هاشم البعلبكّي، وعمرو بن عثمان الحِمْصي، وأبا التقي هشام بن عبد الملك اليزني، ويونس بن عبد الأعلى، وطبقتهم بمصر والشام [الذهبي، تذكرة الحفاظ، 3/ 795؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 2/ 285؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11/ 498].

سمع وحدّث عنه أبو القاسم الطبراني، وحمزة الكناني، وأبو علي الحافظ النيسابوري، وأبو أحمد الحاكم، وأبو أحمد بن عدي، والزبير الأسد أباذيُّ، وأبو بكر بن السني، وعبد الوهاب الكِلابي، وخلق سواهم [الذهبي، تذكرة الحفاظ، 3/ 795؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 2/ 285؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 499]، له «حديث» مخطوط في الظاهرية (مجموع 60، 59أ ـ 74أ، في القرن السادس الهجري) [سزكين، تاريخ التراث العربي، 1/ 349].

المصادر والمراجع

● الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي د.ت؛
● الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح. محب الدين العَمْروي، دار الفكر، بيروت، لبنان 1417هـ/ 1997م؛
● سَزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية 1411هـ/ 1991م؛
● ابن العماد، الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

د. نور الدين مختار الخادمي
جامعة الزيتونة ـ تونس

الجومرد، عبد الجبار بن محمد

(1328هـ/1909م - 1390هـ/1971م)

عبد الجبار بن محمد شيت الجومرد، من مواليد مدينة الموصل عام 1909م، نشأ في بيت علم ومعرفة دينية، إذ كان جدّه عبد الله من المشهود لهم بالتقوى والورع والتمسّك بالعلم وشعائر الدين، وكان والده من حفظة القرآن، متقنا للقراءات السبع والعناية بالشعر، وعرف بأسلوبه النثري الجميل وذوقه الأدبي الرفيع.

كان عبد الجبار يحضر مجلس أبيه الليلي لحفظة القرآن الكريم والشعراء، كما كان يحضر مجلس عائلة الحاج طالب الذي كان يحضره لفيف من العلماء والشعراء، وقد أسهم هذان المجلسان في بلورة مواهبه وإطلاق قدراته، كما كان لوالدته تأثيرها الكبير عليه إذ وجهته نحو القيم العليا والمثل الخلقية النبيلة. وإذا عرفنا أنه كان يرى أباه المولع بالعلم، يجيز العلماء ويوفر له مكتبة عامرة بكتب الأدب والفقه والتاريخ وبقية المعارف، أدركنا طبيعة الجو الفكري والثقافي الذي نشأ فيه عبد الجبار الجومرد. في عام 1914 أدخله والده الكتاتيب وهو في الخامسة من عمره ليتعلّم قراءة القرآن الكريم وحفظه، فقرأ القرآن وأتمّ ختمته وهو في الثامنة من عمره، ثمّ تنقل في الكتاتيب فكان أول عهده بها في جامع مريم خاتون وجامع الصاغة وجامع شط الجومة.

في عام 1921 دخل مدرسة القحطانية الابتدائية وفيها ظهرت أولى مشاعره الوطنية، ودخل المدرسة الثانوية عام 1925، وكان يلقى تشجيعا من أساتذته «إدرويش المقدادي» الفلسطيني الجنسية المعروف بنشاطه الوطني والقومي، ومدير مدرسته «هاشم السعدي» المعروف بميوله الوطنية الجياشة والذي شجعه على نظم الشعر، وكان من أساتذته رشيد الخطيب وأحمد الجوادي. وفي هذه المرحلة بدأت المشاعر الوطنية والقومية للجومرد في الظهور بشكل جلي.

وفي نهاية عام 1929 تخرج من دار المعلمين بعد أن أحرز درجة نجاح عالية، وعين في التعليم الابتدائي ثمّ نقل عام 1929 الى المدرسة المأمونية في بغداد.

قُبل في كلية حقوق بغداد في العام الدراسي 1931 - 1932 وخلال فترة دراسته الحقوق بدأت ملامح وعيه السياسي بالنمو والتبلور، لا سيما بعد مصاحبته لزملاء لهم نفس التطلّع الوطني والقومي حينذاك ومنهم: محمد صديق شنشل، ومحمد يونس السبعاوي، وعمر خلوصي، وحسين جميل، وفائق السمرائي، وخليل كنة، وعبد القادر إسماعيل، فضلاً عن المحاضرات القيّمة التي كان يتلقاها من أساتذته وفي مقدّمتهم: الشيخ أمجد الزهاوي، ورشيد عالي الكيلاني، وموفّق الآلوسي. وفي الوقت نفسه أخذ الجومرد بالتعرّف على قسم من رجال الصحافة

والسياسة، بل أخذ يكتب في الصحف بأسماء مستعارة. وفي عام 1932 التحق الجومرد بـ «المعهد العربي للحقوق» بدمشق، وهو تابع للجامعة السورية.

عمل الجومرد بعد عودته من دمشق محاميا في الموصل وأسهم بدور ريادي فاعل في تأسيس نادي الجزيرة 1935 - 1936، واستطاع الجومرد خلال فترة رئاسته النادي، أن يجعل منه واجهة ثقافية واجتماعية، لاسيما في أوساط الشباب، واصبح النادي في فترة رئاسته له محط اهتمام المثقفين ليس على صعيد الموصل فحسب، وإنما على امتداد العراق وخارجه.

التحق الجومرد بكلية الحقوق التابعة لجامعة باريس للسنة الدراسية 1938 - 1939 واستمر في هذه الجامعة حتى أواخر عام 1944 حيث نال الدكتوراه على اطروحته «الدستور العراقي عام 1925 في النظرية والتطبيق»، وعاد الى العراق بعد أن حصل على شهادتي دكتوراه في القانون والآداب من جامعة باريس، وكان لمكوثه في فرنسا ما يقرب العشر سنوات أثره في تطور وعيه السياسي وإغناء تجربته في الحياة.

في أوائل حزيران 1946 غادر الجومرد بغداد الى القاهرة والتحق بمقر عمله في الجامعة العربية ثمّ أصبح نائبا عن الموصل بالمجلس النيابي عام 1948 واستقال منه عام 1950 ليصبح أحد المؤسسين لحزب الجبهة الشعبية المتحدة في نيسان 1951، وانتخب معتمدا لفرع الحزب في الموصل، ثم انتخب في حزيران نائبا عن الجبهة الوطنية، واستقال من منصبه أيضا. وقد نال الجومرد في عمله النيابي تقدير واحترام من عرفه لمواقفه الوطنية والقومية وتعبيره عن رؤية اقتصادية واجتماعية متطورة، ومواقفه العميقة من قضية فلسطين والوحدة العربية.

أصبح الجومرد وزيرًا لخارجية العراق عام 1958، ثمّ استقال في 3 شباط. 1959 في تشرين الثاني 1966 اختارت رئاسة جامعة الموصل، الجومرد ليكون عضوا في تأسيس كلية الإنسانيات (الآداب فيما بعد).

عرف الجومرد بآثاره الجلية في القانون والأدب والتاريخ والشعر، وكان مثاليا ويغلب عليه طابع الحذر، فضلا عن اتّصافه بالعفّة والنزاهة والصدق، والتجرد عن الأغراض والترفع عن الدنايا، ويأنف الظلم بكل أشكاله ويترفع عن الصغائر، وكان صاحب نَفَس وطني وقومي يعمل من أجل الصالح العام.

توفي الجومرد في 30 تشرين الثاني عام 1971 عن عمر يناهز اثنتين وستين سنة وشيع الى مثواه الاخير في مقبرة عائلة الجومرد بالموصل.

آثاره

أ - المنشورة:

1 - الدستور العراقي لعام 1925 في النظرية والتطبيق، نشر عام 1941 بباريس باللغة الفرنسية؛ 2 - مأساة فلسطين العربية، صدر بباريس باللغة الفرنسية عام 1945؛ 3 - الأصمعي حياته وآثاره، بيروت 1955. وقد جاء في مقدّمة الكتاب قول الجومرد: «إن الأصمعي لم يكن مجهولا لدى قراء العربية، كما لم يكن في حياته محايدا ولا منطويًا على نفسه وعلمه وأدبه، بل كان عضوًا فعالاً في مجتمعه غزير الحيوية، متدفّق النشاط واسع الحركة، فقد تصدّى للشعوبيين

في محاولاتهم لطمس معالم الشخصية العربية ودورها الروحي والقومي الأصيل في صراع فكري عنيف»؛ 4 ـ هارون الرشيد، دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، نشرت ببيروت، وقد بين الجومرد الأسباب التي دعته الى الكتابة عن شخصية الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي عده ضحية لافتراءات الشعوبية التي شوهت سجل حياته، وخلقت من شخصه أسطورة تلتف حولها الدسائس حتّى تدارك الأمر بنفسه ووضع أخيرًا حدًا لدسائسهم على العروبة والاسلام؛ 5 ـ يزيد بن مزيد القائد الأعلى لدولة هارون الرشيد، بيروت 1961. يعد هذا المؤلف من أبرز مؤلفات الجومرد التاريخية، ولقد استهدف الجومرد بمؤلفه هذا التعمق في التاريخ العربي وتحقيق التفاعل بين الماضي والحاضر لتأخذ الأمّة مكانتها بين الأمم الأخرى الناهضة التي تعمل على دفع الشر والأذى عن نفسها، وتجتهد في غرس قيم الخير وخدمة الانسانية جمعاء؛ 6 ـ ابو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس، بيروت 1936، ويعد مؤلف الجومرد هذا من المؤلفات القيّمة، لما استند عليه من مصادر أساسية ومراجع عربية وأجنبية فرنسية وانكليزية، وقد جسد فيه سيرة المنصور الذي شهد له التاريخ بأنه أحد أبطال التاريخ العربي الخالدين ودهاة سياسة الامة العربية وبناة مجدها. وقد تتبع الجومرد بعمق وإدراك الحقائق مبرزا دور المنصور في الدفاع عن العروبة والاسلام. وامتازت مؤلفات الجومرد المنشورة بجمال الاسلوب وسلاسته، وبتحليله العميق والمدروس للأحداث والوقائع التاريخية، فقد كان يجمع المصادر الاساسية ويعتمد عليها محللا وناقدا، ويستطلع في الوقت نفسه الأخبار ويحلل ويدرس آراء النقاد والمؤرخين.

ب ـ غير المنشورة:

للجومرد كتاب «تاريخ الموصل» وهو مخطوط في عشرين فصلا، ويدرس فيه الموصل منذ آلاف السنين وحتّى وفاته عام 1971. وله مخطوط «العراق في طريق الثورة الاجتماعية»، ومخطوطة «محور النجاة» المكرس لدراسة القضية الفلسطينية. كما له مخطوطة كتاب بعنوان «القناديل الثلاثة» يدرس فيه سِير ثلاثة قادة هم: عماد الدين زنكي، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، وهم بمثابة قناديل حملوا الراية التي وضعت حدا للغزو الصليبي الاستعماري. وله مخطوط «سياسة العراق الخارجية».

المصادر والمراجع

● كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين 1900 ـ 1969، المجلد الثاني، بغداد 1969، ص 221 ـ 213؛ ● نذير، عدنان سامي، عبد الجبار الجومرد نشاطه الثقافي ودوره السياسي، شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة، بغداد 1991م؛ ● الزركلي، الأعلام، 8، ص 274؛ ● أكرم فاضل، ذكرى الدكتور الجومرد، جريدة التآخي، العدد 937 في 13 كانون الثاني 1972، ص 3؛ ● مجلة الجامعة، جامعة الموصل العدد السابع، كانون الثاني 1972، ص 58 ـ 59.

د. نجمان ياسين
جامعة الموصل ـ العراق

جومي، أبو بكر بن محمود

(1341هـ/ 1922م ـ 1413هـ/ 1993م)

يعد الفقيه أبو بكر بن محمود جومي من أبرز علماء نيجيريا في العصر الحديث. ولد سنة 1341هـ/ 1922م بقرية من قرى ولاية سكتو تدعى جومي (أو غومي). وكان والده محمود قاضيا بهذه القرية ومن أشهر العلماء في ولاية سكتو التي تقع في المنطقة الشماليّة من الجمهوريّة الفدراليّة النّيجيريّة. وقد كانت عاصمة الدّولة الإسلاميّة التي أسّسها في أوائل القرن التّاسع عشر الميلادي الشّيخ عثمان بن فودي زعيم الحركة الإصلاحيّة في هذه البلاد. وكانت اللّغة العربيّة منذ ذلك التّاريخ محلّ عناية المسلمين في هذه المنطقة. فقد كانت أهمّ لغة في نشاطهم الثّقافي، بل إنّها كانت اللّغة الرّسميّة في عهد الخلافة السّكتيّة.

نشأ أبو بكر بن محمود في بيئة إسلاميّة صار تحصيل الثّقافة العربيّة الإسلاميّة منتظما في مؤسسات تعليميّة منتشرة في مختلف أرجاء الولاية. فبدأ تعلمه الابتدائيّ في مدرسة بـ «دوغن داجي». ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة الوسطى بكستو. فأحرز بها شهادة المعلّمين. وفي سنة 1362هـ/ 1943م تحوّل إلى مدينة كانو (Kano)، فالتحق فيها بمدرسة الحقوق المعروفة اليوم بمدرسة العلوم العربيّة بكنو، وظلّ فيها مدّة خمس سنوات تمكّن خلالها من التوسّع في تعلّم اللّغة العربيّة ودراسة بعض العلوم الإسلاميّة.

وفي سنة 1366هـ/ 1947م رجع إلى سكتو ليتولّى خطّة القضاء في إحدى قراها. ثمّ عاد عام 1370هـ/ 1951م إلى مدرسة العلوم العربيّة بكنو ليشتغل فيها مدرّسا. ومن ثمّ انتقل إلى مرو في ولاية سكتو لينهض فيها بمهمّة التّدريس أيضا. إلّا أنّه لم يمكث هناك طويلا. فقد اختير سنة 1372هـ/ 1953م ضمن بعثة تعليميّة إلى بخت الرّضا بدولة السّودان. وبعد ثلاث سنوات من الدّراسة عاد إلى نيجيريا. وذلك سنة 1375هـ/ 1955م.

لا نعلم شيئا حتى عن الشّهادة العلميّة التي أحرزها في السّودان. لكنّه نال في بلاده ثلاث شهادات كبرى: هي الدّكتوراه الفخريّة التي أسندت له من جامعة أحمد بلّو - زاريا، ودكتوراه فخريّة ثانية تحصّل عليها من جامعة إبادن. كما منحه الدّرجة العثمانيّة الحاجّ أحمد بلّو رئيس الوزراء بشمال نيجيريا آيامئذ. ولا شكّ إذن أنّ الرّجل كان طويل الباع في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة. وقد خوّلته هذه المنزلة العلميّة تقلّد عدد من المناصب الهامّة، منها ما يلي:

- مدير حجّاج شمال نيجيريا من 1955 ـ 1960م،
- نائب رئيس قضاة شمال نيجيريا 1962 ـ 1975م،

- عضو مجلس جماعة نصر الإسلام بنيجيريا،
- عضو مجلس رابطة العالم الإسلاميّ بمكّة المكرّمة،
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة في نيجبريا،
- عضو مجلس الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة.

لقد نهض الشيخ أبو بكر بدور هامّ في نشر الإسلام وتركيز دعائمه في بلاده، حيث كان مواظبا على الدّعوة إلى هذا الدّين وإرشاد النّاس إلى أقوم آدابه وتعاليمه. وقد نجح في أسلمة جمع غفير من الإحيائيّين والمسيحيّين. كما أولى في مختلف مراحل حياته عناية خاصّة بالتّعليم، فكان يشجّع الشّباب والكهول على التّفقّه في الدّين. ويروى أنّه ظلّ يعلّم طلّاب العلم بمنزله في كدونا، وهم طلبة كانوا يأتونه من مختلف أرجاء البلاد. كما ألّف كثيرا من الكتب.

وهناك بعض الاختلاف في تاريخ وفاته. إذ يحدّده بعضهم بسنة 1992م. بينما يذهب غيرهم إلى أنّه كان عام سنة 1413هـ/1993م. ومهما يكن من أمر فقد كان من كبار المفكّرين وقادة الفكر الإسلاميّ في نيجيريا. وقد مارس لتحقيق ذلك نشاطات متعدّدة، منها الدّعوة والتّربية والتّعليم. وكان من علوّ شأنه ورفعة منزلته في بلاده أنّ حكومة نيجيريا الفدراليّة منحته وسام الدّرجة الفخريّة الوطنيّة. وكان من أهميّة دوره في نشر الفكر الإسلاميّ أن نال جائزة الملك فيصل بن عبد العزيز العالميّة عام 1987م.

آثاره

1 - العقيدة الصّحيحة بموافقة الشّريعة، نشر بالدار العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت 1972م. وترجم إلى لغات عديدة منها الإنجليزية؛ 2 - ردّ الأذهان إلى معاني القرآن الكريم (تفسير القرآن)، نشر هذا الكتاب بالدار العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت 1979م؛ 3 - الإسلام وما يبطله.

وله كتاب آخر في تفسير القرآن باللّغة الهوسويّة. كما أنّ له ديوان شعر لا يزال مخطوطا. هذا كما جمع الشّيخ إلى الاختصاص بعلم التّفسير قرض الشّعر، ومن ذلك قوله في رثاء أحد أمراء كنو:

عاشرت قومك بالإحسان غايته
حتّى احبّك اعدى النّاس وانخذلا

المصادر والمراجع

● موسى، سليمان، الحضارة الإسلاميّة في نيجيريا، دار الفكر للطّباعة والتّوزيع والنّشر، دمشق 2000م. هذا المرجع مجموعة من المحاضرات ألقاها صاحبها في جامعة عثمان بن فودي بسكتو. ونجد فيه المعلومات الأساسيّة حول حياة الشّيخ جومي؛ ● غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، حركة اللّغة العربيّة وآدابها في نيجيريا، شركة العبيكان للطّباعة والنّشر، الرّياض 1993م.

د. وليلاي كندو
جامعة بوركينا فاصو

الجونبوري، عبد الرشيد بن محمد العثماني

(1000هـ/1591م - 1083هـ/1672م)

هو شمس الحق شيخ محمد رشيد بن محمد مصطفى العثماني الجونبوري (الهندي) الذي اشتهر فيما بعد باسم «ملا عبد الرشيد»، وقد ذكر صاحب خزينة الأصفياء أنه كان يسمى أولا باسم «محمد رشيد» وكان يحب أن يخاطب بهذا الاسم، ولذلك استعمله في المراسلات.

ولد ملا عبد الرشيد الجونبوري في إحدى قرى «جونبور» سنة 1000هـ/ 1591م. درس العلوم الأولية في موطنه، ثم أكمل تعليمه على يد محمد أفضل الجونبوري، والمفتي نور الحق الدهلوي. مال في مقتبل عمره إلى التصوف والعزلة، لكن الشيخ طيب البنارسي نصحه بالانتهاء من تحصيل العلوم أولا، وله أن يأخذ البيعة على أي طريقة شاء فيما بعد. وهكذا استمر في تحصيل العلم لفترة طويلة، ثم ترك كل شيء، وأقبل على كتب التصوف، فانشغل بمطالعتها وبخاصة كتب ابن العربي، وقد سمع الإمبراطور شاهجهان عن ذيوع صيته، وعن شهرته فأرسل في طلبه؛ لكنه رفض الخروج من صومعته، وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى، وهو يصلي فجر يوم الجمعة، التاسع من شهر رمضان المبارك سنة 1083هـ/ 1672م.

للجنبوري عدد كبير من التلامذة العلماء منهم: الشيخ محمد نعيم بن مفتي محمد فائض الصديقي الأودي ثم الجونبوري (المتوفى 1120هـ/ 1707م)، ومحمد جميل بن المفتي عبد الجليل الصديقي (1055هـ - 1123هـ/ 1645م - 1711م).

آثاره

1 - رسالة بعنوان «الآداب الرشيدية»، وهي في آداب المناظرة، وكانت تدرس ضمن مناهج مدارس الهند، وهذا الفن أضيف لأول مرة إلى مواد المنهج الدراسي في مدارس الهند؛ 2 - حاشية شرح العضدية في أصول الفقه؛ 3 - شرح هداية الحكمة في الفلسفة؛ 4 - خلاصة النحو وشرح أسرار المخلوقات لشيخ أكبر وغيرها.

كما له أيضا مؤلفات بالفارسية، منها عدة رسائل في التصوف، وقد كان يقرض الشعر بالفارسية واسمه الأدبي الذي يوقع به كتاباته (تخلصه) أما الاسم الذي يستخدمه في الشعر فكان «شمسي» وخلف ديوان شعر بالفارسية.

وعدا «الآداب الرشيدية» أو كما يقال «الرشدية» فبقية مؤلفاته المذكورة لا وجود لها، وموضوع «الآداب الرشيدية» أو «الرشدية» فهو في الجدل المنطقي والرسالة، وهي في الأصل شرح متداخل مع الكتاب الشهير «الآداب الشريفية في المناظرة» من تأليف السيد شريف (شيخ) علي بن محمد الجرجاني (ت 816هـ/ 1413م) والذي اشتهر باسم مير سيد شريف الجرجاني، والعجيب

أن شرح الشيخ عبد الرشيد الجونبوري قد غطى على الأصل، حتى نسي الناس الأصل، وصار أهل العلم يذكرون الرشيدية بدلا من «الآداب الشريفية».

وهناك علماء آخرون كتبوا شروحا للآداب الشريفية، منهم ملا عبد الباقي بن غوث الإسلام صديقي الجونبوري (ت 1086هـ/1677م) وله شرحان هما «الآداب الباقية» و«الأبحاث الباقية»، كما كتب العلامة أمان الله بن نور الله الحنفي (ت 1133هـ/1720م) حاشية على الرشيدية، لكن أيا من الشروح التي كتبت لم تنل الشهرة التي نالتها «الرشيدية» بين أهل العلم، ربما لأن شرح الشيخ عبد الرشيد الجونبوري أكثر تفصيلا وغزارة من الشروح الأخرى، وقد صدرت طبعات عديدة لـ «الآداب الرشيدية» منها طبعة ميرته عام 1860م، وطبعة لكهنو 1263هـ، وأيضا عام 1288هـ، وهناك طبعة عليها حواش للشيخ عبد الحي اللكهنوي (1304هـ) صدرت في لكهنو عام 1871م.

اتبع الشيخ عبد الرشيد في شرحه نفس التقسيم والترتيب الذي اتبعه المؤلف مير سيد شريف الجرجاني في «الآداب الشريفية»، وهكذا جاء كتابه الآداب الرشيدية في مقدمة، وتسع مقالات مع خاتمة جعلها بابا مستقلا لمناقشة بعض المسائل.

تناول في المقدمة كل فروع العلم، معرفا المناظرة بأنها مناقشة بين معارضين في موضوع معين بهدف الوصول إلى الحقيقة، وعرف المناقشة بأنها علة صورية، والمعارضة بأنها علة فاعلية والموضوع بأنه علة مادية، وأخيرا الحقيقة بأنها علة غائية، ثم يناقش مثلا في المقالة الثالثة موضوع النصوص والمراجع التي قد يطلب الاستشهاد بها، وفي النهاية ينصح القارئ ألا يناقش إذا كان كل من المدعي والسائل، ليسا جادين في المناظرة كما يجب أن تكون، أو يكونان قد ارتكبا مغالطة عن عمد، وهو هنا يضيف ثمانية أمور هي في رأي الإمام فخر الدين الرازي ضرورية للمناظرة، ولأن الشرح مختلط بالأصل، لهذا يحتاج الأمر إلى تدقيق، لسلخ الشرح عن الأصل، ومعرفة ما كتبه المؤلف الأصلي، وما كتبه الشارح، وهذا نموذج مما جاء في الصفحات الأولى من الرشيدية: «المناظر مأخوذ إما من النظير، بمعنى أن مأخذها شيء واحد، وهو النظر أو من النظر بمعنى الإبصار، أو بمعنى التفات النفس إلى المعقولات، والتأمل فيها أو بمعنى الانتظار المقابلة».

المصادر والمراجع

● عبد الحي، نزهة الخواطر، حيدر آباد الدكن، م 5، ص 367 - 370؛ ● غلام علي، آزاد بلكرامي، مآثر الكرام، مطبع مفيد عام آكرا 1328هـ، ص 303 - 304؛ ● جميل، أحمد حركات، التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي، جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي دون تاريخ، ص 86 - 87 و173 - 174؛ ● جامعة البنجاب (مجموعة من الأساتذة)، تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند عربي أدب دوسري جلد، طبع المكتبة العلمية لاهور 1972م، ص 305 - 307.

د. سمير عبد الحميد إبراهيم
جامعة القاهرة - مصر

الجونبوري، عبد القادر بن خير الدين العمادي

(1146هـ/1733م - 1202هـ/1787م)

العالم الفاضل والشاعر القدير عبد القادر بن خير الدين العمادي الجونبوري. ولد بمدينة جونبورلا الكائنة في شمال شرقي الهند في ينة 1146هـ/ 1733م. نشأ وترعرع فيها وتلقى الدروس الإبتدائية في مسقط رأسه، ثم بدأ يختلف إلى بعض المدن والأمصار المتواجدة في الإقليم الشمالي للهند، وارتوى نهمه العلمي والأدبي من حياض العلماء الكبار الذين كان لهم قصب السبق في مختلف المجالات العلمية والأدبية، ولما تزوّد بالملكة الأدبية والمكانة العلمية توجّه إلى مدينة كلكته التي كانت حينذاك محط العلماء والأدباء ومهبط العلوم الحديثة والثقافة الأجنبية التي أتى بها الاستعمار الغربي لنشرها في ربوع الهند.

ففي هذه المدينة شاهد العلامة الجونبوري عن كثب التغييرات التي قد طرأت على المجتمع الهندي بفضل العلوم والتكنولوجيا الحديثة، وتأثر بها إلى حدّ أنه شمر عن ساعده لدراسة بعض العلوم الغربية. وسرعان ما أصبح قادرا على مطالعة الكتب الإنجليزية واستيعاب مفاهيمها. وخير شاهد على هذا كتابه «المحاكمة بين العلوم الشرقية والغربية». وله مؤلفات أخرى في الموضوعات الحديثة مثل كتاب في علوم الكيمياء الحديثة، وكتاب في «التعقيب على باكون - المغربي» ففي هذا الكتاب رد عبد القادر على راجور باكون الإنجليزي (ت 1629م) الذي أثار الشكوك في التعاليم الإسلامية، ومن الملاحظ أنّ عبد القادر في هذه المحاولة لم يقتصر على المراجع العربية فحسب، بل استفاد كثيرًا من الكتب الإنجليزية المتعلّقة بالموضوع.

كان الشيخ عبد القادر قوي الحافظة، واسع المطالعة، متّقد الذهن، ثاقب الفكر، شديد الحساسية تجاه الشعائر الإسلامية. فكانت شخصيته ملتقى الثقافتين الغربية والشرقية، ولكن اطلاعه على العلوم الحديثة لم يكن على حساب العلوم الإسلامية والمعارف الدينية. وتتبلور هذه الحقيقة في مؤلفاته القيّمة التي تنم عن غزارة علمه وتمكّنه من أساليب البيان في اللغة العربية، فخلف وراءه عدّة كتب تعالج مختلف الفنون والعلوم العربية. فله رسائل وأبحاث في العروض والموارث والعقائد والعوامل النحوية، كما له أراجيز وقصائد ومنظومات في الجوانب المختلفة للغة الهندية والعربية. وشعره بالعربية يبرهن على قدرته الفائقة على إتقان اللغة العربية وأساليبها، فكان ينظّم القصائد والأراجيز بالعربية بدون تكلّف أو تصنّع. وقد جمع شعره العربي في صورة ديوان ما يزال مع الأسف حتى الآن في عداد كتبه المفقودة، بينما نجد في كتب التاريخ بعضًا

من شعره يمدح فيه الشيخ ولي الله الدهلوي في قوله:

يا من يكلُ به سيرًا يبلّغُهُ
دارَ الخلافة بلّغ حين تأتيها

منّي السلامَ وما لا زال يتبعه
من المشوق إلى نفس يواليها

إلى مقيم بها قد زادها شرفا
ورفعة حين يدعى في أماليها

ذاك الولي الرضيُّ العالِم العلَم
محيي المكارمِ باديهَا وخافيها

إشتاقها أذني والعين فاقدة
يطول آثاره أو كتب داعيها

المصادر والمراجع

- الندوي، رضوان علي، اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية، ص310؛
- عبد الحي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والمناظر، المجلّد السابع، ص323.

د. محمد أسلم إصلاحي
جامعة جواهر لال نهرو ـ الهند

الجونبوري، الشيخ محمود بن محمد الفاروقي

(993هـ/1585م ـ 1062هـ/1651م)

هو مولانا محمود بن محمد الفاروقي الجونبوري، ورد ذكره في بعض الكتب محمد بن محمد، والصحيح محمود بن محمد. ولد في جونبور عام 993هـ/ 1585م. تلقى العلم على يد أستاذه مولانا محمد أفضل الجونبوري المازندراني، قضى حياته في التعليم والتأليف، وقد ذاع صيته. قدم إلى بلاط شاهجهان، لكنه لم يلق ترحيبا من رجال البلاط أو بالأحرى من وزراء شاهجهان. فعاد أدراجه، إلا أن بعض المؤلفين يذكرون أنه كان من العلماء المقربين في بلاط شاهجهان. وعلى كل حال فقد استدعاه الأمير شجاع إلى البنغال، وهناك قضى مدة، بايع خلالها الشيخ نعمت الله الفيروزبوري على الطريقة، وقد أعياه المرض، بالإضافة إلى موت أستاذه مولانا محمد أفضل، ويقال إنه لم يبتسم مرة واحدة بعد وفاة أستاذه، إذ كانت وفاة الأستاذ صدمة كبيرة للتلميذ، فلم يعش بعده سوى أربعين يوما، إذ وافته المنية في التاسع من ربيع الأول 1062هـ/ 22 فبراير 1652م.

كان الشيخ محمود الجونبوري عالما بارزا في عصره، وقد عاصر عالمين جليلين، كان لهما مكانة في مجال الأدب هما عبد الرشيد الجونبوري، وعبد الحكيم السيالكوتي، وقيل إنه لم يظهر بالهند مثل فاروقين، أحدهما في علم الحقائق وهو مولانا الشيخ أحمد السر هندي... والثاني في العلوم الحكمية (أي

الفلسفة) والأدبية وهو المُلّا محمود بن محمد الفاروقي [آزاد في السبحة].

كان الشيخ ماهرا في الكتابة، وكان له اليد الطولى في مجالس العلم، لكنه لم يكن ماهرا في الخطابة بنفس الدرجة التي كان عليها في الكتابة. ويعد كتابه «الشمس البازغة» الذي هو شرح لمتن كتابه المختصر «الحكمة البالغة» من الأعمال الشامخة بين كتب الفلسفة نظرا لسلاسته وسهولة عباراته، وهو يدرس حتى اليوم ضمن مناهج المدارس النظامية في شبه القارة الهندية.

وهكذا نال كتاب «الشمس البازغة» شهرة واسعة، وقبولا كبيرا بين كتب علماء الهند الذين صنفوا بالعربية في شبه القارة. وبالإضافة إلى أنّ الكتاب لا يزال يدرس ضمن مناهج المدارس النظامية منذ مئات السنين، فقد أقرته بعض جامعات شبه القارة الهندية الباكستانية ضمن مناهجها التعليمية أيضا، كما كتب عدد كبير من العلماء حواشي وشروحا عليه، سيأتي ذكرها فيما بعد.

ومن العجيب أن الشيخ محمود الجونبوري قد أكمل تأليف كتابه «الحكمة البالغة» في مرض وفاته، وكان الشيخ ينوي أن يتضمن كتابه هذا فروع العلوم العقلية الثلاثة: أي المنطق والطبيعيات، وما بعد الطبيعيات، وكان ينوي - كما ذكر زبيد - أن يكمل ستة أو ثمانية فصول من الطبيعيات، وكتب فقط فصلين منها. لكن الظروف التي كان يمر بها لم تسمح له بذلك، وبقي الفرعان المنطق وما بعد الطبيعيات من دون أن يشرح في الكتابة عنهما.

آثاره

1 - الشمس البازغة، وهو في الأصل شرح لكتابه «الحكمة البالغة»، وهكذا فهو يشير في كتابه «الشمس البازغة» حين يذكر عبارة متن «الحكمة البالغة» بكلمة «قلت» بينما يشير في عبارة كتابه «الشمس البازغة» بكلمة «أقول». ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فنون أي أبواب:

الفن الأول: بحث في السماع الطبيعي ويشتمل على مقالتين: الأولى في بيان مبادئ الأجسام، والثانية في اللواحق العامة للأجسام.

الفن الثاني: بحث في السماء والعالم ويشتمل على مقالة واحدة.

الفن الثالث: بحث في الكون والفساد، ويشتمل على مقالة واحدة ثم وافته المنية قبل أن يكملها.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب طبع في لكهنو لأول مرة عام 1280هـ/ 1863م.

2 - بالإضافة إلى الحكمة البالغة، وشرحه الشمس البازغة، الذي شاع وانتشر بين العلماء، فإن له أيضا كتابا بعنوان «الدوحة الميادة في حقيقة الصورة والمادة» أكب عليه علماء الهند كما أكبوا على بقية مؤلفاته بالدرس، وقد طبع بالمطبعة العلوية في لكهنو عام 1278هـ في آخر الشمس البازغة ومعه رسالة في تحقيق الكلّي الطبيعي، ورسالة في بحث ارتفاع النقيضَين وطبع أيضا عام 1308 هجرية مع الرسالتين المذكورتين.

اهتم العلماء بدراسة «الدوحة الميادة في حقيقة الصورة والمادة»، وهو بحث في

مناقشة الشكل والموضوع، وهو يذكر أن المفكرين اتفقوا على أن في الوجود الطبيعي ما يخضع للتغيرات ويقبلها ولكنهم اختلفوا في الخاضع للطوارئ ـ ما هو؟ فالحكماء الإشراقيون يجعلونه نفس الجسم ـ ماهية الجسم ـ والمتكلمون من رأيهم أنه الجزء الذي لا يتجزأ من الجسم، بينما الحكماء المشّاؤون استشهدوا بنظرية أن كل وجود مادي يتركب من جزئين جوهريين لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالأول هو المادة أي الهيولي والثاني هو الصورة، فلا تتكون صورة من غير مادة ولا تتشكل مادة من دون صورة، والمؤلف يؤيد هذه النظرية وينقض ما دونها.

وقد أشار زبيد إلى أن الكتب الثلاثة من مؤلفاته الخطية وذكرها هكذا «الرسالة في تحقيق الكلي الطبيعي»، و«الرسالة في الكليات».

أما «الشمس البازغة» فقد تعددت طبعاته ومنها:

طبعة المطبعة العلوية لكهنو 1278هـ، وطبعة أخرى في لكهنو عام 1380هـ/ 1873م، وطبعة في لودهيانه سنة 1280 هجرية مع حاشية العلامة حمد الله السنديلي المتوفى 1160هـ/ 1747م، وهو الشارح الشهير لكتاب «سلم العلوم» لمحب الله البهاري كما يذكر زبيد، وصدرت طبعة أخرى في لكهنو 1208هـ مع حواش لمحمد عبد الحق اللكهنوي.

وقد كتب كثير من العلماء حواشي على الشمس البازغة، فبالإضافة إلى حاشية العلامة حمد سابق الذكر وشرحه للشمس البازغة، كتب نظام الدين وهو من أكابر علماء فرنكي محل (ت 1161هـ/ 1747م)، شرحا نال قبولا عاما في الهند. وهناك عدة حواش منها حاشية كتبها المفتي ظهور الله بن محمد ولي بن غلام مصطفى الأنصاري الفرنكي محلي (متوفى 1256هـ/ 1840م)، وحاشية أخرى بقلم الملا أحمد حسين ابن السيد كرم حسين الزنكي بوري (ت 1272هـ/ 1855م)، وحاشية بقلم الشيخ محمد بن عبد الحليم بن أمين الله الأنصاري الفرنكي محلي (1239 ـ 1285هـ/ 1824م ـ 1867م)، وهناك حاشية على الشمس البازغة طبعت بالمطبعة اليوسفية في لكهنو قبل سنة 1312 هـ، وحاشية بقلم الشيخ أبي الحسنات محمد عبد الحي بن عبد الحليم بن محمد أمين الأنصاري (1264 ـ 1302هـ/ 1847 ـ 1884م) طبعت بالمطبعة المصطفانية في لكهنو، وقد اهتم بنشرها خادم حسين؛ 3 ـ كان للشيخ محمود بن محمد الفاروقي الجونبوري باع طويل في علوم البلاغة أيضا، والشاهد على ذلك كتابه الموسوم بـ «كتاب الفوائد» وهو شرح لكتاب عضد الدين الإيجي «الفوائد»، كان قد حمله إلى بلاط شاهجهان، لكن وزير شاهجهان لم ينصفه فعاد من حيث أتى؛ 4 ـ بالإضافة إلى ما ذكرنا من مؤلفاته نشير إلى حاشية مير قطبي حرز الإيمان، وكان قد كتبها في الأصل ردا على «التسوية» للشيخ محب الله آبادي، وله أيضا رسالة في أقسام النساء بالفارسية كما أن له ديوان شعر بالفارسية أيضا.

المصادر والمراجع

- عبد الحي، نزهة الخواطر، ط. حيدر آباد (دائرة المعارف) الدكن 1947م ـ

1959م، مجلد 5، ص 397 ـ 399، مجلد 6، ص 295؛ ● غلام علي آزاد بلكرامي، سبحة المرجان في آثار هندوستان، بمباي 1303هـ/ 1884م، ص 53 ـ 54؛ ● غلام علي آزاد بلكرامي، مآثر الكرام، تقديم عبد الحق مطبع مفيد عام آكرا 1328هـ/ 1910م، ص 202؛ ● زبيد أحمد، الآداب العربية في الهند، الترجمة في مجلة ثقافة الهند، المجلد الخامس العدد الأول، ص 47، 53، 62؛ ● جميل أحمد، حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي، جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي (د. ت)، ص 85، 158؛ ● يوسف سركيس، معجم المطبوعات العربية، مصر 1928م؛ ● بنجاب يونيورسيتي (مجموعة من الأساتذة)، تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند دوسري جلد عربي أدب، طبع المكتبة العلمية لاهور 1972م، ص 278.

د. سمير عبد الحميد إبراهيم
جامعة القاهرة ـ مصر

جوهري، الشيخ طنطاوي

(1287هـ/ 1870م ـ 1358هـ/ 1940م)

الحكيم الإسلامي الشيخ طنطاوي جوهري، له إسهامات متعدّدة في مجالات التفسير، والدعوة الإسلاميّة، والنهضة الحديثة، والإصلاح الاجتماعي، والفلسفة قراءة وبحثا، تأليفا وترجمة، دراسة وتدريسا. وهو صاحب رؤية يوتوبية في إصلاح العالم والسلام الدولي على طريقة الفيلسوف الألماني كانط.

ولد بقرية عوض الله حجازي من قرى الشرقيّة بمصر. وتعلّم في الأزهر مدّة، ثمّ في المدرسة الحكومية حيث تعلّم اللغة الإنجليزية. وبعد تخرّجه قام بالتدريس في عدد من المدارس الابتدائية الحكومية، ثمّ في دار العلوم والجامعة الأهليّة القديمة بمصر، حيث ألقى عددا من المحاضرات في الفلسفة. شارك في الحركة الوطنيّة المصريّة، وكتب عدّة دراسات في جريدة الحزب الوطني عن نهضة الأمم وحياتها، وصنّف عدّة مؤلّفات.

ولقد عرف الشيخ «بالمفسّر» حيث أبرز كلّ من محمد حسين الذهبي في «التفسير والمفسّرون»، ومصطفى الحديدي في «اتّجاهات التفسير في العصر الحديث»، وبنت الشاطىء في «القرآن الكريم والتفسير العصري» الناحية الدينية في خطابه، اعتمادا على تفسيره «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» وما يرتبط به من كتابات مثل: «التاج المرصّع بجواهر القرآن والعلوم» و«القرآن

والعلوم العصريّة» حيث يعدّ تفسيره موسوعة علميّة ضربت في كلّ فنّ ممّا جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الرازي.

وهناك قراءة ثانية تتناول الشيخ رائدا من روّاد البحث الروحاني اعتمادا على كتابه «الأرواح» الذي يدافع فيه عن علوم الروح، محاولا التوفيق بين الآراء الدينيّة أو الصوفيّة وشبيهاتها في العلوم الروحيّة الحديثة. ويقدّم لنا هذه الصورة كل من عبد الجليل راضي في «مجلّة الروح»، ورؤوف عبيد في فصل «الإنسان روح لا جسد».

وهو أيضا «الكاتب الأديب طنطاوي جوهري» وهذه القراءة الثالثة نجدها لدى محمد حسين الذي يضع الشيخ داخل الاتّجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، فقد كانت لديه ثقة كبيرة في نهضة المسلمين واستعادتهم مجدهم، وعمارتهم الأرض، وإصلاحهم ما آل إليه أمرهم من فساد واضطراب. تجد هذه القراءات ما يؤكّدها، ليس فقط في كتب الشيخ الأدبيّة مثل «مذكّرات أدبيّات اللغة العربيّة»، و«سوانح الجوهري»، و«جوهرة الشعر والتعريب»، بل أيضا في كتاباته الأخرى التي يتحدّث عن الطبيعة الإنسانيّة مثل كتبه عن «الزهرة في نظام العالم والأمم»، و«جمال العالم»، وكتابه «أين الإنسان؟» الذي وضعه على هيئة رواية.

ويمكن القول إنّ مجمل كتابات هذا المفكّر المصريّ ذات أساس فلسفي عقلانيّ يبنى عليه ويتفرّع منه الخطاب النهضوي الذي يوضّح جوانب تفكيره المختلفة، وهي في مجملها نتيجة ارتباط موقفه النظري بظروف العصر وإشكاليّته الدينيّة والإصلاحيّة المختلفة، التي تنطلق أساسا من الموقف السياسي والاجتماعي كأحد دعاة الحزب الوطني القديم، وكأحد كتّاب جريدة «اللواء» المعبّرة عنه. ويظهر اتّجاهه الوطني الإسلامي، في كتابيه «نهضة الأمّة وحياتها»، و«نظام العالم والأمم» وغيرهما. وقد جاء فيما نشرته عنه الجمعيّة الآسيويّة الفرنسية «أنّه فيلسوف حكيم بقدر ما هو عالم دين»، وهو عند سنتلانا المستشرق الإيطالي «أحد رؤساء الحركة السياسيّة والاجتماعية التي انتشرت في طبقات الشعب الإسلامي كافّة تحت اسم الجامعة الوطنيّة»، وأشاد به مرغليوث في مجلّة الجمعية الآسيويّة الملكيّة مقارنا بينه وبين كانط، وهو نفس ما فعله جب في جريدة المقطّم 8 يناير 1938م، وريتشارد هارتمان الذي ربط بينه وبين محمد عبده والغزالي، وكذلك فعل كارا دي فو في كتابه «مفكرو الإسلام».

وهو يرى في «بهجة العلوم» في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصريّة أنّ الإنسان مهيّأ بفطرته لقبول الفلسفة، ويتحدّث في تاريخ علومها ويتوقّف أمام عناية الدولة الإسلاميّة بالفلسفة والترجمة، ويبيّن جهود الفارابي، ثمّ العلاقة بين الدين والفلسفة.

ويرى في كتابه «القرآن والعلوم العصريّة» أنّ القرآن هو خطاب إلى جميع المسلمين، وأنّ الصناعات والعلوم يأمر بها القرآن، وأنّ الأمراء والعلماء وأغنياء المسلمين هم المكلّفون بذلك، وبإحكام الرابطة بين الأمم الإسلامية عموما. وفي «سوانح الجوهري» يبيّن لنا كيفيّة ترقية الأمّة عن طريق الاقتصاد وترقية الصناعة والزراعة وحركة التعليم من أجل نهضة إسلامية.

وتشتمل الكتابات الفلسفيّة التي تركها لنا الشيخ بالإضافة إلى محاضرات بالجامعة المصريّة التي ألقاها في 1912 ـ 1913 على عدّة كتب ورسائل منها: «رسالة الحكمة والحكماء» التي تحمل نفس خصائص أسلوب الشيخ، وتعبّر عن نفس الاهتمامات مثل: المقصود من هذا العالم؟ ووجهة العالم واحدة هي النظام العام، والمقارنة بين فلسفة وفلاسفة الشرق والغرب. وكتابه «المدخل إلى الفلسفة» الذي يتناول فيه علوم العرب المختلفة وعلوم اليونان، والحديث عن هذه العلوم نجده من أهمّ محاور محاضراته بالجامعة الأهليّة، ويبدو أنّه أصدره في دراسة مستقلّة، المدخل إلى الفلسفة، مثلما فعل في محاضراته عن «الموسيقى العربيّة» التي تناولها أيضًا في نفس المحاضرات.

وتأتي محاولته الجادّة التي يبدو فيها متأثرا بكانط من جهة والعلوم الرياضية من جهة أخرى من أجل صياغة نوع من السلام العالمي في إطار وحدة إنسانية، كما يظهر في كتابيه: «أحلام في السياسة والسلام العالمي» و«أين الإنسان؟» اللذين اعتزّ بهما كثيرا، وأرسلهما إلى معظم مفكّري العالم المحدثين لدعوتهم إلى نفس رؤيته، واستجاب له كثير منهم، وفي مقدّمتهم سنتلانا المستشرق الإيطالي الذي لخّص الكتاب «أين الإنسان؟» في مجلّة العلوم الشرقية التي يشرف عليها وأشاد بالشيخ وأفكاره. ولأهمّية هذين الكتابين نعرض بإيجاز أهمّ أفكارهما لبيان جهوده في الدعوة إلى السلام العالمي والأسس التي تقوم عليها هذه الدعوة. فالحكيم الفيلسوف يحاول في «أين الإنسان؟» استخراج السلام العالمي في الأمم من «النواميس الطبيعية» والنظامات الفلكيّة والفطر الإنسانية، وبنيان السياسة على أساس الطبيعة.

ويحاول في «أحلام في السياسة وكيف يتحقّق السلام العام» بيان الصورة المثاليّة لما ينبغي أن يكون عليه نظام العالم، والسبل التي توصّل إلى تحقيق السلام العام بين الأمم جميعا.

إنّ جهود الشيخ الحكيم أهّلته للدعوة للسلام العالمي من منطلق إسلامي مبنيّ على تفهّم واع للعلوم العصريّة، وقد رشّح لجائزة نوبل للسلام، فكان أوّل مصري يرشّح لهذه الجائزة. وفي أثناء ذلك عاجل القدر الرجل في 12 يناير 1940م ليتوقّف كل شيء، فالجائزة لا تعطى إلّا لعبقري أدّى خدمات للإنسانيّة ما زال على قيد الحياة.

ويجتهد طنطاوي جوهري في محاضراته بالجامعة الأهليّة في تقديم تصوّر عضويّ لتاريخ الفلسفة يشبّهها فيه بالكائن الحي وأدوار حياته، حيث يشبّه الأمم بالأفراد في التدرّج والرقيّ، وهو يهتمّ ببيان علاقة الحكمة بالعلوم الأخرى، ولا يكتفي بآراء الفلاسفة القدماء فقط، بل يستعين بأقوال المحدثين مثل أزفلد كوليه الألماني، وأبيات الشعراء، وآيات القرآن، ومثلما يعتمد المصادر الأدبيّة لتحديد فهمه لمعنى المحاضرة يعتمد أزفلد كوليه، الترجمة الإنجليزية، لتحديد المقصود بالفلسفة التي يفهمها فهما خاصًا، ثم يعطي أمثلة مطوّلة تبيّن شوق فلاسفة العرب وحبّهم للفلسفة والعلم مثل ابن سينا، الذي توصّل إلى إنجازات طبّيّة في كتابه «القانون» ما كانت تخطر على بال أحد.

والحكمة عنده بالبحث عن حقائق الأشياء على ما هي عليه بقدر الطاقة البشريّة، وهي تنقسم إلى نظريّة وعمليّة. وكلّ منهما ثلاثة أقسام، ويفيض في الحديث عن الحكمة العمليّة، حيث تناولها بالتفصيل مستخدما الاصطلاحات الأوروبية الحديثة في تعريف هذه العلوم، وهي تتعلّق بتهذيب النفس وعلم الأخلاق والحكمة الخلقيّة، ويطلق عليها المتأخرون علم الآداب والحكمة الأدبيّة ويقال لها: مورال Morale وفلسفة أدبيّة Philosophie morale، ثم ينتقل إلى الحكمة النظريّة فيذكر أقسامها المختلفة: الإلهي، والرياضي، والطبيعي، ويميّز بين علوم الفلسفة كما عرفها العرب عن اليونان وبين علم الكلام، «فيرى أنّ الإسلاميّين لمّا رأوا في العلوم الحكميّة ما يخالف الشرع الشريف صنّفوا فنّا للعقائد اشتهر بعلم الكلام»، كما يميّز بينها وبين التصوّف.

وفي المحاضرة الخامسة من محاضراته يتناول «حصر العلوم» وتعريف أهمّها، وتبيان أجزائها. ويخصّص المحاضرة السادسة للموسيقى العربيّة. ويفيض في المحاضرة السابعة في الحديث عن الطبيعة والعلم الطبيعي، ويظهر فيها مدى اهتمامه وشغفه بالعلم، فهو يتناول مفهوم علم الطبيعة وتعريفه وموضوعاته العلميّة أكثر من تناوله للحكمة الطبيعيّة مبيّنا «أنّ علم الطبيعة في هذه العصور مختصّ ببعض خواصّ الجسم العامّة والخاصّة»، ويعود مرّة ثانية إلى «تقسيم الحكمة» فيتناول في نهاية المحاضرة الثامنة العلوم النفسية والعقليّة، ويعدّد داخلها عشرة علوم. ثمّ يفيض في المحاضرة التاسعة في الحديث عن المقولات العشر. ويتنقل في المحاضرة العاشرة من المنطق ليتحدّث عن المحسوسات، هذا عن الجزء الأوّل المتعلّق بالفلسفة العربية، وأمّا الجزء الثاني، ويتعلّق بالأخلاق، فيتناول فيه «آراء العلماء في السعادة». إنّ هذه المحاضرات تمثّل صورة مبكّرة من صور التعرّف أو إعادة التعرّف على الفلسفة العربيّة في بداية القرن. والمكانة التاريخيّة التي تحتلّها هذه المحاضرات تتمثّل في كونه امتدادا للفلسفة العربية القديمة في العصر الحديث، توصّل وتجدّد ما يدرّس في الأزهر ودار العلوم في الجامعة المصريّة.

وتظهر نزعته الفلسفيّة في رسالته القصيرة «أصل العالم»، وهي كما يذكر مباحث في الجغرافيا الطبيعيّة، وهي ردّ على رسالة أرسلت إليه يستفسر صاحبها عن أصل العالم، وتتجلّى في توظيفه لأفكار الفلاسفة والاستعانة بها في كتاباته الخاصّة، ويظهر ذلك بأدقّ صورة في كتابه «أين الإنسان؟» حيث نجد مصطلح الفلسفة عنوانا لعديد من الفصول: أنواع الحكومات والفلاسفة في الفصل السادس والفلسفة الجديدة في التاسع، والمنطق والأخلاق والسياسة في العاشر... إلخ.

■ آثاره

1 ـ نهضة الأمّة وحياتها، القاهرة 1326هـ/1908م؛ 2 ـ رسالة الحكمة والحكماء، مطبعة جرجي عزوري، الإسكندرية 1915م؛ 3 ـ القرآن والعلوم العصرية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1923م؛ 4 ـ نظام العالم والأمم، أو الحكمة الإسلاميّة العليا،

مطبعة الرحمانيّة، القاهرة 1931م؛ 5 - أحلام في السياسة والسلام العام، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة 1935م؛ 6 - ترجمة كتاب كانط «التربية»، المطبعة السلفيّة ومكتبتها القاهرة 1355هـ/ 1936م؛ 7 - أين الإنسان؟، دار النهضة العربيّة، القاهرة 1978م.

المصادر والمراجع

● عبد الجواد، محمد، تقويم دار العلوم، القاهرة 1947م؛ ● الجمبلاطي، علي، ذكرى طنطاوي جوهري، سلسلة اخترنا للطالب، القاهرة 1962م؛ ● بنت الشاطىء، القرآن والتفسير العصري، القاهرة 1970م؛ ● الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسّرون، الجزء الثاني، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1976، ط 2؛ ● جدعان، فهمي، أسس التقدّم عند مفكّري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1979، ط 1؛ ● جادو، عبد العزيز، الشيخ طنطاوي جوهري، دار المعارف، القاهرة 1980م؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1986، ط 7، ص 3/ 230 - 231.

د. أحمد عبد الحليم عطية
جامعة القاهرة - مصر

الجوهري، عباس بن سعيد

(175هـ/ 790م - 245هـ/ 860م)

عباس بن سعيد الجوهري عالم في الهندسة والفلك والطب من آسيا الوسطى، أصله من مدينة «فاراب» وتسمى حاليا «أطرار» بالقرب من مدينة تركستان في جمهورية كازخستان. وصل إلى بغداد، ليلتحق ببيت الحكمة، وكان مركزًا علميًا في عصر المأمون. قضى زمنا في بغداد ثم انتقل إلى دمشق، وذلك بسبب توقف العمل العلمي في بغداد. كان مشهورًا في زمنه وذلك لمشاركته في الملاحظات الفلكية والدراسات العلمية عنها في مرصد بغداد، بالتعاون مع سند بن علي، وخالد بن عبد المروذي، ويحيى بن أبي منصور، وألف في ضوء ملاحظاته الفلكية «الزيج» الذي كان أساس مؤلفات الأزياج بعده، وكان له دور في بحث الحركة الوسطى للشمس والقمر، على نحو ثبتت صحته بعد ذلك في دراسات أخرى.

ذكره البيروني بجهوده في الملاحظات الفلكية التي شارك فيها في بغداد وحدد فيها أهم المنقلبات على دار السنة، وكذلك في دمشق. وكانت هذه الدراسات الميدانية في السنوات

بين 214هـ/ 829م و217هـ/ 832. وكان أحد العلماء الذين كلفهم المأمون بحساب محيط الأرض على أساس علمي يقوم على الهندسة والفلك، وشارك أيضًا في قياسات خاصة بنهري دجلة والفرات، وقام بدراسات هادفة إلى إنشاء مبنى المرصد الفلكي في باب الشماسية في بغداد.

أما جهوده الطبية فتقتصر فيما يبدو على المعاونة في ترجمة كتاب «السموم» من تأليف الطبيب الهندي شاناق، وكان هذا الكتاب قد ترجم من السنسكريتية إلى الفارسية، ودخلت في الترجمة أيضًا معلومات من مصادر يونانية، وكان التحرير النهائي للكتاب من عمل عباس الجوهري، ودرست الباحثة الألمانية بيتينا شتراوس هذه النصوص بالتفصيل دراسة مقارنة لبيان المحتوى والمكونات.

كان عباس الجوهري معروفًا في الحضارة الإسلامية بجهوده في الجداول الفلكية في عصر المأمون، وبتصحيحه لكتاب أصول اقليدس. واهتم به علماء الفلك الكبار، ومنهم نصير الدين الطوسي، وعرفت جهوده في أوروبا أيضًا. وأطلقوا عليه لقب إقليدس الثاني.

آثاره

1 ـ كتاب الزيج؛ 2 ـ فائدة الشيخ العباس في معرفة سمت القبلة؛ 3 ـ كتاب تفسير كتاب إقليدس، من أوله إلى آخره؛ 4 ـ كتاب الأشكال التي زادها في المقالة الأولى من كتاب إقليدس؛ 5 ـ زيادة في المقالة الخامسة [فهرست، ص 379؛ القفطي، ص 329].

وينقل عنه نصير الدين الطوسي جزءا من إصلاحه لكتاب الأصول. وفي نظرية المتوازيات، ينطلق الجوهري من فرضية ضمنيّة: «إذا كانت الزاويتان المتبادلتان المكوّنتان من قطع مستقيم، مهما كان، ولمستقيمين متساويين، فكلّ قاطع آخر لهما يكوّن معهما زاويتين متساويتين».

ويستنتج أنّ موسّط المثلث القائم الزاوية يساوي نصف الوتر، وأنه في الإمكان، من كلّ نقطة داخل زاوية، أن يرسم مستقيما يقطع ضلعي الزاوية، وبعبارة أخرى إنه في الإمكان رسم مثلّث، وبالتالي إثبات وجوده (ومن ذلك تنتج المصادرة الخامسة المشهورة). وعلى الفرضيّة السابقة يعتمد برهان لوجندر (Legendre 1753-1833) على مصادرة إقليدس.

المصادر والمراجع

● ابن النديم، الفهرست، 379؛ ● ابن القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، 64، 219، 242؛ ● فهارس الخزانة الحسينية، 3/ 172، فائدة للشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد في معرفة سمت القبلة؛

● Juan Vernet: Ce que la culture doit aux Arabes d'Espagne. pp 108-116-134 ; ● YouschKevitch: Les mathématiques arabes trad - Paris, 1976. pp 9 -82 -112 -144 - 115 -120; ● Bettina Strauss, Das

Giftbuch des Sanaq. Eine Literaturgeschichteliche Untersuchung, in : Quell. U. Stud. Z. Gesch. D. Nat. Wiss. U. d. MEd. 4/1935/89-152; • Kennedy, Isl. Astron. Tables. No 99; • F. Sezgin, Geschichte des Arabischen Schrif fttums III 194-195 V 243-244, VI 138-139; • G. Saton I, 562; • Junchkewitsch, s. 249-277.

د. محمد السويسي
الجامعة التونسية
د. محمود فهمي حجازي
د. عبد الستار دربسالة
جامعة نور مبارك ـ قازاخستان

الجوهري، أبو عبد الله أحمد بن محمد

(ت 401هـ/ 1010م)

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عياش بن ابراهيم بن أيوب الجوهري، والمشهور بابن عياش.

وسماه ابن شهراشوب أحمد بن محمد بن عبد الله بن سليمان الجوهري [معالم العلماء، 20].

لم تذكر مصادر ترجمته شيئا واضحا عن سيرته ولا عن شيوخه، وكل ما ذكرته أنه من أهل بغداد، إمامي المذهب، وأمه سكينة بنت الحسين بن يوسف بن يعقوب بنت أخي القاضي أبي عمر محمد بن يوسف (ت 320هـ/ 932م)، الذي ولي القضاء بمدينة المنصور [الخطيب البغدادي، 3/ 401].
وكان جده وأبوه من وجوه أهل بغداد.
كما ذكر أنه كان من معاصري الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت 460هـ/ 1067م)، وقال عنه النجاشي: «رأيت هذا الشيخ وكان صديقًا لي ولوالدي، وسمعت منه شيئا كثيرًا ورأيت شيوخًا يضعفونه فلم أرو عنه شيئا وتجنبته» [الرجال، 67].
وقال عنه: «كان من أهل العلم والأدب القوي وطيب الشعر وحسن الخط».
كما أغفلت المصادر ذكر شيوخه أغفلت كذلك ذكر تلاميذه، ولم تذكر له سوى تلميذ واحد هو الشيخ أبو عبد الله جعفر بن محمد الدوريستي (كان حيا سنة 460هـ/ 1067م)، والدوريستي نسبة إلى دوريست من قرى الريّ. وهو محدث ومتكلّم وفقيه [تنقيح المقال، 1/ 224].

آثاره

شارك الجوهري في علوم عدة وله عدد من المؤلفات هي:

1 ـ كتاب مقتضب الأثر في عدد الأئمة الاثني عشر، وسمّاه صاحب روضات الجنات مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني

عشر [الخوانساري، 1/ 60]؛ 2 ـ كتاب الاغسال؛ 3 ـ كتاب أخبار أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري؛ 4 ـ كتاب شعر أبي هاشم؛ 5 ـ كتاب أخبار جابر الجعفي؛ 6 ـ كتاب الاشتمال على معرفة الرجال ومن روى عن إمام؛ 7 ـ كتاب ما نزل من القرآن في صاحب الزمان؛ 8 ـ كتاب في ذكر الشجاج؛ 9 ـ كتاب عمل رجب؛ 10 ـ كتاب عمل شعبان؛ 11 ـ كتاب عمل شهر رمضان؛ 12 ـ كتاب أخبار السيد ويقصد به السيد الحميري، إسماعيل بن محمد (ت 173هـ/ 789م) الشاعر المعروف؛ 13 ـ كتاب اللؤلؤ وصنعته وأنواعه؛ 14 ـ كتاب من روى الحديث من بني ناشرة؛ 15 ـ كتاب أخبار وكلاء الأئمة الأربعة؛ 16 ـ كتاب السقيفة، ذكره الطوسي في [الفهرست، 36].

وهذا الكتاب من الكتب التي اعتمد عليها ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة [1/ 153]، وذكره باسم أحمد بن عبد العزيز الجوهري.

ويقول السيد محسن الأمين تعليقا على اعتماد ابن أبي الحديد في السقيفة إنه اعتمد عليه في السقيفة وفي حديث فدك، وقال عند الكلام على فدك: قال إنها أخبار منقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم، لأنا مشترطون على أنفسنا أن لا نحفل بذلك وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وهو عالم محدّث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته.

ويعتقد السيد محسن الأمين أنه قد يكون خفي أمره على ابن أبي الحديد ولم يعده مع الإمامية في حين أن كتب الإمامية جميعًا ترجمت له.

وأشار صاحب روضات الجنات أنه روي عنه كثيرا في بحار الأنوار للمجلسي [الخوانساري، 1/ 60]؛ ويذكر النجاشي أنه سمع الحديث كثيرا واختلّ آخر عمره [الرجال، 67]. وأجمعت مصادر ترجمته أنّه توفي سنة 401هـ/ 1010م.

المصادر والمراجع

● ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، طبعة رضا تجدد؛ ● النجاشي، أحمد بن علي بن العباس، الرجال، 67، طبعة إيران؛ ● الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست، النجف، المطبعة الحيدرية، 1937؛ ● ابن شهراشوب، محمد بن علي، معالم العلماء، النجف، المطبعة الحيدرية 1961؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، طبعة مكتبة المثنى، 2/ 268؛ ● الخوانساري الميرزا، محمد بن باقر، روضات الجنات، 1/ 60، تح. أسد الله إسماعيليان، بيروت، دار الجيل؛ ● المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال، طبعة حجرية، 1/ 224، 88؛ ● محسن الأمين، أعيان الشيعة، 9/ 3، بيروت، مطبعة الإنصاف 1960؛ ● حسن الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، بغداد؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2/ 126؛ ● الزركلي، الأعلام، بيروت 1969، 1/ 203،.

د. نبيلة عبد المنعم داود
مركز إحياء التراث العربي ـ بغداد ـ العراق

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد

(ت حوالي 398هـ/1008م)

إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي، لغوي، ولد في مدينة فاراب في تركستان، ولا يُعرف سبب تسميته بلقب «الجوهري» الذي يعني الشخص الذي يعمل في تجارة أو صناعة الأحجار الكريمة كاللؤلؤ والياقوت والألماس. بدأ دراسته الابتدائية في فاراب بأخذ دروس من خاله إسحاق بن إبراهيم الفارابي، مؤلف قاموس «ديوان الأدب» (ت 350هـ/ 961م). وبعدها ذهب إلى بغداد للاستفادة من علماء ذلك العصر المشهورين، وهناك درس على يدي أبي سعيد السيرافي، وأبي علي الفارسي.

وبسبب تفكيره في تأليف قاموس مختلف عن القواميس الموجودة، فقد عاش الفارابي بين قبائل ربيعة في شمال العراق والجزيرة وسورية، وقبائل مُضر في الحجاز لفترات طويلة بغرض إتقان اللغة وجمع كل ما يلزم لاعداد قاموسه. وبعد تطواف طويل عاد إلى خُراسان، ونزل في الدامغان (وهو بلد كبير بين الري ونيسابور، وهو قصبة قومس، خرّج عددًا من العلماء المشهورين)، وفي الدامغان نزل عند أبي علي الحسين بن علي، وهو من أعيان الكُتّاب، فأكرمه، وأخذ أبو علي العلم عنه، ثم رحل إلى نيسابور، واتصل فيها بكبار العلماء، وأصبح في هذا العمر صاحب زاد كبير في المعرفة، واطلاع واسع على اللغة والأدب، فمارس في نيسابور التدريس والتأليف، وكتابة المصاحف. وأنتج مجموعة من المؤلفات، وأسهم في نظم الشعر، ولذلك أدرجه الثعالبي في كتابه «يتيمة الدهر» في الباب الذي ذكر فيه الطارئين على نيسابور من بلدان شتى، وترجمة الثعالبي للجوهري تكاد تكون أصلاً لكل من جاء بعده من المؤلفين في التراجم، ووصفه بأنه من أعاجيب الدنيا فطنةً وذكاءً، وأورد له شيئًا من شعره، ليس بالمستوى الرفيع.

وتذكر المصادر أن الجوهري أصيب بمرض الوسوسة في أواخر حياته.وأدى به ذلك إلى فقدان توازنه العقلي، ممّا دفعه إلى تركيب أجنحة والصعود إلى سطح داره أو سطح الجامع في نيسابور، وقال مخاطباً حشد الناس الذين أخذوا بالتجمّع، مشيراً إلى القاموس الذي ألّفه، «قمت بانجاز عمل لم ينجزه أحد من قبلي في هذا العالم، وسأعمل شيئاً للآخرة لم يقم به أحدٌ من قبلي» وألقى بنفسه في الفضاء، ولكنه سقط ومات. وتذكر المصادر سنة وفاته بالشكل التالي: 388، 393، 396، 398 و400هـ.

ويعتبر كل من أبي سهل محمد بن علي بن محمد الهروي، وإسماعيل بن محمد الدهان، وإبراهيم بن صالح الوراق تلاميذ الجوهري الذين عملوا على استنساخ قاموسه. وكان الجوهري خطاطا جيّدا يقاس خطه بخط ابن

مقلة (ت 272هـ/ 886م)، واشتهر الجوهري أساسا بمعجمه صحاح اللغة أو تاج اللغة الذي يمثل حلقة هامة في تاريخ المعاجم العربية.

رتّب الجوهري كتابه حسب الأحرف الأخيرة للجذور إذ قسمها إلى 28 باباً، وقسّم كل باب إلى 28 فصلاً. إلّا أن عدد الفصول في بعض الأبواب لم يبلغ هذا الرقم وذلك بسبب خاصية الحرف. ونظم المؤلف الفصول ابتداءً من الأحرف الأولى للكلمة معتمداً على أساس ترتيب الحروف الأبجدية في الوقت الحالي، وعمل المؤلف على وضع حركات على الكلمات التي من الممكن أن تقرأ بالخطأ وذلك لتجاوز الأخطاء التي وردت في القواميس المؤلفة سابقاً. كما أشار المؤلف في أكثر المواقع إلى الكلمات ذات الألفاظ الضعيفة والمتروكة والمذمومة، والكلمات ذات المعنى المضاد والنادرة والمعربة والمولّدة والمشتركة، كما تحدّث عن مواضع الصرف والنحو وفقه اللغة والاشتقاق.

وتمت الاستفادة من كتاب الصّحَاح الذي أشادت به العديد من الشخصيات وعلى رأسهم علماء اللغة والأدب أمثال أبي منصور الثعالبي، وياقوت الحموي، والفيروز آبادي من تاريخ تأليفه وحتى اليوم وذلك في العديد من الأعمال كالحاشية والتكملة، والذيل والاختصار، والنقد والترجمة.

ومن أهم الحواشي وأعمال النقد التي ألّفت حول الكتاب هو العمل الذي أعدّه ابن برّية (ت 582هـ/ 1187م) بعنوان «التنقيح والايضاح عمّا وقع في الصّحَاح». وقد عمل ابن برية في هذا الكتاب على تكملة الكلمات الناقصة في الصّحَاح وأعاد النظر في المعلومات الخاصة بالنحو والصرف، وحدّد جذور الكلمات التي تحتوي على الجذور غير الصحيحة والناقصة، وعمل على تصحيح المعاني والشروح، وتمّم الشواهد الناقصة. وقد وضع ابن القضاع حاشية عليه والشاطبي وابن الحجاج الإشبيلي، وتناوله بعضهم بالتكميل، فوضع الصاغاني كتابا سماه «التكملة» ذكر فيه ما فات الجوهري من اللغة وتناوله بعضهم بالنقد، كما فعل القفطي في كتابه «إصلاح خلل الصحاح»، والصفدي في كتابه «نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم» وتناوله بعضهم بالاختصار، كما فعل ابن الصائغ الدمشقي، ومحمد بن أبي بكر الرازي، والعيشي.

وتوجد مختصرات عديدة حول الصّحَاح، أشهرها لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازي (ت 666هـ/ 1268م) تحت عنوان «مختار الصّحَاح» الذي نُشر عدة مرات (بولاق 1282هـ، القاهرة 1287، 1302، 1308هـ، نشره حمزة فتح الله، دمشق ـ بيروت 1984؛ ونشره محمود خاتر، القاهرة 1986. وتم اختصار هذا العمل ثانية من قبل عبدالرحمن بن عيسى الهمداني تحت اسم «صفوة الراح من مختار الصّحَاح»، نشره داهي عبدالباقي محمد، وثروت عبدالسميع أبو عثمان، القاهرة 1419هـ/ 1998م. وهنا يجب ذكر كتاب «ترويح الأرواح في تهذيب الصّحَاح» لشهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني (ت 656هـ/ 1258م). واختصر الزنجاني كتابه هذا تحت اسم «مختصر ترويح الأرواح»، المجلدان 1 ـ 2 نشرهما أحمد

عبدالغفور عطا، وعبد السلام هارون، القاهرة 1372هـ/ 1952م.

آثاره

لم يكن الجوهري مكثرًا من التأليف، ولكن تهيئته لمادة كتابه الصحاح من رحلات إلى البادية في الحجاز وما حولها، ومشافهة الأعراب في ديار ربيعة ومضر في زمن الشباب والفتوة، شغلته عن الاستقرار في مكان معيّن والانصراف للوراقة والتأليف، لذا لم نحصل على مؤلفات له إلا الكتب التالية:

1 ـ الصحاح، وهو أشهر كتبه، وهو في أربعة مجلدات، بيّضه مؤلفه نفسه إلى حرف الضاد، وأتمّه تلميذه إبراهيم بن صالح الوراق. وبالإضافة إلى ما أثاره هذا المعجم من تأليف تتصل به فقد تمت ترجمته من قبل جمال الدين محمد بن عمر القرشي تحت اسم «الصورة من الصّحاح» إلى اللغة الفارسية، كلكوتا 1215هـ، بولاق 1287، 1305، 1310هـ، ومن قبل محمد بن مصطفى الواني (وانكولي) إلى اللغة التركية، استانبول 1141 [انظر إلى الأعمال الأخرى حول الصّحاح في كتاب فؤاد سزگين، المجلد VIII، 217 ـ 224؛ أحمد الشرقاوي إقبال، ص 218 ـ 234].

وطبع كتاب «تاج اللغة» لأول مرة في تبريز عام 1270هـ/ 1853م، وبعدها في بولاق عام 1282هـ ـ 1865م، وعام 1292هـ ـ 1875م، كما نُشر الكتاب من قبل أحمد عبد الغفور عطّار، مجلدات I - II، القاهرة 1376هـ/ 1956م، بيروت 1399هـ/ 1979م، 1404هـ/ 1984م، وشهاب الدين أبو عمر، مجلدان I - II، بيروت 1418هـ/ 1998م؛ 2 ـ كتاب عروض الورق: قام الجوهري في كتابه هذا بإحداث بعض التغييرات في نظام العروض الذي وضعه الخليل بن أحمد (ت 175هـ/ 791م)، وذلك بتقليص عدد الأبحر من خمسة عشر بحراً إلى اثني عشر بحراً، سبعة منها مفردة وخمسة مركبة. وهناك نسخة من هذا الكتاب في مكتبة عاطف أفندي (رقم 1991 ق أ ب ـ 33 ب) ضمن كتاب محمد العلمي بعنوان «العروض والقافية»، الدار البيضاء 1404هـ ـ 1984م، ونسخ أخرى نشرها كل من صالح جمال بدري، مكة المكرمة 1406هـ/ 1985م، وسعدي چوغنلي، أرضروم 1994؛ 3 ـ كتاب القوافي: وصل إلينا هذا الكتاب مع كتاب عروض الورق ويحفظ داخل النسخة الموجودة في مكتبة عاطف أفندي (ضمن ورق 34b ـ 60a)، وتم نشره من قبل كنعان دمير آياق، أرضروم 1995. ولا يعرف فيما اذا قد وصل إلينا كتاب الجوهري عن «المقدمة في النحو» أم لا؟.

المصادر والمراجع

● الثعالبي، يتيمة الدهر، نشر مفيد محمد قُميحة، بيروت 1403هـ/ 1983م، IV، 468 ـ 469؛ ● ابن الانباري، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، نشر محمد أبو الفضل، القاهرة، 1386هـ/ 1967م، ص 344 ـ 346؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، نشر أحمد فريد رفاعي، القاهرة 1335هـ/ 1916م ـ 1357هـ/ 1938م، VI، 151 ـ 165؛ ● القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، نشر محمد

أبو الفضل، القاهرة 1369 ـ 1393هـ/ 1950م ـ 1973م، I، 229 ـ 232؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، XVII، 80 ـ 82؛ ● اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، نشر عبدالمجيد ذياب، الرياض 1406هـ/ 1986م، ص 55 ـ 56؛ ● ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، نشر فؤاد سزكين، فرانكفورت 1408هـ/ 1988م، VII، 29 ـ 32؛ ● الفيروز آبادي، البُلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، نشر محمد المصري، الكويت، 1407هـ/ 1987م، ص 66 ـ 68؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، نشر محمد أبو الفضل، القاهرة، 1384هـ/ 1964م، I، 446 ـ 448؛ ● سركيس، معجم المطبوعات العربية، القاهرة، 1928 ـ 1930، I، 723 ـ 724؛ ● عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، بيروت 1981 ـ 1984، II، 615 ـ 617؛ ● الشرقاوي، أحمد إقبال، معجم المعاجم، بيروت، 216 ـ 234، دمشق، 1975، 21 ـ 29؛ ● خلوصي قليج، الجوهري، المعجم الإسلامي، وقف الديانة التركي، استانبول 1993، VII، 459.

د. أحمد أوزال
مركز الدراسات الاسلامية ـ اسطنبول ـ تركيا
د. محمود الربداوي
جامعة دمشق

الجويني، أبو محمد عبد الله بن يوسف

(ت 438هـ/1047م)

أبو محمد عبد الله بن يوسف الطائي الجويني الشافعي والد إمام الحرمين، كان إماما في التفسير والفقه والأصول والعربية والآداب [ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 47].

أصله من العرب من بني سنبس (بطن من طيِّىء) ونسبته إلى «جوين» من نواحي «نيسابور» [ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 8/ 130].

سمع الحديث من بلاد شتى على جماعة، وقرأ الأدب أولا على أبيه أبي يعقوب يوسف بـ «جوين»، ثم قدم «نيسابور» واشتغل بالفقه على أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي، ثم خرج إلى «مرو» إلى أبي بكر عبد الله بن أحمد القفال، فلازمه واستفاد منه وأتقن عليه المذهب والخلاف، وقرأ عليه طريقته وأحكمها. فلما تخرج عليه عاد إلى «نيسابور» سنة سبع وأربعمائة للهجرة فتصدر للتدريس

والفتوى وعقد مجلس المناظرة [ابن كثير، البداية والنهاية، 12/ 55].

تخرج عليه جماعة من أيمّة الإسلام منهم ولده إمام الحرمين، وسهل بن إبراهيم المسجدي، وعلي بن أحمد المديني وغيرهم [الداودي، طبقات المفسرين، 1/ 253].

كان لصلابة ديانته مهيبا محترما بين التلامذة، لا يجري بين يديه إلا الجدّ والتحريض على التحصيل [الليلي، الفهرست، ص 51].

أما زهده وورعه فإليه المنتهى، قال أبو سعيد القشيري: كان أيمتنا في عصره والمحققون من أصحابنا، يعتقدون فيه من الكمال والفضل والخصال الحميدة أنه لو جاز أن يبعث الله نبيا في عصره لما كان إلا هو، من حسن طريقته وزهده وكمال فضله». وحكى ولده إمام الحرمين أنه كان يقول في دعاء قنوت الصبح: «اللهم لا تعقنا عن العلم بعائق ولا تمنعنا عنه بمانع» [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، 1/ 74].

قال ابن خلكان: كان يقال في عصره: الأيمة بخراسان ثلاثة: مكثر محقق، ومقل محقق، ومكثر غير محقق، فالمكثر المحقق أبو علي السنجي (ت 432هـ)، والمقل المحقق أبو محمد الجويني (ت 438هـ)، والمكثر غير المحقق ناصر المروزي (ت 444هـ) [وفيات الأعيان، 2/ 136].

وصفه السبكي بأنه كان أوحد زمانه علما وزهدا وتقشفا زائدا وتحريا في العبادات [طبقات الشافعية الكبرى، ج 5 ص 73].

توفي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة للهجرة بـ «نيسابور»، وهو في سن الكهولة. وكان صاحب وجه في المذهب، ويرى تكفير من تعمد الكذب على النبي [الذهبي، سير أعلام النبلاء، 17/ 618]. ورثاه أبو الفرج حمد الهمذاني بقصيدة طويلة ساقها الباخرزي في «الدمية» منها هذه الأبيات:

علا الحَبْرُ عبد الله صهوة سابق
قوائمه من معشر قَصَدَاتُهَا
وإن قلوبا قُطِّعت لوفاته
كَونُها على تقطيعها حَسَرَاتُهَا
وكان إذا ما حررتْ كلماته
معانيَ لم ترقم سطورا قُرَّاتُهَا

[الصفدي، الوافي بالوفيات، 17/ 682].

■ آثاره

1 ـ التفسير الكبير، ويعرف بتفسير الجويني، فسر فيه كل آية بعشرة أوجه، قال الداودي في «طبقات المفسرين»: يشتمل على عشرة أنواع من العلوم في كل آية [حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 445]؛ 2 ـ مختصر المختصر، اختصر الشيخ أبو محمد مختصر المزني وهو الذي يعبر عنه «بالمعتصر»، وقد لخصه الإمام أبو حامد الغزالي وسماه «عنقود المختصر ونقاوة المعتصر» [م. س، 2/ 1636]؛ 3 ـ التبصرة في الوسوسة، وهو في مجلد غالبه في العبادات [كشف الظنون، 1/ 339]؛ 4 ـ التذكرة في الفروع و«الجمع والفرق» و«موقف الإمام والمأموم» و«سلسلة الواصل في فروع الشافعية» في مجلد، وإنما سماه بذلك لأنه يبني فيه مسألة على مسألة ثم يبني المبنيّ عليها على الأخرى، وقد اختصرها محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن القماح

(ت 741هـ) وقد يقوى التسلسل في بناء الشيء، على الشيء ولهذا قال الرافعي في مسألة «وحده» (وهذه) سلسلة طوّلها الشيخ [كشف الظنون، 3/ 996]. وله كتاب الفروق [الصفدي، الوافي بالوفيات، 17/ 683]. وله أيضا المحيط في الفروع وكان الشيخ قد بدأ فيه وعزم على عدم التقيد بالمذهب، وأنه يقف على مورد الأحاديث لا يعدوها، ويتجنب جانب العصبية للمذاهب ثم رجع عن إمامه، لرسالة كتبها إليه الحافظ أبو بكر البيهقي، ينتقد عليه أوهاما حديثية، ومبيّنا أن الأخذ بالحديث الواقف عنده هو الإمام الشافعي، وأن رغبته عن الأحاديث التي أوردها الشيخ أبو محمد إنما هي لعلل فيها يعرفها من يتقن صناعة المحدثين. فلما وصلت الرسالة لعبد الله الجويني قال: «هذه بركة العلم»، ودعا للبيهقي، وترك إتمام التصنيف، بعدما أنجز منه ثلاثة أجزاء، وقد أورد السبكي هذه الرسالة بكمالها في «الطبقات»، بغرض الاستفادة منها لأنها مشتملة على فوائد مهمة، ودالة على عظيم قدر البيهقي، وفيها أيضا مواضع من كتاب «المحيط»، انتقدها البيهقي فتستفاد أيضا [طبقات الشافعية الكبرى، 5/ 77].

وله في الأصول «شرح رسالة الشافعي» [الداودي، طبقات المفسرين، 1/ 253]، والتلخيص في أصول الفقه [كحالة، معجم المؤلفين، 6/ 165].

المصادر والمراجع

● ابن الجوزي، أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1359هـ، ج 8، ص 130 ـ 131؛ ● ابن خلكان، أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1414هـ/ 1994م، ج 2، ص 135 ـ 136؛ ج 3، ص 47 ـ 48؛ ● الليلي، أحمد بن يوسف، الفهرست، تح عياش أبو زينة، دار الغرب الإسلامي، 1408هـ/ 1988م، ط 1، ص 50 ـ 52؛ ● السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تح. الطناحي ومحمد الحلو، مطبعة عيسى الحلبي، ط 1، ج 5، ص 73 ـ 93؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1410هـ/ 1990م، ج 1، ص 339، 445؛ ج 2، ص 1636؛ ج3، ص 996.

د. هشام قريسة
جامعة الزيتونة ـ تونس

الجُوَيْني، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف

(419هـ/1028م - 478هـ/1085م)

هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، المُجمع على إمامته، المتّفق على غزارة مادته وتفنّنه في العلوم والأصول والفروع والأدب وغير ذلك [ابن خلّكان، وفيات الأعيان، 3/ 167].

ولد بجُوَيْن (من نواحي نيسابور) ونشأ في بيت علم وفضل، إذ كان أبوه فقيها، محدّثا صاحب تصانيف جليلة. وكان جدّه رجلا مرموقا في «جُوَين»، ذا فضل وأدب، ولذلك قال فيه ابن عساكر: «ربّاه حجر الإمامة، وحرّك ساعد السعادة مهده، وأرضعه ثدي العلم والورع إلى أن ترعرع فيه ونبغ [تبيين كذب المفتري، 2/ 73].

تفقّه في صباه على والده أبي محمد الجُويني حتى أتى على جميع مصنّفاته وتصرّف فيها، وزاد عليه في التحقيق والتدقيق. ولمّا توفي والده سنة 438هـ قعد مكانه للتّدريس ولمّا يتجاوز العشرين من عمره، فإذا فرغ منه مضى إلى الأستاذ أبي القاسم الإسكافي أحد كبار الأشعرية (ت 452هـ) بمدرسة البيهقي حتّى حصّل عليه علم الأصول؛ وسمع الحديث من جماعة كبيرة من علمائه كأبي حسّان المُزكّي (ت 432هـ) وأبي سعد النّصرُويي النيسابوري (ت 433هـ)، وسمع «سنن الدّارَقُطْني» من عبد الرحمن بن علَيّك (ت 431هـ). أمّا القراءات فقد كان يبكّر كلّ يوم إلى مسجد أبي عبيد الله الخبّازي (ت 449هـ) يقرأ عليه القراءات. وانكبّ على سائر العلوم يقتبس من كلّ نوع منها فدرس النحو كما درس الفلسفة والمنطق، يشهد بذلك ما نراه في مؤلفاته المختلفة من عبارات ومصطلحات فلسفيّة، بل ومن منهج وطريقة [تحقيق البرهان للجويني، 1/ 31].

ثم سافر إلى بغداد سنة 441هـ، ولقي بها جماعة من العلماء منهم أبو محمد الحسن الجوهري المحدث(ت 454هـ). ثمّ خرج إلى الحجاز سنة 444هـ وجاور بمكة أربع سنين وبالمدينة، يدرّس ويفتي ويجمع طرق المذهب، ولهذا قيل له إمام الحرمين. ثمّ عاد إلى نيسابور سنة 448هـ في أوائل ولاية السلطان ألْبْ أرسلان السّلجوقي والوزير يومئذ نظام الملك، فبنى له المدرسة النظامية بنيسابور (كما بنى للشيرازي المدرسة النظامية ببغداد) وتولّى الخطابة بها، وكان يجلس للوعظ والمناظرة، وظهرت تصانيفه وحضر دروسه الأكابر من الأئمة وانتهت إليه رئاسة الأصحاب، وبقي على ذلك قريبا من ثلاثين سنة، مسلّم له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس، ولم يزل على طريقة مرضية من أوّل عمره إلى آخره [ابن خلكان. وفيات الأعيان، 3/ 163].

وكان قد تتلمذ له أعلام، أشهرهم أبو حامد الغزالي (ت 505هـ)، والكِيَا الهرَاسي (ت 504هـ)، وأحمد الخوافي (ت 529هـ)، وكان حكّام عصره يجلّونه وينزلونه في أنفسهم أعلى مكانة لما علموه له من رسوخ في العلم ونبوغ لم يتوافر لغيره [موسوعة سفير، العدد 47 ـ 48، ص 3699].

ولمّا توفي سنة 478هـ/ 1085م دفن بجانب والده في مقبرة الحسين بنيسابور.

آثاره

خلّف إمام الحرمين ـ إضافة إلى دروسه وخطبه ومناظراته ـ مصنّفات كثيرة في معارف متنوّعة، شملت الكلام والفقه والأصول والخلاف والجدل والتّفسير والحديث والمواعظ، وقد أربت هذه المؤلفات على الأربعين نذكر منها:

أ ـ في علم أصول الدين:

1 ـ الشامل في أصول الدين، وهو مؤلف ضخم له قيمته العلميّة في علم الكلام ويضمّ ثلاثة كتب هامّة هي على التوالي: كتاب النظر، وكتاب التوحيد، وكتاب العلل. وقد لفت الكتابُ نظر الباحثين فتناولوه بالبحث والتحليل. حقّقه د. علي سامي النّشّار وقدّم له وساعده في ذلك طائفة من تلاميذه؛ 2 ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الاعتقاد، وهو تلخيص طيّب للشامل. قصد به الجويني بيان العقائد الإسلامية والاستدلال لها، ثمّ الدفاع عنها والردّ على المخالفين للدّين. وقد تناول في هذا الكتاب أهمّ القضايا التّي شغلت الفكر الإسلامي في ذلك الوقت وعالجها بأسلوب واضح ومركّز من غير تعقيد. حقّقه وعلّق عليه محمد يوسف موسى والسيّد علي عبد المنعم، ط. سنة 1369هـ/ 1950م، مكتبة الخانجي بمصر؛ 3 ـ لُمَع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنّة والجماعة وقد تعرّض فيه لشرح عقائد فرقة الأشاعرة مدعّمة بالأدلة والبراهين العقليّة في إيجاز. وينقسم الكتاب إلى عدة أبواب، الأوّل: في العالم وحدوثه، الثاني: في الله وصفاته، الثالث: في إرادة الله وإرادة العبد، الرابع: في رؤية الله، الخامس: في الربّ والخلق، السادس: في الرسالة والنبوّة والمعجزة، ويختم الكتاب بباب في الإمامة. حقّقته وقدّمت له فوقيّة حسين محمود، ط 1، 1384هـ/ 1964م، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة [موسوعة سفير، عدد 47 ـ 48، ص 3699]؛ 4 ـ العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية (أو الرسالة النظامية) ويحتوي هذا الكتاب على آراء الإمام الجويني في أصول التوحيد، وفيها رجع عن آراء له ذكرها في «الشامل» ثمّ في «الإرشاد» إذ بيّن فيه أنّ ما يرتضيه رأيا، ويدين به عَقَدًا هو اتّباع سلف الأمة وما ذهب إليه أهل السنة من الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى في الأمور التي امتنع على أهل الحقّ معناها. صحّحه وقدّم له وعلق عليه الشيخ الكوثري، ط. 1367هـ/ 1948م، مطبعة الأنوار، مصر.

ب ـ في أصول الفقه:

5 ـ البرهان في أصول الفقه، وهو في الأصول على المذهب الشافعي، ويعتبر البرهان أحد الأركان التي قام عليها علم

أصول الفقه وإليه ترجع معظم المؤلفات في هذا العلم. قال فيه ابن خلدون: «ومن أحسن ما كتب فيه المتكلّمون كتاب «البرهان» لإمام الحرمين» [المقدمة، الباب 6، الفصل 9، ص 816] .طبع أوّل مرّة سنة 1399هـ/ 1979م بالدوحة، تح. عبد العظيم الدّيب؛ 6 ـ مغيث الخلق في اختيار الأحقّ، صنفه لترجيح مذهب الشافعي على غيره، وقدّم له بمقدّمة في بيان ماهية الترجيح. تح. الكوثري؛ القاهرة 1948م. وكان المحقّق قد نشر رسالة لطيفة في الردّ على الجويني سنة 1360هـ/ 1941م سمّاها «إحقاق الحقّ بإبطال الباطل في مغيث الخلق» [حربي، أبو المعالي الجويني وأثره في علم الكلام، ص 68]؛ 7 ـ الورقات، وسمي بهذا الاسم لأنه قال في أوله: «هذه ورقات قليلة تشتمل على معرفة فصول من أصول الفقه، ينتفع بها المبتدئ». والكتاب عليه شروح كثيرة وطبع مرّات عديدة [كشف الظنون، 2/ 2005]؛ 8 ـ التّحفة في أصول الفقه [م. س، 1/ 377]؛ 9 ـ التلخيص في الأصول اختصر فيه كتاب «الإرشاد» للقاضي أبي بكر الباقلاني [م. س، 1/ 70]. وهو مشكوك في نسبته إلى الجويني.

ج ـ في الفقه:

10 ـ نهاية المطلب في دراسة المذهب، وهو كتاب كبير في الفقه الشافعي جمعه في مكّة المكرّمة وأتمّه بنيسابور، مدحه ابن خلكان فقال: «ما صنّف في الإسلام مثله». وقال ابن النجار: «إنه مشتمل على أربعين مجلّدا». ثم لخّصه ولم يتمه وسمّاه «تلخيص نهاية المطلب» [م. س، 2/ 1990]. وتوجد منه عدّة نسخ في مكتبات المخطوطات بالقاهرة والإسكندرية وآياصوفيا بتركيا، والمكتبة الأحمدية بحلب، وبدمشق [موسوعة سفير، عدد 47 ـ 48، ص 3699]؛ 11 ـ تلخيص التقريب، في الفروع والتقريب كتاب لقاسم بن محمد القفّال الشّاشي وهو من أجلّ كتب الشافعية أثنى عليه البيهقي. لخّصه الجويني وسمّاه تلخيص التقريب [كشف الظنون، 1/ 466]؛ 12 ـ لُباب الفقه، [م. س، 2/ 1541].

د ـ في السياسة الشرعية:

13 ـ غياث الأمم في التِياثِ الظُّلَم، المشهور بالغياثي، صنّفه للوزير غياث الدين نظام الملك الطّوسي، سلك فيه غالبا مسلك الأحكام السلطانية، وقد تعرض فيه للمحكم عند خلوّ الزمان من الأئمة والمفتين. حققه عبد العظيم الدّيب لإعداده رسالة دكتوراه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة. طبع مرارا عديدة.

هـ ـ في الجدل والخلاف:

14 ـ الكافية في الجدل، جمع فيه طرفا من الكلام في النظر يستغني عنه في مناظرة أهل الزمان. جعله سبعة وعشرين فصلا وقدّم له بمقدّمة طويلة بيّن فيها ما يجري بين أهل النظر من معاني العبارات وحقائقها على التفصيل والتخصيص، [ط1، بيروت 1420هـ/ 1999م. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، تح. خليل المنصور]؛ 15 ـ الأساليب في الخلافيات، ذكر فيه الخلاف بين الحنفية والشافعية، ووجه التسمية أنّه إذا أراد الانتقال في أثناء الاستدلال إلى دليل آخر أورد قوله بأسلوب آخر، وتبعه الغزالي في كتابه المسمى

«بالمآخذ» [كشف الظنون، 1/ 75]؛ 16 ـ غنية المسترشدين في الخلاف [وفيات الأعيان 3/ 168]؛ 17 ـ الدرة المضيئة، مجموع مسائل خلافية في العبادات قارن فيها بين الفقه الشافعي والفقه الحنفي مع الرد في كل مسألة يسوقها على استدلالات الحنفية، [تح. الدّيب ـ ط 1، 1406هـ/ 1986م، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر].

و ـ وله تآليف أخرى متنوّعة:

18 ـ كتاب في تفسير القرآن الكريم [كشف الظنون، 1/ 433]؛ 19 ـ كتاب «الأربعون»، في الحديث [البرهان، التحقيق، مج. 1، ص 35]؛ 20 ـ مدارك العقول، لم يتمه [وفيات الأعيان، 3/ 168]؛ 21 ـ مناقب الإمام الشافعي، هو تصنيف في مناقب الشافعي وترجيح مذهبه [كشف الظنون، 2/ 1839]؛ 22 ـ شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تح. أحمد حجازي، دار الشباب للطباعة، مصر 1398هـ/ 1978م.

المصادر والمراجع

● الجويني، أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه، تح. عبد العظيم الديب، 1399هـ/ 1979م، الدوحة؛ ● ابن خلّكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، مج. ص 167 ـ 168؛ ● حاجّي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر 1410هـ/ 1990م، مج 1، ص 70، 76، 377، 466، ومج 2، ص 1541، 1839، 1990، 2005؛ ● حربي، محمد بن علي، أبو المعالي الجويني وأثره في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1406هـ/ 1986م؛ ● دائرة سفير للمعارف الإسلامية، شركة سفير، القاهرة، مصر، العدد 47 ـ 48، ص 3698 ـ 3699.

د. هشام قريسة
جامعة الزيتونة ـ تونس

ابن الجيّاب، أبو الحسن علي بن سليمان بن حسن

(673هـ/ 1275م ـ 749هـ/ 1349م)

علي بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري، شاعر أندلسي، من أهل غرناطة يكنى أبا الحسن ويعرف بابن الجيّاب. شيخ طلبة الأندلس، قائم على العربية واللغة، إمام في الفرائض والحساب، عارف بالقراءات والحديث، متبحّر في الأدب والتاريخ، مشارك في علم التصوّف، فذٌّ في المسائل الأدبية والبيانية، حامل راية المنظوم والمنثور.

ولد ابن الجيّاب بغرناطة سنة (673هـ/

1275م) وتتلمذ على أكبر علمائها ومنهم: ابن الزبير الثقفي المحدّث المقرئ صاحب كتاب صلة الصلة، وأبو القاسم بن الشاط الأنصاري، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن المرحّل، ووالده مالك بن المرحّل، والخطيب الصالح أبو محمد عبد الله بن علي الغساني السعديّ، ومحمد بن رشيد السبتي صاحب الرحلة، وصديق ابن الحكيم اللّخمتي الرنديّ رئيس الديوان الملكيّ. ولابن رشيد الفضل في فتح أبواب الوظيفة الديوانية في وجه ابن الجيّاب بلفت نظر ابن الحكيم إليه حتّى غدا الشاعر من أصدقاء ابن الحكيم المقرّبين. تتلمذ عليه الكثيرون أشهرهم ابن الخطيب.

اتسعت معارف ابن الجيّاب وكثرت إجازاته لكنّ تركيزه على علوم الدين كان أكثر، واهتمامه بالتصوّف كان أكبر. كان الدين عنده علما وعملا وعقيدة وسلوكا ممّا أكسبه حبّ معاصريه وتقديرهم.

بقي في خدمة الدولة النصريّة «نحوا من خمسين سنة أو ما ينيف عليها»، فقد خدم ستّة من ملوك بني نصر في طور حيكت فيه المؤامرات وكثر القتل ولم يصب الشاعر بأذى بل واصل الترقّي في الوظائف الإدارية بخطى ثابتة، ناهيك أنّ يوسف الأول ولّاه الوزارة بالإضافة إلى رئاسة ديوان الإنشاء فجعل منه صاحب سيف وقلم وهو من القلائل الذين حملوا لقب ذي الوزارتين في الدولة النصرية وثانيهم بعد شيخه ورئيسه ابن الحكيم. لم يعرف عزلا ولا محنة إذ «كان... جلدا على الخدمة، محافظا على الرتبة، مراقبا لوظائف الأبواب السلطانية... غيورا على الخطّة... تعاقبت الدول فلم تَرَ بِهِ بديلا».

أبرز أغراض شعره: المدح السياسي في القصائد السلطانية والشعر الدينيّ؛ والإخوانيّات إلى جانب نصوص كثيرة من شعر النقوش. وقد غاب الهجاء غيابا تامّا من ديوان ابن الجيّاب على غرار ما نلحظه في كثير من دواوين القرنين 8 و9هـ/ 14 و15م بالأندلس.

طرق الشاعر المدح السياسيّ في 55 قصيدة سلطانية قالها في أربعة ملوك نصريّين ممّن وزّر لهم، بالإضافة إلى شيخه ذي الوزارتين ابن حكيم الرندي الذي ارتقى في ظرف خاص إلى مقام السلطان فخصّه بـ 17 مدحة، وتدور معاني المدح السياسي في ديوان شيخ طلبة الأندلس، كما عند معاصريه ممّن عالجوا هذا الغرض، حول أربعة محاور هي: تأكيد النسب الأنصاريّ النصريّ الخزرجيّ لدى بني نصر الغرناطيين، وإقامة الجهاد والصمود عليه رغم الظروف القاسية، وإبراز دعائم السياسة النضاليّة وهي الجيش بخيله ورجاله وأسطوله، والصفات الحربية في الأمير وأعوانه، وتأييد الشاعر لسياسة الأمير الداخليّة والخارجيّة وتمجيدها.

ولابن الجيّاب 69 نصّا دينيّا تتفاوت طولا ما بين القصيدة المطوّلة والتخميس والمعشرة والمنتفة والمزدوجة، وتختلف غرضا وإن اتحدت موضوعا فمنها خاصّة المدائح النبوية والمولديّات وأشعار الزهد والتصوّف. والبنية الغالبة على الشعر الدّيني عنده المعشرات والتخميسات، وغالبا ما يستهلّ جامع الدّيوان

كلّ حرف من حروف الهجاء بمعشرة تمّ بتخميسها.

أبرز المعاني الدّينية عنده: زجر الإنسان الغافل وتقريعه ثمّ مدح الرّسول الشفيع الوحيد وضامن النجاة.

أمّا الإخوانيّات فهي المدائح الموجّهة إلى الأصدقاء والخلّان، وقد نالت أهمّية ملحوظة في ديوان ابن الجيّاب بمقتضى طول بقائه في خدمة الدولة ممّا جعله يقيم مع مشاهير عصره علاقات متينة متنوّعة شخصيّة ومهنيّة.

وقد ضمّ الديوان 25 قصيدة من شعر النقوش، منها ما بقيت منقوشة بالقلهرّة أو برج الأسيرة وبقصر جنّة العريف بالحمراء، وذلك ما دعا بعض الباحثات الاسبانيات إلى تلقيب ابن الجيّاب بـ«شاعر الحمراء الآخر» قياسا على ما عرف به ابن زمرك من كونه «شاعر الحمراء».

توفيّ ابن الجيّاب في 23 شوّال (749هـ/ 1349م) بعد مرض «طال به حتّى أذهب جواهر بدنه» مع محافظته على تميّزه وإدراكه. حضر جنازته السلطان ومن دونه ودفن بباب إلبيرة، وتنافس الشعراء في رثائه وفي مقدّمتهم ابن الخطيب تلميذه ووريثه في لقب ذي الوزارتين.

آثاره

جمع شعر ابن الجيّاب في ديوان، ابن الخطيب. وقد خصّ هذا الديوان بالتعريف سنة 1982، وتعلّق به بحث ولكنّه لم يحظ بالتحقيق ولا النشر.

المصادر والمراجع

• ابن الخطيب، الإحاطة، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة 1977، 4/ 125؛ • ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت د.ت، الترجمة عدد 62؛ • ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، تح. محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت 1967، الفصل 2، الترجمة رقم 6؛ • التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج، تح. بإشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرّامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ج2، طرابلس 1989، الترجمة عدد 418؛ • ابن فرحون، الذيباج المذهب، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة د.ت، الترجمة عدد 20؛ • المقّري، نفح الطيب، تح. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت 1989، مج 5/ 434 ـ 445؛ • الطرابلسي، حسناء بوزويتة، حياة الشعر في نهاية الأندلس، دار محمد علي صفاقس، ومركز النشر الجامعي، تونس، تونس 2001.

• M. J. Rubeira Mata, Ibn al-yayyab, el otro poeta de la Alhambra, granada 1982, E. G. Gomes; • A. Ch. Alami, La poésie andalouse sous les Nasrides (VIII/XIV s.), 2T, Université de strasbourg 1994, Thèse dactylo, I, 56-63.

د. حسناء بوزويتة الطرابلسي
جامعة تونس

الجياني، الحسين بن محمد

(427هـ/1035م - 498هـ/1105م)

الحسين بن محمد بن أحمد الغساني، الأندلسي، المعروف بالجياني، نسبة إلى جيان، بلدة بالأندلس، أبو علي. وهو ليس من جيان وإنّما نزلها أبوه مدة، وأصله من الزهراء. الإمام الحافظ المحدّث، رئيس المحدّثين بقرطبة.

روى الحديث عن أشهر علماء عصره بالأندلس، كأبي العاص حكم بن محمد الجذامي، وأبي عمر بن عبد البر، وأبي عبد الله محمد بن عتاب، وأبي الوليد الباجي، وغيرهم ممّن يكثر تعدادهم، سمع منهم، وكتب الحديث عنهم.

ومع كونه لم تكن له رحلة خارج الأندلس، إلّا أنّه من خلال اتّصاله بعلمائها، وكبار العلماء المسندين، كان أحد أئمّته الضابطين الحافظين، فقد ذكره القاضي عياض في الحديث بالأندلس [المدارك، 8/ 191]. كما كان بصيرا باللغة وعلوم العربية، وعارفا بالغريب والشعر والأنساب. قال أبو الحسن ابن مغيث: «كان من أكمل من رأيت علما بالحديث، ومعرفة بطرقه، وحفظا لرجاله، عانى كتب اللغة، وأكثر من رواية الأشعار، وجمع من سعة الرواية ما لم يجمعه أحد، وصحّح من الكتب ما لم يصحّحه غيره من الحفاظ» [الصلة، 1/ 145]. وبذلك عدّ الجياني من علماء العصر ورؤسائه في الحديث، فرحل إليه الناس من كل قطر ومكان، وعوّلوا في الرواية عليه. وكان قد جلس لرواية الحديث بالمسجد الجامع بقرطبة وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها وفقهاؤها وجلّتها. وممّن سمع منه من خارج الأندلس: القاضي أبو عبد الله بن عيسى التميمي من سبتة، وحدث عنه القاضي عياض إجازة.

وعرف الجياني بين العلماء بالتواضع والصيانة والنباهة. وقد أصابته في آخر حياته زمانة عطلته فرحل إلى المريّة في المحرم من سنة 496هـ، للاستشفاء بماء حمّتها، حمّة بجّانة. وبمنزله في المرية كان يقرئ الحديث، ثمّ رجع إلى قريته ولزم داره لزمانته حتّى توفّاه الله تعالى، ليلة الجمعة 12 شعبان سنة 498هـ، ودفن يوم الجمعة بمقبرة الربض. وكان مولده في المحرّم سنة 427هـ.

■ آثاره

تعدّدت مؤلفات الجياني في علم الحديث، واعتبر حجّة بالغة فيه، منها:

1 - تقييد المهمل وتمييز المشكل، ضبط فيه كل ما يقع فيه اللبس من رجال الصحيحين، وذكر الزركلي أنه رأى نسخة مخطوطة منه في مكتبة الجامع الكبير بمكناس تحت رقم 1/ 337؛ 2 - ما يأتلف خطه ويختلف لفظه، من أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم، من

الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممّن ذكر في الصحيحين؛ 3 ـ الألقاب؛ 4 ـ التعريف بشيوخ البخاري؛ 5 ـ التنبيه على الأوهام الواقعة في المسندين الصحيحين، وقد ذكر الزركلي أنّ العناوين الثلاثة الأخيرة رسائل، وهي مخطوطة في مجموع مصوّر في معهد المخطوطات تحت رقم 586، كما أنه رأى نسخة من كتاب «الأوهام الواقعة في الصحيحين» في مكتبة الجامع الكبير بمكناس؛ 6 ـ الكنى والألقاب، وقد أشار الزركلي إلى أنّه مخطوط، وذكر أنه في مكتبة شستربيتي؛ 7 ـ أسماء رجال سنن أبي داود.

المصادر والمراجع

● ابن بشكوال، أبو القاسم خلف، الصلة، مطبعة روخس، مدينة مجريط، 1/ 144 ـ 145؛ ● ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر؛ ● ابن خلكان، أبو العباس أحمد، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 2/ 180؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط14، 1999، 2/ 255؛ ● السيوطي، جلال الدين، طبقات الحفاظ، تح. علي محمد عمر، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1393هـ/ 1973م، ص433؛ ● الضبّي، أحمد بن يحي، بغية الملتمس، مطبعة روخس بمدينة مجريط سنة 1885، ص248؛ ● الحنبلي، ابن العماد عبد الحي، شذرات الذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 3/ 231؛ ● ابن فرحون، إبراهيم، الديباج، دار الكتب العلمية، بيروت، ص105؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين، مطبعة الترقي، دمشق، 1380هـ/ 1960م، 4/ 44؛ ● المقّري التلمساني، أحمد، أزهار الرياض، صندوق إحياء التراث، الرباط 1978م، 3/ 149 ـ 151؛ ● اليافعي اليمني، عبد الله، مرآة الجنان، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1390هـ/ 1970م، 3/ 46، 161؛ ● اليحصبي السبتي، القاضي عياض، ترتيب المدارك، وزارة الأوقاف المغرب، 1403هـ/ 1983م، 8/ 191.

أ. الحبيب بن طاهر
وزارة الشؤون الدينية ـ تونس

الجيّاني، أبو عبد الله محمد بن معاذ

(379هـ/ 989م - 471هـ/ 1079م)

أبو عبد الله محمد بن معاذ الجيّاني الرياضي الفلكي المنتسب إلى أسرة أندلسية من رجال الفقه، ولد بقرطبة سنة 379هـ/ 989م وتوفّي بعد 471هـ/ 1079م (استنتج المؤرّخون أنّ الجيّاني توفّي بعد 471هـ/ 1079م باعتبار أنه ألّف كتابًا حول الكسوف تحدّث فيه عن الكسوف الذي شهدته جيّان في ذلك العام). والأرجح أنّ وفاته كانت في مدينة جيّان الأندلسية، مع العلم أنه أقام خلال شبابه في القاهرة زهاء أربع سنوات (402/ 407هـ - 1012 - 1017م) حيث يعتقد أنّه تتلمذ هناك على يدي ابن الهيثم. والواقع أنه لا يعرف الكثير عن حياى الجيّاني، والمؤرّخون غير واثقين بالصلة بينه وبين الفقيه والعالم بالنحو والحساب الجيّاني المولود أيضًا بقرطبة في نفس الفترة.

فقد أشارت كتب التراجم إلى أنّ معاذ الجيّاني الرياضي العالم بالفرائض والحساب. كما وصف الجيّاني في كتابه الرياضي «مقالة في شرح النسبة» بالقاضي والفقيه. ولذا لا يستبعد أن يكون هو نفسه الجيّاني الثاني الذي ولد أيضًا بقرطبة عام 379هـ/ 989م ونزل بالقاهرة خلال نفس الفترة المشار إليها آنفًا. والمسألة الوحيدة التي جعلت المؤرّخين لا يبتّون في مسألة تطابق الاسمين هو أنّ الجيّاني الرياضي (موضوع هذا المدخل) ألّف كتابًا حول الكسوف الذي وقع في جيّان يوم 1 يوليو 471هـ/ 1079م. والمطابقة بين الرجلين تؤدّي إلى أنّ صاحبنا يكون قد تجاوز تسعين سنة حين انتهى من تأليفه، وهذا أمر شبه مستبعد حتى وإن كان محتملًا.

وعلى كل حال فكتب التراجم والتاريخ تنبئنا بوجود العديد من العلماء الأندلسيين الذين يحملون لقب الجيّاني. فنحن نجد ابن شاكر الكتبي مثلًا يشير في فوات الوفيات إلى «... أبي الحسن الأنصاري الأندلسي الجيّاني نزيل فاس، ولي خطابة فاس وهو صاحب كتاب شذور الذهب في صناعة الكيمياء، توفّي 593 ...». وفي هدية العارفين يذكر البابانى: «محمد بن مسعود الخشني الجيّاني، أبو بكر الأندلسي النحوي (ت 545م) له شرح غريب الجامع الصحيح للبخاري». وفي هدية العارفين إشارة أخرى إلى أبي علي الجيّاني المولود سنة 427 والمتوفّى عام 498. من مصنّفاته: «تقييد المهمل وتمييز المشكل في رجال الصحيحين...»، لذلك فلا غرابة في أن يقع المؤرخون في حيرة بخصوص تطابق هذه الأسماء وغيرها ممّن لقّب بالجيّاني.

يميل المؤرّخون إلى الاعتقاد بأن ابن معاذ ألّف معظم أعماله في جيّان. ولم يستنبط هذا الاعتقاد من اسمه الجيّاني فحسب بل أيضًا من كون الجداول الفلكية التي أنجزها تتعلّق

بإحداثيات مدينة جيّان التي شهد كسوفها عام 471هـ/ 1079م. وقد ترك أعمالا رياضية وفلكية متميّزة جعلت الغربيين يعتبرونه من أفضل رياضيي جيله في إسبانيا. وقد ذكره ابن رشد في تفسير ما بعد الطبيعة وقال عنه إنّه من كبار الرياضيين على الرغم من كونه يشاطره بعض الآراء.

ويرى المؤرّخان الإسبانيان سامسو وفيرني أنّ علماء الأندلس غذّوا خلال حقبة من الزمن علوم الفلك، والنبات، والطب، والزراعة ولم يهتموا كثيرا بالرياضيات «. . . ولكن لا بد من الإشارة إلى أنّ أبحاثا حالية حول بعض الشخصيات كالملك المؤتمن (ت 477هـ/ 1085م) ملك سرقسطة ـ ثالث ملوك عائلة ابن هود التي حكمت منطقة سرقسطة ما بين 1039م و1146م، ومن الملوك القلائل الذين انشغلوا بالرياضيات وأسهموا في تطوّرها بالبرهان على نتائج أصيلة في حقل الهندسة ـ وابن معاذ الجيّاني، وابن باجة (ت 533هـ/ 1139م) ـ من أعلام الأندلس، اشتهر بالرياضيات والفلك والطب والفلسفة ـ قد تجعلنا نغيّر رأينا هذا في مستقبل قريب» [فيرني خوان وسامسو خوليو، م. س، ص 353].

عرف الجيّاني بعدّة مؤلّفات في الرياضيات وعلم الفلك منها مقالة في شرح النسبة التي أشرنا إليها آنفا، وهي تعتبر من أهمّ أعماله الرياضية. ولذا أولاها المختصّون أهمّية بالغة باعتبارها تشكل حلقة هامّة في سلسلة الشروحات العربية لمفهوم النسبة الذي أتى به إقليدس في الكتاب الخامس من الأصول. وقد ترجمت هذه المقالة إلى الإنكليزية في منتصف الخمسينات من القرن العشرين من قبل إدوارد برنارد بلويج Plooij.

نجد في مقالة شرح النسبة رؤية معينة جعلت ابن معاذ يعرّف خمسة مقادير (كميات) حاثّا على استخدامها في الهندسة، منها العدد والخط والزاوية. وذكر الجيّاني أنّه كتب مقالته للتعليق على ما ورد في الكتاب الخامس لإقليدس ولشرح بعض ما جاء في كتابه الخامس لنسبة أربعة مقادير إلى ظهور العديد من الشروحات. ومنها شرحان أحدهما للجيّاني الذي لم يكن يهدف نقد وجهة نظر إقليدس، بل على العكس من ذلك فقد كان يبررها محاولا إظهار الفرضيات التي تقف من وراء حجج إقليدس. . . . وقد دافع الجيّاني في هذا المؤلّف عن مضمون الكتاب الخامس لإقليدس مبديا إعجابا كبيرًا بهذا العالم الإغريقي.

ينبغي أن نلاحظ هنا بأنّ إقليدس، شأنه شأن جميع العلماء الإغريق، لم يعتبر العدد كمقدار هندسي. لكن الجيّاني خالف هؤلاء جميعا لأنّه كان بحاجة لهذه الرؤية من أجل تبرير تعريفه للنسبة. ومن الواضح أنّ الجيّاني قد ساير في ذلك الفكرة السائدة لدى العرب والمسلمين في موضوع العدد. وقد افترض الجيّاني في مقالته أنّ كل إنسان يتمتّع بنصيب من الذكاء يلمّ إلمامًا بسيطا بالنسبة. ومن ثمّ راح يستنتج خواص أخرى للنسبة منتهيا بربط مفهومه لها بذلك الذي أورده إقليدس. وبهذا الصدد يرى المؤرّخون الغربيون أنّ الجيّاني بيّن هنا إدراكا لهذا الموضوع شبيها بذلك الذي كان لدى إسحاق بارو (Barrow 1630 -1677)، مع العلم أنّ بارو يعتبر لدى الكثيرين

أوّل من فهم فهما صحيحًا الكتاب الخامس لإقليدس.

وهناك عمل آخر، من الأهمّية بمكان، أنجزه الجيّاني حول الأقواس في الكرة بعنوان «مجهولات قسى الكرة»، وهو كتاب يعتبره المؤرّخون أوّل تأليف في علم المثلّثات الكروي صار معه هذا العلم مستقلًا عن علم الفلك. يقول فيرني وسامسو بخصوص هذا الكتاب: «تتسلسل الأفكار في كتاب ابن معاذ بشكل روائي ولا يتردّد في الرجوع عند الحاجة إلى نقطة أساسية أو إلى نقطة سبق أن سقطت سهوا. إنّ الاكتشاف الحديث لهذا الكتاب الصغير الطريف يثير في الحقيقة تساؤلات يفوق عددها الأجوبة التي يقدّمها، وذلك فيما يخصّ مسألة انتقال علم المثلّثات إلى الغرب، وهذه المسألة لم تزل غامضة» [فيرني خوان وسامسو خوليو، مرجع سابق، ص 653].

وفي سياق دراسة علم المثلثات خلال القرن الثالث عشر قام المؤرّخ فيلوندا س Villuendas عام 1979 بتحقيق هذا العمل ونشر نصّه العربي مع ترجمة إسبانية. وأبرز المحقّق النتائج التي توصّل إليها الجيّاني في معالجة المثلّثات الكروية انطلاقا من نظرية معروفة للإغريقي منلاوس Minclaos. وقد أثبت الجيّاني ست علاقات تتمتّع بها المثلّثات القائمة معتمدا على نظرية منلاوس. ويلاحظ المؤرّخون إنّ الجيّاني قدم في هذا التأليف نظريات جديدة بالنسبة إلى الأندلس لكنها كانت معروفة جميعها في الشرق. والملفت للانتباه أنّ المؤلّف لم يشر في الكتاب إلى علم الفلك إلّا في مقدّمته. ورغم ذلك فتح هذا العمل الباب أمام علم مثلّثات جديد يختلف تماما عن ذلك الذي نجده في الحسابات الفلكية التي عرضها ابن معاذ نفسه في جداول زيج الجيّاني والمعروفة في الغرب بـ Tabulae Jahen.

ويحتوي كتاب «مجهولات قسى الكرة» أيضًا على جدول لقيم ظِلّ عديد الزوايا، مع العلم أنّ الجيّاني يحسب الظل باعتباره مساويا لحاصل قسمة الجيب على جيب التمام. والملاحظ أنّ ابن معاذ كان حصل على عدّة قيم للظلّ باستخدام الطريقة المسمّاة بالاستكمال التربيعي Quadriatic interpolation، وهي المرّة الأولى التي يتمّ فيها استعمال هذه الطريقة في الأندلس. نشير إلى أنّ الجيّاني استخدم أيضًا هذه الطريقة ضمن كتابه الفلكي كتاب الغسق liber de crepusculus في حساب الجيب لزاويتين [مرجع سابق، ص 377].

إنّ المرجع الوحيد الذي أشار إليه الجيّاني في «مجهولات قسى الكرة» هو كتاب الأكر لمنلاوس، ولذا يرجّح المؤرّخون أنّ ابن معاذ ألّف كتابه مستندا إلى اطّلاعه على التقدّم الذي أحرزه علماء المشرق آنذاك ومستلهما أفكاره من كتاب لمنلاوس. ولقد أثار المختصّون مؤخّرا مسألة الصلة بين عمل ابن معاذ ومضمون الكتاب حول المثلّثات De triangulis الذي ألّفه جوهان مولر ريجيو مونتانوس (Regio Montanus 1436 - 1476). ففي حين يرى البعض أنّ طرق الانتقال من الأوّل إلى الثاني غير واضحة، يرى آخرون، مثل المؤرّخ هيرتدينوفا Hairetdinova، رأيا مخالفا حيث يقول إنّ أحد مصادر هذا العالم

الأوروبي كان كتاب الجيّاني، كتاب مجهولات قسي الكرة. ومن بين أوجه الشبه الموجودة بين هذا العمل للجيّاني وعمل ريجيومونتانوس نجد تعريف النسبة كعدد. وكذا تشابها في معالجة دالة الظل، وتشابهها في طريقة حل المثلّثات الكروية عندما تكون كل الأضلاع مجهولة. ومن ثمّ استنتج بعضهم أنّ ريجيو مونتانوس اعتمد على الأعمال العربية الخاصّة بعلم المثلّثات الكروي، ومنها عمل الجيّاني.

وممّا يدلّ على أنّ مؤلّفات الجيّاني كان لها كبير الأثر لدى الغرب في حقل الرياضيات وعلم الفلك، الترجمة التي حظيت بها مختلف مؤلّفاته. فقد ترجم صموئيل بن يهوذا المارسيلي Samuel ben Jehuda (ت 1340م) إلى العبرية رسالة ما الفجر والشفق التي ألّفها ابن معاذ وفُقد أصلها العربي. وتتناول هذه الرسالة بوجه خاصّ موضوع تحديد ارتفاع الجو بواسطة تقدير قياسات أقواس تتعلّق بموقع الشمس. واستخلص ابن معاذ بطريقة هندسية نتائج مهمّة توصّل إليها أيضًا ـ بعد ستة قرون ـ الرياضي والفلكي الإيطالي إيفنجليستا توريتشلّي (1608-1647) Torecilli .

كما ترجم جيرار دي كريمونا Cremona (1114 - 1187) إلى اللاتينية كتاب الغسق الذي أشرنا إليه آنفا. ولا يدري المؤرّخون ما إذا كان النص العربي لهذا المؤلّف لا زال موجودا أو اندثر. وكتاب الغسق نسب خلال فترة طويلة إلى ابن الهيثم (965 ـ 1039م) الذي كان يعتقد أنه ألفه بعد كتاب المناظر في البصريات.

وهناك كتاب آخر اهتمّ بمسائل الري والساعات المائية ينسبه البعض ـ ومنهم المؤرّخ هيل Hill ـ إلى ابن معاذ الجيّاني، وهو كتاب الأسرار في نتائج الأفكار. لكن المؤرّخين فيرني وسامسو نسباه إلى «أحمد، أو محمد بن خلف المرادي».

ومن مؤلّفات الجيّاني أيضًا الجداول الفلكية التي سبق ذكرها ومسمّاة بزيج الجيّاني. وقد قدّم فيها صاحبها كمّا من المعلومات الفلكية تتناول التواقيت والتواريخ ومواقيت الصلاة واتّجاه الكعبة وظهور الأهلة والكسوفات. واقتدى الجيّاني في هذا العمل بالعادات السائدة في ذلك الزمان فضمّن تأليفه معلومات تمسّ علم التنجيم إلى جانب تلك المتعلّقة بعلم الفلك. ولاحظ المؤرّخون هنا أنّ الجيّاني أبدى ثقة واضحة في المعطيات الفلكية الواردة في عمل الخوارزمي ولم يتوان في استخدامها، بينما تحفّظ عن أفكار الخوارزمي في التنجيم واعتمد كثيرا في هذا الموضوع على المصادر الهندية.

آثاره

1 ـ مقالة في شرح النسبة، ترجمها إلى الإنكليزية بلويج Plooij عام 1950؛ 2 ـ كتاب مجهولات قسي الكرة، نشر نصّه العربي مع ترجمة إسبانية عام 1979 فيلونداس Viluuendas؛ 3 ـ زيج الجيّاني، المعروفة لدى الغرب بـ Tabulae Jahen؛ 4 ـ كتاب الغسق، نسب خلال فترة طويلة إلى ابن الهيثم، ويعرف لدى الغرب بـ Liber de crepusculus، ترجمه إلى اللاتينية جيرار دي كريمونا Cremona؛ 5 ـ رسالة ما الفجر والشفق، ترجمها إلى العبرية صموئيل بن

يهوذا Ben Jehuda والأصل العربي مفقود؛

6 ـ كتاب الأسرار في نتائج الأفكار، نسب أيضًا إلى «أحمد أو محمد بن خلف المرادي».

المصادر والمراجع

- غولدشتاين برنار، إرث العلم العربي في العبرية، ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج1، تحت إشراف رشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسّسة عبد الحميد شومان، 1997م؛ ● فيرني. خ، سامسو. خ، تطوّرات العلم العربي في الأندلس، ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج1، تحت إشراف رشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسّسة عبد الحميد شومان، 1997؛ ● ديبارنو. م.ت، علم المثلّثات، من الهندسة إلى علم المثلّثات، ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج1، تحت إشراف رشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسّسة عبد الحميد شومان، 1997؛
- Closa, J.C., The treatise on projecting the rays of Ibn Muadh al-Jayyani, 20è Congrès international des sciences, Liège, Belgique, 20-26 Décembre 1997;
- Dold-Samplonius Y.& Hermelink H., Al-Jayyani, in Dictionary of Scientific Biography, New York, 1970-1990;
- Goldestein B.R., Ibn Mu'adh's treatise on twilight and the Height of the Atmosphere, Archive for History of Exact Sciences, 17, 1977, pp 97-118;
- Hairetdinova N G, on spherical trigonometry in the Medieval near East and in Europe, Historia Math. 13 (2), 1986, pp 136-146;
- Hermelink H., Tabulae, Archive for history of exact sciençes, 2, 1964/1965, pp 108-112;
- Hill D R., A treatise on machines by Mu'adh Abu'Abd Allah al-Jayyani, J. Hist. Arabic Sci., 1, 1, 1977, pp. 33-46;
- King D., An Overview of the sources for the History of astronomy in the medieval Maghrib; Actes du 2ème Colloque Maghrébin sur l'histoire des mathématiques arabes, 1-3 Décembre 1988, Tunis, Université de Tunis I, Inst. Sup. Edu, Formation Continue, Tunis, pp 125-157;
- O'Connor J.J & Robertson E.F., Abu Abd Allah Muhammed Ibn Muadh Al-Jayyani In: http://www-history.mcs.st andrews.ac.uk/history/Mathematicians/Al-Jayyani.html;
- Plooij. E B, Euclid's conception of ratio and his definition of proportional magnitudes as criticized by arabian commentators, Van Hengel, Rotterdam, 1950;
- Vahabzadeh B., Two commentaries on Euclid's definition of proportional magnitudes, Arabic Sci.

philos. 4, 1, 1994, pp 181-198;

- Villuendas M.V., la trigonometria Europea en el siglo XI, Estudio de la obra de Ibn Mu'ad, «El Kitab mayhulat», Instituto de historia de la ciencia de la Real Academia de Buenas Letras, Barcelona, 1979.

د. أبو بكر خالد سعد الله
المدرسة العليا للأساتذة ـ الجزائر

الجيطالي، أبو طاهر إسماعيل بن موسى

(ت 750هـ/1350م)

إسماعيل بن موسى أبو طاهر الإباضي الجيطالي نسبا، والغرياني مسكنا من قصر الجيطال (أو أجياطل) بجبل نفوسة.

فقيه متكلّم مدرّس أديب شاعر. درس الفقه والأدب والشعر، وأخذ عن عيسى الطرميسي بفرسطاء مدة تسع سنوات، واشتهر بحافظته العجيبة. عاش مدّة في مدينة طرابلس الغرب، وذكر المترجمون أنّه امتحن من قاضيها، فحبسه وصادر أمواله، فشفع فيه ابن مكي صاحب قابس، وتحمّل عنه أولاد أبي زكريا ابن أبي مسور مالا، فأطلق سراحه. ثمّ انتقل إلى جربة. درّس فيها بالجامع الكبير، بحومة الحشّان قرب حومة السوق، وكان يقرأ ويصنّف في المجلس الواحد [الجربي، مؤنس الأحباء، ص 91 ـ 92؛ عبد الوهاب، كتاب العمر، ص 964 ـ 965؛ الزركلي، الأعلام، 1/ 327؛ محفوظ، تراجم المؤلفين، 2/ 72].

توفي الجيطالي بجربة، ووقع خلاف في تاريخ وفاته، قيل: سنة 737هـ/ 1336 ـ 1337م [الجربي، مؤنس الأحبّة، ص 92] وقيل: 750هـ/ 1350م في عام الطاعون الجارف. والأحداث التي عاصرها الجيطالي تثبت وفاته في التاريخ الثاني [الجربي، مؤنس الأحبّة، ص 91 هامش 2؛ الزركلي، الأعلام، 1/ 328؛ عبد الوهاب، العمر، ص 964؛ محفوظ، تراجم المؤلفين، 2/ 72 هامش 2]، ودفن في روضة قبلة المسجد الكبير في جربة. [الحيلاتي، علماء جربة، ص 75، 97؛ عبد الوهاب، العمر، ص 964؛ محفوظ، تراجم المؤلفين، 2 / 72؛ حجّي، فهرس الصبيحية، ص 192].

آثاره

1 ـ فرائض الجيطالي أو كتاب في الحساب وقسم الفرائض أو كتاب الفرائض وهو رسالة في حساب المواريث.
أوله: الحمد الله المتوحّد بالكبرياء المنفرد بالديمومة والبقاء.

آخره: وإنّما كتبنا هذا الباب من عويص مسائل الفرائض لجريان العادة بها بين طلّابها، جمع ذلك من كتاب الحصار وغيره وبالله التوفيق والهداية.

توجد منه نسخة بالصبيحية رقم: 1/ 505، ونسخة بدار الكتب المصرية رقم: 22297 ب، وقد طبع هذا الكتاب بالمطبعة البارونية بالقاهرة عام (1305هـ/ 1887م).

وقد اعتنى علماء المذهب الأباضي عناية كبيرة بـ «فرائض الجيطالي» فقد حشّ عليها أبو عبد الله بن أبي ستّة محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن أبي ستّة القصبي السدويكشي (ت 1088هـ/ 1678م) وسمّاها «حاشية على شرح الفرائض لإسماعيل الجيطالي» [عبد الوهاب، كتاب العمر، ص 974]. كما توجد حاشية ثانية على نفس الكتاب بالصبيحية تحت رقم: 505/ 2، مؤلفها غير معروف [حاجي، فهرس الصبيحية، ص 142، 192]؛ 2 ـ قواعد الإسلام اشتهر باسم العقيدة ويسمّى أيضا بـ «شرح قواعد الإسلام وذكر الحقوق والمظالم من قبل الأنام وفيه طرف من الكبائر والآداب المستحب الأخذ بها للخواصّ والعوام». اعتنى علماء الأباضية بهذا الكتاب وشرحوه وعلّقوا عليه، تكلّم فيه صاحبه عن أركان الإسلام الخمسة، وقارن بين آراء المذاهب الإسلامية، ثمّ يذكر رأي علماء الأباضية، معتمدا على التدليل والترجيح، وهو من أهم المراجع خاصة عند إباضيّي جبل نفوسة. توجد منه مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم: 22068.

طبع مع حاشية ابن أبي ستة القصبي في مصر طبعة حجريّة في المطبعة البارونية سنة (1294هـ/ 1877م)، ثمّ طبع ثانية في جزأين بعناية الشيخ عبد الرحمٰن البكلي في المطبعة العربية بغرداية سنة (1394 هـ/ 1976م). كما طبعت مع أصلها على الحجر بمصر بالمطبعة البارونية سنة (1297هـ/ 1879م) [عبد الوهاب، كتاب العمر، ص 965، 973؛ محفوظ، تراجم المؤلفين، 2/ 72 ـ 73]؛ 3 ـ شرح القصيدة النونية أو شرح الأصول الدّينية، والقصيدة النونية فيها 181 بيتا لأبي نصر فتح بن نوح الملّوشاني وقيل: الملّوشائي جمع فيها آراء غالب المذاهب الإسلامية في العقائد والأصول، توجد منها مخطوطات في جربة ونفّوسة ووادي ميزاب، منه نسخة في جزئين بمكتبة الشيخ سالم يعقوب بجربة [محفوظ، تراجم المؤلفين، 2/ 73؛ عبد الوهاب، العمر، ص 965]؛ 4 ـ قناطر الخيرات أو القناطر وهي موسوعة دينية في عدّة مجلّدات، تكلّم فيها صاحبها عن الطرق التي يمكن أن تحقّق للإنسان سعادته في الدارين. يقول فيه سليمان الحيلاتي: والشيخ أبو طاهر، عمّنا الشيخ إسماعيل الجيطالي، مؤلف كتاب القناطر الذي ليس له نظير فيما رأيناه من كتب أصحابنا وغيرهم.

طبعت هذه الموسوعة في القاهرة على الحجر بالمطبعة البارونية سنة (1307هـ/ 1889م)، وطبع الجزء الأوّل في القاهرة بتحقيق عمرو خليفة النامي مكتبة وهبة ط (1385هـ/ 1965م) كما طبعتها وزارة التراث القومي العمانية سنة 1989م في أربعة أجزاء [الحيلاتي، علماء جربة، ص 7؛ الزركلي، الأعلام، ج 1/ 328؛ محفوظ، تراجم

المؤلفين، 2/ 73؛ عبد الوهاب، العمر، ص 965، 973]؛ 5 ـ أجوبة الأيمّة في ثلاثة أجزاء [الزركلي، الأعلام، 1/ 328؛ عبد الوهاب، العمر، ص 965؛ محفوظ، تراجم المؤلفين، 2/ 72 ـ 73]؛ 6 ـ كتاب الحجّ والمناسك، [عبد الوهاب، العمر، ص 965؛ محفوظ، تراجم المؤلفين، 2/ 72 ـ 73]؛ 7 ـ مجموع رسائل، يقول ابن مرزوق، توجد نسخ خطيّة منها في جربة وميزاب، وهي رسائل وجّهها إلى بعض علماء عصره في صورة فتاوى [عبد الوهاب، العمر، ص 966؛ محفوظ، تراجم المؤلفين، 2/ 74]؛ 8 ـ مقاييس الجروح واستخراج المجهولات أو كتاب الجراحات، وهو كتاب صغير في الفقه في أحكام الجراحات ومقياسها وديّاتها، طبع مع كتاب الحساب الآتي الذكر. كما طبع ذيل لرسالة في الفرائض بالمطبعة البارونية بمصر [عبد الوهاب، العمر، ص 966؛ محفوظ، تراجم المؤلفين، 2/ 72 ـ 73]؛ 9 ـ كتاب الحساب اهتمّ فيه بالعمليّات الحسابيّة وخصوصا الكسور، واعتنى فيه بالتمارين التطبيقيّة، وبما يسمّى اليوم الحساب الذهني السّريع، طبع بالقاهرة مع كتابه الجراحات [محفوظ، تراجم المؤلفين 2/ 72 ـ 73]؛ 10 ـ ديوان شعر، قيل: إنّ نسخة منه توجد في مكتبة أسرة الباروني بجربة المجاورة لضريحه [محفوظ، تراجم المؤلفين، 2/ 72 ـ 73].

المصادر والمراجع

● الحيلاتي، سليمان بن أحمد الجربي، (ت 1099هـ)، علماء جربة المسمّى رسائل الشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي الجربي، تح. محمد قوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م؛ ● الجربي، محمد أبو راس (ت بعد 1222هـ)، مؤنس الأحبّة في أخبار جربة، تح. محمد المرزوقي، قدّم له، حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، نشريات المعهد القومي للآثار والفنون بتونس، تونس 1960م؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام (8 أجزاء)، ط 5، 1980م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ● عبد الوهاب، حسن حسني، كتاب العمر في المصنّفات والمؤلفين التونسيين (جزءان)، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش؛ ● محفوظ، محمد، تراجم المؤلّفين التونسيين (5 أجزاء)، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط 1، 1405هـ/ 1985م ؛ ● حجّي، محمد، فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، منشورات معهد المخطوطات العربية بالكويت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط 1، 1406هـ/ 1985م.

د. منير بن المختار التليلي
الجامعة العربية للعلوم ـ تونس

ابن الجَيْعان، أبو البقاء محمد بن يحيى

(ت 902هـ/1496م)

هو القاضي بدر الدين، أبو البقاء محمد بن يحيى بن شاكر القبطي، الشافعي، الدمياطيّ الأصل، القاهريّ المصريّ، المعروف بابن الجَيْعان. من أسرة بني الجَيْعان القبطيّة المصرية، أسلمت في بداية القرن التاسع الهجري، ولمع من أفرادها كثيرون تولّوا المناصب الإدارية في الدواوين المدنية والعسكرية. وخدموا سلاطين الجراكسة على امتداد ذلك القرن حتى سقوط دولة المماليك في مصر، وانتقل بعض ذراريهم إلى بلاد الروم العثمانيين في عهد السلطان «سليم الأول»، وقد حَسُن إسلام أفراد الأسرة، فحمل بعضهم لقب «القاضي» منهم هذا المؤرّخ، وحفظ بعضهم القرآن الكريم، وابتنى بعضهم المساجد والمدارس الدينية في القاهرة. وكان أفراد الأسرة يَحْظون بالثراء في المال والعقار، وصاهرهم الأعيان وأصحاب المناصب العالية في مصر والشام، وخدمهم الناس، وقيل فيهم إنهم كانوا أصحاب الحلّ والعقد في الدولة، في الباطن، وإنْ كان غيرهم في الظاهر، فهم الأصل. وبالجملة فهم أصلح أبناء جنسهم.

كان بدر الدين أبو البقاء رئيساً حشماً، فاضلاً، عارفاً بأحوال المملكة، مقرّباً عند السلطان الأشرف «قايتباي»، ورقي في أيامه وانتهت إليه الرياسة، وفاق على من تقدّمه من أقاربه، وكان أدوباً، حُلو اللسان، سيوساً، وله اشتغال بالعلم، وكان من نوابغ بني الجَيعان، وله برّ ومعروف، وهو الذي أنشأ عمارة الزاوية الحمراء وجعل بها خطبة، والحوض والسبيل، وأنشأ هناك القصور والمناظر والغيط الحافل، وصار ذلك المكان من جملة مفترجات القاهرة، وتسعى إليه الناس في زمن النيل للفُرْجة هناك.

نظم الشعر، وصنّف، ورافق السلطان قايتباي في رحلته إلى بلاد الشام في سنة 882هـ/1477م. وكتب تفاصيل الرحلة في كتاب بعنوان: «القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف»، منه نسخة خزائنية مزخرفة محلّاة بماء الذهب، في دار الكتب المصرية. وهو أحد كتب التراث المهمّة التي وصلتنا عن أواخر عصر المماليك، يندرج بين كتب «المعارف العامة» قبل أن يكون بين كتب الرحلات، فهو بالمادّة التي يشتمل عليها يكاد يكون موسوعياً، رغم صِغر حجمه، ففيه: التاريخ، والجغرافية، والحياة الاجتماعية، والزراعة والصناعة، والعمران والعادات، ونُظُم الحكم، والعلاقات السياسية. فضلاً عن وصف العمارة المدنية والعسكرية، من خانات وأبراج وحصون في بلاد الشام، وطُرُق البريد، والقوافل التجارية، مع رسوم السلطنة والتقاليد الرسمية بإصدار المراسيم وتقديم الأعطيات والأزياء.

لقد جمع ابن الجَيعان بأسلوبه الرشيق هذه

المُعطيات كلّها في كتابه الصغير بحجمه، المهمّ في مضمونه، ليجعله في مصافّ أهمّ المصادر العربية عن الفترة المتأخّرة من عصر المماليك التي تُعتبر أكثر الفترات غموضاً وإهمالاً من كتب التاريخ وغيره، ومن هنا اكتسب هذا الكتب أهميّته البالغة لدى الباحثين والمؤرّخين. فهو بخطوطه العريضة، يتناول بالوصف رحلة السلطان قايتباي من مصر إلى بلاد الشام الشمالية، وعودته، ويختلف عن كثيرٍ من كتب الرحلات المعروفة التي يقوم بها أفراد عاديّون، بهدف الرحلة فقط، وتسجيل المشاهدات. فالرحلة هنا لم يقم بها رحّالة عاديّ، بل قام بها سلطان مصر والشام، ولم تكن رحلته من أجل الرحلة، بل كانت لتحقيق أهدافٍ في مقدّمتها الوقوف عن كَثَبٍ على الأوضاع السياسية والعسكرية، وتفقّد التحصينات الدفاعية لبلاد الشام، في وقتٍ بدأت فيه الحدود الشمالية وأطرافها تشهد مقدّمات تحوّلٍ سياسيّ وعسكريّ خطير في العلاقات مع الأتراك العثمانيين في الأناضول، بعد انتصارهم العظيم على البيزنطيين، وقيام السلطان «محمد الفاتح» بفتح القسطنطينية سنة 856هـ/ 1453م.

وقد أتى تدوين ابن الجَيعان لوقائع الرحلة ليصُبّ في مسار التواصل التأريخي للأحداث والأخبار، بالتفصيل اليومي الدقيق، وليكون رافداً من روافد المصادر التاريخية البحتة المعروفة بكتب الحوليّات، وكتب السير للسلاطين والملوك وغيرهم.

وأمدّنا بمعلوماتٍ ثرّة عن طريق البريد في تلك الحقبة المتأخّرة من عصر المماليك، وعن عدّة معالم عمرانية في مدن وقرى الشام، وعن الشخصيات السياسية والدينية والمدنية المعاصرة للرحلة، مما يُثري معلوماتنا في مجال التراجم للأعلام، وهو فنّ لا يقلّ أهميّةً عن فنّ التأريخ بحدّ ذاته.

توفي ابن الجيعان سنة 902هـ/ 1496م. وقد قارب الستّين من عمره.

آثاره

1 ـ القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف؛ 2 ـ طوالع البدور في تحويل السنين والشهور.

المصادر والمراجع

● ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، 3/ 363؛ ● القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار جرّوس برس، طرابلس، لبنان 1984.

د. عمر عبد السلام تدمري
الجامعة اللبنانية ـ طرابلس ـ لبنان

الجيلاني، أبو محمد عبد القادر محيي الدين

(470هـ/1078م ـ 561هـ/1166م)

محيي الدين أبو محمد بن أبي صالح موسى جنكي دوست، فقيه صوفي، نسبته إلى جيلان من طبرستان التي ولد بها، وهي تقع إلى الجنوب من بحر قزوين، وقد تلقّى تعلّمه على عدد من أبرز الفقهاء والمحدّثين على أيامه، منهم العلّامة الفقيه التبريزي (ت 502هـ/ 1109م)، كما درس على المعتزلي أبي الوفاء بن العاقل (ت 513هـ/ 1121م)، ودرس أيضًا على أبي سعد المخرّمي الذي كان أحد القضاة اللامعين آنذاك، ودرس علوم الحديث على الصوفي أبي محمد جعفر السرّاج صاحب كتاب «مصارع العشاق»، لكنّ الذي علّمه الصوفية هو أبو الخير حمّاد الدبّاس (ت 523هـ/ 1131م).

تفقّه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وذكر الشعراني أنّ الجيلاني جمع بين مذهب الشافعي والمذهب الحنبلي. وكان يفتي الناس على مذهبيهما. وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتثير إعجابهم الشديد، ويقولون: سبحان من أنعم عليه [الشعراني، الطبقات الكبرى، 1/ 1، 9].

ويقال إنّ المخرمي الصوفي المتعبّد هو الذي خلع «الخرقة الصوفيّة» على عبد القادر الجيلاني حينما بلغ درجة التمكّن من الصوفيّة وأتمّ تعلّمه في مختلف علوم زمانه. وقد بدأ عبد القادر الجيلاني في الوعظ والإرشاد وهو في سنّ الخامسة عشرة من عمره، وبعد ذلك بستّ سنوات أصبح عبد القادر الجيلاني رئيسا لمدرسة المخرّمي فيتلقّى المساعدات المالية من الأغنياء والمحسنين لتسييرها وإدارتها، مثلما هي عادة المسلمين في ذلك الوقت تجاه الزوايا الصوفيّة ورجالاتها، كما أنّ الفقراء من الناس كانوا كثيرا ما يتطوّعون للقيام بالأعمال التي تحتاج إليها مراكز الزوايا (التكيات) ورجالها.

وبعد مدّة تكاثرت مساعدات الناس على عبد القادر الجيلاني، واتّسعت سمعته بين الناس في الوعظ والإرشاد والتوجيه والتعليم، وهي الأعمال التي كان الرجل يقوم بها بكلّ ما استطاع من جهد وإخلاص، فاستقلّ بنفسه وأنشأ له مركزا خاصًا لنشاطاته هذه، فأصبح الناس يزورونه، وهم محبّون لطريقته في الوعظ والإرشاد والتعليم والتوجيه والعمل. ومن هنا نشأت الطريقة القادريّة الصوفيّة، ويقال إنّ هذا الصوفي الكبير قد استطاع في حياته أن يجلب بطريقته ونزاهته عددا من المسيحيّين واليهود أيضًا، فاعتنقوا الإسلام على يده.

قضى عبد القادر الجيلاني جزءًا هامًا من حياته في بغداد التي انتقل إليها بعد أن انتشرت طريقته وأصبح له أتباع كثيرون حتّى من خارج منطقته في جنوب بحر قزوين، وفي

بغداد ازدادت تعاليمه وشهرته اتّساعا، واستمرّ هو في الوعظ والإرشاد والتدريس والإفتاء ممّا جعل الناس يقبلون على توجيهاته.

في بغداد، كانت وفاته سنة 561 هـ ولا يزال قبره محلّ زيارة عامّة الناس؛ ونظرا إلى مكانة الطريقة القادريّة لدى العامّة فقد اهتمّ السلطان سليمان العثماني بمقام هذا الصوفي الشهير، فأعاد بناء قبره، وكذلك المسجد الموجود إلى جانب القبر، وهو مسجد جامع حتّى الآن.

وقد أطلق على الجيلاني العديد من الأسماء فسمي بالغوث الأعظم، ومعدن الدقائق، وشمس الشموس، وسلطان الواصلين، وإمام المتّقين، ونقيب المحبوبين، وسمي أيضا بسيّد السادات ومنبع السعادات [إسماعيل بن السيد محمد سعيد القادري، الفيوضات في المآثر والأوراد القادرية، ص 194 _ 195].

والجيلاني إمام من أئمّة التصوّف السنّي المعتدل، عارض تيارات التصوّف الفلسفي والنظريات والآراء الفلسفية بالمواجيد الروحانيّة، وكان حريصا على التمسّك بالكتاب والسنّة، ملتزما بأحكامها في آرائه وإفتائه، متأسّيا في ذلك بعلماء السلف وأئمّة الحديث. وتذكر عنه العديد من المصادر أنّه كان عالما بالعلوم الإسلاميّة والعربيّة، ويتكلّم في ثلاثة عشر علما، فكان يلبس لباس العلماء، ويتطيلس، ويتكلّم، ويعظ على كرسي عال [الشعراني، الطبقات الكبرى، 1/ 8 _ 9].

ولهذا وصفه بعض المؤرّخين بأنه قطب العارفين في عصره، ولورعه وتقواه عدّه بعض الباحثين أشهر أولياء المسلمين كافّة، وأعظمهم أثرا خاصّة. وبفضل الطريقة القادريّة انتشر الإسلام في غرب إفريقيا، ولبساطة تعاليم هذه الطريقة وسماحة شيوخها كان لها الذيوع والانتشار [توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 365 وما بعدها، ترجمة وتعليق د. حسن إبراهيم وآخرين].

كان الجيلاني محبّا للعمل، يتكسب من عمل يديه. وكان تقيّا ورعا، فاق أهل زمانه في علوم الدين. وهو صوفي سني يمثّل الاعتقاد الصحيح على مذهب السلف الصالح من أهل السنة [الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق، 2/ 263].

تأثّر به ابن تيمية، وقال عن طريقته إنّها الطريقة الشرعيّة الصحيحة. كان قويّ النفس عالي الهمّة، كثير المجاهدة، زاهدا، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. أشاد به ابن كثير لأنّه عنده كامل أدب النفس. وامتدحه الفقيه الحنبلي عبد الله بن قدامة (541هـ) قائلا: لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عنه (أي عن الجيلاني)، ولا رأيت أحدا يعظمه الناس للدين أكثر منه [الموسوعة الصوفيّة، ص 411]، ولعلّ ما يؤيّد ذلك تسميته «بقاموس الواعظين» [الفيوضات الربانية، ص 591].

ولبعض المفاهيم والمصطلحات دلالات خاصّة خالف بها بعض الصوفية ومنها الفناء وهو في تعريفه العام، مصطلح صوفي يعني عدم شعور الشخص بنفسه ولا بشيء من لوازم نفسه، بمعنى تبديل صفاته البشرية، أي تبديل صفاته البشريّة بصفات محبوبه وهو الله، دون ذاته، فكلّما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مكانها، فيكون الحق سمعه

وبصره، كما يقول الحديث [الموسوعة الصوفيّة، ص 244]. والفناء عند الجيلاني هو أعلى مقام السالكين، يبلغه المتحقق بالقرآن والسنة، ومعناه أن يفنى العبد عن أهوائه، ويغلب إرادة ربه بالالتزام بأوامره ونواهيه، عندئذ يصبح الإنسان عبد الأمر الإلهي وليس عبد هواه. والفناء الصحيح عنده هو الفناء الذي يقرب العبد الولي من ربّه مع زوال توهّم الحسبان والنفع والضرّ من الغير وشهود الزمر لله وحده [فتوح الغيب، ص 2].

فالفناء بهذا المعنى عند الجيلاني يختلف عن معناه الشائع عند الصوفيّة، إذ هو عند الصوفية بمعنى سقوط الأوصاف المذمومة وثبوت النعوت المحمودة. ويتحقّق الفناء عند الصوفيّة إما بكثرة الرياضة، أو بعدم الإحساس بعالم الملك والملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري، ومشاهدة الحق.

والولاية عنده خلوص محبة العبد الكامل في إيمانه لله، فإذا استولت محبّة الله تعالى على قلب العبد المؤمن الصالح، وصار محبوبه لا غيره في قلبه، استحقّ حينئذ ولايته، وتكون له المعرفة بالله منه تعالى. والولاية بهذا المعنى هي من تولّى الله تبارك وتعالى حديثه بالإلهام [الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق، 2/ 261].

وهناك من يرى أنّ الولاية عند الجيلاني وهبية أو هي محض اجتباء من الله، واختصاص وعناية منه تعالى بالجيلاني لورعه وتقواه. ومن أنصار هذا الرأي الشطنوفي الذي يذكر في كتابه «بهجة الأسرار» كثيرا من الأقوال المؤكّدة لهذا المعنى، وقد نقلها عن أحد معاصريه، نذكر منها قوله: «سمعت قائلا يقول يا عبد القادر ما خلقتك للنوم، فقد أحببناك، ولم تكن شيئا فلا تغفل عنّا» [الشطنوفي، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ص 21].

ومهما يكن من أمر هذه الأقوال وما فيها من صحّة، فالثابت وفقا لرأي الجيلاني في مصنّفاته أنّ الولاية أساسها الإسلام ثمّ الإيمان ثمّ العمل بكتاب الله ﷻ، وشريعة رسوله ، ثمّ الإخلاص في العمل مع توحيد القلب عند كمال الإيمان [الفتح الرباني، ص 79]، هكذا تجمع الولاية عند الجيلاني بين الكسب والوهب لأنّ المجاهدات وحدها في رأيه، ليست ضرورة لتحقق العبد بولاية الله تعالى، وإنّما لا بدّ من فضل الله وإنعامه عليه، فالولاية عنده «تتنزل من الحق لا من الخلق، شأنها شأن الرسالة تنزل من السماء إلى الأرض» [الفتح الربّاني، ص 187] وإن كان الجيلاني يؤثر الكسب على الوهب خاصّة، وأنّ ولاية الاجتهاد، كما يقول، هي الأسلم والأحسن [د. أحمد محمود الجزار، الولاية بين الجيلاني وابن تيميّة، المبحث الأوّل].

والشفاعة وفقا لرأي عبد القادر الجيلاني مثبّتة بالأدلّة القرآنيّة والعمدة في التصوّف عند الجيلاني هو المجاهدة بقطع مألوفات النفس والمستحسنات بغية صفائها من أدران الهوى. وهو أيضًا الصدق مع الحق، حسن الخلق مع الخلق، والتصوّف الحق عنده طريق للعبادة يلتزم فيه المتصوّف بالكتاب والسنّة التزاما حرفيا مع احترام تام للأوامر والنواهي

الشرعيّة [الشعراني، الطبقات الكبرى، 1/ 112].

ويفرّق الجيلاني بين المتصوّف والصوفي، فالمتصوّف المبتدىء الذي يبدأ زاهدا راغبا عن حظوظ الدنيا فانيا عنها، أما الصوفي فهو الممثّل لله، وهو المنتهي الذي زهد في الدنيا، وفنى عنها، بحيث تأتيه الأشياء فلا يريدها ولا يبغضها [د. مصطفى حلمي، التصوّف والاتجاه السلفي في العصر الحديث، ص 52]، يقول ذلك لأنّ من خصائص التصوّف عنده التفويض والتسليم مع الصبر على المكاره والبلى، والاستغناء بالله تعالى [الشعراني، الطبقات الكبرى، 1/ 112] ولكي يصل الصوفي إلى هذه الدرجة من التسليم والتفويض يُعدّ الجيلاني مريده والسالك لطريقته إعدادا روحيّا لكي يصل إلى درجة التوحيد الخالص لله، وذلك بأن تكون إرادة العبد هي إرادة ما يريده الله تعالى باتباع أوامره ونواهيه، هذا فضلا عن التحلّي بخصال سبع أطلق عليها اسم الخصال الجامعة وهي: مجاهدة النفس عن هواها، والتوكّل على الله، وحسن الخلق مع الناس، وذكر الله، والصبر على قضائه، والرضا بقدره، والصدق في كل أمر. وبالجملة المؤمن الحق في رأي الجيلاني، يجب أن يلتزم في سائر أحواله بثلاثة أشياء هي:

أمر يتمثّله، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به [الموسوعة الصوفية، ص 113، 115] عملا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر، 7].

وبحسب إيمان المرء وتقواه يكون ترقيه في مدارج الإيمان، فالمؤمن إذا قوي إيمانه سمي موقنا، وإذا قوي إيقانه سمي عارضا، ثم إذا قويت معرفته سمي عالما، وإذا قوي علمه سمي محبا، فإذا قويت محبّته سمي محبوبا، وإذا صحّ له ذلك سمي غنيا مقربا يستأنس بقرب الله ويطلعه على أسرار حكمه [الجيلاني، الفتح الربّاني، ص19].

ووفقا لأقوال الجيلاني فالتصوّف عنده مبني على ثماني خصال مردودة إلى ما تحلّى به الأنبياء منها صلوات الله عليهم جميعا، وأشهرها: السخاء لنبي الله ابراهيم، والرضا لنبي الله إسحاق، والصبر لنبي الله يحيى، والسياحة لنبي الله عيسى، والفقر لنبيّ الله ورسوله الحبيب المصطفى [الفيوضات الربانية]

تلك هي أهمّ الملامح المميّزة للتصوّف عند الجيلاني، وهو كما نرى فيه التزام بأحكام الكتاب والسنّة عملا بقوله «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي مع تقوى الله وطاعته، وحفظ حدود الشرع، ومجاهدة النفس بقطع عقباتها، ووأد شهواتها، وإعلاء مطالب الروح على مطالب البدن، حبا خالصًا لله وأملا في مرضاته»، ولذلك عارض الأدعياء من الصوفية والمبتدعين لأحوالهم القائلين بسقوط التكليف بدعوى المحبّة، فالمحبّة الحقيقيّة عنده هي العمل بالشرع وبالاقتداء بالرسول قولا وعملا من أجل هذا كلّه عد تصوّف الجيلاني تصوّفا سنيا معتدلا، ووصفت طريقته ـ المعروفة باسم الطريقة القادريّة ـ بالالتزام والاعتدال.

وحدد الجيلاني أساس طريقته ومبناها فقال: طريقتنا مبنيّة على الكتاب والسنّة، وسلامة الصدور، وسخاء اليد، وبذل الندى، وكف

الجفا، وحمل الأذى، والصفح عن عثرات الإخوان [الفيوضات الربّانيّة، ص 39].
ولهذا كان يعمد في تربية مريديه، والسالكين لطريقته إلى تربية أرواحهم، بتهذيب نفوسهم، وترويضهم على الطاعة، والتخلّق بأخلاق الشرع ظاهرا وباطنا، مع الأخذ بأصول الكتاب والسنّة، والقيام على أركان الشرع، وتعلّق إرادة العبد بإرادة الله تعالى، ويوصيهم بالفقر، وحفظ حرمات مشايخهم، وحسن معاشرة الناس، والنصح لأصاغر الناس وأكابرهم، مع ترك الخصومة إلّا في أمور الدين، وبالاتباع وعدم الابتداع، والطاعة وعدم المخالفة مع الصبر وعدم الجزع، والثبات والاتحاد وعدم التفرّق، وانتظار فرج الله وعدم اليأس، والاجتماع على الذكر، والتطهّر من الذنوب، والتعلّق الدائم بالله [الشعراني، الطبقات الكبرى، 1/ 111؛ الفيوضات الربانيّة، ص39].
وإذا كان الجيلاني يوصي مريديه والسالكين لطريقته بالفقر، فحقيقة الفقر عنده ألّا يفتقر الإنسان إلى من هو مثله، وكان رسولنا الكريم القدوة والمثل في ذلك، ولهذا يوصيهم بمصاحبة الفقراء بالتذلّل والأغنياء بالتعزّز، وبخدمة الفقراء، ويكون ذلك بالتواضع أوّلا، وحسن الخلق ثانيا، وصفاء النفس ثالثا. وقد حبّب الجيلاني صحبه وأتباعه في الفقر، لأنّ الفقير عنده لا يستغني بشيء سوى الله تعالى. ومن هنا كان الفقر والتصوّف عنده حدّين أوصى مريديه بعدم خلطهما بشيء من الهزل حفاظا على طريقته والتزاما بمبادئها [الفيوضات الربانية، ص 41].

إن الطريقة القادريّة تعتبر من أقرب الطرق الصوفيّة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وقد انتشرت انتشارا واسعا في كلّ البلدان الإسلاميّة، غير أنّ انتشارها في بلدان المغرب العربي، ربّما كان الأوسع، أمّا في إفريقيا جنوب الصحراء فإنّ للطريقة القادريّة ورجالاتها دورا كبيرا في نشر الإسلام بين الأفارقة والعمل على تثبيت دعائم وجوده، وقد كانت أسبق الطرق الصوفيّة انتشارا في السودان، وقام رجالها من فولانيين وسراكوايين وما سينيين بصورة خاصّة بحركات جهاديّة لنشر الإسلام بين الوثنيين السود من جهة، ولوعظ وإرشاد وتوجيه وتعليم المسلمين منهم من جهة أخرى، كي يستقيم فهمهم للإسلام وينسجم سلوكهم طبقا لتعاليمه الصحيحة.

وحينما ظهرت الطريقة التيجانيّة في السودان خلال منتصف القرن التاسع عشر، وقام الحاج عمر الفوتي بحركة جهاديّة لنشرها وإقامة دولة إسلاميّة مركزيّة بناء على تعاليم الطريقة التيجانيّة، قاومه زعماء الطريقة القادريّة ورجالتها بكل ما استطاعوا سواء بواسطة الحجّة الفكريّة والثقافيّة أو بواسطة القتال والسيف، وقد أسفر ذلك النزال عن انحصار نفوذ التيجانيّة بالجزء الغربي، في حين بقيت المناطق الوسطى والشرقية تحت زعامة رجال الطريقة القادريّة، وممّا يذكر هنا أنّ ذلك النزاع بين جيوش هاتين الطريقتين أضعف السودانيين الغربيين، وأدّى إلى تسهيل مهمة الفرنسيين بصورة خاصّة في احتلال المنطقة كلّها مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وللطريقة القادرية في مصر فرعان يسمّى الفرع

الأوّل منها باسم «الطريقة القادرية القاسميّة»، ويسمّى الفرع الثاني باسم «الطريقة القارضية».

أما فروع الطريقة القادريّة فأهمّها فرع في سوريا، وفرع ثان في تركيا، وثالث في كينيا في مدينة كانتكا.

آثاره

دارت مؤلفاته حول التصوّف والصوفية، وآداب المريدين وخصالهم، وما يلزمهم في طريقهم. ومن مؤلفاته:

1 - كتاب الغنية لطالبي طريق الحق؛
2 - الفتح الربّاني والفيض الرحماني؛
3 - فتوح الغيب، وقد شرح الجيلاني كثيرا من مصطلحات هذا الكتاب في رسالة بعنوان «شرح كلمات من فتوح الغيب» ضمن جامع الرسائل، تح. د. محمد رشاد سالم، المجموعة الأولى، ص37 - 98، المؤسسة السعودية، القاهرة، ط1، ص 4891، ويتناول الجيلاني في هذه المؤلّفات الحديث عن آداب المريدين عامّة وما يجب أن يتحلّى به المريد المبتدىء مع شيوخه. وفي كتاب فتوح الغيب، يتحدّث الجيلاني عن لغة الرمز والإشارة عند الصوفية، وما يعتريهم من أحوال وما يعرض عليهم من خطرات وشطحات، ويعرض للعديد من الاصطلاحات والمسائل الذوقية عند الصوفية، نذكر منها: الفناء، والولاية، والشفاعة.

المصادر والمراجع

● ابن الملقّن، طبقات الأولياء، تح. نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ط 1؛ ● ابن عربي، اصطلاحات الصوفيّة ضمن مجموعة الرسائل، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت؛ ● ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، دار صادر، بيروت 1973؛ ● أبو المواهب، جمال الدين، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية في جميع الآفاق، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1961؛ ● التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح. لطفي عبد البديع، ج 4؛ ● الجرجاني، التعريفات، تح. د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد 1991؛ ● الجزار، د. أحمد محمود، الولاية بين الجيلاني وابن تيمية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة؛ ● السلمي، عبد الرحمن، طبقات الصوفية، تح. نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، ص 1969؛ ● الشطنوفي، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1330هـ؛ ● الشعراني، الطبقات الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة د. ت؛ ● الطبري، المحبّ، الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط 1، 1988م؛ ● القادري، إسماعيل بن السيد، الفيوضات الربّانية في الآثار والأوراد القادريّة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت؛ ● القشيري، عبد الكريم، الرسالة القشيرية، تح د. عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، القاهرة 1975؛ ● الكاشاني،

اصطلاحات الصوفية، تح. د. عبد الخالق محمود، دار المعارف، 1984م، ط2؛ ● الكلاباذي، التعرّف لمذهب أهل التصوّف، تح. محمود أمين النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية؛ ● الكمشخانوي، جامع الأصول، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة د.ت؛ ● الهجويري، كشف المحجوب، تح. د. إسعاد قنديل، مراجعة د. يحيى الخشاب، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، 1975م، ط1؛ ● الاسفرايني، التبصرة في الدين، تعليق الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية؛ ● الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تصحيح هـ. ريتر، اسطنبول د. ت؛ ● أرنولد، موتاس، الدعوة إلى الام، ترجمة وتعليق د. حسن إبراهيم وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م، ط 3؛ ● حلمي، د. محمد مصطفى، التصوّف والاتجاه السلفي في العصر الحديث، دار الدعوة 1983؛ ● طعيمه، صابر، دراسات في الفرق، مكتبة المعارف، الرياض 1987؛ ● عبد الجبّار، القاضي، شرح الأصول الخمسة، تح. د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبه، القاهرة، ط 1، 1975م.

● J. S. S. Spencer Trimingham: The Sufi Orders in Islam, Oxford University, 1971.

د. مرفت عزت بالي
جامعة القاهرة ـ مصر
د. عبد القادر زبادية
جامعة الجزائر

الجيلي، أبو الحسن كوشيار بن لبان

(360هـ/ 969م ـ 420هـ/ 1029م)

أبو الحسن كوشيار بن لبان الجيلي نسبة إلى جيلان إقليم في شمال إيران، ولد حوالى 360هـ/ 969م وتوفي باحتمال كبير في الربع الأوّل من القرن 5هـ/ 11م حوالي 420هـ/ 1029م.

ألّف الزيج الجامع حوالى 353هـ/ 964م اقتبس منه البيروني، والمعلومات التي وردت في مخطوطة الاسكندرية بأن هذا قد نسخه عام 393هـ مما اعتمده Sutter ليذكر بأنّ كتاب الجداول قد ألّف بعد 399هـ، ذلك أنّ ابن يونس (ت 399هـ/ 1009م) لم يقتبس منه ولم يعرفه، ومن المحتمل أن جداول كوشيار لم تصل أبدا إلي ابن يونس، ولكوشيار دور هام في الفلك والرياضيات وساهم بتطوير المثلثات وعرف ذلك عبر أعمال P. Lukey بعد أن عرف أساسيات الحساب الهندي عبر M. Krause.

آثاره

1 ـ كتاب حساب العقود والأصابع بالأعداد الصحيحة، بيّن لوكي أنّ العمليات الحسابية واستخراج الجذور عرفت عن طريق إعطاء أمثلة. وكانت العمليات الحسابية تجري على ألواح من الغبار وبين أشكال الأرقام وصورها ذاكرا أمثلة على إجراء العمليات الحسابية الأساسية. وتطرق كوشيار في الجزء الثاني من كتابه «عقود الأصابع» إلى العمليات الحسابية ويقول إنّ جميع هذه العمليات تؤدي إلى إنشاء جدول سماه جدول الستين، وهو جدول هام لحسابات الفلكيين. وتبيّن أعمال كوشيار وخاصّة أعماله الفلكية مساهمته في تطوير المثلّثات وإيجاد قاعدة الجيوب وتطبيقاتها المختلفة؛ 2 ـ رسالة في أصول حساب الهند؛ 3 ـ عيون الأصول في الحساب، مقالة في الحساب، مخطوط، أيا صوفيا، رقم 4857، محقق ومطبوع بالقاهرة 1967؛ 4 ـ أصول حساب الهند، مخطوط، ليدن 1054، القاهرة 213؛ 5 ـ الزيج الجامع أو «زيج كوشيار الجيلي»، واعتبر مختصر المجسطي لبطليموس؛ 6 ـ الزيج البالغ، برلين 5751، وحسب كندي هو مختصر الزيج الجامع في حساب أبعاد الكواكب وحركات أفلاكها، جمع فيها بين الجداول وعلم الهيئة؛ 7 ـ اللامع في أمثلة الزيج الجامع، مخطوط باستانبول، مكتبة فاتح، رقم 3418، وقال النسوي: إن كوشيار قد أبدع زيجا سماه الجامع ووضع أوساط الكواكب على تاريخ الفرس قرّب بعيده وأصلح فاسده وتمم ناقصه وعمل معنى سديدا يعمل بالزيج الجامع وبنى الزيج على خمسة وثمانين بابًا، وعمل لكل باب مثالا ليكون كالدستور وسميته «كتاب اللامع في أمثلة الزيج الجامع»؛ 8 ـ الإسطرلاب أو الإسطرلاب وكيفية عمله، مخطوطة باريس، المكتبة الوطنية، رقم 3487، والقاهرة رقم 138، وعرف بأكثر من عنوان منها: «رسالة في صنعة الإسطرلاب والعمل به»، و«رسالة في الإسطرلاب وكيفية عمله واعتباره على التمام والكمال»، وذكره الطهراني تحت عنوان: «رسالة في الإسطرلاب» لأبي الحسن كوشيار بن لبان بن باشهري الجيلي مرتبة على أربع مقالات:

ـ في مهمّات الأبواب التي لا يستغنى عنها في عشرين بابًا.

ـ بقية الأبواب المحتاج إليها نادرًا في اثني عشر بابًا.

ـ في امتحان الآلات والدوائر والخطوط صحيحها من سقيمها في اثني عشر بابًا.

ـ في صنعة الإسطرلاب في اثني عشر بابًا.

فمجموع أبوابه ستة وخمسون بابًا.

9 ـ تعديل الزيج، وهو جدول فلكي؛ 10 ـ إصلاح تعديل المريخ، وهو جدول فلكي في تقويم المريخ خالفه فيه بعض المهندسين؛ 11 ـ كتاب الكبار في النجوم؛ 12 ـ رسالة في الأبعاد والأجرام؛ 13 ـ تجريد أصول تركيب الجيوب، مخطوط، مكتبة جار الله، 3/ 1499؛ 14 ـ مقالة في الحساب، وهي المقالة الأولى في حساب الأبواب من المقالات الأربع وربّما كانت المقالة الأولى من كتاب الإسطرلاب المؤلّف من أربع مقالات؛ 15 ـ المدخل في صناعة أحكام

النجوم، وهو على أربع مقالات ذكر فيه أنه جمع أصول الصناعة:

- في الأصول
- في الحكم على أمور العالم.
- في الحكم على المواليد وتحاويل سنيها.
- في الاختيارات.

16 ـ رسالة دلالات الكواكب؛ 17 ـ كتاب القرانات؛ 18 ـ كتاب الاختيارات.

لم نجد لدى كوشيار اجتهادات خاصّة بالفلك لذا يعتقد أنه لم يقم بأي رصد فلكي، ولكنه من الذين طوروا علم المثلّثات إذ يحتوي كتاب المزيج لكوشيار على الجيب والتجيب والظل وتمام الظل. وتكمن أهمّية كوشيار في كتابه أصول حساب الهند أنه أدخل مناهج جديدة إلى الحساب الفلكي، ويؤكّد كوشيار في كتابه «أصول حساب الهند» على أهمّية الحساب الستيني واعتبره دقيقا حتّى في مجال الكسور وهذا صحيح، وبين كوشيار كيفية استعمال الكسور بالاعتماد على النظام الستيني، والتي تغني عما يعرف اليوم بالكسور العشرية وهو ينسجم مع منهج النظام الستيني الذي يقترحه، فعمليات الضرب والقسمة واستخراج الجذور تتطلّب استخدام جدول الضرب الستيني مستعملا حساب الجمل وعلى هذا الأساس يبيّن كيفيّة اجراء العمليات الحسابية الأساسية من جمع وطرح وضرب وتقسيم وإيجاد الجذر التربيعي ومن ثمّ الجذر التكعيبي. وكان كوشيار قريبا جدا من إكمال حلقة إيجاد الكسور العشرية التي بدأها الأقليدسي في القرن العاشر وكرّرها الكاشي في القرن الخامس عشر وذكرها ستيفن في كتابه La Disme عام 1585م.

المصادر والمراجع

● البيهقي، علي بن زيد، ظهير الدين، أبو الحسن، تتمة صوان الحكمة، تح. محمد شفيع، ص 83 ـ 84، ● تاريخ حكماء الإسلام، تح. محمد كرد علي، ص 91؛ ● القفطي، علي بن يوسف، جمال الدين، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح. ليبرت، ص 97، طبعة القاهرة، وعنها طبعة دار الآثار، بيروت، ص 68؛ ● ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تح. د.إحسان عبّاس، مج 6/ 52؛ ● العروضي السمرقندي، النظامي، جهار مقالة، ترجمة عبد الوهاب عزّام، ويحيى الخشّاب، ص 63، 155، 152، حيث توجد إشارة من قبل محقّقي الكتاب إلى أنّ كوشيار كان موجودًا سنة 383هـ/ 993م؛ ● الشهرورزي، محمد بن محمد، نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة، ص 2/ 46؛ ● حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدان، طبعة غوستاف فلوغل، 1835-1858، 1/ 3، 199/ 563-564، 570، 5/ 142، 405، 475، 6/ 51، 7/ 943؛ ● البغدادي، الخطيب، تاريخ بغداد، الجزء 12/ 492.

د. سامي شلهوب

معهد التراث العلمي العربي
حلب ـ سوريا

الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم

(767هـ/1365م - 826هـ/1422م)

عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد، وكنيته قطب الدين، ويلقبه البعض بالجيلي أو الجيلاني نسبة إلى جيلان، وعرف الجيلي بالتصوف الملتزم بالكتاب والسنة [كحالة، معجم المؤلفين، 5/ 313].

ولد الجيلي ببغداد سنة 767هـ/ 1365م وتوفي بزبيد اليمن سنة 826هـ/ 1422م، ويقول في رسالة «قاب قوسين» متكلما عن نفسه: إنه الكيلاني نسبا، البغدادي أصلا، الربيعي عربا، الصوفي جسدا، أمّا «جيلان» التي نسب إليها فإنها قرية من أعمال بغداد تحت المدائن يسمونها «الجيل» وهم أهل الجيلان الوافدون على العراق [معجم البلدان 2/ 210]، وقد كان الجيلي كثير الترحال، فقد ارتحل من العراق في العشرين من عمره، واتجه إلى بلاد الهند، وأقام بها مدة ثم اتجه إلى بلاد فارس، فتعلم وكتب بها رسالته «جنة المعارف»، ثم اتجه إلى جنوب الجزيرة العربية، فقصد مدينة «زبيد» باليمن سنة 796هـ/ 1393م حتى أوائل سنة 799هـ/ 1397م فكان يجتمع بالاخوان في مسجد الجبرتي، في أواخر 799هـ/ 1397م.

كان الجيلي بمكة، حيث كان أهلها يسألونه عن الألم الأعظم، وهذا يعني أنه بدا يشتهر كصوفي، ثم يعود مرة أخرى إلى مدينة «زبيد» وفي سنة 803هـ/ 1401م، وقد كان الجيلي بالقاهرة، حيث ألف «غنية أرباب السماع»، وفي السنة نفسها كان في مدينة غزة حيث بدأ تأليف «الكمالات الالهية» الذي أتمه أوائل سنة 805هـ/ 1403م بمدينة زبيد، وفي أواخر هذه السنة كان بصنعاء اليمن، وهناك كانت له بعض المواقف ذكرها في شرحه للفتوحات المكية، ثم عاد إلى زبيد حتى توفي فيها سنة 826 هـ [الفكر الصوفي، ص 23 ـ 24].

وقد كان الجيلي واسع المعارف والثقافة محيطا بمعارف عصره، فقد تحدث باستفاضة عن حساب الجمل، وعلم الفلك، وكان ملما بالتراث اليوناني، حيث يستخدم في كتبه مصطلحات الفلسفة اليونانية، ويذكر أفلاطون وأرسطو والاسكندر، فأفلاطون عند الجيلي ليس بالمفكر السياسي أو المثالي بل هو أفلاطون الالهي وهو قطب الزمان، كما أنّه كان عالما بقواعد اللغة العربية إلى جانب معرفته بالفارسية والهنديّة، كما أحاط بالمذاهب والديانات غير الإسلامية وناقش موقف أصحابها.

أمّا أساتذته ومعاصروه فإننا نجد في كتاباته إشارات عديدة إلى ابن عربي في «الإنسان الكامل»، وإلى الحسين بن منصور الحلّاج، وأبي القاسم الجنيد وأبي بكر الشبلي، وأبي يزيد البسطاني وإلى عبد القادر الكيلاني، وهم من السابقين عليه؛ وأمّا من المعاصرين

له فالفقيه جمال الدين محمد إسماعيل المكدشي (ت 798هـ)، والشيخ أبو محمد الحكاك، وهو صوفيّ له أنظام كثيرة في علم الحقيقة، وكذلك الشيخ إسماعيل الجبرتي الذي اتّخذه شيخا، ولزمه [زيان، الفكر الصوفي، ص 33 ـ 40].

ومن أهمّ خصائص أسلوب الجيلي طابع الاستغلاق والالتزام بالرمزيّة الدقيقة في معظم كتاباته، وإن كان يميل في بعض الأحيان إلى الوضوح والمنهجيّة كي يكشف لنا من خلال مؤلفاته عن شيء من الأسرار الصوفية.

آثاره

1 ـ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ويعد هذا الكتاب من أشهر كتب الجيلي، وواحدا من أشهر كتب الصوفية، له نسخ خطية كثيرة، وعدة طبعات غير محققة وعليه شروح: كشرح أحمد الأنصاري، وشرح النابلسي "كشف البيان عن أسرار الأديان في كتاب الإنسان الكامل وكامل الإنسان"، وشرح علي زاده عبد البامتي، وشرح الشيخ علي بن حجازي البيومي.

وقد تناول الجيلي في هذا الكتاب البحث في الإلهيّة حيث بيّن المراد بالذات الأمر أو الشيء الذي يشار إليه باسم أو صفة، حيث يقسم الموجود إلى موجود محض وهو ذات الله تعالى، وموجود ملحق بالعدم وهو ذات المخلوقات، ويقرر أنّه من غير الممكن، ادراك الذات الإلهيّة، فهي غيب لا يدرك بمفهوم عبارة، ولا يفهم بمعلوم إشارة. والصوفي قد يفنى عن نفسه لحظات، فيشعر وكأنّه أدرك الذات الإلهيّة، ومن هنا يقول إنّه "هو" ولكن هذا لا يعني عند الجيلي اتّحادا أو حلولًا، فالعبد عبد، والرب رب، وأنّ المعرفة الحاصلة من تلك الحالة ليس إدراكا عقليا، ولكن إدراك ذوقي ومشاهدة".

وبعد إثبات الجيلي لاستحالة إدراك الذات الإلهيّة عن طريق الأسماء والصفات، يقول بأنّ الذات الإلهيّة غيب، بل هي غيب الغيب، والسبيل إلى هذا الغيب هو تجلي الله بذاته على العبد من فيض كرمه، فيعرفه به، وهذه التجليات الإلهيّة لا يكون للعبد فيها إلا مقدار قبوله لتلك التجليات تقبل انطباع بما تعانيه من تجليات الحق التي يظهر بها على من يشاء من عباده، ولهذا التجلي مراتب كما أن له أهله الذين هم: أهل الغيب، المرتبة الأولى: هي مرتبة تجلي الله بأفعاله، حيث يرى العبد جريان القدرة في الأشياء، ونفي الفعل عن العبد وإثباته للحق.

ثم مرتبة تجلي الحق تعالى بأسمائه وصفاته، والتي لا يصل إليها العبد إلّا بعد مروره بتجلي الأفعال، وأول مرتبة هي تجلي الاسم الإلهي وأول الأسماء التي يتجلى بها الله على العبد اسم "الموجود"، فيكون الاسم للعبد كما هو الرب، من هذا المقام يقول الصوفي: "أنا موجود".

أعلى مرتبة من تجلي الأسماء هي تجليه تعالى باسمه "الله"، فهنا يصطلم العبد لهذا التجلي، فيمحى اسم العبد ويبقى اسم الله، وبهذه المرتبة يصل العبد إلى مقام بقاء البقاء، حيث فنى العبد في وجوده، ثم بقي ذلك في الباقي، ويظل العبد تتنزل عليه الأسماء الإلهيّة حتى ينتهي إلى اسم "القيوم" فينتقل من تجليات الأسماء إلى تجليات الصفات، وهذا

مقال عال، إذ ينتفي وجود العبد، وأصبح الحق متجليا لنفسه في اللطفية الذاتية التي أقامها محل العبد وهو ما يشبه الحلول. [الإنسان الكامل، 1/ 13 ـ 40].

أمّا مرتبة الإنسان الكامل الذي تظهر فيه الصفات الإلهية بتمامها وعلى النحو التالي: صفة الحياة، فهو الحي التّام الحياة، وصفة العلم، فهو مظهر العلم التام، فلا يحجب عنه شيء، وصفة الإرادة، فيفعل ما يشاء، وصفة القدرة، فهو متصرف تماما في الأشياء. ويخلص الجيلي إلى أنّ القلم الأعلى والعقل الأول والروح المعمدي مترادفات، فإذا نسب إلى الخلق يسمى القلم الأعلى، ونسبته الـ «مطلق الخلق» يسمى العقل الأول، وإضافته إلى الإنسان الكامل يسمى «روحا معمدية» [الإنسان الكامل، 1/ 42 ـ 48، 44، 46، 2/ 8].

فالإنسان الكامل عند الجيلي هو محمد، والباقون من الأنبياء والأولياء، ملحقون به، ولكن مطلق لفظ «الإنسان الكامل» لا يجوز إلّا لمحمد ، إذ هو الإنسان الكامل بالاتفاق، [الانسان الكامل، 2/ 47]، مطبعة صبيح بالأزهر، 1960؛ 2 ـ الكهف الرقيم في شرح بسم اللّه الرحمٰن الرحيم، يشرع الجيلي في هذا التأليف، على طريقة علماء الحروف، أسرار البسملة، طبع بالقاهرة سنة 1326 هـ، ومخطوطته بمكتبة الإسكندرية رقم 1789/ د تصوّف، ثم صدرت له ط. 3 عن دائرة المعارف النظاميّة، الهند، حيدر آباد، 1340هـ؛ 3 ـ مراتب الوجود وحقيقة كل موجود، مكتبة الجنيدي، القاهرة، بدون تاريخ؛ 4 ـ المناظر الإلهيّة، مكتبة الجندي، القاهرة، بدون تاريخ؛ 5 ـ حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق، دار الرسالة القاهرة، بدون تاريخ؛ 6 ـ غنية أرباب السماع وكشف القناع عن وجوه الاستمتاع ، مخطوطة، دار الكتب رقم 360 تصوف؛ 7 ـ جنة المعارف وغاية المريد والعارف؛ 8 ـ الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، ذكرة الجيلي في الصفحة الأخيرة من «المناظر»؛ 9 ـ القاموس الأعظم والناموس الأقدم في معرفة قدر النبي ، مؤلف يقع في أربعين جزءا، معظمها مفقود، والباقي مخطوط؛ 10 ـ السفر القريب، مخطوط بدار الكتب، القاهرة؛ 11 ـ كشف المستور من مخدرات النور، ذكره الجيلي في شرح الفتوحات؛ 12 ـ شرح مشكلات الفتوحات، مخطوطة، الاسكندرية تحت رقم 6301 دار تصوف؛ 13 ـ النادرات، قصيدة صوفية من 540 بيتا؛ 14 ـ مسامرة حبيب، في إدارة الصحبة. ذكرها في «الانسان الكامل»، مفقودة؛ 15 ـ قطب العجائب وفلك الغرائب: ذكره في «الانسان الكامل»، مفقود؛ 16 ـ أمهات المعارف، نسخة في مكتبة الأزهر بالقاهرة تحت رقم 964، خصوص؛ 17 ـ أربعون موطنا، نسخة مخطوطة برقم 1727، دار الكتب بالقاهرة 23598 عموم؛ 18 ـ منزل المنازل، مخطوط، حيدر آباد الركن، رقم 192/ 1299؛ 19 ـ المرقم في سر التوحيد المجهول والمعلوم، ذكره الجيلي في الحقائق؛ 20 ـ الكنز المكتوم، ذكره كحالة في معجم المؤلفين؛ 21 ـ الوجود المطلق، ذكره الجيلي في مراتب الموجود؛ 22 ـ بحر الحدوث والقدوم وموجود الوجود والعدم،

ذكر الجيلي في مراتب الوجود؛ 23 ـ كتاب الغايات في معرفة معاني الآيات، ذكره البغدادي وبروكلمان؛ 24 ـ الأسفار عن رسالة الأنوار، ذكره كحاله في معجم المؤلفين؛ 25 ـ لغات التمكين، ذكره بروكلمان؛ 26 ـ عيون الحقائق في كل ما يحمل من علم الطرائق، ذكره بروكلمان.

المصادر والمراجع

● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.، ج 5، ص 313؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، الهند، دار سعادات، د.ت.، ج 1، ص 158؛ ● ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، م 2، ص 210؛ ● الحبشي، عبد الله محمد، الصوفية والفقهاء في اليمن، صنعاء، 1969، ص 131؛ ● زيدان، يوسف، الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي، بيروت، دار النهضة العربيّة، 1408هـ/ 1988م، ص 19 ـ 20، ص 33 ـ 40، ص 51 ـ 59، ص 69 ـ 87؛ ● الترجمان، سهيلة عبد الباعث، نظريّة الإنسان الكامل عند الجيلي، رسالة ماجستير، القاهرة، رقم 2621، ص 92.

د. عبد الكريم سلمان محمد الشمري

جامعة المستنصرية ـ بغداد

الجيلي، أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافع

(520هـ/ 1126م ـ 565هـ/ 1170م)

هو أحمد بن صالح بن شافع بن صالح بن حاتم بن أبي عبد الله الجيلي، أبو الفضل. ولد في بغداد يوم 18 ذي القعدة في أسرة علميّة ذات شأن وصدارة. فوالده أبو المعالي (ت 543 هـ) من فقهاء بغداد وأئمّتها ومحدّثيها ومن سروات النّاس، وجدّه أبو محمد (ت 480 هـ) من شيوخ بغداد وعلمائها ومحدّثيها، درس الفقه وصنّف في الأصول والفروع وروى عنه الحديث، وأخوه الأكبر شافع (ت 575 هـ) من المشتغلين بالعلم ورواية الحديث. ولكلّ من هؤلاء ترجمة في كتب الطّبقات وكتب التّاريخ المعنيّة بتراجم الرّجال وبخاصّة كتب طبقات الحنابلة.

وفي سنّ مبكّرة وجّهه والده إلى مجالس الدّرس فسمع الحديث من محدّثي بغداد مثل أبي غالب أحمد بن الحسن بن البناء (ت 527هـ)، وهبة الله بن أحمد بن الطبر البغدادي (ت 531هـ)، وأبي الحسين محمد بن محمد بن أبي يعلى (ت 526هـ) صاحب طبقات الحنابلة، وأبي بكر محمد بن

عبد الباقي الأنصاري (ت 535هـ) المعروف بقاضي المارستان، وبدر بن عبد الله الشيحي (ت 532هـ)، وهبة الله بن عبد الله الشروطي الواسطي (ت 528هـ)، إضافة إلى ما كان يأخذه عن أبيه.

ثمّ سعى بنفسه، حين أيفع، لطلب العلم فأخذ القراءات عن سبط الخياط البغدادي، عبد الله بن علي (ت 541هـ) وتلا عليه وعلى غيره مثل أبي الكرم الشهرزوري (ت 550هـ) بالروايات، ولازم الحافظ الإمام أبا الفضل محمد بن ناصر السلامي (ت 550هـ) محدّث العراق، حتّى قرأ عليه أكثر ما عنده، واختصّ بصحبته، وكان يستملي له ويقتفي أثره ويسلك مسلكه، حتّى تخرج به. وزاد في الأخذ عن الشيوخ الآخرين من المحدّثين، منهم عبد الملك بن أبي القاسم الكروجي الهروي (ت 548هـ)، وأبو بكر بن الزغواني (ت 559هـ)، وأكثر من الأخذ عن أصحاب ابن بيان، وابن نبهان، وابن الطيوري المبارك بن عبد الجبار (ت 500هـ)، وابن يوسف، وابن المهدي عبد الواحد بن محمد (ت 410هـ)، ثمّ سمع من أصحاب ابن الحصين أحمد بن محمد بن عبد الله بن المبارك (ت 511هـ)، وابن كادش (ت 556هـ)، والمزرفي محمد بن الحسين بن علي (ت 527هـ)، والبارع الحسين بن محمد بن عبد الوهاب المقرئ (ت 524هـ) [سير الذهبي، 20/ 572؛ تاريخه، 38/ 217؛ الوافي، 6/ 260؛ ذيل طبقات الحنابلة، 1/ 311].

وصرف ابن شافع همّته في طلب الحديث والاشتغال به، وبالغ في ذلك، وكتب بخطّه، وكان مليحًا، الكثير، واقتنى النفائس من أصول الكتب في الحديث وغيره. ولأنّه رزق جمالاً في الصوت انتدب لقراءة الحديث بمجلس الوزير العالم «يحيى بن محمد بن هبيرة» (ت 560هـ) إذ كان يقرؤه قراءة حسنة مبينة صحيحة بصوت رفيع. ولم يزل وافر الهمّة في طلب الحديث، على قدم الاشتغال به إلى حين وفاته، ولأنّه مات في سنّ مبكّرة فلم يحدّث إلا باليسير؛ لأنّه توفّي قبل أوان الرّواية. ومع ذلك فقد نعت بـ «الحافظ» وبـ «مفيد العراق» وكان مشارًا إليه بمعرفة الحديث، وتصدّر في زمن شيوخه فسمع منه من سمع منهم. قال الحافظ محب الدين بن النجار (ت 643هـ): «كتبت عنه أكثر ما كتبت عن رفقائي» [الوافي، 6/ 260] وكان يؤمّ النّاس بمسجد الشريف أبي جعفر (ت 470هـ) بدرب المطبخ بشرقي بغداد، وقد عرف المسجد بهم لأنّ جدّه ووالده كانا يدرسان فيه ويؤمّان النّاس به [المنهج الأحمد، 2/ 424؛ طبقات الحنابلة، 2/ 212؛ ذيل طبقات الحنابلة، 1/ 41 (ط. العلميّة)].

ونوّه ابن النجار (ت 643هـ) بما حقّقه ابن شافع فقال فيه: «كان حافظًا متقنًا، ضابطًا محققًا، حسن القراءة، صحيح النقل، ثبتًا حجّة، نبيلاً ورعًا، متدينًا تقيًا، متمسكًا بالسنّة على طريق السلف»، ووصف أيضًا بأنّه كان ذا حلم وسؤدد وصفات حميدة، وأنّه نال رئاسة مع علم ودين وتثبت وإتقان.

وبمثل ذلك شهد له الحافظ محمد بن عبد الغني بن نقطة (ت 629هـ) في كتابه الاستدراك، وموفق الدين بن قدامة المقدسي

(ت 620هـ) الذي روى أنّه دعي إلى الشّهادة للخليفة بما لا يجوز، فامتنع من الشّهادة وطرح الطيلسان وقال: «ما لكم عندنا إلّا هذا» [الذيل، 1/ 312؛ سير الذهبي، 20/ 573؛ تاريخه، 38/ 217].

وذكر من تلاميذه الذين رووا عنه: ابن الأخضر عبد العزيز بن محمود بن المبارك البغدادي محدّث العراق (ت 611هـ)، والحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت 600هـ)، وموفق الدين بن قدامة المقدسي (ت 620هـ).

توفّي ابن شافع يوم الأربعاء 23 شعبان سنة 565هـ عن خمس وأربعين سنة إثر مرض لم يمهله غير ستّة أيّام، وصلّى عليه خلائق لا يحصون كثرة، ودفن في دكّة الإمام «ابن حنبل» بباب حرب في بغداد.

■ آثاره

عرف ابن شافع بين المؤرّخين بكتابه الذي ذيّل به على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت 463هـ). فقد رتّبه على السنين وبدأ بالسنة التي توفّي فيها الخطيب إلى بعد 560هـ.

يذكر الحوادث ووفيات الأعلام وأحوالهم وقد حالت المنية دون أن يبيّضه، فتركه مسودّة، وسمّاه النّاس «تاريخ ابن شافع» وقد عوّل عليه «ابن النجار» كثيرًا في كتابه «الذيل على تاريخ بغداد» كما صرّح هو بذلك، واعتمد عليه أيضًا ابن رجب الحنبلي. (ت 795هـ) في «الذيل على طبقات الحنابلة» كما صرّح هو بذلك أيضًا [1/ 312] مستعينًا بما وقع إليه من أجزاء عدّة ممّا انتخبه منه «ابن نقطة» (ت 629هـ) [كشف الظنون 279؛ إيضاح المكنون 1/ 212].

■ المصادر والمراجع

● السيوطي، بغية الوعاة، تح. أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر (مصوّرة)، بيروت، 1997م؛ ● الذهبي، تاريخ الإسلام، تح. عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت؛ ● ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، د. ت.؛ دار الكتب العلميّة، بيروت، 1997م؛ ● ابن حميد المكي، السحب الوابلة، تح. بكر أبو زيد ورفيقه، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1996م؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1982م، ط 2؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، دار إحياء التّراث، بيروت (مصوّرة)؛ ● الذهبي، العبر، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1985م؛ ● ابن الأثير، الكامل، دار صادر، بيروت، د. ت.؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، ط. اسطنبول، 1943م؛ ● الذهبي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1985م؛ ● اليافعي، مرآة الجنان، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1997م؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين؛ ● ابن مفلح، المقصد الأرشد، تح. عبد الرحمٰن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، 1990م؛ ● ابن الجوزي، المنتظم، دار الكتب العمليّة، بيروت، 1992م؛ ● العليمي المقدسي، المنهج الأحمد، دار صادر، بيروت،

1997م؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هديّة العارفين، ط. اسطنبول، 1936م؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.

د. صاحب جعفر أبو جناح
جامعة صنعاء ـ اليمن

فهرس محتويات المجلد الخامس

ابن جابر الأندلسي، محمد بن أحمد بن علي الهواري الأندلسي/د. خديجة الحديثي/جامعة بغداد/د. محمد العمري/جامعة عين الشق ـ المغرب 7

جابر بن زيد الأزدي، أبو الشعثاء/ د. أحمد درويش/جامعة القاهرة ـ مصر 10

جابر بن عبد الله ﷺ/د. محمد خير الطرشان/معهد الفتح الإسلامي ـ دمشق 16

الجابري، شكيب/د. أحمد زياد محبك/ جامعة حلب ـ سوريا 20

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر /د. محيي الدين عطية/جامعة القاهرة ـ مصر/د. عاطف جودة/جامعة القاهرة ـ مصر 24

جاد الحق، جاد الحق بن علي/ د. شعبان محمد إسماعيل/جامعة أم القرى ـ مكة المكرّمة ـ السعودية 31

الجادرجي، عبد العزيز حسين/د. نهلة شهاب أحمد/جامعة الموصل ـ العراق 33

الجارَبَرْدي، أبو المكارم الشيخ فخر الدين/د. علي أبو زيد/جامعة دمشق ـ سوريا 35

جار الله بن فهد، أبو الفضل محب الدين محمد/د. رجاء محمد عودة/ جامعة الملك سعود بن عبد العزيز/ الرياض ـ المملكة العربية السعودية 39

الجارم، علي بن الشيخ محمد صالح/ د. أحمد درويش/جامعة القاهرة ـ مصر 41

ابن الجارود أبو محمّد، عبد الله بن عليّ/د. حسن مزيو/جامعة الزيتونة ـ تونس 48

الجاسر، حمد بن محمد/د.عبد الرحمن الطيب الانصاري/جامعة الملك سعود ـ الرياض/محمود الأرنؤوط/دمشق ـ سوريا 50

الجامع، عبد الله بن عثمان بن جمعة/ د. انيسة أحمد خليل المنصور/جامعة البحرين 54

الجامي، نور الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أحمد/د. عبد الكريم سلمان محمد الشمري/جامعة الموصل ـ العراق 56

ابن جاني المتطبب، شعبان بن إسحاق/د. محمد فؤاد الذاكري/ باحث/حلب ـ سوريا 59

جاويش، عبد العزيز/د. زينب محمد حسن/جامعة الاسكندرية ـ مصر 61

الجبائي، أبو علي محمد بن عبد الوهاب/د. عبد الأمير الأعسم/بيت الحكمة ـ بغداد ـ العراق 64

الجبائي، أبو هاشم عبد السلام بن محمد/د. عبد الأمير الأعسم/بيت الحكمة ـ بغداد ـ العراق 69

ابن الجباب، أبو عمرو أحمد بن خالد/ د. مزاحم علاوي الشاهري/جامعة الموصل ـ العراق 76

الجبالي، إبراهيم حسن بن يوسف/ أ. البشير البكوش/مجلس النواب - تونس 79
الجبالي، عبد القادر بن خالد/أ. البشير البكوش/مجلس النواب - تونس 80
ابن الجبّان اللّغوي، أبو منصور محمد علي/د. خالد ميلاد/جامعة تونس 81
جبر، الأب فريد/د. أحمد عبد الحليم عطية/جامعة القاهرة - مصر 83
ابن جبر، أبو الحجاج مجاهد/د. عبد الواحد ذنون طه/جامعة الموصل - العراق 84
جبر، ميخائيل ضُومط/د. رياض زكي قاسم/الجامعة اللبنانية/لبنان 88
جبرا، إبراهيم جبرا/ماجد صالح السامرائي/العراق/د. يوسف أبو العدوس/الجامعة الأردنية - عمان 91
الجبرتي، بدر الدين حسن بن إبراهيم بن حسن/د. قاسم كربييك/جامعة مرمرة - تركيا 97
الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن/د. عبد الحميد صالح حمدان/جنيف/د. محمود الربداوي/جامعة دمشق - سوريا 102
جبريل، توفيق صالح/د. محمد المهدي بشري/جامعة الخرطوم - السودان 105
ابن جبريل، يحيى بن عبد اللّه/علي يعقوب/نيامي - النيجر 106
ابن جبل، أبو عبد الرحمن معاذ بن عمرو بن أوس/د. عبد الحميد صالح حمدان/جنيف 107
الجبوري، حمد صالح/د. نجمان ياسين/العراق 109
جبّور، جبرائيل سليمان/د. اليان صليبا/الجامعة اللبنانية - لبنان 114
ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد/د. عمر بن حمادي/جامعة منوبة - تونس 117
ابن جبير، أبو عبد اللّه سعيد بن جبير الأسدي/د. عبد الواحد ذنون طه/جامعة الموصل - العراق 124
ابن جبيرول، أبو سليمان أيوب بن يحيى/د. أحمد شحلان/جامعة محمد الخامس - المغرب/سيمون الحائك/الجامعة اللبنانية - لبنان 128
جحّاف، لطف الله بن أحمد بن لطف الله/د. دريد عبد القادر نوري/جامعة الموصل - العراق 135
جحظة البرمكي، أبو الحسن أحمد بن جعفر/د. علي أبو زيد/جامعة دمشق - سوريا 138
الجد حفصي، أحمد بن عبد السلام/د. جليل منصور العريض/جامعة البحرين 140
الجد حفصي البحراني، علي بن عبد الله/د. أنيسة أحمد خليل المنصور/جامعة البحرين 142
الجد حفصي، البحراني علي بن لطف اللّه/د. أنيسة أحمد خليل المنصور/جامعة البحرين 143
الجد حفصي البحراني، لطف الله بن علي/د. جليل منصور العريض/جامعة البحرين 145
الجد حفصي، البحراني لطف الله بن محمد/د. جليل منصور العريض/جامعة البحرين 150

ابن الجدّ الفهري، أبو عامر أحمد بن عبد الله/عبد القادر المهيري/الجامعة التونسية ـ تونس 154

الجراح، خديجة/د. عبد الله أبو هيف/جامعة تشرين ـ سوريا 156

جرادة، محمد سعيد/د.عبد الله حسين البار/المكلا ـ اليمن 160

الجزافي، أحمد بن محمد بن أحمد/أ. د. حسين عبد الله العمري/اليمن 164

الجزافي، عبد الله بن عبد الكريم بن محمد/د. حسين عبد الله العمري/اليمن 166

جران العوْد، عامر بن الحارث/د. أحمد زياد محبّك/جامعة حلب ـ سوريا 168

الجَزاوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام/د. أحمد متفكّر/جامعة القاضي عياض ـ مراكش 172

الجربادقاني، أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد/د. ممدوح محمد خسارة/جامعة دمشق 175

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن/د. أحمد مطلوب/المجمع العلمي العراقي/العراق 175

الجرجاني القاضي، أبو الحسن علي بن عبد العزيز/د. أحمد مطلوب/المجمع العلمي العراقي 179

الجرجاني، أبو إبراهيم إسماعيل بن حسان بن محمد/د. شمس الدين كريم/د. محمود فهمي حجازي/جامعة نور مبارك/جمهورية قازاخستان 182

الجرجاني، أبو سهل عيسى بن يحيى/د. أسامة ناصر النقشبندي/مركز بغداد للتراث ـ العراق 184

الجرجاني، الشريف، علي بن محمد بن علي/د. عبد الأمير الأعسم/بيت الحكمة ـ بغداد 187

الجرجاني، أبو عبد الله يوسف بن علي/د. أحمد أوزال/مركز الدراسات الاسلامية/تركيا/ 190

الجرجاني، أبو الفضائل إسماعيل بن حسين/د. أحمد أوزال/الموسوعة الإسلامية ـ تركيا 193

ابن جرجس، جرجي بن انطنيوس/د. عمر عبد السلام تدمري/ الجامعة اللبنانية ـ لبنان 196

ابن جرج، أبو القاسم عبد الله بن أبي عامر يحيي/د. نوري كاظم الساعدي/جامعة بغداد ـ العراق 198

الجر، خليل ابراهيم/د. اميل يعقوب/الجامعة اللبنانيّة 199

الجرّ، شكر الله يوسف/د. اليان صليبا/الجامعة اللبنانية 201

جرداق، منصور حنّا/د. اليان صليبا/الجامعة اللبنانية 204

جرمانوس، جبريل بن فرحات بن مطر/د. إميل يعقوب/الجامعة اللبنانية 207

جرمانوس، عبد الكريم/أ. محمود الارناؤوط/سوريا 211

الجُرموزي، المطهر بن السيد محمد/د. محمد عيسى صالحية/جامعة اليرموك/الأردن 212

الجرمي، أبو عمر صالح بن إسحاق/د. حسن حمزة/جامعة ليون ـ فرنسا 216

الجرهمي، عبيد بن شرية/محمد بن هاوي باوزير/اليمن ـ جامعة عدن 219

ابن جريج، أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز/د. حسن مزيو/جامعة الزيتونة - تونس 222
الجريري، أبو الفرج، المعافي بن زكريا بن يحيى/د. ناطق صالح مطلوب/جامعة الموصل - العراق 224
الجريري، أبو محمّد أحمد بن محمّد بن الحسني/د. عبد الكريم سلمان الشمري/جامعة الموصل - العراق 230
الجزائري، شهاب الدين أبو العباس أحمد/د. مقداد عرفة/الجامعة التونسية 231
الجزائري، الأمير عبد القادر بن محيي الدين/د. أبو القاسم سعد الله/جامعة الجزائر 232
الجزائري، عبد النبي بن سعد الدين بن محمد/د. حسن عيسى علي الحكيم/جامعة الكوفة - العراق 239
الجزائري القلعي، محمد بن أبي بكر/د. محمد سويسي/جامعة تونس 240
الجزائري، محمد بن الأمير عبد القادر/د. أبو القاسم سعد الله/جامعة منيسوتا - الولايات المتحدة الأمريكية 241
ابن الجزار، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد/د. إبراهيم بن مراد/جامعة منوبة - تونس 244
جزرة، أبو عليّ صالح بن محمّد/د. حسن مزيو/جامعة الزيتونة - تونس 248
الجزري، بديع الزمان أبو العز إسماعيل بن الرزاز/د. قاسم كربييك/جامعة اسطنبول - تركيا/د.أحمد فؤاد باشا/جامعة القاهرة - مصر 253
ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد/د. عفت الشرقاوي/جامعة القاهرة - مصر 258
ابن الجَزَريّ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم/د. عمر عبد السلام تدمري/الجامعة اللبنانية - لبنان 261
ابن جزلة، أبو علي يحيى بن عيسى/د. عبد الناصر كعدان/سوريا 265
الجزولي، عبد الله بن يسن/د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم/معهد البحوث والدراسات الإفريقية - القاهرة 269
الجزولي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن/د. حسن جلّاب/كلية اللغة العربية - المغرب/د. محمد الكحلاوي/- تونس 272
الجزولي، أبو موسى عيسى بن عبد العزيز/د. أحمد متفكّر/جامعة القاضي عياض - المغرب 276
ابن جزيّ الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد/د. جمعة شيخه/جامعة تونس ... 279
الجزيري القصري، أبو نصر الفتح بن موسى/د. إيمان صالح مهدي/جامعة بغداد - العراق 283
الجسر، حسين بن محمد بن مصطفى/د. فهمي جدعان/الجامعة الأردنيّة - الأردن/د. حسن نصر الله/الجامعة اللبنانية/لبنان 286
الجصّاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي/د. هند شلبي/جامعة الزيتونة - تونس 290
الجعابي، أبو بكر محمد بن عمر/د. نور الدين مختار الخادمي/جامعة الزيتونة - تونس 297

الجعبري، أبو إسحق ابراهيم بن عمر/ د. عبد الجبار حامد أحمد/جامعة الموصل ـ العراق 299
الجَعْد، أبو بكر محمد بن عثمان/ د. هند شلبي/جامعة الزيتونة ـ تونس 302
ابن جعفر الصادق، أبو الحسن علي الرضي بن موسى الكاظم/ د. صاحب جعفر أبو جناح/جامعة صنعاء ـ اليمن 309
جعفر الصادق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر/أ. الحبيب بن طاهر/ وزارة الشؤون الدينية ـ تونس 313
ابن جعفر، أبو الفرج قدامة/د. إحسان عباس/الجامعة الأمريكية – لبنان 321
أبو جعفر، القارئ يزيد بن القعقاع/ د. محمود فراج/جامعة الإسكندريّة ـ مصر 323
جعيط، محمد العزيز بن يوسف/ د. محمد بوزغيبة/جامعة الزيتونة ـ تونس 329
الجغميني، محمود بن محمد بن عمر/ د. أحمد أوزال/مركز الدراسات الاسلامية ـ تركيا/د. شمس الدين كريم – د. محمود فهمي حجازي/ جامعة نور ـ مبارك ـ قازاخستان/ د. محمد السويسي/الجامعة التونسية 332
الجكني، أحمد محمود بن أحمد/ د. محمذن بن المحبوب/جامعة انواكشوط ـ موريتانيا 335
الجكني، محمد الحسن بن محمذن/ د. محمذن بن المحبوب/جامعة انواكشوط ـ موريتانيا 337
الجكني، المختار بن محمد سعيد/ د. محمذن بن المحبوب/جامعة انواكشوط ـ موريتانيا 339
ابن الجلاّء، أبو عبد الله، أحمد بن يحيى/د. ساعد الخميسي/ جامعة منوري ـ الجزائر 342
الجلاب، أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق/أ. هلال ناجي/بغداد ـ العراق 346
ابن الجلاّب، أبو القاسم عبيد الله بن الحسين/د. محمد بوزغيبة/جامعة الزيتونة ـ تونس 348
ابن الجُلاح، أبو عمر أحيحة/د. انطوان القوال/الجامعة اللبنانية 353
جلال، الشيخ محمد سعاد/د. فتح الله احمد سليمان/جامعة القاهرة ـ مصر .. 356
الجلال اليمني، الحسن بن أحمد بن محمد/محمد عبد الله بن هاوي باوزير/جامعة عدن ـ اليمن 357
جلبي، علاء الدين علي صالح/د. أحمد أوزال/هيئة الموسوعة الإسلامية ـ تركيا 359
الجلبي، محمد الطيب المهتدي/د. خليل علي مراد/جامعة الموصل ـ العراق 362
الجلبي الموصلي، داود بن محمد سليم/د. خليل علي مراد/جامعة الموصل ـ العراق 364
ابن جلجل، أبو أيوب سليمان بن حسان/د. نشأت حمارنة/دمشق ـ سوريا 366
الجلدكي، عز الدين أيدمير بن علي/ د. أحمد أوزال/مركز الدراسات الإسلامية ـ تركيا/د. عبد الله حجازي/ جامعة الملك سعود ـ الرياض ـ السعودية 374
الجلودي، أبو أحمد بن عبد العزيز بن يحيى/د. نبيلة عبد المنعم داود/مركز إحياء التراث العلمي/العربي ـ جامعة بغداد 378

الجلولي، أبو علي حسن بن علي بن محمد/أ. البشير البكوش/مجلس النواب - تونس 381

الجليس النَّحوي، أبو عبد اللّه، الحسين بن موسى/د. ممدوح خسارة/جامعة دمشق - سوريا 382

الجلياني، أبو الفضل عبد المنعم بن عمر/د. محمود الحاج قاسم محمد/طبيب/الموصل - العراق 383

الجليلي، قاسم بن خليل بن عبد الجليل/بسام إدريس الجلبي/العراق - الموصل 385

الجليلي، محمد صديق/د. بهجة كامل عبد اللّطيف/جامعة بغداد - العراق 387

جماع، إدريس محمد/د. عون الشريف قاسم/جامعة الخرطوم - السودان 390

ابن جماعة، بدر الدين محمد/د. جبرائيل بشارة/جامعة دمشق - سوريا/د.عبد القادر المهيري/الجامعة التونسية/د. أسامة ناصر النقشبندي/دار المخطوطات - العراق 392

جماعة غار ضجماج/د. فرحات الجعبيري/جامعة تونس 397

جمال الخلوتي، أبو الفيوضات محمد بن حميد الدين/د. رشاد أونغرن/جامعة استانبول - كلية الإلهيات - تركيا 401

جمال الدين، مصطفى جعفر/د. نادية غازي العزّاوي/الجامعة المستنصرية - بغداد 405

جمال القرشي، أبو الفضل جمال الدين محمد بن عمر/د. مصطفى بيرول أولكر/جامعة استانبول - تركيا 409

جمائيلي، أبو محمد تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد/د. م. يشار قاندرمير/استانبول - تركيا 411

الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلاّم/د. عبد الإله نبهان/جامعة اليرموك - إربد - الأردن 418

الجمحي، أبو محمد عمرو بن دينار/د. نجمان ياسين/جامعة الموصل - العراق 422

ابن أبي جمرة، أبو محمد عبد الله بن سعد/د. فاروق حمادة/جامعة محمد الخامس - المغرب 425

جمعة، محمد لطفي/د. أحمد عبد الحليم عطية/جامعة القاهرة - مصر 428

الجمل، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد/أ. البشير البكوش/مجلس النواب - تونس 432

جمل الليل، باحسن، عبد اللّه بن محمد/د. محمد عبد اللّه بن خاوي باوزير/جامعة عدن - اليمن 433

ابن جُمَيع الصَّيْداويّ، أبو الحسين محمد بن أحمد/د. عمر عبد السلام تدمري/الجامعة اللّبنانيّة - لبنان 436

ابن جميع، أبو العشائر هبة الله بن زين/د. لطف اللّه قاري/مهندس - السعوديّة 437

الجُميح، منقذ بن طماح الأسدي/د. سعدي عبد اللطيف ضناوي/الجامعة اللبنانية - لبنان 444

ابن جميل التونسي، شمس الدين محمد بن أبي قاسم/أ. البشير البكوش/مجلس النواب - تونس 448

جميل، حسين/د. إبراهيم خليل أحمد/جامعة الموصل - العراق 449

الجميل، علي/د. نهلة شهاب أحمد/ جامعة الموصل ـ كلّية التربية ـ العراق 451

الجنابذي، أبو محمد عبد العزيز بن محمود/د. طه خضر عبيد/جامعة الموصل ـ العراق 454

جنابي مصطفى أفندي، أمير حسن بن يوسف/د. مصطفى بيرول أولكر/ جامعة مرمرة ـ تركيا 457

ابن جناح، أبو الوليد مروان/د. نازك ابراهيم عبد الفتاح/جامعة عين شمس ـ القاهرة/د. أحمد شحلان/جامعة محمد الخامس ـ المغرب 460

الجناوني، يحيى بن أبي الخير/ د. محمد عيسى موسى/مجمع اللغة العربية ـ الجزائر 465

جنتا، الشيخ صالح بن محمد/أ. سعيد زونغو/جمهورية بوركينا فاصو 466

الجنداري، احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن/د. صلاح علي بن مدشل/ جامعة حضرموت ـ اليمن 470

ابن جندل، أبو مالك سلامة الطائي/ د. أنطونيوس بطرس/الجامعة اللبنانيّة ـ بيروت 471

الجندي، أبو الضياء خليل بن إسحاق بن موسى/د. أبو بكر الأخزوري/مركز الدراسات الإسلامية/القيروان ـ تونس 475

الجندي، أبو عبد اللّه بهاء الدين محمّد بن يوسف/القاضي إسماعيل بن علي الأكوع/صنعاء ـ اليمن 476

الجندي، أبو عبد الله مؤيد الدين بن محمود بن صاعد/د. أحمد أوزل/ مركز البحوث الاسلامية/تركيا 478

الجندي، علي السيد/د. محمد الجوادي/ عضو مجمع اللغة العربية ـ القاهرة 481

الجندي، علي محمد/د. محمد الجوادي/ عضو مجمع اللغة العربية ـ القاهرة 482

الجنوي، أبو النّعيم رضوان بن عبد الله/د. فاروق حمادة/جامعة محمد الخامس ـ الرباط 483

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان/عبد القادر المهيري/الجامعة التونسية ـ تونس 486

الجنيد، أبو القاسم الجنيد بن محمد/ د. توفيق بن عامر/جامعة تونس 492

الجِهْشياري، أبو عبد اللّه محمد بن عبدوس/د. المنجي الكعبي/جامعة تونس 497

الجهني، أبو عبد الله الحسين بن نصر/د. طه خضر عبيد/جامعة الموصل ـ العراق 498

الجهني، معبد بن خالد بن عبيد اللّه/ د. محمد عبد الرحيم الزيني/سلطنة عُمان 501

جواد، كاظم عفوان العارضيّ/د. نادية غازي العزّاوي/الجامعة المستنصريّة ـ بغداد 504

جواد، مصطفى إبراهيم/د. أحمد مطلوب/المجمع العلمي العراقي/د. بهجة كامل عبد اللطيف/جامعة بغداد ـ العراق 507

الجواري، أحمد عبد الستار/د. أحمد مطلوب/المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ـ العراق 512

الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد/د. مسعود بوبو/الموسوعة العربية/سوريا 516

الجواهري، محمد مهدي عبد الحسين/ د.حاتم الصكر/جامعة صنعاء ـ اليمن 517

أبو الجود، محمد بن اللّيث/د. أبو بكر خالد سعد اللّه/المدرسة العليا للأساتذة ـ الجزائر 520

جودت باشا، أحمد بن إسماعيل آغا/ د. عاكف آيدين – د. يوسف صلاح أوغلي/د. سهيل صابان/مكتبة الملك فهد ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية 524

جودت، صالح كمال الدين/د. محمد أبو الأنوار/دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ مصر 531

جورجيوس، أميروتزس وابنه محمد/ د. إحسان فاضلي أوغلي/جامعة استانبول ـ تركيا 538

الجوزجاني، أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب/د. محمد الناصر الزعايري/ جامعة الزيتونة ـ تونس 543

الجوزجاني، أبو سليمان موسى بن سليمان/د. برهان النفّاتي/جامعة الزيتونة ـ تونس 548

الجوزجاني، أبو عبيد عبد الواحد بن محمد/د. قاسم كربييك/جامعة استانبول ـ تركيا 551

الجَوْزَقي، أبو بكر محمد بن عبد اللّه/ د. حسن مزيو/جامعة الزيتونة ـ تونس 554

الجوزقي، أبو عبد الله الحسين بن ابراهيم/د. حسن مزيو/جامعة الزيتونة ـ تونس 555

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن/د. أحمد متفكّر/جامعة القاضي عياض/مراكش ـ المغرب/د. يوسف زيدان/جامعة القاهرة ـ مصر 557

ابن جوصاء، أبو الحسن أحمد بن عمير/د. نور الدين مختار الخادمي/ جامعة الزيتونة ـ تونس 561

الجومرد، عبد الجبار بن محمد/ د. نجمان ياسين/جامعة الموصل ـ العراق 563

جومي، أبو بكر بن محمود/د. وليلاي كندو/جامعة بوركينا فاصو 566

الجونبوري، عبد الرشيد بن محمد العثماني/د. سمير عبد الحميد إبراهيم/جامعة القاهرة ـ مصر 568

الجونبوري، عبد القادر بن خير الدين العمادي/د.محمد أسلم إصلاحي/ جامعة جواهر لال نهرو ـ الهند 570

الجونبوري، الشيخ محمود بن محمد الفاروقي/د. سمير عبد الحميد إبراهيم/جامعة القاهرة ـ مصر 571

جوهري، الشيخ طنطاوي/د. أحمد عبد الحليم عطيّة/جامعة القاهرة – مصر .. 574

الجوهري، عباس بن سعيد/د. محمد السويسي/ الجامعة التونسية/د. محمود فهمي حجازي ـ د. عبد الستار دريسالة/جامعة نور مبارك ـ قازاخستان 578

الجوهري، أبو عبد الله أحمد بن محمّد/د. نبيلة عبد المنعم داود/مركز إحياء التراث العربي ـ العراق 580

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد/د. أحمد أوزال/مركز الدراسات الاسلامية ـ تركيا/د. محمود الربداوي/جامعة دمشق 582

الجويني، أبو محمد عبد الله بن يوسف/د. هشام قريسة/جامعة الزيتونة ـ تونس 585

الجُوَيْني، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف/د. هشام قريسة/جامعة الزيتونة ـ تونس 588

ابن الجيّاب، أبو الحسن علي بن سليمان بن حسن/د. حسناء بوزويتة الطرابلسي/جامعة تونس 591

الجياني، الحسين بن محمد/ أ. الحبيب بن طاهر/وزارة الشؤون الدينية ـ تونس 594

الجيّاني، أبو عبد الله محمد بن معاذ/ د. أبو بكر خالد سعد الله/المدرسة العليا للأساتذة ـ الجزائر 596

الجيطالي، أبو طاهر إسماعيل بن موسى/د. منير بن المختار التليلي/ الجامعة العربية للعلوم ـ تونس 601

ابن الجَيْعان، أبو البقاء محمد بن يحيى/د. عمر عبد السلام تدمري/ الجامعة اللبنانية ـ لبنان 604

الجيلاني، أبو محمد عبد القادر محيي الدين/د. مرفت عزّت بالي/جامعة القاهرة ـ مصر/د. عبد القادر زبادية/ جامعة الجزائر 606

الجيلي، أبو الحسن كوشيار بن لبان/ د. سامي شلهوب/معهد التراث العلمي العربي/حلب ـ سوريا 612

الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم/د. عبد الكريم سلمان محمد الشمري/جامعة المستنصرية ـ بغداد 615

الجيلي، أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافع/د. صاحب جعفر أبو جناح/ جامعة صنعاء ـ اليمن 618

فهرس محتويات المجلد الخامس 623

■ ■ ■